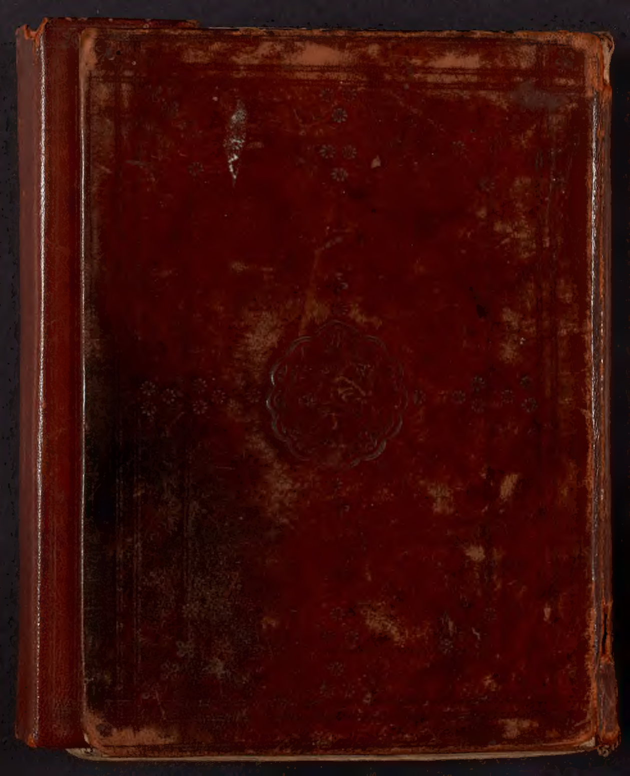
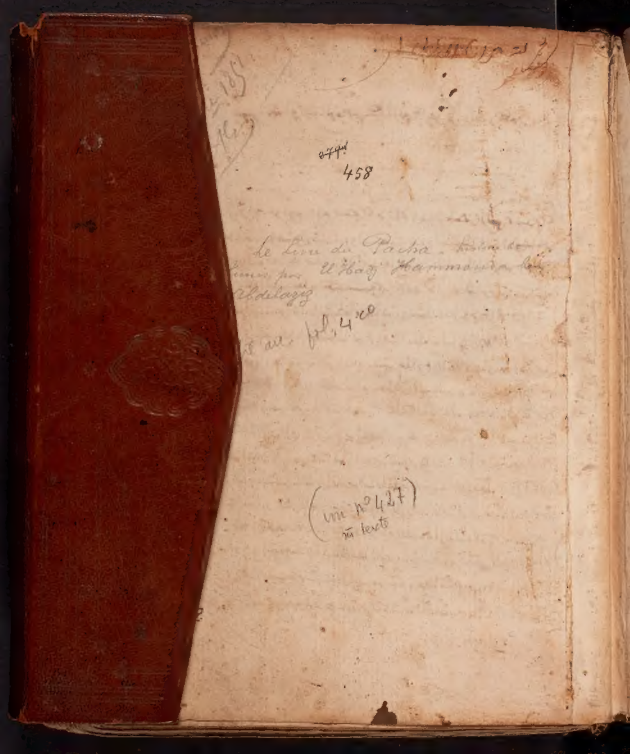


Ms
ARABE
458







Le Livre du Pacha. Histoire de Tunis par El Hadj Hammouda ben Abdelaziz

Le livre du Pacha, kitab el [illegible]
tenu par El Hadj Hammouda ben
Abdelaziz

Ult. arr. fol. 4.°

(voir n° 427
... texte)

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

الحمد لله مؤيد من قام بنصرة دينه ومعز من احيى السنة بنصره
وتمكينه ومشيد اركان الدول بحفظ نظام العالم عن الخلل وجاعل
العدل دليلا على ثبات الدولة وبقائها والظلم سببا لظهور هلاكها
الاعداء وارتقائها بحسن سياسته الذي ابتدا بفضله من سمات عنايته
فلم يهمل من كان على حفظ عنايته ونشكره جل وعلا ان قلدنا
فنون نعم جليلة فالقائم بها من انعمنا ملكا علينا والصلاة والسلام
على سيدنا ومولانا محمد الذي بعثه ليتمم مكارم الاخلاق وما فيه من اداب
السياسة ودقائق الاحكام بنعامل بها الخلائق وحمل الناس على المحجة
البيضاء وهدانا للحنيفية السمحاء صلى الله عليه وعلى آله وصحبه
الائمة الاعلام الذين حافظوا بانفسهم في الله حوزة الاسلام وعلى
من اقتفى اثرهم وسار على نهجهم الى يوم القيام وبعد فان لله تعالى
جلت حكمته وعلت كلمته حكما بالغة في عباده لا يعقلها الا العالمون
في العلم والحكمة بالغة لا يقدر قدرها الا من اوتي حظا وافرا من
الفهم ومن حكمه الباهرة والطافه العامة ان اقام لكل زمان من يقيم
اوده ويشد عضده ويحلي عاطله ويجمع باطله ويلبس للخلق لباس
رشادهم ويحمل عليهم امر معاشهم ومعادهم من ملك اقام الاسلام
في ظل امانه واجرى عليهم سحائب معدلته واحسانه وانتصف من

مؤذيهم

نوه بهم تصغيرهم وسوى به الحق بين وضيعهم ونبيههم فإذا سردت
نصالا وقطعت في المجسر اوصالا وبينت ذلك كل صعب ووضعت
الهمم مواضع التعب واعلام ربح للابريز منارا ورفع من للمكرمين اعمارا
ودعا الى الله من الامة مستقيم واستنفر خلائق من سواء الجحيم بعار
خلعها على كاهل الدين من مطارف وحج الطهر هاكا لصاح المنبلج وجا
نمين على الحق اماما وعيون تبرق لنفث الابريز اثناها وعابد
للاحق بانوار عبارته بعد دهمة السالح والجا الاوازلحت بسهام
ادعيته عن الامة من راوا وجال الاعجمي هولاء عن في ان به الرتب
وتبتهج به العليا بكل اوان فيه اعلام نطه
في اذا موج البحر ردا الحر رد
ثم فنون كمالاته وتقع لكل ذي همة من صكار منهم من ينشي دعا
ولكل ما اتى به من نثرها على صفحات الاقلام ونظمها من شاء ينظمها
في لبة الدهر عقودا ونثر جواهرها بالقلوب معقودا او كانت نثرها
انتثار الكواكب على صفحة السماء والازهار احاطت بصفحتي الماء
ومصنع بعضها من دقائق الاصول تحتي منه غضة في كل اوان بل
في اوابد الاحياء في الناس واني ما توا ولم يبق التعلق بأحلامهم
الجميل وان ماتوا
جدال ذو الهارض بانواع الحياة وثم بعد الممات جدال الكتب والسير
وقد حصل وعلى هذا العصر من الامم الرجال الفحول على
ابي الحسن الباشا على باي بن الامام الرضا المعز من المصطفى المرحوم
حمزة باي ابن علي ابي الملكة الباي نعمة وحميرها القائم بترطيب

بعث

وتمكين هذا الحكم الشرعي ود لله وشكر ما عز به صولته من صعب
كلمته نورا وذكر مجبورا وكاسمه معلما وعمله معلما ولبابه معمورا
جواسم واساميه اعيادا ومراسم دين الله متتابعة والاماني به
بعد تفاصيل الكائنة والحضر من جنى بطارف سابقة والحمد
من جنى بعوارف سابقة وانشاد كسا ونظم لما البيان وابان
بساط الفؤاد لديه والبيان ما للاحكام ذات بهجة وابتسام والدين
اعلى حجة وسلام ما كميت من مدد اعطته البسالة فجادها
واطلقه الى ما سمت جيادها بغلول الاعناق الحوافر عازبة
وخلوت على صيانة الدهر عيون في البيد فضى اذا مرمى علامة في بها
ديمة سيماء وعرا بعقبها وعطل لباله الامن ذوائب معاني
تبديها وحلائل تعم سيرتها ونوافل طاعات الجمعة يجمعها
اتاح الله به صلاح الانام وايضاح الاحكام وازاح به عن عباده الـ
الظلم والمستودعه من الجرم فيه ولبا به من الجود بنانه وعبائه
ما تشفعت به الاحوال وانتصفت وانشقت به الاهوال وانه
وانفسحت ما لقلوب على تاميله معرفة فقلت به وعلى محبته وطاعته
متعففة متجانبة دواعي الله تعالى العظم بجامعته وجلالته القلوب
وعلى امته وان الكل شرح اعد ولبه وادباحهم ته الى اصحوني
اخلاها الى ادضون خلالها المتويسون خلالها الى النعون خلاله
وعني لم بن انما بها من الاداني واجنبا بعجب الى ماني للاحتلاب
درها واحتفال باخذ رها وانجاع عنها والامتناع عليها من
مراجعه التي الطلوع سماء المجد سموها وادار وابا على

الالباب

الا انها ما كررتها الا ان خلاله المنيفة واخلاقه التي هي تقضي
عنها نطاق الشمس ودفعهم بما فضل الشيم وتقتضي ان تحذو ابن جحفن
لما ان التنصب على خير جيات المكارم مما لا يفي به الخطب والاذكار
ولا تجمله الا بطون الاسفار ولان الشيخ بعد زمانا هو العرق الاعتناء
بتردده وفي حدود روايته وتلعثمه لا يطول له امر ولا يبقى به ذكر الا
الا ذو مجلدات المترددين في الكتب فانه سبب نقل الذي لا اخفى الخطب
ولان الشاعر وان حلى النصرف جهده واتى بما هو الحق عنده بحسب
منسوب الى المبالغة التي هي في حقه سائغة بخلاف المصنف الثقة
المعهود بتحري الطرق فيه فكل ما ياتي به محمول على الحقيقة ولما ظهر لهه امر
الى ترددهما وخلية الرضى بما وفي بينهما القصة ـــــ ان اكون سابقا
لهذه الحلبة وحلى هذه اللبة بوضع تاريخ لهذه الدولة الحسنية
ابقاها الله تعالى ما دامت السماوات والارض ورفع لاهل عصر لولاها الى
يوم العرض فيشمل الثناء ملوكهم وانتظام البلاد في سلكهم واذا
فيه اخبار والده المقدس سقى الله ثراه منشأ بلبل رضوانه وتغمده
بغفرانه واحسانه وكيف ملك الا بالة الا بالحقيقة وسلطانها بحمى
بالهداية اوطانها واثنيه على الظاهر من مناقبه التي لا تحصى ولا تحصي عد
ويمتنع عن منافسيه لما استقصا واختبار لخفيه الملك الا باحق والسلطان
الا غير مولانا فان جابى احله الله بحبوحة فراديس الجنان وتابعه رحمه
الى كتبه سحايب الغفران جعوا لنا في بلت به الدنيا وتحلت وحمدت شانه
من العليا واحلت واذكر ما تخلل من اخبار ابن كرى على ما شاركهم باجر على
رحمه الله تعالى وتغلبه على المملكة بعدهم وكيف الت به الحال الى

أيده فشرعت أستقصي ما اطلعت عليه من أخبار مولانا أمير المؤمنين
نصره الله تعالى بفتوحه وارتفاع شمس الطبيعة وظهورها وابتدائه
على ما آتاه تعالى من كليات الفضائل وأصولها وجلائل آثارها الرائدة
الصادرة عنها من جميع أنواع المكارم وفصولها فإذا بها اهتزاز
المطالب يسترعي من اليراع ما ليس له مساغ ويقتضي اتساع مجال
وتتبع الأخبار من أفواه الرجال إذ هي لم تدون بعد ولا تعرض أحد
لتضمينها غير ما ألم به الأديب أبو عبد الله محمد الوزير السراج
في تأليفه المسمى بالحلل السندسية في الأخبار التونسية من أول الدولة
للدولة والده رحمه الله تعالى فبلغ فيه إلى سنة أربع وأربعين ومائة
وألف ثم إن الجزء الرابع منه الحري بالاهتمام لما اشتمل عليه من الحضر
منه لا يوجد مع كثرة البحث والسؤال بلا وجود منه إلا في عيني وذلك لأنه وجد
من نسخة المؤلف وتلاشى ولما ألم به أبو عبد الله حسين خوجه في
تعرضه للدولة آل عثمان المسمى بشائر أهل الإيمان في ذكر بعض فضائل
رحمه الله تعالى ومن أين ومن شواغل الخزنة تمنعني من ذلك
وتضرب عن الدخول في ضيق تلك المسالك ورأيت واجب شكر نعمها به
التي طوقتنا تطوق الحمامة وأرسلها علي من كل جانب إرسال
الغمامة يقتضي أن أدوم في القول بذكر شيء من هذه المواهب وإن
لا يعوقني الشغل بتنزيل الحلية التي فيه بأنه أيده الله تعالى قد جرى
بحضيض ربع من موضعي وذلك [illegible] ويلحقني كلما
يبلغه فرض ملمات ما موله وتولى جبر منه ركن ربعة لا يهرم
وسوغني بتعلق فيه جانبي لا ينطق ولا ينقض فإذا أنا قد

دعوت

وقعت بتراجمها عليهم وتوسطت بين لم يعرفهم من با
عملت الحيلة في الخلاص ولات حين مناص بان الحق ضحا عليه ما هتف
به اولا حيث لم اجره بالملوم به الانصراف الانتصار في دولة مولاي
بالتصنيف وجعلت ما اذكره من اخبارهم كالتابع له والرديف
والمقصد من اخباره في المشهور وما من بصائره وكمال الآثار في الظاهر
ومن مراجعه على ما سار تسير المثل وطلع منه اكمل الشموس في الحمل
بحمد الله كتابا حاملا يشتمل عليه القلب ويلبس بالذهن وسميته
بالكتاب الباشا اضافة للقلب الذي يهتم به ونسبته الى وصفه المرافقي
بعالي رتبته ولما كان هذا الملك الجليل الذي من الله به على عباده وانا
للاصلاح ما يسر من بلاده فرتب الله تعالى له من اسباب سعادته ولحفها
له من موجب في امنه امور المتقصد بعضها ان شاء الله تعالى من تسوق
الحق اتاه الله وتسلطه علينا وتمكينه من قاومه واصابه في ض
به عزا وبان ذلك لدى بالاسباب جرت على خلاف العتاد وصح من الله تعالى
لا يقع به في يد العباد تاملت — فاذا الامر كما قال صلى الله
عليه وسلم لعبد الرحمن بن سمرة رضي الله عنه يا عبد الرحمن لا تسال الامارة
فانك ان اعطيتها عن مسالة وكلت اليها وان اعطيتها عن غير مسالة اعنت
عليها فاني ولانيه حتى يسر الله ملكه ولا جرد على ما ابى الباطل سلكه وانا بيعة
عقدها له اهل الحل والعقد من العلماء العتين والفقهاء المشاورين
ورؤساء العساكر وذوي الاجناد ووجوه الناس من كل حاضر وباد
بالبشرات بالكلام على هذه البيعة المباركة الطاهرة وذكر عقبها
ما تسبب عنها من الاحوال السارة والله تعالى يلهمنا الصواب بمنه

فيما نفعله ونتركه انه ولي التوفيق فيما ناتيه ونذره

ذكر ولايته ادامها الله تعالى امين

بويع ايده الله تعالى يوم الاثنين الرابع عشر خلت من جمادى الثانية
سنة اثنين وسبعين وسماية وانه صبيحة الليلة التي توفي فيها اخوه
مولانا ابو عبد الله محمد قدس الله روحه وكان رحمه الله تعالى قد
سار بالمحلة في تلك السنة ووصل الى القيروان وادركه بها مرض
ابتداه الحمى في سبع ذي الحجة فرجع راجعا الى تونس وتوفي بين ابد
برخليل يوم الاحد السادس من جمادى الثانية بعد ثمانية ايام
ثم توفي في الشيخ المذكور كاتب اسنه في الفة ملكه بذمم بيان
المجد مونة تنشا تها الكثير من ابي ابي بقية يجي مونها ما تقف
اراء الجموع على ولاية مولانا اسعد المستقر ما ولى من بابهم الخاص ون
من وزراء الحضرة والاشد ولده وبسم بعقب حانم ثم خطب الشيخ
الامام ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم البارود وكما انتهى الخبر الى
تونس صباحا وقع عند اتباعه امواج الناس على اختلاف طبقاتهم يريد
بيعته فجمع لها كافي العلماء واهل الديوان ورؤساء العساكر
ووجوه الناس مجلس لم يحك الفم من بادروا المحدود با يعوه
بيعة عامة ثم وبر عليه اهل كل ناحية من الحرف والقرى والنواحي
من جميع المملكة وخاصتها ببيعتهم كما يعني عن ذكر هنا بقلوب
صادقة ونيات صحيحة وعزائم ثابتة وكان من الاتفاق الغريب
وصنع الله العجيب الدال على صحة عقد هذه البيعة وثباتها
ووضوح فرجها واتصال سعادتها ان اتفق في ايام ومن مولانا

حكايا

بك باي رحمه الله تعالى وصول قبجي باشا من حضرة الخلافة الخاقانية
ومقر السلطنة العثمانية بالولاية على ما عادة التقليد والخلع لو
لابيه رحمه الله تعالى باشا المملكة التونسية وولاية مولانا ايده الله
تعالى باي العساكر وامير المحال المنصورة ومتولي جباية الاموال من
البلاد دون ان يجي خبر به وانتشار وصول ما كتب به الى وصول القبجي
بتونس وصوله الى بعد الفراغ من دينه واستقر الى ان دار الديوان
والى كالى وجلس له مجلسا عاما يحضر فيه وجلس الناس على مراتبهم
وحضر المفتون والقضاة والوزراء والحشم وجميع اهل الدولة وتقدم
الى علام ولعمه قبجي باشا برغل يسمى النصوب زبيده الفرمان والخ
والخلعة فسلم وقبل يد مولانا ايده الله تعالى وعليه الوضع العصـ
مجلد مراسما له بعدان اخرج بيده الخلعة وقام له مولانا فالبسها اياه ذلك
وقام له جميع الناس دفعا مع تعظيما للامر ولبسها وقرا الفرمان التركي
وسمع قيام وبعد الفراغ من قراءته جلس وجلسوا وضربت النوبة واه
والطلقت المدافع وحصلت البيعة العامة لها بيان جميع من حضر وكان
يوما مشهورا دفعوى بذا الكلام والشهر عشرة واتفق له ما لم يتفق
لغيره من حصول البيعة من اهل الحل والعقد والتولية من قبل السلطان
به وقت واحد واحدهم بعصر انتهاى مثل هذا لغيره من ملوك افريقية بل
فما رادهم ان يستقل احدهم بالملك ببيعة او غلبة ثم يحصل ان حضرة
السلطان يطلب التولية بما فيه التقليد والخلعة بعدان كتب
الاسرة فكان هذا مما تفاءل لمولانا من عنوان السعادة ودليل العناية
وطفه منه ايده الله تعالى من الخير والنيات بيوم ولايته من قلب

الامور وضبط الحصون وسد الثغور على من ثلثها فاتيه تهنة البلاد
وبعث الحماية التامة في السبل وتمكين البلاد من سكن حواضر الناس
وذوى قلوبهم وزاد في رغبتهم واتساع مرتبة ملكهم الاول كما
كما: عاداه القضاة المغرم . تاعمش الحزن حتى نسيا

ومن سعادته انه لم يقع لبتة في جميع عمله مما حتى العباد كله
بر من عهد ابي نعيه عشرون الملوك من الهوج ولم يكن بسبب ولا نية
محنة في دم لما قال كاتبه صاحبنا ابو عبد الله محمد الزرنادي من جملة
قصيدة فيه بكتبه عن ان اهل البلاد، فقد بايعوه ولم يسل حسام
دام في وزراه اخيه ومواده حكمه له وجميع ارباب الوظائف على ما بيهم
ودفاعهم لم يغير واقرهم على مكانه ولا اخر عن من تبعه باستحسن
ذاك منه وعرف قدر عقله وحسن تدبيره

ذكر تجديد اسماعيل بن يونس بابى زكريا بالسنا

اعلم ان الله تع قد عقد هذه البيعة المباركة بذل مجهود وترتب
عليها من التصحيح الجليل ما وقع به التراضى بين الامة التقى باثرها من
فيلزم اسماعيل الزكى وخص وجه من طل الملوك ابتغاء كتيبة من لاذ بما ب
وبعثهم عليه واستقرار الحال ومادتهم به واتفاقه له بعد الذي الحـ
جيش وسلاسل رما وقع بعد ذلك من التصحيح الذي لم يحظى بمثله احد
ولا وقع في حسابه من خلال الجبل وجلاء اهله منه وحضر شركتهم واد
واستئصال شوكتهم حتى بقيت على بلادهم وسر اندح من عقاب لروح الجـو
وقد كان حيلهم شيخ حرملة ابي نعيه لا يترع وعضة قلبه لا يزدد
لا افامرا سوى القصية على سرانه وسعوا في قلب الدول وبادهما

ونيصل

ويتصل بذلك ان اسماعيل المذكور لما ثار ابوه بتونس بات بقصبة تونس

على والده بما شاوره ثم له ان خرج هاربا منها الى [illegible] واستولى

بقسنطينة بقضية طويلة يأتي الكلام عليها ان شاء الله تعالى [illegible]

ذلك [illegible] نحو واخواته [illegible] ومصطفى [illegible] سكناهم [illegible]

[illegible] ان استقر ركابه [illegible] العالم

بتونس يوم [illegible] من ذي الحجة سنة تسع وتسعين و[illegible]

[illegible] وقتل ابنه محمد باي وتفرق اخوته واولاده وكان اسماعيل

من [illegible] ولم يكن خرج للناس قبل سجنه [illegible] بل يكن معهم [illegible]

[illegible] بباب مقام الشيخ [illegible] ابي [illegible] رضي الله عنه

بجبل المنار [illegible] جماعة من المذكورين [illegible]

[illegible] بات معهم ليلتين او ثلاثا ثم [illegible] من زواده

اسمه [illegible] وكانت فيه [illegible] اليه [illegible]

[illegible] ان يبلغه الى [illegible] على نفسه [illegible]

من مقام الشيخ المذكور ودخلا تونس من باب الخضراء وخرجا من باب عليوة

واستقبلا [illegible] من [illegible]

[illegible] ثم اكترى له [illegible] الى الحمامات ولم يزل ينتقل به من بلد الى بلد الى

ان بلغ الى صفاقس [illegible]

خرج اليها بعد ثلاث من دخوله تونس بسبب [illegible] وخرج منها الى

بعض [illegible] وركب البحر [illegible]

[illegible]

بعض من [illegible] المذكور باي [illegible]

منعهما وطال بينهما الخلاف فبذلك لا يوجد فتعلمهم ان بقية خيل منى
بخيل فسار بجر دهم فتنازعنى فيها بنو الراعة وقالوا في بدا ان
نجيء اليه الواسع فلان لهم والطغوكم من بدء وسارا فبلغنا الى بيوت
اولاد زوهم دهم من اهل الجبل فنزلنا فيهم العرب والجن يطعنون الطعام
ونفضرهم الضيوف ولم تبلغنا البلاد لهم وهم بقي لاهم قال لي
الى واد فطلبت منهم خيما لاكتريها دخلنا فيه فاطلبه من الم المنبي قال
ببنوا لنا بيتا من شعر وقالوا لا من بشيرك اما نكدا البيت فحلتنا انهم
عن قرب فاتانا فدخلنا البيت فوجدناهم قد وضعوا فيه ثيابا نعبوها
لنا للسير فلبسناها وبتنا عندهم فلما كان الصباح توابعهم سير بعضهم وقادوا
لي اركب الفرس ولم نكن طالبين الى سير وعزانا بان حملنا على
حمار وبعثوا معنا من يوصلنا الكاف ورحلنا الى الكاف ابلس فبقي ثم الى
ان انتهينا الى الزاوية التي فيه من عمل الكاف ابلس فدخلناها وجلس الينا
جماعة من اهلها لا يوجد فقال احدهم للاخر اهل بلغنا ان من تونس باي
فرج من تونس ودخل بعض البلاد فقال له من ارز الاخذ فراجعهم عنه
وقد دخل بعض البلاد امس او اليوم قال فتعجبت من هذا الخبر جدا حتى
وصلنا الكاف فطلبنا من الكاف ابلس فبقي ثم وسالنا التي سير البعض الى الكاف
وجاء قوما من بعدنا فراجعني واني ان ادخل البلد وابيه برداء وقطاع
برهنت وانبه بي وهو كذا نهذا الاد كتب كتابا الى صاحب الكاف ابلس
الحفظ بها شان زكى طما في ماء يجي فيه بنفسه واعطات الكتاب برهنت
به الى الكيفية واوصله الى ابنا فشاجله علم به ارسل اليه نا ساد يعم لركوب
واي دم ان تبلغوه ولا يعلموا به احدا وان يتركوه بدار الحج زوجب بن ماع

رحالة ابيه

خزانة ابيه وقد كان محمد بن ملوك المذكور استقر قبله ببطن ابلمر بقرب هوى
البساتين تونس ايام الفتنة بجبلة ثم له وبقي ابنه الطمي ويقطع خرج بعيا له
للشيخ سيدي بساتين وهي في طاعته وقد تكلم مع بعض رؤساء اهل ايكامن
النصارى بما توالبلاد الى شرك ابي الذي بازاء الصبر لية وصلوا هووا اهله
وماله وما استجمع من امتعة وبلغوه الى الحاير اطمر باعطى دارا بها وعينت
له ما في الاذ وفي ما ابلغ اسماعيل الى ابلمر اني لا معه كما ذكر لنا الليلة
التي بينها وساية قرمته وهي متسبب ايام سم فبكت معه مرة ثم حصلت بينهما
وحشة بيا رفه وعينت له دارا سكنها وجرى ثم ونقت بينه وبين محمد
اني واده الذي بعد معه ما بعد وحشة لذلك بين به من بلادهم هادهم ذ
وافضاه ولم يزل مقيما ببطن ابلمر الى ان توفى مولانا محمد باي رحمه باي
رحمه الله تعالى واستقر مولانا الحسين الله تعالى بالامر الشيخ المتقدم
بعض انه قد خلا له الجو وانه لن دخل تونس الطاعة الناس وبتعوه
وتملك له البلاد وزين له هذا الراي جماعة من الغوغاء كانوا يلوذون
به وانضم الى ذلك الاذن كاتبه بعض اهل الفساد من ابي بقية محمد بن عيسى
الذي هو الذي كان يتابع ذا سيدي ايام حرب وغيرها يحسنون له الحي وجه
الى ابي بقية ويسهلون عليه تملكها وانضم الى ذلك ايضا ان صاحب ابلمر
ضيق عليه ولم يوف له بما اتفق مع اصحابه على رجوعه الى تونس وخرج
محمد الى المشتة وجعل يشن الخيل جفنة وري بطا الى ان اجتمع عنده
عدة ابي ياسر ومحمد الذي في هذا كان من خواص الذي بتونس محمد جناية حي
بينهما الماء ابلمر وحرم اسماعيل بقربه اليه وهي من خواصه ولما
تكاملت لهم الخيل خرج اصحابه متهم من قبله وتواعدوا للاجتماع بمكان

عيننا ليلا وخرج هو عشية ومن ظني انه خرج للنزول في المشيعة و
فلما جن الليل اتى عليه الصاحب وسار واتى الى ليلتهم تلك ومن العرائى
الظفي وكانوا فرقا كثيرا الطلب في دار وتبعوا اذا اتى السيمان خرجوا في الطلب
ولم يكن فيهم من له خبرة بتلك الارض فتاهوا ولم يجدوا مسلكا واخذتهم
الحيرة فبينما هم كذلك اذ لقيهم رجل يقال له سالم بن عثمان الحمودي كان
قد خرج من بعض النواحي [illegible] ذاهبا الى اهله [illegible] انهم خافوا على نفسه
وعلى ابله [illegible] منهم يستطلع خبرهم فدل [illegible] رايتهم ورايت [illegible] وقد اتى بهم
العطش [illegible] شربوا الطعام [illegible] الى الرفقة منهم
[illegible] اخرهم [illegible] بعضهم فقلت الذا [illegible] اسال
عن صاحب الركب [illegible] فقال ذلك الامير اسماعيل بن [illegible] قلت وما
جاء به الى هذا المكان فقلت [illegible] صاحب [illegible] المحلة
في الليل [illegible] خرجنا للاخذ [illegible] اذ ضللنا الطريق ولم
نعلم مكان المحلة قال [illegible] عليه فقال [illegible] معنا
وابصرنا الطريق قلت ان [illegible] اوصلهم والحق
[illegible] ان شاء الله تعالى فقال بجزاك [illegible]
على [illegible] معه [illegible] على ان لا يرجع من وراء واخر [illegible]
[illegible] بعد [illegible] على ان لا ارجع من ورائه ولو كان [illegible] قال انا
[illegible] بان ابلغه الى مكان [illegible] وشكوا الى
العطش [illegible] الماء [illegible] منهم وقلت [illegible]
الى الماء والملامة [illegible] قلت وما
يمنعني من الذهاب [illegible] الماء [illegible]

في حين

في بيت ضبعا منها بعض عنته وذبحته وتركته وانطلقت الى الماء فجلست
منه قريبة فرجعت فيها اليها اعوانك الذين بذا نبهت اليهم وقد كادوا
يهلكون عطشا فسقيتهم وذواتهم انطلقنا الضحى ولما كان الليل اكلنا ونمنا
بقية ليلتنا ومن الغد ارتحلنا جميع اليوم الذي بعده وقد كرهنا فملك حرعا وكاد
خيلنا ان تهلك ايضا فقلت لهم عندي مكان هنا الله عنه نجن به اولاد
ابن يحيى طعاما فهم يعلمون نذهب اليه لعلنا نجد به تبنا لخيلنا فقالوا بلى ثم ملنا اليه
فلما وجدنا به التبن اتينا لنا ولم تكن الخيل تاكل منه فنتشت في سبيل الارض
فسالت عن نسائها ومنها اليها فوجدناها قد ساقت مطمورا لجعي وكشفنا
عنه وجعلنا كلا منا تجاه خيلنا ولما ملاناه اخرجنا منه الشعير
عن جميع ابلنا معلوين فاستحى جنابه فوجدنا به دفينا لجعي بعلقة
خيلنا واكلنا ما جاء في ابن من عين طيب ثم اسكنا ونشطت خيلنا و
انطلقنا من الغد فاتينا بيوت بني يحيى دون الغلاظ وصنعوا لنا طعاما
وقالوا لنا اركبوا فان انصار الترسيمي مع جماعة من الجبل قد دخلوا امس
من هنا عقابة طلبهم وجهر صاحب اهل البلد بي ذلكم وقد كان خرج من اهل ابلس
جماعتهم صبيحة ليلة خروجهم فسبقهم الى هذا المكان لانهم بارتحالهم ذات
الشمال وتباعدهم عن الطريق طالت مسافتهم فلم يدركهم وقد انتهى على
اهل ابلس وبلغ على تونس زجع فلما سمعنا قدر الله لنا ركبنا من وقتنا
فاتينا حي الحارثة من الغزو وهم على الشيخ من جيش فتى لنا فيها منهم
وارسلنا امرنا الى شيخهم الشيخ ابو عبد الله فارسل الينا ان ادخلوا
بكاملكم ولا تدخلوا الينا ونحن نوجه اليكم بطعامكم وعلفها دوابكم وار
وارتحلوا عنه فلا حاجة لنا بكم ثم اقبل الينا العبد بن عبد الله بذلهم

ولي رتلك المقالة وعاين اسماعيل خروجه من ... ابليس واعلمه
انه لم يصنع شيئا ودخل وقد كان نحوه ابن سوب الجني الفزاري
فخبا له عند الجدار ذلك اليوم فلما بلغه الجني خرج اليه اسماعيل
وتكلم معه فاعلمه بفضل ما عرض عليه وعرف النصيحة وان جميع
العرب طوع ايديهم وانه يجمع عليه الرجال ويجعل وقال ثم
بساحة دار خلف الجدارنة ونلبث هذه الليلة فاذا بتنا ودخلنا عليهم
فلم يشعروا بمكان رحومه بن سوب الجني منهم وطلب منهم اسماعيل
ان يبدلوا حيلة تحيل من عندهم لانه كان ولم يبق بيدي الا ان يجعلوا
وابدل له محمد بن عبد الله في سنة بجحان له واد فحملنا من عندهم صباحا
فما تيقنا ما رأينا الحرى في فاس بسرعة لنا الها ونسلم مع ... اهل فاس
ومن حولهم من ... بينهم اخبر كذلك والطعام يصنع لنا بفارس
اذ ورد علينا كتاب محمد بن عبد الله من فاس يحيى ان الغلا زينة الزين
بفاس وزاد ومن انضم اليهم على زمون على الحتى فزله بان يجد الرحل
وتى في الطعام والبيتى عليه بالتوجه الى بني ... هم وفي ...
وتكلم في القيام بدعوته فاجابوه واشاروا عليه بدخول الحجم
لان اهلها ضربت لهم ونصرها ... اهلها بالقبول وتسارعوا الى
اجابته والطاعة ... معه من رواد وقدم عليه محمد
بن عبد الله وناس قليلون معه من اهل فاس ... بالخروج واطلب
الى اهل فاس واذنسموا ... التي ... معه من العرب ... عليهم
اربع ليال يدعوهم الى اجابته واجتمع جماعة من وجوه اهلها فجلاهم
الى ... رضي الله عنه ... ان ... لا تتبعه لانهم



لا يمكنهم ان يدخلوا له بلادهم لانها ليست ذات منعة فلما لم يحصل منهم على
طائل رجع له الحجر وكتب ———— الا مخالطة ان يطيعوه فتجهز جيشهم معقلا
جاء به اليه وحصنا منيعا وتحصن به فجردوا رسوله وامتنعوا منه غاية
الامتناع فاقام بالحجر ثلاثة وثلاثين يوما وقد اجتمع عليه كثير ممن
ذهب من قبله بالشرق وقدم عليه جعفر بن حفص ومعه جماعة من اهل بلته
وغيرهم من اهل جبال وطائفة من المثاليث وغيرهم حتى بتوا له الى حلة
والتقدم والتزم له اهل جبال بالقيام معه والمناضلة دونه وسهلوا
له الامر وعرفوه ان اهل الجبال واهل جبال لا يعطي بالشام من العرب والعجم
الا ذا الذان قايدهم منصور المتي اساء السيرة فيهم وعسفهم فلما ادعى
فلو بهم واغتنموا الفرصة في عمهم العلاسر العصبية الطائفة وما
اجتمعهم من ظلم القائد المذكور وكم من غايلة جرها ظلم العمال والقواد
وانتهاكهم حرمة الله تعالى وحرمة السلطان في الرعية فان الخلق عيال
الله ومتى استعملت الرعية الاراذل والسفهاء واهل البطالة والا
والاعلان بالشهوات كان ذلك داعية الى فساد نياتهم وضعف ديانتهم
وانما كمهم بشهواتهم قال ابو بكر الطرطوشي في كتابه سراج الملوك
واقوى الاسباب في صلاحهم ان يستعمل عليهم الخاصة منهم دون الاحداث والجهال
والامراء الغاية والاراذل الطائفة فمتى رأست العامة سفهاؤهم وعوامهم رأست
الطهاني لحبت ادبانهم ودنياتهم وتماسكهم عن الانتهاء الى المحظورات
وملابسة المحرمات قال الشاعر

لا يصلح العوم فوضى لا سراة لهم ، ولا سراة اذا جهالهم سادوا

ورووا ان الذي استشار احض رجلا توليه القضاء فقال انه لا احسن القضاء ولا

اذا عرفه فقال انى تشرفت بثلاث خصال للاشياخ والشيخ يجمع طاعته
من الرزانة ولكن حلم يمنعه من العجلة ومن لم يعجل قل خطاؤه وانما رجل
نشأ وربي في حجر من نشأ وركن صوابه واما العقل بيض البدعة تتفقه
به بولين بما جرى به مضى ولنسق لما حقق عنده من انا ابن الله
تعالى خلف منصور الشيخ واعتنا به لكن عينه عين له واخذه اخذا وبين بكلامه
على سوق الحاج لغيبان البيلع وهو رجل ذو عقل ودين ودهاء فاستعان
به الاحوال وجعل رحمن الزكور الصرف واه على باشا والشيخ يبين
الولاية تابع دولته عفا الله عنه مولانا لما نذكر ابو جملة من عفوا عنه
وهو من بيت كبير بجمال فلم يفتح بالعافية خرج الى الحجة كما تقدم وتولى
كبر هذه الواقعة وخرج معه اسماعيل من الحجامة الذي له صيا نفس
تقطع به بينهما ومتولي بها اذ ذاك ابو عبد الله محمد الامام الوزير الفقيه
الكاتب ابو العباس احمد الامام فاجتمع اليه وجوه البلد وتشاوروا
معه فاتفق رايهم على غلق ابواب المدينة فاغلقوها ودخل الامام
قصبتها وضبطها احسن ضبط فاقام اسماعيل عليها ثلاثا يدعوهم الى
اجابته ويقم المدينة فامتنعوا عليه ووقع بعض تشغيب من بعضهم
فلم يتم له ذلك في اليوم الثالث ركب اسماعيل في باب من سور المدينة يهدد
بربع من القصبة بسقطت الحجارة في ناب منه فجرح من بعض الناحية
فايس منها وارتحل عنها وتوجه الى جبال بلاد دفل اليها خرج اهلها
للقائه يوم نزل بطبولهم ودخلوا به جبالهم ممن وزره ولم يعلموا ما دخلوا
على النفس فبنى له بلاد منصور الشيخ وكان دخوله لهم لثلاث عشرة خلت
من ذي القعدة من السنة فاقام بها وقد اجتمع عليه اهل جبال تاطبة

واتاه كثير من اهل النواحي الغربية منها يمين الخمس اليه من احامي اب
كتبي بزيد والحي واكثر المثاليث والسواسيي واولاد سعيد والفاريم
وعين لهم ثيابا عددهم ثلاثة الاف فارس وقد كان مولانا ايده الله نصره
لا يدفعه في وجه سوطا بلسر ووصله الى الاعداء اب تحزبا ان يستفزوا الجبل
وسلان ليعلمه انه ليس بداخي بعينه ممتثل لاوامره لمعرفة مسالكه
وتوعر شعابه وما في قلوب اهله من الضغاين والاحقاد القديمة
فبعث وزيره المختص به ابا الحسن الحاج بن عبد الحق بن كيران دولته
وزعيمها في ارجعين بلاد وتسا ما مره بالمسير الى وسلان ليتكلم معهم
ويذكرهم بالعهد الذي عاهدوا عليه مولانا نصره الله تعالى لما ارتقى
الى جبله في ايام اخيه وان يستنفر خلاصا وينسل الى صاحبه
الفي وان يبايع نره وبين صد اللوفاة المعضية الى وسلان بلعل اسماعيل
ان يقصده فيكون بينه وبين الوصول اليه مسافة من يومه ويجعل جميع ما
امره به ورا ثار وسلان من ناحية البحر وسل الربع فى قرابيه الغابة احمر
السفياني ووجوه من اهل الجبل ما علمهم بمجي اسماعيل حذرهم
من الفتنة وخوفهم سوء عاقبتها ورغبهم ورهبهم فاجابوه بانا على
ما عاهدنا عليه النبي من الانقياد له والدخول تحت طاعته وليس
لنا علم من امر اسماعيل وليس جاء نار دعد فاه ولم نقبل من امره
شيء. ولكنا ما وقع لنا في قبائل مع جيرانها امانة وما طرى علينا
من قبل الرجال وذلك ان الاعراب جمعوا بعد شيء من الدخول
في هذا الامر فاعجب الحاج علي بمقالتهم وشكرهم على ذلك
وحضر اليه الصحراء الى جبلهم وان يبيت عندهم ليصعد معهم

ونزل ببورحال بلد الفقيه ابراهيم السهيلي بالبيت الذي له واجتمع
عليه المشايخ ووجوه الناس ورغب فيهم اموالا والنصر فابى الا ان
داخلهم حبا وحيلة حتى ردة بينها وبين وسلات احرزت نكل في صدورهم
فادخلهم حولا فاخلة زواوة وصنهاجة وارسلها الى الحاج مع احمد
شليحي اغة الصنهاجية وكتب اليه ان يبلغها هاد ويتبع مولاي اسماعيل
ويصرح عن الا يفال به البلاد فخرجها لتسح خلون من ذلك العقرب دما
فتلقاها الحاج بمن عنده من الجند وقد تحقق عنده نصر اسماعيل
بجبال يتوجه اليها وارسل الى السواب واولاد لعبد ليستنفرهم ما قرب
من نفسي منهم حتى نزل بلطالو مساكن وكتب الى ابقرم استبح من جبال ولما
بلغه كثرة العدد وكتب الى مولانا الخ ان الله تعالى يستنصره بما في بانتقام
ما يأتي به من العسكر واركبهم الابل وبعث معهم جيش المتعلم اغة صنهاجة
التي كانت بمحلته وطائفة كبيرة من صنهاجة الهارب الى الحاج يحميهم
وقد كان ايضا لما بلغه مع صنهاجة اسماعيل الصنهاجي اختار ما يأتي به
من العسكر واركبهم مركبا من خلق الدواب وارسلهم مع علي بن عبود ان
الى دكز بن يوسف احمد وسماه البهيج طائفة من البحرية ليحيزه اكمل
فيها فلما وصل البلاد بيلغوا الى صوبة وجدوا اسماعيل بجبال
والحاج بمحلته على مساكن فنزلوا بسوق وخرجوا اليهما فتقاتلوا ووردوا
عليهم والردى الذي جاءه ب البهيب يوم واحد بما كان ثلاثة يوم من
مذ يوم نفره الى ما وراء على المحلة فخرج اليهم اسماعيل بجنوده من جبال وكتب
الحاج ومن معه ولما تقاتل الى ان بادر جماعة من اولاد لعبد
والسواب وبعض الخزانية الذين مع الحاج بالهروب الى اسماعيل

والحاق

والعباس باخوتهم الذين معه عذرا منهم ومكن ابا زكرى لزالة فلول المحلة
وبادر نحو جبل اسماعيل بالغارة فلم يلبثوا ان انهزموا امامهم وتبعهم
الا من فر هاربا او طلبهم الى المحلة واخرجوهم منها فاما بعض جلاس ؟
فلم تلفه نفسي بعدهم الا في لقيتم بنواحي القصر وان وجدت صاحبه باحثة بلغا
بهم اللحوق له باحثة ولم يبق مع الحاج ع الا ثلاث دقة قليلة من الخيل
فبقي لادته وبقي الفكي وبعض زواوة بالمحلة بالعشي لا يدرون
ما يصنعون فلما راى اسماعيل فرار من فر منهم وانه لم يبق بالمحلة الا ما
اتى الا من معهم مضرتا حيثهم بنهي اليهم ان يعلموا الى ذلهم بالعشون
حتى فيا من الاخبية فارجع الحاج ع عليه دفنهم خيفة ان يطمعوا لما
راى من عدم معارضتهم له ودفعهم اياه فلما تلاهم وقال لهم ما هذه الحيرة
ان كان معضودكم الفقيه فاسماعيل ونعلوا نذهب اليه جميعا وان كان
معضودكم القتال فقاتلوا حتى كت حيثهم وكان اول من بادر
حسن التمام الا غنة برجه دخلة نحو اسماعيل ورما ، وتبعه الفكي ،
فتاخر اسماعيل وفي اجتمع الناس واقتتلوا فيه ثم انفصلوا وجمعوا
اسماعيل بجيشه الى الجبال وهذا هذه الخز كعمي في سماويات منهم ثلاثون
نفسا وبعض من قوا الذين من قبيل اسماعيل رجعوا الى المحلة ودخلوها
ضامنين ان المحلة اخذت وان صاحبهم استولى بها وجعلوا يسالون عن
منهم به فقتلوا وبات اسماعيل وجنوده في جبل فاطمي لهم من امارات
الغلبة ولم يعلموا ان العاقبة للمتقين وانتقي نفر الحاج ع ومن معه
ان يرجعوا الى سرح وباتوا فراوع في دعوا بالرحى اب فكان ذلك
سرورا باتوا بها وتعلموها ولما كان من الغد ركب اسماعيل جنده

وسار قاصدا القتال وركب الحاج على جمله ولما التقى الصفان
وما اسم محمد بن الشرقي بكى من موضع بعيد فبادر صاحبه بالمكحلة
فهو وجرحه بالشرقي تارة الباب ورجعوا اثنين مين ولا سيما اهل الباي
فانهم استهولوا الى الربع لعدم اعتيادهم له وكان يوما عليهم لا لهم
وقد كان مولانا الحي الشيخ قد رفض جمع عملة بالمارية حيثما يلي
عسكره وخيل داي عليها كاهية حيث بوطياز ارسل معه الحاج لعثمان
السبع وايدا على سوة بعريفه منصور المنى في عشا واخذه كما تقدم وبها
في لوابا واه سليمان على محلة من تونس ودعا الحي على مولانا فاقا بعض من
السرح بالمرابطة ان محلة الحاج على اهزت وكتب الى خير كاهية باي
بالمقدم بمكانه انه ثابت لما هو بالقدم يردها ويورث عليه الا جمالي وبعض
القبائل من اهل جبال دسل بها الحاج على الى الجبل بشارة واصله
به الى جبل اولاد الحاج يردة له بما شار الحاج لعثمان السبع بالى جبل
وقال مولانا لم يأتي فابا المقدم لما بلغه من اخذ المحلة وحيث تأتي بطلان
ذلك الجامع فنا هذه بادخلوا جملا في بوادي الحاج على كثيرا الى الى تحل
دين ال العتمي وتطيع المحلتان هنا وبعض من القرار فقتلوا جميعا في لوا
وفي لوا بقريته على بي بيه من جبال بعيدا لما داخل اعراب موضع البلاد الصحيح
الواقف بمنزل الراسم بالقاموا بها ايا ما ثلاثة او اربعة لم يقع فيها قتال
وبعد ذلك الى نشبوا القتال صباحا فجنبت الحي بها واشتد القتال بالقوم
اهل جبال ودخلوا بالدرهم منهم من ودركا لواحق فزعوا عليها عنزفا
وجعلوا عليه من ساقي الحي المعلوة بالتراب وقابة حتى الى صاحي
فيدخج العسكر وفي بوادي من جبال وصعدوا في سامعا بلا الى دحام وها

بعض

بقية يومهم ولما انتصف النهار اقتضى نظر الكاتب الجملة ان يقلعوا الخيام
من مكانهم وينصبوها امام متاريسهم قريبا من جبل فيجعلوا ذلك الاولى ل
بأن الله الرعب في قلوب اهل الجبال ومن معهم وارتفعوا بالجملة ورتب
الحاج علي حنبلة ومنهم كل النواحي الاربعة واحاطوا الجبال من جميع جهاتها
الا الجهة القبلية منها فلم تكن الاحاطة بها وركبت عليها المدافع من
جهاتها الثلاث ايضا وضاق عليهم الامر وتقدم الى جهة بحر السوق ببروج
في على عجل وصعد من اهل الجبال من معهم به في بطاحة عالية فقتل
رحمة الله عليه بعد ان ابلى بلاء عظيما وكسا جيش الدراوي اسماعيل باشا ح
فدار وخرج بنفسه بطابور من جبال من اوله الى اخره وحمى ظهر الناس وجعل
الادارة باسلحة مستعدا ونصره وذا اخذ جنوده من اهل الجبال والعرب
وعين بعد الحرب والبأس ارجعوا من ناحية القبلة امراءها وبقي فيها شرر
ودز بهما الحصر بحيث بعث الحاج ابراهيم اغا باربعة من قومه واعلمه بالهجوم
فعلم في عادل من قرب له حطانه في كنب وخرج بمن بقي معه من حنبلة وهم
خمسة عشر رسالا يبق معه منذ الكرم العصى عنهم وكانوا في وجه
من ناحية القبلة ايضا بمعارضة جبل من الجملة في هجم على عقبه ودخل
ناحية الجملة ونهب طلاع البلد فيها باسرهم وقتلهم ولما علم في وجه
من بقي في الجبال من اهلها ولم يبق الا الارامل الذين لوا رجلا وبعثوا الى الجملة
يطلبون الامن مواليه حنبلة الحاج علي باشا المجني كله واعلمه ان البلد خالية
ليس بها الا اناس قليلون وقد بقي فيها نطا الجوع ونهب اسماعيل باشا ا
بنفسه ببتر فيها ادا لا هو وبامر ان تكون مكسيرة ولما ثبت عند ذا الاركب
بها اتى ودخل العسكر وزداد والخزنية وبقي بهم جبال صاحا ونهبوا ادا

وحاز لنا وجميع ما اشتملت عليه ولم يزل يتغلبها البدل الى ان وقع ملادفع والله
واتبعوا السلامة (لكن) فات ينهبونهم ويسلبون نعمهم واستعتبهم واكثرت
الاجرة الى بعضهم بهم وتبرعوا به كل مذهب مما لحق بها كان عافية الطالب
وكان ذلك اليوم الخميس ٢٥ الحجة من السنة وكانت مرة انا فيه بها لبعض
عمي يوما ومن مدن الفقيه الفاضل المنا والاديب ابو محمد عبد اللطيف
الطوري التيمي ولم يزل ما طاب الفعل جانب شغلهم وشغلهم الموصلة
وعموما عنهم بعرض الآن جملة قصيدة طويلة مدح مولانا المولى الله
تعالى نستانت بتمامها ان شاء الله تعالى موضع التي بيانها في هذا الموضع

لا اجل الله جد الا من في لنا — بهم من الخلف ارجال وارجال
شذوا المعصاة والمرادا فلالتم — بجل ساحتهم خلف واهوال
ما الدار بعد تدحاها الجن بهم — كما احاط بها ان الرحل خلخال
فبعضهم مغلوب ذات كاس ردى — وبعضهم من الغاب لهارب فرحالوا
ما اصبحوا الا ترى الا ساكنهم — ونسوه وساكين واطلال
دار الشقا في كل داهية — بها الذي صنع الباغون ما نالوا
اولبت مذ اعجز اعجابهم — اذ كنت تعلم ان القوم جهال
كان لتن بالعمود بعد الظهر منها — ما لعمرو ليس له مزمرمة جال

وقال الفقيه الاديب الكاتب ابو عبد الله محمد بن احمد الوريغي بزل بوسم
من جملة قصيدة طويلة نستانت ايضا بتمامها ان شاء الله تعالى

الكرب الحسن بجمال وفد — كان مشهورا بكرم الخلل
بنى الخير الا اذ يتمتع — فارتدى ما الخلعة بابه الا الملك
فعرف من جهل الجاهل سنن — جاب اداعي لباب المبل

اليم

كبير

كم يحفظ من تعدى طوره ، من عة يهوى الى النذل
يمضي السيف بمن غسله ، واشتهي من دمه بالعلل
بان لي ان الليالي في الناس تجري ، يومهم هذا كيوم الضلال

وقال الاديب البارع على النقيب الصابي .

نجم السعادة في علا الصعدا ، والشمس في الضحى اخلدا
والدهر لا يبد اخادم بابكم ، وعلى سوالكم لم يزل متمردا
انسى الى بان تعرفكم وطالما ، فذكان من جور الصيات مشردا
وذا ما عجرني بالشاني ارها ، لازال بها د واحس معودا
لوان به النعليات رعدا يد ، لغدا المطارع من علاك مجردا
ان ذكر مجرا يعني منه سوالكم ، وقي اه من عدم الكمال مبردا
يا نعل جود الحسين اري لكم ، تجا على نعام السحاب منضا
يا عرم المايلم وحيد مواسم ، وتعريتم الزهي المضل الهكرا
ابديتم في الناس ردمانى ، اضحى بها جبر الزمان مفلرا
ثم اتى دب النعى دنتر نلوسيكم ، نضا مبلا قطع اليك الاعودا
حاشا المنالة ان تهى هادئة ، ابني رضوى من رحم عزد
وابني جملة المبشرين جميعهم ، علما في حب انه لن يبعـــرا
الذي مجد حال غرالة منبعلا ، بي حب الجناية وافتعوا الملك اليدا
هم تجارة الهلال حال وما ، رجعت اذا النهى النطالة بالبهر
علاصتك نوم بالاسود تبيهتها ، اراتها بضاع البعوض امتاسرا
نعب انه لما في هم اوما مضت ، فهيب السعود لك بالعلا العلا
يلبسك يا مولاي ذا النعم التي ، ما زال مطمح السعيد بها

عن مجة وسلامت على الذي
مزجي الى الاعز اعلى بالدوام

لا زلت منتظرا كلام الملا، عن اسماعيل الحوال مع برا
ذلك انتقال اسماعيل الى جبل وسلات وقبائلهم معه
ولما خرج بن معن جاز واراد ان يجعلوا وراءهم البلد الحمة ثم جرالهم
نصر وسلات بسلكوا الطريق اليمني وان ونزل السيف عليهم بعض من اتى منت
من عندهم بطاردوا نحو الجنوب فما رسا جاروا الباقين ثلاثة ونحو الحضر والبدل
كله الى الصحراء فاجتمعوا تحت جبل وسلات وصعدوا اليه فلم يلحقهم احد من
اهله فاقروا الدخول به احد في امر بينهم تحتها وانتظروا واخذ يأتيهم فلم
يأتهم احد بينما هم كذلك اذا برجل اطل عليهم من فوقهم ينادي يا بني وسلات
كل منكم اسماعيل بن يوسف باب فقالوا نعم قال اسمع كلاما ما ... واعلم
وبسط الله ورسوله ارحل عنا فلا حاجة لنا بك فانه لا يأتينا من
ناحيتكم الا الشر واغلظ له القول وانصرف ولم يجبه احد فبقوا على
تلك الحال حاملين زاد السابر حملوا النخيل فلم يجدوا الا الصبيان
والنساء ينادي النساء البعاد فذهب منه الى جبل فباتوا صابرين
على الجوع الى ان اذا كان الصباح اذا رجل يسعى واجنح الى
ما بين ... من ... باهل وسلات من اهل الجبل امرا خامس
وسلات ... ادا ... بكتب ... ومعهم بقرد ... دسالهم
على صنعهم فاطلقوا مكانهم ... انهم ساعون له مع
مطيعون فاجتمعوا ... ونطقوا به الى بلادهم ... عشرهم
واشاروا عليه ان ... [illegible] اسماعيل بان اجابوا ... جبال
اهل وسلات كلهم ودخلوا ... عنه لانهم ... رجلا
واشترهم ... من ناحية الجنوب يخرجوا اليه يشترون

فيما يعزز له ولحق معه بالحصار والحجارة وجعوا رجالهم في ساحة
واستغوا من قوله غاية الامتناع في كهف اليسر اسماعيل ليستعطفهم
وفي فيهم في مرة بجبال على جبلية وشجعه بعدل المزادية الجلوسا
الكلانية تحشم من الناحية الغربلية فبات بها دى الهزا انتقل الى
جبل تيفاصلة بلدية بحصل معهم على طائل وجملة الامر ان الشباب والاولاد
حراك واشباهه لحبوا القيام معه والدخول تحت دعوته والمبالغ
وذوو الاملاك متمنعون من ذلك لذكيات فكان يقال له الرمان ومن
الهزا انتقل الى بلاد الغص من جبل تيفاصلة ايضا فيما له ودعاهم الى واد
بوجاج لوده وكثر عليه الناس وشاع به جوع في الجبال في القيام والد
والشفاق في كسبه جمع كثير والى ابو رحال بلاد الغابر احمد السهيلي
ودخل بدار في وفرح به اولاد الدله وارسلوا الى الغابر يستدعونه
وقد كان قتنا ورجع بعض الكلاني الجبلاح الى اسماعيل الاصغر بادبتها
على عرج نفرته على ملازمه وجعوا اثني عشر رجلا من كبارهم الى تونس
ليتكلموا مع مولانا ابره المذنب اليه ويعلموه في اتهم من الرحف له سبع
نشانه وقيل اجر الشفيع ولى له حسبما به اهل الجبل يتظلمون من عند
اهل الجبل الشقي اسماعيل برواية كان عنه اهل الجبل ارسلوا اليه
بمصر ولم تسعه الا الدخول معه بحسب ظاهر الامر وانه كان يقول
ان امتنا عنه من القيام معه وانه كان يقول وحرزه الاهل والسلالات
من غايلة ذلك انا هو حسب الظاهر منهم ولا نزعت تلك
الجماعة المهول فانهم ان الله تعالى تكلم معه بما عليه ان جيمع من درايهم
عن ذا كثير لعمهم ولا اخلي به شيء ومن اهل العقبة قبضهم

ودخلهم وجميعهم وكساهم وردهم الى بلادهم وارسل معهم الوزير الكاتب
ابا العباس احمد الامام ح التقي وان يقبض الكتبة بالحضرة رحمه الله تعالى
دعي السهيلي اخا القايد احمد المذكور وامرهم ان ياتوا وسلاوات لير كروا
الامام ويستوثقوا منهم بالتي عقب والتي هي بها الذهبوا الجبل ولا يلقيهم
الجبل بطاعتهم للسلطان واقبل منهم على الفلاح معه وانكشم بالعصر يبعث
ابو العباس الامام بعض من معه من اعيان وسلاوات الى القايد احمد
السهيلي ورجا ان يكون وقد بقي من تلك الارض بقيتهم وان خفي فيهم قبيل
الى فتح دفة الى وصل بينهم من ادا واخي الامام اعلمه انه قد استسمح الحق
على الانام وانه ان لم يرجع في بلاد بصور من بعض وغوغايهم ملكا واينا له
بجيش جيهز معه من اهل وسلاوات به الى جوع معه والصعوبة الى جبالهم
باحضار وادا الصعود وتعللوا بانه عسى ان يكون منهم اتيانه رجعه
لما دفع ورجع نحو دعي السلطان الى الفتى وان لم رجعا منها لا الحضرة
ولما تحقق مولانا امير المؤمنين اسره الله تعالى من امرهم ما تحقق وطفق عندهم ما كان
يغلبه منهم من نقل القلوب وكون النفاق والاحقاد الفرجة بينهم
انتقى لهم السرير وارسله الى شيخ السعيد الاحق اليهم بنفسه اصلا
ولا يغالبهم الا امر جبالهم ولا مكثوا بيه على حالتهم تلك ما وكلوا بل
يوجه اليهم جملة بعد جملة فيها من ببعضهم يتحبب نحو دورهم وغض بعض لونهم
فتح من يصعد اليهم او يتنزل منهم بان يتركوا ما ذكرهم وان يفرا جبالهم
في كتبهم ورأى ان السواد والصواب والراي كله معا ولتم ابعدوا الصنع
دعرهم بغا لهم عن جبالهم لعورة مسالكه وعرج بطارة الجنس بها
مع شدة جنهة الحملة بزالك وسهولته عليهم حتى ان السعي ما العدد

بشغابه

بشعابه التي عليهم منه بالسهل عملا بقوله صلى الله عليه وسلم لا يلدغ
المؤمن من جحر مرتين ثم جاء والي الغزو بني دالة من جهة كان الاطلاع عليه
ابراهيم علي باشا بر سلانك والطاعة اهله خرج اليهم بنفسه بمحلاته
رجالهم بخيلهم وقاتلهم واطلع عليهم درة ولم يحصل له شي طايل منهم
وتعب غاية التعب هو وجنوده ولم يمكنه الرجوع اما تونس قبل الفتح
بعد ان كان هو قد خرج بنفسه فلم يعد اليه الا بعد ثمانية عشر يوما من يوم
خروجه وكان ما كان به يوم برحال من صعود العسكر الى الجبل وهجومهم
عليه وانشابهم الى برحال واخذهم اياهم ثم رجوع الباي الى سلانك
عليهم وقتل من قتل منهم وامور صعاب بعد ذلك الامر لم يبق لهم ادعية الكل
عنهم وبين علي باشا بعد ارتحاله وعاث به البلاد ومشى الى السواحل ودفع
عليه ما وقع مع من الى الغرب وسبب الخير الواقعة بنصها ان شاء
الله تعالى وكان هذا السبب نحو ابتداء هذا الامر الذي ان شاء الله تعالى ذلك
الى ابي الشمس بن الذي لم نطلق نتيجته لمن لم يحصل له بعد زمان وقد
كان الوزير الحاج علي بن عبد الغني بن قيم اسماعيل عمر في اره من جبال ولم يزل
يتشفع له حتى تحقق عنده صعوده الى الجبل وقصر ناحية بوحر ثلاثة رجال
من اهله جامعيهم وسرح واحدا منهم الى القائد احمد السهيلي يستطلعه
الخبر عنه وعن قومه ما فعلوا فاجابه بانهم على ما عاهدوا عليه ولم يزل
الرسل تتردد بينهما الى ان اجتمع به بالتي مشارة واستوثق منه والتمس
الى النصراني وكاتب نعاف الملك بسلانك واستمالهم رجع الى محلته
بجبال وكتب اليه مولانا الباي باخذ المنابيت الزمر بالدا بجبال بنظر
باذ الامر عني ممكن لانهم قبلي قوة بعد ايقهم مسيرة ثلاثة ايام بجهة

اخرجملة وتبع الباقون في واد ايضا فقد اختلف العلماء فيهم بالطبع
في اجمعه بعد الابا في ان ياخذ من كبارهم ستين رجلا رهنا فحمة يرد ليلا
بعود داوية اخرى داوي ايضا ان يتنزع من اهل الفوق بالسلاح مكاحلهم
خرجا من عصيانهم مع الخيل وسلاحه بعد ذا الادوار وقبل بجلته وارتحل
حين كاهية بجملته ارتحل ودخلنا تونس معا يوم السبت ثمانة خلون من الحج
مستهلة ثلاث أو ليبعثني ثم جهز مولانا محلة اخرى من العسكر وامر عليها
حسنا كاهية يخرج بها يوم الاثنين لسبع عشرة خلت من الحج ثم اردفها
بجملة اخرى زاده وحيا له وامر عليها الحاج عبد الغني فخرج بالجميع
دفنين من الحج وامرهما معا ان يابتا القلم ويقيما به لترتيب تخوم اهل وسلا
ولا يفارقوهم الا اذا اتوا البحر ويتهموا انهم اذا رجعوا مصيفين على
الجبل من تلك الناحية ورب من اقام منهم بالقلم ثني اسماعيل الهمادات بن
معه من الجبل على خلاف واخذ بعض مواشيهم ثم ركب الماجي وهم قبيلة
كبيرة من بوادي ابي دفية تشتمل على اربع بطون البعاشيتي والمراد
واولاد مقعاد شغطمة كل بطن من هذه البطون الاربع تشتمل على عدد
كثير يبلغ عددهم جميعا نحوا ثلاثين الف اما اتاهم وهم من شيعة جرة
على با شا اجا بواد عوته والاعداء بل هم بالي حبل معه والتزل على
وسلات فجعلوا الى ما كان من البعاشيتي بل انهم دخلوا فيه ومن اتى
الى ما كان من الشيخ ابي الضياء بن يحيى لانه شغطمه بل انه امتنع من
ذا الا وركب في سه وراح ناحية بني اتبعه بجملة اسماعيل فضيلة بن
في سر الشيخ ابي الضياء سبعين الا الاربع رجلا جاوركه اسماعيل بنفسه
في ما ابو الضياء فكر ثم محلته في ما اسماعيل بالخطاء فاخمطه

والكرم

بسيفه وضربه حتى برد واحتز راسه وناوله بعض من حضر وجميع
بلاد جوى حتى انتهى الى وسلات ثم انطلق الى اولاد عبار وجر عليهم الى عيمه
الدخول معه بلاد جاوى وارتحلوا وفي لواتة وسلات ايضا ولما راى السلطان
كثيرة من معهم حين اطاعوه بلاد جوى واولاد عبار خرج من بلد رحال وعلى
بالسجن الجبل واقام هنالك والملتاق بالعلم وبه اوائل سنة ربيع الى اول
من السنة خرجت قافلة عظيمة من التجارة من قسنطينة في ... تونس
بالتجارة وبلاد بوان كثيرة بما كانوا احوال تا ستورعا في حلتين من تونس
اغار عليهم اولاد ضماع فاخذوا القافلة بما فيها وحزوا زمة السلطان فيها
وارتحلوا ... وارسلوا الى اسماعيل بن كب اليهم واتاهم بمكان يسمى
وادي الحطبة بين ... ونكالهم ... بني لواتة وسلات كما بعثت واولاد
عبار وبعد ذلك هذا عن مكى بلاد وسلات وسبعة بعض عن احمد
ومواشيا وكافة ... عنهم ... بن عوتك ملهم
الى ... دلم ... بعاد الى وسلات وارتحلوا ونهم جابلين
الى ناحية الجبل وبدوا اولاد ضماع احرفيا ... ربع ونهم بنوا رزق
واولاد جوبر واولاد ضماع واولاد ... و ... عموه السلطنة بلا
في بغية وعليهم مرار رجالها وارتحالها ولهم ... وازاله عطية خرج
اليهم كل سنة ... الابناء عن الاباء وللملوك بهم اعتناء عظيم
ولو ... نعطيهم ليس لعنهم من ... بحيث ... الملوك وبا كلون
معه ولما ... في ... وابى ... كان ... ابو الله قتل لما بلغه ان
ماضى واولاد عبار ... الى ... اليهم بنفسه وراى ان المبادرة الى
قتالهم وربعهم وابعادهم عن ساحة الجبل واجبة اذ لو امهلهم البرد

مشهورون على الفساد في البلاد يتبع بعضهم بعضا وذلك في وقعة الشيء بلا
بلغه ان اول د شلع الغزو اذا بلغه قسنطينة واطاعوا اسماعيل ابي لو يقتد
بنصب الخلافة يخرج بنفسه لفتح هذه القبائل الثلاث وجمع من الهم من عجز
تعرضهم لعقاب الجبل وسلامة لان الذي يقتضيه النظر الصحيح لا ترجع
غائلة اهل الجبل الصعب الذي فيه الداعي للمساواة الا بالمطاولة والحصار
والتضييق وقطع المادة من غير ان يقاتلوا بذلك وعاد الى بلاد دولته
دار ملكه فنزل بساحتهم ليضيق بهم وتقوية شوكته بالنقل والاسمن والاخر
خرج ابو عبد الله تعالى يوم الجمعة لسبع عشرة خلت من شهر ربيع الاول وارك
له عادته الليلتين بالعلم ان يحلا وثلاث فيه بالبحر واستخلف على تونس
صهره ... رجب ... هو الذي ... وجاهته ووجه ... وان
ان يقفوا على اثره الى تونس فيجلس ... بالبلدان ... بين الناس
ويخرج الجبار ... وجعل ... رجالا ... وكذا الاعلام
الجبال الاخضر ... من تعاقبه ... باهل البحيرة تحصنوا بالنهر واتى
الى ان بلغ البحر بالجهة ... الثلاث وكتب ابو عبد الله تعالى الى
جميع الجزائر ... من العرب ان يرد ابو عبد الله ... الى بلاد ... الثغور
بجهة ... على الضحاك ابي الحسن ... كالهمية
الباجية ... ان يبايعوا ... منه عساكر الى اسماعيل خشية
ان يخالفه الى تونس واوطان ... ابا اسماعيل ... فاصرا
تونس في ... الجبال ... في ... وقت ... لتونس كذلك
ثم ... فبعث له ... واخر ... الله من البحر
ذات الشمال الى جهة ... الذين استسلموا وابقى مشايخهم

بالطاعة

بالطاعة والتوبة ولم يلبث الجند ان اغاروا عليهم بلهبوتهم فارسل
اليهم يامرهم بالكف عنهم فلم يكن تزدادوا الا افسادهم اخذوا دابة ربقوا
شنز ومزرتم فبال اليهم مشايخ ماجر وكبارهم منقادين وقابلين بطاعتهم معتذرين
ما وقع منهم وجعلوا على انفسهم الف ناقة واربعمائة فرس يعطونها لهم ذلك
عنهم فقال لهم ان قابل منكم وكاتب عنكم مع على باشا اذا رجعت عنكم الى تونس
رجعتم الى اسماعيل ولكن ان عرفتم عرفنا وفعلنا بكم مثل ما فعلنا باولاد دعبار
فجعلوا ايمانا غلاظا وعاهدوه على ان لا يعودوا والا فلهم فبعث معهم من يقبض
منهم الابل والخيل ورجع لهم وبلغه توجه اولاد سماع الى نواحي الحجرة فارسل
اليهم شيخهم [illegible] بن مسلم [illegible] ولم يكن دخل بعيشه من اوطانهم ولم يكن
معهم خبر فعلوا فعلتهم التي فعلوها بادركم وفروا وزادوا [illegible] وبعث
كتاب مولانا اليهم فلا فات ان رجعوا وردوا ما اخذوا لاهل قسنطينة ثم
البيت صحبة [illegible] عليهم [illegible] انهم [illegible] ورجعوا معه مرجر ما مولانا ايده
الله تعالى على [illegible] ما وجروا عذرهم بعثته من الاموال [illegible]
معامل [illegible] مستونة [illegible] مولانا [illegible] من
[illegible] وقد كان ايده الله تعالى طايب برسالات
من جميع جهاته [illegible] ولم ينزل احد منهم الا [illegible] بالسنة [illegible] ذلك
طائفة منهم لا يختفي من الجبل فبادر اليهم بعض من خف من الجند من
عين [illegible] فقتلوا معهم في [illegible] ومات احد [illegible] الصالحة
فارسل اليهم مولانا عن القتال [illegible] اثناء طوافه بالجبل [illegible]
مشاغبة بين [illegible] ارسل اليهم [illegible] للقتال فارسل اليهم الاربعة
رجالا من [illegible] حتى اطمعوا [illegible] ثم بعد جهد

وشفقة بباي الحاج علي ان يحل المحلة زادة بالدخل بلاد وقنة بناحية
كاستور وباقلام اياما ثم ارسل الباي ان يسرح المحلة الى تونس وتقدم
هو عليه بما جاءه وجعلهم مع ابي العباس احمد الامام ورد بسر الكتبة
في محلة حيا له الى الجبل بولاية ستحلاس محاربيه وقبل مولانا علي اليمني وان
كان الا ذا اقلاع بناحية رجعت محلة الجبل بالمال ووجه له ما جابه هو
عليها من الابل والخيل واقبل عليه اولاد مناع بالطاعة واعطى عطايا
جسيمة وجرى اموال عظيمة في العسكر والعرب واهل البلدان وغيرهم
وعم الناس بالاحسان ثم ارتحل الى تونس برجاله مؤيدا منصورا يوم
الخميس لاربع بقين من جمادى الثانية بعد ان كانت مدة طويلة مغيبة
عنها تسعة وتسعين يوما وفي تلك وردت عليه البشارة بولادة
النجل الطاهر الفخر الباهر الامير السعيد ابي محمد مولانا ابي محمد حمودة
باشا حماه الله تعالى جده ونفس اخيه ابيه وجمعهم وكانت ولادته
طاب الله تعالى ليلة السبت الثامن عشر من شهر ربيع الثاني سنة
ثلاث واربعين وفي يوم الاحد الثاني عشر من شعبان من هذه السنة
خرج حين كان هجوم محلة لاجل زرع اولاد سعيد بالمحادة بانه كان
لهم زرع خصب زرعوه قبل افزعهم وذاك خشية من ان يرد في
بيستنجد به اهل وسلات نطوعا للمادة عنهم ثم خرج في اثرها الحاج
علي بن عبد العزيز في محلة اخرى يوم السبت ثمان عشر ثم خلت من الشهر
ومعه اسماعيل اغة الصبايحية وعسكر نحو خمسين من المقلدين اغة
الصبايحية التي في جماعة من الاعيان واسماعيل اغة الزوار اجمع
[illegible] باشا استحزمه مولانا محمد باي وظهرت

لمحاربته

فجابته باولاده ابنة الصباحية وزوجه بابنة اخيه فتمت الخلطة ان معا
الجادة ومعهم العرب الذي ارضيته وغيرهم عدد كبير ونشوا غوائلة اكل الذرع واستولوا
وفي مدة اقامتهم تلك غزى ابراهيم كسيرة وهي اربع فرق اعني واصلح خيوله
في سنة الاب فقاتل في اهل وسلات والعرب بها تاما عمر ابتحصنوا منه
بقلعتهم ودخلوها جميعا بجميع مواشيهم ومأكولهم وحاصرهم الى ابيل
فلم يظفر منهم بشيء ومات من معه نحو من مائة واربعين فقفل ورجع عنهم
بعد ما عودته اليهم وكتبوا الى الحاج يستنجدونه بجموعه والعرب واله
واستشارهم بما اشاروا عليه ان يكتب جميع خيله وينتهي بهم الى كاف الجبل
في امر اسماعيل وجنوده ودخلوا ثم وقدمتهم فيقع الى غابة فلم يجد بها
كان على زمان نصر كسيرة مرة اخرى رجع عنه الا بما اصلح الصلاح ركبه
خيوله وانتهى الى كاف الذي به يرقب به ساعة وصلى بعد خيله رجلين
من وسلات فيها دخلوا الحشيش بوادي فقتلوه وتعرفت كاتبه من الجبل
الى السهيرة في باب الشيخ الى بلاد به سمي الشوم يوم الى يماني دحج
الدركي واخذوا ناحية ومرهم ركب اسماعيل بني في خيل وتلقاهم
بها راد انطلقوا مكانهم دفعة ثم انهزموا تبعهم قتلا مقتل منهم نحو
ستة وعشرين رجلا راى العرب في نهاية الدركي ورجعوا منهزمين من عين
فتال وثبت الحاج مكانه ولم يبق معه الا بعض من الخزانية ولعد ابي
من شهر لو معه انه لم يكن مع اسماعيل الا ينبع وعشرين بارسا بها البصر
اهل وسلات وبقية خيل اسماعيل الذي في اكلهم الجبل ونصروا الحاج
على الحمابة وهم انهزموا ايضا وتبعهم اسماعيل وجنوده
يقتلون ويا من وتاخر الحاج بياب البلوح ليهم وكتابا

ركبا باسماعيل اغة في سفينة فشار ع اليه العرو فراغ عنه الحاج علي الى
ان خلصه وركب وانطلق معه ثم ان باردساق العرب يقال له دولة بن الحاج
الحنانيش ادرك الحاج علي واخذ سنانه في بدن رفقا عنه من بين جهة اليمين
في ماء الحاج علي يسعف فشيلا مكانه ثم ادركه فارس اخر من اقارب ماجد يقال
له ابو دينار فطعنه بالرمح في موضع السنان الاول منظفنه فبينما وله الحاج علي
دمه على نفسه ورمى ابا دينار الرابط في نصف حنكه بالسيف اسبوع
عنه ومات بعد ذا الامر قليلا الامر به بن سلمان ورجع الحاج علي الى محلته
سالما بعد جهد جهيد وقتل ذاك اليوم محمد علي باي اغة صباحية التي في
ديوان النعمه كان عينه صباحية الكتاب واخذ اسماعيل اغة الميمي ادز الاذ
سلاطم يقاصعا في زحف في سفينة ووقف لا يستطيع حتى اكابن لا عنه واذ ركبه
ثلاثة في سالة من العرب احدهم يقال له احمد العيار والاخر يقال له ابن
جرد وابنه ماولاه ما ادركه بن جرد المذكور في ماء اسماعيل اغة فاطاب راسه
في فسلا فناول ابنه في سفينة وقدم احمد العيار في ماء اسماعيل اغة فاصاب
في سفينة بن نعت ووقع نحو اسماعيل الا بارز قطاع واخذ اسماعيل اغة سيفه
وتقنا قلا يسعه راجلين في حمام اسماعيل اغة ثلاث في اهلك وفرا هلة
بنيانه وسلاحه في حاجز العيار سيفه دما رده بيمينه وكان قويا وادف
ثابا وادى به الى اسماعيل واسيى ايضا خير التمتام اغة صباحية التي في
الغد بن منصور السابس وعبد الستار الحابتي كاتب الحاج علي وغيرهم وقتل
جماعة واخذ خيول المشي وسائر الامتعه وكما التجأ الناس رجع اسماعيل اغة الى
محلته وكما جن الليل دعى باسماعيل اغة بن جه وامره ان يزل بنيانه وسلاحه
التي عليها وغيرها كما ثبته لبيتي حما عن اخذها ثم اهب دفنا يومين الغرد



حمز

حضر الهيجاء بنفسه مع منصور السلطان في جملته وبعد هذه الوقعة
فشكر ابن ... صاحبه المحتسب به الى ان خرج معه من اهل البلد يعني دباغ ومنه
وهم بقتل سلطان بن عثمان المحمودي الذي هرب الطارق لما خرج من اهل البلد وقتل
نفر منهم، وهرب منه الى مولانا ابي الله تعالى ملتجئا اليه واستنصره وبعث
حسن كاهية ومحلة الحاج ... بمكانه الى ان خرج سنة ثلاث واربعين ووصل
الى تونس وكان دخوله اليها يوم الخميس منتصف المحرم من هذه السنة
في اسماعيل بن ... في ... من ... وسلات فيما لهم فقال
نشر برايه ... منهم عشرين، ومات من معه عدد كبير وهرب الفار بلغه
ان قافلة خرجت من ... وان اهل سوسة باموال للتجارة وانها خارجة مع
قافلة سوسة الى تونس فارسل اليهم ... من سوسة الجيش ... بعد
بالجيش ... وهزمهم ورجع الى وسلات وكانت غنيمة عظيمة وقيل ان الاعراب
... وان به جنده كثير فخرج اليه حسن بن عمار كاهية ... وان ...
فقتلا ... حسن بن عمار وتبعه اسماعيل الى ان ... المرسية
وبلغ الى مقام ابي زمعة البلوي صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم رجع
الى وسلات وقال الكاتب ابو العباس احمد ... وان ... اهل
وسلات ... لهزيمتهم مؤرخا هذه السنة اي سنة ثلاث واربعين ،

ثم الحمد لله على نصرتهم ، ... فلا ... هم ...
عن الغاية لا ... ، ... لم ...
والسعي ... ، ... السعادة ...
... يوم ... ، ... ونحن ...
... ، يوم ... وقد ...

ان الذا زرع البغاة فجهله ، لم يلق يوم حصاده الا الندم
فلا بلت بالحلم العدا فتجبروا ، حتى اذا لم احلف وهو مثالد مالحلم
سبهما فيوم لا نبعد ابتهجوا ، في كل ناحية كثمن بني الحشم
ظلموا وايهم كل منهم رده ، في ظلمة والله يعلم من ظلم
جبل العساه كانه بعر العوى ، يشبهه اعطا به استوكا الليم
با سبك لبسه البسه فرخ ، وسلاة اهلي الا في يلم الهرم
وفي يوم السبت لثمان بقين من شهر ربيع الاول سنة اربع وا
وبعين خرج حيز كاهية بجلة للتصوف على الفل وسلا وحصرهم
وفي يوم السبت ايضا لست من شهر ربيع الثاني خرج الخارجي ابو بعثه
الا وابل لعمان بجهته واتصل حصار التي بني جلام والشكون والغرا
زين ودوبان واولاد عوف والخامسة وغير هم بالجبل محر فيزيد سن
جبحا تمور بما تقع بينهم وبين اهله لقا وانقطا التي حرم الجا بلبني
وربما اغار اسماعيل بنفسه الى ان خرجت هذه السنة وقال ابو العباس
احمد بن قسمية الكاتب يهنيء مولانا بدخول هذه السنة وبهما اعداءه ويذكر حالهم
ادفلات دهم في دجم وراحبة ، والعلوج افضل بالبنا والعاجبة
نقضا مخاصرة التي املتها ، ومغاصل الاعداء الهمت بالنبه
الا في جاء السعود والنصر انتهى ، لو تطلب الدنيا جاء ساحبة
با لنم يتلل جيشه طارح ، بعصي البغاة ذوي العنود الغالية
منها اجتمعت لها اردت ثلاثات ، شمس السلامة با سها ساحبة
ردي كل يوم با علي سمي رمي ، وذكل داع من خجوسه دغا رحبه
فيت بعيد الا من عينه في حمة ، وعرت عيون ذوي الخيانة باكية

رجح

وصار القبح بالحوف والنطوقة والكمقوم بان كان فيها العجب

حتى منازلها العلية بالسما … ومنازل السعداء على دقائقها لديه
لا الى علم السماء ارحتهم … علم تجلى به سماء العارفية

ولنا كهنا نكتة وهي انه هل الصحيح بالمكتوبة ينبغي ان تحسب الى
تجلى بعض ما نكتب به فلا يتم له الشيء ولنا هذه المسئلة فالكلام
نعلنا نزل فيما بان في فضله المستفيض وقال ايضا يمدح مولانا وبرم وسلها

وسلات وبنقال مورخا … …
يا بيت الملك الراجح … في الناس باعلم اشتهر
في كل نحو انت به … ان وجدت منتصر
معك الامانة وكلها … تبغي بنيها العمر
حي تستمد عين الحجب … ما له الاقامة والسمر
وحفظ اجنحة التقى … ويرا العباد من الضرر
والعجوز اداذهبة … وعلى الملوك بها افتخر
ما يبلغ البالغ و ما … يحظى بخير من عمر
وسلات ما بارجاء … وهوى النزلة باحسن
ما داع في سهمه … اما يقطع الوتر
ما جاء يجبني دهره … اما وساعده الذكر
غابا النهي عن الكلمة … اما كملا كلهم ظفر
يا نحو في ظل كلاهم … ابن المتقي احسن المحمر
في حرم العباد صنعهم … ونظام سهامهم انتشر
رتبا منهم سارف النبلا … لهم مبني من عمر د
يا هي تبقى د با تجب … ورفعله شهر البشر

اجعل عمرا ذا بهجة ، بين الورى لمن اعتبر

وضع الحب ذخيرة ، لأذوا المحبة جسر خير

كن عبدا امنا ، دون العدو عن عزه

ولك بالك مورد ، لمن تجلى في سبيل

وقال ايضا تبعا لما تقدم في

بني ابا الحسن الرضى ، بمقتا جانبك الى مبعي

ولك ايضا اذا رضا ، وسلا تك بملكه الى يبعي

وقال الشاعر فيه تورية حسنة

ابى الورى ان نسا وبكما قتا ، تحيه في سهل غنى في بيت لا نعسا

فعمتك نادى يا علي مورها ، بلا فنيك نفسه بحي مع رجب هيا

وقال لما رجب البارع الى اب برهم ويزم المال وسلاف ورضب

حالهم وشكوا اليه عامل صعاس وكان اقي اليه رسالة ما كله بعد

زارع ابنى حامر لفي امه ، يا طلب السلم ان ادقة السلامة

لا تنق به المنى ما الك يا غ ، ثلاث ما بي يحي ووجي عي امه

ربما كانت لي مال مطاها ، للنا يا ومورد الشرا همه

ربما خيلت لي اح منا ال ، مثلها خيلت لي انا متا همه

رب سراج يجنبني ضحت عيش ، ولعمر يحيى ولبس تورب حامه

من سار كاتب لما ابي بي جمي ، طالب العيش من نهبات اسامه

دع ما اليه نفسك ترعوا ، با لهوى الهوان يعطي زمامه

واقعب الى اي ما انقطعت بغير ، منك يعني مطادة الصرامه

واذا الى ابي ما اعتري لا يا جعل ، به سوى الصبر لا سواه خطامه

لنرامه

نعوذ

١١ بر

وارجع الى حبيب الامور اذا ما ۞ بان وجه الصواب واستر دجى امه
واغتنم فرصة برق من عمره ۞ ان من اعظم السرور اغتنامه
وابر من تصطفي لنفسك سرا ۞ كي ترى منه صحوة وغمامه
ودع الراي والنصيحة ممن ۞ بسوى الجمع لا يسوم اهتمامه
انا رايه يعود لنبع ۞ عنه لم يرع في سواه انتظامه
واذا ما وشى بزيد البغض وامر ۞ فاعتقل عقله ووال انضمامه
واذا ما اعتقرت في العمر شخصا ۞ كن على يقظة وراع ذمامه
لا تذع ما كتمته من عهود ۞ اصونه فلا يليق اكتتامه
واذا ما صحبت رب انتهام ۞ لا تلم من يسوء فيك اتهامه
لا تطل في تردد لحبيب ۞ لدوام الهوى موذنا بالسامه
واذا ما شدا الزمان بعسر ۞ واباد اللئام منه كرامه
فاجر في علي بن حسين ۞ احسن المدح تلفه او كلامه
ملك لو درت علاه الدراري ۞ قبلت كلما بدت اقدامه
ملك لو درى الهلال فراه ۞ ما بدت منه للحيا اجرامه
كل من يرتجي رجاه كل عاف ۞ وهو ما ذل واشتكى ايلامه
جاء والدهر نجمه في اختلال ۞ فاعاد الكمال منه نظامه
قل لقوم بجهلهم خالفوه ۞ فمن سوء الخلاف ذا وعلامه
حكم الله ان ملك علي ۞ وبنيه الى المعاد ادامه
يحي من الفضلاء والكتب ثم ۞ بالصلاح ارتدوا واهل الامامه
لا ترى السعود تقضي بامر ۞ يتمناه والزمان غلامه
فاقطعوا دا الما يا سر حبل الاماني ۞ ان في القطع ما يسمى جهامه ٩٥

وطاوعته بالطاعة جبالا … فبرات بنبل القضاء سهامه
اقروا طارق الشعاب ثبيت … اوتي واطارت الصقور حمامه
اهل وسلات الجبال قلوبا … مر في عدوهم يكونوا ذمامه
غالبوا المسلمين حيث استقلوا … منهم المال والدما والكرامه
كل الفتى وكل خزي عليهم … في الدنا والعذاب يوم القيامه
فمن استمسكوا بواهن حبل … عن قليل يرون منه انفصامه
وتقود الفعال منهم عليهم … حين اتت بي ودها وغرامه
ارضيتم شق العصا مليك … جمع الكل فيه والاستقامه
فلطه شامل لكل البرايا … حلمه عم من جفاه وضامه
قلبه بالنور روف رحيم … وبه بالاله منه اعتصامه
ايها الموقدون للحرب نارا … ستكونون للوقود حطامه
ليس مثل الامير نجل حسين … مثله في شجاعة وشهامه
فكاني بطودكم طارد كا … ن واجالت يداه فيه حسامه
وكاني اراها والنقع منه … ضارب في الديار يوما خيامه
هل ترى فيه في البرية اشقى … منكم يا ذوي الردى والندامه
من مثل الامير في العفو عنكم … او بلاد دياركم اقامه
او من يجي ى تي وموتى عنا … مثل ذا او في بنيه انتظامه
ساوا الله وهكم ايا سوء … واحزنتم مواطن الى جاهامه
فلئن ترجي الى عبيد ظلما … لستم ترجعون يوم الظلامه
ولئن تطلبوا علا عوز طلما … ما طلبوا الملائك والامامه
كم تبر ميش من سقام كريم … قبلت عنكم ونعمة وكرامه

ذم

وكم بات من آل بيت ممتحنا | يتقي طول حمله وحمامه

سيطيل الاله منكم بقاءً | ويطيل الاله منكم ابتسامه

دم علينا نظرا من علي | لست تخشى من الزمان انصرامه

يا مليكا منّ به لا اذى شاه | من سقام الزمان اشفى سقامه

اذا شكوا من زمان غرائب | حطم القلب جارنا لا مه

عن بني البلاد من قواها | لا ضحى زوال العصر فصل الاقامه

وظننت الغافل فيه يسر | بقنا بالعسر اقوى علامه

فبدو طبقت للسرادق تعني | بارك من لنا يبدي ايلامه

بعثا مالم يدع لغوث اظهر اذا | من جميع الضحى وكور العمامه

والذي قد امرت للعبوديه | منعتها عن الولاة اغتنامه ×

افهموا بان امره فهى | اوان اذنب او لوا احدامه

ام خطاب لم ات فيه نسخ | ربع الحكم وابقى ارتسامه

فكان الذي يملي امر تسم | وبعث من قلوبهم او غم امه

اورأوا قررة الذي يعظم عنهم | اوراوي صحف عزت الملامه

ام عصوا امر واجب لامتثال | امنوا منه بطشه وانتقامه

ان يذل اسمه وهم الحلو | انما اولى بان تولى احتدامه

فاجمع يا مليكا وارجع مقامي | من اعاد وحصل لمامه

انما على من ابى يبغي ذوا شر | بتغر الصواب مال غمامه

جر على العبيد يا امير علينا | رحب العطا والعلا والكرامه

جريا الغنا يصير لمن جا | دعا الدهر ليس يبغي دوامه

وعجيب فيها ملحد مثلي | انا يهوى حلبة بافة ودمامه

أنا من ذم دهره فيه لأني   بهم الدهر تستحق الزمامه

ليس في النجم والبدر اغتفلني   في مرآة الدهر خلفه وأمامه

لو علا قدرنا الملوك اتباعا   لم يعن مادح معي بكلامه

كم حوى فضلهم سوى مستحق   ويرى المستحق منه انعدامه

فضلكم عم كافيا أو عروفا   وأخو مرحمة يناجي اغتنامه

لم يسو في الخمول لولا بوجه   كل دهر علي فيه ملامه

سوف في النبع بين خادم مدح   في علاكم ومن ترى استخدامه

أو ظمي في آية تشفي به فدرى   فيجلي من اعتقادي ظلامه

لم أرد بالبيان إلا صغى   فيه من طيب المديح تمامه

دمتم في الغنى والكمال مهنى   ما بدا المدح بدا وختامه

ذكر الأسباب المفضية إلى خلاء جبل وصلات

وإذا انجلى منه الغالي ب وما كان في ذلك من الصنع الجميل كان لأهل وصلات
في هذه السنة زرع خصيب فسبح الجبل فأرسل مولانا أيده الله تعالى العلاف
لأكله فطمعا الملاك عنهم وتضييقا عليهم فأول من خرج بحلته حين كاهية
أبو طعان وكان في وجه ثمان بقين من شعبان ثم خرج بعده الوزير الأجل رحب
حتى فر وأبو عبد الله محمد بن عماز بأمر جانبه كلا واحد منهما بحلة وكان في وجهها
للبليس حلتا من شطر رمضان وتنهك غفلة بناحية من نواحي الجبل وطمعوا
فأكلوا الزرع فانتهكوا منه ما كان بالسبح ولم يسلم منه إلا ما كان بالأوعار
وهو قليل ولما فرغوا منه رجعت الحلات الثلاث في أول شوال وفيه كتب يقول
الكاتب أبو العباس أحمد بن سعيد مؤرخا • أيها الخادم النزيه • هو في العدل
ما فيه • بسبى الدهر كل من • لديه تأليف المدى جد • فرقعا له لتاريخها • زرع وصلات

من ذهب · فصل · لما رجعت المحلات عنهم تزاجيش منهم واغاروا على حلة بني رياح
وكانت الذهوب والغوازي من قرب البالغي بمنتها فاتاهم الصريخ فركبوا وادركوهم بعد
واحاطوا بهم واخذوهم اسارى ولم ينج منهم الا ما شذ وارسلوهم الى مولانا ايده
الله تعالى فاستخدمهم في عمل قناة الماء الذي جلبه من عين ابي الحاج الى تونس
وسيأتي ذكرها ان شاء الله تعالى ثم تزاجيش آخر منهم بعد ذلك واوعب فيه
صناديدهم وذوو النجدة والشجاعة منهم واغاروا على دوبان فقاتلوهم فنصرهم
الله تعالى عليهم وقتلوا منهم طائفة عظيمة واتوا بالباقين وارسلوهم الى الحضرة
العلية ايضا فاستخدموا في قناة الماء وكانت جملة من اسر منهم نحو الاربعمائة نفر
فبسبب هذا الامر اعضادهم وكسر من شوكتهم وخضد من جانبهم وانضم الى ذلك
انه ورد على الحضرة في شهر رمضان من هذه السنة قبجي باشا رسولا من الحضرة
الخاقانية مبشرا بولادة ابن لمولانا السلطان مصطفى خان بن السلطان احمد خان
رحمه الله تعالى وامر بزينة البلاد واطلاق المدافع بشارة بذلك لانه مضت
مدة طويلة ولم يولد لآل عثمان ولد ذكر حتى وقع الارجاف بانقطاع نسلهم وانعدامهم
فان السلطان محمود بن السلطان مصطفى تولى السلطنة حين خلع عمه السلطان
احمد سنة ثلاث واربعين ومات في سنة ثمان وستين ولم يعقب ولم يولد له ايضا اصلا
فتولى بعده اخوه السلطان عثمان ومات في سنة احدى وسبعين ولم يولد له ايضا
فتولى بعده ابن عمه السلطان مصطفى رحمه الله تعالى فلم يولد له الا في هذه السنة
فلما ولد له هذا المولود حصل له ولجميع اهل مملكته سرور عظيم ببقاء هذا النسل
المبارك وارسل الى اقطار مملكته بالبشائر وامر بزينة البلدان وعمل الفرح جاء
ملك قبجي باشا الحضرة بقية شهر رمضان ولما دخل شوال امهل مولانا ريثما
انقضت زينة العيد ثم امر بزينة البلاد واطلاق المدافع اياما متوالية وكتب بذلك

في جميع القلاع والحصون بعمله وزينت الاسواق المعتبرة أي زينة كسوق البشامقيين
وسوق التراد وسوق السلسلة وسوق العطارين وسوق الشراطين وهذه الاسواق
كلها متجاورة واتصلت الزينة بها مسافة طويلة من غير باط وزين غيرهن من
الاسواق بنواحي البلاد واحتفل الناس في ذلك احتفالا عظيما ووقع بين
اهل الاسواق التفاخر والتباهي في الغلو في الاحتفال والتوافي وجلب الامتعة
الرفيعة من الستائر المذهبة وصنوف الديباج وكسوا بذلك الدكاكين والحيطان
وعلقوا الثريات وقناديل الذهب والفضة والحنابات الضاربة بانواع النغم ولم يتركوا
شيئا من الالات العاجية وكسي البيوت المنسوجة بالذهب والفضة وانواع
اللعب والفرح والامور الغريبة الا اتوا به واحتفلوا ايضا في نفائس الاطعمة
والاشربة والاشتغال بها في كل ليلة وتفقيم ما دام ايديهم من النظارة في رسم
الفرجة وخدمته احسن خدمة وزينوا في كل ليلة من انواع الملاهي وذوات الطرب
على اختلاف انواعها ما يكل عن الوصف واستجلبوا حذاق المغنين والفتيان
وبذلوا لهم كل نفيس ويسترعون اعيان الناس في كل ليلة وينصبون لهم الكراسي
المنظمة يبخرون الحي الى وقته بالذهب ويسترعون في داخلها الشماعل
صنيعهم واحتفالهم بكل ما يعلي من ذلك الدكين ويعجبه غاية الاعجاب
وجعلوا العيا تسعى الخواطر وتخبر الابصار من التصاوير الغريبة ووقوع بين
صورة الاسد وصورة النمر وغير ذلك ورتبوا جميع ذلك على احسن ترتيب
واحسن نظام وصى بواقيه امور الاجلية واستمر ذلك النصف شهر وهي مدة
اقامة من المرض والنوى بقصر الفرجة وكانت هذه الزينة المباركة احد
الاسباب التي وهبت امور صلاته فان جميع من كان في قلبه شيء من امرهم
لما رءا احتفال مولانا ادام بهجته وسرته بما احتفل به علموا انه متهاون بهم

بغي

غير مكترث بشأنهم ولا مهتم بخلاصهم فانفصل ذلك الداهية من الصدور وهبطت الأعراب
إليهم بالغارات على أطراف الجبل وتداعبوا عليهم وانتهى ذلك الأمر إلى ذيب الجبة
من هذه السنة وكان أبو الضياف بن أبي الحسن كاهية الباجية نازل المحلة على سليانة
فبلغه أن أهل وسلات ينزلون بمواشيهم إلى بير بسفح الجبل يسمى بير الاضباس
فيسقون منه فركب في خيله ومعه العرب حتى البير وكمن في مكان قريب منه يترصد
خروف بقية خيله فانقلب فرسان من غنمهم فأغاروا على البير ولم يشعر به فوجدوا
عليه غنما فساقوها وهي من كان على البير من أهل وسلات وتحصنوا بالغار ودخلوا
إلى إخوانهم فنزلت إليهم طائفة فأدركوا أولئك الفرسان وقاتلوهم فقتلوا منهم
فارسا وأخذوا فرسه وافتكوا غنمهم فلما رأت خيل أبي الضياف الذين معه الرجالة
فروا وظنوا أن إسماعيل غشاهم فتفرقوا ولم يبق مع أبي الضياف إلا نحو عشرين فارسا
فقصد ناحية الرجالة واستحيا من العربان فلقيه فارس من خضر من الجبل المنتهى منه
فأخبرهم بما وقع لهم فتراجعوا لأبي الضياف فوجدوه قبيل المصنع تقدر بنفسه وقرب
قليلون لا طاقة عندنا فقال لا أقل من أن أرى الغار بعيني وارجع فلما قرب من الجبل
إذ بالأصوات مرتفعة بالغناء من ورائه وإذا هم أهل وسلات الذين نزلوا راجعين
بغنمهم التي انتزعوها فمضى فإذا هو حائل بينهم وبين الجبل فقصدهم فلما رأوه ظنوه
إسماعيل في أثرهم فتلقوه بحينهم فلما قربوا منه شن عليهم الغارة فتلاحق الخيل الغائلة
فسقط ما بأيديهم وألقى الثقيل فلم يهم الهرب ولحقهم في هزيمة شنعاء فقتل منهم
ثلاثين رجلا وأسر أكثر من مائة وساق الغنم والأسارى بعد أن فتح ساكنهم
ورجع بهم وكان ذلك عند غروب الشمس فلم يزل سائرا بهم ليلته إلى الصباح
وقد اجتمع إليه كثير من خيله فأغاروا على سوق الأهارى إلى أن بلغ المحلة فأرسل
بهم إلى الحضرة ثم بعد أيام عاد إلى غزوهم ومعه محمد بن سلطان شيخ الحنانشة

بمكان فرانق في فوجه منصورا وخاف مولانا بقتال اهل وصلات فصعدوا الجبل الى
ان بلغوا الجبل المعروف به فكمنوا وارسلوا الى حصاره فيليلين واغاروا عليهم
فتسامعوا وركب اسماعيل والتقى م[عهم] والكرة على الفرسان ناحية الى ان بلغوا حيث الكمين
فثاروا عليهم وكانت الدائرة على اهل وصلات وقتل منهم جماعة جماعة واسر منهم
تسعة عشر رجلا ورجع ابو الصاحب بالاسارى وارسلهم الى الحضرة ولما
بلغ اسماعيل ان مولانا زاده الله توفيقا استبقى الاسرى ولم يقتل منهم
احدا اضطرب لذلك ورأى من اهل وصلات تغيرا وانكسارا ووجدا
عظيما على اسراهم ولا بد ان الرجل منهم يأتيه فيجلس اليه وولده او اخوه
او ابوه او ابن عمه اسير فخشي ان تحملهم الشفقة على اقاربهم على الطاعة
والانابة لمولانا ايده الله تعالى وود ان لو كان قتلهم فجبهت بذلك انفسهم
وقوي غضبهم وانصرف الى هذه الوقائع سدد الله آراءه رأيا رويا
كان فيه كل صلاح وسداد وهو انه كتب الى اشياخ الوجيع العرب
بامتثال المهادنة حيثما كانوا يأمرهم بالتهيء والاستعداد وان يكونوا على
اهبة الحرب الى ان يأتيهم من يستدعيهم الى حيث يأمرهم فلما بلغ ذلك
اسماعيل اضطرب له وخشي ان يكون عن مواطأة من اهل وصلات لما
اجهضهم من قتل رجالهم واسرهم وارتاب بهم واتهمهم وانكر وجعل م
على البعض فلما كان يوم الخميس منسلخ ذي الحجة ركب واظهر انه يريد ان يطلق
للعرب الذين معه من اولاد سعيد ويعطي لهم رواتبهم واخفى امره الى ان
نزل من الجبل من غير خيمة وركب الطريق الى قسنطينة حيث ابوه مستقر
فشاع الخبر بالحي الجبل وركب القائد احمد الشهلي في اولاده واهل
بيته ومن تعلق به واتبعه هاربا فارا بنفسه ولما رأى ذلك اهل

وصلات

وصلات تحيروا وألقى الله الرعب في قلوبهم وسلبهم الرأي وأعماهم عن طريق
التدبير وانبثوا فوضى غير مجتمعين على كلمة فلما جن الليل أقبلوا فارين من آثار
ى منهم وخذلهم ربهم افواجا افواجا فتبعتهم فيمن كان لاحقه ولا علم لاحد منهم حولهم من الاعراب
بأمرهم فلم يشعروا بهم إلا وهم نازلون عليهم وصبحنا فاستعبكوهم ينهبون
ويأخذون وصعدوا الجبل وذهبوا جميع فيه واستولوا على ما فيها وامتلأت
أيديهم من المغانم والأموال وبلغ الخبر الى الضياف كاهو وافد حتى صعد الجبل
يوم الجمعة غرة المحرم سنة ست وسبعين فوجده خلاء بلقعا والعرب تنهب
وتأخذ ما قدرت عليه وطار الخبر من الذلك الى مولانا أدام الله تعالى نصره وما بينه
فوصل اليه البشير يوم الجمعة المذكور فأرسل الوزير الأجل الحاج علي بن عبد الغني
لتسكين الاضطراب وتقرير الأمور والنظر في شأن وصلات فوصل في اليوم
من وقرر الأمور مقررها وأمر مولانا أيده الله تعالى بأهل وصلات أن يبقى فوا
في البلاد ويسكنوا حيث شاءوا وأمنهم ولا يعودوا الى جبلهم البتة وأمنهم وعفا
عنهم أجمعين وأطلق أسراهم ولم يرق دم رجل واحد منهم وعفا أيضا عن العرب
الذين ظاهروهم على الفتنة أجمعين وأمر أن يعود كل عربي منهم الى أهله وأمن
الناس وسكن البلاد وترتبت الأمور واستقرت الأحوال على أحسن نظام
وبقي جبل وصلات خلاء خاويا على عروشه الى وقتنا هذا ٥ أم
اسماعيل ! فلما بلغه الى قسنطينة واجتمع بأبيه وأقام بها مدة ثم نقل
الحاج أبي مهيبها الى الان وحسم الله مادة هذه الفتنة ووقى شرها
وكفى أمرها ومن الاتفاقات الغريبة أن فتح الله لمولانا ملكه بفتوح
عظام كل واحد منها في يوم الخميس منها الجبة وذالك فتح تونس
والظفر بعلي باشا وقتله ولمحمد باي كان في يوم الخميس ست خلون من

سنة تسع وستين كما سيأتي ان شاء الله تعالى وفي جمادى الاولى ارا اسماعيل
منها وافتتاحه الخبر لها كان في يوم الخميس غرة ذي الحجة سنة اثنين وسبعين
كما تقدم وفي وصلات وفي ارا اسماعيل منه وزن دار اهله منه كان في يوم الخميس
منسلخ ذي الحجة من سنة خمس وسبعين
ذكر ما قيل من الشعر في فتح وصلات تهنئة لمولانا ادام الله عزه
قال الفقيه الاجل عبد اللطيف العوير القيرواني
۞ فتح وفتح واسعاد واقبال ۞ لمن له خضعت صيد واقيال ۞ ومن له همة شماء قل
همتنا ۞ لها على العلا العوالي اذيال ۞ ومن سنى سيفه طابت وطيب به الثغور ۞
صادقت فعلي في الملا مثال ۞ علي بن حسين من له همم ۞ عليها الملوك اعظام
واجلال ۞ سهل الشمائل قطيب البرح صينه ۞ عذب الموارد فياض ومفضال
۞ جم الفضائل مأمون الغوائل محمود الفعائل مقدام ومفضال ۞ صعب
الشيادة وضاح دعوته ۞ اذا اصبا الكريا في الخطب من بال ۞ نور البشاشة
لماح بجبهته ۞ كأنه من تواني البشر سيال ۞ لا تحسب البدر يحكي نور جبهته
۞ البدر من ركبه نقص وابدال ۞ لا تحسب الغيث يحكي فيض نائله ۞ الغيث
يغشي اقلاع وامحال ۞ يولي الثناء ويواليه بلا مهل ۞ ويعترى الشم
ابطاء وامهال ۞ حاذ مكارم اخلاق لو الليث ۞ والليث يحزو في الاخلاق
اشبال ۞ له ذا النزاهة لا لهو ولا طرب ۞ ولا الغزل ولا جدل ۞ خلق
وجه وخلق كالنسيم سرى ۞ وهبا على الزهر فرعرت هطال ۞ اذا المحق
اركانا مشيدة ۞ اذ ثلج الاسوم الحق الطال ۞ بحكمه ليس يجري حتى فيه
علل ۞ ولا فعله فيه تجسيم واعلال ۞ له لسان يزكى الله عمره ۞
وخاطر في جلال الله جوال ۞ اسمى العلا وابلغ في بداهته ۞ اذ عز

الامر

للامر ابهام واشكال ، كتاب مبهم قفل مغالقه ، ودون ادراكه باب
واقفال ، اذا تأمل في مرآة فكر ، بدا له من غيب الحال تمثال ، تلك الحروب
وبرد الخطوب اذا ، في تاع للحرب فرسان وابطال ، له الجوانح والاهوا جائلة
، سوى رعاع رعايا عنه فر الولاة ، عادت باخذ الفيئة فى ، طال بي
الزمان وما عن طبعهم حالوا ، لا حل الله جالا لفرز لتة ، فيم من الكلب اوجال
واوجال ، ضعفوا العطا وتداولوا ضلالهم ، بحل ساحتهم خطب واهوال ،
بالاربعا لغر حاط الخبيرهم ، كما احاط بساق الرجل خلخال ، فبعضهم
من شعوب ذات كاسر ردي ، وبعضهم في شعاب الارض فر ما لوا ، فاصبحوا
للترك الا مساكنهم ، ونسوة ومساكن واطفال ، ساق الشقاق اليهم كل داهية
، فالترك صنع اباغوث ما زالوا ، او ليتهم منذ عموا عزجى ابهم ، اذ كنت
تعلم ان القوم جهال ، لا زلت بالعفو بعد الظفر متسم ، فالعفو ليس له
مذمومة حال ، وعن وصلات من طاعتهم خرج ، فساقهم لمقاود العلا
امال ، لاحت اكاذيب اطماع لم تغروا ، كما يلوح لذي الحيلة آل ، وتابعوا
المرتضى ابا شبا اباهم ، علي بن حسين ثم فر ما لوا ، واختل منزلهم مثل
التزيل بهم ، كيما ني ولو الحفظ ما زالوا ، لا طيب يجمع في حفر النعو دبر
وفر ، سعى الضعاني هنب وعمال ، خانوا عهدا نحو اصعقة
ضمت ، حسن المن بصواع العز مثقال ، ما ان كان وامنه الا ان شيمته
، حلم وعفو وانصاف وافضال ، ما ان كان وامنه الا ان دولته ، غنا ليس
اهالي الملا امثال ، براير في وحيم اجلى فر وقعوا ، ومرتع البغي للباغين
قتال ، طبا عهم لهو جالتي مايلة ، والشبه للشبه جذاب وميال ،
كانهم في نطاق الخلق قد خلقوا ، ان يسعوا دعيا للخلف ينشا لوا ،

أن العلا من الآباء مقتنية ، توارثوها وأعمام وأخوال ، فيمشي إليهم ينابع
سواهم إذا أتى فضلا ، وهم لم يفرطوا في الغي أو مال ، أما نهتهم عظيمات
دهر خلت ، قبلا وما ذا الغي بالعرب جهال ، وجاوروا الأنطار واجتثت
أصولهم ، ونالهم منه إذلال وإنكال ، راحوا أبادي سبا في كل ناحية ،
في التعسفي لم يهدوا في حال ، فله صغار صغار والإجلال ردى ،
وللجلائل إحسان وإجلال ، وخالفوا من جموع الناس أوسطهم ،
فنالهم منه خسف أيما إنكال ، إن الأمير لكل الناس منبسط ، في الأرض
بالدين له مرشاد الحال ، ومن خطى خطوة في غير أهل فتر ، فليلقي بي ،
بأسا وإذلالا ، ولو بغى جهلا يوما على جبل ، لرد من بذخه أعلى بجبال
، أنطالهم أصبحت أفعى لهم وكما ، دانوا بدا أمون والعمال أعمال ، فلذلوا
وحين قتلنا أنه ناهي ، وقسوا بعضهم بالذي أجرى ، فشادوا الغي إذ
بغلبهم دونكم جهلا ، فيما نحو ما نتيه أو عال ، يكفيكم الغي تدبيرا
وتهلكة ، فإن عقباه إنكال وإغلال ، فإلى متى يحق أنتم وإن ضعفوا ،
والغي يفضي أهله وإن طالوا ، راعي خدام وما إن في إقبال ماهب
الجد أقوام وأجيال ، يخشى الإله ويخشى أن تباح لهم يوم التي دهشة
نسوان وأطفال ، فسلم الأمر للمولى وأهليه ، إن للأمور مواقيت
وآجال ، فالحق فالبلم بالجوع فاتلهم ، والجوع للجمع مجتاح ومغتال ،
نعم إن إملاءه بأخذ شأفتهم ، لأنه لغوى الأقوام حلال ، ومن أبو مالك
دنت سلامته ، فيهم تقطع أمعاء وأوصال ، إذا تخلل جسمانا وهي خلا
، ولم يتر ينبعه فيه وأسهال ، يطفي الحرارة إذ تشتد شعلته
، وأعجب لماويه الصفراء وأشعال ، فذا بالصبر ما كان أمله ، ما فيه سر

بحلو

٣

يبلغ بالعلات محنان، فتبلوا الشم من وصلات تعصمهم، وكيف يعصم من حر اجبال
، وا صعروا في ذراها ثم ابرهقهم، ان النوازل والاخطار انى ان ، ز كلاء
تسمير لكلى دون لوا، والجيب للمجتب دعا وزنى ان، بعصبة شامها بالغضب
فرفضت، وسيوف منها ان عليا اذ اجال، جسومها لسباع الوحش فرقت
، ولابها بعليطا الغير قتال، ومن في نجا ذ البغي فرعلقت، فيا فنهاواها
من السوف ابدا، بني ينتد الغي احسنتهم، وانا في فهي ذ المعمور محلا،
جاءوا عن ان عليهم من قبا ائمهم، ومن ذميم تبادر البغي اهما، امنة روعتهم
تشرق عوراتهم، كسوتهم ولكم بالعمى ابطا، تفضح الجبل ابالغ بدارية
، وفن من هلاك القوم زنى ان، حتى لم جاء بالشم الغريب بكم، والجيب
للعنز في مغلوبه قالوا، والبغي اذ ظهر تجنبا بشاني، بلح من البحر
لا لا وافيا، انا ذ بلا خيل ولا خول، ما ان نخله وهم ولا بال، كاقنا عي بزنج
البوش وابلوى مبرمة، كلها من خبي اللطف حلا، حل الحي من بالبشى
له وله، عليهم بطلوع النحس اهلا، ففي الحي بات القوم في رجب، لهم
بوصلات وبلات واعوال، واني لتهم لذا الاقوال من فنن، وليس للبيب
والحظي اعمال، صاح الغي اب بسمل القوم فاعتسفوا، مهامه البيد
ركباب ورجال، تقسموا بين مكلوب ومستلب، وها الذا بالصرى لم يرد ا و
جلوا جباة عن ان من مساكنهم، لما جلوا ولم يبالوا البيت ولوا، الهم
منتظم والشمل منتشر، والقلب مستعر والدمع هطال، استارهم هتكت
عوراتهم كشفت، واماهي ادبار واقبال، على البغال وذات في المفاوز فلو
قاسوا ولم تنج ارذال وابغال، كم فرحة قبلهم بالكلب فرحت ، يقتلها من
خطوب الدهر اغوال، والغي وان دهتها اي داهية، وهم مع الاصل لا خانوا

ولا زالوا، حتى خمد الأمر في حبل الفتنة، وما لهم عنه تحويل وإبدال، طوى الطوى
زمانهم وارتجع. أفضوا إلى الشيء إخطار وأهوال، حتى قضى نحبه فيهم حرب لهم،
من النكال، حيات وأصلال، وبددت شملهم في كل ناحية، أي الخطوب فلا أهل ولا مال
، خلت مساكنها، جلت سواكنها، وأهلها في فلوات الأرض أرسال، وفي الهجير
يكوى في جلودهم، كأنهم في ضلال اللمى كما زالوا، في عوامر البلوى، وكان لهم من
المطامع وخفض العيش سلسال، فلم من الخير والاستبشار فرد زنت، خبت، كأنها
هيفاء مكسال، تحكي الغزالة لألأ وقامتها، كأنها الغصن تعجاب وتميال، كالظبي
جيدا والحاظا بمقلتها، مكحولة ما لها ميل وكحال، مقصورة الحجب كأنها في
مغاص ماء، وظلي فيها يعرف البيض أجمال، عن أعين الإنس فكانت محجبة، يطر
يلحظها وحشوا دراك، كالشمس ضاحية أضحت وكان لها في الخدر من كلل الأستار
أظلال، فتنت بليل الشعر إذ شابت، أثوابها بعليها النعي أسرال، تبكي
على الحي كالخنساء حين بكت، على أخاها ولا عم ولا خال، أن بان من أسمها هندا
جارتها في الشيء طيء كسريع العقد أبدال، وسارها الضحى من بعد الحي بغداد، *
ومن شأنها بعدي تترب وأرمال، فالعين هامية والأجل دامية، والقلب فيه حر أزالة
وأشعال، والخنس ينهضها طورا ويقعدها، عن نهوضها من كثبان ذوى أثقال، عجبت للشمس
أن تكسف ومن طلعته، من الخدور شموس الأرض تختال، لا تسل عن حديث القوم كيف جرى
، فثم من حامل التفصيل إجمال، عقباهم هذي كانت فكيف بوصالك، وهم عن ظعني
الحق ضلال، جازوا الحدود وحكم الله ما صنعوا، وليس إلا نوال الله إغفال، مثل النسا أسبب
إذا فراجل كلهم، ينتسبه عن نفي القوم قسان، حال البغاة ونار الحي فروا ،
وعن هم جلفي الفيفا من طالوا، حال الفهم من أقدامهم خبت، عن أن يجي بها الأذهان والبال
، وإنما أعطاكم المعجم أجلال، من الملوك الأولى في مجدهم عالوا، حلم وعلم وعدل بعل
مفرزة، وعفة وسطا دانت أنفالها، ثم بالجاهل في طالوا ومن غلبوا، وأنت بالله غلاب وصوال

وأجنعوا

ويدعون او دايرة عليهم، وابى الله الا عزا بدا لهم، وانتم يبغون منه البطش فتنفا
، وابى العفو رغابه وميالا الجور راموا وقالوا لعذركم جهور، وانت تترك ما راموا وما قالوا
، الله اثنى على العافي وانت لما اثنى الملهم فعا وفعالا، والى احمد لتليق الارض بجرمهم ،
من في السماء جزلتم ربه انفال [illegible] حاشاك ان تجنى عفوتهم، فحسبهم من عذاب الله
ما نالوا، العفو شيمتك والحلم حليتك، والجبر بغيتك والقوم جهال، وابى [illegible] الارض
ظل الله منبسط على الانام له بالعدل افلال، والحمد لله لا يحظ عليك سوى [illegible] لتحوله من
وافضال، والحمد لله ما افاد انتدام لامة ممنهم فكم حاولوا بغيا وكم حالوا، هم الذين جنوا هم
الذين جلوا، وللشغاف بهم برد واحمال، والله يوليك تاييدا فانت الى عباده بعد [illegible]
النصح لم تال، اسنى الصلاة مقاما والسلام على خير الانام يليه الصحب والال، وقال
صاحبنا الفقيه الاجل الوزير الكاتب ابو عبد الله محمد بن عبد الكاتب المعروف بابن عتور
الصفافي النهج لنه ما احلى سرورا جاءنا يبشر زففته بهذا الافراح، فيهم الشبيبة
بهذا ابنا ليلة، عن امنية قطاب الى اح، طاب الزمان بطيب حسن حر منه في مجلس
زانته به الافراح، فاهيك من ملابه كالكوكب الدري بدا وجبينه وضاح، بدر منير
في سماء سعادة، الوجه منه كانه المصباح، متهلل ببدايه متهلل متوكل والنفاحى
البقاح، فتح الاله بخير غنيمه، والخير معه افقها وجاء المفتاح، جاد الزمان بها على
طول ما ادرجتما هي منه وصلاح، فانا الذي استطالت مكانه، اشفي من الايام
وهي عجاج، حتى تقطر رضا بنعام، وانت تيايل الوطر وهي ملاح، ونسيم الزهر الاريج نفوح
وتباهي تدبوطها الارواح، وتمايلت اغصان روضة مالها لما الهاو جالها في داح
وتجنيه تلك الربوع واوطرت، فيها الشموع وصبت الافراح، وجلوت فيها للوصال
عرايسا الخدود والثغور افاح، وخلعت فيها للجمال ملابسا، وكذا العذار وما
على جناح، ونظمت من درر الثنا رنعابيه ونثرت منضوما وذا الافصاح، وابيحت
الانفاس في طلب العلا وكذا دماء ابا الحميد تباح، وتكاملت الزانتا حتى لغى [illegible]

الى غيب وهمنا تراح ، فالحمد لله على نعم شملت ، وفي اتاتا العلى القداح ، فهم العراة منها
الى ذي فضل المرام وجلى الصدا فالليل منه صباح ، يا ايها الملا الذي هشت الى تأميله
النفس اذ فيه فلاح ، يا من هو الغيث الغياث المرتجى ، في المحل اذ كلتا يديه سماح
ادنى من ابن جفنة كعبه بل جوده للبرمكي فضاح ، من لم يفز بجمائل اعطائه الغاية
القصوى عليه جناح ، من رام جانبه العلى اذا تقى ، سبقت عليه بالسؤال رياح ، فالجسم
موقوف عليك لخدمة ، والقلب ليس له عليك براح ، خذها ابا حسن عليك كأنها عذرا
بل حوراء وهي رداح ، امة مرجحة تتغنى بيل الرضا في ثغرها المشبوب والافراح
دامت لك النعمى ففلك مورخ ، انى لنا بسقايك استرواح ، وقال ابو العباس
احمد بن سيد الغني وافي الكاتب ، هذا هنا الانوار فيه بشائر ، ومن نحوه للنقع فيه البشائر
تبسم وجه الدهر بعد غموضه ، وجد علينا بالبشاشة زاهر ، عليك ابي محمد الملاد
بهجة ، وذكر لبعي هاتي الارض سائر ، فشاعت الى الامر ادكل ما بشائر ، فيفرح من عاداه
والى ابو فادر ، اخشى ونحن الذي يعنى جبرفسه ، وحظي بما شاء من الله ناصر ، اتيته
بيشر الخير يوم كأنه صحت عليه لانى البشر وهي نواضر ، واحشاء فيها وياض
من ، واحشا اهل البغي فيها خناجر ، رميتهم على الارض المنيبة بغتة ، فعاينهم
الخبث حتى المقابر ، وانبت الاحبار البيدر لتهم بما بعضهم بادراهم وجاخم فعل
لزوية العصيان هل اجن اذ كم جنيتم ومن يجني له الدهر زاجر ، فللخير فعل ابي الحسين
في ذاكه ، ومنطقه الزري للكسر جابر ، فيا ويح من عاداه لم يلق نهضة يعيش معاندا
وهو للحيف عاثر ، اذا حل بطن الارض قال مورخا ، فرارته على احياء الاعادي الدوائر
وقال ايضا وصلاة امسى للبلا مطاعا ، وعليه فرض ان الاله مطايبله فالبغي من قد كا
كانه جبوت ه بلا باح تجايبله ، فهم وعبث فيه ميادنه ، فيهم والطهر في
النحور حمايله ، تحليلهم بعد الصقا عادها ، وعودهم للعيث اضحى هاربا دم يا ابا
الحسن الظاهر زينته ، واحلم على من جاء خوانا ابيه ، لزانت بك الدنيا فقلت مورخا

جاءت بسعود كم بدا عنه مبشر ؛ يوم كوكب دونه لم تشهده مجتمع
أوقاتكم البهجة وأوقات النعما ؛ راحت مبهجة الوجوه مغني
وعزت بيمنه الأمور كلها ؛ والأمور بيد الله معنى
ما نشئت الأقدار ذنبه بدابته ؛ يحيى به هندا من زاده فقرا
من كان يخون الدهر معه جلله ؛ يبقى ويدعى به الذي فرجى
أحذر ربا الحسن الحمرا النقم نافر ؛ زود البنه وقت الأعادي يا عزه
لا تلتفي الهم دون فوتهم ؛ بذهن نعي أن الذكر مدحى
يا المنتظر سما جنوبه رحبت ؛ كما الشمس درته كيد الهيون منوره
ورد الهداء من حيدرك الحيدر ؛ فيا الوري سجرنا منا حقره
يا الحلم قوتنا البعيد وبرا بركتها ؛ رحمت بربه النسلالة لحى رنه
يا من لا أحد قدر الشارع من بيته ؛ ورياس منه رعد اليس تلكى
لو طاب يمضه الوري بوما يملي ؛ بحر ولا جنه وبورا رقبى
لك راحة لجيا الشوار كو بليه ؛ وبعد كلامه بالشماع مدح
يبعق الوعيد ابن الحسين رحيقه ؛ فيعرف نبعها بالمعدني السكى
وله العلوم في وقت اور اوقات ؛ ويعز يغني اذور رنته مغني
ما يع سوكر الأرض كم امشته ؛ المعاد يشفا العباد ومنح
بكل جنى لعنادين بي بها نسمت أبرة ؛ كى ما والعداني ليكى جوهره
يا اسبد الأمراء والله الشنو بي ؛ أجبا الغدا بعد الفخور والطهى
إن رفعة زاده في الأرواح وخارقته ؛ ما فاز ديارا بالنسد معرة
جمال الهوا رتبة ربقدت كتانه ؛ كلها يحفو الأميري مدحني
محبته بوجدته بي فاد بهم ؛ ويعفو لهم نبا له مدار الحفوره
من جاء وبه أزاد هدايته ؛ يلقى الهداية والقنا والمحن
يا ذكره إذ جاء به دار الختم ؛ وسلامنا فيكم اسد سره ودوه

وقال ايضا قبلا رجعته

تقول لما رأيت بالركب رائق … وسعدك قدمه على شتى سائق
وشعري ارامه الدلال … ومعيشنا على غمام الهدى الدبا في
وحبيب من جوده زينب ندا … وحمله الورق مارد لكتا في
تبدد رفعه بيده المنى فستر … ثم وهلال الشعور في ظلمات في
يعلت تعلمع ببري زرع هتم … جيبوته به ورسيع الارض خاف في
رفا اني الجيش في حبهتم … يجيء جموعهم بالذي سبق في
كأن الحمام بهم عند شتوي … يمارد رعشادهم بدرعها في
بيد ضرب عندس يعقد بها جمر … ولكن بهم هو مبي الشعر في
وكل من المبشر بين عشرا … حتى نيف وحده المنية ه في
ابا الحسن ابن الحسين الشتم … من الكذر يمشي بشم الموسف في
لقد ضعف السيف بعد الفتوح … واجله من صحبه بالسيف في
الى رضوح الغيث اذا احتوا … اذا ذا نصح وللاء النعاف

وقال الشيخ الاديب الكاتب ابو عبيد الله ابن ابي احمد ابو يحيى

هاجه البرد نحو انتقال … هاجه الصب لاوي الغيس
قد على مد تعقدا لو سمت … زمنه يوما بها من قبل
مثنية قد ضمنيه الوقف بعدا … مثل جبلان في جمع الكل
الكنى منشدا بوعد كاذب … اشتغل الهلال به عن عزل
يدفع الهم وم بالندون كسر … يجمع الامم بالدون الحول
ثم ابن شيقيه ان لم افعل … واذا رجعه من عزل
يا عذولي لا ارجع ونذكر في … نعا بي النجم تشغل
ان ابن تبسط من صحبي لها … بالنه واحده ربع الزعل
واذا لم تذق العنا جسد لا … تبعي د بلا اي بيه وسل

ان عقلا

ان تغللوا هدا لا يتثنى ، يعفو ريكل يا ذا الفتى
لا تغلق مدخرا فرجعته ، كل روحات النفس وجل
هل لي بين ربي ان تأخير ، يبلى بن حسين بن عشي
نادر فيه غنه زيوهر بسم ، يمنع النفقة به الجمرات
بلا ليم النسيف على من بدريه ، نغص ريد م الناعي اول
ملك تما يجمع واحد ، بنح زهير تداوا نقل
لو سعد زنو يسم الى زمورتي ، فبلا رنا يلي سم م يصل
الحق رنسي ع اذني د د مدا ، جرت عمر يسمع بلقتل
ابصر ابو بيد يعيني من بدا ، كل م جيدا كي ب التدل
فنجد من بعدا هم اذا لم يفتل ، ع زيس حد زمنه هو لي
و ادستوى و النادس مبيا محمد ، بلا بمد رمع خرو بنجي الكل
نازع الغدرس الحلم مبهم ، يبق من هارب و ال اقد عل
، فصلة الملم تعمل هداها ، كبر فدرا على ذي يشل
مسيا الكوه وها يجمع عي ، جبل بين الجبل
هان لكور اذا ما ذا رقها ، ذو جبهات بلا في جبل
هو مدا هو ماره فرعت ، نقلته املاك ماجي المستل
في ذيل الجدفي ليها ر ابعا ، دابه الخلق يا علا العتل
و ا ففني ما لي هم ما زيفنض ، ورمقا الخدود بر اف امل
بينما النفر بيي صوى بيسه ، ذا هجاء هوسه و الجبل
اذا ان المذ بتهي و الكتح ، فقة البيح و سم الاستل
بلا هامن دفعة فرجعت ، جلاكم تحنهطا من جهل
اجد الصاني ايا يبغيه معا ، احكم النشر بح من و نل
و تخور يفذف ما از ضدي ، فوفا من اي يا بيت الختل

كل رجل وإذ تنامى في ، خطوة من حيثها كبل

هم الاسى تنجعوا بهم ، وانثنى الفيد بهم من ملل

سار ببيع الارض عن ابلادهم ، انى من من بحاح السبل

نحن الطارد من احوالهم ، اذ قد ابعدته ولم تنتقل

وقفة فوكست اعلامه ، بجانب عجلة في العجل

سنة ماضية بين بغداد ، اذ بي في ربعه عكس الامل

الكرب بحرا وفد ، كان مشهود الكبوة الجبل

فتح الحق لها اذ بعثت ، بالذكر الخلف باب الامل

وعرت نساجد هادا العباد في باب الافراد لبول الرجال

كيف تخطى من نصري كوره ، من عنه يهوي بها في الخلل

فخذ الحبيب بهم في غلبة ، والتشكي من دمهم بالعلل

جاذبي الابداع في الناس نجد ، بوبهم هز الربوع الذلل

ما تعرفون نحوا من فضائله ، وهو كالشمس دنت للطفل

او ضنوا من ارض الهدايا ، كان والدهر بهم لم يكتمل

نارصبوا الى بالمنا الهوى بهم ، والكتمان الكلمة في الاول

وتنادوا واكل رهب بيد بجا ، انه يدوم مالم يفل

ما استنشقوا الى اي حتى عليها ، نفحة الحد الرتيل تحال

ما بنوا الارض التي كانت لهم ، فشككته وانية هم والنوع الحل

كل فتى كان شبها في الى د ، كل فتى كان شبا لمحو وكل

وإذا الرجال بهم ذا ايغنا ، من بلايا مالها من قبل

ثم ذاكهنا نماية الى ب بهم ، هزت الادخان وضيع الغزل

نحن اذ كشفنا هو انجلت ، عن صري الى اي ومحو الخلل

ينقب النجح والنبع ، فاسى الذي هان خرب الخلل

يا ايها الطلعة المشرقة • تنتشر نجومها في الدول

تسبح الشمس بسيرها • وتحار ما بين من يسأل

يبشر المعنى بوعيدها • يشعى بها وبيت الغزل

فلله كلامه في ذريته • لا ولا به التبجيلات الجزيل

بل دار السلطنة في تحصيلها • يمر القادر يبعث الفضل

كم من نفس السبك ومناه • صرخة الشرع عن الجود المكمل

حرفنا ان ذكرنا في هذه • عن سورها قدر نور الجبل

وعلى اهله الذي في خطبته • بشر بدائع نورها والدعل

حيث رد [illegible] من تخصيصه • واستجار بغطه وفارقت يحل

واستوى المشهد والعذار كما به • رفعة الاكباد وبادهي قبلي

انه عقد بعد هذا يسعى بينه • وضوح الكنز والكف جبلي

ارجاء سوى الذي فصل الى اخره • فصار عنه بعيني في حجل

اذ قلبي اجد ذكر المدعو به • وتصير منه بي في تحجل

سعد الفخار وقيل موقن • بالارادة في والعقد المتصل

ملك في ملك من ملكه • رفع المدد به من عقل

العقد قد يعني والذي وقد اهمه • هذا موعود الى ان يسأل

عد ابوا منها الى المشتار منها • حلة الكل بعهد الاجل

بيجي المدد بلا مستمع • ثم تجيء مد يبعث في حجر

لا بالي في الحكم من قصر • ملاولاه يجمعكم من الكلل

اي والداري ضم من قد مضى • جاءنا الاجر عند الاجل

عادة الصوب الى امد جادها • عارب الشجي بدا بالدجل

ذو هم الفوز هذا والى مدحكم • بنبيه الكامل الجلي الكلل

وشهد دار بهي زاخر • اودار الكاعب في الحلل

فازوا للغزاة فيها ثارهم • ثم انثنى حدها نحو زحل
كي زحلقه بدهم ذكرهم • واحدثني زيفها نحو عطل
فإذا انتشر منه جلائب • فسارع الدبر فابسن الثل
فنكى ذماك الشيء فليبكها • فخرج نحو ذكي هالم يحل
كيما الشيء فلية ذارتين • ثم دكرهم بها مع في الرحيل
وانار بجرح جل الى داه • بدا له برد السنا محل
بين رسيلت وحربي ذائب • فنشر الله عنهم بيني الظلل
ارسال الخيل نحو ربيعهم ونحو • كالهي النجم نسعى من علل
اسمع الجيش وكدميع بر • يعلف الدفع اذا لم يبتل
فاغتنمنا السرح منتزابين • جاذبا بي من عنهم الوجل
فاليه فليمل معتاده • جاي الكسب بحال الجمل
رحمة بي وكنز فرح وجود • فالهم كثة السماء من وابل
لو لم ... بهم الكل مفقوده • بعد شتهيه عدو العسل
الحمد ينبني كذا منه نعت • نعيمه مناته من دغل
بعلم الله فتح حد ربعة • الحمد لنا الهي وولي
جديق في الجيش لنعمر عادية • الجاية خيله والخول
والصبر لو نص كم تحت اسم • كلازمي الضيد بادقي الرمل

وقوله في جزء القصيدة ما الغمر ولا حوا بعن ... الى ... الى ربعة ... محلهم الى ... وصدت لجي في ... الى الاجل رحيا في ... رابة ... والشغل ... الغرب وقد زال ... واذ عنوا ... ولد ... عليهم من الحجاز و الاعتدال ورجع عنهم ... وقد ... ووقف ... دبت ... اثر ... وهي ... الله

تمل

تشتمل على نوازع بديعة ثنيا ونظاما

الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن، ورفع الغبن، وألحق من الصلاة
والسلام على من اتخذه الله نبيا وحبيبا وأمينا، وأنزل عليه القرآن
فجعله بتعاليمه، وأرسله إلى كافة الخلق بشيرا ونذيرا
صلى الله عليه وسلم، وآله الذين أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا
إلى من دان لهجوم المعالي حتى انتفع الخلا فيها . . . وبلا رزق
نماءت المعاني حتى ميزنا بالكلمة إليه اعتناقها، وضمنا
السعادة عليه رواقها، والخزت من خوفه نحلاقها، وعلا
علم الدار حتى انتبع أرجاؤها، وزال الكدر المؤلف حتى محققا
ها، والحجب الأرياء والأبوابه خادمه، والسعود على نشر كتابه
متزاحمة، الأوحد بين الأمراء، وسيد العظماء والكبرا
صاحب اللواء السلطاني، والمركب الخلافي، المصيب بسهم القول
والرأي، مولانا السلطان أبو الحسن ابن المقدس المرحوم
حيث باي، أمد الله بالعز ولايته، ومد بسطة ملكه، وبلا
لحسن الصيت، وحسن رعايته، أما بعد

فإنه ورد علينا أن المشرقة والغار على بغاة القوم وأجلاها
من أوكارها، وجار على عداة الإسلام واستنصارها في أبرازها
حين اتصلت أن البغاة أخرجه أكثرهم ببرنية الفيروان بالتجوع
وجاء أهل البرنية يستبشرون، وأخذوا بكن [illegible] وسعهم في وأ[illegible]
هاربين، وتولوا إلى قومهم منذرين، وأخذ كل منهم في مجرى هجم
وجد خوفهم بزوال منعهم أمور خطر في ابن يونس بالمنتهى هجم
وذاك حين زالوا رزقهم متاور دت كورهم إلى مكان نحاربين
ربه وغلبوا هنالك وانقلبوا صاغرين، وأخذوا وقتلوا تقتيلا

واجمعوا الا يبقون حيلة ولا يدخرون في سبيله وجاءت
جلاد من كبرائهم دون الاحتشاد فبرزت نساؤهم في كل ناحية
ووادٍ واقبلت باكية رؤساؤهم ورؤساء بلادهم وبالغن في منعهن
في الجهاد واشتد بهم الارتعاد والخفقان وخاف بهم الخناق وبلغت
الارواح التراقي وقيل من راق وعلموا انهم من الله في عذاب ولا واق
وايقنوا بالهلاك عيانا ومن ذلك قوله تعالى زلزلوا زلزالا شديدا
وحين تحققوا انهم الى المسلمين صائرون وحيل
بينهم وبين ما يشتهون وانهم ان يقاتلوكم يولوكم الادبار
ثم لا ينصرون وما آمنوا الا بانهم الصغار بغتة ولهم لا يأتيهم من
بعث ... الباغين عليه وتحققوا ان لا ملجأ من الله الا اليه
بعد ان سلب كل منهم بهذه البغتة فقيد الذي كان يحوم به
واجمع يوقد كديه على ما اراد فيها ومهما كانوا فيه مفرون
في الجبال من التحصين بذراه وظنوا انهم مانعتهم حصونهم من الله
وحيث عكس الله آمالهم وخيب حبالهم بل اكتسبوا الا الخبال
واخرج الله احرارهم وكان ذلك على الله يسيرا فخذل الله
انصارهم وجعل غنيمة ديارهم ومحق الله آثارهم
واورثكم ارضهم وديارهم ولاذوقه فيها عقبة الطغاة المعتدين
وقطع الله دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين فطالما
انذروا ابواب الهول ... الاستغفار على ... الخروج والعقوق
وقيل لهم لا تتبعوا الهوى فتوبوا ... فلم تغن عنهم النذر لما
ارتكبوا من البغي والجهل والقوا بايديهم الى التهلكة بلا ارادة
وزعموا ان الذي ارتكبه من فضل الله في الوحي والشهداء فلا سوف
يتبعه الذي اتاه ... الموت ... والحمد لله ...

حتى

حيث قاد الله ربيه اعداه بالطاعة والامتثال، واقبلت خا
ضعة ربيه بالمسكنة والاذلال، وكفى الله المومنين القتال
واخزتهم بسعود لا يجبر، وحاربتهم بجيش النصر الا الجيش الحصر
اذ كان في تلك محاربتهم وعموم الاحتفال بهم، اقتصر الا ...
دهم والاحتقار، وسببه استهواه البعاد به نهم، والتلقي لهم
بعين الاستصغار، وجد الهايبتذلي ثم عند على البشر بها من الحرب
عقوبتنا، وسمح الله رد ذابعه الى الشيء ابشار بحث وكهونا
وذكرتنا لنا بوقع الخطوب الادواهي، وشبه الله الاعضال وتعديل | الوداه
المزاج فسـل الله تعالى لسيدنا دوام التطبيب
والنعم الجديد واذعان الخلق بالطاعة وتابيد الملك
الى قيام الساعة

وهذه فواتح في المعنى

- وسلامنا كم نحن بنزله، فيه بالمخروق والمعتادة
- وارمعه من فوة منهم، تستلغ والمنى دريهم حازم
- امالتي تزاحمهم مارقهم، من قوة فقه ولا نار كسى

بمر

حس ابي ادري ابا امن ارحمن
اذ اتى البغلج ودوالبغبي فلعا
واتاه الشقي في فتارخه
امه اذا فخدالة وبكا

غصن

مولاي هذا الدواء جاء بعقبه
يسعى بتوعكهم لكم وتزكى من
وجل وسلامنا انا لم مور شاه، فرحلو وسلامنا بعد محرم

وقال منها

مولاي يهنيك هذا الفتح مبتكرا
من غير جيش ولا سيف به شهرا

لأنك جيش جيش الحق يصحبه
جيش من الله مولانا به منتصرا

قاد الأعادي لك من سهل ومن جبل
فأمسى عداه من أفاعي الأرض هم لها

هم إذ عتوا كالأفاعي من خروجهم وانثنوا
كل البلاد بثوب الذل مستترا

عيون عنهم جميعا إذا ذكروا
يعوي مثل ذئب منهم صدرا

لأنك صحبته نفس مقدار فوق ...
لتغنم الشكر والحضور من شكا

ومن شرائي لهم يصبوا الصلات ولو
أدناك مولانا لم يك زعيم خصم درا

وبالله أعطاك أخلاقا مقدسة
وحسن جمع على الأحداث فتحا

جاءوا ولم يفتحوا الا بالملائم رضوا
فبعضهم متى جاء أرضك مستترا

تحصنوا منك في الأجبال من حذر
ولا يبالي أمي ومن ضيعهم حذرا

فلم تجد لهم جيشا بجار بهم
إذ جمعهم جمع تكسير وإن كثروا

بهم

ليسوا بكرهوه لتجهيز الجيوش لهم
لكن جلادي لكم كمؤومش فوصا
ما الليث يمي في قتال التغلبان ولا
بان يبارز صعو ربه متحفرا
خانوا الرعهود ويد النعما فد نكثوا
اخمى بني خان عصر الشد او بطل
ثم التلووا الذى يخ حنث بحارق دهم
والذى ما حق دايق الا بني مكا
فلا يلد فيبيني ما الذراعيم الذين في جواه
به بحى ابن حسين سيدا الامي ا
ابداله ارتكا مل ربه ابشا الا اللى يجي
بابي حميد المنا بيا وبا فذ الفتكا
ما ليدك هلم وبعبوه الجنلابت كلت
جتنية بمن نعزول لكال ارفصا
وا العبو مند يمي ذنبا الذ قسم
كرها من الرعبو ليدا بني وانذ بكيا
ما رذ جار فيه بحي وما وراحته
كبهي يحوني بل مني راحيته جى
لم نحل بي درس فيه الحوبني بجلسه
ببو وا ولابني حيرنشا الهكبي حجا
يكاد لو شاء من تقوى الالاه قد
تلتي الحجارة صه يد الود مو الحجا
تي اه بيوا مينيا به موا كيد

وبه انثنى السعي جمع العدى شتى زكا

اذا رأته العدا ولت مفرقة
هل يثبت الوحش ان يلقى الليث كشفها
مولاي تشكي اهل فضل الا انه لم
يحكم بزيادته فضل الله من شكيا
اذا ذكرت بكل الاندية ذكركم
عرفنا تضيء والدراج والشمعا
هذا واني فقد فارقت حتى تلم
حلب الشهباء اسار الحي معقوا
حتى اراد ورثتني بشرائي لكم
جاءت بالجلالة والكل الاسى مبتدرا
لا زال ملككم يا مولاي مفتتحا
بالسعي والسعد والاقبال معتصما
والدهر عبدكم لا يبتدرك منتحبا
اذا ذهبت ومايسورا اذا امى

وقلت انا

معاده تجنب العز ظهر السلاهب
ولي في صدور الجرد المذاكيا
وسمر العوالي للمعالي دعائم
وبيض المواضي سلم للمراقيا
ولولاه لا يبلغ المجد عارفا
ويملك نفسا يا للاماني الكواذب
ولكني فتى فخري والسيف كاملا

به من حقوق المجد اسنى المطالب

يحاذر هول المنايا ان تدنس عرضه

ولبس لاسباب المنايا ويهايب

يعاف ورود الماء ليس به دم

ويبني كم صعاد الد عني عداحب

فو الله ان يخطى بادركي عتابي

والا فعقد السيف كب ــــــ اربي

حبي الحي بيا من يتعلق بها بلالغ المنى

وهل نال اوج المجد غير المحارب

ومن لا يهب يغلب ومن كان حاربا

يسبيه عليه كان المطلب غالب

ابي المعالي والحلم والباس والندى

وشجع مقدام وراي وغالب

مليك قسام في المكارم والعلا

بحيث غدا مثواه بين الكواكب

فتى أسعدا حيث اذ يدع رفيعة

يجر ابيضاض على كل جانب

وجيش يا عدا الامور كاشف

لي به اهجاره صد اهل الكتائب

وكل بالي حدود الامور وانشا

تجنبت من بالت الهنا في العواقب

وجاهة عقل حكمت تجاربا (تجارب)

وهل رجح الالباب مثل التجارب

وأقوام من لاقى هب الموت والردى ، فيذال اليبنى ما كان ليس من الهب

يجب الى وايمى الوغا منه هللا ، يجى راد يدمى الفنا والقواضب

بمادين جياد الخيل في حملابه ، كان بجال الحى بعض الملاعب

بكف من الدبكار في متن سيعبر ، توره حد يوف حتى نشارب

وطعنة رمح تخاض به سيعبر ، جى لذغلة البجلاء من تحت حاجب

هو الفارس الجرد السلاهب كونها ، تبعوت عمزاة السيوف بالمراكب

تليمى وفرخ ارضى الى ان نسمع به الدما ، كرققيان جود امبات المحارب

ريام اثارت من غبار سحابها ، تى رقشعى منه بن فا نلم الثعالب

محرون الى عمرون من دعو وفتية ، يو مسلات سمارقت بالوما ، الكواكب

كلا الجيلين رجعى فيه موارخل ، بنعاك لا تخصى يجمان حاسب

او خف الفدا بيهم وقد كان قبلهم ، دمى با رفلاد بنفاد لدى المواهب

عبثة ننهم ان جد نو االحموع حموع ،

جزاء بما اوليتهم من حبائب
وصبت لهم ليلا من الجيش بيضه
تجوب حتوفا من هامهم في مغارب
بجار ذكر ومثل البعوض ردوهم
براب
وليس لهم غير الفنا من راكب
لبس صريتا الابكار بيهم من غوائب
فبيع كوكب الشيب الحفيل الثواقب
وان ظلمت ابصارهم من مخافة
فجئ راية النور المزيل الغياهب
ومازلت توفي كل يوم عليهم
كتائب تفنى اثر وفد بكتائب
الى ان اتوا ما بين تمار مشرد
وبين تقى بعد لا يرتد تائب
وليس عليهم سبة ان اخفتهم
وليس يكشف الموت بعد حوائب
فسوف لهم حتى تركت بلادهم
وقمت الى ما بعده من بني جانب
عيون حلم فتستفيق لدمعي غمارة
وفي جفة عنهم عنه ضيق المذاهب
ولكن ان كان نورك الكرام محلة
من الدمع انهى من غمار المواكب
ابا الحسن الحي بالملوك بالسي هنا
مفتوحة عن بعض هذه المذاهب

افيقا دبو خمر الكرى وارث ونوادها
وإني منهم من رائحا بواجب
فصيت الدولا بالشيب حتى مدركتها
وليس دكرمه للعلا كل خاطب
يجنب كالحم وارد الى الرضوا
بركم طي يشي عليه ضمان شاحبه
واصحبنا وجه الليند دارم
نفحت الريه جا فتشي بعمه اربه
عوليته وهو تعود الغنا الحمد والهوى
واوردتنا منه كل داري الشارب
وهم النوري ذا العود الا رواحلا
تو فتركه هادفنن ذفا الحذراب
بدعتنا جنا في علاك ورعبة
وما بحنين العدا الى اعبا
اذا كنت تي ضر باجه لا نحرايب
تعيد له يد الى واحتلالا لي غرايب
بدو ندة قوحى الكلى مد اجبا
كمعفر من الياقوت بعجيني كالعيه
معلن لدي اره الرسط توجهت
لمن ادنت في دعايه النجو الشوافيا
لنفوسهم منحه الله سبيها وحفظوا
فلا ولا منه الدوس نجها لمفارب
ونحن زمنه لك الدنيا بتلك انه

جرت

بدرت من كهف الدائمين غمارة

وهذه القصيدة عارضت بها قصيدة لأبي عبد الله محمد الوريغي
مدح بها الخزومة ممن بلاد نشا وحيى من نحو نشعر ملاذها
هو الذي في سمر الغضا والمواضب و الأيدا تغني صدور المراتب
وبقيت هاهنا أشعار كثيرة أضربنا عنها تعرج بلاغتها
وعلو نباهة فاولها في ليلة الاربع لثلاث عشرة من صفر
من سنة ست وسبعين ولد سيدنا ومولانا الخليفة أيده الله تعالى ولده الأسعد
الذي جعل الله سعد الأخرى المحبوب لجميع الرعايا، المعروف بجميل
الى علاية، ذكره المبارك الميمون مولانا أبو عبد الله محمد المأمون
وفقه الله لما كان ومالا يكون وهو شقيق مولانا أبي محمد
حمود وإخوانه حفظه الله تعالى وقال في ذلك رحمه
أبو العباس أحمد بسيبه

نجم بدا من طالع ميمون • بسماء ملك في زمان ميمون
دار الإمارة أشرقت بجماله • وتلألأت كاللؤلؤ المكنون
سعدت منازله وفوز ادنيه • حضنا بيوم في اجاهجون
يحيى المحبين والندا وبحرها • من عين معيدانا وقرة عيونا
قلد باهيا ابن الحسني مؤرخا • في جلا النجم انت امون

وقال أيضا

جل السعيد بالفلاح موثق • في كل يوم حق يتجدد
وخاصة في جنى المعالي أمه • ولد الحلامة فخر سعد تقلدوا
جلاله بالمأمون متصل أذا • ما كان منتبها وإذ ما في فرد
والسعد في العلا بالفال يستبشر • أرخ بدا قمر السعد وفخر
وفي يوم السبت ثاني جمادى الثانية من هذه السنة خرج مولانا

ايده الله تع بمحلته المنصورة لتمهيد البلاد وتسكينها
ونفي بين الامور تنبيهها وخرج الوزير الاجل رجب في نوار بمحلته
والعسكر بموجب مولانا ايده الله تع الى الريف وانها وافلاح بهاء
واربعة عشر من نوار بمحلته الى الجبل واستخلص مجابيه وهربوا
الى جبل يقع عليه ثم كانوا قد هربوا ومنعوا الجبال هم
فحاربهم حتى اذعنوا بالطاعة واستسلموا وانقادوا وادوا
له ما عليهم من المال الى ان خلص عنهم راجعا وخرج الوزير
الرماحل الخارج على بني عبد الرحمن بمحلته اخرى وتوجه الى المشارف
واستخلص منهم اموالا كثيرة ورجع وفي ابتداء اقامة مولانا
بالريف وان الحكم عطايا جساما ووفى اموالا عظاما
في اهل الريف وان والعرب الذين كانوا بالخارج بين يوسف لانه
ونهبهم وفتن الامور وحضر هنا وقتل الاشياخ في مواضعها
وعاد الى حضرته بعد السلامة والغنيمة وكان دخوله اليها
يوم الخميس الثاني عشر ربيع من رجب وكانت مدة مغيبه
عنها ثمانية واربعين يوما وفي ذلك يقول ابو الحسن علي الغرابي
يهنيه بعودته الى الحضرة

زار بعد الجفا وخاب الوعود ، يا ليالي الوصال بالله عودي
زارنا والعيون منه كحيلة ، راح ابدى الوجه ليلا للجود
حاول الهجر والوصال كثيرا ، ومن وقع عليه قتل الحسود
حين جلا الشعور عنها شهورنا ، طالعة الشمس في الليالي السود

تعالى

فسادى الالهى حيث فيه كى منه
جعل سمعى وفوادى تشهود

دخله بالعواد والملحة دائح
ويلجم من حده فى حود

دومواع من الارائكة احنى
ومؤاد افنى من الجليود

تتهادى لبدور فى الافق تشرق
فيبنا وجهه هوى السجود

جلالى كم اسى وجرى فيه
وهو لا يسى فى الوجود

جمر قلبى لام يحزنه هواها
من يحزاربه وفيه لا الجرود

وانه يجلو النا جبا على رف
فى محيا زهى بورد الخدود

ارد العذب من لماه واستشفى فى بلاخيامه الورود
فى رياض زهت لين هى عود
وهزار شذا فيه هى عود

وسوافى بها جوار عليها
وجوار من السواقى العيد

ويليه النسيم فيه
يشتفى من زلالها بى و د

فى فضا السعود النا وشهودى
اتى قاضيا جفنى شهود

ابا يوم تلحقنا بحبيب
وزهيى بحبيب نضم الدوفسود
وتغدون الى بياض وجيرا
في حلبن زهرها لحضها لى ود
لابن الشنيم فى فرح بل من
صرح هزها وو جر بشل بحل
لعفو الماضى البليد عميق
با ابنا ابن الحسين سعد الوجود
ملك والشتف تحايم حي
بمنة الا ارتبلت بصرى الاسود
ملكر من لتشنيع عن الركن داله
يعدونى الى محمود
ان قيد الحسام وتحذ بمراه
وبيبيل الوما بعد الجود
بعون حسب امة اذا حار عنها
ها الدوا بالبين وفى تحت الى عود
ان يشب الدهر قيس ان حب
عقد كافت بلبد ذاك ومنو د
وعزاى حق لى والبلية
وهذا الا ما كذا زهرامن محمود
ملك ما جل حليم كريم
جود ذاسخ ذكل الوجود
ذا الشي العدا وهو لجود كا

والبز

واوجب الاله كل عنو الكرود

مغتنق للهدى به الشرع احسن

وهو رحب الاعتبار رفيع العود

صالح الفعل صادق القول واب

بوفاء العهد منجز الموعود

يقطع الدهر بين فكر بنشر علم

وركوع لربه وسجود

بصحيح الحديث والعلم لله

وعلوم التأسيس والتوحيد

قد تحلى بعفة ووقار

وتقى وفضل مديد

وشجاع مضى وقوة جسم

وعلى همة ورأي سديد

سار من تونس بجيش كثيف

مستعد بالنصر والتأييد

همه القطع للفساد وإصلاح

جميع البلاد بالتمهيد

وأتى والأقطار تشكو عليه

بلدي العدل والتمهيد

أمنت سابلهم من الخوف بليا

من بدا والوعي سو تو د

نحن من فرح امن دولته بج

خصكم عيشه وكل مديد

عجبا لحي منه في خوض عيش
وأنا في خوض في صعود
أيها الظالم الذي يجتبي عني
جوار وحاجب الولاة وجود
إنك بالبين والشهادة مغر
ن وبالعقل والمقال الجميل
إنك من حيث ريان إذ
من عيون العلا وكيد الحسود
تتبع الكواكب السعد فيك
حين تقضي على الورى بسعود
لو دعوت النجوم جاءت صعود
لتداوت الدنيا جاءت الوعود
لو دعوت الجبال وهي رواسي
لسعت نحوكم وجيئ بسعود
عز كرهك السعود كل في يده
ولفنيت حي با العود العتيد
واسعى بالخلاف بحذق واتقى
ولأجه البلاد بجبي كنسود
ستعود العداة من سهل أرض
وجبال بالشعر قبل الجنود
وأرى كل بلدة حال قد عم
فورثت بالخلد والتهم ابل
كل خاص تحالف لم يتبخ ولو كان تحيي بثمود

٨٣

بدت آلمعسريش حملها حتى
بمصواع الوجود بالمعقود
اوبان عن حالك الغمس جهلا
ارخم الشعر منه ازب الجعود
بطريف الزمان فيك واخصى
النبا بعض نجي تموشي و و
واجنيك بالعنوح اتى منتوح
لك والكوى دغايبة المقصود
بهلال رسما يكمل بدرا
ان بدا وهو اخفى المزبين
وتعنى بمقدم لك فيه
موسم للورى واعظم عيد
جعوان تنشقا الك الشوق حتى
كاد يشتتا في حشا الكبود
فنفنف كل الورى وشافت اليك
كل عيساوزادخف ووبيد
عهدت نحو الخضرا وارخى مهنا
كل ذا و يكي و يا بيس عود
ان تقوم تسمى اليها السنارثا
اى بدالدوو والبضاء المشيد
بدا الارض دان هتور تحلت
او حين من خصوص فيتها ورود
هداك منبع حسان في تهاش ه عدكم تزدي بحسن الخدود

صفقتها من عيناوكي في مجمع
وجواري في مجتمع جسد
من زمان له اجتهاد يعوزني
بيني وانشر وجاهدي وحسود
عن الذي بها امين الى اجدا
بينك عن اصله بني وو عبيد
عيدك اذ هو اذهبه الخشن السعادة ام الكون ام لا عبيد
بعصر زنى الذي بالجباعة يوم
عنداني وفود وبي بالارهد
جلو اللوهي عندك خارب جو صا
لكاني اخليه منه بجيب صو بسرة
فتوي امين وعن ملك وهنا
بدوام الصفا وحول الخلود
وفي يوم الجمعة لاربع عشرة خلت من ذي القعدة من شهور سنة
اثنين سنة ست وسبعين وتولى مولانا نصر الله عز نصره النجل
الزاهر والكوكب الزاهي والبدر السماء الاسنا المبارك
الارشد الماجد ابو عمرو عثمان وقاه الله حوادث الحدثان
وفي يوم الخميس سبع خلت من شهر ربيع الثاني سنة ثمان
وسبعين كان ختان ولدي مولانا ايده الله نفع الاكبر منهما
السمي بسمي مولانا ابي الربيع سليمان وكذلك ولده
الاصغر المشار من عشر من ذي الحجة سنة اثنين وسبعين ومولد
ابي محمد باشا ابقاه الله فهو وقامه ووتوي حبيبه
مولانا ابي المشار اليه ومولانا ابي العلا ادريس ...

مولانا

مولانا ايده الله تعالى في ختانهم بالكثير من اعانة الفقراء
وتعميم الاحسان لجميع من اولاد الفقراء المستورين خمسمائة
صبي ورسم لكل واحد منهم ان يعطى لكل واحد منهم كسوة
تليق بحاله من الجوخ وغيره ودراهم للنفقة ورسم
ان يجهز كذلك عشرة من الابكار المستورات اليتامى ويحمل
جهازهن اللائق بهن الى ازواجهن ونظر في اهل
السجون ما كان منهم خلفا وقضى عن المدينين منهم ديونهم
ولم يستثن الا من الابيون في الكلام لسجونهم فتنة ل
نفس او حرابة او نحو ذلك ... وهناه الشعراء بقصائد كثيرة
ممن احسن في ذلك وبلغ الغاية ابو عبد الله محمد بن احمد
اليوسي في قوله وهي من غرر شعره

هذا الختان وقد عم سرورا . خلع الى ملك به عليك حسى و را
جمع بحظك يا ذكي امة او ولاة . وبها وجه الجنى بنى اختي
وعلى الناز ازمن بهطاء بنشارة . كالناز بين وجدوجت شعورا
اخفيته فبعث الرونة حارف . اخفوا الختان وما اخفوا تقيرا
في كمة مما يسنه على اخفوا به . كالمسك زاد مع الخفاء ظهورا
ولئلا من كل ما تعنيه به . خذي كذا قد كنت انت خصيبا

عجبا له من وهو كيف خفقت بعده
زعم الشجيع وقد رأته يبيبيا
قد كنت به الا رحاع بوم ولا دهيا
تعرت تجاذب حسرتي وفتورا
هو وانه ان كان كان دفين تعشر
ويكاد يبلغ في الخيال شعورا
ما الملني بزعيه لحيا تنادي لعن
لاجادي في قلة البدائه ورا
احزنا لي وهو يقاسي بثائله
ملك الغياص كان بعد وقيعي
ويعيد عليه كله الكل عيو تم
اهل المشارق والمغارب تورا
ارملا اتقي من دون ذلك توافيا
انوي عليه من الجهلة سعيا
لولا الخليل لما فر عن احسن
حي يبيت لها الوليد صغيرا
بلا الف سليمان المعوذ ما بعده
سبق الفدا الى الفتى المستور
فيفصل الله وجاز ثم ازاحها
واولانا ما فر كان قد اعتبيسا
هو كيداه في ذلك المجال خسر
بلا ما كان في وجه الكلام مستور
ودعوا المجهود وابسح حيا بعد ونلاه لسعاية لا دهو تصيرا

منتظرا هي

فتقاضى وابتني شغيف ابيهم
حتى يكون نوابه الشاركا حبيرا

وقضوا على ومن المراد مشاربا
كانما تتوقف لها النبوس وحصورا

وقضيت والله عنوك حفظهم
ان لم تكنه بمن يكون شكورا

بوصلت رحمك رابت وافتهها
اعلام فلاح في الجنان كبيرا

واضحت في ذات الاله لها اذى
انما اوجفت لها السوار الصبي

بيذلت في تحسينها بوة جهدهم
ما زال يعني بحق الملوك بحي جبرا

ودلعت في ابلاغ حبك للورى
حتى ملأنا من الرسل وفجورا

بلاقت الشجيع من رانه كي يجسن
وان ادعبنا بلا امور مجورا

من ذا يجيد او يقسمها بين وهما
نحو الليلي على الجنيح يجورا

فوكلت ذلك والجارة وكيعة
وان لان يوجره الكتاب له كورا

حتى بعثت مجردا لمساني
فعشت عم يكون الى مداه وقصورا
احبيتها وبعولتها تنسى به، احيا وبكتب في الكعاد احورا

فذى الشجاعة لاى ارة بالتكـ
يدعو اذا عنز الافراح تحسورا
فاذا بدا ابن الحسين وكلنا
يلقى ما يحبه روضة ونعيم حبيرا
فهو الذي اخذ الودود بحضر
فمنه وبدا ثم الحسود ضجيرا
فعشت بدر الاعياد لما ان بدا
وجد الفتوح به الاله بشيرا
كم يوم يوم كـ ذا المبارك يا حبّى
تجنيه من هذا الاغر امير كبيرا
فيا لان حين توصلوا المنازل
فخطوا الهامات الولاد وسرورا
وتطاولت خطط الامارة نحوهم
والهم احدث رقبة وسهيرا
فالخيل مصغية لهم اذ اقبلوا
تبغى لهم جهة النجاح عبورا
في حق هذا الثوب في اشكالها
في حادثات للظهور ظهورا
ودعا من البيسان قد عرفت لهم
وبهم تكوّن نخبة وحضو را
ومن الصبوح تجمع لهم وبهم
اذ ذبح الواجب لو لاح ذبيحا
ومن البنود قطائع لبسوا بهم . حتى غدى مع الفتح كستورا

والهم

بجد ليوم فوحروث بشا اي بعد مسرتهم
وتموا بني انهم في الصعود صرورا

ابعيا بجرانه وحرك في نهم
كنوب الناز في هل يبع تكثيبا

ببهم الفت الملكت فوصن معي مو
وبهم الموت على الايالة تسورا

وبهم راى كذ هت ومصونهم
منع النواهي ان تعبير تعبيرا

ما بي دنهم مها اختبت بواهس
بل هو العاد وبني يدكنيا

بكل يمين على اخبد تخنفا
ولوا لديه مهابة وبي ور ا

فحبعوا لحا جمع الكي يم ابو هم
كي ما دعو له العمل حقيرا

وسبا اسة جبا بن الامهدا
قلب الادعور عن ان يكون كعيورا

بدا سبيل الحرب كلا بيع ودد
فسعى لها ادا يعي التزيح صعيبا

هوي جنية خالص الهو يبتهجا
فشي حتا الكي منا الوداد خبيبا

تحيض ميقضي بو ملحو يتها
وتكوي في غلس ذلك سبيبا

فمن تا عليك ملابه امي نيم هما لاني نعيلي اذاني ناقصورا
او

ولي في بعض شرحي بين نواهما ۰ ثمّ داروا وركبني في الخلد زوجوا

حسدوا يشتعل في تحقق هواها ۰ من حب ذاتك ما اختار عسيرا

ويفضل الحبيب في فرد الى اقصاها ۰ لاهي هوى ومتى يكونا بصبرها

ولو استبان من الضالة مي ثم ۰ المحتفه عوض الذي بي زميرا

اذ كنت في كنت حربتد واراحني ۰ عليم بركونك ما بالحبيب خبيرها

بمراك ثغرك ليس يبغاذ وكفه ۰ بين الهداية والضلال ذوراه

بيدك المساء ودواهم ولدا وبكتم ۰ واذا لحجت شمس السماء فيها

وقال الفقيه الاجل ابو محمد عبد اللطيف الحلوي

سعودك بالسماة والزمان اني ۰ مجردة عن من الى مداني

واقبال واسعاد وبشرى ۰ بعيش فرحها بالاماني

تبسم للمى ماذا ثغور بشمس ۰ كما بسمت ثغور الاقحوان

وحق اذاك بحبيبد من ودا ۰ كما حثت معاطف الغواني

بذكر الايام فرحة رقاصها ۰ وعيش برديه اقتكد بنيراني

وهي أزواج السعادة والمعاني ۰ تفي في شأن ان ونيران

فقد

فحي بعد صبر السعود حفوف في خيره موكولة بجسنون الخفقان
ختان ابني علي بالله امع ابني • اخيه المرتضى عثمان في الختان
ختان تشعشع الاوقاف نورا • والشرف من سناه الكلام بيان
ختان البشر الدنيا جمالا • وحسنا من كل ايدي الحسان
ختان بهيج العليا مدار ان • دبغا سريه بعد الحق جنان
جبينا الكيبات جاءه فوقا • نسوي المنظور من نبت الرمان
وكاد دنا اللذايذ في جماله • الكي اد الكير في بروج الزمان
بصيح الحي فيه لنا وبهجة • يحتني في ربيع جنات الرمان
لوان البدر اكمل خسروا • الى البيد تجلا السعي للتهني اني
غدا الشهب نور نعت اكادنت • نيسابيب للمواليد والخوان
ونجم الثريا كان عقدا • يجيب جيء الامير والبلدان
ايا ختان مدار قبل ادركه وقبط • وما افتداك عن سمت الختان
روبيك ونجيب وارق تعطل • بشمعك للعويد تعز تجان
وانت الختان ليكمل فلب • فبات الكوكب في قلب الختان
وقد غادرت الوجهة ارتياعا • كان صبغة بلون الى عمران
بعهوننا اذكر الذين محمد • وكيف طوقت في الاعلام كطاني
وكيف رفيق الملك المعالي • ودرت مع الكواكب في قران
وكيف وقت للافكار حتى • مسست الجسم منه بالبنان
وكيف قد اولت بذاك حفظا • تشمو صدر الثنى فيا وبه المعاني
عهودنا الى الشرف منك وما عهدنا • بنيه الاعداد تودهم بالختان
وكيف تصحف للاشبار كيدا • وتبث الملك منك عن عيان
دخلت لاجة الاسد السبنتا • فجادر ايما في نزاع الختان
في جنابي اهرابيها بخيل • وبتا من الغضنفر في امتنان

بدا اك على صنيعه كل حنين • واحسان يجل على البيان
بعفران لبست فما ادعم حننتني • وكانت به بقيتها في صوان
وتحفا جسنة المختار منها • جبلت من الكرام المخلوقة في خمان
بعفو سنى الحشان لنا ووصف • به من جملة العيش الحسان
على رغبي ارتعفنا بهم كمالا • وما القيت في الحشان لهم بجسار ثاني
فصكت ذبالا بجوفنا لنشارنا • بعيد حيالها بلا رحة فخار ثاني
ارسلت دما به يدعي شهداء • من القلب الكبير بلا توان
ودع للعليل اخي جنة مشى • ديماليه وسنة له بجناني
وعلي سيادة الجازت منه • بقيا بقية المعونة في الصواني
بمنقبتي كمين فكيليى للي • لشعار البرية اجمع في خشاني
وبي صدر كل اجال تنم نقالي • بدا عزاي جعفري في بيان
وصوت بي ومن الجلال ملوكا • اقم شان عظيم اي شان
بمنصى مبيضي منهم وكسهم • كذا حفظ قلائي مع عبيد المد ان
لعز خصتت شهامته مقارا • وماجي المجبى كان العيز ان
بمعراو المعه نبطه روا • ورزاهم اول الشبلين تشاني
وغيري موابدان له كلاما • كداي في الكيس الحصر وان
كذا ذكر ابو ساعه الى بلعضى • وهذا لم بعقبه الذكى البيان
وجو سما الحسن بن حبيبي بدا • له المؤثرات في الحي العواني
وارشدا العقبى ليسر تحفوا • سوى اخلافه لذا التعلل بشاني
امير المؤمنين مصون مختر • وداي لذا الهناء مع الامان
وجنبة حسنة للاين قامتنا • دعاليها الهاد الاسعاد بثاني
بهن المولة ارخى اختنى • به الغفران في سعد الدنى اني
ذكر الرضى التقى يدعو الثنايا • ويفضي بما عداه الدنى فنواني

ووان

وذات نبهي الاشجار وحسنا ۰ مكللة باخلاق حسان
ونوح بالتشبلا وبالنجاري ۰ وذكي الند جل وبالرغ ۰ ان
وبالعهم النوي النفرجتامنه ۰ فعاني لبيربلد كفا دمعان
نقيب العرض اروح عبقريد ۰ دهورا ذ انذي للانشو ان ۰
ولم يستصب قلبك ذ و د لال ۰ بذاكي خلعة الغي الى منسان
ولم يستهوه فغم الغسواني ۰ ولا صون المثالث والمثاني
وراحك لم تمر بحل ا ح ۰ تواررعب مخضوب البنان
جليل القدر للجليي قصاري ۰ وكرها هي ورة او مركب عان
اذا بارعت بالهيج الصعاء جبقاء تولى الجمع مضطرب العنان
نكل عقار بالسبها اذا مصا ۰ تلالات بالكلكلوالجي ان
وان كنت في البرالعة من ابائهم سواء في بالحقايق والمعاني
هلا تجلي اختيار اضي رهسا علبك ولا يفوضع بالشنان
تحاول ما ابقى بالروض بيف في ۰ سياف الحامبات عمى اف ان
وراجي ان مخلع مسوبر ۰ وان محض عسار ابت الشماني
اذ امل بين الرواي ذرا كم ۰ يبادر بالقلاة بلا اذ ۰ انا
افنت الخلف في روقاته امنا ۰ حيداها في بد الجازية جان
يعموت عنوا لجتا نت في الم عبابلا ۰ بدانت في الى بجة اي جيان
وصفنا عقار كوبدح الاكادي ۰ وما البستهم ثوبا امتهان
جعلت كله خنق النيار في ۰ واهل الرجح كى دركب الدمان
بكم مبين فركاهرت منهم ۰ كصور افق ربا واقتشان
نكسوت جيعهم واللقام الا ۰ في بنابه الازاب الجنان
والكلفنا الاول بالسجن حتى ۰ تخلت الغفا عن المسر ا ف
وللصوما نا فراحي بنا الجسيا ۰ من البيضاو الذهب الحسان

وجمعت الصور بها وكانها · اليك من الاذكار كالجمان
يوازنه مع حبه ابدا بالاجر · صلاة المعنوية والمعاني
وادوار الجلال وكل وجه · بنوه انا يحاس بكل جان
وكل اسم علمته وما لم · فوائد ليس يحصى بالامان
وحقك كم خفي الي ابدا · تشيع الخلق من انس وجان
من ابتهجت به الاكوان نورا · واشرق في سماء الدينا ان
له الفخر المنيف المشرف قدما · على رتب تسمو هو بلا دعيان
ومن ركب الصبا قصرت عنه · كعقبة عن المقصد والاحسان
ومن حاز الحبيب به كتبا · وفاق المرسلين الجان
بشير الشفاعة من الكرام منه · وكلمه الجبار بلا لسان
وخاطبه الفرائض بما فرضت · حوى منهما لعنصر الامتنان
وجنى فتاره فوزه لما · يجزمنه سوالت كالجان
ربيه شكر البعيني بلا امتنان · ومن شكواه ابهج بلا بيان
وحق الجنوبة للمشار بكاتبه · كما باح النسيم بلا فتان
وجاءت نحوه الاشجار تسعى · وحلاه الحجية بالعنان
وبات مع البكاء وكل دال · له عشر الالاء عليه شان
وحقاق لالو للاحباب كصحابا · ليوث الحرب يبوح الكمان
وحق الطالحين لكل مخفي · وجلة او نبلاء الدين وان
امير المؤمنين ابا حفص وفيا · بسهو وكن له كل دان
وسرده لما قد كان حبيبه · صلاح الخلق قاطع ودان
الكل مالك الحي واقتهم · له ببشارة احسان
ومن الجلاس النجباء منها · ينفع من حوادث اوهوان
صبيمان الرضي سلم ويحي · لديه الخلق من انس وجان

انى

انّ حمود بلاغة المرتقى مثلا ، يود له ابوه من الا زمان
وكن لمجد الامون ... ، بجلد رمق حي وما والمنان
وعطان السماي ادى علاه ، نجد الزكي والسبع المشرقي
وكودا و بسما عبير حسن ، مغاليها الربيع بالرق ... ا فا
ابيو كما له من كل زهر : ومن عبق الورود او المعاني
زففنا اليك للاعذار عذري ، له العذر المبين لدى اسنين
وما المستفاد حلال المعاني ، ولا حلل البديع ولا البيان
لللا نبرحك وهي تحكي ، لغافية تبغتني بي ان مستان
تغض وجهها منع حيار ، بادرا دارها مجمعهن اخص ان
مخافة ان تعلماها بذهنه ، شيء ليس تلك البيان
دعني رحلك مرا لنظها ولاح ، وانك لافتة هارها المستان
ودمت مع البنين فما عبق ، تثنى اليك ادكار التهاني

وقال الاديب ابو العباس احمد سميد

اجتمع الخميس السابع الميمون تلاني الى ببعينا البهاء يبه حلى
اجلو ثلاثا ساعة منه يوم اختق الملوك بني الملك الاكل
هي الدين خمس ابيات انسام على كل من بيلا لم نجعل
واجعلهم في عيني ميعاد اثنى والقلب منه بنار حقو بوصل
فلو رفعوا عني ... مورحا ، اخيم بحده يا رب بين علي

وانشد البداه من جعل الراي المعتل بقول اجيب ببتم له عمود الفاني
وهذا ام جيت جرا

وقال ايضا

هنيا ونشري الى الرواي بحضا منيع حوته بنوك
جلست وافنا وحبر محل حسن يا المعالي ويوم رشوك
كساك البلاد والبستهم فلابس حقق تنبر الشكوك

وما عزا إلى الجار تاج العلا • حتى تنجم نجم السعود •
ملوك بني الأيام تحت شخصهم • بيمن مبارك خداع مركه •
وكان بعض الملوك من العرب أما الرئيس النجم الثاني يعز القلم •
وهو ختان الملوك وادعاه لنفسه وكان أدري هل سمعه وانتحله •
أو نور أمنى جيد مع صميمه وبيت ابتنى أن أحمد بأبيات •
حينو حل به إلى بعض مشاربه فقلت •
• نختن أولاده مولى الملوك • يداس كالشمس عند الملوك •
• للأبين والدنيا من ورائه • شغلا يتسع مثل دار الملوك •
• نعضان مبني زاد في طيبه • وعذابهم للسمك حفار جوك •
• رأيت فيهم كلما في نجم • كما رأى فيكم رجاء الملوك •
• معي غداة الكهم تجتلي • والذي تاريخ ختان الملوك •
وقال صاحبنا الأديب أركان الأجل أبو عبد الله والسرخاوي •
هذا هو أبي الكرام أبي يدا • ملائكه وإنس وديه طوبيل •
• أو بيتان محمد إبراهيم الأولى كلها • وسعوا بالسماك له وصول •
• بختن لو كان حسنه ثناه • فيدور اللاعب إذ ركبه الأفول •
• لا بناء الخير وينه أخيه • عليكن منا له نجد زانت ال •
• هو الملك الذي يبنى المرجى إذا ما إذا بنا أي رهول •
• أماه بأن بهام بك عماع • له خلق كما أحمد جميل •
• وشغل دائم بعلوم دين • ولا سيما بما قال الرسول •
• وأكبرتُ به رفقا ورفقا • حكم به وجهها جارت عقول •
• وبالإداب معرفة وفضل • به فحله الصدق أو الجهول •
• صبي ألمعي أو عربي • فيه ما ظل جمع جميل •
• ما زار بالعفاف ملء مله • بقاء دائم أبدا أو سهول •
بعى

يجبي حلم وفي نجح وحزم ، وفيه الفضل يبعد له مثيل ،
له ان اخ الجاني عهود ، تزول الى الجبال ولا تحول ،
لعمرك ما انا الى ملك لنا لوين ، فساو بالصعب منه والذلول ،
ولا يجدي من حال الى ابا ، لعجفته كثير او قليل ،
ولا عطايه في المال كذا ، هو في السعد والي الاجل ،
والجلاله حيا ولا عشي ، لوى الهيجاء اشبال فحول ،
ملائ الجبله ابنا انسا ، بعاقبة الى الحسنى تؤول ،
ومزاهد الربي بادعية ، ولا ذهب ببلوع ولا فتيل ،
ايا ملك الورى بهية جيش ، به العلياء تاهت والجبول ،
وتحت الملك وامناج المحل ، وريح الكامش واشبه الرفيل ،
تقل ان ابدانه والجند المعتول ، تحرك والاشاعة والحبل ،
بالبذاك رواونهن بوصل ، امور المسير تقدر بها الكهول ،
يوم بهم جيد بتك بسرور ، فطل العيش مد انبت فبول ،
وعيد له من عشاق فواد بعثه ، به اثر اعداد واقسمه الخليل ،
ورمن فمدلن في زمن عبد ، انا القاري فيهم جميل ،

وقال الكاتب

ابو عبد الله محمد بن ابي القاسم بن غانم في ... ان افتداء ومقوالي زخشت افصادا ،

وجيد الله حو ما بحصاه ابو ا ر ا ،
بيع اصلاه الدراي نور دجعتني ،
والبيع الدهر بالاحى افى رسى ار ،
عن صيغ حلي العواني من عيشته ،
ومن جباه نعده الى هي معطمارا ،
بني الحواني مالئة من مستي فشم ،
والكيمي نبرا من الذي دبه الصوار ا

باريها الملك المولى وخايله ، غيثا يسح على العافين مدرارا
هذا الخليفة الذي زينت محاسنه ، وعم بالجود اعلانا واسرارا
ابشى بهن ملك اقالك وجران فحصفت ، منه الندى وابو نار العصى ازهارا
والسعد ما زال ببدر السعد مرتقيا ، ومن ترى اسمى بين الملوك انصارا
باحسن من جاد بالنعمى به تجلى ، وهو تجلى بنور الامور اسرارا
نصر به الدين العالي يلى بن نبله ، والدين يسعى من بيداك ابد مصارا
ما كان في متن جيش منه خصا ، وكل شيء من بدى تم مصارا
فحفظ تقنيتك بالرأي اخ ذاكمه ، عن زانه تحف عن الافكار مضمارا
حيات تفيلع الاقوام رابعة ، ولم ترى مثلك بين الكتب ابصارا
جاء من ادا الحسن ليد انشا الرضى في ملاعلها يبدع يا الامال او صارا
دامت ايديك وللابناء داخلة ، وقوم طه رسول الله اخضرا
عليه ازكى صلاة الله طارقة ، شمس النهار وجه النور او ظهارا
والد الدين والاصحاب ما عبقت ، ريح الشمال وراق الزهر اشجارا

وقال الفقيه الاديب ابو العباس احمد ...

هذا ربيع الخلق طامع البشرى
بجنتى بنير ابد انشا الذي منه علا فخرا
امير الهدى المولى الاجل مليكنا
مليك بدى المستند الشم والصدرا
هو ابن حسين الحباى من حلا مدركه
يعانى املاك الذي ابدا به بجهى ا
امير عليق به الوجود خيرا
وكل سما اخمس الشهب الى همرا
امير الجاه والمجد والحلم والتقى وكل جميل ما عانيا به ذكرا

8

له الباس يجري او تمايبني العلا

ويهبته من دون ان يعمل البتر ا

اذا خفقت راياته بجيوشه

وغادرها الاعداء في ذاله ذعرا

يعود فيصفو عن الذنب قادرا

ويعدل من ذي الذنب عن ذنبه عذرا

له همة عليا تعلو الى السما

لا ينهد ابدا اللين مجتنبا كبرا

اذا رام ملوك الدرج ذاهبت يدركها

بلى علي بأشائيه به جسما

عليك بحب العلا بجمع وشاد

لكن جمعه لم يوله ابدا الهجرا

اذا عمر الصلاح تالم تخش حادثا

فلم يد في خوف العدو فشاسرا

بلى منتها الا من الذي راع وجعله

ولبس من امن في نم ساقها ارمى ا

ويسبي احوال الاجيال حيرا به

ويعض على حلم وقواهكم الصبا

يعي بسمعه قول الشواهي اعبيا

ويكرهه اذ نبه عند الخنا وقرا

يبني ما زاد يده عن الدفق والهوى

ويجري بحلمه القول مجتنبا سجيا ا

له خلق الاموال حالكه ورأي رشيد دون ان يعمل الرعى ا

بديهة ذكى فى ابلس وفى صبر

وللكتة فى كلام كلامه ادر ... ى

وفي الحلم اقضى احنفا وكرانضا

معاوية الفتى بالذاته سمر ا

حبيسه حبيبي زعوسا زكورنا

ونجوى تي فا ان تالق والعجماء

تذكيني حبا وتيتّم وهجتي

ويا يا لسانى بجاه احمد شكرا

ولاكنها جلت عن كل مصنع

تصدى لحسان بى وزن اهاه صرا

وارض نعم نصر الخلق احبى مولانا

تحياه مهما لاح فى موكب سرا

بصار كلمي بغية البشر والهنا

وما احسن الوجه الذي يصب البشرا

اراه الاله اشرح جل جلاله

تنبه ملوكه يفتيون له الامرا

يكهو الو شبا اذا يكه يعون اى

يبشرون من الكذاب ملك له الوزرا

وفي حوزنا مالي من امتثالا وكاعة

وبهم اى اه تحتا احكامه الكبرى - ا

بحق وقى منه العيش بالمجد والجدا

واود الحبى منهم لم ثال تنصرا

ابيضاهوته بخضى وصبا انت وبهم يفوح الذى بستتخج البرا

وصل

وحلم وعلم لا يشاد به بشبهة ۰ وبطل فخار ليس يتبعه فخرا

ويوقظ على الانصاف في كل فعله ۰ يشاد به يبقى له في الورى الذكرى

بسلطاننا الديان شاه ابو الوه افتخر ۰ فيا حبذا في اعطار حبي اثر الذكرى

يدني اليه المدارك وفينا بيومه ۰ ووفق الرجال الحق لجتنبا وزرا

ووفقنا الانعام الذي وفى بيوم فنفصا ۰ لجهاد بالنفس ويكتسب الاجرا

ووفقنا لدرس العلم حتى الذي رقى ۰ ووفقنا لحب الذي جنتي به نشرا

حديث رسول الله حبيبنا الذي ۰ روايته كراية على المنتهى تسمى

اذا ما روى ما به الاملاء روايته ۰ تستقي كل سمع من الحسن في اسرا

بيجا حيد الاشياخ بيد واحد ۰ يدخل عجب في التسبيب لا علوم القهرا

فلا اراد الحق وجه رابته ۰ تحقق فخا مبين مكتسبا اجرا

علو سعدهم وخلد واوسعهم نسبا ۰ الا مغرا بهم يستقى الاتي للاخرى

وبيضاء يلي لا يعار رضها الجدا
ونبيس له بالتيميي الا قرب الحسن ا
وما عبيد من عيب سوى ان وجله
كفتني مدا الاجيد به خشي ا
بجود الغوالي عند مصر مو تحسر
بخوض الدهني بلا جيبي به بجسوا
وقائع المعاني بان دجاع بي بيتا
تورث ذا الالد اب به شعي حسي ا
تي اوت لعين الومي كالشمس ضوءة
وتنظم من الابحتري نكهات شي را
تدلم كتاب المديح ابه التنفسي ا
ونظام فني المدح به مدح الشعر
بلم نعن بالتشبيب به مدح لمسا
بذا زعيم البعغ بلم نستطيع صحبي
حبي ما يقع الدنيا واولاكها الدوي
رفوا به المعالي ثمة اقتصر والتسي
بلم ار لعباد شد شيلا تجمعت
خصال له كالوسي لم اوصها الوهي
حيث كان سيف الدولة المرتضى معنى
يسمي به لبيا في السيف والشعر ا
احق بان يستلان السيف دولة هاشم
وشعر ته بالعباس جاوز الشعرا
بقوا

وهذا من نوع الفلسفه

ولا تجز سيف البغي لبس الكبرا
فسوى من بنى الذى كبى سيحا وهبوا
لو لهم بالله مستنصرا ذخرا
يسهيه صيدا لولا الليوث اهو
لتنصاشر بالة فوجانب الصحرا
موذارك مطروح لاهد فيا دو
جنا به مجدا يبذ الدكسرا
بال انه انى هذا المليك يدعى فضا
فنال زعم في التجى اجتلى له ذكرا
يبوى المدح يجيب في ازدياد محاسن
حبى واد مخلد في الادكار منشورا
بجارة ادكار الاوقات تسيعا
تهنيه بالمدح الذي يبثيه الشعرا
من الاد دا الالمعيين من هم
يجولان تبيان امداحهم فخرا
لهم بافتزاري البيصان تقدع
ومجال خطاب بالمدافع فوازرى
يجز من فنات ادوكى يارخى اخز
مخدرة غيداء حاجبة بكسرا
حسن حسنها الوضاح بالشمس في الضحى
لآلات لعين وهي لم تع الخضراء

بعكسه وقد زادتك بالدر حالكها ،
فتنظر بالياقوت فتنفع في الشذور لها ،
يزهادي دلالها بالجمال والحلها ،
وقد وجدنا كمثل ما كان به الحلى ،
يهتز بين الاخلاف وابهة الحلا ،
كذلك العذارا اولى به فراد في مصالها ،
فتنته مع الاقدار ما يعجى وارتشفا ،
وتبدي جيدا وهي باحزابها عنبرها ،
مكنونة بالمجد بالكل زاهية ،
على حسنها زادت ما يبدله وشيها ،
تنادي بدولها في الملوك وحليها ،
من الدرر والياقوت بها حفت نثرها ،
بالعز الى الملك السعيد موبدا ،
منبعي بحمايت بيحب الحبيبي والحبيبي لها ،
بجاه رسول الله سيدي الزكي ،
نشرا ذكي الاذكار منا بيتي الصلاة ،
عليه صلاة الله ما فاز منشدا ،
هنا يعم الخلق كلهم امح البشر لها ،

وقال ايضا

هنيئا جميع العالمين امام ، واحد بكل وجملة همام ،
هنا ملك من جاء بنصره ، حيث الاله بالرضا وسلام ،
نور المجد العالي محيي بالله الحاضر ، مولى النجابة والذكي الهمام ،

نجل

بقل الامير حسين بابي المنتقى • من عوله بين الملوك عصام

بعو القنابر الاسد تخشى بطشه • دون الى ابي تسميدع في غمام

بقطع القبائح والعقارب من القضاء • في ارضها يجني الاله وقسام

بالشاة تى تحمو للتاي داهلها • بالارى في ظل الخيام فيسلام

بلاجلة الزدحم الاتال قسوهر • من شاسع الافكار قـ اد زمام

متنجبين كلا حقة وذكر • بجمع نيال في الامان فيصام

بالبيستوي ما رائحة روح رعيته • بلالى دع مجيب مع الزمان هام

بومنا امتى دالخوب اعنا واحيتمي • بجلاء من فوبقطة يسنام

بوتواتي اربا سطوة ببالسم • في الله حق جابر الاطلام

ومن اعتزى في الدين شمادا طلا • خضعت له شم الانوف وطعام

حاز المحاسن بالمعاد وسمى بها • فتذكها ملكانه بعسراء

متبا بوابزكد عقل شا ضب • تجني بجنسي حديثه الالف للا

خلدت امو الافكار في جوالب • اخبار الحسن وهو عطاء

للملك كوابه تقوبى اى • والعلم اوانه وبيه عشراء

يحويث خير الخلق فيه عصارته • بلزالى لحاوانه يعتصام

بالبورابوح دالجا مختار • بيشهادة الاشياخ حين لى ام

امدا الحيا بشأنه مشوابي • ومنارة الايمان والاسلام

بدعواه ذيل ما يلم بربيته • بحفلا بما يراده السلام

هذا المحاسن كلها حق عشرا • ودركا في نحفم الاعلام

بسهو احقة يعفو بيها سدايس • عيوبه اوخلعه عـلام

وبشا تقتر جميع به الحجج الوري • وببين الدين الا نقى الاسلام

وكتيبة المنصور هند ليثها * دعوت لجيشك بها الاملاك هشام
ركبت مدارجه البلاد واصحابها * وتحوز نفك تيمن بها والشام
اثنا عقبه اولوا النها ولوانهم * لمكتوا اما ائتنا الروس والاعجام
جلب النبي العرب جابيا رايه * هز لوائه بتونس الاسلام
من كل ذي كبد عن اهل قبيلة * زفت الحبيبا من النصا او ام
في كل درب منبع منشر بسنا * من عشق للوار دين حرام
هداه مجيبا من مكان شاسع * ما دارهم من قبلهم الى كعام
وورد الورى بسلسله بسهولة * من منزل معلى لارقتا عن سلام
وضيف للحيي اللذ ورد تابه * اخبار سيدنا عليه سلام
واعلاك بلا يابى الاعلان مكارها * ربا كمايي والهيب علام
جاد الشكي مواهبه في دك سواهبا * فبمثل ذمامها تايد كي ام
وراحمنا لحتى بنيك املاك الورى سعلت بهم ويعوالك الاجسام (الايتام) (الاقوام)
ابقاهم سبحانه الى عشق ة * يبعثونا ما تدني وانفت اما
يتعلمون مكارما حولتها * بالابداع وجبي عي سوارك ة ا م
يرفعونها بعد اليم ومنا عتنق * بخلال واليد بذرك همام
حتى ترى الكار عليك منهم * وحسس في بنائهم ادحام
حي اليه توضيح وحكمة عدالها * ويلتي في كرب البسا رجام
حي في ابتهاجك بالذي خولتنا * من قلب ذي مقت دعاه قمام
تقضي بالتي ضي مادنتم موفق * كيما هتز الوقت الفلك جيد دمام
من كل ما جعل التجار دثاره * والركب جيد مع الشعار همام
في كل حين رفقه الحق كي تنز * لاتنثني ارمالها السلام

وفيا اسير

وقيل في شكر لك دائما من منح ، من كل ما اتحفته به الاحسان ،
الازلف في التوبة يصحبه الهدى ، بنجيه في حرسك الى الاعلام ،
فيدركك الرابي تدوم مخلدا ، ويكرم من رب العباد سلام ،

وقال الفقيه صاحب الكوالش

ان الشموع اذا نشرت ابهجت ، حسنا فتنمو وتبرى جيد الشر

والشمع اذا فكه مضلته ، في داره نورا يبين القلب كلا بهو ،

كذا الربيع اذا هز بعد انقلمنا ، دعو فتى كافتتاح الصلاة بالازا

وبعين الختان رقي للصبي الى ، معارج الى شو بعد الوجه بالصيق

بعبد الجليل له الامال كما بعث ، كما انبعث له في سابق الشعر ،

هذا البتوا احسن ان وبينه معهم ، تي وكيهم بزوات الشعر والخبر ،

دمتم سما ببلا غيم ولا كدر ، وهم لكم زينة كالانجم الزهر ،

هنئ تي البنيه ابنا سم عذرا ، من السرور وتوضي نماية الوطر

بحرمة الملاح المحمود مني سنتي ، السيد المصطفى المختار من مضر ،

ه

حمى الاداب وحمى العالمين هدى • ومن حواشيه سور الاكوان كالشهب •
عليه من خلع الفردوس ذا بسمة •

وقال ابو الحسن عيد الغزاء من القلادة مدح الرسول والبكى

ما الحياة ارى يشفي بكم ازلما • يذيع حبي للاحبابنه ادلما
وبدر عشق دريبض مدامع • بو مبتهج بي في منه حين تبسما
بين جفنه غصن الشوق في بغير • وبينه في كر الجواد منهما
بو تلك على ما مذكر حبيب حبيبي • يشبع لجار بادئ عيسى وتعلما
بنت ازمرار بدا يقطف مدامعي • والليف جيد بر التعطي اذا هما
بلابل بل الورد النظيم تحيرة • يوما لذا يسقيه من ماء اللما
والكل العبد جار من وجهه • ها روض من رائع حول الحما
هاما المهي دمن هواه بما التقى • من حمر مقلته وحيد لما كتما
ان مرور حو جميلة حلال البهاء • في كر التنقا الفلق صبا مغرما
حلى من الليل نعوا وسلما اذ • له واحلى عليه وسلما
يحضي بحول فوا مسر فتخال سرة • علم الدين تلاء حين تقوما
ملك الورى الجلاء من عوا • بل من بماء الصلاة بنا السما
بلل الدين حبيب بادي من سمر • فلم ارض عيشي بلذ وانعما
ملك سرة هش وحرف في اصغر • تشرح الراى الحنفي المدهما
في ت الصوابا في ايه بالايه له • بوحي ولا كن للاحاديث الكتما
ام يحكم من فول ولا يعل ابدا • يجعل حو يوما عليه تشرما
في في حي بني الفاقة تذابت • وبحاله بوف الشؤبنا خيما

شاب

شجى في قلبها من حسبنى هاليان ، نشى في بعض شي في العيش قد فرحا
ما ازعجك بروع وجود كجمر ، يجري في القوا لوما ولوما بالوما
تحن الى دار بها الشوامخ الهطا ، بيوم التوالي فما علتهن تحت ا
ما اللث رام فتنها ذكر ما جنى ا ، لما رأتك لدى الحروب وقد رما
وتبارا السحاب الذي يحكي نيلكم ، لم يحك نايلك السحاب وان همى
يا من اذا الحق قد عز كشفه جهر ، ارسى له وكفى عليه منجما
يا من معاقله الحصون مد يجمر ، ولو انه بالاحضر كان مكلما
يا من اذا دنت الكسى الشفا ، بوجه كان الغمام مغيما
لولا احتفال الركون دهر نظامه ، ما كان ذيتك في البرية معرما
انت الذي اجباذكى كم فوعلت ، بلاد ما الشيبلش والسما
انت الذي انوار قلبك رفعت ، كادت لها اقتيع تقود الانجما
انت الذي في وانات معادك جاورنا ، بسبقها وكذا النجوم الادهما
انت الذي وجوات جودك امطنا ، بيننا ايلم من كلنا اتى بحر اركما
انت الذي ايات حمدك نودعنا ، وضوى مجازك بدالا قاسما
انت الذي يا رجاك لو نشرت عملي ، رحم الغيور نشرت منه الاركما
وكسبنا كرب الظالمين بلاية ، احوالي من دهره متظلما
وانت اذ كان العلى دهنه الى ما ، جيد النواحي ركنه وزهو ما
مولاي يا حفيدك الخدام ان اخيل ، مشرع الملوك ثنا هتو زكى ما
وهم سليمان الحمى ونقد فسر ، جوده النظم ذكلا منها
وانها الجيد لجود و[illegible] ، بدري با سماعيل انت ابو[illegible]
لوتناد ملكة والصوت اجيمس ، شهب اذا الليل اشتدا بر الظلما

موسم اذا جاء الى مران حبا ابيه … كل لذاك الجمع اجمع بي هما
خفي بها علم السما وبنو بصر … ارفع انى للوداع وداك ممالما
وباشى بليه ابنا موسما … للوداع مدركين واماك كما
امسى لدلالة الحشان فذاهبين … في الخفى مسال دما وهما بركسا
يشي فيها على الالاف الذى خفتهم … وتموسرنه بي عرض العضار لها
ابيهم الشي بها الى مبيع من الاذى … حتى اى اذى من حوله الدما
والحق ثقيف يستنم بحار سما … واليه تنقض كيما جاء بتما
يعنوي الذبال بعظه والمدكر فض … بذكوا بها بذكيه عندنا
كالفه للافلام بهم حين بيا … ايداوينوا النقض سما فسا
لم يدر كيبا الليل وهو يقشي … واللذين اصوابهم دالجسا
موعلون سمهم بخفى بنور الحدرى … والمقت بينهم بالسمة موسما
وكسونهم حللك كالوفي بحار سما … وبمن حبهم الابوت الاذما
ويحمد بدار الهدى قرات كل بقى بلم … فيستقي ببيس موسى الادم مسوما
ووكيك ايسى المذنبين يا امهم … بذا الحذان والبيت تلك بجى سما
اسعفانا حفك بهم وعزوتهم … حق الورى للذاية مستلى ما
واروث من هوا الصنيع جميله … قبل المشوبة للاريد مرسما
بو لمه موبه واهنا هنتا الم تال … ابرابه حوف الملوك وحكما
يليه الملك الاى مكا نشر … والبه تنفذا داعمه مود الخيد فيها
حز مدح روض يه علاك قدها … من فيض كيدك تلك صور ممما
واحيى الحبوكة منه ما الحتار … واجعل انظارهم ارضى قبل سما
ارحى ملاذى بادعلا ارحا لهم … ارجوا بهم بها بابا بي معلما

تنوينا

به سما

جاء الله

بمعهد حياتي بالبين وكن بهم * كيف تبيش للآمال منعا

وقال ايضا

خنتان بالمسى تزاد عن ٤٦ * وراح للقل دلم يستغني

بلا نجال الملوك بين جبا بي * على ثوبا الملوك زاف كمي ز

عليك لم يا ام ملك كالشمس * اغار عقلا الرجال نجني

ولنا الشاربين من ذهب تنزلي * وفي جبين الوعلا والملاح كنى

بعين الذي في الدعلا دينه كارا * وفي الذي فيلمق الاملاك في ز

بعبد الله في خنق كرى جيم * اذا اراد في ازة اشدها حشلاه في

تتبع ... المختار جيش * ولم يعد الى ما اشاد نبشر

واتبعه لخنق بين ابي اميا * والخلق من بين البطن جي

لعز علم السادر بشاد وكل * دصغى والسادر هو دبهي

مودي خنه انغ بارعي جيسلي * مل رخم خنتان دايم يحي

وقال ايضا

حسن ورا جنينا وحسن الحبيبا * اعتاد الشباب وزاد المشيبا

مو فرم كل الموري الغسم * بلم في بو الخناس شحط كيبله

بلم بيتك د هي الخوجا جنم * ولا الوحش البين بوم اي نباه

لخنق بنبي المداك فعالم خجسم * بهم بين نبين الدين بوما خير بيله

بالسود شهاره وكي مسرا * شمو سعر خشن في العلالي تقيمه

مسلبه نا قيلوه حسودة * وكلا ملبكا اشتداي حبيتا

ايام ارك الرمقدا ما هداوكب * بو الختن قلبا و مولر حبيتا

مواضع لما اقلب نار بجسر * حسان بو زسه زادي حبسا

وقال ايضا

خفق الخفان على … يبكي المليك المنتصر
في ثلاث من صفر ربيع … من رابع لم ينتصر
حين جا من ثلار يخشى … خفق هنا في داج بسم

ورمشار بقوله في ثلاث من صفر ربيع الى انه وقع في السلاطين الله الله من ربيع الشاربع من الشهر الى رجع من السنة الا انه ذكر الشارك وهو وجه للعارة عن وجه بلاغا او نحو

وفي هذه السنة في مولانا ابي الله نعم محلقه الشتائية وفي مع ابناء وحبلهم الله تعالى وهو اول في جمع في حيوها معه وكان ذلك يوم الاهر لسنة ذلك في رجب وفي في وجهه يقول الاديب احمد بيشة الكلاني مورخا له

هلت كل بلاد الجم تعلن … حلول شمس الضحى دارة الحمل
انا السرور اذا امنت من شرب … سنا الذكر لشمت ضوءا بلا مهل
بدور نعمر كبير احمد مو سما عو بهم … والملك حلاسم بالحلي والحلل
يجيني احمد الامرتي علاسم وتحى بهم … فاعين حاسديهم بالسوء لم تنل
يخوض اعاديهم جلد لتهم … والحق لهم يرفع التمام ذا الجبل
بلا ليالي والسرور والى هل نجمعهم

ايا ابنيه

وبالنبيين كلهم وبالى صلى
وبالملائكة الاخيار باجمعهم
من الاسلاة والاهوال والكسل
لهم تقول العلا حيث وجب لهم
يغيرهم من بين الكلام لم نقل
جل المسامع والسمع من مورخهم

فالشيخ حب الدار الزمن على
وقال يمدح من به وبوزر سبل م شعره

يسعى لعيد من الاقبال • من حيث فشلت نومك الا مال
والسعد فشل لامك طايع • ولكل شي فشله فعال
فارس به حب ام ايدك الفنا • الا ومعها تذهب الاهوال
فالامن لابيك عنك دفنت • فاهنا لك كان منه وصال
والبين حوله بدايد فيه ملاحم • ما عنه ملك ولا الاهمال
وتعيب بين اذا فقت تجني ل • جم حالا كيله كما هطال
والحب يخفي منه وجه مكرب • والحرب يجني وجهه الصوال
يسنا مجارك تبدو لكلمة مشكل • وتحسن زادكم تخشى الاهوال
فاذا ارتحلت اذبع وطن وحل وجل • عندك الصلاة ما لها حال
واذا الفت اخيه ورمى وا قد وكرد • دويع بك تخضع الابطال
بنسيم ذكرك للاحبة منعش • وحسام نصرك للعدا قتال
الله انتج منك جنى الصور • وبعده اك تنتج الاخبار
بالحق وانا اخذوا ابديك وكسارها • والليث تاخذ بجدعه الاشبال

بدايت البشائر ابو الحسن الذي عرفت من اللامي لم الامثال
بشارك بالسعود السعيد في كل عام حبا ويصحب ملكك الاجلال
واهنا بر اه جاء تاريخه سعى سعيد مده الاقبال

وقال ايضا مورخا

ركن عر في ذا العليا علي
وسعادة تزهو عواكب يشمل
من والنه وارغده انتبه وافعدوفه
وانظر وسعى في جمعه جبار علي
يبني العناية !! حصنه وكل من
يحصنه صدر مقصدا لم يجصل
يسعى السلامة بيد يحتم بالثنا
وابسو عندها ونحا جنبها يعتز ا
بدار عمارك الامن قلت مورخا

وانتها مولانا الى الركين وادا واقبل به واحسن الى اداها
سعى في اعلان المدارد الى با الرد ليس
بواني بمطالب وارسل وريه الاجل رجيع في تواد الى الجي جبر
بحفة الرعسكي ورحل ليجعل الى حضن من خارجها بيوم
لا تبقى عشية ابيلة يعيق من شعبا ان وقال ابو الى سريا الدرك
بعقبه يعود دنه الى حضن فنر
تبسم وجه الارض وابتهج من ثغرها
وفد لاح نجم الله عم كل الانجم الى نهي
وفد

وقد ارجت ارجاء تونس والفلا
واصبحت الخضراء في حلل خضر

بمقدم مولانا ابي الحسن الذي
يجل علاه ان يدارك بال[illegible]

وفوض في اعلائها وبنائها
وكادت له تبشير النخبة بالجهر

ولولا اتاها مسي ما عنز حارتي
لصارت له من شئ فخرا او نسر تسمي

الا ان بيني بيني عن العصب شيبي
ونحن قبيل ما اي جوا الوصل بيني

والعشم من للاقاء بيوم منزوم
وقد بلهم يشكي من حادثات الدهر

ابيار اصرا سعر الكواكب خالعا
وكالعين دفينة من طلائع البيلا

بمسند الوجه دري له وهو درة
الا ويا نظن وا النور يجمع ذا الكر البدر

تراه على شهباء صافية اذ ا
وتنا جلانتي الشهب الجواري اذا نجي

جوابي وجبر الى يم حاوالسنة له
ولكن وان الائم حاملة البحر

ولادنا به الجالس الائم مثلما

تزري بدرته حببا بالانجم الزهر

او النور بالياقوت حببا من حصا

او الليث محجوبا بانيابه الشعق

تثنى خلعة الاعلام والنجم طارب

من خيد فيها زعر وكان على الالاي

يمسالكي السعد الشادي وسلاحها

اضاءت هنا والاسد تبلى بن بالذهبي

هذا الاله الماليك وحاشر

من السوء بدالامصار في سور الترك

بجاه رسول الله افضل هذا ارمع

اذا ما اشتكى الراجون من ثقل الوزر

وفي هذه السنة ارى الله تعالى من كيس لي بسم الجهاد
في النبي وكان انشاد ويما بوله اسواد ورجعنا الى النبي
شهر ربيع الاول وذكر منفى ارة في انشاد ...
يستوفون ابي عبيد الله قرا نوريني

اعدها هيدا من جيك توج اللوح • تكاد وجوه الغول تجلى مسلم
جلما اذعقنا في الخضوع لنبادة • وعشت الهوى من ثغرك المتبسم
فصور السلوى عنك لي يستدافوا • تشكوا ولاكن من فخار مظلم
بالغداية حسن الورد دونها • حسن الملح عودا الملبس
بلغ الشوق نحو عطفك حسن • حين يجهون الى الرمان فخم
وارى نفسي يرضى بحبك جاهلي • بدمع على جفني نوفي المتيم

جسني

حبيب عليك وقد ملئت من الذكرى * فمهى لالفي قضيتني بي الانجم
ابكون لي تبيع الطوالع ما تجبروا * واروح للنسرين ريح تتيم
والطالع الذي جبيس كبيعا قد بلغت * في كلة وهل استوى في القول
بو قتيب كم في الجوف وما ارى * لم يغلل لي حار وجهنم
اذ كنت لي يا حبذا اولي بها * دار ابن الحسين من قضاء مبهم
بل حسن وجهك قد رايتك حالكم * بنجاح ابنيتين وفي في الفسنم
بجعلته بيبا احلاو فيه بتبسم * وزجاته بابلج قال ومعجم
ورجوت جنتنا الذي وكنتم * في ليلة لبيلد ويوم ابجتو
بمعنى بان التعتب اصبح كلده * دار ابن حسين الذكي بن الاكي
يبقى لا وحد في الكمال موصفى * ملك السوالكم والزمان والزهم
بمسعى الكلا جيثا كلان وان ديم * في الحق قام قيلاع صعب مقشم
وادي ارماض من الحبيبة تكلم * في البشارة لا اخشى اعتزاه الضيغم
كم ليلة قوبلته بها ساهرا * بجوى الاماني الى العيون النوم
من يعلي ما يجي ولا يطلي ولا * جور ولا كبى اذا لم يبتلي
يبقى الاذات بين سماحة حاتم * وشجاعة العبسي وابن مكرم
والنالهم من حلمه وحنانه * ما الا بكونا ولم يكن في الامم
ويبر الدعة اينترى ابا الله الذي * ببعث عن ايدي الطي بق الافوم
في ارا اعزاز عندا في حسن * ورفقا بين البيت الصهاد والمهازم
واستحث اخضار مطلع نجمه * من عارية ذريته ومن منو حسم
وفي مواطئ من مناجي طوبت * لا تحتوي فيها الغطاة بمجشم
كم محرة بوالدت عن مانحه * منه يجاني بالاشهر الاحي م

حتى اذا ابلغ الاوان جنينه • ووقفنا بمقرب الحساب منتهم
حضرت خلعت كاملها ما يكون وانما • ضرب نابه من بعد طول تلوم
بلا بالذنوب بل بحق ثم مستا • فيه تبغي ابعد منه منتقم
والولادة التمهيد في السنة • لولا ملازمة التقوى لم يدب لهم
حكم في يوم لمن نال عيني • ويفيد التعليد بشكل التقسم
بيا ب الملك الذي لولم يكن • وانشيت الذا يا بعد ابد هي مم
اذ كنتما في وقت منها حضر الملك • واز لنا منه لكل ريعا مدغم
ولعز سيفث مباثا احي من مضى • اعطي كذاك منه بعض تحتم
ولانه اجار من نزل ابلدس • كا فوقه بين الصكور بالمقسم
ان الذي زمانه وفو اعتدى • من قال ان الرجال للمتقدم
لولم تكن احيت كل مختضب لنا • ونجعت منه ابا ربهم الاالهم
وجعلنا حفظ الدين اول حظ منا • نعنو بها وبنا جدك بمتسمي
اتي بنا من علوان الجياد كلانسا • ليس ابا حيان في التنوفة حسوم
بكشفنا في وبا اصلح من حشيا نت • مذكلنا اغنى من في وبا البيسم
وكشفنا منها كل اثر اثش في • وردكات فيها كل ابج اد هم
من كل منجبين لخطبة جار فا • فو كان يسبق لمحة التنوهم
بكل ما يبتك الحكم في استبانة • فيكاتم كلا بعاد من جسم
وحيى الله عاينة بوم لمجعل زينته • وهو العوفانية يبرى شي مكتنم
والحمت عمران السعيق في اسم من • تبتني نحن بلاد السعيد المستجم
شكى تدعو لق الواد محاكي معنوها • حيدا لنا رين اوم تتكلم

وبدت عليها من سناك نجومها ، لما استقلت في سواء الخضم

فتمايلت كما بالغصن ناضر ، تحكي الربى بنسيمه خلال حرم

فتجلت لها من صورة فاركبت ، اعجازها فارقا مقام المكرم

يبنين البشارة بعضها وجيوشهم ، من وحش العقيلين لم يثنت فم

ومنوه الى كانت فوركب الهوى ، بجيوشهم فكر بر منشو يهم

فاذا هوى بدجى ثم استوى ، بما رايت في احل صورة ادم

وبي في بحيي رسله حيث توجهنا ، تفخر اليه قالها عنان الملجم

بحي التجاح لها ووافي وزهرها ، يوم الخميس بسعد نجم المتقدم

في ليلة بهر الشموس عجيبها ، وبحضور ايات الجبابرة الاعظم

فتشرفت به ام الافلاك وروضه ، من عيده ما ليها وفخر التسنم

موجود بين انا الكلاو ومرهيا ، وصبيح احكام لها منه لم

تلك التي يسنن لليالي مثلها ، افقا الى يبس بها لكل معظم

ولعلك استعظمت مولى كاتبها ، ما ذكرت الاسكول الحي معظم

فاهنابه فكانما هو كلما يبشى ، الجميل مجد الله ليسر باغم

واريك من دار الكلام عقيدة ، خلعت بنوبة منحة كاد تتمم

فحنن عن خطابه لم يبرحها ، ووحيد الحرك عيناك في المدهم

وجبين البشار كالطوقيا وازهرها ، وقعنا بهداك وفتح المتهجم

فجاءت لتهنئة الامير وكل مش ، على الامين بر جلاعلم موسم

فاسلم له ولنسله ولنجله .

وقلم فى اجزاء الهنا ثم اسلم

وقال ابو الحسن علي الغراب

بشاير في الاسلام زاد به حسن
وراياته تسعى نورها يزهيا الى جى ا
وجا فوق الدنيا الفوز واذها بها الركب وبني ميلا وانشى عن ا
تسوانح وذكر للعوالم الكتارف
يسار في املاك اصحابه وخسرا
بجعوز باجى من علاها ومعنم
اذا ضى جوانب الحى لوركبوا عشرا
عليها لواء الحق والنصر خافق
ولاكن جهد الدكامين به تحسنوى
اذا الدين الاسلام كبى ابه ترى
جميع العوالم بعماى وانعامهم هنا
عليها من الى لمن هى زمن العل
على انه العلى عون همى زاجيا
عن جماد الجامى ن بها السوى
بدا في جى بيلاح اومغنم يجسى ا
لعمر كلان جيد البعى به الرقى و عاكلا
الا ان رقت هنزيا الشوانى لتحرز ا
بكلف الجوارى السفاين بيسارفاد
وكل غوانى هذه بينها جسرزا
نمى قاب الركبان ثوبا منز لسنه
وفتى وثوب الحق منهم فمر ابتسرا

إذا اسمع السنا امسونا بعض وب
بين بعضهم ويعضانهم وله عمرا
برسمت في اسم حين جرت واحشوا تلاله
تلالت ايال ذكلهم رمسرا
جلا بلم تحتس فاهر لهم
اذ رلاح او تسمع له بالبلد ركن ا
اذا تشان للاكبرة الشجرة لها
تشهونا به العقبان تختطب الوز ا
بكان حارق البار ودمها وبيضها
رجوع هونا انى الصواعق بالد رزا
بها اريد كل كان صوارم بين شفت
والعلامة مثل البيادقا اذا اجترا
بي ا للاعادي بالجذاجيف كاني ا
ولا يحب وجوه الغرابة له المسفرا
جبين صود وابالعذار ومنه جوابنا
جاء بياض الغضه وجهه احمرا
بصون بلا بكاد الجهاد كانه
عجبا ريا جنة الوملا جي بهم وخفرا
إذا فاذبل ادكعارة الحية اتها
ثوارب لا فتها الصود الشل او كج ا
تشاهد بين الصنوف لنا رغائبهم
وتبدى السمر ابا عينهم خضرا

متى أيقنا للفضع بوصلها بها
ولاكن ثنوب كل درس له هسمزا
جوار بابر القاء والغضا دوبها
تباين شك الالاهي وخدها لجنسزا
جميلة صنع من صنيع ملحقت
جيل المنازل قدره جاوز الجبوزا
باب الحسن البيان ما بين مالكت
حسين القرة احسانه يبدك الى زا
سماء من سمائنا الحق وانا النبي منى
بكاملها الرسوى ليستنزله الدين والسنزا
عليك اذا ما اخفا ذلك رافيه
فوقت على الاسداء بنتشر الرفيق
به ملاذ رجح البها والبهي الصفا
ودانقا جميع المعيديين له عشر زا
عليك اذا ايصنا ارخا مخوبين
وصنتنا بها وجادو عليه السماحر زا
وسوى الجبال الشم ازمنه من مر
لعاد تاجيال البلاد من مجم جبرزا
لمنوله ابدا ابواب الاسكندر التنهى
فسلم ملازلت بواي منه بحسزا
كريم عقله به الكشف عن كل غلاتها
ومنا جنا تحبس الطوامع والحسزا
ه

له مشكلات الدهر في جمع جيشها
بلاد او من دون السوا حجبت جفاء
يكاد غمو بحر الاغر ينكشف موصها
له يجتبي السما إلى حاول اللغو
واجي ما نتبع في النظار عقله نشر
ولا علم بدا من قبي قم اجزاء
جي احنه والملا لن يتفطر فيها
وقوارته والروم به في ان قسراء
لديه كلابه ملم اذ كنون اجدله
مدى ما نجره كي امواه كنشراء
وقد سار سلمس ليقضي لما هشتم
لي وخاتم يحوي دهاء الارض موقنا له
بها روضة الالفنت بي ورهها
ولا امسه ذلك الدار افتتح موتها جزاء
تمل ى صهوات الخيل تحسم يدهضها
بدا فزعلا منها وصار بها رحتر ا
دار اربعها المولى الذي يحي رتبة
ويطلب من رضوان ربه العلى مع فراء
ليمنك سيعي للجهاد صنعتها
وفي مولد المختار اجي بينها حسن اه
يثني بها واسعى وان لها بكم
نجوة لي اليه فبلغتر وجزاء

فلله من اهوالها وركبانها
ويالله من شيبها اذا وقفت وكسرا
فلكه منشئاتنا الرقى في البحار آيتها
وفي منشئاتنا الفرح في نحر ذو خضرا
حكى كل ورك منشاة ابتهاجه
ادبي وجواريه به السماء والارض زاهرا
عجيب وفرجه للبحر انما
من البحر فرج وانى البحر مجتنيا
ولو ان نوحا في كب البحر اذ نبا
لما اختار في الدنيا سواه ولا اغتنى
بلى مولد المختار جاء مخبرا
بان الذي نجاة مثله في الورى عسرا
وقال بين الدين والغنم ثغره
دارج به ذكرى الفضائل والعز

وقال الفقيه ابو العباس احمد الحصوري

سعيني نجاة اذ دكت مراقي ومن ۔ وسالها في هامها فقد ومر
وسلها الله الرحماني من الاذا ۔ وابدها شيء له نستنيد بصر
فنبير جيوش الذكي في كل وجهة ۔ وقد جمع بالرفض المفاخر مر
وكل نسيمي الي مع من ارض كعبها ۔ الى تونس والسبع شونا كلوم
في صدرنا حلقا الوداد قد اشتاقها ۔ ها ونعط للامين محمد مر
هو الحبيب مولانا على البارية ۔ ارض من الفتحت في المكرمات رسوم
هليل حسيني ابيات في ظلال هزة ۔ الى البعد الانعى السني نجوم

مغلل

وفلو العناف الى جال ابا ديار * تيسر ليبا اي الدهي وهي قعوصم
ومن خلال البوارمستقلع بي ابيسر * وصار حميدا بالاسوداد زميته
جدا وبالحض الذاي بيتخي بجاه * ومبداه حتى يستعيم شغيهم
والخذ الدهكوا قنوع للذكلله * قو ناه اراوه ورفسو مستر
يبيس بابيديه صاحب رابيسر * بيني خ ب بن هنكعة عسوم
ولاي عوى عند المهتوسوا لجا * وان اكش نابا البعكي بيه هو مستر
يلى بي مفتق للى الزيا را بعلته * بيو قمه تتراكع عنه هسوم
بيتا دج بيا بى، اصلو د، * وبند منشهم جيشى له وقسيم
ويفضى هيئا، سنوسعكة رالعجب * بجا رقاں بى نتريا تلتني سعو مستر
وبى معبر التجار من كل بلده * وامنهم بحول له وحلسوم
واعلى بالاموال من كان خارجا * بيعوم وتكورا يسم وعوم
وراه بعين الناس من شق الاذى * وفوصحو علوا العاد ديانا رجوم
بيا السنة قد خصين بكل معارك * ولم يلف ذو ومعذبر ما بيلسوم
بمعاليها مبيات البلاد الاهتها * بدا اسالها منه البردى وجسوم
تحاك لبسي ثم نشر كل نجوسم * ولو علمت اشراب ما فوق وهسم
تحكي به اجاره كل ما اجسر * ولم يلف تجنسا على الذي فرسوم
لقد كنت جيبا انتواريق مزعوا * يعادي باسواح لها لا السوم
ومن بلبنوح املاك دهى تلفر * كيسا الدالم لبنوح من النسيم
مشوق امتزاج الجيار للناس شائقه * ويحلج الوح الذي لدى لبسم
واني المجو من كل الجهات تنوسر * بلا لازمه لازال تحذلي وحسم
وانجي مخوردا باسواح الحسنى * ومن نلال الجوا والمزوج خوليسر

بني بوي ارما حبه في حشا البري • فيشاهد من اعجازه ما يبدو لمن
متى راح تنجلي ام بدر مدبجسـ • تلوح جبلته والبيان خصيب
يبلغ في منه اسكاره ددر حكمة • فلا يبدو زبان شذور نضيـ
تشوق لسان الاسماع والافواه لكتبه • كشوق الذي يصبو اليه حبيب
وفي ناج تلك الركاب المتجمعين كلا • وحمائم بالشك ار جبينا في يبـ
فلازم حبا لذكي ملك هـ • اعيا ارسى في الحادثات كتيب
عليه من الرسم المباحث عبار • وتتلين في بالعرش المجيد نجيبـ

وفي يوم من رجب في هذه السنة كان رجوع البلاد
الى حوزته وتحلل السبعة الى من اجتمع وهلال المجد الى من ارى
وشمس الحق الى من تركت جوباتها مولانا وربط به النجل
الكرام المنوس مولانا الذي الى بيع سليمانا وكذلك جاءت
عودة لسعادة مولانا من اعين حساده ونادرة في جري
الامور على خلاف من اراد • وبالجملة للمتاد تكون في تجملته
ونفيه في حين الخيل والى جل • ولما اشتد اهل البلاد بي ولم ترفع
بذلك الشغل • وتلونها تحالفهم في تمليكهم ومفروضة فضائل
ابنائهم • وتستمد منه ما وهبته ومن وجباته من اسنى داد
حلية جمالها وبهاية • وان دين اقسامه وكان متى وكم حوى
يد الشد المعتوق في مذاهبه • وما يوح عليه في مشاركته بلاذا
فسمنا ما اخذ بها الذي علمت ان حفظ مولانا دائما هو الدوام
وجوده ابدا هو الاملي • جعل الله تعالى له من الملك خلودا مستمر
الغايات • وخلد هذا الملك فيه وفي بنيه كلها الحق كلما ولم

تستمر
سابقه

فتسمع في ذلك بنيه كلمة من شكاه . ثم كذلك الشيء للشموع .
والباعث على ذلك للحرمان والجلاب لداعية الشوق، والجاذب الى الصبابة
بالكوف في جوع الراحل ليستخلون منا رجب من سنة احدى وثلاثين
ثم لم ير الله بالله المستعانة جميع الرعية واهل والاعاظم والابطال
من باي على رسمه وعاداته . ادام الله نعمه وارسل رسله لرجب
حتى نزل المحلة الامير كي الى الجبل وبات منزلا في الابيض
ورجع ابوه الله تعالى الى حضرته بمرحلتها يوم الثلاثاء الثالث
عشر خلت من شعبان

ذكر يونس باي ابن علي باشا بقسنطينة

اخبار يونس باي حسيباتي كرب منها بعد تمرد بلد سودة ابيه وحصلا
ان ظفر الله تعالى وسيف بان حصر ذلك والشار العصر هنا هنا
الى سياسة الخير عن موته لما في ذلك من رجاء الله تعالى عن مولانا
ديار الله تعالى والكاهل بسعادة جلت وعلو كعبه من الملاك
امرائه بمسعود لا الجنود وبعض الكرفان
لا بلدان الصيف والبستان واستولى الكلل على ذلك ان نسلم
من البلدان بجميع منذ دخل قسنطينة الى ان توفي بها كلمه وصلت
اليها في سنة خمس وستين بلا شك امير ابيه اثر قيامه عليه بعجبه
تونس المحروسة كما سيأتي ومتوليها اذ ذاك علي حسن باي
من قبل كم باشا صاحب الجزائر وتبعه واكرمه واوا
بمرحلتها في هيئة عظيمة ومهيبة وارتاح من اموالهم وذخائرهم ومماليكهم
وحشمه ودوابه ومن اتبعه ومن ذلك من الاسباب التي لا يحصر

متالف الا الملوك فارقا وبها في سنة يتنقل في تلك المنتزه
وبابه مفتوح للوفود وبره كافلة بالتشبه بها واذا ركب ركب
في موكب من غلمانه واتباعه واكثر احواله جارية على قوانين
الملوك. واصل الى ابي دلم الحسن الشريبي في تعاظمه وظهوره
في ايام عليه فلم يحتمل له ذلك حسن باي ثم وقع بينهما وحشة
لاسباب صدرت منه اعتذر اليه حسن باي بغي ودار
وكر دعنه اليه هذا شيئة ثم توفي عبيطي حسن باي سنة وثمانين
فتولى قسنطينة وكان حسن باي كذلك بعثه فدا بغداد على حال تلك
من التضييق عليه ومنعه من التصرف فيها وتوفي في عدة اركب بابا شا
صاحب الجزائر فتملكها على باشا في خمسين سنة ثمان وستين
وهو فار حسن باي فارتفعت مكانه رحمه الله عنه وعلت منه لنفس
واستحكمت العداوة بينهما باشا صاحب تونس وبين علي باشا
صاحب الجزائر وحسن باي وحين في صاحب الجزائر في فصل تونس
بالمحلة مع سولجيها ارضى الله دولتهم فاراد حسن باي
في التضييق على تونس واستولى على جميع اموالهم واسبابهم
الظاهرة وخرج مولانا ايده الله تعالى من الجزائر الى قسنطينة
ليواخذ اهل الخواص من اهل وطنه ويجتمع عليه اهل الذي اب
فلما اتصل بحاله يلبث حسن باي ان ارسل الى تونس من يستجمع
جميع ما معه من الذخاير والاموال والامتعة والاحجار النفيسة
التي لا يبلغها الوصف واخرج من كان معه من حرماته واتباعه
ولم

ولم يبق معه في داره الا كاتبه احمد بن ابي الحسن الصقلي ورجلين
معه بعد ما نه وامر فبني عليه بابا وتركه منفردا يدخل
اليه ما يحتاج اليه ثم شرع في بنا بيت بصفية دار الحصن
جوار داره وجعله ضيقا جدا وارسل الى صاحب الجزائر ابي بيستاذنه
في نقله اليه باذن له في ذلك فلما تم بناوه نقله اليه وحبسه
وضيق عليه بابه وجعل فيه منفذا ضيقا يدخل اليه منه كل ما
ومشى اليه وكان مولانا الكبار وخدام حسين باي ابراهيم مقاديس
بقسنطينة وتمكن على ذلك ايضا انتقل بيت يونس صاحب بجاية مهابة
والمهم فابى اسمه بعد ان دفع له ثلاثة عين قسم خاج حسين باي بالنوس
وكان ما اكان من الي ها عسيها فنشى حد بيما استقبله ان شاء الله
فيه ورجع الى الجزائر اي بحر الدونيا ور اده ومعه احمد بن يونس
باي وكود بن اخيه كرباي بسلطة مثل وصوله الى الجزائر اجتمع
وتولى وسكانه احمد باي وانضم اليه احمد بن يونس وكود بن كرباي
وكان معه مقتوم في مسكانته الداره ولاستاذنا صاحب الجزائر ابي
في ان اخ يونس من بعد بلبسه ذلك الى مكانه متسع وجعل
اليه واين اخيه معه باذن لهم في ذلك فنقلهم الى كل داخل داره
وجوا لهما معهما بل معه ومعهم احمد الصقلي واستمر على ذلك الحال الى ان
توفي احمد بن يونس ثم توفي بعده كود بن كرباي وبعده الرهم
اسماعيل بن يونس في وسلفت حيما قرنذا الكرثيا نمى مصر
وكان معه باسكانه ذلك ولم يزل الحال على ذلك الى اوايل ستة عشر
ثانية تسع وستة عشر بعد الالف في الى ابي على صاحب

فسنكشفه بدخله من محبسه ذلك الى مكان يخفى فيه حتى ولا يكون
الاطلاع عليه فيه وان يعطى الى موته ويفشى الخبر به للاطلاع بذلك
فلما نقل ذلك احمد باي ونقله من ذلك الحبس الى بيت السلطنة
مستبرا بجوار من جوانبه الاربعة لا منفذ له احد واتخذها من [illegible]
وان [illegible] ابنه [illegible] في ظلمة بين [illegible] ونهى ابنه من ذلك
الضيف الذي من ذلك ابنه وكاتب بذلك الحلق ليلا يشي اليه
بادخال الطعام والشراب اليه ولما دخل ابنه الى الحبس الى
ذلك كما فيه احمد [illegible] بذلك الحلق فعيبا الى باب
بادخاله ما يدخل اليه واستشعروا انه مات ودفنوا من الليل
ميتا لهم واوهموا انهم دفنوه وقدروا من كتما ما ذلك
من امر عظيم وكتب احمد باي الى مولانا يحيى بموته
وشاع الخبر بذلك في اقطار البلاد وانقام عليه [illegible]
بتونس [illegible] ولم يهلك احد بما مضى وسببها اخبارهم ابناء
واشتد عليهم موته فيما بلغنا انه اخر عهد السيد بالى [illegible]
في رسوله كنا حاجبهم الاحضرة مولانا السلطان [illegible]
عرفانا رحمه الله تعالى فيما اخبر المشير علي الامين بل الوزير الاعظم
[illegible] باشا [illegible] من بينهما الحرمة من باشا
[illegible] من [illegible] بذلك [illegible] لم يبلغني انهم
[illegible] تونس [illegible] صاحب [illegible] منها من الامعوا [illegible]
[illegible] اخرا وانهم [illegible]
عندكم [illegible] من امور [illegible] وفي [illegible]

[illegible]

بالسلطان وهو مستراب الى ان بلغته بتونس باي بيخلفه
من يريد يكيد فنجي بعد دامو القهر ويستوفيه منه للزمان
او جار انه اخذ نحوه من عيني حنق لكيبه جاز نباع للكلام ذلك
الى سول ولم يكن بيده شيء ذلك جابه ونجي مابلغ اليه وسمع به ذلك
مع بعض اهل الدولة بالاسلامبول حتى تحقق انه قرر سود ا مى ه
وسكن الموزبي ورجع الى الجزائر باحمد حاجب بي باشا
نبا فان له الموزبي وخوجه وصول فسمي باشا رجعوا الى الجزائر بسبب
واعتماد عليه بتنقل بتونس فتقدم من ذلك علي باشا ورءا انه
حقارة للامة وتخوف من وصول من يطلبه منهم من جانب
السلطنة وراى انه ان اسلمه كانت منة عليه وان منعه كان عصيانا
للدولة السلطان فبعث له من الى اي ان يبعثني ونجي وقت ان
ونسيبه موته عليه كاتب منه فتنتي تونس وارسل الكاهية جالبا ب
بعسكر فخيمه بذي ه بذلك جعدو اليه ما ذكر فاتم نسا الحبي
بعد ذلك بلا موته لا حقيقة له وانه بالقبح السجن وابقى في
ذلك السجن ذلك بين مصرف ومكتوبا وكانت الملاة والخادع الكثير
والناس على الحقيقة ولم يكن الى مجيبه ذلك محجبا للابي ا ه
احد وللاجل اليه الى ان وخلت سنة ثمنين وثلاثين موقعت
معاصفة بين مولانا ايده الله تعالى وبين احمد باي صاحب
قسنطينة به اجابه على واراد ان يكسره بالى اح بتونس بباي من يحبسه
والتنويه بشانه وفرقوعي بي باشا محرقسيس وتدارك الى اخر
بعده لموت باشا جمع عنده احمد باي به ذلك وتعلل بان

الذي انشاه مولانا فرمانا وكتبه عليه فاذن له فاخرجه في
اوايل شهر ربيع الثاني من هذه السنة واسكنه بمحل متسع
واقام به الى كونه واذن للناس في الغدو ولم يمنع احدا
عنه وكتب الى مولانا الحاج بذلك اعتراضا له ودفع الاحتجاج
بانه عاجز عن سلوكه لدخول الحاج ارض المملكة والتمس عنايت
من مولانا رحمه الله نقض ما ركبه فغاظه ذلك واهمه واوقفه
على تحقيق الراية اوارضيه لذلك حتى دخل عليه في مجلس حكمه
رجل من اهل ارض قسنطينة فنادى البشارة فجاوا وما اليه
والسكوت ورأى ان يعين له ناحية ويدخل اليه احد والقى اليه
في روعه انه اتى مبشرا بموت يونس وكان ان وصل في سبب
على ذلك من المحترس اذ لعله لاحتفه له كما وفى بما اوفى به
والتفت الى ما حوله من بكا الله فقال لهم انظروا بما اذا يبشر
هذا فذهبوا لا على شيء فقال انه جاء مبشرا بموت يونس فالحق دا
السعادة بذلك واستبشروا به اشبعهم وتكلم الناس زادوا
رحمه بالبشارات الى ان قام من مجلسه حتى انفض ما اكد به الوقت الذي
عادته ان ينقضي فيه فقام ودعا بالرجل وسال عما
وراءه فاخبره انه رسول من عند الشيخ محمد بن سلطان الخاتمي
ارسله يبشر بموت يونس واقدم له كتابا بذلك فخبر حين
انه مات بعد خروجه من الحبس بعشر من الايام فتوقف مولانا
ايده الله قطع بما اشاعه الخبر حتى يتبين صحته فتواترت عليه
الاخبار به وكتب اليه به احد بلدي وكان لم يلحق في محبسه

خرج وقد تحقق بدنه واتضح بكفنه ورجليه، وفرغ لمن كتب من تيبي
وراءه والناس على تلك الحال ثم قوم من حنبل الى مسجد بلد مولانا
اداء الله بهجته بباب الامين هو الشريف وابو نا عمروه
وعود ووقته وقد قال ابيه ان ابو جلاء الله فقس عنه
ورد كبير من اراد كبيره والجماعة عند نار فتنة
لو ذهبت الكلاف لها ما اجل تبع وان الله يراجع مع الذين
وامنوا ان الله لا يجب كل خوان كفور وكان موته يوم الاربعاء
راشدي عشر ليلة خلت من شهر ربيع الثاني سنة ثمانين
وثمانين ومن ذلك يقول صاحبنا الموزي الاجل الكاتب ابو
عبد الله محمد بن حسين الموزنادي :
قال العبد ابا السعود الاسم الفنا ،

والدهر يدرك بالقضاء الى الوسنا • والمت ان الارض منه متمسكا •

ما الله جيدا رامه فلك المنى • واجل ما سوى لدى اهل الجنا •

ما فوائى عن راحة لا يحق عنا • واذا الرعاية والحوادث اقبلت •

فو ملكتك فيا ودنا في الفنا • واذا فورت من عدوك جلتمل •

، للعبو عنه وهو ذم المغتنا

كحليم باشا ابن الامين حسين مذ
خان افتقارا منه عما حجبا
ملك الملوك وابنه اللامع الذي
بالحلم والشيم الرضي والعلم الذي ماله لخفا
ملك زكي ظاهر للكمال
والسيد ملتجى وعمار عن خفا
عادنا انفلابا زمانه ملتجأ ابى
صعب الحوادث ان توارى هيبتا
وفارد مكي مثل بدر يمنو صبا
ببدوه بدر البحث فيلد او كفا
ذخيرة عن جيش مهابة وجهه
واذا التقى الجمعان تحت حمى العفا
وحسامه كم من شجاع هابه ابو غا
يلوي حربه الفتى عنه معنفا
لم يعطانا عنه له يا كافية
لما رواه التجاوز ويسرفا
روض ولكن فيه عن ثنا احصانه
والجود والدين الملكي لم جنا
ماجاد و مثله له يا جوا المجدا
الا تحقق قبله وجنته العنفا
جنس الفهيم لديه مثلا فوراى

اهمد

اهلا وان كان المقام دموضا ،

وبدا ببوتنا بالشا فوای بشـــ

بالوح بالحب كيف قرعها بالبنا ،

اني بحيدك ؟ ابوى متشـــح

والحب تشيعي بای متسنتـــا ،

يا ايها الملك المعظم والذى

سکر ابيور بسود ه احسنا ، وبه احسنا ،

ومن الذي لك الحى ذا ی ا

لم يلهر بحن ذحى ، امى الرفـــا ،

لك قيدة من بحيا سبب اهلات

من فرقتيا عمومن بحرالك ومن دفا ،

او ما بمروك دمع ذا ملا عفـــا

مؤخل ملتقط له فون الجنـــا ،

وبه الدعو المال وعوث بالمنهم

الاعوالهبا به متكرمعـــا ،

ابشي بعسعرك بحق فيه لم يزد

ما فوجدا منه هزادي اولنـــا ،

واستعل من صدر الشبة بعيد كم

امس بحصيه العنوان لله الكفا ،

درابه عوامی وکی بی فدا تی

لم يا ض بعنا کم دیجون المعرفـــا ،

فلكم جدلنا كنه مدحك مع ذكرا ، لأنه الذي علمتنا

لا زلت في كنف بدوم وربعتنا ، تسمو سمو البدر يا مأوى الثنا

بالسعادة والاقبال الفا والرفد له ، ومغمور بحبي في سماء ورفع هنا

ما دام في صدر القصيدة منشد ، فقد العدا بالسيف لا سر القنا

في قوله او ما بعد في البيت إشارة الى ان هذا العدد هو يوم تبيين لظهور المناسبة بين هذا الاسم والتعظيم الشوق .

وقال البعض صاحب الديوان ،

راحة الحب بحبنه الى فيداء ، حين زال الى غيب ذا ان عناء ،

هيبة الصبر الى أملي غبطا ، في القلب في رياح الهناء ،

واصل الصدور بعد ما هجعا ، لم يغير فيه نازع الادواء ،

فوق من آنس زال فضلك من المستقبل ، واهو علام العلياء ،

ليس لمذاهب الكلى في ازل ، بل ان الحشا بالاعضاء ،

الورانة سبيل الله لا اخشى فيه ، حامي للمتوا ديا ،

بالسلامة تاصيى ردمه ، مستحق لوارث المالك ،

والذي منكم ربيعيش عليلا ، منش الدار قوله الانفراد ،

ليس من ذات جلستها بكيا ، اذا البقا بيت الراحة ،

انا الحق للذي لا يعود ، وهو حق بذا لك لا انتحال ،

وبنونس

ومتى يسم كذلك ما دامت الوقيا الى ... عن الانفصال
بالرمي اسمها الجسم خصال ، ورفاهة من الجي ... ا ،
هكذا تنقضي الاعاد لجني السعوط لابن كلاب ومنحصل ،
خلد الله دولة الملك ... بلا بعا منطلع عن ان الرمي ا ،
وقوله شو قس الانس زال ... من السبعل السبت ... اوضح
... اذا ... من السبعل ... ويكفي ... و ان
... من السبعل عن ... ومونس لانه اذا زال ذلك ... ه
زال ذلك الاسم وزوال الاسم بزوال مسماه واشار ...
بما هو علامة العلياء الى انه اذا زال عنها ... من السبعل
... اذا ... من الملا وهو علامة الرفس
... وانما اراد انما بوجود كلامه ...
العليا منحطة عن درجة الارتفاع ... والمتصل ...
... وارتفع ... وهذا معنى حسن ... الدقة
... من هذه الابيات ... هذا المقام
احسن ...
... للوال من ... الحبيب المتنبي من قصيدة
... ومشهورة ... ا .
من هاذه الموشحة اوله
محرك ... ولو كان من ... القران ،
قوله ... كلام العراق ... ،

أتلتمس الإمهال بعد الذي راقه · فما عاد ليلاً او وضح بيانا
وان كل من يبغي ذكر العز يبتلى · بغدر جيرة او بغدر زمانا
فدارك تختار النفس والنسا · عن السعي بيد وذاك الثقلانا
وما دارك تغني بالامنة والقضا · وهذا طعان بين [illegible] تلانا
ولم تكن الشيم الحوى بجارة · وانا نغني عند بالحوفانا
اردي جيلا جرت اولم تجربه · فلذلك ما اهيبت باحسانا

وفي بيت من هذه الواقعة يحسن الى قائله وتصور الشهادة
وعلو الجد وحصول الخصوص ما وقع للابراهيم بن ابي بن شيخ
الخلافة وبيعه ادرها لما حصل بجانب مولانا اكرمه الله تعالى
تجديده من دم الله حقوقه في ، وجعل ذاية الحصول عليه
وانه نختم بجانب مولانا مخصوص العناية الرضى اجنبه وتملع المشارقة
والموالاة ومولانا ارده الله فمن كيتي التقديم لــم
وارا احســان اليه والمهادنة عنه والمعارضة
الى فضل احوا يحر على كثير ثنا واستمر الدعى بينهما على هذه
الحاسة الى سنة تسع وثلاثين فجمع الاموال حبايه ومترسوم
خصاله فاعاد عن شانه فاخرجه ثم واخرجوا الشيم
ثم عموا الى ابل اولاد منه [illegible] بلاده ونكث جيرانه
كانوا ارسلوها اليه كالبالحو [illegible] المهدي وكان [illegible] فاختار
[illegible] وهي [illegible] والرعاية [illegible] وجاهد بعداوة
مولانا [illegible] الله [illegible] ونبذ عهده ووقع الارجاف

في الذا يعني

من المداومين فلما هذا الامر له ابي ابراهيم من تلافه فبعث ولا
تبتجاسر عليه في رايه بل هو معترف بالفتنة وتحليفه للحق ووقع في ملام
مخزوقيه فكتب مولانا الامير الله تعالى الصالح بالي صاحب صقلية
يخبره بما صدر منه الى ابيه في جنابه ويعلمه انه الحد عن
غاوه والانتقال منه كونه في ابا الله وتحت ... نحو
فجمع سكة اخيها وفيه نحبث بعلمه من ادارات له جارية مثل
حال بلايا الى ابي ابراهيم فاز بجمعه واخرج الا ابل
اولاده ومنازله الى اربابها واستوفى منه جميع ما اخذ من عدة لها
رجاله بهمكي ... ورغم للانبياء وبقي صنوبس غرامة قسر
وفي اكتسبه بعني ... الدوالي وكلانه عليه فيصفى الله فتح
في لبنه ايام جمع من اقتل ... واتى ملكه وسلبه تحت
وسبب ذلك ان ابا ابراهيم تمادى في الغي واوحدك في الشغل
وانهمك في عادات رحشه وتعدى حدوده واطلق يده في قتل النفوس
وذهب الاموال الى استحلاله المحصنات من نساء ازواجهن
وامن الله ... يعفو ويغني عفو وكان يجتمع عنده
منهن الدهش ومن امراته واكثر في تركيب منهن الفاحشة
ويتهتك فيعطيهن الى هيئة ونحو ... انه صح بالزنا والفساد
والعياذ بالله فقد سمعت جماعة من الحذاق تحكي عن انهم سمعوا
منه ذلك منه زوجته ولم يقنعه ما ارتكب من الخنا ايامي ثلاث
بعسر الى زوج ابنه ايام جميع بها وو هذا من زمنه والعرجت
زوجها ببارز من ذلك وغضب له وحمل على قتله وكانه دار

الكلاب

جماعة من الخنانشة فجاءوا اليه ودافعوا عن الغنام
عنه ولما استوفى منهم وتبعه اهل الراي منهم والنجدة ثار
عليه وتبعه الخنانشة واخذ اموالهم من الذي اخذ ولم يبق معه الا اناس
قليلون فلما راى انفسهم واخوفا منه وتبعه ابو حجر بينهم
الباحث في الطلب ليقتله فالتجا الى الجبل واشتد انه بعض
ودافع عنه اهله وخلص ابو حجر الشرحه فصار فلما راى
ان ذاك لا يغني عنه شيئا وانه مقتول لا محالة ابق من الخز
الليل حلا وعلم ان بيس مكانا يلاويه لشدة بغض جميع الناس
له فتوجه الى قسنطينة فدخل زاوية الشيخ عبد الدين فاقام
حتى مات فسلم من القتل واستولى ابنه على امواله وذخايرا
وقبله وابله ومواشيه وجميع اسبابه وارسل الى صاحب
قسنطينة بالولاية والخلع وحقق ابن ابيه بقسنطينة كل تبرا
مكسا مذموما مدحورا واصابه من اتشبه منه على التاديب
حمود بلقاسم الى ان لانا على الكلال الشتى وحبت

ذكر وقعة الفرنسيس

وقدومهم بالاسطول الى تونس وسقطنا الله (قنع)
كانت مبادي ذلك ان بابا سنة ثلاث وثمانين وقد ذكرنا خبر جيج
في سفرة كانت في ... وكان ابن ... الى صاحب جنوة
الله قبح ... الفرنسيس في هذه السنة بالاسطول
وحاربه ونزل حصارها وقاتلها اياما مدة سنة حتى
ذاكرها بلد ابن ... بلد كور ...
بلاد شواطيها وسفلا ومن اقتدار ... ودخول ...

في كل حينه احتاج الى الاستعانة بالكبير في جلب الاقوات والالات سلعة
والمدد من بلاده وخاف من اخذ مراكب المسلمين لها فطلب من ملوك
الاسلام المعاصرين له كتب امان لهذه المراكب التي يبعثها
المترددة في مصالحهم ومن جملة ذلك كله من مولانا
ابيه رحمه الله نحو اثنين عشرة كتابا اثنين عشر وكنا وقفنا على نسخ
رووسها فكتبت اليه وفي حين تلك المدة في مراكب الجهاد
من تونس فلاقت مركبا للافرنج بعثها الفيس فاديهم كتب الامان
فاخذوها واسروا من فيه وغنموا ما معهم فلما اشتكى الفرنسيس
فيهم الى بيده ورتب امورها فجاءت مركب من الكبير الكبيتار
وبعثها احد الكبار بهم فوصل الى حلق الواد وارسل الى مولانا
ابيه الشفيع يطلب منه الاذن في الوصول اليه
فلما مثل بين يديه كلمه منه الاسارى والمغانم التي اخذ منه
في سفينة ارباب مراكبهم لها فاجيب بان هؤلاء الذين اخذ ناسهم
ليس بايديهم كتاب منا وقال انهم دفعوها فما خذا وحارة
حكمهم هكذا فاجيب بان اقتصاركم في طلب الامان على اثنتي
عشرة نسخة دليل على ان ما زاد عليها فيما عنه ذمتنا
ثم تبين له اني تكلمت من كل جهته فلم يكن معه كلام فقيل له
للكلام معك وان اراد الطاغية الكلام في هذه القضية
فيبعث الينا كتابه ونحن نجيبه عنه فلما لم يحصل على طائل ارتحل
منصرفا الى بلده وكان هذا احد الاسباب الداعية لهم على قصد
تونس والسبب الثاني ان معظم صيد المرجان في البحر

الشاطئ انما هو مما يلي ارض افريقية وكان اهل طبرقة من نصارى
الجنويين المستامنين بها يصطادون ويتخذون منه مكاسب جليلة ويؤدون
مع ذلك ضريبة لصاحب تونس فلما الثنى عهدا منهم على باشا
واسرهم جميعا واستصفى اموالهم واخلاها وبقيت لدى اجهها
خوجته من الرعية وزواوة في سوقها وذلك في سنة
وخمسين تعطل صيد المرجان من هذه النواحي ولم يبق من يصيد
بها سوى اهل القالة وهي قرية بين طبرقة وبونة
بها نصارى من الفرنسيس مستامنون يؤدون لاجل ذلك
شيئا معلوما في كل سنة لصاحب تونس ولصاحب الجزائر
فطلب الفرنسيس من مولانا ايده الله تعالى ان يطلق لهم صيد
المرجان ويعطوا له عددا معلوما من الزوارق وهي التي
تسمى زورقا في كل زورق خمسة عشر رجلا للذين يدورون على هذا
العود تخرج من البحر للذين هم صيد المرجان فيما بين
طبرقة وبنزرت فلما احتاج الى دخول بنزرت دخلتها واخذت
ما احتاج اليه من اقبر مجسوا في مقابلة ذلك عددا من المال
معينا للذي اشترط في كل سنة ويكون ذلك في مدة معينة
فاذا انقضى كان كل واحد من الفريقين مخيرا في التمادي وذلك
والمقابحة والنقض والابطال فاجيبوا الى ذلك وكتب لهم
فيه الكتاب بخطه رئيس الكتبة ابو العباس احمد الراضي
رحمه الله تعالى فوقفت منه على نسخة في ذلك بان كتبا كلاما ينبغي
ان الاول متعارض جدا نبيه على الرفقاء الستين ومنهم ما جانب

مولانا

مولانا ايده الله تعالى لجنابه جميعهم منه ان الخيار بمن خرج ولم يتوكى
في الكتاب الذي اكد عود الحوارق وقد عود الجبال الذي سمى
بها وبلغ عوايد عبد الماجد انه عمل الى سم بلسان النصح الانكي مولانا
ايده الله تعالى موجبهم فزاد وراى المعزل الذي وقع الاتفاق
عليه من عود الحوارق وكلمهم منهم تجسس والكلام مع مولانا
المسلمين بمنعهم من ذلك وقال لهم قد انقضى الاجل
وفراغتي نافعة هذا الامر والسلطان فاصبحوا
بالكتاب المذكور المشتمل على عزم الخيار من جانبه ايده الله
تعالى فاجيبوا بانكم تعلمون ان الاتفاق انما وقع مع الخيار
من الجانبين والذي وقع من وزيرنا سهوا وعدم تحقيق بلاده
تحمل عليه ومضى عن ايديهم في صيد المرجان **والسبب**
الثالث ان احد رؤساء البحر من تونس المحروسة يقال له سليمان
رويس الجربي في جفن كبيرة تجاوز باعتبار ضخامة مركب للعدو فيبيس
ما استولى على رويسها وطلب منها المسلمون على العادة في ذلك
لكنه شك عليه في القلب وانغضب منه صنوف فخر لها
عارضه في ذلك فقتله شقا قبيحا ومثل به ضربا مبرحا بكلام
جمع هذه الاسباب هو المحرك لهم حتى لم الله تعالى لجيش السلطان
الى تونس بقصد المحاربة لانهم كتبوا عملية الكتاب ولم يظهروا
شيئا من امارات هوما من السعي دفعة لهم بلادة لما كنت اربع وثلاثين
ارسل قنصل البحر نيس الذي بتونس الى مولانا ايده الله تعالى
ببيت اذ تم به الى وجه الى مرسى تطاجنة بقصد الصلح والخدمة

ان فيه فرصة وان طيب الهواء هنالك يدخل مياه نابولي ج.
الى الصبولية التي مواجهة البحر فيا قام بها وفي يوم الخميس
لليلتين بقيتا من شهر ابريل الشمسي اتى الذي كان اقبل من جهة سفطا
في ثلاث من المراكب كبار والرايس يطلق البارود فلما كانا في الغمر
والعساس ينتظر وقالوا لم يعلموا ما اعتقده وورد الخبر
بان الرايس زورق فيه بالليل لشاطي البحر المجاور للصبولية ويكين
المنصوص هي الرايد وشكله الذي انهم انما جاؤوا لبغية الصلح.
وفي صبيحة الليلة الثانية اصبحت جميع مراكب الرايس نستيبيس
المرسيات يطلق البارود قد رفعت من اوراقها واحرقت بالمراكب
المذكورة وقد كان المقصود ان يمشي الرايس قد جاء بثلاث مراكب
وخرجت على مرسى عمار المليح لم يسم الرعني ما وا قام هنالك
العساس ينتظر فلاح من بعيد من العسس فتوجهت نحو مركبان
من مراكب الرايس نستيبيس الثلاث ووقعت ابوازا بهم في بياض عمار المليح
ووقفت [illegible] وهي الكبيرة في منصف البحر يطلق البارود فبارسل
بني رايس يستاذنون في [illegible] فلم يؤذن له وامر ان يبقى
مكانه الذي هو به وان لا يبادر الى حاجة يبادر بها الى بحر
محافظة على [illegible] يعتمد الصلح ومكث كذلك اياما ثم امر بالاقلاع
الى خارج المرسى [illegible] وقد كان ان يشق عنها لانه كان من
رايه ان يقاتل المركبين [illegible] فأبى الله تعالى الا
[illegible] والاقبل [illegible] يطلق البارود فلم يجبت
الى ذلك لاجل راي مولانا [illegible] الميل الى [illegible]

[illegible]

ذوي الحاج لانه راءا ان الباي قسنطينة يتجاسر على فحص الاهالي
ووقع من الوهن ببلاد الى وا من ظهور مبادي الغلبة
للموسكو خزاه الله فتح على مولانا السلطان محمود خان
رحمه الله تعالى في الواقعة المشهورة والفتنة العظمى التي
كان مبدؤها في سنة اثنتين وثلاثين 9 لما تحقق ان السلطان
الكافي بن قادة على الالك بن مولانا ايده الله تعالى جعل
تحصين قلعة حلق الواد وشحنها بالرجال والمدافع
والمونة وامر بعمل ابراج اخرى بالقرب منها وجعل
عدة مواضع هي اقرب للمراكب المسبلات من مواضع القلعة واوكل
بها امين وامر جميع الثغور بالرجال والمدافع وارسل
حسين كاهية بوطفار الى بنزرت لحمايتها في جملة من العسكر
وارسل حسين اغة الصبايحية الى سوسة ورتب لكل بلد
ما يليق به وتحوط على قرقنة كي تحوطوا اشترنا وحفظها
بالعسكر وتهيا الناس للجهاد وارتفعت الاسعار السلاح
وارتفع سعره ارتفاعا عظيما كبيع كل شيء باضعاف قيمته
ولم يكن للناس بيع ولا شرى الا في الرصاص والالات والبندقية
من اكبر الثلاث لحلق الواد خمسة وعشرين يوما تنفخ من
يوم دخل المارس ومن يخرج منه يحيح في هذه المدة الى الان وابيع
في مكتب حين جوا من غار الملح الى بر حلق الواد وكان الانكليز
اصفي مكتبه ويعلنف منهم فتبع ضرابة ورموه بالمدافع كثيرا
بالخم مكتبه الى حط قلعة وتحاولها وانحاز هو ومن معه

وانكسر من كبده **وفي هذه** الليلة كلب تجار العين تنسيس الفا
الفا الخمول بتونس من مولانا ايده الله تعالى انه يبعث لهم فبلاد هم
بلادها لهم وركبوا من خلف الواد الى مراكبهم وكل بالهم وارزاقهم
من جميع مسقطا وكان بعض روسا مراكب الى تنسيس الذي بخلف
الواد الخازراخا مراكبهم بتونس فطلبوا السراح فبعث لهم ايضا
ورءا ان تستولوا منه دخلوا البلاد بالامان ومعهم بيده يحكمونه
اسابهم وبلا جسمهم ولم يرفق احد منهم تنسي تحتهم وفرج مل
الله تعالى عنه في اوانه كان حجة على كتابته لهم اعتنى به ابوجهدها
عليه حيث صدر من مولانا هذا التوفيق بهم اولم يدملستوا
بمقتضاه فبدروا بالمشاركة وصروا البريم ذهبه الى موكيا
البراهيم رابيس كما قدمناه **وفي هذه عادة**
اراده سود الله تعالى رايه حيث تاتي على خلاف اغراض الناس
ثم يظهر لهم سداد ها في العاقبة **و**لما كان في يوم الاحد السابع
بعين منا صحن اعضد العطو لهم خذلهم الله تعالى بلادهم فبلغوا الواد
وكان عدد مراكبهم ستة عشر مركبا وارسلوا الى حلقت
الواد الغنة ومن هذا الله تعالى دفع اليهم دمن كبا كبير والنفقي
رهناليس الى يدبر مردهم بلم في دسر والرك جالستة صعدوا
اليهم وعلموا انما قصدهم التشغيب والتعصد لا غير وكانوا
يحسبون انهم بلا قوة في بين من المراكب وبين لوب الى للقتال
بلا يستعروا الزارك بدكشوا فيلتين او ثلاثة فحلق الواد للاباني
منهم احد ثم ارحلوا الزورقا الى سند حيث حلق الواد دون الناس

[illegible]

رودي

ومعهم كتاب الى سيدنا ادام الله بقاه، فاخذ منهم واتى به اليه
فاستدعى الشيخ الاجل ابا عبد الله حسين بن ابراهيم البا
معظم الكوفة ليشهدوا بما قرا وكان الكتاب باللغة التي ...
فكان مضمونه طلب سبعة اشيا احدها ادخال جزيرة ... بعضها
ما عهد الصلح والثاني رد ما اخذ منهم من الاسارى والغنم
بعد دخولها في جملتهم والثالث رد اسلحتها الذين اسروا
قبل ذلك والرابع اعطاء عيد النصارى على الوجه الذي
تقدم سابقا والخامس ... سليمان رئيس الى الذي صدر منه
في منشاه في جانبهم والانقطاع منهم بل منه والسادس ان يكونوا مشاركين
وهي في بينه بين ... ومنها انه كانوا بايديهم سابقا ويحيدون منه
الجبال ويقتصرون على التي من جميع موسومة بالبيرة من حنطة وشعير
ومنها ذلك ما يطلبه رئيس الاكراد والسابع ان يؤدي لهم جميع
ما صرفوه من الاموال في تلك الجهة واليها رئيسهم في وجهتهم
هذه والاراء المناسبة والحرب وانه اذا لم يدفع الينا الجواب بعد ثلاث
سنوات ... عليه ... والمرابع على حلق الوادي ... الكواع
بدانا ... والشتي ... كتابة
... فجاوز الشي ... الشتي
... عقد الصلح ... واخذ الحق منه وبعث اليهم بالجواب
قبل مضي الثلاث سنوات فلما بلغ الكتاب الى حلق الوادي ...
... ومن معه بحلق الواد من خراب ... حتى ...
سنوات بعد الثلاث سنوات ... واما هم ... فلم يصدر

منهم شيء، وتكررت المكاتبات منه بعد ذلك في هذا المعنى فلما لم
يجيبوا لها شيئا، من مقصودهم فسخوا المكاتبة وأقاموا بذلك حتى حتى
أيد ما وقع من سعادة مولانا أدام الله علاه وصنع الله تعالى
أنه كان الكاتب ومن كتب منا من الكفار الفرنسيس الذين فيها جنابه أنا
من جنابه الحضرة العلية وعجلة من دار الإسلام إلى البلاد يبحثون
في شم نسيم أحوالهم ويكاتبونه بالإسلام مع سيدنا أيده الله وجوده يامنك
فيكفر الله تعالى بورود الخبر فيما فرع المنصور الفرنسيس هذا
تلك المركب خرجنا من الإسلاميين ما رد الجواري المشترى الذي
في تونس بالنقوب الناس نحو ما نشر به من حضورهم الحلق
السواد والسكون الفرنسيس به بيد أخذ وزنها وبها جواريه
المشتري تنابل سمه وفي سم الله وجنابه إنه وبجواريه وأرى يشكون
وحقه عظيمة وتعلموا فلقسا لشر بها حتى ودكيتي من الناس
أن يدركوا بها أوكن هو بما من وصوح حقه الورقة فلم يشعروا
إلا ومن جاء الشيطي من المنستير لجنابه أن المركب المذكور دخلت
المنستير وأن الكم لم تأته بالجري وأنا فايد المنستير أنزل جواري
مولانا وجنابه لجميع ما معهم وأحرزه بيت الركب
ونحن ينتظرها الساري جمع الناس بزوارق ومحاشر بها وعلموا
أن مولانا أدام الله سعادته موفق له وأن الله تعالى ناصره
على الكفار جل رسل إليه، الله تعالى من أتى بهم ودخلت
الأسارى فأركبهم وسهم ويكلموا العلج بأن الساروا بيستدان
به على قتل إخوانهم خذلهم الله تعالى ثم وردت الكتب للفرنسيس إلى

الى

الى قليبية فشحنوها بالرجال فخرجوا من جهة الجبل من الصحارى
الصحارى واتى بهم بالشقة فاستغنموا بدار البلاد وداخلوا [illegible]
ودخلت من الليل فتحت الصعدة من الكبير خرجت البلد نعتي من حسن
الواد في اوائل شهر ربيع الثاني وهم بقيوا به الى ان ركب الشادر
[illegible] او [illegible] صحوا مع عمار الملح وارفاموا عليه ثمانيتين والكرموا
فيها مرابع ثم رفعوا النهب واجروا بيوم الشلاف
لتسع خلون من الشهر عند بني زيد ثم دخلوا الى الكاف يوم الاربعاء
لثلاث خلون منه فالبوتية وربيع وكان بلى رايس الفجر 3 الى
ومعه جماعة من الرسل الذين خرج الكبير بالابهجالة يوم [illegible] فالدخلوا
من هذا الواد فلما انزلوا على عمار الملح ودخلوا البلد [illegible] في المرابع
من قلاعه فلما رفعوا منها خرج من منة [illegible] فلما ارتحلوا
على بني زيد ودخلها فلما رجع منها الى قالتهم [illegible] الله تعالى منه شيخ
هوارة معهم في ريس من الكبير بالمرابع من قلاعها [illegible]
ايديها يوم ودينة رجوا بها من البوتية شيئا مستكثرا [illegible]
من [illegible] بوتية ومنه [illegible] البوتية [illegible]
[illegible] الى الكاف [illegible] وذراريهم [illegible]
المدينة خالية ليس بها من يحميها من داخلها [illegible] الريس
من ناحية [illegible] [illegible]
في ناحية [illegible] ورد [illegible]
[illegible] الكبير [illegible] على البلد [illegible]
[illegible] [illegible]

رجعوا خزندار بالخروج للبعث من وقته ورجع الوزير الرستمي
الى باردو من كان رسمه رئيس بوابه بباب البحر الى بني ونيف
ومن حينئذ يحوم سنجقهم من ذلك العسكر كله ليلا الى الساحل ليبقوا
ليلتها من، الى تلك الزنقة الى برج الزلاج فركبوا على رئيسه ومن معه
من خزندار الى الاوطان الحسينية على جميع من معه من العساكر
والقبيلة الشنقة وهو على بنزرت واجتمع الى حلق الوادي وسبب
ذلك هبوب ريح شديد منعتهم من الدخول الى برسي بنزرت ثم تكلموا بعد
ثيب تفتيش ثم اضطروا وتوجهوا الى ناحية القبلة ثم مروا على قليبية
والحمامات وتحيرت الناس في تفتيشهم فلم يكن منهم ثم يدا بذلك
يوم الثلاثاء الثمان بقين من الشهر الحجة لتونسة ومن الغد
مشى مولاي محمد الى الرابطة والمربع في الشتاء الى خارج البلد
مستجمعين للعساكر وتحركوا الجيران الى موضعهم وتمكنوا
من ربط المدينة واحضروا بدها وسوسة زيد الله تعالى فدار السل
الى سوسة الشيخ العلامة الولي البركة ابو العباس احمد بن محمد مصطفى
ابن الشيخ المولى المعتز بن محمد المرحوم حاجب الفلاح المشهور
بالبشارة بجميع الناس وبيدي الى بيتهم فانقضى شيخي ووصل
حسين، انما هو بين يدي من اهل الادب ان فيتني تسوا في الفلك من اربع
ويجعلوها من البدع في شاكلة الثهي لتمنعه من ربع رجوعه
ويجعلوا الذا لم يدا بعوتهم تلك المراجع من المكارم الذي كانوا
به وصارت الصومعة تدخل الا الى الطرف ام المدينة المتوالية
الى وجه الى هنا بصف خارج المدينة وكانت جملة ما رسموا
من

من الصونبيز على سوسة وهى الف بونبة منها في يوم واحد
مايتان وخمسون ثم لما راوا انهم لم يصنعوا شيئا اقلعوا عن
سوسة وارسوا على المنستير ورفاموا عليها بسبع ايام ولم يكن
منهم هنا ايضا ثم ولوا راجعين الى حلق الواد ومن كان بالحضرة
فبحيى باشا اورد من حضرة السلطنة الخاقانية يطلب وصول
المراكب الجهادية من تونس الى اسلامبول مدد العساكر
الاسلامية المنصورين على الموسكو خذلهم الله تعالى بلما حل
الفتح من قبل الباي تنفيس وطلبت عليه الدونانمة كلف الساعى
الى اسلامبول بالاذن له ومعه جاويش من جانب فبحيى باشا
ارسلهما ايضا لهذا المعنى بالاذن له ايضا في العود في كتب
معا من حلق الواد في المراكب المعينة لهما للعلم بان الباي تنفيس
رابطه مع سها لكونهما من حضرة السلطنة العلية بلما حصل
بين كتبهما استظهرا بكتبي الباي تنفيس باجابا، ولما حصل
بين كتبه دار الكلام بينهما في شان محاربة تونس باعلمه فبحيى
باشا ان هذا الجيش منهم حضرة السلطان حيث صدروا الوجاقات
وهم مستعطفون لجريرة عدوه وان جميع ما صدر منهم انما وقع عن وجه
القائد والشعرية ورفع العدو والدرة في ترقي القايم من وجه
يحصل به رضى الباي تنفيس وطلب منه ان يكون ذلك على يده فاجابه
الى ذلك حيث راجعا الى مولانا ايده الله تعالى لعلمه
بميله الى وصالهم وتسكين شوكتهم لاجل اشتغال السلطان
نصره الله تعالى بقتال عدوه خذله الله تعالى وهيبتهم ونصره الاسلام

بسببه من خروج عدد المسلمين من تونس لانه ما دامت الفتنة
لا زهيد في الترك بلغنا انتهى الى سولدها واخرج بها دار بينه وبين
قبي السلطان امره ان يرجع اليهم ويطلب منهم ان يبني اليه
المنفصل ورجال معه من ذوي مشورتهم ليقع معهم ما يليق به
بني لوا اليه وارادوا منه طلب الشيمة الامور التي عليها
اولا فاجابهم ايده الله تعالى بقوله اما اذا الجزيرة فيعرف
في الجيش بعضا من لوازم عقد الصلح مع اذ لا ينبغي ان يكون اهل
مملكة واحدة بعضهم معاهد وبعضهم غير معاهد لانه
احق بذلك الى طلبكم ايانا منه واما ارادة اصلاح الذين اسرناهم
عند دخولهم في حيازتنا فلم نأخذهم الا لكونهم لا عهد لهم معنا
ولا ذمة ولكن ان نسرحهم فيه فلا باس لانكم تقولون انها
داخلة في مملكة الشعب عليهم في الصلح واما رد اسارى اهل
الذين اسرناهم قبل ذلك بعضا للسبب الذي لانه لا وجه له
لا يجوز الشريعة واما عطاء سفينة ان الايس فلا بيننا وعوائدها عليه
على قبضنا [illegible] فتحبه شي يعتنا ان قوم تما يليه لانه فصل
حرب [illegible] واما [illegible] ملاقاة [illegible] عفوا
من الجيش من [illegible] ومن احق [illegible]
واما اناركي نا ببلاد [illegible] من كان فدلنا ووقع
الصلح [illegible] على عدم [illegible] بلادي جعلها [illegible] ابدا
واما [illegible] جميع [illegible] وجهنا [illegible] وهذا
لو اهو [illegible] الى ذلك [illegible] وحيث لم [illegible] لكم وبالتوفيق
والحمد لله

علما وتعرفوا بانكم لا بد ان تعطونا جملة مال في هذه
الواقعة الذي اخرجتموه ان ولا بد من جمعوا الى كبيرهم وتكلم رئيسهم
في ذلك الى ان انفصل بالهم والعقد الصلح على ان تترك
من صفاقس عقد الصلح وبيد اليهم الاسارى الذين اسر
منها بعد اخذهم لها وان يكتبوا من عبيد المجاهدين بالثنية عشر
زورقا تخرج من الغزالة هناك تستقبلها وان يكتبوا
من شان البلد لا يبقى فيها الا ما يدراسهم يجلبونه الى بلادهم
من غير ان يعطوا شيئا وان يعطوا لهم من الكبرين ما يخرج ما دفع
بالمكاتبة عقد الصلح وتم هذا الامور لمن هذا ورجعوا اجمعين
الى بلادهم وكفى الله المومنين القتال وبعد هذه ارسل في
مولانا الرئيس يتشفع ابراهيم خوجه كاتب الديوان المنصور
وتوجهوا من اهل الديوان رسلا الى طاغية الروم ليتفاوض
في امر الصلح مع الخوجه المذكور ولما انتهوا اليه اكرمهم
واحسن لهم وفي الى مدحهم وردهم مكرمين الى الحضرة
وارسل هدية واستقرت الاحوال على ما حدثنا وفي ذلك
الواقعة يقول الاديب حبيب بن … الغاية منصور المثنى في

، فاتل بسعرك بالمعالي تفخر ، واي مجد لم يكن يتجدد ،
، بلانة اعلى وبلدة … ، من الله قادرك العداة الاكفر ،
، والحرب انت في بها وجيلها ، والخلق تعلم والوقايع تشهر ،
، والامر اليك والبلاد باسرها ، … ومن عليها … ،

سمعت جياد كـ بالى وبـ مرهن هاه كمه وبانة الصهيل لى دد ،

كالصب اخى الصبا عن حبه ، راح الجياد ناد نتنى يتنهد ،

ماذا اذكـ بالان عودتها ــــــ ، تمس اليوم حيثا البحيح المورد ،

والحلق تحرف والثنايا حور ، والخيل تاخه والعواطف تنشد ،

من كل سابقة اذا ارسلتها ، يبرق البرق يبا لها الملكة بالابعد ،

جعلت حوابها الموارد الوغا ، لالحفها حيث الغبار الالبد ،

مولاى الى به بالى سارها ، نبتا الى وسى ومن دمادها يورد ،

من از الستجوشه به وفقـته ، اعطاك يوم احوره مانتصر ،

والسمهرى تبع من وردنها ، سمعت كلاما كنى وانقاود ،

عود نهاه اى با تدهى اكى سا ، يسفن الصواة بها الحمل الاسود ،

والطلم الاثرنها من هذ مهم ، اذا نفتا يتم به بيد يك الاملحد ،

نحو الجا الطى ا بها ان ستى تحتا ، هيسى تختا رها به الستر شن ،

والمشى ميتر ودعت اخبارها ، اذ عورته الصلى و باتعفر ،

خفت زمانا به المعمور وهوريها ، تعتنيى الحيتا اذا از دحم المشهد ،

نحو الغيو حوتها لم بيد امت ا ، تحت الجار من اللغا ان تحسر ،

هامت بملح المارمنى بلانقشا ، منها المراد وراخطابها الموعد ،

حا الرغى اركا نها اناج دنه ، والصو ديار السبع نار تو فصر ،

يا منابه فشقا العوا من الغنوى ، يوما كه يحا اوه وجبت سعدا ،

ان العن ضيس لعم تم ملته ، وحسام كا الهدى الحكيم المفصر ،

وانو كبى قيامه به الحدامهم ، وهنز العوبا روكلها فر شيدوا ،

باحمى

واحلك بي بي اعدافهم ان يغربوا . وارسل بهم جيش الرد الا يبعدوا
داحكم ومن واكثرهم وجلو واتى ووصل . والسعر وكلو الفها ودو تستنجد
هزة الفضة لم تل اجدار هـا . فوما تبعو لعن اللال وتجهد
جدركوا بعلم لما مقنيع جمعهم . اعلا الملوك ابا الحسين الاوحد
لله يوم اتيت حلق الوراد سبو . بي اتى له العلا والحسـد
بجمع لتي النحى دعيـار . والبيت تبها والصواصل عد
معرفة الجنيات نلتاح الضيـا . والسمر بها بعضها تقـود د
ما كل ملتثم عن بدر الدجيـا . يغدو الصباح بنوره يستنجـد
ملارت كسيها الركي بنعى نعيسه . ادخله الهم المقيم المقعـد
دعو وكل تحت كتيف بيسـار . جار وقال الليه ينذو مقـد
لو تمعقل السعي التي قادبلتها . فكافة مجيبة وحي تبعـد
بداحل تو تحسن فوجها كم ربكم . يمو بيه دار لكوه لد تجحـد
ما لم بي دجوو اما بدر العلا . حام بلغ بجنابه اليعـد
ملك الملوك ونجمة الاقبال و الانجاد والامجاد وهو الانجـد
لبث العواصيب الى داجم الهوى . فقضى الينا الى المجد المستمـر
بحي ويمازجه الناد حامسنى . للنجح ياليالي السو يدمو يجد
ذو بمدحي فيك الحاصي يا العلا . وبجا اسما واخذ عنه اليوم مقـد
قد ميله فوراد اذا الكلمنـة . فوبا الى مادنا الى الامور في الشعر
لو بلاه ما لاح الهوى ابنتي . يوما ولا اقتفى العلا والسود د
كم الثنى غفا اياها بل اودفت . واقال مقتكي وسلال الجلجـس

جاز بمسلكم فاتكم خلائقكم ، ومن المسيء جناية رب فسد
اسلوه احبوا واران منهم ماتا ، كالغيث يحوي مستورد
واحلن فاغدائكم امرا لكم ، بل جعلتم للاسى لاوبسلن
واعادت نرجس جنة انهارها ، من بذله من كتب للأكرين
بلتحموا وتنشق واءالشادى ، ان النعيم سبك يتغير
ياحلية ارالله عدار ان ذكي تيم ، بمنزلة من مرجه الانشد
جدايكما محاجز ميكاي غادة ، فجلت الكافقدا الحسان الخ د
وابتكر في فرع شيئا بالبخ اذ ، سمت بلاذك بوبها والمنصد
وارتك برالنو التقيب تجلو لا ، ان التعاول الى لا يدهر
كي تاو دالوجد اصفى جانعفت ، وكى ادفعي لاى ها يستبد
جعلت ان فالة حسو ابسم ، اذلم تجر ما حسنها ماذا فسر
طاف شمسا فدا هزنا اقرارها ، ومثل الدور ان لاى اهل الارض
تحكت ايد دبك المعالي والندى ، شعري لنتنظم المعالي ينشد
ان كنة اهرتيا المدان بعزبت ، بلانتي فيها المعبر المرض
مولانا ابن روضة ملككم وديار كم ، في ملجا وبيني هالي مور د
جلسلم وعشي مداكان نوح سلما ، والمعوبات نوى الاتراع الاالدهر
والمعوز له بيما انتحله من بعض ابيات هذه القصيدة ومعانيها
جانه فلال بحر ديوان بشيبة ، وما جاء منها عنوانا
جودة في تحشي وحباة هشم ،
وقال ابن ابيهم ابي قاسم الخ اكد احصيا فيبين .

دى

ركزوبنهم جاحتى تمازيا واحسم اذكيا
وظاهم مبين الله يهدى الى الهوى
يفيد الرجال سنبيهم بسيفك انصفى
ارى الحق معقود ابن ابيك الصفا
بحسبك بر الرعى فان ماجدا من لد
وفي صورة اللاذوا لا اعظم به ينبنى
وحسبك موزانى ذى دين محمد
جلوا هازما وانهم يا معوا يك الكعبا
وحسبك هذا السعد فادنيته
اليك جاهدتهم فتلهب وفزا [illegible]
فلم تعف عنهم حتى اتوك حصيد
وفرو كسوا سبقنا به فكانوا البحا
قلوبهم تحكى [illegible] اباه لو همت
كانى بهم حاروا بايديهم البصرا
تسبينهم تذكر الجموح تركسى
ولم ينج منهم سالما ذكرا
اتو حلف وادى قوس [illegible] اوايم
حصوة الفراهد تلها تذهل الرعبا
[illegible] ان [illegible]
اذا الفنش واجوا بذا السهل [illegible]

او مالها دروا هزائم حين نعدهم

تعلمهم والحرب يستهون البتر ا

ومارأى منهم الكذب حيث كلابه

ومن كلب العليا لم يغله وهرا

حماة كرام راموا ويكانوا كماحه

من هيبهم يوما بالطعن وقتى

انوال ما جهدا ومن يتنافس

يبيرهم الاجعو اتى لل داجهرا

تحوزهم اوالهم ان يعجز شعدا

يساداً بالويعتيه منهم ومكسرا

بحيب بادون الرعيل كفت دموض

وبالحصر الرادي ارادت بهي مرا

من جارت الجبار بجار وهو هرانا

تحاب عقاربه والغطا كحاهل النبي ا

الاحتى واجمع الى حسيسى لم يدا

لدى مدكنا الالايوانى والستر ا

ودار ابن لقمان لوبهم البتي

احوت بلو مثله له بالخطسى ا

بكذا العقيم باق مثله ومريده

الى صورصى تحل الجي والنحر ا

بلغنا

فيما بعد بني ياجي نسيس ما انبثتم توشنا الا استنبتم الدهرا
ائتيتم الاسباب الهبوع ودنت
بواكي الخطار في تحتكم دهرا

تهابتهم في حربي انا حربنا
وكنتم في الشام قرارين جنه الجبرا

وما جابتم في ها وحشنا شيئا
ليا في تميس رشفوا الدمعة العينا

الاوباش بوا دهماكما اتى بجمعكم.
بذا اليوم لم تلفوا ايه الا اكوس الحرا
وتجي يكر او نزار السماع لنا هو السماع ومن يك اجر عنونا نشرا
ولا تخيل الكرام في فقه والصبا.
تدفعنع هيل الغيران للازمة حذرا

اذا كنتم كلا سمتم حيث انكم
نحولوا دار البحر واستنزلوا البا

ولكن دون البحر الفساد علانا..
زلوا الجوع افلت تبع سعتي

ليعي في بهيكي تول شاع مصي ننا
ميا اكل الفقل وما ال رحب الاسا

حبا لهد الي نعيفة يا رفوا الكرى
ومقاموا نحن واوفوا فهم العزا

دامو اعوانكم بالبدار ودادهسوا
من الذين دعوا ما على كعوب القنا
يوم دركم يستنبش ون بنحت
وابعد اذا عدوانكم فعانيدك من ذكى ا
بجيوا شعتو رايات الشر الينى
ارى الدانهى ى عقلتم والذي ا سى ى
على ارنج بدا ابن الحسين امنتم
من الخطب اذ عمتم بروحته الخفى
ابو الحسن احيا حشا بمى الذي له
عتو واحد فداى مدكو الشام والمصى ا
مليك حوله نبيه عليها الكرام
تتمد وسعد الذين قال بهم شى ا
بدا منهم رار وحيبا بى ابه
سمر او مقال او سمر اذا اذا شعى ا
مليك له جيش تقنب جاش منى
يكاد به دافنا انجلائيه مع كسى ا
مليك اذا ما جاد ى بنا لعوائده ما
واجلى نبوسا من جسوم بها ذعرا
الكان مندايا بهم لمبعث عضبه
اذا اله اروا حهم انشف ضى ا

٢لى نا

مارثي لم تخص في كل وقعتر،
فخامة ذكي ضيها يفلق الصخر
سيجي لفتى الحي محنى مسيا،
لسماحته خطب يلم وللا كسبا
يراهي جبين الشمس فيه لرونا،
ويبسم وقت السلم بالاعزة البشرا
عليه اذا يعلوا الحق محجب،
فقل لمن يمسك الموت عن الطارقة الدقا
جمي الحي لرهاب ولا فيدة العوا،
وفي السلم الجدب ويحيي به القفرا
جوارده لوما راه سبا لعلكها ابا،
وقال له لن تستكثير حين صبرا
كاني ارى مثل البسيطة كفه،
وجعلوا الارقن في به ان طهرا
حلم تبرع الارض للاورا،
منثار يسبق جيد يلحق من جرى
له كل يد يشحى النفا بوصيله،
كلا وزار عود في كتب بدا العذرا
كانه يهوي الى ام بيوت الوغا،
فتى بالمسا تسعى حارب بالمختصرا

أمولاي يا ليث الوغى لدى يومها
وكل ملوك الأرض فاتوا بك الخمسا

لعمري لقد أتحفت نفحة الاشياع بأن
جعلت لهم والفتك بالجبنة البؤسا

بقيت بقاء الليالي عزك قائم
ولم تدهش الآفاق طول المدى الحسا

فدم مالك الشجعان أنك خالد
فذمت بسيفك الذي كنت أكسبا

وعش وانتعش واسلم من الخطب والردى
ودم وانته واستصحب التقى والكرامة

وصل على المختار ربي دائما
وسلم كذا الآل مع صحب كمن شا

عليه سلام الله ما فاز منتشر
أي المنتهى مقرئ وما لي الحيد النحل

ذكر خروج أمراء الرحامنة مرة ثانية على السلطان الإمام
المنصور

لما ارتفع الرئيس نفيسه مع مولانا زيد بن عبد الله قبع الامر
الذي كان من أمور السلطان مع ميله إلى مصالحتهم وجوانا اجـ
من أجل الجهاد بين جنود الجيوش الراسلة إلى البحر ليكون منهم الله
تعالى أمنه للدين السلطاني الذي به يحيى باشا المذكور
إنا علمنا بإصلاح حيش من أكابر بافتتاح البيعة
وعيش

وعين لها العساكر الينجرية وعين لهم واشحنها ورتب لهم
رؤساء من أعيان الدولة من البولكباشية وعين لهم وجعل
الفلك في أي البحر للقبودان أن يمشي الى تبيع وجهز وأصحابها جهاز
واقلعوا من حلق الواد في أوايل الحجة سنة خمس وثمانين
وكان يوم في وجههم يوما حافلا ركب فيه مولانا أيده الله
تع في خيوله واستصحب الشيخ الأستاذ أبي محمد
الباجي رضي الله عنه من جبل المنارة لمعاينتهم وتوجهوا مغربين
بالضحى والنيران منقربة فبلغهم الخبر بها بان العدو للاسلام
لم يخرج من خليج البنادقة كما زعم وان العسكر المعروف الشرقي
خذله الله فقفى متوكل في تدارك المراكب وتدارك جزيرة
بادة والغزو صيدها مستقر المراكبة واستولى على فم الخليج
فمنع الداخل والخارج فبقي في ذلك الحيرة وبينما هم كذلك
إذا رسل اليهم جعفر باشا رحمه الله تع وهو بجزيرة الشكوا
لما كبده حلفيه لها ونواجب الدورة من العدو وتجاوز بهم المضي
الى الخليج خوفا عليهم وتحيطا للاسلام فتشاوروا في الرأي
ومن معهم من الكبار العساكر فاجمع رأيهم على أن يتلبثوا هنالك
ولا يصلوا بالخبر الى مولانا نصره الله تع حتى يأتيهم أمره
لما علم ذلك فلما انتهى الخبر صدر أمره العالي لهم بان يرجعوا
لبلادهم فان بلغهم ان العدو للاسلام خرج من الخليج
مضوا للكيد ولا يثبتوا لكلامهم الا ان يأتيهم أمره وتحرك
بكيفية بالمينة والرصاص اليهم وأقاموا بيبنى السواد من جنة كم

منديه وكان به اذا منهم بها نبع كبير للهاء التي بقرب المذكورة فقد
كانت فيها مراكب العدو من الافرنج وعين لهم قبضي عليهم ويأتون لها
الى البر اذا امكنتهم الفرصة ويعيثون ويفسدون ويأخذون
ما قدروا عليه وتنتهي روابيهم غاية النهي وكسبوا شيئا كثيرا
وطال بهم مدة اقامة عندهم في مراكب مولانا ابي عبد الله رحمه الله ولم يتجاسر
احد من العسكر ان يحكم فيهم ويمحوا ابوازار ولكن وا المعاد
لمولانا ابي عبد الله رضي الله عنه في ايام اقامته هناك
بلغ الخبر دار الرئيس الحاج ... صفية بالمغرب في يسمه
جنويس جعفان له اعلاوش متوقح اصلها من الطريق عن
الطاعة وصارت في الكتب العدو فتمكن عنوبهم واذا امكنتهم الفرصة
اغاروا على بلاد المسلمين فتوجه نحوها وقال اليها ... باحسن
اهلها وهم يوالون في بيتهم وتركوها خالية واجتمعوا
به جبال وغياض صعبة بلا قتال به ايرادا يبحث منهم الى ان لحق بجماعة
منهم نحو مائتين بمارس مجتمعين به بمخة بردوا ميس تحت اللارض بسبل
جسيلاس ورجع الامير من جابية منديه ولما كانت اقامته
وتحرق السعادي من ذلك ولم يرد الا الدخول الى الخليج الاقرب
ولامرو الله الا الاستيلاء ولم تكن جابية مكنتهم هناك
ارسل اليهم مولانا ابي عبد الله رحمه الله الى مستغربهم
على راحة العسكر حتى يأذن الله تعالى بلادهم ويخرج
اهلها الى الاسلام مجتمعين يعودون الى اعدائهم الله تعالى بامرهم

راجع

راجعين وبلغوا الحضرة سالمين غانمين ودخل علي راجين جزلك بعد
السي مجهولهم واوصله الي مولانا بيتم عظيم وكنت ممن احسن
اليه بجارية منه وكان وصولهم الي حلق الوادي
ثم جرد مولانا ايده الله تعالي بحارية في الكبه
في سنة سبع وثمانين وارسلها مددا لجيوشه الاسلام وقدر
ان يصادفوا عزة من العدو فيدخلوا الخليج بجواهي

هكذا ابيض بالاصل ومن العرعم

٩٦ وانتهت ثلاثة مراكب منها الي الشرق يوم كان الي
انزاله وبلغهم استيلا العدو علي بر الخليج فاقاموا باماكنهم
وتوفي السلطان مصطفي خان ابن السلطان احمد قدس
الله روحه وكانت وفاته يوم الجمعة لثمان خلت من
القعدة سنة سبع وثمانين فتولي السلطنة بعده اخوه
مولانا السلطان عبد الحميد خان ايده الله تعالي ونصره
ودام الحرب بينه وبين المسكو واخزاه الله تعالي الي جمادي
الثانية من سنة ثمان وثمانين فوقعت الهدنة ووضعت الحرب
اوزارها وانقضي امر الفتنة التي سهرت لها العيون
وشابت منها النواصي وتصدعت لها القلوب وطال عهد
الاسلام بمثلها فحينئذ اقلعت المراكب بعد اجتماعها
كلها في اسطنبول واقلعت نحو الخليج مصادفة من كبار
البحارين منها العربي بجا بها اربعة وعشرون رهطا
ومعهم بضاعة من الحرير والثياب وغير ذلك فاخذ وهم
ودخلوا الخليج فوجدوا به فنودان باشا ماهر والـ

اولئك الرهط الاساري وتوزعوا ما في الغنيمة واجازهم
الى اسلامبول باحسن الجزاء مولانا السلطان عبد
الحميد خان ودفعهم ورجعوا سالمين فكان وصولهم الى
حلق الواد في اواخر السنة

ذكر ظهور المدعي عثمان الجواد بجبل خمير
وسياقة الكلام على الظفر به وقتله

هذه الواقعة كان حقها ان تذكر قبل هذه الا انا
انما اخرناها لاتصال الكلام السابق بعضه ببعض واستو
واستوفيناه بتمامه وذكرناها بعده لئلا يتخللها ما بعدها
من الاخبار كانت في اواخر سنة ثلاث وثمانين بعد مائتين
فقال له عثمان الجواد كان صبايحيا وخديم اغاسا من اهل
الدولة وكان اصله من رياح فخلص بجبل خمير وهم اهل جبل
في طرف المملكة مما يلي طبرقة اغمار يعبدون عن الاوامر
لا يدينون بطاعة ولا يخشون الحواظر واستجار بشيخهم على
بن عون ادعى انه ابن يونس باي بن علي باشا الهارب
ببارد والعمور حين اليهم من سجنه بحيلة تمت له واجاره
الشيخ على ابن عون واواه وتبعه جميعهم كلهم وحماه
في البلاد وتسامع به اغمار البوادي وجعل من يريد العباد
منهم يأتونه ويتحرفون معه في القيام بامره وجعل يذكر
لهم اشياء لا ثبات لها واستدام وضع اللثام على وجهه
تحيلا يوهم من رآه بنفاذ ذلك وصدرت عنه الكتب الجاكير

من

من القبايل والاعلى ما طوى كامنه من خبث العناد وكثرة الارجاف
بشانه في الخفي ثم تكلم الاوباش باسم احمد باي ابن يوسف
باي وجاز ذلك على اغمار البادية ولم يعلموا ان احمد
ابن يوسف باي توفي بقسنطينة قبل هذا التاريخ بنحو
وانه المدفون بباردو والذي زعم هذا الدعي انه هو
اسمه مصطفى ورواه كثير ممن يجهله فبلغ ذلك حاجبهم ابن
عثمان الحداد لا شك فيه وشاع ذلك فصار من لا تبين له
عندهم بين مصدق ومكذب بهذا الخلف مولانا ايده الله تعالى
متغافلا عنه مظهر التهاون فاظهر عدم الاكتراث به تسكينا
لاشرار العرب عن المسارعة لتهويل لمن هم بالمسارعة اليه
منهم ولما حدثت فتنة الفرانسيس في اوايل سنة اربع
وثمانين كما تقدم وقتلوا عامل وطنا نصر الله عليه فبلغهم
بحيرة تشليف الهندي من العرب انه واشاع فيهم ان هذا
البليغ الذي جاوز الجارية تونس اتاهم اخوالهم اقوا له
لنصرتهم لما سمعوا بخبر جهات امه اهلها من نصارى
الجنويز من سبي طبرقة وكثر الارجاف بسبب ذلك في
البوادي واخذ بكانب الناس حتى بعث كتابا الى ابي
الضياف ابن ابي الحسن كاهية الباجية باجة يتحيل
فيه ويستدعيه الى مساعدته والدخول تحت طاعته
ويعده المواعيد فلما علم ابو الضياف ما في الكتاب ركب من
حينه الى مولانا اعزه الله تعالى واطلعه عليه فلما قرا

عنه وقال ما تجري هذا الرعي على مكاتبة ابي الفياض مع
اختصاصه بخوصتي وقربه الي الالكتة من كلامه تجد
ينبغي بكنوهه حتى حزن انه ابوه او جده وقال لابي
الصياف هل تستطيع ان تعمل الحيلة في الصفي بد منه
عني فقال ولا هو جهال يخفى ذلك الا ان هنا اسم تعالى
بسعادتك فلك لعلمه نفو ليكه اهل الشيعة والمستخلا من
محبا لهم في هذا العام يتشهى لكه الطريق الى تحصيله والى
الشيعة اهل جعفر لجار ويحل حنين الذي بعد عفان الجواد
فبادر ابو الفياض لوقته حتى اتى حاجبه وسار منها بصحبة
من الصابئية الى الشيعة على انما هم احسن اليهم و
محبهم وعاملهم بما يجمل ثم تكلم مع كبارهم في شان عثمان
الجواد واصل الحق يتبين به منهم انه انما فخره الكفى بد بارد
بد الى ان اورده الحلة التي هو بها يتكلم معهم في تهيئة ليلا
واخره فلما جاوزه باتي لنا اعراكثير له من امامنا ومن
خلفنا فلا طاقة لنا بصبر او بهم ولكنا ناتيك بالمخلخ على عون
كبيرهم فتكلم معهم بما اورده في حلم العيد مجا، واخبه ليلا فتكلم معه
ووعده ورهبه فكان في جملة ما قال له كيف رضيتم بهذه
العقلة المنكرة التي بقي عليكم عارها الى اخر الدهر يا قيكم عثمان
الجواد الذي هو اعز من ابيه وبدعيه عندكم انه ابن يوشع من
غير دليل على دعواه بل انه احتج لكم كثير من الناصبي بحقيقة الذي
لم تقبلوا واتبعتموه وجلبتم الى انفسكم عار الابد فقال لو علمنا

اخر

انه ليس بالذي يوفي ما اتهمناه به او نفيناه فقال ابو الضياف
انا اعرف به الناس فعثمان الحداد لانه حزبي في مدة هل من
صحبته تحيبه وكيبته قال نعم قال فاخذ والده عثمان الحداد في
لا شك فيه فهل لك ان تمكنني منه وتقطع عن نفسك عار
هذه الورطة قال اذا انفقنا عليه مالا كثيرا ومن لنا به
قال كم انفقتم عليه فذكر له مالا كثيرا فلم يزل ابو الضياف يراجعه
حتى اختلط معه على الفي ريال فاخذها الشيخ على ان يحوزه
ويمكنه منه واتفق معه على ان يرسل اليه خيلا ورجالا
من الليل فيسلمه اليهم يأتونه به فارسلهم في الليلة
التي واعدوا ان يسلمه اليهم فيها فلم يتيسر له ذلك فعاد
الليلة الثانية فلم يتيسر ايضا فارسل اليه ابو الضياف انه
ما دام نازلا في عرض الحي لا يمكنك ما اردت منه فاعمل
الحيلة في اخراجه عن بيوت الحي فجعل ذلك بان
التشاجر مع اخيه حتى نال منه فغضب لذلك وارتحل
باهله مغاضبا فتبعه الحي ليستردوه فحلف لهم بالايمان
المغلظة ان لا يرجع اليهم ابدا اللهم الا ان يأتيه الباي
وحده فارجعوا وركبوا عثمان الحداد ومعه رجلان ليرده
فلما ادركه وقد بعد عن الحي طلب منه الرجوع الى اهله
قال نعم وكرامة ولكن نبيت الليلة ها هنا للاستراحة
فاذا اصبح الصباح ركبنا ورجعنا فبات عنده وصنع له طعاما
ولما جن الليل اتاه اصحاب الضياف وتمكنوا [illegible] منهم

وا

واعلموا علي بن عون بمكانهم فاستعدنا لهم ليسمعوا ما يجري بينه
وبينه ثم يكفهم منه ثم حاوره الخطاب الى ان قال له قد ثبت عندي
انك من رياح وان اسمك عثمان الحداد فانكر عليه ذلك غاية
الانكار فلم يشعر الا والقوم قد وثبوا عليه فاوثقوه كتافا وانطلا
وانطلقوا به الى رحالهم وبات ابو الضياف ليلته قلقا يتلظى
ومن حسه من حرج وعليه سلاحه فلم يلحقه الخبر الا مع الصباح
فركب لوقته ونادى في خيله فالحقوا به وسار فيهم حتى
انتهى الى الحلة التي وقع بها الحادث عثمان الحداد من بني
الشيحية فوجده في بيت امراة من حمير متى وجد في الشيحية
وقد اجازته فيما زعمت ووجد الشيخ على ابن عون هنالك فلما
رات تلك المراة ابا الضياف قالت لعلي ابن عون كيف رضيت لقومك
العار والخيانة يا تيك ابن مالك مستجيرا بك فتمكنه بايدي اعدائه
فتلحق حميته وقال لها استبضعي بالرجل وسار وقد اقتفت
حميته كلها اخيلا ورجالا لما جاءهم الخبر وقد زعوا في تلك
الجبال عازمين على الفتك بالحداد فلحقهم ابو الضياف ولم يزل يفتل
له في الذروة والغارب الى ان اطلقه وضمن له كسوة لتلك
الليلة الحميرية واحسانا لاهلها فاستوفاها على انه يعطونه ذلك
واعلمهم بانه ليس ابن مالك وانما هو رجل من رياح وتسلم
ابو الضياف عثمان الحداد فكتفه بايدي ثقاته من رجاله وامرهم
بالسير معه في ناحية غير ناحية القوم وقال لهم انني منطلق
الى هؤلاء الذين زعموا انهم لن يبرحوا من عند ابي ضيا وشاغلهم

بالحديث الذي اتى على صحابته من الملاطفة فولي عنهم
وتم وسع المحبة اليهم وقال لهم ارجعوا فقد عفا عنكم حالكم كما
كانوا انه ما قاتلهم رجعوا فكفا الله شرهم في هذه النعمة ابوا
الغياب كالهية المذكور وغير في العرب في طلبها فيها وكبير الحاني
باقه او طلبه الى الحضرة موثقا من اه الناس وعن قد من كان
بعد منه ذلك وكيف الحال يوم حضور المشيخة والقضاة
بالمجلس احتفالا لهم مولانا اعزه الله بمحفل فاقبره ذلك
لرايته وسعيه في الارض بالفساد وما من قطيعة بد في
العدوان حتى شاهده الناس ثم صلب واراح الله تعالى
منه العباد والبلاد وكفى شره وفتنته من غير سفك للدما
وانتهاب للاموال ولا يختفي اجرام هذا المرعي ويبتهونه
شانه ما ذكر في قضيتهم دعي الى حضرة ملوك الحضرة في الغر
ما بعد قدر النعمة ويوجب من مزيد الشكر عليها وجليل منه
المحافل قدر كفاية الله تعالى وحسن دفاعه في هذه
الحادثة ونحن نذكرها مفصلة ونذكر ما وقع فيها من الملاحم
وارافة الدما واستيلاء العرب على المملكة وقتله من جماعة
من ملوك ابي حفص في زمن استعجال ملكهم وفخامة
دولتهم واتساع مملكتهم ونفاذ كلمتهم ليعلم مولانا قدر نعمة
الله تعالى عليه وموقعها عنده فيقابلها بالشكر ويتقرب به
اليه جل وعز بالزيادة فيما من عليه والحمد لله اياه من الرفق
بعباده واقامة العدل فيهم الذي به رسوخ قدمه وثباته

ملكه وبقاء دولته ابقاها الله تعالى ما بقي الليل والنهار
ولنبدأ من ذكر اولية بني ابي حفص وكيفية وصول
الملك اليهم وتنقله فيهم حتى نصل الى هذا العهد
لينتظم الكلام ونأخذ بعضه باعقاب بعض بحول الله
فبنو ابي حفص اصلهم من هنتاتة وهي من اعظم قبائل
المصامدة ولد مصمود ابن برنس بن بر الذي هم
اكثر قبائل البربر واوسعهم ودولتهم متشعبة من دولة
الموحدين التي قام بها الامام المهدي محمد بن تومرت بالمغرب
وقضية قيامه على المرابطين حتى انقرضت دولتهم وقامت
بعدها دولة الموحدين مشهورة في كتب التواريخ وكان
الشيخ ابو حفص عمر بن يحيى هذا هو الملوك الذي اليه
منسوبون من السابقين الاولين للقيام بدعوة المهدي ورفع
نسبه الى امير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه على ما
ذكره غير واحد من المؤرخين وعليه يكون هذا النسب العربي
وقع في هنتاتة ورسخت عروقه فيهم والتحم بعصبيتهم
فانتسب بنسبتهم وصار في عدادهم كما هو شأن الانساب
التي تقع من قوم الى قوم وتلتحم بهم وكان الشيخ ابو حفص
كبير هنتاتة وعظيمهم غير منازع وهو اول من تابع الامام
المهدي من قومه وتبعه قومه على اثره واختص بصحبة المهدي
وانتظم في العشرة السابقين الى دعوته وكان تلو عبد المؤمن
بن علي ولم يكن لعبد المؤمن من يد عليه الا من حيث صحبة المهدي

حـ الموحدين

الموحدين

والمقدم كبير المصامدة في مواقفهم وكان يسمى بين الموحدين
بالشيخ كما كان المهدي يسمى بالامام وعبد المومن بالخليفة سمات
لهولاء الثلاثة من بين اهل الدعوة تدل على اشتراكهم في الجلالة
ولما هلك المهدي وعهد بامره الى عبد المومن بن علي امضى ذلك
الشيخ ابو حفص وقومه وحمل المصامدة على طاعته فلم يختلف
عليه اثنان وكان له الحظ والعفو في المهمات اليه ساير ايام عبد
المومن وابنه يوسف واستكفوا به نوايب الدعوة بكفالتهم
مهمها وقدموه في مواقفهم العظيمة وحي ودعلم الشورية في
يجلي فيها وولوه الولايات العظام وقاد لهم الجيوش في
ودوخ لهم الاعداء اوله في الجهاد بالاندلس مقامات مذكورة مقـ
وتوفي سنة احدى وسبعين وخمسماية ودفن بتينملل وكان
ابناوه من بعده يتداولون الامارة بالاندلس والمغرب وافريقية
مع بني عبد المومن وولي المنصور بن يوسف ابن عبد المومن
ابا سعيد احد بنيه على افريقية اول ولايته واستوزر ابنه
الاخر الشيخ ابا محمد عبد الواحد ولما هلك المنصور وملك بعده
ابنه محمد الناصر استوزره ايضا ولما نهض الناصر الى افريقية
سنة احدى وستماية لما بلغه ان ابن غانية صاحب ميورقة
الى افريقية وان مراكش بعيد عن الصريخ وانه لا بد من رجل
يسد فيها مسد الخلل به ويقيم الملك بها فوقع اختياره على
الشيخ ابي محمد ابن الشيخ ابي حفص لما كان عليه هو عليه
وابوه في دولتهم من الجلالة وانا من بني عبد المومن انما

ثم توفي الشيخ ابي حفص وهنالك تقدم وصول الخبر بذلك الى
ابي محمد فامتنع لو خاطبه به الناصر فاعتذر فبعث اليه ابنه يوسف
واكابر موحديه فاجابه الى ذلك بعد ان قال للناصر اما
ان تتوجه انت الى المغرب واجلس انا بافريقية واما ان تجلس انت
وانصرف انا ولم يجبه الا على شرط اللحاق بالمغرب بعد قضا مهمات
افريقية في ثلاث سنين وعلى ان يختار من رجال الموحدين من يكون
عونا له في جميع اموره وان لا يتعقب عليه من ولاية ولا عزل فقبل
الناصر شرطه ونودي بولايته ورحل الناصر الى المغرب وشيعه
ابو محمد الى باجة ورجع فقعد مقعد الامارة بقصبة تونس
يوم السبت العاشر من شوال سنة ثلاث وستماية وانتزى
وامره واوقع بابن غانية وقائع مشهورة منها الوقعة العظيمة
بشبرو من نواحي تبسة والاخرى عند جبل نفوسة واستقل
امر افريقية وحسم علل الفساد منها واستوفى جبايتها وطالت
مواقفه من [illegible] ومات الناصر وولي ابنه يوسف
المستنصر فابقى الشيخ ابا محمد على عمله واستكفى به ولم يزل
بها الى ان توفي بها فاتحة سنة ثماني عشرة فارتاع الناس
لهلكه واتفق الموحدون على تقديم ابنه الامير ابي زيد عبد
الرحمان فاقعدوه بمجلس ابيه في الامارة وشمر للقيام بالامر وسكن
الثائرة وافاض العطا واجاز الشعرا وخرج بمحلته لتمهيد النواحي
الى ان وصل كتاب المستنصر بعزله لثلاثة اشهر من ولايته فارتحل
الى المغرب ومعه اخوته ولحق بالحضرة وعقد المستنصر على افريقية

لعم

لعم ابيه ابي العلا ادريس بن يوسف عبد المومن فوصل اليها
في ذي القعدة من السنة ووقع بينه وبين ابن غانية حروب كثيرة
كان المباشر لها ابنه السيد ابو زيد ثم مات السيد ابو العلا
فجلس ابنه زيد مجلسه وتوفي المستنصر فتوفي بعده عم ابيه
ابو محمد عبد الواحد ابن يوسف بن عبد المومن المعروف بالمخلوع
فان ابن اخيه السيد ابا زيد محل افريقية ولم يملك المخلوع الامر
ثمانية اشهر حتى خلع وتولى بعده العادل عبد الله بن المنصور
بن يوسف ابن عبد المومن ابن علي فلقيه ابو محمد عبد الله
المعروف بعبد ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد بن الشيخ ابي
حفص بفحص المجاز فسأله العادل عن حاله فانشده متمثلا
بقول ابي الطيب المتنبي — شعر
حا لمعتي علم ابن منصور بها — جا الزمان الي منها تائبا
فاستحسنه لموافقته للحال اذ العادل هو ابن منصور مولاه افريقية
وكتب لابن عمه السيد ابي زيد بالقدوم عليه فركب البحر باهله
وذخائره الى المغرب ووصل ابو محمد عبد الله لتونس وبقي بها
اخوه المولى الامير ابو زكريا يحيى معقد له على قابس ونواحي
بلاد قسطيلية وبعد استقراره بتونس بلغه ان ابن غانية
دخل بجاية عنوة وعاث في تلك الجهات فرحل من تونس
واوقع بهوارة لانهم سعوا في الفساد ومن في اتباع ابن غانية
فانتهى الى بجاية وسكن احوالها ثم اتى الى متيجه ومليانة
فادركه الخبر ان ابن غانية قصد سجلماسة فاتبعه اجفـا

الى تونس ولم يزل مستبدا بامارته الى ان ثار عليه اخوه الامير ابو زكريا
وغلبه على الامر وبدا بيده وذلك لما قتل العادل بمراكش سنة اربع وعشرين
وبويع صاحب اشبيلية المامون ابو العلا ادريس بن المنصور اخو
العادل وكان قد بويع اولا باشبيلية بالخلاف ودعا لنفسه قبل موت اخيه
العادل بايام فكتب الى ابو محمد عبد صاحب افريقية لياخذ البيعة
على من بها من الموحدين فامتنع لانه لم يتحقق موت العادل
ورد رسله بغير كتاب ولا جواب فكتب المامون بذلك لاخيه الامير
ابي زكريا وهو على ولايته بقابس وعقد له على افريقية وان ياخذ له
البيعة على من عنده واتصل ذلك بابي محمد عبد فخرج من تونس
اليه فلما وصل الى القيروان انكر عليه الموحدون فنهض الى جهة
اخيه وانتقضوا عليه وعزلوه وسطوا والحقوا الى اخيه مع وجه
منهم فبادر المولى ابو زكريا باجابتهم وقبل العسكر من اخيه
وسار الى تونس وحمل اخاه محتاطا عليه فاعتقله وكان دخوله
لتونس يوم الاربعاء الرابع والعشرين من رجب سنة خمس
وعشرين ثم وجه اخاه ابا محمد عبد الى المغرب في البحر ثم اتصل
به ان المامون قتل جماعة عظيمة من الموحدين بمراكش
وخصوصا هنتاته وكان منهم اخواه ابو محمد عبد وابراهيم
واشاع النكير على المهدي بما وضعه من سنته وغير رسوم
الدعوة وبدل احوال الدولة واسقط اسم المهدي من الخطبة
والسكة واعلن بلعنه ووافق ذلك وصول بعض العمال الى
تونس بتولية المامون فانفى بجيد ذلك وصرفهم واعلن

بخلعه

فخلعه بسنة ست وعشرين وصرفه الى عدوة الى يحيى ابن اخيه
الثائر عليه بجبال الشاكر ثم هلك بعد ذلك يحيى وعدم
واستقل له ملكه واقتصر على الدعا للمهدي وللخلفا الراشدين
وسمى نفسه بالامير ووضع علامته بخط يده في صدر كتبه وذلك
في اول سنة سبع وعشرين ثم بعد ذلك استبد الاستبداد
التام وعقد البيعة لنفسه واثبت ذكره في الخطبة بعد
ذكر المهدي مقتصرا على لقب الامير لا يجاوزه الى امير المومنين
وخاطب في ذلك اوليا دولته حتى قال بعض شعرايه
في مطلع قصيدة مدحه بها

الا صل بامير المومنين   فانت بها احق العالمينا

فزجرهم عن ذلك وامتنع منه الى اخر دولته ولما استقل
بالامر نهض الى قسنطينة فنزل بساحتها وفتحها وصار في
جملته اخوه ابو عبد الله اللحياني وكان صاحب الاشغال
ببجاية فولاه بعدها الاعمال الجليلة ثم صرف عزمه الى
مدافعة ابن غانية عن نواحي اعماله فكانت له في ذلك م
مقامات مذكورة وشرده عن جهات طرابلس والزاب ووادي الحل
ولم يزل ابن غانية على حاله من التشريد والجلا الى ان هلك
سنة احدى وثلاثين وانقطع عقبه وذكره ومحا الله اثار فتنته
من الارض واستقام امر الدولة ثم نهض عن بيته الى المغرب فخرج
من تونس سنة ثنتين وثلاثين يريد بلاد زناتة بالمغرب
الاوسط فاتى بجاية واقام بها ثم ارتحل الى الجزاير وافتتحها

ونهض الي بلاد مغراوه فدوخها وعقد لابنه الامير ابي يحي
زكريا على بجاية ورجع الي الحضرة ثم نهض الي تلمسان
في عساكر ضخمة وجيوش وافرة فنزلها وافتتحها من
يد ابي يحي يغمراسن بن زيان العبد الوادي لابطائه عليه
وما يعدو عن بيعته وهرب يغمراسن ثم اناب بالطاعة
فاستدعاه الامير ابو زكريا وقلده تلمسان وارتحل الي "
حضرته تونس ثم افتتحوا مرسية وبلنسية وطمع وارسل
اليه اهل بلنسية ومرسية وشرق الاندلس بيعتهم
لما اجلب عليهم العدو الكافر واوقع بهم الوقعة الشهيرة
التي استشهد فيها ابو الربيع بن سالم الكلاعي شيخ
المحدثين بالاندلس وصاحب التاريخ واوفد عليه ابن
مردنيش ملك بلنسية كاتبه الفقيه ابا عبد الله بن الابار
من بجاية فادى بيعتهم في يوم مشهود بالحضرة وانشد
قصيدته السينية المشهورة التي اولها "
ادرك بخيلك خيل الله اندلسا ان السبيل الي منجاتها درسا
فاجاب الامير ابو زكريا داعيتهم وبعث اسطولا مشحونة
بالطعام والمال والاسلحة ما قيمته مائة الف دينار ولم
يخلص اليهم الاسطول لشدة الحصار على بلنسية
وعدمت الاقوات وهلك اهلها من الجوع فوقعت المراوضة
على تسليم البلد فتسلمها الطاغية في صفر سنة ست وثلاثين
وخرج ابن مردنيش منها الي جزيرة شقر واخذ البيعة

على اهلها

على اهلها للامير ابي زكرياء فالح عليه العدو وازعجه عنها
الى دانية فاخذ عليهم البيعة ايضا وانتظمت البلاد التي فيه
من الاندلس في طاعة الامير ابي زكرياء ورجع اليه ابن
الابار ونزل بتونس وصار في جملته ثم ارسل اليه اهل اشبيلية
ببيعتهم واقتدى بهم اهل شريش وطريف وبعثوا اليه
ودبرهم ببيعتهم وبقيت اشبيلية في طاعته الى ان نازلها
العدو وحاصرها سنتين واعانه ابن الاحمر وبعث اليهم
الامير ابو زكرياء بالمدد وجهز لهم الاسطول فوصل الى
وادي اشبيلية وغلبهم اسطول الطاغية على المرسى
فرجعوا واستولى العدو عليها صلحا سنة ست واربعين
والامير لمه وحده وارسل اليه اهل المرية من الاندلس ببيعتهم
ايضا ثم بايعه ابن الاحمر صاحب غرب الاندلس وارسل اليه
اهل سبتة وطنجة وقصر ابن عبد الكريم ببيعتهم وكذلك
سجلماسة ثم انتقضت وبايعته مكناسة وبنو امرين واتسع
ملكه وفخمت دولته وعظم ولاية عهده لابنه الامير ابي يحيى
زكرياء وكان من اهل العلم والدين موثر العدول والانصاف
واعلن بذكره في الخطبة على المنابر مع ذكره وكتب
اليه بالوصية المشهورة التي تداولها الناس ونحن نذكرها
ليطلع عليها ابناء السادات السعداء من موالينا اعزهم الله تعالى
فيأخذون بما اشتملت عليه من مكارم الاخلاق ومعالي
الخلال ويعلمون ان ما جبل عليه والدهم ايده الله تعالى

من الخلال الحميدة والصفات الجميلة وهي مما يتواصى به الاكابر
الملوك واهل الرشد والعزم منهم ويحفظونه عهدا لابنائهم لياخذوا
به من بعدهم وفيها اعلم سددك الله وارشدك
وهداك الى ما فيه حسنى والسعود وجعلك محمود السيرة
مامول الحسن دينه ان اول ما يجب على من استرعاه الله في خلقه
وجعله مسئولا عن رعيته في جليل امرهم ودقيقه
ان يقدم رضى الله عز وجل وعلا في كل امر يحاوله وان
يكل امره وحوله وقوته له ويكون عمله وسعيه وذبه
عن المسلمين وحربه وجهاده للمومنين معه التوكل عليه
والبراءة من الحول والقوة اليه ومتى نحاك امر مغلق
او ورد عليك مرهق فيه يغلبك وسكن جاشك وادع
عواقبه امر عاقبته وحاوله قبل ان ترد عليه ولا تقدم اقدام
الجاهل ولا تحجم احجام الاخرق المتكاسل واعلم ان الامر اذا
كان مجانبه وقصر عن مقاومته رجاله فمتابعه الحى
والكرامة والحزم مع عقلاء الجيش ورؤسائهم وذوي التجارب
من نبهائهم ثم الاقدام عليه والتوكل على الله فيما الوجه
والاحسان لكبير جيشك ولصغيره الكبير على قدره والصغير
على قدره ولا تخص الصغير بالكبير فيجترئ الصغير على نفسك
وتغلظه في نفسه وتفسد نية الكبير وقوعه عليك فيكون
احسانك اليه مفسده في كلا الوجهين وتضيع احسانك
وتستخف نفوس من معك واتخذ كبيرهم ابا وصغيرهم

ابنا

ابدا واخفض لهم جناح الذل من الرحمة وشاورهم في الامر
فاذا عزمت فتوكل على الله ان الله يحب المتوكلين واتخذ
نفسك صغيرة وذاتك حقيرة وحقر امورك ولا تسمع اقوال
الغالطين والمغلطين بانك اعظم الناس قدرا واكثرهم
بذلا واحسانهم كبيرة واجعلهم صغيرا فذلك غرور وبهتان
وزور واعلم ان من تواضع لله رفعه الله وعليك بتفقد
احوال رعيتك والبحث عن عمالهم والسوال عن سير
قضاتهم فيهم ولا تنم عن مصالحهم ولا تسامح اعرابيهم
ولا تمادعيت الي كشف ملمة واكشفها عنهم ولا تراع
بينهم صغيرا ولا كبيرا اذا عدل عن الحق ولا تراع في واجب
ولا تتصرف بالمواخذة ولا تقتصر على شخص واحد في
جميع مسايل الرعية ولا تنقب عنهم مراده في احوالهم ثم
واتخذ لنفسك ثقاة صادقين معروفين لهم في جانب
الله او في نصيب وفي رفع مسايل خلقه اليك اسرع
تجيب وليكن سوالك لهم افرادا فانك مهما اقتصرت
على شخص واحد في نقله ونصحه حمله الهوى على
الميل ودعته الحمية الي تجنب الحق وترك قول المعروف
واذا رفع اليك احد مظلمة وانت على ظهر فادعه
اليك وسله حتي يوضح قصته لك وجاوبه جوابا يشفي
صدره لقولك مصغي الي ما نزلته ونقله فيه اهلية لذلك الحري
تانيس والسياسة والي ما سبق في نفوس الخاصة

والعامة والجمهور اعظم تاسيسي واعلم ان دما المسلمين واموالهم
حرام على كل مومن بالله واليوم الاخر الا في حق اوجبه الكتاب
والسنة وعصمة تراه فادي النبي عليه والحجة او معسف عابث
في طريق المسلمين واموالهم جار على غيره في فساد اموالهم
واحوالهم بلبس الا السيف فان عثار وقعة لدا الادمنة
العاسرة دوا ولا تقل عثرة حسود على النعمة عاجز على الشي
فان افة العلم حمله على القول والقول حمله على الفعل ووبال
عمله عايد عليك فاحسم داءه قبل انتشاره وتدارك امره قبل
اظهاره واجعل الموت نصب عينيك ولا تغتر بالدنيا وان
كانت في يديك فانك لا تنقلب الى ربك الا بما قدمت من
عمل صالح ومتجر في مرضاته رابح واعلم ان الايثار اربح المكاسب
وانجح المطالب والقناعة مال لا ينفد وقد قال بعض المعبرين
في قوله تعالى عز من قايل وقد كنا عليه في الاخرة ان الانشاد
الحسن في الدنيا على ما حلا فيها من الاعمال المشكورة ثم
والفعل ثم الصالحة المذكورة فيكفيك من دنياك ثوب
تلبسه وقوت تقوم به عن عبادة واحوبك متى جعلته
وصيتي هذه نصب عينيك لم تعدم من ربك فتحا ييسره
الله على يديك وتاييدا ملازما لم يبرح عنك الا اليك بحول
الله وقوته وطوله والله يجعلك ممن سمع فوعا واجاب لداعي
الرشد اذا دعا انه على كل شيء قدير وبالاجابة جدير
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وحسبنا الله ونعم الوكيل

تمت

تمت الوصية المباركة فعظم ترشيح الامير ابي يحيي لذلك
وعلا في الدولة كعبه وهو بحالة من النظر في العلم والجنوح
الي الدين الي ان هلك سنة ست واربعين فعقد الامير ابو
زكريا العهد من بعده لابنه عبد الله محمد ثم خرج من تونس
الي جهة قسنطينة فاصابه مرض وهو نازل بطاهر
بونة واشتد به وتوفي لسبع بقين من جمادي الاخيرة
سنة سبع واربعين لثنتين وعشرين سنة من ولايته
ودفن بجامع بونة ثم نقل بعد ذلك الي قسنطينة وكانت
ولادته بمراكش سنة تسع وتسعين وخمسماية فكان عمره
تسعة واربعين سنة ولما طار خبر مهلكه الي الافاق انتقض
كثير من اهل الناحية فنقض ابن الاحمر بجزيرة
الاندلس البيعة وانتقضت سبتة وطنجة وتمسك بها
يغمراسن ابن زيان صاحب تلمسان

ولاية المستنصر

قف

ولما توفي الامير ابو زكريا يحيي ابن عبد الواحد ابن الشيخ
ابي حفص اجتمع الناس علي ابنه ابي عبد الله محمد وكان
في سن العشرين ونحوها واخذ له البيعة بتونس عمه محمد
اللحياني سمي بذلك لطول لحيته وارتحل الي تونس ثالثة
رجب من سنته لتجديد البيعة يوم وصوله وتلقب بالمستنصر
بالله وتسمي كالامير ولم يتسم باميرالمومنين الا في ذي
الحجة سنة خمسين وستماية وجدد لذلك بيعته واستوزر

محمد بن ابي مهدي الهنتاتي واراد ان يستبد عليه لمكان صغره
ويجعله في حجره فلم يتهيا له ذلك لكثرة الموالي والصنايع وداخل
في ذلك عمي المستنصر محمد اللحياني وابراهيم فلم يجيبوا عند هما
ما املوه من محمد اللحياني فاجابه الى ذلك وبايعه ابن ابي
مهدي وانما الحق بذلك الى السلطان المستنصر من عمه محمد
اللحياني وحضره غايلة ابنه وبالوزير ابن مهدي مغفرة
من دار الامارة لعشرين من جمادى سنة ثمان واربعين واستهلت
مشيخة الموحدين معه وبايعوا لابن محمد اللحياني فبادره
فاركب السلطان اولياه وعاقد القبايد طافر بعلجي بلم يلقى
الموحدين خارج البلد بالمصلي بعض جمعهم وقتل ابن
اللحياني وابن ابي مهدي وسار الى دار اللحياني عم السلطان
مقتله وقتل في طريقه اخاه ابا ابراهيم وابنه وحمل روسهم
الى السلطان وانتهب ديار الموحدين ثم سكنت الفتنة
واحسن السلطان الى الاوليا والجند ثم سعوا الى السلطان
بمولاه ظافر وتجوا عنه ابتياته في قتل عمه من غير جرم
فاحس بذلك وخاف فلحق بالى ذواودة وكان المستنصر قد
شرد على اخيه الامير ابي اسحاق فكان بفريقه من خلفه
ومكنه ثم حرة وكان المستنصر يجاهد على امره وخرج سنة احدى
وخمسين لبعض الوجوه فيعد الامير ابو اسحاق من عسكره ولحق
بالى ذواودة من رياح فبايعوه واجتمعوا على امره وبايع له
ظافر مولى ابيه النازع اليهم واعتقد منه الوعد والرتبة

وفعروا

وقصدوا بسكرة وحاصروها فبايع له اهل بسكرة ودخلوا في
طاعته ثم ارتحلوا الى قابس فنازلوها واجتمعت عليه الاعراب
من الزواودة واهم السلطان شانه وقبض على الاولاد جميعهم
بالمعقبة جميعا وتلطف وزيره ابن ابي الحسين في افساد
ما بين الامير ابي اسحاق وظاعنه فتنكر ابو اسحاق لظاعنه
وبادرهم وصار الى المغرب ثم لحق بالاندلس ونزل على ابن
الاحمر بن عالم عهد ابيه واستعمله في الجهاد وشهد معه الوقائع
وابلى فيه في الجهاد ولم يزل المستنصر يهاوده وابن الاحمر
يهاديه ويفاوضه في شان اخيه وتقلبت الاحوال
بظاعنه الى ان قتل ببجاية بعد موت المستنصر وكان من
خبر الامير ابي اسحاق ما سنذكره ان شاء الله تعالى ثم
وصلت للمستنصر بيعة اهل مكة ودخل اهلها في الدعوة
الحفصية وكان صاحب مكة اذ ذاك الشريف الحسني ابو
نمي فلما راوا استيلاء الططر على بغداد ومحوهم رسوم
الخلافة العباسية منها وظهور الدعوة الحفصية
بافريقية وتاميل اهل الافاق لها وامتداد الايدي لها
بالطاعة اجمع على البيعة للمستنصر وولده في ذلك عبد
الحق ابن سبعين وحرضه واملى رسالة بيعتهم من انشائه
وكتبها بخطه وهي رسالة طويلة مشهورة في الكتب
الناس وافتخر بعض الشعراء في ذلك

اهنا امير المومنين ببيعة   وابتك بالاقبال والاسعاد..

فلقد حباك بملكه رب الورى   فاتى يبشر بافتتاح بلاد
واذا افتتاح الفتح فهو مقادة   يمنى المرية طاعة الاوراد

ولما وصلت هذه البيعة استحضر لها السلطان الملأ والكافة
وقرئت بمحضرهم وقام القاضي ابن البراء في ذلك المحضر خطيبا
وبالغ في تعظيمها والاشارة بحسن موقعها واظهار ...
السلطان ... ود ولقيه بطاعة اهل البيت والحرم ودخولهم
في دعوته وختم بالدعاء ... وانفض الجمع وكان من الايام
المشهودة وعظم شان السلطان المستنصر وبعث اليه
... ببيعة اهل فاس ارسلها الامير ابو يحيى بن
عبد الحق المريني اولاد اخوه يعقوب بعده وارسل اليه
ملك كانم من ملوك السودان وهو صاحب برنو مواطنه
قبلة طرابلس بهدية فيها الزرافة الحيوان الغريب
الخلق البديع الشكل الاخذ من كل حيوان بشبه وخرج ا
اهل الحضرة للتعجب وطال اعجابهم به وثار عليه الثوار
بالنواحي فحضهم واباد شوكتهم ودوخ الدواودة من
رياح وقتل مشايخهم وعزاه ملك الافرنج الغزوة المشهورة
بعد منازلته مصر واخذه دمياط وفي كثيرة من فرنج مصر
واخذه وسجنه بدار ابن لقمان واطلقه بعد ذلك على تسليم
دمياط والمسالمة فيها بعد مضيبة طويلة مشهورة فلما رجع
الى بلاده عزم على الحركة لتونس متجنيا عليهم فيما زعموا
بمال ادعى تجار ارضه انهم اقرضوه للحياني وهو احمد الحاجب

في ... عن والفرنج تولى ايام المستنصر الحفصي بعد رجوعهم من مصر واطلاق ملكهم من السجن

الدولة

الدولة كان قد وهبه السلطان وقتله فطالبوه بذلك المال
وهو نحو ثلاثماية الف دينار ذهبا موهوب فيعتذرون اليه
وغضبوا لذلك وشكوا الى طاغيتهم فغضب لهم ورغبوه
في غزو تونس لما كان فيها من المجاعة والموتان فارسل
الفرنسيس طاغية الفرنج واسمه لويس ويلقب
بلغتهم ريد افرنس ومعناه ملك افرنسه الى ملوك
النصارى يستنفرهم الى غزوها وارسل الى الباب خليفة
المسيح انه عمهم فارسل الى ملوك النصارى يامرهم بمظاهرته
واطلق يده في اموال الكنايس واهم المسلمين بكل من شانهم
وامر السلطان في سائر عمالاته بالاستكثار من العدة والسلاح
والاسوار واختزان الحبوب وارسل رسله الى الفرنسيس لاختبار
حاله ومشارطته على ما يرد عزمه وحملوا ثمانين الف ذهبا
لتمام شروطهم فاخذ المال من ايديهم واخبرهم ان غزوه الى
ارضهم فلما طلبوا المال تلوى عليهم بانه لم يباشر قبضه
ووصلوا اليه وهو عنده رسول صاحب مصر فلما حضر مجلسه
امر بالجلوس فابى وانشد وهو قايم قصيدة ابن مطروح
شاعر السلطان بمصر المشهورة التي اولها

قل للفرنسيس اذا جيته ... مقال صدق من قؤول نصيح

الى ان قيقول في اخرها

وقل لهم ان ازمعوا عودة ... لاخذ ثار او لفعل قبيح

دار ابن لقمان على حالها ... والقيد باق والطواشي صبيح

يعني بدار ابن لقمان موضع اعتقاله بالاسكندرية وبالطواشي صبيح
الطواشي الذي كان موكلا به وهو في عرف اهل مصر الخصي
فلم يفد ذلك الطاغية الا عتوا واستكبارا ورجعت رسل السلطان خ
منذرين وركب الطاغية اساطيله الى تونس اخر ذي القعدة
سنة ثمان وستين ونادى السلطان في الناس بالاستعداد
وبعث الشواني لاستطلاع الخبر فاستبطأهم اياما ثم توافت
الاساطيل مرسية بقرطاجنة وتفاوض السلطان مع اهل الشورى ي
في تخليتهم وشأنهم من النزول او صدهم عنه فأشار بصدهم
حتى تنفذ ذخيرتهم من الزاد والماء فيضطرون الى الاقلاع وقال
اخرون ان اقلعوا من مرسى الحضرة ذات الحامية والعدد
قصدوا بعض الثغور سواها فملكوه واستصعبت مغالبتهم
عليه فوافق السلطان على هذا وشأنهم من النزول ونزلوا
بساحل قرطاجنة فانزلوا عساكرهم بالمدينة القديمة من قرطاجنة
وانزلوا العسكر بداخلها ووصلوا ما بين الخراب من اسوارها
بألواح الخشب واداروا على السور خندقا بعيد المهوى
وتحصنوا وندم السلطان على اضاعة الحزم في تخليتهم ودفاعهم
عن نزولها واقام مالك الفرنجة وقومه ستة اشهر على تونس
والمدد يأتيه في اساطيله بالرجل والاسلحة والاقوات
وسلك بعض المسلمين طريقا في البحيرة واتبعهم العرب
فاصابوا غرة في العدو فظفروا وغنموا وشعر بهم فكلفوا
بحراسة البحيرة وبعثوا فيها الشواني بالرماة ومنعوا الطريق

اليهم

اليهم وبعثوا السلطان في ممالكه فوافته الامداد من كل
ناحية فوصل اليه صاحب بجاية وجموع العرب والبربر من زناتة وهوارة وغيرهم وعسكروا للامل على الحرب واجتمع من المسلمين
عدد لا يحصى وخرج الفقها والصلحا والمرابطون للجهاد ونفر
السلطان بامرائه في العصبة مع بطانته واهل اختصاصه
واتصلت الحرب واشتد الامر وابتلي المومنون فيه وظنوا الظنون وهم السلطان بالتحويل عن تونس الى القيروان
ثم ان الله اهلك عدوهم واصبح ملك الافرنجة ميتا فيقال حتف
انفه ويقال اصابه سهم غرب في بعض المواقف فاثبته
ويقال اصابه مرض الوبا ويقال ان السلطان ارسل اليه
بسيف مسموم مع سلمان الداجي فكان فيه هلاكه في
قضية طويلة ولما هلك اجتمع النصارى على ابنه دمياطلس
فبايعوه واعتزموا على الاقلاع وارسلوا الى
السلطان ان يبذل لهم ما خسروه في مؤونة حركتهم ويرجعوا
عنه فاجابهم الى ذلك لما كان العرب عزموا على الانصراف
لمشاتيهم وبعثوا الفقها لعقد الصلح فتولى عقده وكتابته
القاضي ابن زيتون واقلع النصارى باساطيلهم واصابهم
عاصف من الريح اشرفوا منه على العطب وهلك الكثير منهم
واغرم السلطان الرعايا ما اعطى العدو من المال يقال
انه عشرة احمال وخرب قرطاجنة واتى بنيانها من القواعد
وكتب الى ملوك النواحي بالخبر ودفاعه عن المسلمين ما

عنوة من اهله ثم انتقضت عليه الجزائر فاوعز اليها الجنود
وحاصروها اياما وجاوروا فافتتحوها واستحر القتل فيها وانتهبت
الاموال واستبيحت الحرائر والابكار وقبض على مشيختها فنقلوا
الى تونس مصفدين واعتقلوا بالقصبة الى ان سرحهم الواثق
ومعروفة الجزائر خرج السلطان من تونس للصيد وتفقد
البلاد فاصابه في سفره مرض فرجع الى داره واستمر به
علته وكثر الارجاف بموته فخرج يوم الاضحى سنة خمس وسبعين
في هادي بين رجلين ورجلاه يخطان الارض وجلس للناس
على منبر متجلدا ثم دخل بيته وهلك لليلته فكان رحمه الله تعالى
وكان شانه في ملوك بني ابي حفص عظيما وشهرته طائرة
الذكر وانفسحت مملكته وسلطانه ووفدت اليه الثغور القاصية
في الاعصار بعد وعظمت في ايامه حضارة تونس وتانق اهلها
في الملابس والمراكب والمباني والالات وله في الحضارة اثار
عظيمة ومصانع ملوكية منها الصيد الذي اتخذه بناحية
بنزرت للصيد فادار سياجا على بسيط من الارض فرسخ لطاقه
عن التحديد بحيث لا يراع فيه سرب الوحش فاذا ركب للصيد
اتى ذلك السياج بجملته من مواليه المختصين واصحاب بيزرته
بما معهم من الجوارح بزاة وصقورا وكلابا سلوقية وفهودا
فيرسلونها على الصيد وقد وقفوا باعقابها في البنالة من امام
فيقضي وطره من ذلك القنيص ساعة فكان ذلك من افخم ما عمل
من مثلها ومنها الممشى التي اتخذها بين قصوره ورياض راس

الطابية

الطابية معتدلين بجيوزان عن نحو العشرة اذرع طرفا
سالكا ما بينهما في ارتفاع عشرة اذرع مجتجب من الحي في
خر وجهتي الي تلك البساتين عن ان تقع العيون عليهن
فكان ذلك مصنعا محكما ومنها الصرح العالي الذي بناه بعينا
وجيه باجنبة اسارا كي وامسارا كي باللسان المعهود في
هو الغورا البهيجة وهذا الصرح هو ايوان من تقع السمك
متباعد الاقطار متسع الارجا منه اجزالا اوخي واجمل المطالع
التي تستهر بابهة الملك وجلالة الدولة ومنها التخاذ من
البستان الطاهر الذكي المعروف بابي فهر المشتمل على
جنبات معمورة وشاتت وعين معمورة وشامات اعترجت صيبا من
شجيرة كلها بالجهة من جميع اصناف الشجر حتي لقد اعتدت
السدر والطلح والشجر البري واعتز وسطها البساتين
والرياضات بالمصانع والحوايف وشجر النور والنزهة
من الليم والنارنج والسرو والريحان والياسمين والجنبر ثم
والليمون وامثاله وجعل وسط هذا الرياض روضا
بسيط المساحة وضع فيه للما حاجزا من عواه المجور جلب
اليه الما في القنات الفرعية كامنة ما بين عيون ونحو انه
ومرطاحنة تسلك بطن الارض في اماكن وفي كبد البناء
العادي ذا الهياكل الهايلة والقسي القايمة على الاجل
الضخمة الاخرى فعطف هذه القناة من افرب السموت الي
هذا البستان فكان الما ينبعث منها في الصهريج فيتاني

متقابلتان كبرا وصغرا بحط اعمدة الرخام مشيدة جوانبها بالرخام
وسقفهما من الخشب المقدر بالصنائع المحكمة والاشكال
المتحفة الى ما اشتملت عليه هذه القصور من المصانع
والاواوين والقصور وتأنق في مبانيه هذه وعدل عن معالم
سلفه ورياضهم الى متنزهاته هذه فبلغ فيها الغاية
في الاحتفال وطار لها ذكر في الافاق

ولاية الواثق

لما هلك السلطان المستنصر اجتمع الموحدون وسائر الناس
على طبقاتهم الى ابنه يحيى فبايعوه ليلة مهلك ابيه
وفي غدها وتلقب بالواثق وافتتح امره برفع المظالم
وتسريح اهل السجون واجاز في العطا في الجند واهل
الديوان واصلاح المساجد وازالة كثير من الوظائف على
الناس وامتدحه الشعرا فاسنى جوائزهم واستوزر
ابا الحسن يحيى ابن عبد الملك الغافقي وكان يحيى الكاتب
ولم يكن له من الخلال غير اذا ما فاستبد على الدولة
والسلطان وابا الشيخة والبطانة لعنوه واستبداله وما
يتجشمونه من مباكرة بابه وبعث اخاه ابا العلا واليا على
بجاية الاموال وتحكم في المشيخة وابن الحمر ابن ابي
هلال الذي كان واليا قبله من استبداده عليه فجاهم
العلا بنكبته بحيث كثيرا حتى ابي هلال فاد رقبه ودأخل بعض
بطانته في قتله فعدوا عليه يعقوه من باب السلطان

فقتلوه

فتحفظوه ودسوا بابسه الى الفرنجا فحبسوا به ووافق ذلك
السلطان الي ابي اسحاق بن الامير ابي زكريا بتلمسان اجاز
البحر من الاندلس لما بلغه موت اخيه المستنصر لطلب حقه
بعد ما تقدم بجهته ونزل على صاحبها يغمراسن بن زيان
فاحتفل في مبرته وبعث اهل بجاية وابن ابي هلال معلنهم
وحشوا بوادي السلطان فاستحثوا فخاطبوا السلطان ابا
اسحاق واخوه ببيعتهم وبعثوا وفدهم يستحثونه للملك
فاجابهم وجد اليها اخر ذي القعدة من سنة سبع وسبعين
فبايعه الموحدون والملا من اهل بجاية وفاوضوا محمد
بن ابي هلال ثم زحف في عساكره الى قسنطينة وبها
فامتنعت عليه فاقلع عنها ولما بلغ الخبر الى الواثق
ووزيره المستبد عليه ابي الحسن الغافقي بحصول ابي
اسحاق ببجاية سرح العساكر اليه وعقد عليها لعمه
ابي حفص واستوزر له ابا زيد بن جامع فخرج من تونس
وضرب معسكره بباجة ثم اختلط برأي الغافقي في خروج
الامير ابي حفص واراد انفضاض عسكره فكتب الواثق
الى ابي حفص واراد انفضاض عسكره فكتب الواثق الى
ابي حفص ووزيره ابن جامع يغري كل واحد منهما بصاحبه
فتفاوضا واتفقا على الدعاء الى الامير ابي اسحاق وبعثوا
اليه بذلك واتصل الخبر بالواثق وهو بتونس منتبذا
عن الخاصة والبطانة فاستيقن ذهاب ملكه واشهد

الله وانخلع لحينه الامر لعمه السلطان ابي اسحاق غرة ربيع
الاول سنة ثمان وسبعين وستمائة وتحول عن قصور
الملك بالقصبة الى دار الغوري بالكتبيين ولما بلغ
السلطان كتاب اخيه الامير ابي حفص وابن جامع من
جاءه بادر اليهم ثم وابادهم اعتقل ابن اخيه الواثق
وبنوه فامر بقتلهم جميعا وخرج اهل الحضرة على طبقا
الى لقائه واثنوا ما عنهم وحضر الحضرة منتصف ربيع
الاخر ومحمد بن ابي هلال شيخ دولته وقبض على ابي
الحسن الفاصفي والقى عليه العذاب الى ان هلك ولما
استقر السلطان ابو اسحاق بكرسي ملكهم واستوثقت
عرى ملكه قبض على محمد ابن ابي هلال فجعله نكالا
فيه منعه من المكروه في الدولة وما عرف به من السعي
في الفتنة واقام الواثق بدار الغوري اياما وكان له
ثلاثة من الولدان صغار الفضل والطاهر والطيب وكانوا
معه ثم عن عنه للسلطان ابي اسحاق انه يروم الثورة
وانه داخل في ذلك بعض رؤسا النصارى من الجند فا
قلق السلطان لذلك واعتقله بالقصبة هو واولاده ثم
بعث اليهم من ليلته فذبحوا جميعا واستوثق له الامر
وكان للسلطان ابي اسحاق خمسة من الولدان ابو فارس
عبد العزيز وكان اكبرهم وابو محمد عبد الواحد وابو زكريا
يحيى وخالد وعمر وكان السلطان المستنصر قد حجبهم.

عندبار

ولي ابنهم الي دراج في ايامه يعطي حق القبض واجري
عليهم رزقا فنشوا في ظل كفالته الى ان استولى ابوهم
على الملك فطمعوا بآفاقه واستهلوا على البر واصطنعوا
الرجال وارخى السلطان لهم طلقه في ذلك وعقد لابي
فارس عبد العزيز على بجاية فخرج اليها سنة تسع وستين
وقام بها وثار ابو بكر بن الوزير بقسنطينة وجاهر
بالخلع ودعا لنفسه فخرج اليه الامير ابو فارس من بجاية
وجاء قسنطينة فنازلها وجمع الامراء على حصارها ونصب
المجانيق وفرق فيها عدد الرماة وقاتلها يوما او بعض يوم
وتسور عليهم العسكر من بعض جهاته واولج ابن الوزير
عند الهزيمة حتى احيط به وقتل هو واخوته واشياعهم
ونصبت رؤوسهم على اسوار البلد وامر بهدم ما تثلم
من الاسوار وبعث بالفتح الى ابيه بالحضرة وارتحل ثالثة
الفتح الى بجاية وكان السلطان ابو اسحاق يؤثر ابناءه
بمراتب ملكه ويوليهم خطط سلطانه شغفا بهم وتزيينا
لهم فعقد في رجب سنة احدى وسبعين لابنه الامير ابي
زكريا على عسكر من الموحدين والجند وبعثه الى قفصة
للاشراف على جباتها وحسم خوارجها فخرج اليها وقضى شأنه
من حركتها وانصرف الى تونس في رمضان من سنته ثم
عقد لابنه ابي محمد عبد الواحد على عسكر وانفذه الى وطن
هوارة لاقتضاء مغارمهم وجباية ضرائبهم فانتهى الى

الفتى واتق وبلغه شأن الدعي وظهوره في ذباب بنواحي
طرابلس فبطش بالفتى الى السلطان واقبل على شأنه ثم
انتشر امر الدعي فانكفا راجعا الى تونس

ذكر خبر الدعي وظهوره وما وقع من التغريب والمهم

هذا الدعي اسمه احمد بن مرزوق بن ابي عمارة من
اهل بجاية الطارئين عليها من المسيلة ونشأ ببجاية وسيما
محترفا بصناعة الخياطة وكان العارفون فيما زعم يخبرونه انه
يملك وكان هو يخيط في بيته خطط ذلك فكان يحدث نفسه
بالملك ثم اغترب في بلاده الى صحراء سجلماسة وانتهى الى اهل
البيت وادعى انه الفاطمي المنتظر وانه يحيل المعادن الى
الذهب بالصناعة فاشتمل عليه اهل تلك الناحية وتحدثوا
بشأنه اياما ثم فحصه العجز عن دعاويه فنبذوه فتقلب في الارض
حتى وصل الى جهات طرابلس ونزل على ذباب وصحب بينهم
الفتى نصير مولى الواثق ابن المستنصر ولما رآه تبين فيه شبها
من الفضل مولاه فطفق يبكي ويقبل قدميه فقال له ابن ابي عمارة
ما شأنك فقص عليه الخبر فقال له صدقني في هذه الدعوة
وانا اثير لكم من قاتلهم واقبل نصير على امراء العرب مناديا
بالسرور بابن مولاه حتى خيل عليهم ثم لبس بادعى انه
ابن ابي عمارة تعصبا للعرب بالامر فصدقوا واطمأنوا واتوه
ببيعتهم واقام بامرهم مرغم بن صابر بن عسكر امير ذباب
وجمع له العرب ونازلوا طرابلس وبها يومئذ محمد بن عيسى

الهنتاتي

الهنتاتي الحصون جميع المعقل فامتنعت عليهم ورحلوا
الى جربة الموطنين بجهتي ... من هوارة فاوقعوا بهم
ثم سار في تلك النواحي واستولى على جبال نفوسة وزواوة
ودواسة واغرم نفوسهم على ملئ ومعن من بطون هوارة
مغارم التي منهم اياها واستولوا عليها ثم رجع الى قابس فبايع
له عبد الملك ابن مكي في رجب سنة احدى وثمانين واعطاه
صفقة طواعيته وجاء بنو ابيه مع طوفوه وقد رحمه الى الامر
المستقل الذي كان يؤمله واعلن بخلافته وفاحص في %
قومه واستخدم له بني كعب من سليم فاجابوا داعيه وانابوا
الى خدمته وتواهب اليه ببيعة الهلاجين به والجماعة وفي ي
نفزاوة ثم رجع الى توزر وبلاد قسنطيلية فاطاعوه ثم
رجع الى قفصة فبايع له اهلها وعظم امره وعلا صيته فبعث
اليه السلطان ابو اسحاق العساكر من تونس وعقد لابنه
الامير ابي زكرياء عليها فخرج من تونس ونزل القيروان
وافتتح منها غرامات ورجانع احتاش منها فاموال %
ثم ارتحل الى بلاد الدعي واقتضى الزمودة وبلغه هنالك
ما كان من استيلاء الدعي على قفصة فارتحل به العسكر
وانفضوا من حوله ورجع الى تونس فدخلها اخر يوم
من رمضان من سنته وجاء بعد الدعي على اثره من قفصة
واختار القيروان فبايع له اهلها واقتدى بهم اهلها
واقتدى بهم اهل المهدية وصفاقس وسوسة فبايعوا

له وكثر الارجاف بتونس فخرج السلطان معسكره بظاهر البلد
منتصف شوال وضرب الغز على الناس واستكثر العدد وخرج
الى معسكره بالمحمدية وتلوم بها لازاحة العلل وارتحل الدعي
من القيروان واجتمع اليه مشيخة الاعراب وطبقات الجنود ومشيخة
الموحدين وزحف بكتائبه وضاغيته الى بني المستنصر فليبعثهم
لظهور امر الواثق عليهم ورحمة لما نال الواثق وابناؤه
من عمهم ثم انفض عن السلطان حاجب الدولة فوشي من
ياسين في معظم الموحدين وبقي الدعي يطلب غيره فاختل امر
السلطان وانتقضت عليه ملكه في تحدثه خاصته وبعض
جنده اخر شوال ذاهبا الى بجاية ومر بتبرسق فتوقف
عندها حتى احتمل اهله وولده وسار في طلبه الى
[illegible] متنقلة الاقوات وتعاود المطر والثلج عشرة وكان
مستأمنا القبائل في طريقه يبذل ماله ثم مر بقسنطينة
فمنعه عاملها من دخولها ونقل اليه بعض الفرس من
الاقوات وارتحل الى بجاية ودخل الدعي ابن ابي عمارة الى
الحضرة وقتل موسى بن ياسين وزاويته واما القاسم
احمد بن الشيخ لحجابته وصرف خطة الحجابة الى عبد الملك
ابن مكي رئيس قابس واستعمل [illegible] وعظم اختلاط
بين رجال الدولة وصرف كتبه الى عز وبجاية واما السلطان
ابو اسحاق فانه لما وصل الى بجاية في ذي القعدة [illegible]
عن ملكه انتقض عليه ابنه الامير ابو فارس ومنعه

من

من الدخول الى قصبة بتونس لمرض الى حين واراده على
الخلع فانخلع له واشهد الملا من الموحدين ومشيخة
بجاية بذلك وانزله بقصر الكوكب ودعى الناس الى بيعة
او اخذ بالحضرة فبايعوه وتغلب المعتمد على البلد وبلاد
في اوليائه من رياح وسدويكش وخرج من بجاية راجعا
الى الزاب واستغلب عليها اخاه الامير ابا زكريا وخرج معه
عمه الامير ابو حفص واخوته ولما بلغ الدعي استبداد
الامير ابي فارس عن ابيه واستعداده للغاية فيخشى
على اهل البيت الحفصي فاعتقلهم بعدان هم بقتلهم
وخرج من تونس في عساكره من الموحدين وطبقات الجند
في صفر سنة ثنتين وثمانين فالتقوا الى مرماجنة وتراءى
الجمعان ثالث ربيع الاول فاقتتلوا عامة يومهم ثم اختل
مصاف الامير ابي فارس وتخاذل انصاره فقتل في المعركة [illegible]
وانتهب معسكره وقتل اخوانه جميعا صبرا عبد الواحد وحبشا
بن ونسهم الى تونس فطيف بها على الرماح ونصبت باسوار
البلد وتخلص عمه الامير ابو حفص من المعركة راجلا ونجا
الى قلعة سنان معقل هوارة لهذا العهد من مكان الملحمة واخذ
في ذهابه الى منجاته ثلاثة من صنائعهم ابو الحسن
ابن ابي بكر ابن السيد الناس اليعمري ومحمد الفزازي ومحمد بن
ابي بكر بن خلدون وربما كانوا يتناقلونه على ظهورهم اذا اصابه
الكلال وبلغ خبر الواقعة الى بجاية فاضطرب اهلها وماجوا

جماعتهم في بعض وجوههم فاخذهم ابو محمد عبد المنعم الجزيري
المعروف في الديوان فبكى المزوار وحرضهم ابنه فقتلوهم واستخلصوا
القاضي [illegible] في البحر وخرج السلطان ابو اسحاق وابنه الامير
ابو زكريا الى تلمسان وبقي السلطان ابو اسحاق ببجاية معتقلا
ولما بلغ الخبر الى تونس وارسل الدعي فقتله اخر ربيع الاول
من السنة وانقضى امره وكان الدعي قد اسف على العرب وثقلت
وطاته عليهم بما كان يحسبه في المملكة فيهم عليهم ويشكو اليه من
الناس بثقلهم فقبض على ثلاثة منهم وقتلهم وطلبهم ثم
سرح شيخ الموحدين عبد الحق من تافراكين بحسم عللهم
واوطا من تخاف فيهم فاستلحم من بقي منهم وقبض على مشايخ
بني علاق واودع سجونه منهم نيفا على الثمانين فما اقره فيهم
وكان الامير ابو حفص لما نجى الى قلعة سنان تحدث به الناس
وشاع خبر مجيئه اليها فاجتمع العرب بحيه وكانوا منها على
مراحل اليه واتوه ببيعتهم في ربيع سنة ثلاث وثمانين
وجمعوا له شيئا من المال والاخبية وقام بامره ابو الليل بن
احمد اميرهم وبلغ الخبر الى الدعي مع اختلال الفتنة في اهل
دولته وقبض على موسى بن ياسين شيخ دولته وجماعة معه
من اكابر الدولة ورؤسائها فامتحنهم واستصفى اموالهم ثم
قتلهم وتوجهت التهم الى الناس ومقتوه واضطرب امره فخرج من تونس
يريد قتال الامير ابي حفص وقد تسامع به اهل الحضرة واجتمع
اليه الناس فارجف بالدعي اهل معسكره ورجع منهزما

ودخله

ودخلت البلاد في طاعة السلطان ابي حفص ونهض
الى تونس فنزل بسيجوم وعسكر الدعي بظاهر البلد
قبالته بجبل السبخة وطالت الحرب بينهما اياما
والناس في كلامهم يتحدثون بخبر الدعي ومكره الى ان فر
منه وامهلوه ودخل من مكان معسكره وبلغوا باجتماعه

ولاية السلطان ابي حفص عمر بن المولى ابي زكرياء لما فر الدعي واختفى

دخل السلطان البلد في ربيع الاخر سنة ثلاث وثمانين
واستولى على من في ملكه وطلع من دفن دعيه واختفى
الدعي بتونس وغاص في لجة مساكنها واحاط به البحث
ففتش عليه الليالي من دخل السلطان فدار رجل من الموقف
اندلسي فراى فيه بحانوت الناصر الذهبوني مزيدا للعيال
فقدمت الواد بجنبها وحمل الدعي الى السلطان فاحضر
لهم الملا فيهم فاخرج الجماعة والشهود فوبخه وساله
فاعترف بادعائه في نسبه وانه احمد بن مرزوق ابن
ابي عمارة المسيلي فامر بامتحانه فضرب ما بين صوت
ثم ضربت عنقه وطيف بشلوه على حمار المشهب وجيء
الى السبخة خارج باب البحر فرمي بها وطيف براسه
على قناة وذلك في يوم الثلاثاء الثاني من جمادى الاولى
وكان الذي تولى قتله بيده الشيخ ابو محمد عبد الله بن
يغمور بسبب كان اعطاه له الدعي وذهب في غير سبيل

وجمه وكان حينه من المطلاشا وكان ظهوره سببا لهلاكها
فظهر فطلع المنكر وباقيه واستبد السلطان ابو حفص
بملكه وتلقب المستنصر بالله ودعا الناس الي الدخول
في طاعته وبعث اهل النواحي ببيعتهم من طرابلس ٭
وتلمسان وما بينهما فدام متصلا ملكه وادعي في حضرته
فوشي عيصر منه الدعي وحزم ملك الدولة الهلالية فبهذا
ماكان من حين الدعي الذي جعلنا هذا الكلام كله لاجله
اظهار الوجه للنعمة الله تعالى على مولانا وامتنانه عليه
ودفاعه عنه وحيث انتهينا الي هذا الوضع من ذكر ٪
ملوك الدولة الحفصية فلنذكر بقيتهم الي مدة انقراض
دولتهم ليكون كتابنا هذا الموضوع لدولة مولانا ادامها
الله تعالى جامعا لاخبار ملوك الحضرة مشتملا على ٭
تفاصيل احوالهم كما انه ايده الله تعالى قد جمع كل فضيلة
تفرقت فيهم واشتمل على كل حسنة توزعت فيهم ثم
ان عرضت مناسبة فيما سياتي فنستدعي استطراد ذكر
الترك المنجودة بها بعد انقراض دولة بني ابي حفص ٭
ذكرناها ليكون الناظر فيه قد احاط خبرا بجميع ملوكها
المستبدين بها منذ حازت دار الملك ومقر السلطنة
الي عهدنا هذا انعشنا الله تعالى ٪

٪ ولاية المولى الامير ابي حفص عمر بن المولى ابي زكريا ٪

قف

لما قتل السلطان ابو حفص الدعي ابن ابي عمارة واستولي

على الحضرة واتته بيعة البلاد الدانية والقاصية
ولم يبق له منازع فثار عليه الامير ابو زكريا اخو السلطان
ابي اسحاق وقد قدمنا انه فر من بجاية الى تلمسان فـ
فجا اليه لما بلغنا نبا الدعي فاخرجه كبيرها جفنة ونزل
على صهره عثمان بن يغمراسن فاكرمه له فلما تملك فـ
السلطان ابو حفص خرج من تلمسان موريا بالصيد
ولحق بداود بن هلال ابن عطاف امير بني يعقوب فاحل
به الى عطية بن سليمان من روسا الزواودة فتلقاه
بالطاعة وارتحلوا جميعا الى نواحي قسنطينة والجزائر
واستولى على الثغور الغربية وخرجت الزاب عن طاعة
السلطان ابي حفص ودخلت في طاعته واقتطعت
ببكرة في عمله وتلقب المنتخب لاحيا دين الله وتسمى
بامير المومنين اذ جامع عمه السلطان ابي حفص
الخليفة بالحضرة حيث اهل العقد والحل من ملا
الموحدين وانقسمت به الدولة الحفصية دولتين الى
ان كان من امره عقبه ما ياتي وفي ايام السلطان ابي
حفص استولى العدو الكافر على جزيرة جربة زحف
اليها صاحب صقلية نائبا عن ملك بني برشلونة باسا
البحرية فتغلبوا عليها وانتهبوا اموالها واحتملوا
اهلها اسرى وسبيا فيقال ان عددهم ثمانية الاف وكانت
من اشجى الوقايع للمسلمين وبنوا بساحلها حصنا واعتزوا

طيله

وشحنوه بالحامية والسلاح وكان استيلاؤهم عليها
في رجب سنة ثلاث وثمانين وفي سنة خمس وثمانين
هلك طاغية برشلونة حين جيء من وفد وانتقض عهده مع
افريقية المسلمين وفي سنة ست وثمانين او التي
بعدها نازل اسطول العدو مدينة المهدية وكان فيهم
الجنويون لقتالها ابن حمو البهائل ثم صبحهم المسلمون
في جميع كانم حاكم ذا اهل الاجم فانهزم العدو حتى اقتحم
عليهم المسلمون الاسطول وانقلبوا خائبين ولم يزل
السلطان ابو حفص على الحالات الظهور والوعد الى
ان استوفى مدته واجابه وجهه واشتد به واهمه امر
المسلمين فعهد لابنه عبد الله بالخلافة فانكر ذلك الموحدون
وتحدثوا به لصغره وانه لم يحتلم فبلغ الخبر الى السلطان
باسقاطه وعدل عنهم الى الشورى مع المولى ابي محمد
المرجاني رضي الله عنه وكان كثير الاعتقاد له وكان الواثق
بن المستنصر لما قتله عمه السلطان ابو اسحاق هو وبنيه
في مجلسهم من ثمة احد جواريه وقد اشتملت على حمل منه الى
رباط هذا الولي المرجاني موقفت في بيته فسماه الشيخ
محمدا وعق عنه واطعم الفقراء يوم عقيقته عصيدة الحنطة ثم
فلقب بابي عصيدة الى اخر الدهر ثم صار بعد الاختفاء الى
قصورهم ونشأ في ظل الخلفاء من قومه حتى شب وبقيت
له مع الولي ابي محمد المرجاني ذمة فلما خاوضه السلطان

دن

ابو حفص

ابوحفص في شان العهد وفض عليه نكير الموحدين
لولده اشار الشيخ عليه بجعل العهد الي محمد بن الواثق
بتقبل اشارته وعمل في شيعته وانعقد بذلك عهده بمحضر الملا
ومشيخة الموحدين وتوفي السلطان ابوحفص اخر ذي
الحجة سنة اربع وتسعين

دولة السلطان ابي عصيدة محمد بن الواثق

لما توفي السلطان ابوحفص اجتمع الملا من الموحدين
والاولياء والجند والكافة الي القصبة فبايعوا بيعة
عامة لولي عهده ابي عبد الله محمد بن الواثق بن المنتصر
المستنصر الملقب بابي عصيدة في الرابع والعشرين من
ذي الحجة من السنة واشتهرت بيعة الصدور ورضيته
الكافة وتلقب بالمستنصر بالله لقب جده وافتتح امره
بقتل عبد الله بن السلطان ابي حفص لمكان ترشيحه
ولما استفحل امره واستوثق ملكه حدث نفسه بغزو
الناحية الغربية وارتجاع ثغورها من يد الامير ابي
زكرياء فنهض من الحضرة سنة خمس وتسعين وتجاوز
تخوم عمله الي عمل قسنطينة واجفلت امامه الرعايا
والقبايل وانتهي الي ميلة ومنها كان منقلبه الي
حضرته في رمضان وعلي راس الماية السابعة توفي
الامير ابو زكريا صاحب بجاية وكان علي غاية من الحزم

واستكفى والعدالة لم يبلغها سواه وكان كثير الاضطراب
على وطنه والمباشرة لاعماله بنفسه وسد خلله وكان قد
عهد بالامر لابنه ابي البقا خالد وبويع له بعده وفاة
وفي سنة اربع وسبعماية انتقضت عليه قسنطينة
وبايع صاحبها للسلطان ابي عصيدة صاحب الحضرة
فنهض اليها الامير ابو البقا خالد من بجاية وافتتحها
وبعث اليه اهل الحضرة وعرضهم جانحين الي السلم
وشرط عليهم ابو البقا ان من هلك قبل صاحبه هو او
السلطان ابو عصيده فالامر من بعده للاخر والبيعة
له وتجتمع المملكتان مملكة واحدة كما كانت فتقبلوا
الشرط وحضر الملا والمشيخة من الموحدين ببجاية
ثم بتونس واشهدوا على انفسهم وربط ذلك
العقد واحكمت واخيه الي ان نقضه اهل الحضرة
عند موت السلطان ابي عصيده ولما انعقد امر هذا
الصلح واستمر اجتماع شيخ الدولة ابو يحيى زكريا ابن
اللحياني نظره لنفسه واعمل فكره في الخلاص من ربقة
الحجابة وورى بحج كتب الي جربة لاسترجاعها من ايدي النصارى ري
والرجوع من بعد ذلك الي الجريد واذن له السلطان ابو
عصيده في ذلك وسرح معه العساكر فخرج من تونس في
جمادي سنة ست غازيا الي جربة حتى انتهى الي محلة دها
ثم عبر الي جربة وكانوا قد شيدوا امامها حصنا للامتناع

يحول

فسموه بالفشل حتى لقبه العامة عليه فاقام الشيخ ابو
يحيى في مناوله مختفيا ثم انتقلت الاحوال واستعفى
الحفصي بجيشه الى قابس ثم ارتحل الى بلاد الجريد وانتهى الى
توزر وترك بها فاجتمعت جباية الجريد وعاد الى قابس
فصرح بما ورى عنه من خلعه وصرف العساكر الى الحضرة
وتحول عن قابس الى جبل عمرا بين متجافيا عن هوائها
الوخم واقام في انتظار الركب الحجازية وكان مرتحلا الى ان
يرى فتحول الى طرابلس واقام بها عاما ونصف الى ان
وصل ومر الترك من المغرب الامير ابو الواحد بن يوسف ابن يعقوب
بطريقه من صاحب مصر اخر سنته فارتحل معهم حاجا
حتى قضى حجه وعاد فكان من شانه واستيلائه على
نصبه الخلافة ما ياتي ذكره وفي ربيع الاخر سنة تسع
وسبعمائة توفي السلطان ابو عصيدة رحمه الله ولم يخلف
ابنا وكان بعضهم يسطي عند الامير ابي زكرياء جدهم
ثم من ولد ابي بكر ابنه وهو ابو بكر بن عبد الرحمن ابن ابي
بكر ابن الامير ابي زكرياء بن عبد الواحد ابن الشيخ ابي حفص
فنشا في ايالة السلطان ابي عصيدة كاحد ابنائه

دولة السلطان الشهيد ابي بكر

وسبب بيعته ان الامير ابا البقاء خالد صاحب بجاية لما
بلغه الخبر بموت السلطان ابي عصيدة مع ما كان من
العهد بينهما ان من مات منهما قبل صاحبه جمع الامر

بعده فلما خرج اخذته الفتنة ان ينقض اهل الحضرة هذا
الشرط حتى نقضوا لما دفة الحضرة وخرج من بجاية في عساكره
ووصل فاجتمعت عليه الجند ايضا لما كان من انتقاضهم وطرق الحال
الى ان بلغ قسنطينة فاستراب الموحدون بتونس بتان
حركته وخافوه على انفسهم فبايعوا لهذا الامير ابي بكر
المعروف بالشهيد ولما بلغ الخبر بذلك السلطان ابي عصيدة
وبيعة الامير ابي بكر هذا على ابي البقا وهو بقصر باجة
اعطفها على الموحدين واسرع المسير اليهم واغاث اليه
كافة اولاد ابي الليل فخرجت العساكر من تونس لقتاله ومعهم
اولاد مهلهل ومشيخة الدولة والوزير فخرج اليهم السلطان
ابو البقا فاقتتلوا معهم وافترقوا وقتل الوزير واحبلته
الهزيمة ودخل العسكر البلد وخرج الامير ابو بكر فوقف عند
حمام الهوى قليلا ثم تفرق عنه العسكر وتسللوا الى
الى السلطان ابي البقا وفر الامير ابو بكر ثم ادركه بعض
الخباتة فجيء به الى السلطان ابي البقا فاعتقله ثم قتله
فسمي الشهيد الى اخر الدهر وكانت ولايته سبعة عشر يوما

دولة السلطان ابي البقا خالد ابن الامير ابي
زكريا ابن السلطان ابي اسحاق

لما دخلت عساكره الحضرة وقتل الامير الشهيد عز اليه اهل
الحضرة من مشيخة الموحدين والفقها والكافة فبايعوه
ودخل من الغد الى الحضرة واستقل بالخلافة وتلقب الناصر

لدين الله

لدين الله ثم استخلفه الى لعهده المتوكل وكان السلطان
ابو البقا لما نهض الى الحضرة عقد لاخيه الامير ابي بكر على
قسنطينة ونقله اليها فلما استقل بملك الحضرة عكف على
لذاته وعكف بطالته وقتل رجالا من اكابر الدولة وخاف اهل
الدولة وخشوا بادرته فتحيل حاجبه يعقوب بن عمر في
لحوقه باخيه ابي بكر بقسنطينة فداخله في الانتقاض
على اخيه فاجابه واخذ له البيعة على الناس سنة احدى
عشرة وسبعمائة وتلقب بالمتوكل وعسكر بظاهر قسنطينة
فاضطربت احوال السلطان ابي البقا خالد وجهز
العساكر لمنازلة قسنطينة وعقد عليها لظافر مولاه
الكبير فعسكر بباجة واراح ينتظر السلطان وكان
ابو يحيى زكريا بن احمد بن محمد اللحياني ابن ابي محمد عبد
الواحد ابن الشيخ ابي حفص قد رجع من الحجاز الى طرابلس
راجعا الى افريقية فوجد الاحوال قد اضطربت بها والتوت
تغلبت عليه فنزع على الولاية فيمن معه بطرابلس فارسل
اليه الامير ابو بكر من قسنطينة حاجبه ابن عمر بهدية
واعلمه بعدوه وظاهره على شانه فنهض ابو يحيى من ذلك
وتوافت اليه رجالات الكعوب اولاد ابي الليل وغيرهم
فبايعوه واستحثوه للحضرة فارتحل اليه وبعث في
مقدمته اولاد ابي الليل ومعظم مشيخة دولته ابو عبد الله
محمد المزدوري فارتحلوا الى الحضرة وبعث السلطان ابو البقا

الى منوا مقيم الكيس بمكانه في باجة مستجيبا به فاعتقوه
قبل وصوله واوفدوا به واعتقلوه وصحبوا تونس تاسع جمادى
سنة احدى عشرة ووفدوا بابعتها فكانت هيعة بالبلد
مقدم القاضي ابو اسحاق بن عبد الرفيع على السلطان وكان
متبوعا ما زعاوي الشكية فاغراه بموافقة العامة بخلع عن
لغايته واعتذر بالمرض واشهد بالانخلاع عن الامر وحل
البيعة ودخل ابو عصيدة المنزل ودار الفصل فاستمكن من
اعتقاله

ولاية السلطان ابي يحيى زكريا ابن اللحياني

لما انخلع السلطان ابو البقا ودخل المنزل ودار الفصل واعتقلته
جاء السلطان ابو يحيى زكريا ابن اللحياني على الاثر ثاني رجب
فبويع البيعة العامة بظاهر البلد ودخلها واستولى عليها
ولما استوثق له الامر اعاد الحاجب ابن عمر الى محل الامير
ابي بكر الى قسنطينة مغاضبا ارافق العفو معه على البها دنه
وجنى لذا ابن عمر من ذلك ما جنيه واستعمل بعد ذلك امر الامير
ابي بكر واستخلف امره عن تنظم في ديوان جنده من اعياض
زناته وحمى لهم واستكثف جنده وكثرت جموعه ودهابه
الملوك فنهض سنة ست عشرة الى ابن حفيف وجال في بلاد هوارة
واخذ جبايتها ورجع الى قسنطينة فتوقع السلطان ابو يحيى
ابن اللحياني رجوعه الى تونس وكان قد طعن في السن وكان يحيل
بالسياسة عن بالله مورخي من نفسه الفقه عن عمل الخلافة

وكانت

وكانت ابن يعقيبة مضطربة عليه وكان تعويله في الحماية
والمدافعة على اوليائه من العرب مولي حمزة بن عمر بن علي ابن ابي
الليل وحكمه في امره واشركه في سلطانه وامره بن ياسين
العرب واجبه الرسن وسرب اليه الاموال وكثر مع ذلك زحوف العرب
واختلا قبايلهم عليه فجنح الى التقويض من ابن يفيه وقبض
اليد من الخلافة فجمع الذخيرة والاموال وباع ما كان في
مودعاتهم من المغيبة والبرنس والماعون والمتاع حتى
الكتب التي كانت عند الامير ابي زكريا الاكبر جمعها واستجادها
حولها ودواوينها اخرجت الى الوراقين فبيعت فجرى الجنهم
فجمع من ذلك زعموا قناطير من الذهب تجاوز عشرين وجوا
لعيني من حصبا الدر والياقوت وخرج من تونس الى قابس
مورثا المشارقة عملها فاتح سنة سبع عشرة بعد ان ونب
الحاميه بالحضرة وبابه والحاميات واستخلف على الحضرة
ابا الحسن ابن وانوديف وانتهى الى قابس فاقام بها وصرف
العمال في جهاتها فعزم الامير ابو بكر على الحركة الى تونس
فاحتشد وقسم العطا واعترض الجند من زناتة والعرب وسند
ونكيشي وارتحل من قسنطينة في جمادي سنة سبع عشرة
مطوي المراحل ولقيه في طريقه وفود العرب وانتهى الى باجة
فهربت حاميتها الى تونس فارسل ابن وانوديف الى السلطا خا
ابي يحيى بن اللحياني وهو بقابس يعلمه بنهوض الامير
ابي بكر الى تونس وانه محتاج الى المدافعة فاعتذر له والطف

ايديهم في الجيش والمال فاخرجوا ابنه محمدا ويكنى ابا ضربة
وكان معتقلا فاطلقوه من اعتقاله وبعثتهم الجند فاخرجوا ابن
السلطان ابي بكر على ما عهد فخرجوا جميعا من تونس الى القصبة
ومن ثم كانت السلطنة فبايعوه فقال لهم هذا هو سلطانكم
يعني الامير محمدا ابا ضربة وقد لعبا بيعه وبايع جميع من معه
واجتمعت عليه كلمة الموحدين والعرب وذلك في اواسط شعبان
ورجعوا جميعا الى تونس وكان السلطان ابو بكر قد نزل عليها
في وطن السناجرة ومعه مولاهم ابن عمر بن ابي الليل فكتب
اليه اخوه حمزة ان ارجع بسلطانك فجرعه مجدا فانه
مسعبة ايلع والناس متى دووا في بيعته انتظارا لها من ابي
ضربة فلما ارتحل السلطان ابو بكر الى قسنطينة دخل ابو ضربة
الحضرة

ولاية السلطان ابي ضربة محمد بن السلطان ابي يحيى اللحياني

لما دخل تونس بويع بها البيعة العامة وتلقب المستنصر واراد
اهل تونس على ادارة سور بالارباض يكون سياجا عليها
وشرع فيه ثم ان حمزة بن ابي الليل ارهقه في المطالب واشتط
عليه في ذلك حتى ما ابقى له شيئا من المال ثم ان السلطان
ابا بكر حشد الحشود وعزم على معاودة الذهاب الى تونس
فخرج في صفر من سنة ثمان عشرة مواجها ما دونه وقد هوا من
وكبيرهم سليمان بن جامع واجتمع به ابن السلطان ابا ضربة
اللحياني نزل باجة ثم ارتحل عنها فاسرع اليه السلطان ابو بكر

وارتحل

وارتحل في اتباع جنوده حتى شارف الغين وان يخرج اليه عاملها
ومشيختها فاطاعوه وارتحل راجعا عن اتباع ابي ضربة الى
الحضرة ودخلها ابو ضربة من بطانته محمد بن العلاق في
باخرج الرماة الى سطحها وقاتل العساكر ساعة من النهار
ثم انحجروا عليه واستباح عامة اربابها وقتل ابن العلاق في
ودخل السلطان الحضرة يوم الجمعة السابع من شهر ربيع
الاخر من سنته

ولاية السلطان ابي يحيى ابي بكر بن الامير ابي زكريا ابن السلطان ابي اسحاق

لما دخل الحضرة جددت له البيعة العامة بها ثم ارتحل اثر ابا
ابي ضربة وجموعه فاوقع بهم بصوح من جهات بلاد هوارة
ورجع الى تونس في رجب من سنته وكان السلطان ابو يحيى
ابن اللحياني لما بلغه نهوض السلطان ابو بكر الى تونس في
حركته الثانية وما كان من بيعة العرب والموحدين لابنه ابي
ضربة ارتحل من قابس الى نواحي طرابلس ثم بلغه رجوع
السلطان ابي بكر الى قسنطينة وثبات ابنه ابي ضربة في
باوطن طرابلس وبنى مقعدا للجلوس بسور البلد مما يلي البحر
سماه الطارمة وبعث العمال في الجهات الى جباية الاموال
ولما بلغه انهزام ابنه ابي ضربة بعث بالاموال لاحتشاد العرب
فبعث منها الف الف وربما جهز ابو ضربة الى العين ولد ثم
تعاملوا وعقلوا رواحلهم مستميتين من عمهم حتى اطلق عليهم

العساكر بمكان فج النعاج فانفضت جموعهم ودثرت دعوته ورواحلهم
وارتحلوا امامهم بتبعهم والقتل والنهب فاحتز منهم فاحزه ونجا
ابو ضربة في بلد الى المهدية واهلها مقيمون على دعوة
ابيه فامتنع بها الى ان كان من امره ما نذكره بعد
وبلغ الخبر الى ابيه بمكانه من طرابلس فاضطرب عسكره
وبعث الى النصارى في اسطول حمله الى الاسكندرية
من ابواب سنة فاحتمل اهله وولده وركب البحر الى الاسكند ريه
ونزل بها على السلطان محمد بن قلاوون ملك مصر والشام
فعظم من تقديره واهتز للقادمين ونوه بمجلسه واسنى من
جرايته واقطاعه الى ان هلك سنة ثمان وعشرين واستخلفه
على طرابلس لما خرج منها ابا عبد الله ابن ابي عمران من
ذوي قرابته وصهره وهو الذي اجلبه بعد الكعوب على بني
السلطان ونصبوه للامر مزاحما ياتي ورجع السلطان ن
ابو بكر الى تونس بعد الوقعة على ابي ضربة ونومه بفج
النعامة فدخلها في شوال من سنة واستقامت افريقية
على طاعته وافتتح امصارها وثغورها بعد عودته الى
المهدية وطرابلس ثم نازل السلطان ابو بكر المهدية
فامتنعت عليه فاقلع عنها على قسم عنده لابي ضربة وافاح
حمزة ابن ابي الليل على خلافه على السلطان يتقلب في نواحي
ابن يغمر ونزع اليه الكثير من الاعراب وكثرت جموعه فاستقدم
فاستقدم محمد ابن ابي عمران من طرابلس وهو الذي استخلفه

عليها

عليهما ابو يحيى بن اللحياني فارجب الى الاسكندرية كما ذكرناه
وهو من عقب ابي عمران موسى ابن ابراهيم بن الشيخ ابي حفص
وجاءوا الى تونس معارضين للسلطان قبل اجتماع عساكره فخرج
السلطان ابو بكر من تونس في رمضان سنة احدى وعشرين
ونحن بقسنطينة ودخل حمزة بابي عمران ثانية من وجه
السلطان واستولى على الحضرة واقام بها بقية سنته وصدرا
من الاخرى ونهض السلطان بقسنطينة فجمع عساكره واحتشد
جموعه وزحف منها في صفر سنة ثنتين وعشرين وخرج ابن
ابي عمران للقائه مع حمزة بن ابي الليل في جموع العرب فاوقع
بهم السلطان واثخن فيهم قتلا واسرا وكان للسلطان
بين ما ظهر وراء الجبال ودخل الحضرة في جمادى من سنة
وجدد البيعة على الناس ورجعت العرب في اتباعه وقد
قتل السلطان مولاهم اخا حمزة بن ابي الليل وجماعة معه
من العرب فصرخ حمزة في قومه وتواعدوا الى الحضرة واتوا
ابي عمران معهم على حين افتراق العساكر واراحة السلـ
السلطان فخرج السلطان عن تونس لاربعين يوما من
دخوله ونحن بقسنطينة ودخل ابن ابي عمران الى تونس
فاقام بها ستة اشهر خلال ما احتشد السلطان
جنوده ونهض من قسنطينة وزحف اليه ابن ابي عمران
وحمزة في جموعهم فاوقع السلطان بهم واثخن فيهم
وشردهم في النواحي وعاد الى تونس فدخلها في

صفر سنة ثلاث وعشرين ولما راى حمزة ابن ابي الليل ان ابا عمران
يحيى مغلوب عنه صرفه الى مكانه بعمله بطرابلس وبعث الى ابي ضربة
ابن السلطان اللحياني بمكانه من المهدية ودخل في الوفود على سلطا
بني عبد الواد فاجابه ابو ضربة ووفد معه على ابي تاشفين صاحب
تلمسان فبعث معهم جيشا من العساكر وارتحلوا من تلمسان وبلغ
السلطان ابا بكر خبرهم فخرج الى لقائهم من تونس في عساكره حتى
انتهى الى وغيسى بين بونة وقسنطينة ولما التقت عساكر تلمسا
والعرب اختلت مصاف السلطان وانهزمت المجنبات وثبت السلطا
في القلب وصدق العزيمة واللقا فاختل مصافهم وانفضوا في شعبان
سنة ثلاث وعشرين واستولت ايدي العساكر من اسلابهم واسبا
من سلفا حاجة ومن عليهم السلطان اطلقهم ورجع ابو ضربة الى
تلمسان فمات بها وعاد السلطان الى حضرته ولقيه الخبر في
طريقه باجتماع العرب وابي عمران بنواحي القيروان فتخطى
الحضرة اليهم واوقع بهم ورجع الى تونس في شوال سنة اربع
وعشرين وانبعث حمزة ابن ابي الليل ومعه ابراهيم ابن الشهيد وابوه
الشهيد ابو بكر الذي تولى الامر بعد موت السلطان ابي عصيدة وقتله
السلطان ابو البقا خالد كما ذكرناه وكان ابراهيم هذا قد لحق بالعرب
فاجلب به حمزة على تونس فخرج السلطان لقتالهم فزحف من الجنود
وبعث الى عسكر بلجيه ليوافيه مصحبه العرب بنواحي شاذله
فقاتلوه وحمي الوطيس وصار جنده اجمعه والناس منوا فيقوا
واشتدت الحرب ثم كانت الهزيمة على العرب واستبيحت حرماتهم

واتبعتهم

،، وافترقت جموعهم ورجع السلطان الى الحضرة واستوزر بها ولما
،، يئس حمزة والكعوب من غلابهم تآمروا في الفتنة والجلاء
،، عليه فوفد حمزة على ابي تاشفين صاحب تلمسان صريخا
،، ومعه جماعة من رؤساء العرب فنصب لهم ابو تاشفين
،، ابراهيم ابن الشهيد المتقدم الذكر وارسل معهم العساكر لنظر
،، موسى بن علي الكردي ونهضوا الى افريقية وخرج السلطان
،، من تونس لمدافعتهم في القعدة من سنة اربع وعشرين
،، وانتهى الى قسنطينة وعاجلوه قبل استكمال تعبيته فنزلوا
،، ساحتها واقام موسى بن علي على منازلتها بعساكر تلمسان
،، وتقدم ابراهيم بن الشهيد وحمزة الى تونس فدخلها في رجب
،، سنة خمس وعشرين واستكمل منها وكان موسى بن علي ومن
معه من عساكر تلمسان قد اقلعوا عن حصار قسنطينة فاستكمل
الحشد والتعبية ونهض الى تونس فاجفل عنها ابن الشهيد
ودخلها السلطان في شوال سنة خمس وعشرين واستولى
على دار ملكه وكان ابن ابي عمران لما لحق بطرابلس بعد
ايقاع السلطان به انتقض عليه اهلها سنة اربع وعشرين
واخرجوه فلحق بالعرب واجلبوا به على السلطان مرارا وانهزموا
في كلها ثم لحق بتلمسان واستقر بها عند ابي تاشفين في جملة جوده
وكرامة فوفد على ابي تاشفين حمزة ابن ابي الليل وغيره صريخا
على عادتهم فاجابه الى صريخهم ونصب لهم محمد ابن ابي عمران وامدهم
بالعساكر ونهضوا جميعا الى تونس فخرج السلطان الى لقائهم

وتراءى الجمعان بالرياس من نواحي هوارة اخر سنة تسع
وعشرين فدارت الحرب واختل مصاف السلطان وفلت
جموعه واحيط به فاطلق به بعض الرجل فاصابته
في جومة الحرب جراحة وهن لها وقتل جماعة من بطانته
وحاشيته وانتهب العسكر وتقدم ابن ابي عمران الى تونس
فدخلها في صفر سنة ثلاثين وزحف بعد ذلك السلطان
ابو بكر من قسنطينة الى تونس بعد ان استكمل الحشد
والتعبية فاجفل ابن ابي عمران عنها ودخلها السلطان
في رجب من سنة وكثر الحاح صاحب تلمسان على السلطان
ببعث الجنود والعساكر لقتال وحصار بجاية الى ان داخل
السلطان في شانه ابا الحسن المريني ملك المغرب وغزى
بني عبد الواد واستولى على ملكهم وانقرضت دولتهم وصفا
للسلطان ابي بكر ملكه وكان قد عقد لاولاده على النواحي
فعقد لابنه ابي العباس الفضل على بونة وكان بها الى ان
كان من امره ما نذكره بعد وعقد لابنه ابي عبد الله على
قسنطينة فمات بها على حياة ابيه وتولاها بعده ابنه ابو
زيد عبد الرحمن وعقد لابنه الامير ابي زكريا على بجاية
فمات بها في حياة ابيه ايضا وتولاها بعده ابنه محمد وعقد
لابنه ابي العباس احمد على قفصة وتوزر وبلاد قسطيلة
وجعل له ولاية العهد بعده وعقد لابنه ابي فارس عبد
العزيز وابي البقاء خالد على سوسة والمهدية شركة بينهما

وبينما

وبينما الناس في احسن ايامه في غفلة من الدهر وخفض من
العيش وامن من الخطوب ودعة وامنة من العدو اذ دهم النعي
ونكر المشرب وتقلصت ظلال العز والامن وتطرقها المكر بنعي
السلطان ابي بكر فجاة من جوف الليل ليلة الاربعاء ثاني رجب من
سنة سبع واربعين وسبعماية فهب الناس من مضاجعهم
الى القصر يتسعون نبات النعي واطافوا به سائر ليلتهم
وبادر الامير ابو حفص عمر بن السلطان من داره الى القصر
فملكه وضبط ابوابه واستدعى الحاجب ابا محمد بن تافراكين
من داره ودعوا المشيخة والموحدين والموالي وطبقات الجند
واخذ الحاجب عليهم البيعة للامير ابي حفص %

% قف % ولاية السلطان ابي حفص عمر بن السلطان ابي بكر %
ثابوا في الليلة التي توفي فيها ابو حفص من الغد جلوسا
مجالس التي ترتب في الدولة وعقد اعليه الكافة على طبقاتهم
فبايعوه واعطوه صفقة ايمانهم وانفض المجلس وقد انعقدت
بيعته واحكمت خلافته وكان اخوه الامير خالد معنيا بالحضرة
اتاها زائرا فلما سمع النعي فر من ليلته فقبض عليه اولاد منديل
من الكعوب وردوه الى الحضرة فاعتقل بها وافاء محمد ابن تافراكين
خطة الحجابة ولما بلغ الامير ابا العباس صاحب اعمال الجريد
موت ابيه وما كان من بيعة اخيه وكان السلطان ابو بكر
قد عهد اليه بالامر فجمعه فنهضا فاجلى اهل الحضرة ما جاء
به من نقض عهده ودعى العرب الى مظاهرته على امره فاجابوا

وفزعوا جميعا الى طاعته ورحل الى الحضرة ولقيه اخوه ابو
فارس صاحب عمل سوسة بالفي وان فاتاه طاعته وصار في
جملته وجمع السلطان ابو حفص جموعه وخرج غرة
شعبان وتخوفه حاجبه ابن تافراجين على نفسه
ونذر منه بالهلكة فاعمل في اسباب النجاة حتى اذا
تراءى الجمعان رجع الحاجب الى تونس في بعض الشغل
وركب الليل ناجيا الى المغرب وجعل مفره الى السلطان ابي
عنان فاحتفل واحتفل مصاحبه ونجا الى ملجئه فتلوم بها
وتخلف عنه اهل العسكر فلحقوا بالامير ابي العباس ملك
الحضرة ثامن رمضان وقتل الفضل بيد ابي الطالبية واطلق
اخاه ابا البقاء من معتقله ثم دخل الى مضربه لسبع ليال من
ملكه وجيء للامير ابو حفص ثامنها فاقتحم عليه البلد
لطاعية كانت له في قلوب الغوغاء من عشائره احياوهم الذين
منازلهم ايام خروجه شبابه وقضى الواثق وقتل باخيه ابا
العباس ونصب راسه على القناة وداسته سنابك
العسكر واحيى ابيه للمعتبرين وثارت العامة بمن كان في
البلد من وجوه العرب ورجالاتهم فقتلوا منهم في تلك
الهيعة من كتب عليه القتل ورفعوا الكثير منهم الى
السلطان فاعتقلهم وقتل ابا الهول بن حمزة اخا ابي الليل
ومنفي على اخويه ابي فارس وخالد وامر بقطعهما من
خلاف فقطعا وكانا فيه هلك كلاهما واستوثق ملكه بالحضرة

ذلى

قف

ذكر استيلاء السلطان ابي الحسن بن سعيد
المريني على افريقية وهلك السلطان ابي
حفص وانقراض امر الحفصيين من افريقية

كان السلطان ابو الحسن المريني يحدث نفسه منذ ملكه تلمسان
تلمسان بملك افريقية وبين ما بين السلطان ابي بكر بالمصاهرة
السلطان ابو بكر وهلك الحاجب ابو محمد بن تافراجين الى
المغرب رغبة له في سلطانها واستحثه للغزو عليها ثم
وصل الخبر بهلك ابي العباس ولي العهد واخويه ابي فارس
وخالد معقب ذلك بامره كانه وابن عمر وانكر العهد
لابي العباس ووضع خطه في سجل العهد ثم ارسله اليه
السلطان ابو بكر يطلب منه امضاءه وتعلل بان النقض
اتا على ما احكمه فاجمع على غزو افريقيه وعسكر بظاهر
تلمسان وبعث الاعطيات ثم رحل في صفر سنة ثمان واربعين
يحي الدنيا بما حملت واوفد عليه اولاد حمزة امراء العرب من
افريقية ورجالات الكعوب اخاهم خالدا يستصرخونه لاخذ
ثار ابيهم الهالك يوم الواقعة فاجابهم وخرج اليه
اهل النواحي من افريقية بطاعتهم فتلقاه صاحب قابس
وصاحب توزر وصاحب قفصة وصاحب الحامة وصاحب
نفطة بلغوه بمجالسه واتوه بطاعتهم رغبة ورهبة
وبعث اليه صاحب طرابلس ببيعته ثم جاء على اثرهم
صاحب الثغر وارسلوا واوه فاوسع لكلهم حباء وكرامة واسني

لهم الصلات والجوائز وعقد لكل منهم على بلده وعمله وبعث معهم
اهل الجنايات الولاة للجباية ولما اطلت عساكره على بجاية اطاعه
اهلها وخرج ابو عبد الله محمد ابن الامير ابي زكريا ابن السلطان
ابي بكر باتباعه طاعته وصرفه بعد الى المغرب وبعث عماله الى بجاية
وسار الى قسنطينة فخرج اليه ابناء الامير ابي عبد الله من الامير ابي
زكريا فتقدم منهم كبيرهم الامير ابو زيد باتوه طاعتهم واقبل عليهم
وصرفهم الى المغرب وانزل بقسنطينة عماله وقدم عليه بنو حمزة
مشايخ الكعوب فاخبروه باجفال السلطان ابي حفص من تونس
فسرح معهم العساكر في طلبه لنظر حمو من مواليه العشري
وسرح عسكرا اخر الى تونس لنظر يحيى بن سليمان وسارت
العساكر لطلب السلطان ابي حفص فادركوه بارض الحامة
من جهات قابس فاعتز السلطان وقتل وذبح من الليل وبعث
براسه الى السلطان ابي الحسن فوصل اليه بباجة ثم دخل
السلطان الحضرة في الزي والاحتفال في جمادى الاخيرة من
سنة وسكنت الدهماء وانقبضت ايدي اهل الفساد وانقرض
امر الموحدين الا من بونة فانه استعمل عليها المولى الفضل
من السلطان ابي بكر لمكان صهره منه باخته شقيقته كانت
تحت السلطان ابي الحسن ثم ارتحل السلطان الى القيروان
ثم الى سوسة والمهدية وتطوف على المعالم وآثار الملوك والتمس
في طريقه زيارة القبور التي تذكر للصحابة والتابعين والاولياء
في ساحتها وقفل الى تونس فدخلها اخر شعبان من سنته

ولما

ولما استولى له ملك افريقية اسف العرب لمنعهم من الامصار
التي ملكوها بالاقطاعات وضرب على ايديهم فوجموا لذلك ثم
واستكانوا للغلبة وتمرسوا بالدولة وشنوا الغارات في الاطراف
واغاروا بعض الايام في نواحي تونس فاستاقوا الظهر الذي
كان للسلطان في مراعيها والكل اجتمع بينهم وبينه وقوضوا ايامه
ووقعت بينهم وبينه حروب شديدة يطول ذكرها واخر الامر
حاصروه بالقيروان واحاطوا به وبعثوا من حاصر حاشيته
وحرمه وابناءه ووجوه قومه بالقصبة وكان متولي امر ذلك
الحصار الحاجب ابو محمد بن تافراكين حيث لم يجد عنه السلطان ما
امله وداخل السلطان بعض العرب فاوصلوه من القيروان الى
سوسة وركب منها في اساطيله الى تونس فخرج ابن تافراكين
وركب البحر الى الاسكندرية واحتمل اهله معه ونزل السلطان بالقصبة
في ربيع الاخر سنة تسع واربعين فاستقلت قومه من العثار
وكان سنن السلطان ابي الحسن في دولته بالمغرب وفود ثم
العمال عليه اخر كل سنة لاداء جباياتهم والمحاسبة على اعمالهم
فوفدوا عليه عاملهم ذلك في قاصية المغرب ووافاهم حينئذ
الواقعة عليه بقسنطينة وكان معهم ابن مزني عامل الزاب
ووفد بجباية وهديته ومعهم تاشفين ابن السلطان ابي ثم
الحسن كان اسيرا عند النصارى من يوم واقعة طريف ووافقه
المهادنة بين الطاغية وبين ابيه فاطلقه واوفد معه جمعا
من بطارقته وقدموا معه على ابيه ووفد معه اخوه عبد الله

من المغرب وكان ايضا معهم وقبائل السودان في عرض السبارة

واجتمعوا كلهم بقسنطينة فلما اتصل بهم خبر الواقعة على السلطان
كثر الاضطراب وهرت السنتها والغوغا ايديهم الى امتعتهم
وخشي اهل البلد على انفسهم فاستدعوا ابا العباس الفضل
ابن السلطان ابي بكر من عمله ببونة فلما اطل على قسنطينة
ثارت العامة بمن كان هنالك من الوفود والعمال وانتهبوا
اموالهم واستلحموا منهم وخلص ابناء الفضل مع وفود السودان اخ
والبطارقة الى بسكرة مع ابن مزني في خفارة امير الزواودة فاوصلهم
ابن مزني فوفر وفكرمه الى ان لحقوا بالسلطان ابي الحسن بتونس
ودخل الامير المولى الفضل الى قسنطينة واعاد ما ذهب من
سلطان قومه وشمل الناس بعدله وسوغ الاقطاع والجوائز
ورحل الى بجاية لما استدعى من ماغبة اهلها الى الدولة الحفصية
فلما اطل عليها ثار اهلها بالعمال الذين كان انه
السلطان ابو الحسن فيهم ودخل المولى الفضل بجاية واد
واستولى على كرسي ملكها ونظمها مع قسنطينة وبونة
في ملكه واعاد الفاب الخلافة ورسومها كما كانت وعزم على
الرحيل الى الحضرة وبينما هو يحدث نفسه بذلك اذ ورد الخبر
بقدوم اصحابه امر بجاية وقسنطينة من المغرب وكان من
خبرهم ان الامير ابا عنان بن السلطان ابي الحسن المريني
لما بلغه خبر الواقعة على ابيه وثب على الامر ودعا لنفسه
وسرح الامير ابا عبد الله محمد بن الامير ابي زكرياء الحفصي

صاحب بجاية

صاحب بجاية الى عمله وامده بالاموال واخذ عليه المواثيق ليكونن
له بوادر في ابيه وليحولن بينه وبين الخلوص اليه حتى يرى به
وسرح الامير ابا زيد بن الامير ابي عبد الله صاحب قسنطينة الى عمله
ايضا واخذ عليه من العهود مثل ما اخذ على ابن عمه فانطلق اليها
هو واخوه فملكها واما الامير ابو عبد الله محمد صاحب بجاية فانه
وجد عمه الفضل قد سبقه اليها واستولى عليها فنازله بها وطال
حصاره بها الى ان داخل بعض الاشياع وبيتها ليلا فدخلها وفر
المولى الفضل فادرك واخذ واتي به الى ابن اخيه فمن عليه
واركبه السفين الى بلد بونة في شوال من سنة تسع واربعين
فدخل مصره واستقل الامير ابو عبد الله ببجاية محل امارته وامارة
ابيه والامير ابو زيد بقسنطينة محل امارته وامارة ابيه ايضا
والامير ابا العباس الفضل ببونة محل امارته والسلطان ابو الحسن
المريني بتونس ولم تزل العرب تجلب عليه واستقدموا الامير
الفضل من بونة فوصل اليهم ونزلوا تونس مرة بعد اخرى ودخل
صاحب الجريد وصاحب قابس في طاعة الامير الفضل وانتقضت
افريقية على السلطان ابي الحسن من اطرافها بل كثب اساطيله
الى المغرب ايام الفطر من سنة خمسين وترك بتونس ابنه
ابا الفضل وعقد له عليها ليخلص بذلك من ثورات الغوغاء
ومعرات هيعتهم وامن عليه لما كان عقد له من الصهر مع عمر
بن حمزة امير الكعوب في ابنته فنهض اليه المولى الفضل ولما اطلت
راياته على تونس ايام الحج فتحت عن وفق التشيع للدعوة الحفصية

واحاطت الغوغا بالقصر ورموه بالحجارة وارسل ابو الفضل الى بني حمزة
متذمما بجوارهم فدخل عليهم ابو الليل منهم واخرجه ومن معه من
قومه الى الحي والتحق به من رجالات حين كعب من ابلغه مامنه
وطواه السبيل الى وطنه

ولاية السلطان ابي العباس الفضل ابن السلطان المولى ابي بكر

لما خرج ابو الفضل من تونس دخل اليها المولى الفضل وقعد
بمجلس ابايه من الخلافة وجدد ما طمس من اوامره من معالم
الدولة واستبد عليه ابو الليل بن حمزة في سائر احواله واشتط
عليه ~~ابو الليل بن حمزة~~ في الطلبه واذن له مطاوعته من ذلك في
حمله على التنكر له وان يديل منه بولاية اخيه خالد بن حمزة
فاضطرمت نار الفتنة بين ابي الليل واخيه خالد وكان شملهم
ان يتصدع فبينما هم كذلك اذ قدم كبيرهم عمر بن حمزة وابو عبد الله
بن تافراجين من الحج وكانا قد اجتمعا بمشاهد الحج من سنة خمسين
وتعاقدا على الرجوع الى افريقية والتظاهر على امرهما فعملا
فالفيا ابا الليل وخالدا مختلفين فاصلحا ذات بينهما واجتمعا
وتوافقا وتواطأ جميعا على الفتك بالسلطان الفضل وبعثوا اليه
على ان يقلد حجابته ابا محمد بن تافراجين صاحب ابيه وكبير دولتهم
فابى ثم اصبحت احياؤهم نازلة بظاهر البلد واستحثوا السلطان
للخروج اليهم ليكملوا معه ذلك فخرج ووقف بساحة البلد
الى ان اختلطوا به ثم اقتادوه الى بيوتهم واذنوا ابن تافراجين

في دخول

في دخول البلد وبخلها لاحدى عشرة من جمادى الاولى سنة احدى
وخمسين وعمد الى دار المولى ابي اسحاق ابراهيم بن السلطان ابي بكر
فاستخرجه جهرا فبذل له من العهود والمواثيق ما رضيتها وجا
به الى القصبة

ولاية السلطان ابي اسحاق بن السلطان ابي بكر

لما اقامه الحاجب بن تافراجين الى الفضل اقعده على كرسي الخلافة
وبايع له الناس خاصة وعامة وهو يومئذ غلام مناهز وحلف
يومئذ بنو كعب فاتوه ببيعتهم وحبس اليه المولى الفضل اخوه
ليلته ذ واعتقاله وغط من جوف الليل بمجلسه حتى مات
واستولى الحاجب ابو محمد بن تافراجين على تونس واستبد
على سلطانه ابي اسحاق منعه عليه الامر اذ لك وشمر ابو العباس
بن مكي صاحب قابس للسعي عليه لمنافسة قديمة كانت بينهما
واستحثا باولاد مهلهل القاسميين اولاد ابي الليل في رياسة
الكعوب ودخلت معهم بنو حكيم من قبائل علاق فنزلوا على
القواصي وشنوا الغارة ثم وفدوا على الامير ابي زيد صاحب
قسنطينة يستحثونه النهوض الى افريقية واستخلاص
ملك ابيه من المستبد به وخرج معهم عسكر منها وارتحلوا
من قسنطينة ومعهم يعقوب بن علي كبير الزواودة لمن معه
من قومه وسرح ابو محمد بن تافراجين للقائهم عسكرا من الحضرة
ومعهم ابو الليل بن حمزة والتقى الجمعان ببلاد هوارة سنة
ثنتين وخمسين وكانت الدائرة على اولاد ابي الليل وقتل يومئذ

ابو الليل بن حمزة ورجع فلهم الي تونس وامتدت ايدي اولاد مهلهل
وعساكر قسنطينة في البلاد وجبوا الاموال من اوطان هوارة وانتهوا
الي الاربس ثم رجعوا الي قسنطينة وتولي علي اولاد ابي الليل خالد بن حمزة
مكان اخيه ابي الليل وقام بامره ولما انصرم فصل الشتا وفد ابو العباس
بن مكي صاحب قابس مع اولاد مهلهل علي المولي ابي زيد بقسنطينة
فلقاه مبرة وتكريما وعقد له علي حجابته وجمع عساكره وجهز آلته
ورحل من قسنطينة سنة ثلاث وتحيز منهم صحبه الحاجب ابو محمد بن
تافراجين سلطانه ابا اسحاق لما يحتاج اليه من العساكر والآلة
وفصل من تونس حتي تراءي الجمعان بمرماجنة وتزاحفوا فاختل
مصاف السلطان ابي اسحاق وانفضت جموعه وولوا منهزمين
واتبعهم القوم عشية يومهم ولحق السلطان بحاجبه بتونس
وجاءوا علي اثره فنازلوا تونس اياما وطال الحصار وامتنعت عليهم
وارتحلوا الي القيروان ثم الي نفطة وبلغهم ان ملك المغرب الاقصي
ابا عنان بن السلطان ابي الحسن المريني قد استولي علي المغرب الاوسط
وزحف الي التخوم الشرقية وكان صاحب بجاية ابو عبد الله قد خالفهم
الي قسنطينة لمداخلة ابي محمد بن تافراجين ونازل جهاتها واكتسح
زروعها وشن الغارات في بسائطها فبلغهم انه رجع الي بجاية
منكشفا من زحف بني مرين خائفا علي بلاده فعزم الامير ابو زيد
علي مبادرة ثغره ودار امارته قسنطينة ودعا عبد الله بن مكي واولاد
مهلهل ان يخلف بينهم من اخوانه من يجتمعون عليه وحتي احبوا
به فولي عليهم اخاه المولي ابا العباس احمد فبايعوه فبايع بيعتهم

هو

هو وشقيقه ابو يحيى زكريا الى ان كان من شانه ما نذكره بعد
وانصرف الامير ابو زيد من مغيبه الى قسنطينة فاستقر بها ثم ان
السلطان ابا عنان ملك المغرب بعد ابيه استولى على المغرب الاوسط
وانتزع بجاية من يد صاحبها الامير ابي عبد الله وعوضه عنها مكناسة
اقطاعا ثم انكفا عنها لمنة ايام قليلة وتقلد في جماعة من قبيلة
بطوية وعسكر على بجاية بامرائه وعلى حرب قسنطينة من ورائها
في جموع القسنطينة ونازلوها مرارا وامتنعت عليهم وحيل ثم
امور يطول شرحها فاستدعى الامير ابو زيد اخاه ابا العباس
من افريقية بعد ان حاصر تونس لمن معه لينصر من عساكر بني
مرين فيمن ملكت عليه الضاحية فدعاه الاولياء الى الاستبداد لما
كانوا فيه من زحف العساكر اليهم من بجاية وبعث بعضهم من
مراجعته وحمايته فاجاب الى ذلك ومضى في سنة وخمس وانفذ
امره وزحفت اليه العساكر من بجاية ونازلوه المرة بعد المرة وافلعوا
عنه وكان الامير ابو زيد اخوه لما نازل تونس امتنعت عليه ورجع
وقد استبد اخاه بامر قسنطينة فعدل الى بونة وارسلا ابا محمد
بن تافراجين في مكني الحضرة والنزول لهم عن بونة فاجابه وخرج
عنها لعمه السلطان ابي اسحاق وتحول الى تونس فاوسعوا
له المنازل واسنوا الجرايات والجوائز واقام في كفالة عمه ولما استبد
الامير ابو العباس بامر قسنطينة وانحسمت الاطماع عنها وتبين لاهل
ناحيتها مخايل الظهور فيه بدا خلوا في عز وجيش المرينيين ثم
المغيلي بمنى باودار فاجابهم وسرح اخاه ابا يحيى زكريا معهم

بالعساكر وصبحوهم في غارة شعواء واثخنوا فيهم وتتبعوهم بالقتل
والنهب وتجاوزوهم الى بجاية ولما بلغ الخبر الى السلطان قام في
وقعد وفتح ديوان العطا وبعث وزراه للحشد في الجهات
واعترض الجنود واقام شهرا في تجهيز العساكر وبعث المولى
ابو العباس اخاه ابا يحيى الى توزر حتى نجا [illegible] السلطان
الى اسحاق ما يحمله الامر عن الاياب اليه وارتحل ابو عنان
في عساكره ونازل قسنطينة وقد طبق الارض والفضا بجيوشه
وعساكره ودهش اهل البلد وانفضوا وتسللوا اليه وتحيز
المولى ابو العباس الى القصبة وامتنع بها حتى توثق
لنفسه بالعهد ثم نزل اليه فحباه تكرمة ورحبا وبنا
الفسطاط بجواره ثم بدا له بعد ايام فتقبض عليه
واركبه السفين الى المغرب واخذ له بسبتة ورتب عليه الحرس
وبعث خلال ذلك الى بونة فدخلت في طاعته وعقد
على قسنطينة لبعض امرائه ثم بعث رسله الى ابي محمد
ابن تافراجين في الاخذ بطاعته والنزول له عن تونس بعد هم
واخرج سلطانه المولى ابا اسحاق بعد ان جهز له العساكر
وما يحتاجه من الالة والجند ومعه اولاد ابي الليل ومن
من العرب واقام هو بتونس وانتظر ابو عنان النهوض
اليه ووفد عليه اولاد مهلهل يستحثونه لذلك فسرح
معهم عسكرا في البر وارسل الى تونس اسطولا في البحر
فصبح الاسطول تونس وقاتلوها يوما او بعض يوم وابيح

لهم الظهور

لهم المنصور فخرج منها ابن تافراجين ولحق بالمهدية واقام
اهل الاسطول بالبلد وارتحل السلطان ابو عنان من قسنطينة
قسنطينة حيدرا بافريقية وقد مضى السلطان ابو اسحاق
لمن معه من العرب للغادية وانتهوا الى جهة تبسة ثم تمشت
رجالات بني مرين وابوا الرجوع عن ابي عنان حذرا
ان يصيبهم في افريقية مثل ما اصابهم من قبل فانفضوا
متسللين الى المغرب ولما خف العسكر من اهله قفل ابو عنان
عن التقدم الى افريقية ورجع الى المغرب بمن بقي معه واتبع
العرب اثاره وبلغ الخبر الى ابي محمد بن تافراجين بالمهدية
فبادر الى تونس ولما اطل عليها ثار اهل البلد بمن كان عندهم
من عسكر بني مرين وعمالهم فلجوا الى الاساطيل ودخل ابن
تافراجين الى الحضرة واعاد ما طمس من الدولة ولحق به
السلطان ابو اسحاق بعد ان سرح اخاه الامير ابا زيد
في عسكر من الجنود والعرب لاتباع اثار بني مرين ومنازلة
قسنطينة واتبعوهم الى تخوم عمالتهم ورجع ابو زيد الى
قسنطينة وقاتلها اهلها اياما فامتنعت عليه فانكفا راجعا
الى الحضرة ولم يزل مقيما بها الى ان مات ولما رجع السلطان
ابو عنان من قسنطينة الى المغرب اراح سنة وسرح العسا
كر
من العام المقبل الى افريقية لنظر وزيره سليمان بن داود
فسار في نواحي قسنطينة فدوخ الجهات وانتهى الى اهل
وطنه بونة واقتضى المغارم ثم انكفا راجعا الى المغرب وهلك

السلطان ابو عنان اثر ذلك واضطرب امر المغرب ثم استقام
على طاعة اخيه السلطان ابي سالم وكان اهل بجاية قد
نقموا على عاملهم   ملكته وسطوته وعسفه فبدا   خلوا
ابا حمو بن تاعلجيت في التوثب عليها وجهز اليهم السلطان
ابا اسحاق بما يحتاج اليه من العساكر والالة ونهض من
تونس وتلقاه يعقوب بن علي كبير الزواودة وظاهره على
امره ولما اطلوا على بجاية ثارت الغوغاء بعاملهم بالفي ببيده
وقبضوا عليه وعلى من كان معه من قومه واركبوا السفن الى
الحضرة واودعهم بني تاعلجيت سجونه تحت كرامة وجراية الى
ان من عليهم بعد ذلك واطلقهم الى المغرب ودخل السلطان ابو
اسحاق الى بجاية سنة احدى وستين واستبد بها بعض
الاستبداد وكان السلطان ابو سالم صاحب المغرب لما استولى على
المغرب رفع مجلس الامير ابي العباس صاحب قسنطينة الذي
كان بسبتة واسنى جائزته ووعده بارتجاعه الى عمله
لسوابق كانت بينهما وسرح ابن عمه الامير ابا عبد الله صاحب
بجاية كان واستقرا معا بالبلد الى ان كان من تغلب السلطان   ن
ابي سالم على المغرب الاوسط واتصل به ثورة اهل بجاية
بعاملهم ودخول السلطان ابي اسحاق اليها فغضب لذلك
ونغص به من الاعمال الشرقية ونزل للمولى ابي العباس
عن قسنطينة دار امارته ونثبت ملكه وارسل الى عامله
عليها بالنزول عنها فتنزل وسلمها اليه وامكنه منها بمن خلفها

بيوسف

في شهر رمضان سنة احدى وستين وافتتح تدلس من عمالته بها
فكانت مبدأ السلطان ومظهر السعادة على ما نذكره بعد
وسرح الامير ابا عبد الله صاحب بجاية الى طلب حقه في بجاية
والاجلاب على عمه السلطان ابي اسحاق فهاجر بما قال من
جبل من حيث عثر افتتاحها من الهوة فلحق بالزاب وطنها واجتمع
عليه اولاد سباع من الزواودة عرب ضاحيتها وغيرها ثم زحف
اليها ونازلها اياما فامتنعت عليه فرحل عنها الى بني ياورار
ولزم صحابة العرب واقام بين ظهرانيهم متقلبا في طلب بجاية
برحلة الشتا وانزلوه ببلد المسيلة واقام على ذلك سنين خمسة
ينازل بجاية في كل سنة مرارا الى ان عدا عمه السلطان ابي
اسحاق رايه في اللحاق بتونس لما توقع مهلك حاجبه
وكافله ابي محمد بن تافراجين فاجتمع بعض اهل الحونات ووقع
لذلك في نفوس اهل بجاية الخلاف وراسلوا الامير المذكور
ابا عبد الله وهو بغزة فارتحل اليها ونازلها اياما ولما استيقن
الفتوح اعتزم السلطان ابو اسحاق على الرحيل الى تونس
فاروا به ونبذوا عهده وانفضوا من حوله الى الامير ابي عبد
الله ثم قادوا الى عمه السلطان ابا اسحاق فمن عليه وخلى
سبيله الى حضرته واستولى ابو عبد الله على بجاية خلال
امارته في رمضان سنة خمس وستين ولما وصل السلطان ابو
اسحاق الى تونس تلقاه حاجبه ابو محمد بن تافراجين وراه
قد ارهب حده للاستبداد الذي اعد ببجاية فجافه

ومرافقه ونفق في اليه بانواع الفوايد والذخاير وتجافي له عن
النظر في الجباية ثم اضاف اليه في كل عمله بعنوعليها والترسي ؟
السلطان بها ثم مات عقب ذلك في اخر سنة ست وستين فوجم
السلطان لموته وشهد جنازته حتي وضع بلحده من المدرسة التي
اختطها لقراءة العلم ازاء داره وقام على قبره باكيا مع بعض الوجاهة
فابكي من الناس واستبد من بعده بامره وقام بسلطانه ولما
استقل الامير ابو عبد الله ببجاية تنكر للرعية وساءت سيرته
فيهم بداخلوا ابن عمه الامير ابا العباس صاحب قسنطينة
في حصار بجاية سنة سبع وستين فزحف اليها في كثرة وخرج اليه
الامير ابو عبد الله فصبحه ابو العباس في غارة شعواء فانفض جمعه
واحيط به وانتهب ونجا الى بجاية فادرك في بعض الطريق
وقتل ابو العباس وانصرف ابو العباس الى بجاية فدخلها
في شعبان سنة سبع وستين واستوثق له ملك جده الامير ابي
زكريا في الاوسط في الثغور الغربية ولما استكملت له بجاية سرح
اخاه المولى ابا يحيى زكريا في العساكر الى تونس فنازلوها
اياما وامتنعت عليهم فاقلعوا على سلم ومهادنة انعقدت بين
السلطان ابي اسحاق فالحضرة على ما ذكرنا ويختلف في الفتنة
والمهادنة مع الامير ابي العباس طورا فطورا الى ان توفي بعد
سنة سبعين فمن اذا ؟ فقضى وطرا من معاقرة الخمر وغلبه النوم
اخر ليلة منها ولما افتقده الخادم وجده ميتا فاستحال السرور
وعظم الاسف وغلب على البطانة الدهش ثم راجعوا بصايرهم

وقتلوا

وتلك فواتح من البيعة لابنه ابي البقا خالد وفي ايام السلطان
ابي اسحاق استولى نصارى الجنويين على طرابلس وكان تجارهم
يترددون اليها فاطلعوا على عوراتها وابيتوا وابي غزوها
وانتهزوا الفرصة فيها بوقوع سنة خمس وخمسين وانتشر ولاة البلد
في خلافهم ثم بيتوها ذات ليلة فتسوروا اسوارها وملكوها
عليهم فارتاع اهل البلد وانبعثوا من مضاجعهم فبادروهم
بالاسوار لم يكن همهم الا النجاة بانفسهم واستباحها النصارى
واحتملوا في سفنهم ما وجدوا بها من المتاع والعقايل والاسارى
واقاموا بها وداخلهم ابو العباس ابن مكي صاحب قابس
في فدائها فاشترطوا عليه خمسين الفا من الذهب العين فجمع ما
عنده واستوهب ما بقي من اهل قابس والحامة وبلاد
الجريد فجمعوها له حسبة ورغبة في الخير وافتكها من النصارى
من البلد فملكها واستولى عليها

ولاية السلطان ابي البقاء خالد بن السلطان ابي اسحاق بن السلطان ابي بكر

لما توفي ابوه بايع له اهل الحضرة وحضرها الموحدون
والفقها والكافة وانفض المجلس ومن انعقد امره وهو صبي
لم يناهز الحلم وقام له بالامر مولاه منصور سريحه من المعلاج
وحاجبه احمد بن ابراهيم اليالقي بلم يحسنا تربية امر رياسة
سلطانه واستعفا الوقتهم منصور بن حمزة امير بني كعب فلحق
بالسلطان ابي العباس وهو مستجمع للوثبة فاستحثه

قف

سنة

وحرضه ومكان اللاحق بامر لشيء فبسم وحلاله واستعجال ملكه
وشياع الخوف عن عوائده ورهبه وحميد سيى قد جشمه للنهوض
عن مدو وبعث اليه اهل قسنطينة بطاعتهم ثم خرج من بجاية في
العساكر وتلقته وفود افريقية جميعا بالطاعة وانتهى الى الحضرة
فخيم بساحتها اياما يحاديها القتال ويراوحها ثم زحف الى اسوارها
وفرق حبل الكبش من اوليايه وبطانته فلم يغن لهم شيء وحتى تسنموا
الاسوار ونزل عنها المقاتلة ودخلوا الى داخل البلد وخلع الناس
الدهش وبث اعضهم من بعض واهل الدولة في موكبهم وقربوا
في باب الغدر من ابواب القصبة فلما راوا انهم احيط بهم ولوا
الاعقاب وثار اهل البلد جميعا بهم فخلصوا اسلطانهم بعد جهد
جهيد ومضى الجند في اتباعهم فادرك الحاجب ابن اليالفي
فقتل وسيق راسه الى السلطان وقبض على السلطان ابي
البقا خالد فاعتقل ونجا منصور سريحه واستولى السلطان ابو
العباس على البلد

ولاية السلطان ابي العباس احمد بن الامير ابي عبد الله محمد بن السلطان ابي بكر

قف

لما استولى عسكره على البلد دخل القصر واقتعد سريره وانطلقت ايدي العيث في ديار اهل الدولة ولحق بعض اهل
العافية معرات من ذلك لعموم النهب وشموله حتى اطفاه الله
ببركة السلطان وجميل نيته وسعادته وبعث بالامير خالد في
الاسطول الى قسنطينة فعصفت الريح واغرقت السفينة

وغرق فيه

وتقادمت الامواج الى ان هلك واستبد السلطان ابو العباس
بامره وعقد لاخيه الامير ابي زكريا على حجابته وجعلها لابي عبد الله
محمد بن الحاجب ابي محمد بن تافراجين رديفا له ولما استقل بامر
وحجر العرب مذ استطالت ايديهم على افريقية وتقسموها
اوزاعا منذ غلبوا السلطان ابا الحسن واقطعهم الحق
السهمان في جبايتها زيادة عما غلبوا عليه من ضواحيها
وامصارها استميل بالهم على المظاهرة والحماية من اهل الثغور
الغربية فملكوا الاكثر منها وضعف سهمان السلطان بينهم
ما بايديهم من الامصار والعمالات التي كانت من قبل خالصة
للسلطان ورد اعناتهم عن التغلب والاستبداد باهمهم ذلك
وتنكر لهم منصور بن حمزة ونزع يده من الطاعة وتماسك عن
حين وجه ابو صعنونة احمد بن محمد بن عبد الله من شيخ حكيم
وكانت له سوق اقطاعا وارتحل الى الزواودة من يحيا بالامير
ابي زكريا ابن السلطان ابي بكر عم السلطان ابي العباس
وكان مقيما بين ظهرانيهم منتصبو للامر وبايعوه وارتحلوا
الى تونس ولقيهم منصور بن حمزة في احيائه بنواحي تبسه
فبايعوا له واوعبوا واشتحثهم على يحيى بن علول صاحب
توزر سلطان القوافية فيتحثونه على الطاعة والمرد فتبول
لهم بالمواعيد ثم ماطلهم وسوفهم واستراب منصور بن حمزة
في نفسه وعزم على الطاعة ثم رحلوا الى الحضرة وسرح السلطان
ابو العباس اخاه الامير ابا يحيى زكريا حاجبه للقيهم في

العساكر وقد اجمعوا قتال منصور المذكور على عساكر السلطان واجلبوا
واجلبوا على البلد ايام ... الى السلطان من قابل حين داخلهم في
القبض عليه وارسله في البحر الى قسنطينة فلم يزل بها معتقلا
الى ان هلك ثم سرب السلطان امواله في العرب فانتقضوا على
منصور وقومه معنة حاله معاودة الطاعة ورهن ابنه ونبذ الى
سلطانه العهد ابو زكريا عهده وارهبه على عاقبته الى المذاودة
والتزم طاعة السلطان الى ان مات سنة ست وسبعين وقام
بامره بنيه كعب ... دولة ابن اخيه خالد وعقد له السلطان على
امرهم ثم انتزع السلطان ... من يد ابيه ... وبعث
اليها عماله وكانت ... الامصار مثل ... ونفطة وتوزر
وقابس وطرابلس والزاب قد تغلبوا عليها كلامي تغلب على
بلده واستبدوا بها وانتحلوا مذاهب الملك وشارته حتى
... انفسهم بالقاب الخلافة واقاموا على ذلك احوالا
والدولة في ضعفها فلما استبد السلطان ابو العباس في
بابه بفئة وعماله وخافوا سطوته واجتمعوا الى ليس له
... فاعلوا الاعراب من ... وضربوا
نار الفتنة ... عمة
فازدادوا عنادا ... عن عزائمه ونهض لهم من
الحضرة في عساكر من الموحدين وطبقات الجند والموالي وقبائل
زناتة ومن اصطفه اليه من العرب ووالي عليهم الزحوف
واوقع بالعرب ... وانتزع ... من يد القائم بها وعقد لابنه

ابي بكر

ابي بكر عليها وارتحل الي توزر فانتزعها من يد ابن يملول وعقد
عليها لابنه المنتصر ودخلت نفطة في طاعته ثم وجه عزمه
الي قابس فانتزعها من يد بني مكي وردها من الغيلم وقبل
ذلك ملك جربة ودخلت في طاعته واوصل اليه ابن ثابت صاحب
طرابلس بالطاعة والانقياد والاموال ثم وجه عزمه الي الزاب
فاطاعه ابن مزني صاحب بسكرة وبذل الاموال ودخلت في
طاعته وانتقضت عليه قفصة والحامة وقابس والزاب فقد
رضيت كلها ورجعت الي الطاعة ودانت له البلاد وعلت
كلمته وولي اولاده علي الامصار فولي ولده ابا بكر قفصة وولده
المنتصر توزر كما ذكرنا وقد كان لما استجمع الرحلة الي افريقية
استخلف علي بجاية اكبر اولاده الامير ابا عبد الله واقر له بغضون
الملك منها واطلق يده في مال الجباية وديوان الجند وانزل
ابنه الامير ابا اسحاق قسنطينة لنظر مولاه القائد بشير
الي ان مات القائد بشير واستبد بها الامير ابو اسحاق الي
ان مات بها في حياة ابيه وعقد لابنه ابي حفص عمر علي
صفاقس وجربة وضم اليه قابس وكانت اساطيل المسلمين
بثغور افريقية قد انكت النصاري والحت بالغزو علي سواحلهم
وجزايرهم علي حين غفلة فيختطفون منها ما قدروا عليه
وخصوصا اهل بجاية فقد اخذوا منهم من الاساري والسبي
ما ملا سواحل الثغور الغربية من بجاية حتي صارت طرق
البلد تضج بجلب سلاسل الاساري واعلالهم عند ما ينتشرون في

حلهم

في حاجاتهم ويغالون في بريهم فشق ذلك على امم الفرنجة وملأ قلوبهم
ذعرا وحسرة فبطروا واقتتلوا فيما بينهم وتداعوا النزال المسلمين في
والحزب بالثار منهم واستعدوا لذلك وبلغ خبر استعدادهم الى
السلطان فسرح ابنه الامير ابا فارس عزوز يستنفر اهل النواحي
ويكون ردءا للاسطول واجتمعت اساطيل جنوه ومن يليه ومن
يجاورهم من امم النصرانية واقلعوا من جنوه فحطوا على مرسى المهدية
منتصف سنة ثنتين وتسعين وطرقوها على حين غفلة وهي
على طرف من البر داخل في البحر كانه لسان دالع فارسوا عندها
ومدوا عند اول الطرف سورا من الخشب بينه وبين البر حتى
صار المعقل في حكمهم وعالوا عليه بالابراج وشحنوها بالمقا تلة
ليتمكنوا من قتال البلد ومن يأتيهم من المسلمين وصنعوا ابراجا
من الخشب من جهة البحر تشرف على اسوار المعقل لتعظم نكايتهم
وتحصن اهل البلد وقاتلوهم صابرين محتسبين وتواتيت اليهم
الامداد من ناحية البلد فحال دونهم الفرنجة وبلغ الخبر الى
السلطان فاهمه امرها وسرح العساكر تترى الى مظاهرتها
وخرج اخوه الامير ابو يحيى زكريا وسار بنفسه في جموعه
من العساكر فانطلقوا الجهاد هذا العدو واستنفر والمقاتلة
من الاعراب وغيرهم واجتمعت بساحتها امم واغروا على الفرنجة
بالقتال وتيكم السهام حتى الحجر وهم في سورهم وبرز الفرنجة
للقتال فكان بينهم وبين المسلمين جولة هلك فيها ابناء من
السلطان وكان الامير ابو فارس عزوز يتواطا الواحماية

احد قيالى

الله تعالى وفتحه ثم تداركت عليهم الحجارة والسهام والنفط من
اسوار البلد فاحترق البرج المطل عليها من جهة البحر فوجموا
لحرقه ثم ركبوا من الغد اسطولهم واقلعوا الى بلادهم وخرج اهل
المهدية يتباشرون بالنجاة ويتبادرون بشكر الله على ما انعم وسر
في صدورهم ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا وكفى الله
المومنين القتال وامر الامير ابو يحيى بترميم ما انثلم من اسوارها ثم
وقفل الى تونس وقد انجح الله سعيهم واظهرهم على عدوهم وكان
السلطان ابو العباس قد ازمن به وجع النقرس حتى كان في
غالب اسفاره يحمل على البغال في المحفة ثم استبد به في اخر عمره
واشرف به في سنة ست وتسعين على الهلكة وكان اخوه ابو يحيى
زكرياء ومعه بعده في الملك والترشح بعده للامر وكان ابنه محمد
والياعلى توزر وكان للسلطان ولد كثيرون يتطاولون الى مكان
ابيهم وينفسون بعمهم زكرياء ويخشون غائلته بعد ابيهم فلما
قرب السلطان منيته استشعر بعضهم واشفاقهم من عمهم وبعث
السلطان كبيرهم ابا بكر بعهده على قسنطينة فسار اليها بين يدي
موته واعصوصب الباقون على كبيرهم بعده ابي فارس عزوز فقبضوا
على عمهم زكرياء وقد دخل يعود اخاه واودعوه في بعض الحجر وتوكلوا
به وهلك السلطان لثلاث بعدها

قف

ولاية السلطان ابي فارس عزوز ابن السلطان ابي العباس

لما توفي السلطان بايع الحاضرون من اولاده اخيهم السلطان

الى فارس رابع شوال سنة ست وتسعين وجاء اهل البلد الى
البيعة افواجا من الاعيان والكافة فتمت بيعته وامر بنقل ما
في بيت عمه من الاموال والذخيرة الى قصره حتى استوعبها وحنق
عليه في حبسه وقام بتدبير ملكه وسياسة سلطانه مولى بعض
اخوته على ساير عمله فامر بتغيبه وورد به اخاه اسماعيل في ملكه ٪
فتوحش واهل البلد فيه على الشورى والمعاوضة وبلغ الخبر الى اخيه
المنتصر بتوزر فاضطرب امره ولحق بالحامة فاقام بها وكذلك
اخوه زكرياء فالنفطة لحق بجبال نفزاوه ولما وصل اخوه الامير
ابو بكر الى قسنطينة بعهد ابيه طلب منه القايمون بها الكتاب
السلطان بعهده عليها فافرهم اياه وفتحوا له الابواب ودخلها
واستولى عليها ثم بلغه وفاة والده فجمع الناس بعد دخوله
بعشرة ايام وطلب منهم ان يبايعوه فبايعوه واستبد بها على
اخيه واعتكف على اللذات واقتصر على راحته واهمل الامور حتى
وطالبته العرب بالاموال وفتحوا ابواب العيث والفساد وطمع
ابن عمه الامير ابو عبد الله محمد بن المولى ابي يحيى زكرياء صاحب
بونة في قسنطينة فجمع عساكره وخرج اليها فنازلها في ذي
القعدة من سنة ست وتسعين والح عليها بالحصار وقطع
الاشجار ثم اقلع عنها بعد منازلته اياها خمسة وسبعين يوما
وعاودها في السنة الثانية فخرب المنازل وانتسف الزرع فتحرك
اليه المولى السلطان ابو فارس عزوز من تونس والتقى الجمعان
بناحية سيبوس في شهر رمضان سنة سبع وتسعين فانهزم

السلطان

السلطان هزيمة شنعا وفر الامير ابو عبد الله صاحب بجاية الى بونة
فادركه يوم دخولها ان جن الظلام وركب البحر من غده وداخ
اهلها الى فاس مستبصرا في صاحبها وتبعه السلطان ابو فارس
الى بونة فدخلها وامن اهلها ومن وجد فيها من اتباع ابن عمه
ثم قدم عليه اخوه ابو بكر من قسنطينة فاوسعه كرامة وبرة واعتز
له الامير ابو بكر واشهد على نفسه بالخلع فاقره السلطان ابو فارس
على عمله بقسنطينة ورجع الى حضرته ثم ان الامير ابا يحيى عمر اخا
السلطان ابا فارس وكان والد السلطان ابو العباس اولاه
صفاقس فامره اخوه السلطان ابو فارس على ولايتها فاظهر بها
خلافا فخرج اليه السلطان ونازله وحاصر صفاقس وداخل بعض
اهلها في القبض عليه فدخلوا عليه الحمام فقبضوا عليه واتوا
به الى السلطان فاعتقله وملك البلد وولى عليها عاملا
من قبله وارتحل فلما قرب من الحضرة جدد حركة الى قسنطينة
لشكوى اهلها سيرة الامير ابي بكر فلما اطل عليها اظهر الامير ابو بكر
الخلاف وامتنع على اخيه فنزلها السلطان من شعبان من سنة
ثمان وتسعين وارسل الى اخيه يستميله ثم شافههم بالخطاب من
شاطئ الهوة بكلام دل على مصافاته له فلم يثنه ذلك فالح عليه
بالحصار نحوا من عشرين يوما والخطبة على منابر قسنطينة
باسم السلطان ابي فارس فلان ذلك لحصاره قبله وبلغ السلطا
من الاضرار بالجنات وانه زرع واحتاط في حفظها ثم هجمت
العساكر على البلد واقتحمت اسوارها واقتصر الامير ابو بكر

ف

العقبة بقبض عليه واقام السلطان بقسنطينة الى اخر شوال
ممهدا امورها ورتب احوالها وقفل الى حضرته ومعه اخواه معه
معتقلين ثم بلغ السلطان انتقاض ابن يملول بتوزر وبني
العابد بقفصة فخرج اليهم واسترجع توزر من يد ابن يملول ثم
واقام على قفصة اياما وداخل بعض اهلها اياما حتى تمكن من
البلد ودخلها عنوة وقبض على اولاد العابد ووقع النهب
فيها وامر بتخريب سورها ورجع الى حضرته وذلك في سنة
ثنتين وثمانين ثم تحرك الى طرابلس لانتقاضها عليه وحاصرها مدة
طويلة الى ان تمكن منها برغبة اهلها على يد صلحائها وولى عليها
عاملا من قبله وذلك في رجب سنة ثلاث وثمانين ورجع
الى حضرته ثم تحرك في سنة سبع وثمانين لاسترجاع بسكرة
من يد ابن مزني فنازلها وضيق عليها الى ان دخلها سابع
جمادى الاخيرة من السنة وولى عليها عاملا من قبله ورجع
بابن مزني معه الى تونس وانقرضت دولتهم فيها بعد ان
ملكوها مائة واربعين سنة مستقلين بمشيختها ثم تحرك
في سنة تسع وثمانين الى درج وغدامس وفي اثناء سفره
قبض على اخوته المولى الزكي والمولى خالد والمولى ابي
زيان لما بلغه عنهم فاعتقلهم ومضى لما اراده من سفره
وعاد الى حضرته ثم فسد ما بينه وبين العرب حكيم فخرج اليهم
ووقعت بينهم وبينه وقيعة عين الغزر من الحامة ونزارة
وانهزم عسكر السلطان فاحتوشهم العرب قتلا ونهبا وثبت

السلطان

السلطان بنفسه فلما راى رايس العرب المرابط ابي احمد بن
ابي صعنونة ثبات السلطان رجع على اعقابه فردهم واتى هو
الى السلطان فقبله ورضي عنه وذلك في سنة عشر وثمانماية
ثم ان طايفة من العرب سارت الى صاحب فاس فيستصرخونه
على السلطان وعنده الامير ابو عبد الله محمد بن عم السلطان ابي
يحيى زكرياء كان منذ اباه مستصرخا لما ركب اليه البحر من تونس
عند ان هزمه السلطان الهزيمة الشنعا على سبيبوس كما
قدمنا فجهز لهم صاحب فاس جيشا عظيما من بني مرين وجعل
معهم الامير ابا عبد الله محمدا وامر عسكره ان لا يرجعوا الى بلاد
الا باذنه فلما بلغوا اطراف عمل بجاية وفد على الامير ابي عبد
الله هنالك عرب افريقية واتوه طاعتهم ووفد عليه المرابط
ابن حكيم وهون عليه امر افريقية فلما راى الامير ابو عبد
الله كثرة وفود العرب معه امر جيش بني مرين فانصرفوا
وسار مع العرب وخرج اليهم السلطان ابو فارس من
تونس وخشي على بجاية فعزل عنها عاملها القايد الحاجب
وقدم عليها اخيه المولى زكرياء صاحب بونة وحين قدم اليها
وامر القايد الحاجب ان يخرج بالمحلة للقاء الامير ابي عبد الله
واخذ محلته فيها بجميع ما فيها وتقدم الى بجاية ففتح اهلها
على الامير ابي يحيى زكرياء واخرجوه منها فركب البحر فارا
وملك الامير ابو عبد الله محمد بجاية وقدم عليها لولده
المنصور وذهب الى لقاء السلطان ابي فارس فخالفه الى

بجاية فقاتلها اياما ثم اخذها بمداخلة بعض اهلها وانطلقت
ايدي العيث في ديار اهلها فانتهبوها وقبض السلطان ابو
فارس على الامير المنصور وعلى كبار البلد فارسلهم الى الحضرة
واعتقلهم بها وعقد على بجاية للامير ابي العباس احمد بن
اخيه المولى ابي عبد الله محمد وخرج للقاء ابن عمه الامير ابي عبد
الله محمد فلما التقى الجمعان تحول شيخ العرب المرابط الى
السلطان فعند ذلك ولى الامير ابو عبد الله فانهزم
من كان معه وهرب هو بنفسه طالبا النجاة فادركه خيل السلطان
فكان قتاله بثنية حبوي ثم امكنهم فقتلوه واحتزوا راسه
واتوا به الى السلطان ابي فارس فبعث به رجلا من رجال
الطريق الى مدينة فاس فعلقه ليلا بباب المحروق منها
اغاضة للمريني صاحب فاس وكان قتله في اوائل المحرم سنة
ثنتي عشرة وفي سنة سبع وعشرين وثمانماية تحرك السلطان
ابو فارس حركته المولوية الى تلمسان ففر منها صاحبها عبد
الواحد ابن ابي حمو فدخلها السلطان واستقر بقصبتها
واستولى على جميع ما فيها واقام بها مدة ثم عقد عليها لابي
عبد الله محمد بن ابي تاشفين ابن ابي حمو ثم ارتحل قاصدا
مدينة فاس حتى لم يبق بينه وبينها الا مرحلتان فوجه
اليه صاحب فاس بالطاعة وبهدية عظيمة فقبلها وكافاه
عنها وقفل راجعا الى حضرته غانما منصورا وجمعت بيعة اهل
فاس فانتظم المغرب كله في ملكه المغرب الاقصى والاوسط

وابي بقيز

وافريقية واوصل اليه صاحب الاندلس بالبيعة وقدم اليه
الامير ابو محمد عبد الواحد ابن ابي حمو صاحب تلمسان معدودا
من بين يديه فاقام عنده بالحضرة ثم ان الامير محمد بن ابي تاشفين
استاثر بتلمسان وانتقض على السلطان ابي فارس وقطع
الخطبة له فارسل اليه السلطان عسكرا نظر القايد فارح الخبي
صاحب قسنطينة من سنة ثنتين وثلاثين وبعث معهم
الامير ابا محمد عبد الواحد ابن ابي حمو فخرج اليهم الامير ابو عبد
الله بن ابي تاشفين فهزمهم وفر ابو محمد عبد الواحد الى
الجبال فاستصرخ اعرابها وزحف الى تلمسان فملكها وبعث
بيعتها الى السلطان ابي فارس وخرج محمد ابن ابي تاشفين
فارا بنفسه الى الجبال ثم دخل تلمسان على عمه الامير عبد الواحد
فقتله وملكها فلما بلغ الخبر الى السلطان ابي فارس خرج
اليه بعساكره حتى نزل على تلمسان واخذ بمخنقها وحاصرها
اشد الحصار فلما علم الامير محمد انه لا طاقة له بالسلطان
خرج من ليلها فارا الى جبل بني يزناسن واجاب اهل البلد
ببيعتها للسلطان فدخلها بعساكره وبعث القايد نبيل
ابن ابي قطاية في عسكر الى الجبل فحاصره فطلب اهله الامان
على ان يمكنوه من الامير محمد النازع اليهم فامنهم واتوا به
الى السلطان فاعتقله وعقد للامير احمد بن ابي حمو على تلمسان
وقفل راجعا الى حضرته في سنة خمس وثلاثين وحمل معه
الامير محمد ابن ابي تاشفين فاعتقله بقصبة تونس الى ان

هلك في سنة اربعين وفي سنة سبع وعشرين ارسل طاغية
النصارى القطلانيين رسولا الى الحضرة بن سم عقد الصلح فوجد
السلطان ابا فارس غائبا عنها بالمغرب فارسل الى طاغيته
يخبره بغيبة السلطان فارسل اليه يامره بالرجوع فرجع فوجد
مراكبه اسطولا وحضروا جزيرة قرقنة ونزلوها ليلا على
حين غفلة من اهلها في نحو عشرة الاف مقاتل وبها من المسلمين
نحو الالفين من رجال ونساء وليس بالجزيرة معقل ولا حصن
يتمنعون فيه فدافعوا عن انفسهم وقاتلوا النصارى فقتلوا
منهم نحوا من اربعمائة نفس وقتل منهم نحو المائتين ثم
اخذت النصارى البقية واستولوا على الجزيرة وكان السلطان
ابو فارس قد انصرف من المغرب فلما وصل الى منصة فبلغه الخبر
جد السير الى ان بلغ صفاقس واتفق وصوله ووصول النصار ي
اليها معا فطلبوا الامان لينزلوا اليه ويتكلموا في فداء الاسار ي
من المسلمين فامنهم ونزل منهم نحو ستمائة نفس فاعطاهم
السلطان حتى الف دينار مديدية فابوا وكلم المرابط ابن ابي جعفو نة
شيخ حكيم السلطان ابا فارس في القبض عليهم حتى يردوا
المسلمين لانهم خانوا بفعلهم ما فعلوا بعد بعث رسولهم
للصلح فامتنع السلطان من ذلك وقال لا تحوجني الى خياني اعوذ
بالله من ذلك فقال له اركب انت الى الصيد واقبض عليهم
انا في غيبتك فامتنع وركب النصارى اجفانهم وساقوا اسا ري
المسلمين لبلادهم وفي سنة ثنتين وثلاثين جهز السلطان

اسطولا

اسطول العدو جزيرة فالطة لتنكر صلوكه الفاجر رقواق وامره
ان ينازلها ثلاثا فان اخذها والا رحل عنها فنازلها وضيق
عليها ثم رحل عنها بعد الثلاث ومن اضطرب على اخذها وفي العشر الاول
من ذي الحجة من سنة ثمان وثلاثين نزل طاغية النصارى العدو
على جزيرة جربة في ام العجب وكان السلطان ابو فارس
نازلا بجزيرة بمحلته فبلغه الخبر فاسرع اليها فوجد العدو قد
قطع القنطرة وعطل الطريق اليها فنزل السلطان خارج الجزيرة
مما يلي القنطرة وكان قد ارسل اليها قبل نزول العدو عسكرا يحفظها
فمنع العدو من النزول اليها فكان السلطان خارج الجزيرة والعسكر
المذكور داخلها والنصارى في البحر على طرف القنطرة وقد جعلوا
بينهم وبين المسلمين سورا من الخشب وكان السلطان ابو فارس
يجلس للرمي مع الحاجب بطرف القنطرة فبلغ العدو ان الحاجب
ينوب عنه في وقت القايلة وانه يبقى معه الاخوان فبعث
عدة سفن احاطت بالقنطرة واحاطت بالسلطان في وقت
القايلة فاستشهد بعض من معه وسلمه الله تعالى واحاط
العدو بمن فيه واخذوا ما فيه ثم ان بعض اهل جربة قدموا على
السلطان واخبروه ان للجزيرة طريقا غير القنطرة في البحر
فبعث معهم عسكرا ادخلوه الجزيرة من ذلك الطريق فلما راى
العدو دخول العسكر الى الجزيرة الفى بالخيبة واقلع اساطيله
عنها خائبا بعد ان اقام عليها نصف شهر وعشرين يوما واصلح
السلطان القنطرة وارتحل ثم جرد من كتبه الى تلمسان لما بلغه عن

حاجبها الامير ابي العباس احمد بن ابي حمو من الاستقلال بها
كعادة ارسل به فاعطى الجند اعطياتهم وخرج فادركته منيته
قبل الوصول اليها بموضع يعرف بولجة السدرة قرب جبل وانش ريس
من عمل تلمسان صبيحة يوم الاضحى من سنة سبع وثلاثين لحجابة
بعد ان تطهر وجلس ينتظر وقت الخروج لصلاة العيد فاخفى
موته ولي عهده حافده السلطان ابو عبد الله محمد المنتصر والى
مكتم ذلك وخرج فصلى صلاة العيد وارتحل راجعا الى الحضرة *
واشاع ان السلطان اصابه مرض وحمل في محفة ولما علم المولى
المعتمد من السلطان موت والده خرج فارا من المحلة فارسل
المنتصر في طلبه فادركه واتي به فاعتقل وكحلت عيناه
بالنار واظهر موت السلطان *

* ولاية السلطان ابي عبد الله محمد المنتصر بن الامير *
* ابي عبد الله محمد المنصور بن السلطان ابي فارس *
* عزوز *

كان السلطان ابو فارس عهد لابنه ابي عبد الله المنصور *
فتوفي قبله سنة ثلاث وثلاثين وحمل الى الحضرة *
ودفن بها فعهد السلطان من بعده لابنه المنتصر وصرفها
عن اولاده فلما توفي السلطان وظهر موته كما ذكرنا بايعه
الملا من اهل المحلة عن رضى فامر بغسل جده وتكفينه وبعثه
الى الحضرة فدفن بها وارتحل هو بمحلته متوجها الى تونس
فلما بلغ المسيلة وردت عليه بيعة قسنطينة وعمل على

بجاية

بجاية لعمه المولى ابي الحسن علي ولما بلغ قسنطينة وردت
عليه بيعة الحضرة فسرّحها وفرحت بمحض الملا في جامع قسنطينة
ثم عقد على قسنطينة لاخيه ابي عمرو عثمان ووصل الى تونس وخرج
اهلها الى لقائه فدخلها يوم عاشوراء من سنة ثمان وثلاثين
في ابهة عظيمة وجددت له البيعة واطلق جميع اهل السجون
ورفع المغارم الكثيرة على الفقرا وغيرهم ثم خرج بجيش عظيم لتمهيد
البلاد وتمهيدها فدخل قفصة من يد ابي يحيى من المحلة الامير
ابو يحيى زكريا ابن الامير ابي عبد الله محمد ابن الامير ابي يحيى
زكريا صاحب بونة ولحق باولاد ابي الليل هو واخوه واجتمعوا
عليهما فلما بلغ ذلك السلطان المنتصر ارسل عسكر الحضرة
تونس فدخلها وكان ارسل الى اخيه المولى ابي عمرو عثمان
ليقدم عليه من قسنطينة واستخلف عليها وقدم عليه ثم
ورجع السلطان الى الحضرة وجرد جيش كثيف منها الى العرب
وعقد على حربهم لاخيه المولى ابي عمرو فبادر اليه العرب
فلما التقى به ونفوا به ناحية جبل ابن عياد فسار الى
اولاد مهلهل فقاتلهم في طلب اولاد ابي الليل فجمعوا جموعهم
فزحفوا الى تونس ونزلوا السبخة بباب خالد والسلطان ثم
يتطلع الى حرب كل يوم وهو من حيث قبلاتهم بالسبخة
فلما احسوا بقدوم المولى ابي عمرو باولاد مهلهل انهزموا عن
الحضرة وسافروا معه منهم ودخل الحضرة فازاح العلل وبلغ
السلطان انهم عسكروا واستطالوا بظاهر القيروان وانهم

واجمعوا الى الحضرة واخرج لهم اخاه المولى ابا عمرو بجيش عظيم فاوقع
بهم وولوا على وجوههم ورجع الى الحضرة منصورا ظافرا ولما راى الامير
زكرياء احتلال امر اولاد ابي الليل ذهب عنهم هو واخوه ولحق
بالزواودة واجاروهما ووفد معهما شيخ الزواودة عيسى بن محمد
الى الحضرة فقبل السلطان شفاعته فيهما وعفا عنهما وبقيا
بالحضرة الى ان قبض عليهما بعد ذلك واعتقلا ثم هلكا ثم توفي
السلطان المنتصر من مرضه المتقدم بباقية فارد ليلة الجمعة
الثاني عشر من صفر سنة تسع وثلاثين

قف

ولاية السلطان ابي عمرو عثمان بن الامير ابي عبد الله
المنصور اخي السلطان ابي فارس عزوز

بويع له صبيحة موت اخيه على رضى من الخاصة والعامة
وقام بامره وظهرت الدولة الحفصية في ايامه اتم ظهور ولما استقام
له الامر انتقضت عليه العرب فاخافوا السبل وعاثوا
في البلاد فجهز اليهم عساكره واخرج مضاربه العسكرية في شعبان
سنة تسع وثلاثين فعزموا على الهجوم على المحلة قبل كمال جيشها
فبلغ ذلك السلطان فامر بادخال مضاربه ونزل العرب بالسبخة
باب خالد وحاصروا الحضرة فكان السلطان يخرج الى قتالهم
وظهر من شجاعته وكفايته ما لا مزيد عليه وبلغهم ان اولاد
مهلهل قد اقبلوا اليهم في نصرة السلطان فاقلعوا عن الحضرة
والتقوا باولاد مهلهل وتبعهم السلطان بعساكره فاوقع بهم وفروا
على وجوههم وكان صاحب بجاية الامير ابو الحسن بن السلطان

ابي فارس

ابي فارس لما بلغه موت المنتصر دعا لنفسه ببجاية وبويع
بها ووفد عليه اولاد ابي الليل بعد الوقيعة بهم واستدعوه الى
الحضرة فاجابهم ونزل معهم على قسنطينة فحاصرها وضيق عليها
يغاديها القتال ويراوحها بحشمه ثم اقلع عنها فاقصدوا الحضرة
ومعه شيخ الزواودة عيسى بن محمد وخرج المولى السلطان
لقتالهم ووفد عليه سباع بن محمد شيخ الزواودة ايضا فكان في
جملته ومعه اولاد مهلهل ومن انضاف اليهم الى ان قرب من
ميلة فوفد عليه مساء الليلة التي كانت الوقيعة صبيحتها
شيخ حكيم صميرا بن احمد في اتباعه من حكيم وبني علي وغيرهم
فالتقى الجمعان بازاء جبل بني ارك فحص تيفاشت يوم الاربعا
الثاني والعشرين من شهر ربيع الاول سنة اربعين فاصطفت
الصفوف ووقف السلطان ابو عمر في وسطها وحملت ميمنة
الامير ابي الحسن على ما يقابلها من عسكر السلطان فمزقتهم
ثم حملت ميسرته على ما يقابلها فمزقتهم ولما راى ابو عمر ما نزل
بجنبيه لم يبال بذلك ووقع في صدور العدو بمن معه من اهل
الحضرة وذوي العرف وجماعة الحبشيين وقصد الامير
ابي الحسن ففرق جموعه وقتل كثيرا منهم وكانت الهزيمة من
عسكر السلطان لما راوا النصر من قبله وانجلى الامير ابو الحسن
بنفسه طالبا النجاة واسلم محلته واصحابه فاخذهم النهب
ودخل بجاية في حف من اصحابه واقفل السلطان راجعا الى
حضرته فدخلها مؤيدا منصورا ثم وفد عليه وفد ابي الليل من

يحيى فغدروا امانه فقبض عليهم مباغتة فاوردوا فامر بتغريبهم واعتقلهم
بالمهدية وفي سنة ثلاث واربعين تحرك السلطان الي بجاية فدخلها
في جمادي الاخيرة وخرج عنها الامير ابو الحسن فارا بنفسه وعفا عليها
السلطان واقبل الي حضرته ثم عاود الامير ابو الحسن الهجوم عليها
في سنة خمسين فتحرك اليه السلطان من تونس فلحق بالجبال فارا
ودخلها السلطان ومهد امورها واضطرب ثم جمع الامير ابو الحسن
جموعا وزحف اليها في سنة ستة وخمسين وحاصرها واخذ بمخنقها
فجهز السلطان عسكرا مع بني عبد الحق لحمايتها وارتحل بعد ذلك متوجها
اليها فاتاه البريد بوفاة ابي الحسن في طريقه ذلك لقضية
طويلة وارتحل السلطان الي بجاية فمهدها ورجع الى حضرته ثم
وانتقضت عليه نفطة في سنة خمس واربعين فحاصرها ههنا
اياما ثم دخلها وقتل منها خلقا وانتهبت البلد وقتل القايم بها وعفا
عليها كفاية من قبله واضطرب وفي سنة اثنتين وستين خرج ثم
السلطان الي طرابلس لتمهيد اعمالها فانتهى الى تاورغا ورجع الي
طرابلس فاقام بها اياما وهي خرجته الثالثة اليها ورجع الى
تونس وفي سنة خمس وستين ملك الامير محمد بن محمد بن ابي ثابت
تلمسان واخرج عنها صاحبها عم ابيه ابي العباس احمد بن ابي حمو
فلما بلغ ذلك الي السلطان ابي عمرو خرج اليها بجيش عظيم ومعه
جميع عرب افريقية فاجتاز في طريقه بجبل اوراس فاحاط بقلعة
حلوية منه الي ان اخذها عنوة ثم توجه الي تلمسان فلما كان على
مرحلتين منها وفد عليه الاواودة وبنوا يعقوب وبنوا الوادعين هم

داغين

راغبين في الطاعة فتقبلهم واحسن اليهم وصرف عماله في الجهات
لجباية الاموال ثم ورد عليه جماعة من فقهاء تلمسان وعين لهم من
اعيانها وبيدهم رسم بشهادة على صاحب تلمسان فان جميع ما يصدر
منه في شانه مهو جار عليه وماض في حقه وتقدموا على السلطان
في الكتب عن البلد على ان يلتزموا بالبيعة عن صاحبها والدخول
تحت الطاعة فقبل منهم وعقدوا على انفسهم عقدا بالبيعة ثم
وانصرفوا وقفل السلطان راجعا الى بلده وعقد في طريقه على
قسنطينة لحافده ابي عبد الله محمد المنتصر بن ولده ولي عهده
ابي عبد الله محمد المسعود ودخل الى حضرته فدخلها في جمادى
الاولى سنة سبع وستين وفي اخر سنة تسع وستين خرج
لمجلبة فانتهى الى تقرت وهدم سورها واخذ مالا من اهلها
لمجاهرتها على فواده وسار الى قرب وارجلان وقدم عليها عاملا
واخذ منها ومن بلاد الزاب مالا كثيرا وانصرف الى حضرته ثم
ووفدت عليه اعراب تلمسان يعرفونه بسوء سيرة صاحبها ابن ثابت
ونكثه للبيعة وطلبوا منه الوصول الى تلك البلاد ونصب لهم
سلطان الامير ابا جميل زيان بن الامير عبد الواحد بن ابي حمو
وجهزه بما يحتاج اليه وارسل معه عسكرا دخل معه امامه وخرج
السلطان على اثره عاشر ذي الحجة من سنة سبعين فاجتاز
بجبل اوراس فافتتح به بعض القلاع الممتنعة وسار مصعدا
الى اوطان تلمسان فوفدت عليه الاعراب وصرف عماله في النوا حي
ثم جاء تلمسان فقاتلها اشد قتال وتحصنوا بالاسوار فام السلطان

بهدمها وعاجلهم الليل عن اخذها فباتوا عازما عليه من الغد فاتاه
من الجبل قاضي البلد وكبرا اوُها ورغبوا اليه في العفو وكتبوا له البيعة
وشهد وا فيها وكتب الامير ابي ابي ثابت خطه فيها وعطي ابنته بكرا
للمولى ابي يحيى زكريا بن ولي العهد ابي عبد الله محمد المسعود ابن
السلطان من غير خطبة وقفل السلطان راجعا الى حضرته ولم
يزل على حالات الظهور وامور جارية على غاية من الاستقامة
الى ان توفي اخر شهر رمضان سنة ثلاث وتسعين فكانت مدة
سلطنته نحوا من اربع وخمسين سنة وهو ختام الدولة الحفصية
وتولى بعده حافده المولى ابو زكريا يحيى %

% ولاية السلطان ابي زكريا يحيى ابن ولي العهد ابي %
% عبد الله محمد المسعود بن السلطان ابي عمرو عثمان %

كان السلطان ابو عمرو قد عهد في حياته لابنه محمد المسعود فتوفي
قبل ابيه سنة خمس وسبعين فلما توفي السلطان بايع الملا
من اهل الحضرة لحافده المولى ابي زكريا مقام بالامر وخرج %
بجملته لتمهيد البلاد على ارسم فطرقت جماعة من عسكره الى
الحضرة واخبرت ان العرب اخذت المحلة وان السلطان
مات بني القدحية فراسه وطيب به واستبد بالملك %
ابن عمه الامير ابو محمد عبد المومن ابن الامير ابي اسحاق ابراهيم
بن السلطان ابي عمرو عثمان بويع في رجب من سنة
اربع وتسعين ثم بعد مدة جبئ بجثة السلطان ابي زكريا
ودفنت وكان لك احتلال في اصله ثم تحققت حياته وانقضى

الامي

الامر وحفا حفي به بعد جنى بطول وجب عسر المومن وعد اياج
حبيب بن اسد وطبيب بد وبويع السلطان ابو زكريا بيعة ثانية
وامن الناس وعفا عنهم ووافته بيعة بونة وفابس ومن شا
ودانت له البلاد الى ان توفى في طاعون سنة تسع وتسعين
في شعبان

% ولاية السلطان ابي عبد الله محمد بن الحسن ابي %
% عبد الله محمد المسعود ابن السلطان ابي عمرو عثمان %

بويع يوم وفاة عمه وفي ايامه انتقضت المملكة وخرج كثير
من البلاد عن طاعته وفي ايامه ملك الترك الجزائر وذلك
ان النصارى من اهل اسبانية ملكوا الجزيرة المقابلة لها
في مرساها وبنوا بها قلعة جعلوها سلما لاحتياز المدينة واستنفر
اهلها عروجا اخا خير الدين باشا في حين من الترك للدفاع
عنهم كما سيأتي تفصيله قريبا وفي ايامه ايضا ثار بنو اغراب
بطرابلس وملكوها للنصارى سنة اربع عشرة وتسعماية وقيل
سنة ست عشرة في المحرم واستولوا عليها بلا كبير مشقة
ولم ينج من اهلها الا من ستر ليلا واغار المسلمون الى تاجورا
وجبال عزيان ومسلاته وارسل السلطان ابو عبد الله عسكرا
لاستنقاذها لنظر القايد محمد ابن ابي جواد ربيب النصارى
اسير الفلعة من حصن حبه ورجع به وبقيت طرابلس بايديهم
الى ان انتزعها منهم درغوث باشا وفي ايامه ايضا ملك
النصارى بجاية في سنة خمس عشرة حتى استنقذها منهم

صالح باشا احد ولاة الجزائر من الترك وتوفي السلطان ابو عبد
الله في شهر ربيع الاخر سنة اثنتين وثلاثين وتسعماية
فتولى بعده ولده الحسن

ولاية السلطان ابي محمد الحسن بن السلطان
ابي عبد الله محمد

بويع يوم وفاة والده فبدا امره في جمع المكوس كلها واحدث
البدع ثم انقلبت احواله وساءت سيرته واضطربت عليه
البلاد واستنفدت عليه سوسة فقام بها صهره العليقي
والقيروان قام بها الشيخ عرفة من شعون الشابي وخرجت
قسنطينة عن طاعته وملكها الترك اصحاب الجزائر وتغلبت
الاعراب على اكثر البلاد وكانت الشوكة فيهم لاولاد سعيد

ذكر استيلاء خير الدين باشا على الحضرة
وانتزاعها من يد السلطان الحسن

وسياقة الحديث عن خير الدين واولية امره واستيلائه
على الجزائر ثم على الحضرة بعدها اعلم ان خير الدين هذا من جزيرة
مدلي وكان شجاعا حازما وكان له اخوة ثلاثة اسحاق
وعروج وهما اكبر منه وكان عروج وخير الدين رئيسان من
رؤساء البحر وجرت على عروج محنة بوقوعه اسيرا في ايدي الروم
وقتل اخوه الياس ثم تخلص عروج بعد مقاسات شدائد
واهوال ما تقل بخدمة الامير قورقود ابن السلطان ابا يزيد
اخي السلطان سليم خان فاستعمله على الجهاد في البحر

باجعافر

باجفانه بقصبة لم يزل ذلك اثارها الحمدة ونكايات في الكفار
عظيمة طار بها صيته فلما فسد ما بين الامير فورفو واخيه السلطان خ
سليم واجلى الامير عن فاس فورفو خاف على نفسه فبادر
السلطان فتوجه نحو المغرب فالتقته الريح الى جزيرة جربة
فاودع بها ثقله واقلع نحو بلاد الكفر فغنم وسبى ثم دخل
الحضرة وسلطانها يومئذ السلطان ابو عبد الله محمد بن الحسن
بن عبد الله المسعود المتقدم الذكر فاهدى اليه هدية
حسنة مما احتوى عليه من غنائم النصارى فقبلها منه ووقعت
منه احسن موقع واستاذنه في الاقامة ببعض مراسي
بلاده فاذن له واشترط عليه ان يحمل اليه خمس الغنائم
التي يحملها بيده من الكفار فمضى على وجهه ذلك ثم انه سار
الى جربة فرسم ان ياخذ ثقله الذي اودعه بها فكان من
الاتفاق الغريب انه وجد بها اخاه خير الدين قد دخلها قبله
بمدة يسيرة وذلك انه خاف على نفسه من السلطان سليم
ايضا لمكان خدمته اخيه على وجه للامير فورفو فركب البحر في
وقصد الغرب فدخل جربة واجتمع باخيه فاتفق رايهما
على الاقامة بالحضرة وغزو العدو في البحر منها مقدما على
على السلطان ابي عبد الله فاكرمهما وبالغ في الحفاوة بهما
فلما انصرم فصل الشتاء سافرا برسم الغزو فرجعا بعد عشرين يوما
بثلاث غنائم فبعث للسلطان خمس ذلك ووزعا ما بقي وامتلات
ايدي الغزاة بالاموال ثم عاودا الغزو ثانية فجاءا مراكبا

عظيما وجاز عثمان من زعماء الاسبانية خرجا من قابل فيهما قتلة ثمانية
مقاتل واخذ اهلها بعد قتال شديد ورجع بها حسن الدرعي الى الحضرة
وكان بها ابنتان للملك عثمان المذكور في من احسن الناس صورة ومعهما
واربع جوار عندهما مثلهما في الحسن وفتاة وكلاب صيد وزرابي
وطنافس فاختص فارسل حسن الدرعي جميع ذلك للسلطان في هيئة
حسنة ومشهد عظيم فوقع منه ذلك اعظم موقع وارسل الى حسن
الدرعي بخلعة سنية وخلع على جماعة من اصحابه واحسن الى من
الى القراة ثم دخل على وجه الحضرة بعده وكان قد اصابته جراحة
في الحرب فعالجها الى ان برئ ثم سافر هو واخوه فاحبا فيهما
ومن اليهما ان يقف واجابة فارسلوا بقربهما وقتل على وجه
الى البر في طائفة من العرب وانتهى الى المدينة فقاتلهما
فرمي في ذراعه فارسل اليه اخوه محمد اليه واتفقا الاطباء
على قطع يده فقطعت واشرف على الهلاك ثم اقلع حسن الدرعي
الى ناحية الاندلس وجرت له بها وقائع وحروب ثم رجع
عنها وسار الى جزيرة مدلي فاجتمع هو واخوه باهلهما واقاما
بها مدة قليلة ورجعا الى الحضرة فانشا بها عمارة وتابعا
غزو البحر وحصل من الغنائم والاساري على شيء كثير وعظمت
نكايته في الكفار وطارت شهرتهما في بلاد العدو وارسوا في بعض
الغزوات على بعض مراسي بجاية فكتب اليهما العلماء والفقهاء
والاشياخ من ناحية بجاية يطلبون منهما منازلة بجاية
ويقصدون بها على الكفار فاجابا الى ذلك ونزلا الى البر

بجنودهما

بجنود معهما معران ادخلوا اجفانهم الى الوادي الكبير وقاتلوا
حصنا من حصونها وحاصروه ثلاثة ايام وفي اليوم الرابع اخذوه
عنوة واستاصلوا من فيه قتلا واسرا واباحوا للمسلمين الفرقة
فتملك الاحواز جميع اسباب ذلك الحصن وما فيه فلما تم لهم
هذا الفتح واقام لهم البر من تلك النواحي نحو من عشرين
المقاتلين ثم جمعوا اجفانهم الى المدينة وحاصروها اربعة وعشرين
يوما واشتد الحصار على الكفار ونفد البارود عن المسلمين فارسل
خير الدين واخوه الى السلطان ابي عبد الله في طلب البارود
وغيره من الات الحرب لخشيته على ملكه منهما ان تم لهما فتح بجاية
فلم يعطهما شيئا من ذلك وكان المدد قد اتى الكفار من ساير
بلادهم فتعذر عليهما الفتح ورجعا الى اجفانهما بالوادي الكبير
فوجدا الما قد نضب عنها فاحرقاها خشية استيلاء الكفار عليها
وسارا الى جيجل بمن معهما من الغزاة والمسلمين وعددهم
ستماية اسير وكان قد ارسلهما الى جيجل بثلاثة اجفان
ليجدداها عدة ان وقع عليهما حادثة فاطلع عروج بها وسار
خير الدين بالاجفان الثلاثة الى تونس فاشترى منها اربعة
اجفان وخرج بها وخرجت معه اجفان من الحضرة فلقي اجفانا
للعدو فاخذها وارسلها الى الحضرة وتوجه الى جيجل بالاجفان
احنيه عن عروج فلم يجده بها وكان من خبره ان اهل الجزاير كتبوا
اليه يستنجدونه في الغزو عليهم ليستعينوا به على جهاد الحصن
الذي احدثته الفرنجة بالجزيرة المقابلة لمدينة الجزاير في

من ساحلها وهو حصن بالغواية بحصينه وامداده بجميع الالات الحرب
والذخاير وملوه عدة وعديدا اليتهيا لهم اخذ المدينة منه لكونه
برية ويسمع منها وفي مكانه بني البرج المعروف الان ببرج الفنار
ولم يبن لنا كيفية استيلا الفرنجة على هذا المكان الذي هو به الان
ذلك كان لعهد اخذهم لبجاية وكان هذا الحصن معتقا في صدر
اهل الجزاير اخذا بمخنقهم مضيقا عليهم اشد الضيق فتوجهوا في
البعلم واوحى الى اخيه خير الدين اذا رجع الى جيجل ان يمده
بعدد من الغزاة فلما بلغ ذلك خير الدين امده بنحو مايتين
من الغزاة ورجع الى تونس فواتاه بها اخوه اسحاق اتاه
ذاهبا من بلاده بجيش في اربعة اجفان من جربة وامده به
اخاه عروج فاجاز الجزاير ولما بلغ طاغية اسبانيا عروج بالجز اير
علموا انه اذ تمكنت لهم البلاد وتمهد لهم ملكها كثرت
اساطيلهم وقطعوا عنهم البحر وامتدت اطماعهم الى بلادهم
فاجمع على غزو الجزاير واعتزم على فتحها فالحصن المذكور فجهز
اليها عمارة بها ثلاثماية وعشرون جفنا تحمل خمسة عشر الفا
من المقاتلة فحطوا عليها ونزلوا الى البر وفروا من البلد
وصنعوا امتارسا تترسوا بها ونهض عروج ومن معه مكانهم
من المدينة ثم رايا ان يخرج اليهم ويناجزهم القتال ففتح ابواب
المدينة وخرج في عسكره وهجموا على المتارس فالقى الله تعالى
الرعب في قلوب الكفار فانهزموا وتبعهم المسلمون يقتلونهم
ويأسرونهم كيف شاؤوا وركب فلهم البحر واقلعوا من ساعتهم

وفي المومنون

وصل الموحدون بهذا البلد غاية السرور وكتب عروج الى
اخيه خير الدين بمكانه من الحضرة وشرح له في الوافقة ✻
وامره ان يقدم الى جيجل فاذا استقر بها اعلمه فيبعث له بعض
اجفان فلما انتهى الى جيجل اعلم اخاه بمكانه فكتب اليه يامره
بالقبض على بعض مشايخ البربر الذي يؤدي الضريبة للبرج
الذي ببجاية فركب اليه فاخذه وصالحه على ان يحمل اليه ما
كان يحمله للبرج فاطلقه وركب اجفانه الى الجزائر وبقي مع
مع اخيه لتمهيد قواعد الملك بها واقتسما عمالتها فكانت البلاد
الغربية لعروج والشرقية لخير الدين وكان سلطان تلمسان لذلك
العهد من بني زيان وهو ابو محمد عبد الله وله ابن اخ اراد
الثورة عليه فلم يتم له فبعث الى الطاغية فالمخول بجيش كبير
عمارة ليستولي على البلاد الساحلية من عمل تلمسان فحطوا على
مدينة وهران وملكوها واستولى عليها ابن اخي السلطان
تحت نظر الطاغية ورجعت العمارة معدا فاذن لكوامع المتوفيا
بها حامية مقاتلة وتركوا بمرساها اربعة اجفان فبعث
اليهما خير الدين البحر فلما انتهى الى المرسى النجي النصارى
الى المدينة وتركوا اجفانهم فاخذهم فاخذها وشرع في ✻
حصار المدينة وضيق اليها فخرج اليه بعض اشياخها وطلبوا
منه الصلح مع المتوفيا ووعده ان يلقاه من العدو فاجاب الى
ذلك وكف عنهم القتال فلما كان الليل خرج المتوفيا من ✻
المدينة بها ربا وتركها فخرج اليها اهلها واعلموا خير الدين ✻

فدخلها واحتوى على ما فيها واسر اربعماية من الكبار ورجع
الى الجزائر ثم استنفر عربية تونس من عمله واستصحب معه جملة
من العسكر ورتب عماله في النواحي ثم ان ذلك المتوثب عاد الى
تنس وملكها وبث الغارات على اطراف الجزائر فانتقض
لذلك عروج فاسترعى خير الدين من مكانه بتدلس واستخلفه
على الجزائر وخرج بجملته فورد فيها تنس فلما انفصل عن
البلد في كمها وثنى عزمه الى تلمسان لانتزاعها من يد صاحبها
عبد الله فانثالت عليه رعاياها من كل ناحية وبذلوا له
الطاعة وعلم صاحب تلمسان انه لا طاقة له بحربه فخرج عنها
باموالـه وذخايره ودخلها عروج من غير مشقة ولا قتال وكان
للسلطان عبد الله اخوان قد اعتقلهما فاخرج عنهما عروج
فذهبا الى فاس واستقرا بها تحت نظر صاحبها المريني
وبقي السلطان عبد الله مدة يجول في عمالته ثم سار الى فاس
مستجيرا بسلطانها من بني مرين ومومّلا عود الكرّة وكان
العرب قد ملكوا وهران من يد بني زيان وكانت قلعة بني
راشد من اخصب البلاد فكانوا يستمدون منها فلما ملك
عروج البلاد قطع عنهم الميرة منها فضاقت بذلك احوالهم
فانتهز صاحب تلمسان الفرصة فكتب اليهم يستنجدهم فاجابوا
الى ذلك وامدوه بسبعة الاف دينار وخمسة عشر ماية
مقاتل واخذ واستوثق من ابناء اشياخ العرب رهنا واجتمع
له من عرب بلاده جيش عظيم واقبل بهم في جد تلمسان فلما

جوه

بلغ

فبلغ ذلك خير الدين وجهز جيشا الى قلعة بني راشد ليغزوها
وامر عليهم اخاه اسحاق فدخلوها فبعد ان اوقعوا بجيش
النصارى وجردوه عاودوا اخذها فاتاهم صاحب تلمسان
وحاصرهم حصارا طويلا واخر الامر قتل الامير اسحاق وجميع
من معه وملك صاحب تلمسان البلد ثم نهض الى تلمسان
محاصرها سنة وعشر يوما لم يخرج بجيشه لقتاله فقتل
هو وجميع جيشه ايضا واستقل صاحب تلمسان ببلاده وخوف
خير الدين ان يقصده فخرج عليه كبيرة لضبط عمالة الغربية
ولتمهيد احوالها واقام باحواز الجزاير لم يباعد عنها ثم
ان صاحب تلمسان اتفق مع الطاغية على غزو خير الدين بجهز
الطاغية العمارة واعلم خير الدين بها فبينما هو بمكانه ينتظر
وصول صاحب تلمسان لحربه اذ ناحت له اساطيل النصارى
بالبحر مسارعة الى الجزاير فاسرع الاوبة اليها فلما حطوا
على مرساها نزلوا الى الساحل من ساذلك اليوم فشمر خير
الدين عن ساق الجد واستعد لقتالهم غاية الاستعداد
وفي اليوم الثالث وقع المطلب بينه وبين النصارى ودام
القتال بين الفريقين ثم اذن الله تعالى بنصره على المومنين فانهزمت
الكفار ولم يكن لهم ملجا الا سفنهم وتبعهم المسلمون
يقتلونهم حيث فشاوا الى الساحل فحمتهم اجفانهم ودخل خير
الدين المدينة مبتهجا بهذا الفتح الذي هياه الله تعالى
له واقلع الكفار راجعين الى بلادهم خايبين فهاج عليهم البحر

هيجانا عظيما واخذهم الموج من كل مكان والقى البحر بسفنهم
الى ساحل معطبة عامتها الا القليل فاستولى المسلمون
عليهم قتلا واسرا فاسروا منهم عددا كثيرا واسروا رايسهم
المسمى بلسانهم الجلنار واستبقاهم خير الدين مدة وبعث
الطاغية في مراكبهم جملة من المال واخرج عليهم بفداء ذلك خير
الدين وقتلهم عن اخرهم لما بلغهم عنه انهم تواطؤوا مع اهل
الحصن الذي في الجزيرة على الثورة بالمسلمين ولما بلغ خبر
الوقعة الى صاحب تلمسان رجع الى بلاده ثم ان خير الدين
اتفق العزم على السير الى بلاد الروم والقدوم على حضرة
السلطان فجمع اعيان البلد وفاوضهم في ذلك فلم يسعهم عدوله
عليه وتضرعوا اليه في الاقامة وكان مما قال له العلما انه
يتعين عليك المقام بهذه المدينة لحمايتها والذب عن الضعفا
من اهلها ولا رخصة لك في تركها عرضة للعدو الكافر واجابهم
بقوله اني بقيت هاهنا منفردا لا ناصر لي ولا معين وقد رايتم
ما اجلب به علينا صاحب تلمسان من النصارى حتى كفانا
الله تعالى امرهم وردهم على اعقابهم ورجع هو الى بلاده بالخيبة
والحسرة وصاحب تونس لا راي له في نصرنا وامدادنا وقد
رايت ان نصل ايدينا بالسلطان الاعظم مولانا سليم خان ونعول
عليه في حماية هذه المدينة وامدادنا بما نحتاج اليه من الات
الحرب والرجال ولا يكون ذلك الا بصرف البيعة اليه والخطبة
له على المنابر وضرب السكة باسمه من جوانبك وحسن جوار رايته

وكتبوا الكتابا

وكتبوا كتابا الى حضرة السلطان يخبرونه ويعرفونه طاعتهم اليه
وجهز خير الدين اربعة اجفان من سفن السفر الى الحضرة واهدى
هدية سنية فرجعت اليه رسله بما في ديوان التعظيم والتبجيل
للسلطان واقيمت الخطبة بالجزائر وعملها للسلطان سليم
خان وضربت السكة باسمه فلما بلغ ذلك صاحب تونس في
المولى ابا عبد الله داخلته الغيرة من خير الدين فكتب الى
صاحب تلمسان يحرضه عليه ويعلمه انه لما وصل يده بالسلطان
فهو متفرغ للاستيلاء على المملكة وقد كان
خير الدين استعمل على العمالة الشرقية من بلاده رجلا
اسمه احمد بن القاضي وعلى العمالة الغربية رجلا اسمه
احمد بن علي فكان فيما كتبه صاحب تونس الى صاحب تلمسان
ان يضرب بين محمد بن علي الذي من ناحيته وبين خير الدين
ويتكفل له هو بالتضريب بين احمد بن القاضي وبينه فلما بلغ
ذلك صاحب تلمسان صادف اذنا واعية وعلم ان خير الدين
لا يقيل عثاره ولا ينساه فعلاته فاخذ التضريب بين محمد
ابن علي وبين خير الدين وفعل مثل ذلك صاحب تونس مع
احمد بن القاضي فلم يقبل منه اولا وانكر عليه غاية الانكار ثم
انقطع طمعه منه ومضيا على ذلك مدة كان صاحب تلمسان
في اثنائها قد اليه جميع العرب على خير الدين واجلب عليه
نواحيه فخرج خير الدين في محلة الى الناحية الغربية فغزى
احوالها ودوخ من عاندوه فيها حتى رجعوا الى طاعته ولم

يحاصر صاحب تلمسان على طليل وقد تقدم ان عروج لما استولى
على تلمسان اخرج من اخوي سلطانها من الاعتقال فذهب
الى فاس فلما كانت هذه المرة بعث اخوهما الى صاحب فاس
لما طلبهما فخيرهما بين اللحاق به والمقامة عنده فاختار الذهاب
فسرحهما واجتمع عليهما طائفة من العرب فلما قربا من احواز
تلمسان توجسا من اخيهما حتى اذا ما احدهما فمضى الى وهران
واما الاخر واسمه المسعود فرحل الى خير الدين وبعث اليه
يتذمم به ويستعينه على ملك تلمسان فركن اليه خير الدين لما
في قلبه على صاحب تلمسان من الاحقاد المتواصلة فكتب الى اشياع
العرب يدعوهم الى خلع صاحب تلمسان وبيعة اخيه هذا
فاجابوه الى ذلك واجتمع له منهم نحو العشرين الفا وبعث اليه
خير الدين بطائفة من العسكر وسار بهم الى تلمسان فخرج
اخوه عنها هاربا ودخلها المسعود وامتنع بها فكان عند ظن
خير الدين ثم حدثته نفسه بالاستبداد عليه فبعث الى اهل
وهران من النصارى فجلبوه بعددهم ليكونوا يدا واحدة على
حرب اهل الجزائر فلما بلغ ذلك خير الدين كتب اليه فعاتبه
على ذلك وحض محلته للحركة وقد كان لسلطان عبد الله
لما خرج من تلمسان فر الى وهران فلما بلغه ما وقع بين خير
الدين واخيه طمع في عود الكرة ثانية فبعث الى خير الدين
يستصلحه ويطلب منه ان يعيده الى ملكه وتوسط له في
ذلك رجل من الصالحين فكان خير الدين لا يجد له شفاعة فاجا به

الى ذلك

الي ذلك وتقرر الامر بينهما على ان يسير خير الدين الي
مستغانم فاذا افتتحها انتقل اليها السلطان عبد الله وبعد
ذلك يقع الراي على استخلاص تلمسان فبعث اليها خير
الدين عسكره براً وبحراً وافتتحها وخرج اليها السلطان
عبد الله واستقر بها ثم سارت حملة خير الدين الى قلعة
بني راشد فاستخلصتها ومن ثم توجهت الي تلمسان
صحبة عبد الله فخرج اليهم المسعود في عسكره فلقيهم على
مرحلتين منها فوقع القتال بينهم فكانت الهزيمة على
المسعود فدخل تلمسان مهيض الجناح مغلولاً وتبعه
اخوه بعسكر الجزائري محاصراً له فواطاه اهل البلد على
دخولها واخلوه ليلا من المسعود في مائة فارس
من خواصه وطار الخبر بذلك الي خير الدين فكتب الى
عسكره بتنصيب عبد الله على ملك تلمسان واشترط
عليه ان يخطب للسلطان سليم خان ويضرب السكة
باسمه فقبل الشرط ثم رجع عسكر الجزائري الى بلاده
وتركوا عنده مائة وخمسين منهم يستظهر بهم على امره
ثم ان صاحب تونس المولى ابا عبد الله لم يزل يلح على
احمد بن القاضي في الخلاف على خير الدين ويعده ويمنيه
الي ان افسده عليه وكشف له عن وجه العداوة فكتب
خير الدين الي صاحب تونس يستميله ويستعطفه فاعرض
عنه وجهز عسكراً الي الجزائر لمواطاة احمد بن القاضي

فلما بلغ ذلك خير الدين وجد عسكر المدافعين فتمت الهزيمة على
عسكر خير الدين فتبع ابن القاضي واستوصلوا فقتل الامير وفتح لهم
في امر ابن القاضي وهم نحو المايتين وخرجت الناحية الشرقية كلها
من يد خير الدين وتملكها ابن القاضي ثم انه جمع جموعا واقبل بهم الى
الجزاير وحاصرها واخذ بخنقها وغاداها القتال وراوحها الى
ان هجم البرد ودخل فصل الشتا حتى اوضع مع خير الدين على الصلح
فوقع على الاتفاق على ان يرد ابن القاضي اسارى الترك الذين
تحت يده وان يعيد الى خير الدين ما اخذه على نفسه وان يرحل
عن الجزاير فلما كان بعد اربعة اشهر انتقض ابن القاضي مرة
ثانية وارسل جيشا الى الجزاير فقدم عليهم اخاه فوجه خير الدين
جيشا برسم لقائهم فكانت الهزيمة على جيش ابن القاضي
ثم وجه خير الدين جيشا اخر لاستنقاذ البلاد الشرقية من يد
ابن القاضي وامر عليهم رجلا من خواصه يقال له قرا حسن
فاستجمع بلادا كثيرة وقوي امره فداخله ابن القاضي في التوثب
على خير الدين والاستبداد عليه بالبلاد التي فتحها وزين له
ذلك فنبذ طاعة خير الدين واستبد عليه بما في يده من البلاد
وانقسمت الناحية الشرقية بينه وبين ابن القاضي ثم ان ابن
القاضي دس الى مشايخ الجزاير واعيانها في الوثوب على خير
الدين فتسارعوا الى ذلك واخذوا في التدبير فجا الخبر الى خير
الدين فاستدعا الفقها وحلفهم في ذلك فتبروا منه وانكروا
فارسلهم الى جماعة البلد فلما اتوهم جاهروا وكشفوا عن وجه

الخلاف

الخدم فوجهوا العبيد الى محيي الدين واعلموه بما عليه القوم
وحذروه منهم فامر محيي الدين باجتماع العسكر الى دار الامارة
في العدة والسلاح وكان ذلك كله ليلا ولم يشعروا بغية ليلتهم
ومن الغد الى العصر ولم يظهر للقوم اثر حركة وكانت دار
الامارة قد اكتنفها ثلاث سكك السكة العظمى شارعة
الى باب ابن عون والسكة المقابلة لها شارعة الى باب
الوادي وهي اقصر منها والثالثة المقابلة لدار الامارة التي
تسلك منها الى الجامع الاعظم وباب البحر فلما كان بعد
الغد اقبل اهل المدينة من السكك الثلاث وقد اكثروا العياط
فبلغ ذلك محيي الدين فامر عسكره ان ينفسحوا لهم اثلاثا فلما قربوا
حمل عليهم العسكر فردوهم على اعقابهم لا يلوي احد على احد
وانكوا فيهم نكاية عظيمة واخذوا منهم وتفرقوا شذر مذر وقبض
العسكر على مايتين منهم فامر بهم محيي الدين الى السجن ثم ان
محيي الدين جمع اهل البلد من الغد في الجامع الاعظم ومشى
اليهم بنفسه ووبخهم على صنيعهم معه الى ما له من الايادي
عليهم فسقط في ايديهم وظنوا انهم لا يبقى منهم احد
واعتذر اليه العلماء والصلحاء بان هذا لم يكن عن اتفاق من
عامة اهل المدينة وانما فعله السفلة وذوو الاجرام الجاهلة
وعظموه فلان لهم وامر بالقبض على من تولى كبر الفتنة
فقبض على مائة وستين منهم وصرفهم الى السجن ومن
على الباقين فكلمه العسكر في قتل المسجونين وشددوا عليه

بعد ذلك فلم يزل يدس لهم الى ان ارضاهم بقتل عشرين منهم هم رؤوس الفتنة تمكينا لغيظهم فقتلوهم وفي اثناء هذه المدة فر المسعود الى اخيه صاحب تلمسان فارسل خير الدين عسكرا لحماية البلد واعانة صاحبها والجلاء الامر على القبض على المسعود بواسطة العرب فاودعه اخوه السجن وصالحه ملك تلمسان ولما راى خير الدين انتقاض العمالة عليه وكثرة الثوار اجمع رايه على انتقاله من الجزائر فامر بجهاز ثلاثة اجفان ووري بارسالها الى حضرة السلطان فلما تم جهاز وجهازه الظهر حينئذ السفر وجمع الاعيان واعلمهم بقصده وركب البحر هو ومن كان يريد السفر معه صبيحة تلك الليلة ومن الغد خرج اهل الجزائر كلهم فوقفوا على الساحل واخذوا في البكا بتزايد البهم مودعا واعلمهم انه ان رجع اليهم بعد ذلك ثم سنين والا فليعوا الوفا الذي اجتماعه بعده ثم اقلع عنهم وسار الى جيجل ونزل بها عازما على استيطانها وتابع منها غزو الكفار في البحر واملاته بيده ويده من معه من الغنايم وجرت له في ذلك امور وكان ابن القاضي لما خلا له الجو من خير الدين استولى على الجزائر واطاعه اهلها وكان بعض اصحاب خير الدين قد اراد الدخول الى الجزائر فمنع منها فلما بلغه الخبر امتعض لذلك فانشا الحركة الى الجزائر وخرج في جملة عظيمة مورياً بغزو بجاية وورد عليه كتاب من اهل الجزائر يستحثونه للقدوم

عليهم

عليهم فطلب منهم رهنا من اعيانهم فوصلوا اليه وهو
باحواز جيجل فنهض حينئذ الجزائر وجرت له مع ابن القاضي
حروب واحوال يطول شرحها آخرها ان ابن القاضي قتله
بعض جنوده وتفرقت جموعه ودخل خير الدين الجزائر في
فيء عظيم وابهة تامة ثم تجرد في الخيل لقتال فرحات
الثائر عليه وكان قد انحاز الى مدينة شرشال فاستنزله
منها وقتله وتمهدت له البلاد ومن غريب الاتفاق ان
كانت مدة مغيبه عن الجزائر ثلاث سنين كما قال لاهلها
يوم فارقهم وكان دخوله لها في مثل الساعة التي خرج فيها
تمام ثلاث سنين وكان صاحب تلمسان قد صرف الخطبة
الى نفسه مدة انفصال خير الدين الى ... كتب اليه صاحب
تلمسان يعتذر به ويحرضه على طلب اخيه ليشغله بذلك
عن نفسه فوقعت الحرب بين خير الدين وبينهما معا والجملة على
الصلح ودخلوا جميعا تحت الطاعة ثم ان خير الدين صرف همته الى
فتح الحصن المجاور للجزائر فتهيأ لذلك حتى تم له ما اراده من
الاستعداد له فامر بالمدافع ان تنصب على حصن فالجزائر
مقابلة لذلك الحصن وشرع في قتاله والرمي عليه بالمدافع
واجتهد الكفار في المدافعة وتابعوا الرمي بالمدافع
والمكاحل عن يد واحدة حتى القي العدو مجادر كثيرة من
البلد وهدمت صومعة الجامع الاعظم وكثير من
الجوامع وبقي الحال على ذلك جمعة كاملة ثم ركب خير الدين

العسكر في الشواني والغوارب وهجموا على الحصن من كل ناحية
فافتتحوه من حينه عنوة وقتلوا من فيه واستولوا على ما فيه من المدافع
وسائر الآلات لما كانوا اعدوه لقتال المسلمين مثل ما يحكي
وامر خير الدين بهدمه واعفاء اثره قطعا لاطماع النصارى
من العود اليه ثانية فاتى الهدم على جميعه وصار اثرا بعد عين
وما جاوره من القنطرة المتصلة من باب الجزاير اليه التي
تعرف الان بالاسقالة وسبب هذا البنا انحازت المرسى
عن يمينه وكلب الاسارى في بنا ما انهدم من البلد فكانوا
يتنقلون الحجارة وغيرها حتى تم في اسرع وقت وكان
الطاغية بلغته عزيمة خير الدين على الحصن المذكور فامر
من حينه بتجهيز اجفان وشحنها بما يحتاج اليه من الميرة
والات الحرب والرجال فلما وصلوا للجزاير الا بعد فراغ خير
الدين من هدمه وتعفية اثره فلما شاهدوا البلد ولم يجدوا
للحصن اثرا ارتابوا وعلموا ما جرى عليه ورجعوا على اعقا بهم
وكانت اجفان خير الدين مجهزة بركبها الغزاة فطلبوهم
فادركوهم وقاتلوهم فنصر الله تعالى المسلمين واخذوا تلك
الاجفان بمن فيها وكان دخولهم بها الى الجزاير في يوم
مشهود فرح خير الدين بسلامة الغزاة على صواعد الكفر
واخذ منهم مغانم كثيرة وانكاهم نكاية عظيمة فاتفق
لذلك الطاغية بجيش عمارة وقدم عليها رجلا اسمه اندريه
دوريه وكان شجاعا وامره بقتال خير الدين والتضييق عليه

وامره الريس

وامره البرنيس بعشرين جفنا فخرج بها اندريه وسمع بذلك خير
الدين فبادر الى تجهيز اجفانه وخرج فيها بنفسه فعاث في
سواحل الكفر ولم يتفق له لقاء اندريه فرجع الى الجزائر واقبل
اندريه فحط على شرشال ونزل الى البر وقاتل المدينة فخرج
اليه اهلها ووقع بينهم قتال ولم يحصل منها على طايل فاقلع
عنها وبلغ ذلك خير الدين فاسرع اليه في اجفانه واقبل
على شرشال فبش اهلها بقدومه وسلموا اليه من وقع بايد ديهم
من الاسارى واقلع في طلب اندريه وعاث في بلاد الكفر
وفتح بعض حصونها واخذ اجفانا كثيرة ووقعت له وقايع
يطول شرحها ورجع الى الجزائر ثم انتقض عليه صاحب
تلمسان باغراء الطاغية ووقعت بينهما حروب انجلت
عن الصلح وتقرر الامر كما كان ثم ان الطاغية وجه اندريه
المذكور بعمارة عظيمة الى جزائر الروم التي هي لنظر
السلطان سليمان خان فعاث في نواحي المورة واستولى
على بعض اقلاع منها وكان السلطان مشتغلا بجهاد
الافكروس والالمان فكتب الى خير الدين يستقدمه لما يعلم
من فتكاته في الكفر واقدامه وشجاعته وتفرغه لدعوة
بني عثمان للغرب واستخلف على الجزائر ونهض في اربع
واربعين جفنا فعاث في سواحل جنوة واخذ اجفانا لاهل
مقلية وامتلات يده من الغنايم وانتهى الى حضرة السلطان
سليمان خان فتلقى بالقبول وخلع عليه وعلى خواصه

الحاج ثم وجهه الى الوزير الاعظم ابراهيم باشا وكان بحلب مشتيا بها
في وجهته الى غزو بغداد فلما انتهى اليه عظمه واكرمه ووصله
اليه الخلع وهو عنده من حضرة السلطان بتوليته باشا ثم
رده الوزير الى حضرة السلطان معظما فجهز له السلطان عمارة
عظيمة وامره عليها وسرحه للغزو فسار الى جزيرة المورة فيه
وحصرها وضبط قلاعها ورتب حاميتها وكان ذلك في سنة
اربعين وتسعماية ومنها توجه الى تونس ولم يذكر احد من
مورخي الترك ان ذلك صدر عنه بامر السلطان بل بعضهم ذكر
انه بامر الوزير ابراهيم باشا من غير اذن من السلطان
وبعضهم سكت والظاهر ان ذلك انما وقع باذن السلطان
لانه لم يكن ليستدعيه الى الحضرة ويجهز العمارة معه
الا لمقصد به الا ذلك وكان وصوله الى بنزرت من عمل تونس
فاستولى عليها واطاعه اهلها واقام بها دعوة بني عثمان
وعلم السلطان ابو محمد الحسن انه لا قبل له فترك الحضرة وخرج
عنها هاربا في خواصه واتباعه فلما سمع خير الدين بخروجه
عن الحضرة اقلع عن بنزرت وحط على حلق الواد ودخل الحضرة
من غير دفاع من احد وجلس على كرسي ملكها وثار عليه في
اهل ربض باب السويقة ووقعت بينهم وبين عسكره ملحمة
قتل فيها خلق كثير وكان مجالها من باب منتهى الى باب البنا
وحومة العلوج وركب خير الدين لاطفاء هذه النائرة وكف عسكره
عن القتال ونادى في الناس بالامان وسكنت الفتنة وكان

حين عزموا

خيف من مواقع الثورة فبعثوا الى سلطانهم الحسن يستحثونه
للقدوم عليهم فوصل الى احواز البلد في طوائف من العرب عقب
هذه الفتنة فوجد الناحية قد سكنت فتوقف ودخل المدينة
مساء واجتمع شيعته وذهبوا في استيصال خير الدين وعسكره
فاجتمع له عدد كثير فتسللوا اليه من كل ناحية فلما اصبح الصباح
فضويق معه القصبة وفيها خير الدين وعسكره فخرجوا اليهم
ووقع بينهم القتال فتفشى القتل في اصحاب السلطان الحسن
واخذوا في الادبار فتكالب عليهم اصحاب خير الدين حتى
انفض سواد من ايديهم فاتبعوهم يقتلونهم في كل طريق
فلما استحر فيهم القتل نادوا بطاعة السلطان سليمان خان
وطلبوا الامان فبذله لهم خير الدين وثبت امره واستقل على
سرير ملكه وفر السلطان الحسن الى العرب ثم ان خير الدين
وفد الى اشياخ العرب بخلع وصلات وكتب اليهم يستدعيهم
الى طاعته فاجابوه فابذ ان اعطاهم ما كان لهم عند بني ابي
حفص من الاقطاع والجرايات فاطاعوه فالتزم لهم بذلك
واشترط عليهم ان يشتوا بالتحيل وان يكفوا ايديهم عن ضرر
الرعية ثم ارسل خير الدين الى نائبه بالجزائر ان يبعث اليه
ثلاثمائة من العسكر وارهابية فارس يستظهر بهم على امره
فلما وصلوا اليه وزعهم على اطراف الاستيفاء الجبايات وشملت
النواحي العافية ثم اخذ خير الدين في تجهيز هدية الى حضرة
السلطان سليمان خان فكان من جملتها ثمانون غلاما من ابناء

ح

فذلك

ثم ان السلطان الحسن داخل اشياخ العرب في القيام معه
على خير الدين فاجابوه الى ذلك واتفقوا على خير الدين
واجتمعت جموعهم بالقيروان فاخذ خير الدين في الحركة
اليهم وخرج من الحضرة بجملة يطلبهم فبادروا اليه والتقى
الجمعان ونشب القتال فدهم العرب من المدافع التي
استصحبها معه خير الدين ما طاشت له عقولهم لانهم لم
يعتادوها فولوا الادبار ثم رجعوا للطاعة وكتبوا اليه يلتمسون
العفو فكتب لهم كتاب امان فوفدوا عليه وبايعوه ثانية
ورجعوا الى بلادهم ثم ان السلطان الحسن لما راى انه
لم ينفعه مع خير الدين موالاة الحاضرة ولا موالاة البادية
ومن جيره فالطاغية طاغية الافرنس واختلفت الروايات في
هاهنا فقيل انه ركب اليه البحر ووافاه في بلاده مستصرخا
به على خير الدين وقيل انه كتب اليه بذلك ولم يغادر عمالة
تونس والاول هو المذكور في تواريخ تونس وقال انه من
زعم انه كتب اليه ان الطاغية لما بلغه ان السلطان سليمان
خان سار نحو العجم ونازل تبريز عزم على غزو بلاد
الروم انتهازا للفرصة لغيبة السلطان فلما بلغ خبر هذه
الحركة السلطان الحسن كتب اليه حينئذ ان يصرفها الى تونس
وبذل له في ذلك ما ارضاه واعلمه ان معه من العرب عددا
لا يحصى فجهز جيش العمارة وبلغ خبرها الى الحضرة فاجتمع
وجوه اهلها الى خير الدين وحذروه باس العدو وطلبوا

منه روساوه

منه ووصلوه امدبجيش واساطيلهم وبحر جوابها لملاقاة
العدو فلم يمتنع لقولهم واعتنى بتشييع امحمد وزعم ان النصارى في
حضروا يوفون من سماع اسمه فكيف يجترون على ملاقاته فلم
يشعر الا باساطيلهم قد حطت على حلق الواد فهرب برج يقال
له برج العيون ولساعة وصولهم نزلوا الى البر واخذوا في
انزالهم ومدافعهم وشرعوا في قتال البرج وخرج حسن
الوزن لقتالهم في اثنا عشر الفا فبعد قتال عظيم استولوا
على البرج المذكور وانحاز حسن الوزن وعسكره الى المدينة واغلظ
عليه اهلها فبعضهم تمسك بطاعته وبعضهم جنح الى
طاعة سلطانه محمد حسن الوزن وتكلم معهم فاختلفوا
عليه فتركهم وخرج في عسكره وتبعه اهل البلد لما خرج
فكان جملة من معه ثمانية عشر الفا وقيل ستة عشر الفا وتقدم
نحو العدو ففي حرب عظيمة وجاء العدو الى حسن الوزن من
الحرب وكانت اغراضهم مع سلطانهم الحسن فانهزموا
بالناس ثم رجعت لهم الكرة على العدو واتصل القتال
وابلى حسن الوزن في ذلك اليوم بلاء حسنا ثم وقعت الهزيمة
عليه فرجع الى القصبة فنظر ما يوجد من بها من اسارى
النصارى قد انتهزوا الفرصة واستولوا عليها واغلقوا
ابوابها واحكموا ضبطها فتركها ولوى عنانه الى [illegible]
قاصدا الجزائر وكابد في الوصول اليها مشقة ايدوا اهوالا
منه قلة الاقوات ومشقة الحر والقتال مع العرب الى

ان دخلها بعد بعض الى حق ووضع في بعض التواريخ المترجمة
من التركية ان خير الدين بعد الوقيعة عليه بالحي جوفة في
ومنها ركب البحر الى الجزاير وهذا غير صحيح لان بجاية
اذ ذاك كانت في طاعة السلطان الحسن ومن بعده ابنه ابو
العباس احمد واليا عليها من قبله كما سياتي خبره
فكيف يتمكن خير الدين من الوصول اليها من حال هزيمته
حتى يركب منها البحر وامرا بودينار في تاجنه وتبعه
الوزير السراج منها اخذ من الي جوفة ومنها ركب البحر
الى اصطنبول وهذا باطل قطعا فانه بعد ما دخل
الجزاير منهزما غزا منها في البحر وغنم وسياتي ذكره
ثم بعد ذلك سافر الى اصطنبول والذي ذكرناه اولا هو
المسطور في بعض التواريخ التركية ولما دخل الجزاير انشا
اجفانا ثمانية وضمها الى ما عنده من الاجفان وركب البحر
غازيا بنفسه فصادف اجفانا للطاغية فيها بعض اسارى
من اهل تونس وجه بهم الى بلاده فاخذها خير الدين
وانقذ المسلمين وفك القيود من ارجلهم وجعلها في
ارجل الكفار واخذ الاجفان واستمر على سيره فاتى برج
ماعون ومن صاحبها كما هو مشهور وكان برجا كبير الساحة
يسع نحو الخمسماية مركب وباب المرسى صغير لا يسع في الدخول
الا فلكة اجفان فتحيل في دخولها واخذها بحيلة البر ومن
ثم انزل عسكره الى البر وحاصر حصنا للنصارى على ساحل ايالا
فبفتحه وغنم ما فيه واسر مقاتلته ورجع على الجزاير ثم على

البر الى حومة السلطان

السلطان سليمان خان فاختار في تجهيز نفسه فلما تم لهذا الكرك هو واهله وحاشيته
ومن اراد ان يكون معه من العسكر واستخلف على الجزائر رجلا اسمه حسن اغا وسار
وبلغ خبره اندريه فخرج في اربعين جفنا في بغية الطلب فاتى الى ناحية جيجل واقام
هنالك يترصد فاجتاز به خير الدين ولم ير احدهما الآخر ولما بلغ حضرة السلطنة
العالية اهتزت له الدولة وقوي بقدومه تنويها عظيما وخرج في مراكب السلطان ووقع
له في غزو الكفار وقائع مشهورة وآثار مذكورة مع اندريه وغيره لا حاجة بنا الى
تفصيلها الا انا ذكرنا هذا البعض من اخبار خير الدين مختصرا وان كان المقصود
انما هو ذكر استيلائه على الحضرة وما وقع له مع السلطان الحسن ليعلم اولية استيلاء
الترك على الجزائر فان هذا مما تتشوف له النفوس ولطالب اخبار خير الدين من كتب
الغزاة مع قلة من تعرض لها من المؤرخين وفي ايام حسن اغا الذي استخلفه
خير الدين على الجزائر غزا الطاغية الجزائر الغزاة المشهورة وكانت عليها الكرة
الشنيعة فقد كان حسن اغا هذا انشأ بعد انتقال خير الدين احدا وثلاثين
غليطة وعاث بها في سواحل اسبانية واحتوى على كثير من اجفانهم
وما تفرق وطاقة عليهم فجهز الطاغية عمارة كبيرة وبعث الى صاحب جنوة في
تجهيز ما عنده من الاجفان وغزا الجزائر بنفسه في اربعمائة جفن وقيل اربعمائة
وخمسين فحط على جونة تامنتفوست يوم الخميس لليلتين بقيتا من جمادى الثانية
سنة ثمان واربعين وتسعمائة فارتاع لنزوله اهل الجزائر روعة عظيمة وجمع
حسن اغا اعيان الناس وكان هو رجلا عاقلا حازما صبورا ذا راي صحيح
فجمع اهل الصلاح وكل نفيس وجماعة من العلم وحضهم على الجهاد وبذل النفوس في
سبيل الله تعالى وجعل في ايديهم السلاح والبارود والطعام ووزع ذلك على اهل
المدينة وضبط الابراج والحصون واما النصارى فانهم نزلوا الى البر وانزلوا آلاتهم

الحربية وصنعوا مترسلا هائلا واتى لواليه المراكب فكان من تدبير حسن اغا
ان انتخب من عسكره ستماية من الرجالة والعبيد فارسا واخرجهم في الربع الاخير
من الليل وامرهم بالهجوم على الكفار في محل نزولهم ليكسر بذلك من حدهم وشوكتهم
فلما قربوا منهم كبروا باصوات عالية ورموهم عن يد واحدة فارتاع الكفرة
لذلك واخذوا اسلحتهم ووقع القتل فيهم من بعضهم لبعض والمسلمون يرمونهم
على البعد فلما تبلج الصبح رجع المسلمون الى المدينة فغضب الطاغية وامر بنصب
المدافع على المدينة وكانت عدتها ماية مدفع نصبوها في المحل المعد وضع
بكرية الطاحون ودفعوا على البلد اياما فتدارك الله المسلمين بلطفه فهاجت
الرياح وساقت السحاب امثال الجبال وامطرت السماء مطرا كالطوفان وهاج البحر
واضطربت امواجه بما لم يعهد مثله فجعلت تتكفا يمينا وشمالا والامواج تتراكم
كالجبال فغرق كثير منها وعطب على الساحل كثير من سفن الكفار لذلك وتحيروا
وخيل لهم ان القيامة قد قامت من كثرة الرياح والامطار والرعود والصواعق
فلما راى حسن اغا ما هياه الله للمسلمين من اسباب النصر خرج في المسلمين لملاقاة
الكفار فوقع بينهم قتال عظيم ودافع النصارى دفاعا قويا فانحاز المسلمون في
اخر الامر الى المدينة وعلم النصارى انهم تورطوا وحيل بينهم وبين مراكبهم وبعدت
اقواتهم فاكلوا الخيل ثم ان انبرور جمع اهل الراي فنزل الى الطاغية وامره ان
يذهب فيما بقي من الجيش الى تامنتفوست ويتحصن بها فيمن معه من العساكر في
البر فيما يجدونه ويركبون الى بلادهم ثم ارتحل وخلف جميع ما كان به
من الاثقال والالات الحربية ذاهبا الى تامنتفوست فلما اتوا واد الحراش وجدوه
حاملا من كثرة الامطار فجعلوا للطاغية جسرا من خشب اجفانهم المعطبة
فمر عليه وغرق كثير منهم في النهر واتصلوا الى تامنتفوس فحطوا مراكبهم

بعد

بعد عصر اليوم وذلك يوم الاربعا الثاني عشر من رجب ومن الغد اقلعوا الى
بلادهم وخلف من القتلى ما لا يحصى ولم يرجع منهم احد وكان فرارهم باربعة
الاف فرس ومن جملة ما غنم المسلمون من اثقالهم مائة مدفع وقيل مائتان
وامتلات ايديهم من الغنائم وشاعت هذه الوقعة في المشارق والمغارب وبقي
رعب المسلمين في قلوب الكفار مدة طويلة ولنرجع الى المقصود من اخبار
السلطان الحسن فانه لما انهزم خير الدين وترك البلد وتوجه الى الغرب
خرج جيش من النصارى الى البلد ولقيهم العرب مستبشرين بقدومهم فاوقعوا
بهم وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وقالوا لا نشك لمخالطة هولاء القوم ولا امنهم
بما نقم الله خير الدين منهم ودخل السلطان الحسن القصبة وامر الناس بفتح
الاسواق وكان النصارى اشترطوا عليه استباحة البلد ثلاثة ايام ولا علم لاحد
من اهلها بذلك فبينما الناس امنون والاسواق مفتحة وقد اخذ كل واحد في عمله
لم يشعروا الا بالفزع قد هجموا عليهم البلد وهم غافلون ومدوا فيهم ايدي الغي
قتلا واسرا وسبيا ونهبا وخرج من امكنته الفرصة منهم نجى منهم وذراريهم
هاربين الى زغوان فجعل عظيم الفرنج للعرب جعلا على كل مسلم اتوا به فخرجت
الاعراب للطلب واتوا بخلق كثير منهم الا من افتدى نفسه منهم وبلغت العربية
للعرب العاد بقارو فاشترانا من نسل ايد واهوال الاصعاب يقال انه مات في هذه
الوقعة ثلث اهل تونس واسر الثلث ونجا الثلث وكل ثلث يكون الفا والله
يحكم لا معقب لحكمه وتغيرت البلاد وطمست اعلامها وذهب رونقها ومحاسنها
وتراجع اليها بعض اهلها بعد ذلك وشرع في بعض العمارة ومن ذلك التاريخ
ملك الفرنج حلق الوادي وشرعوا في بناء القلعة وتحصينها وشحنها بالرجال
والالات الى ان بلغت الغاية من الحصانة والمتانة وصارت لهم دولة ومشاركة

للسلطان في الحكم ثم خرج السلطان الحسن الى العين وان لا استغناء له عن براشير
بعد ان جمع جموعا من العرب فخرج اليه الشابي باهل العين وانه بعد من مرة واخذوا
محلته ورجع مغلولا فاقسم ان لا يرجع عنها الا ان ياخذها وعزم على الاجلاب
عليها بالعرب وان يفعل بها كما فعل بتونس فركب البحر الى اسبانية بنفسه

ولاية السلطان ابي العباس احمد بن السلطان الحسن

لما بلغ خبر ركوبه الى ابنه ابي العباس احمد وهو بتونس خشي من بادرة العرب على
الحضرة فخرج من تونس واقبل الى الحضرة خفية وتكلم مع بعض البطانة في امر
القيام فاجابوه فدخل القصبة على حين غفلة فلم يعارضه احد واقبل اليه الناس
يبايعونه فسار فيهم سيرة حسنة ونفرت القلوب عن ابيه ولما بلغ العرب الزبن
خلف الوادي الخبر ارسلوا الى ابيه بمكانه من بلادهم يعني مونه ذلك فعظم عليه
وبذل للطاغية اموالا كثيرة وجهز له اسطولا بعمارة عظيمة واقبل بها الى حلق
الوادي فنزل الى البر وخرج اهل الحضرة لقتالهم ونادى منادي السلطان ابي
العباس من اتى براس او راسين فله مائة دينار وجلس عند باب ينتظره
والتقى الجمعان بجوبة الملح من فحص تونس فتقاتلوا ساعة من نهار ثم منح
الله تعالى المسلمين اكتاف العدو فاتبعوهم يقتلون ويأسرون فقتلوهم قتلا
ذريعا وكان السلطان ابو العباس يعطي كل من اتاه براس مائة دينار فلما
كثرت الرؤوس صار يعطي عشرة دنانير الى ان صار يعطي دينارا واحدا ودخل
ابوه الحسن البحيرة وسار الى جزيرة شكلة فادركه ابو الهول شيخ العرب فاتى به
واتى به الى ابي العباس فاعتقله ثم سمل عينيه بعد ذلك وخرج الى العرب وهو
اعمى فاقام بحلق الوادي الشابيين حتى هلك والتجأ النصارى الى قلعة حلق الواد فتحصنوا
بها ثم اقلعت اساطيلهم وابقوا حاميتهم بحلق الواد واستقل السلطان ابو العباس

ولم

ولم يجرعهم حتى اعطاهم شيئا من الاموال اقتطعها لهم والى الحسن واركب ثلاثة آلاف فارس
وعماهم زمان مدة وكانت البلاد ما نقل ذلك تنهى بالوجوه منهم القريم واخذ
جيرا من السودان لما كان يتوقع من ملك قوم لقتالهم في العربية على ما اخبر منجمه
ومن له خبرة بالجفر وكان فيما اخبروه ان الحكم ينتقل الى رجل اسمه علي من الاعجام
فاقام احد مماليكه من الاعلاج سماه عليا واجلسه في مجلسه وفوض له الامر
والغزو حتى يجاوز ذلك الاجل وكانت له فتنات في العرب اولاد سعيد لفسادهم
وشنهم الغارات على اطراف البلاد وكان فيهم عاصفا لهم

ذكر اخذ الفرنج للمهدية وفتح بجاية

لما ضعفت الدولة الحفصية واستغلت عن ما تكالب طاغية الفرنج على الثغور
الاسلامية فملك جزيرة جربة حتى استنقذها منهم خير الدين باشا كما مر منا
وملكوا بجاية وملكوا طرابلس في التاريخ المتقدم وفي سنة سبع وخمسين غزوا
المهدية واستتبعوا اهل جزيرة واهل قابس وكان عدد اساطيلهم مائتين وخمسين
فنزلوا عليها ورموها بمدافعهم والحوا عليها بالحصار ثلاثة اشهر وقاتل
اهلها قتالا شديدا حتى استشهد منهم خلق كثير وهدموا سورها واقتحم
العدو عليهم واستلحموهم واسروا كثيرا منهم وملؤوا اساطيلهم بالسبي
والغنائم وتركوها خاوية على عروشها واقلعوا الى بلادهم ثم تراجع اليها بعض
اهلها ولم ترجع بها العمارة ولم تعد الى حالها الاول لعهدنا هذا ولهذه المرة
التي اخذوا فيها المهدية او في ما قبلها اخذوا ايضا جزيرة جربة واستنقذت
من ايديهم من بعد ما قهرها وملكوها سنة اشهر حتى انتزعها من ايديهم درغوث
باشا وذلك ان الدولة العثمانية ادام الله ظلالها على الانام كانت لهذا العهد
في غاية الاستعجال وقوة الشوكة وكانت اساطيلها وعمايرها البحرية متوافرة

كثرة وقوة وشدة نكاية في العدو فلما بلغهم نكايته العدو على الثغور المغربية
استغاثوا بالخليفة وتوجهت عن أمرهم اليها بقيها خير الدين باشا غزا وأتته المذكور حتى
استولى على بلاد الجزائر وانتزع حصنها من ايدي العدو وكما مر الحديث عنه ثم غزا
درغوث باشا هذا جزيرة جربة باشا طيلة فانتزعها من ايدي النصارى ايضا وملكها
واستولى بها ثم توجه منه لافتتاح طرابلس من ايدي العدو واعانه على ذلك
اسعد [illegible] ما قبل الاسلام خرج من اسلامبول فجهزوا جيشا الى طرابلس فكلمهم
اهل الشام [illegible] اعانتهم على الكفار فاعتذروا بانهم لم يومروا بذلك من جانب
الحضرة السلطانية فقال لهم مراد باشا وكان بمسلاته مع اهلها ولا ادري سبب
وصوله اليها وملكه لها [illegible] هذا الامر وان كانت من السلطان عقوبة فانا
المواخذ بها دونكم [illegible] الى ان اخذوها وملكها درغوث باشا وبقي
بها الى ان توفي وقبره مزار وعليه بناء عظيم وقد بقيت جربة محكومة الى مملكة
طرابلس الى ان رجعت الى صاحب تونس فيما بعد كما سنذكره ان شاء الله
تعالى وكان فتح طرابلس واستيلاء درغوث باشا عليها سنة ثمان وخمسين
وتسعماية وقد قدمنا ان الشيخ عرفة الشابي استبد بالقيروان وخلع
الطاعة فلما هلك ملكها بعده ابن اخيه محمد بن ابي الطيب فوقعت بينه
وبين السلطان ابي العباس احمد حروب ووقائع ولم يطق منه السلطان شيئا
وصارت بيده تدبير القيروان فلما [illegible] عنها اهلها وارسلوا درغوث باشا
بمكانه في طرابلس ان ياتيهم ويسلموا له البلد فجاءهم وملكها وقتل
محمد بن ابي الطيب ومن بعده اهل بيته من الشابيين الى العرب وملكوا اياديهم
وعظم امرهم الى ان ضعفوا بعد ذلك وتلاشى امرهم وحال بقيت منهم بقية
بنواحي الزاب الى هذا العصر ونسبتهم الى الشابة قرية من عمل صفاقس واحتج

الى غيرة

ثم غزى درغوث باشا بالغرب واتاه من ملكها بعد حصر باشا ورجع درغوث باشا الى
طرابلس فاقام بها الى ان مات والسلطان ابو العباس بتونس يقاتل العرب في
حلق الواد فوقعت بينه وبينهم حروب ووقائع ولقي اهل تونس منهم شدة وتعب
فكانوا يطالبونهم بالخبز وآلات البنا للتحصن فلعنهم واليأس يغني ذالك فلذا
منعوهم صنعوا عليهم وارسلوا شوانيهم في البحيرة ترميهم بالمدافع ثم ان السلطان
ابا العباس تنكر لوزيره ابي الطيب الخضار فكان يتوقع منه الغدر عليه فدخل
عليه ذات يوم فوجده يبكي فسأله عن سبب بكاه فقال له كيف لا ابكي
ولو جاءني علي باشا يعني صاحب الجزائر ابي عبد يسمى ملكت الفله وذالك
لما كان يتوقعه من ذهاب ملكه على يد رجل العجمي اسمه علي فلما وجد من الخ
التبيل على نفسه لوزيره فراسل علي باشا في غزو تونس وحضه على ذالك
وسهل له الامر ويقوي عزمه على ذالك واجتمعت عليه العرب من كل جهة وحويل
وبعث لهم فخرج السلطان ابو العباس للقائهم فالتقى الجمعان على باجة
فهزموه واخذوا محلته ورجع منهزما الى الحضرة وعلي باشا في اثره فخرج
اليه مرة ثانية فانهزم ايضا فعاد الى الحضرة وايقن بذهاب ملكه ونازل علي
باشا تونس وحاصرها فلما جن ابو العباس فيها بدخول ذلك وسواله
وخرج من القصبة ليلا ومعه بعض اهله واتباعه وقصد قلعة حلق الواد
على طريق راد مر فتبعته العرب ونهب اهل البلد ونهبوا الكثير من امواله
وخلص الى القلعة في ترقلبل وبعث اهل الحضرة بالابواب لعلي باشا فدخلها
بعساكره وجلس بالقصبة وذالك سنة سبع وسبعين ونادى مناديه
في الناس بالامان فاجتمع اليه وجوه البلد واخذ عليهم البيعة للسلطانه
من ال عثمان وهو السلطان سليم خان ابن السلطان سليمان خان واراد ابو

الضيف الخطار الاستبداد بالتحجير الاحكام بعدما جلد علي باشا وقتله ثم غفر على
تونس لغايته من فوادة وترد معه ثلاثمائة من الترك ومثلهم من زواوة والذي من اجعه
الاحد اي معكشا بتونس ثلاث سنين وفيها ملكت العرب عليهم البر والعرب البحر وطلب
السلطان ابو العباس من طاغية النصارى صاحب اسبانية ان يعينه على استنقاذ بلاده
فجهز له بعمارة عظيمة فلما بلغوا حلق الوادي جاءه كتاب من الطاغية يشترط عليه
فيه مقاسمة البلاد فامتنع من قبول ذلك وقبله اخوه محمد بعد موته وانتقل ابو
العباس الى جزيرة صقلية فاستقر بمدينة بليرم الى ان هلك وجيء به الى تونس
ودفن بمقام الشيخ الجليزي رحمه الله تعالى

ولاية السلطان محمد بن الحسن

وهو اخر ملوك بني ابي حفص لما بلغ اهل تونس قدوم الاسطول لقتالهم وليس
لهم سلطان يقوم بتدبير امرهم وخربهم الغواصة العوام بايديهم وخرجوا هاربين
من البلد على وجوههم وتوجه اكثرهم الى ناحية جبل الرصاص واجتمعوا بها واقبر
هنالك وعظم الخطب واشتد البلاء ونالهم من الجوع والخوف ما لا عهد لهم بمثله الى ان
طاروا يتخطفون بين خيام البادية وخرج عسكر الترك من البلد طالبين النجاة
واهلوا فانتهوا الى الحمامات فاغلق اهلها ابوابها دونهم بعد مواعدة الكاف
بحيدر باشا بالقيروان وارسل العرب عسكرا في طلبهم فادركوهم على الحمامات
فلما لم يجدوا ملجأ استماتوا وجعلوا البحر خلف ظهورهم وصرفوا الاثقال
بعض موجهم وركبوا اكتافهم العدو اخرجوهم من الخندقة وقتلوا منهم مقتلة
عظيمة وارسلوا برؤوسهم الى القيروان ثم جاءوا الحمامات حتى دخلوها عنوة
ونهبوها ثم لحقوا بالقيروان واستقروا بها مع حيدر باشا ودخل محمد بن الحسن
تونس فجلس بالقصبة وشاطرته العرب البلد وسكنوا دورها وجلس عليهم

معه

معه بالقصبة بشاطي الحكم وتعبوا لما قرروا عليه وضربوا البرا قليمعهم
وربطوا خيولهم بجامع الزيتونة ودخل الجامع سنة ثمانين وتسعمائة وارسل
السلطان محمد الى الناس بالامان فبرا جمعوا من وجرداو بلزغة سكنها ومن
وجدها بايدي العدو وذهب منه واخذ عظيم الفرنج في استمالة الناس والرفق
بهم وكف ايدي جنده عن ظلمهم وامتنع اهل ربض باب السويقة بحواز الامان
واخذوا ناحية وبقي غيرهم تحت نهي الكفار واهانتهم ووقعت بينهم
المعركة المعروفة بفتنة الشكارة مات فيها خلق كثير من الفريقين ودامت من
الصبح الى الغروب وسببها ان امراة وقعت بين مسلم ونصراني في شكارة
كل منهما يريد شراءها فضرب النصراني المسلم فاستغاث بالمسلمين فثاروا
بالنصراني وقتلوه وكان ذلك بباب البنات فغضب النصارى لصاحبهم
فوقعت الملحمة وبنى عدو النصارى في عمارة البستيون خارج باب البحر من تونس
قلعة احدثوها هنالك ليتحصنوا بها لعجزهم عن ضبط البلد لسعتها واستيلاء
الخراب على كثرها وكذلك القصبة فما استولى الخراب على اكثرها لتواتر الفتن
الحرب والملاحم ولم تزل الفرنج بتونس مشاركين للسلطان محمد بن الحسن متغلبين
عليه والمسلمون يلاقون منهم اشد الاهانة وسواد الملاحة الى ان حرك عزم
السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان رحمه الله تعالى الى استنقاذها
من ايدي الكفرة وضمها الى جملة ممالك المحروسة فجهز اساطيله المنصورة لغزوها
لنظر الوزير المعظم سنان باشا رحمه الله تعالى ومعه قلج علي قبودان
باشا وجماعة من الامراء والي وخرج جوامن القسطنطينية غرة شهر ربيع
الاول سنة احدى وثمانين فارسوا في حلق الوادي في الرابع والعشرين منه ونزلوا
الى البر وحاصروا قلعة حلق الوادي اشد حصار وقد كان مصطفى باشا صاحب

لطرابلس فهزم بعسكره من طرابلس محاصرا لحيدر باشا صاحب القيروان على اخذ تونس
فنزلا فيها وحاصراها فلم يقدرا عليها وهما بالرجوع فكان ورود العمارة
السلطانية من اسلامبول فاتيا الوزير سنان باشا صاحب الجزاير والح على قلعة
حلق الواد بالقتال وضيق عليها الى ان ملكها عنوة لست خلون من جمادى
الاولى من السنة ووضع السيف فيمن وجد بها من الكفار وغنم جميع ما بها من الالات
والذخاير وكان فرجي دعسكر الكفار بتونس فيفزع من بها من المسلمين الى البستيون
وتحصنوا به ومعهم السلطان محمد الحفصي فملك العسكر العثماني البلد وقصبتها
وحاصروا البستيون وتحصنوا به ومعهم السلطان محمد الحفصي
فملك العسكر العثماني البلد وقصبتها وحاصروا البستيون فضيقوا
عليه واتصلت محاصرتهم له الى ان فرغ الوزير سنان باشا من قلعة حلق الواد
فاقبل لحصار البستيون الى ان اخذه عنوة ووضع السيف فيمن به من الكفار
وهرب جماعة منهم الى غلوة فاتبعهم فاستاصلوا وقاتلوا قتالا شديدا
الى ان هلك معظمهم واستاصلهم قتلا وملكوا البلاد وغنم غنايم كثيرة وقتل من
الكفار عددا كثيرا وهي واقعة طويلة مشهورة في كتب التواريخ معروفة
في فتوحات آل عثمان العظام وانقرضت المملكة التي بقيت في ملكهم وصار
الملك بالاوصاف واللادنى في ايديهم وظفر سنان باشا بمحمد بن الحسن
فاقتلعه واحمله معه الى حضرة السلطان سليم خان في بحرى فلم الى ان
هلك وانقرضت بانقراضه دولة بني ابي حفص بل دولة الموحدين من الارض
والملك لله يوتيه من يشاء حتى يرث الارض ومن عليها وهو خير الوارثين فانظر ايها
المعتبر كيف كان اول هذه الدولة الحفصية من ضخامة المملكة واتساعها
واستعجال الدولة وارتفاعها على سائر الدول وتاميل اهل الافاق لها

وامتداد

وامتداد الأيدي إليها بالطاعة وما اتفق للأمير المولى أبي زكريا بن أبي الشيخ
عبد الواحد من دخول المغرب الأوسط واجتماع(?) إلى ملوكه في طاعته
واستيلائه على جميع بلادها وقيام الثوار عليه في النواحي وإيقاعه بالعرب
والبيعة من هوارة وغيرهم ووفود أهل الأندلس عليه ببيعتهم عند فشل
دولة بني عبد المؤمن بالمغرب الأقصى فبايعه أهل شرق الأندلس وبلنسية
ومرسية وإشبيلية وكثير من أقطارها قبل استيلاء العدو عليها ثم بايعه
ابن الأحمر صاحب غرناطة وغيرها من الأندلس ووفدت عليه بيعة أهل سبتة
وأهل طنجة وقصر ابن عبد الكريم ومكناسة وغيرها مما سمع من المغرب الأقصى
وافتتح تلمسان وأطاع عبد الواد ودخل أميرهم يغمراسن بن زيان
إلى طاعته الذي لا يبقى في قيام ذكره عوضه وخطبه ملوكهم على المنابر بالطاعة
ودولتهم في المبادي وأمرهم في الظهور واو جموا له حتى الخلافة وحملوا
تحت أيديهم من قبائل المغرب واستطالوا على طاعته ثم ترقى أعظم ما كان سلطانها
وامتد مداها واستقل بالأمر بعده ابنه أبو عبد الله المستنصر فاتفق له من
السعادة وهبوب الريح وعلو الكلمة ما لا غاية له وراءه واتفق لأول الأمر
انقراض الخلافة العباسية بالمشرق فوافقته بيعة أهل مكة أهل البيت والحرم
وجيران الله تعالى ومهبط الوحي وموضع تردد الملائكة حيث لم يبق
للإسلام في ذلك الوقت خليفة يوصل منه الشرع ويحمي منه ثغور الدين
حسبما أشار إليه ابن سبعين في كتاب البيعة واتفق له من وفور الحظ
وكمال السعادة بموت طاغية الإفرنج لما نازله وضيق عليه ما هو مشهور على
صفحات الأيام مسطور وكان شأنه في ملوك بني أبي حفص عظيما وشهرته
طائرة الذكر لما اجتمع من أهل سلطانه ومدت إليه ثغور القاصية من العدوة تقريبا

الاعتصام به وما اجتمع لخليفته من اعلام الناس من الافاق وخطوط الاندلس
لخصوص معالم الخلافة فيها وتغلب اعلى جهاته وخمود صوت الملك الذي ايوانه
منحركات الطاغية اثبتهم قواعد الملك بشرق الاندلس وغربها فاخذت
قرطبة سنة ثلاث وثلاثين وستماية وبلنسية سنة ست بعدها واشبيلية
سنة ست واربعين واستولى الططر على بغداد دار خلافة العرب بالمشرق
وجامعة الاسلام سنة ست وخمسين وملكوا المشرق باسره من الصين الى
الشام ثم انتزع بنو مرين ملك بني عبد المومن بالمغرب الاقصى واستولوا
على حضرة مراكش دار خلافة الموحدين سنة ثمان وستين كل ذلك لاهل
عهده وعصر ابيه وهو لسقم اشرها كانت قوة واعظم رفاهية وجباية واوفر
قبيلا وعصابة واكثر عساكر وجنودا واملا اهل العلم للجميع واجملوا
الى الاسلام بجنوده وكانت لهم في الابهة والجلال في الفتوح والحروب اثار
مشهورة ثم انتهى كيف كان عاقبة امرها وانقلاب احوالها حتى صار الامر
منهم للبعد الى الموضع قرمية من القصبة وقد انتقضت عليه الممالك اقصاها
وادناها وقامت عليه الثوار في الامصار واستولت العرب على الضواحي
والقرى وملوك المسيحيين من النصارى في شماله وفي الجوف واستولوا
على ما بقي له من الامم وايديهم ممتدة الى ما بقي في حيطته من المسلمين بالقهر
والاهانة وصود المذلة وهو يتخطى العدو الى الاخر منعة ولا يلاذ دونها عن
ولا يجوا الظهور اقربهم عنه الحامية واختلت العصابة وانقطعت الجباية
وتفرقت الخزاين وهكذا شان الدول اذا ادركها الهرم واخذت في الادبار
والانقراض وضعفت حاميتها وذهب باسها وانخضدت شوكتها وتضعضعت
احوالها ونزل بها الامراض المزمنة التي لا تفارقها الى ان يقضي عليها

وتقضي

وتنقرض الملة بما انقرض الصحابة ودار خلافتهم حتى هطل الله تعالى كيف كانت
في يوم امتنع مجال دولتهم وهي حاضرة المغرب وأم البلاد والأمصار مادة أيدي
اقاميل إليها مستبق لرياح الشرق ورجوع الخير منها وقد انتقلت عمارتها وعطلت
مصانعها وكثر خراب سكانها وتواترت عليها وهنا وضعف أودها وكثر فسادها حتى آل
أمرها إلى اختلال النظام وزوال العمران واستيلاء الخراب على أكثرها وخروج
أهلها إلى الآجام والغياض طالبين النجاة بأنفسهم من العدو الذي يتخطفون
بين خيام الأعراب فزادوا البأس والجوع والخوف وانطمست أعلامها وانمحت
رسومها وذهبت محاسنها وانقرضت أعيانها وفني علماؤها وفني
شعراؤها وأهل كتابتها وبلغاؤها وهذا شأن البلدان إذا بلغت الغاية من
حضارتها والنهاية من عمرانها وقفت كذلك ما شاء الله تعالى ثم ترجع
أدراجها وتأخذ في الانحطاط تدريجا إلى أن تبلغ الحال التي وصفنا وربما
خربت بالكلية وأصبحت خاوية على عروشها بالمرة وقد عقد ولي الدين بن
خلدون في الكتاب الأول من تاريخه الكبير فصلا في هذا المعنى بين فيه
أن للعمران أجلا لا يتعداه وأن الحضارة غاية له ونهاية لعمره فقال فيه أن
العمران كله من بداوة وحضارة وملك وسوقة له عمر محسوس كما أن
للشخص الواحد من أشخاص المكونات عمرا محسوسا وتبين في المعقول والمنقول
أن الأربعين للإنسان غاية في تزايد قواه ونموها وأنه إذا بلغ سن الأربعين
وقفت الطبيعة عن أثر النشو والنمو برهة ثم تأخذ بعد ذلك في
الانحطاط فلتعلم أن الحضارة في العمران أيضا كذلك لأنه غاية لا مزيد وراءها
وذلك أن الترف والنعمة إذا حصلا لأهل العمران دعاهم بطبعه إلى مذاهب
الحضارة والتخلق بعوائدها والحضارة هي التفنن في الترف واستجادة أحواله

والتأنق بالصنائع التي هي تفرع عن اصنافه وسائر فنونه كالصنائع المهياة
للمطابخ والملابس والمباني والفرش والآنية وسائر احوال المنزل وللتأنق
في كل واحد من هذه صنائع كثيرة لا يحتاج اليها عند البداوة واذا بلغ التأنق
في هذه الاحوال المنزلية الغاية تبعه طاعة الشهوات فتتلون النفس من
تلك العوائد بالوان كثيرة لا يستقيم حالها معها في دينها ولا دنياها اما
دينها فلاستحكام صبغة العوائد التي يعسر نزعها واما دنياها فلكثرة
الحاجات والمؤونات التي تطالب بها العوائد ويعجز الكسب عن الوفاء بها وبيانه
ان المصر بالتفنن في الحضارة تعظم نفقات اهله والحضارة تتفاوت بتفاوت
العمران فمتى كان العمران اكثر كانت الحضارة اكمل وقد كنا قدمنا ان المصر الكثير
العمران يختص بالغلاء في اسواقه واسعار حاجاته ثم تزيدها المكوس غلا
لان الحضارة انما تكون عند نهاية الدولة في استفحالها وهو زمن وضع المكوس
في الدول لكثرة خرجها حينئذ والمكوس تعود على البياعات بالغلا لان السوقة كلهم
والتجار يحتسبون على سلعهم وبضايعهم جميع ما ينفقونه في مؤونة انفسهم
فيكون المكس لذلك داخلا في قيم المبيعات واثمانها فتعظم نفقات اهل
الحضارة وتخرج عن القصد الى الاسراف ولا يجدون وليجة عن ذلك لما ملكهم من
اثر العوائد وطاعتها وتذهب مكاسبهم كلها في النفقات ويتتابعون في
الاملاق والخصاصة ويغلب عليهم الفقر ويقل المستامون للبضايع فتكسد
الاسواق ويفسد حال المدينة على العموم في الاسواق والعمران واما فساد
اهلها في ذواتهم واحدا واحدا على الخصوص فمن الكد والتعب في حاجات
العوائد والتلون بالوان الشر في تحصيلها وما يعود على النفس من الضرر بعد
تحصيلها بحصول لون آخر من الوانها فلذلك يكثر منهم الفسق والشر والسفسفة

والتحيل

والتحيل على تحصيل المعاش من وجهه ومن غير وجهه وتنصرف النفس الى الفكر
في ذلك والغوص عليه واستجماع الحيلة له فتجدهم اجريا على الكذب والمقامرة
والغش والخلابة والسرقة والفجور في الايمان والربا في البياعات ثم تجدهم لكثرة
الشهوات والملاذ الناشئة عن الترف ابصر بطرق الفسق ومذاهبه والمجاهرة به
وبدواعيه واطراح الحشمة بالخوض فيه حتى بين الاقارب وذوي المحارم الذين
تقتضي البداوة الحيا منهم في الاقذاع بذلك وتجدهم ابصر بالمكر والخديعة
يدفعون بذلك ما عساه ينالهم من القهر وما يتوقعونه من العقاب على تلك القبائح
حتى يصير ذلك عادة وخلقا لاكثرهم الا من عصمه الله تعالى ويموج بحر المدينة
بالسفلة من اهل الخلق الذميم ويجاريهم فيها كثير من ناشئة الدولة وولدانهم
ممن اهمل عن التاديب واهملته الدولة من عدادها وغلب عليه خلق الجوار وان كانوا
اهل انساب وذلك ان الناس بشر متماثلون وانما تفاضلوا وتميزوا بالخلق
واكتساب الفضائل واجتناب الرذائل فمن استحكمت فيه صبغة الرذائل باي وجه كان
وفسد خلق الخير فيه لم ينفعه زكاء نسبه ولا طيب منبته ولهذا تجد كثيرا من
اعقاب البيوت وذوي الاحساب والاصالة واهل الدول منطرحين في الغمار
منتحلين للحرف الدنية في معاشهم لما فسد من اخلاقهم وما تلونوا به من صبغة الشر
والسفسفة واذا كثر ذلك في المدينة والامة تاذن الله بخرابها وهو معنى قوله تعالى
واذا اردنا ان نهلك قرية امرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها
تدميرا ووجهه ان مكاسبهم حينئذ لا تفي بحاجاتهم لكثرة العوائد ومطالبة
النفس بها فلا تستقيم احوالهم واذا فسدت احوال الاشخاص واحدا واحدا
اختل نظام المدينة وخربت وهذا معنى ما يقوله بعض الخواص ان المدينة اذا كثر
فيها غرس النارنج تاذنت بالخراب حتى ان كثيرا من العامة يتحامى غرس النارنج

بالعود وليس إلى اتخاذ الآلة ولا إلى حاجة في الشطرنج وأما معناه أن البساتين وإجراء المياه
هو من توابع الحضارة ثم إن الشطرنج والنرد وأمثال ذلك مما لا مطمع فيه ولا منفعة
هو من غاية الحضارة إذ لا يتصف بطلب البساتين إلا أشد الناس غفلة ولا يدعي من البعض
التفنن في مذاهب الشعر وهذا هو الطور الذي ينتهي معه حال الملك وفي أيامه كما قدمناه
والهزل مثل هذا في الرمل وهو من هذا الباب إذ الرمل لا ينصرف إليه إلا البطالون في
الشباب تنبؤرها ما بين أحمر وأبيض وهو من مذاهب الترف ومن مذاهب الحضارة أيضاً
الانهماك في الشهوات والاسترسال فيها لكثرة الترف فيقع التفنن في شهوات البطن
من المآكل وملاذها ويتبع ذلك التفنن في شهوات الفرج بأنواع المناكح من الزنا واللواط
فيفضي ذلك إلى فساد النوع إما بواسطة اختلاط الأنساب كما في الزنا فيجهل
كل واحد ابنه إذ هو لغير رشدة لأن المياه مختلطة في الأرحام فتفقد الشفقة
الطبيعية على البنين والقيام عليهم فيهلكون ويؤدي ذلك إلى انقطاع النوع
أو فساد النوع بغير واسطة كما في اللواط المؤدي إلى عدم النسل رأساً وهو أشد
في فساد النوع إذ هو يؤدي إلى أن لا يوجد النوع والزنا يؤدي إلى عدم ما يوجد
منه ولذلك كان مذهب مالك رحمه الله تعالى في اللواط أظهر من مذهب غيره ودل
على أنه أبصر بمقاصد الشريعة واعتبارها للمصالح فافهم ذلك واعتبر به أن
غاية العمران هي الحضارة والترف وأنه إذا بلغ غايته انقلب إلى الفساد وأخذ
في الهرم كالأعمار الطبيعية للحيوان بل نقول إن الخلق الحاصلة من الحضارة والترف
هي عين الفساد لأن الإنسان إنما هو إنسان باقتداره على جلب منافعه ودفع
مضاره واستقامة خلقه للسعي في ذلك والحضري لا يقدر على مباشرة
حاجاته إما عجزاً لما حصل له من الدعة أو ترفعاً لما حصل له من المربى في النعيم والترف
وكلا الأمرين ذميم وكذلك لا يقدر على دفع المضار بما فقد من خلق البأس

بالتربية والملابس فهي التأديب والتعليم وهو لا يتكل على الحامية التي تدافع
عنه ثم هو أيضا قاصر في دينه غالبا لما أبصرت منه العوائد وطاعتها وما تلونت
به النفس من ملكاتها حاجز في رتبة الحي الآمن الساذج وإذا قصر الإنسان في قوته
وفي أخلاقه ودينه فقد فسدت إنسانيته وصار مسخا على الحقيقة وبهذا
الاعتبار كان الذين يتخذون من جند السلطان إلى البداوة والخشونة أنفع من
الذين يتربون على الحضارة وخلقها وهذا موجود في كل دولة فقد تبين أن الحضارة
سن الوقوف لعمر العالم من العمران والدولة والله سبحانه وتعالى كل يوم
هو في شأن لا يشغله شأن عن شأن جل لا كمثله جلبا، بقوله الماضيه
من العبرة إذا تأملت أحوال هذه الخليقة وجدتها في أول نشأتها وعهد
دخول الإسلام إليها من افتتحها زهير بن قيس أو حسان بن النعمان على عهد
الخلافة في رايته وهي من الغزو للمقربين لها ولا تمكن فاعتنى بها عبد الملك
ابن مروان فاتخذ بها دار الصناعة لإنشاء المراكب البحرية لردع ضرر غارات
الروم والفرنج فلم تزل عمارتها تتزايد حتى كان أبو جعفر المنصور إذ قدم
عليه رسول صاحب الفرنج وأن يقول ما فعلت أحوى الفرنج وأنبر بعينها تعظيما
لها وذلك لقوة الشوكة بها وتوج الثوار بها على عماله وعمال من قبله
ثم جاءت دولة بني الأغلب بالقيروان فكان لهم بها اعتناء وبنوا فيها الجامع الفخم
والمصانع الجليلة وأحكموا سورها وقصبتها وجددوا فيها جامعها الأعظم
وجلبوا إليه أعمدة الرخام والمرمر التي لا تزال قائمة فيه وكتبوا اسم أمير المؤمنين
المستعين بالله على قبة في أبهة بالقلم الكوفي وهو باق إلى عهدنا هذا ولم تزل
في أيامهم وزادهم إنشاء واختطاطا في سنة أحدى وثمانين ومائتين انتقل الأمير
إبراهيم بن أحمد عاشر ملوكهم إلى سكناها واتخذ بها القصور وسكنها بعده

ابنه ابو العباس عبد الله وبعده اخوه زيادة الله اخر ملوكهم ثم انتقل منها الى رقادة
ضواحي القيروان فجاءها ابو عبد الله الشيعي القائم بدعوة المهدي في كتامة وكان قد
استفحل امره وغلب على الاقطار ودامت الحرب بينهما حتى فر زيادة الله الى
المشرق ونازلها ابو عبد الله من افريقية ومن ملكها وجاءت دولة العبيديين ثم ارتحل المعز
رابع خلفائهم الى المشرق واستخلف على افريقية بلكين بن مناد الصنهاجي وتوارثها
بعده بنوه وهي على حالها من العمارة والتمدن والتحضر ولم تبلغ الغاية في ذلك الا
في دولة بني ابي حفص لانه لم تكن قبلهم دار ملك ولا حضرة خلافة الا ما كان من
مكث بعض ملوكهم من الاغالبة بها ومن ذلك ناحية ابنائها الا ما وقع فيها من الاستبداد
لبني خراسان من صنهاجة لاول المائة السادسة عند فشل دولة بني مناد
فبنوا اسوارها واصلحوا من شانها الى ان انتزعها منهم عبد المومن بن علي
ثم تتابعت عماله وعمال ابنائه على افريقية فاتخذوها دار ولايتهم حتى تاثلت
فيها هذه الدولة الحفصية فصارت دار الخلافة ومقر السلطنة ومهاجر اهل
الاقطار من الاندلس والمغرب وغيرهما وعظمت بها الدولة وبلغت الغاية
التي وصفناها من قبل وكثر خلقها ورغب الناس في سكناها واجتمع بها من
اعلام الناس من اهلها ومن الوافدين عليها من الافاق متعينين لطلب ملكها في
ما عمر في البلاد به من شاعر مفلق وكاتب بليغ وعالم نحرير وملك اروع وشجاع
اهوج واحدثت بها المباني الجليلة والمصانع العظيمة وغرست الجنات والبساتين
في ظاهرها الطامية وبساتين باردة وعينت الالات من المتنزهات الملوكية وكان
غاية ذلك ومعظمه في ايام ابي عبد الله المستنصر فاتخذ المصانع الملوكية التي
اختص بها وبلغ فيها الغاية من الاحتفال مثل بستانه الطاير الذكر المعروف بابي فهر
حسبما قدمنا الكلام عليه ومثل قبة اسارا التي هي ايوان مرتفع السمك مشتمل على

الاقطار

الاقطار متسع الارجاء له ثلاثة ابواب لكل باب منها مصراعان من الخشب المؤلف
الصنعة يتوكل بكل مصراع منها رجل بفتحه وغلقه بالعصبة اولي القوة وبعض ابوابها
الاعظم المقابل للمعارج قد نصبت للظهور اليها بعرض الايوان وبعض ابوابها من
عن جانبيه الذي يفيئ يتهيان الى جانب القبة العظمى فينعطفان الى ساحتها
يجلس السلطان فيها على اريكة مقابل الداخل ايام العرض والوفود ومشاهد
الاعياد مجلادة من احجار الاواوين واجل المصانع التي تشهد بابهة الملك وجلالة
الدولة الى غير ذلك من مصانعه التي تانق في مبانيها وبالغ في الاحتفال بها وفي
ايامه عظمت حضارة تونس وكثر ترف ساكنها وتانقوا في الملابس والمراكب
والمباني والماعون والانية فاستجادوها وتنافسوا في اتخاذها وانتقائها الى ان
بلغت الغاية ثم رجعت ادراجها من بعده واخذت الدولة في الاختلال وتدرج ذلك
الى ان انقرضت الحفصية وقويت شوكة العرب وهلكوا القرى والضواحي وكثر
التواني في النواحي وتغلب العدو على الثغور فملكها ثغرا بعد ثغر وضعفت
الدولة جدا وتقلص ظلالها حتى آل امرها الى السلطان الحسن بن محمد فما تقدم
المتقدم ذكره وكان من امره في الاجلاب عليها بالعدو الكافر اولا وثانيا ما قدمنا
الحديث عنه مستوفا ثم ملكها ابنه ابو العباس احمد وكان من حاله مع جند الترك
من اهل الجزائر واستيلائهم على حضرته وهروبه الى حلق الواد مستصرخا
بالطاغية وعدم رضاه بشيء لحديث مشاطرته البلاد ورضى اخوه محمد من الاذعان
للحضرة مع الترك وهي على غاية من الخراب والدثور وانطماس المعالم وذهاب
الاثار حتى جعلوا جامعها الاعظم مربطا لخيولهم ونبشوا قبور ملوكها وقلبوا مدارها
الاستاذ الاعظم ابي محمد بن زين خلفه رضي الله عنه فلم يجدوا به الا الرمل
صيانة من الله تعالى لجسده الشريف ان تعبث ايدي الكافرين به اذية وتجسوا

اهلها من البلا والشدة والاهوال والجوع والخوف وسلب النعمة والمحنة والقتل
والسبي في الفتنة والزمن والاكراه على الكفر ما لا غاية ورائه حسبما ذكر الكلام
على جميع ذلك بعد ان في ذا الا انقضى هذا واشتد امر عمارتها حتى اذن الله لها
من المولى السلطان سليم خان بن السلطان سليمان خان العثماني صاحب القسطنطينية
العظمى ووارث الخلافة الكبرى من احياء مواتها ونشر رماتها وبعثها من بعد موتها
وتلافاها بعد فوتها فكان ممن بعث اليها المنصورة لتخلص وزيره الاجل حسن
باشا فوقع على قلع الواد وقلعة البستيون عنوة ووضع السيف في اعداء
الله الكافرين حتى استلحم منهم بضعة عشر الفا واستولى ايده على حصونها وازال
للمولى المستضعفين منه الرعب حيث ما فعلت واطمأنوا فاستقرت اقدام الترك وصار
لهم بها دولة مستمرة واخذت حينئذ في مبادي النشء والعمارة واستانفت
في اجيالها نشأة ثانية فانهم تملكوها وهي على غاية من الخراب حتى كان فيها من
القصبة وطرف الخندق الى ناحية دار الخلافة في ايام ملكها وكان الموضع الذي
فيه بيد بني ...ب دائر ما نيه الضخمة من المسجد المشهور براس سوق الترك
والميضاة التي بازائه والحمام والخان وسوق البركة على اتساعه حتى طرقت
هذه المباني الحادثة فيه بمقدار قريب من طرف ذلك الامر الى الزيال وهو قلب
البلد وانقرضت منها نابتة الدولة الحفصية وولاتهم وصنائعهم ومواليهم الذين
استحكمت فيهم عوائد التنعم فطرا اهلها الى الخشونة التي كانت في اول الدول وتداول
امارتها قوم من الاتراك الحلم فيهم بواقي غضارة العيش ولا نشوا في حجور الملك فكانت
احوالهم الى الخشونة التي كانت في اول الدول اقرب واخلاق التي حسن عليهم فيحكى
انه لما ورد على الحضرة قبودان باشا لتفقد الثغور في ايام عثمان داي خرج اليه
واجلا في جماعة من جنده وفرا حضروا معهم ازوادهم من الكسكس والحيتون فلما

رواتبهم اجريت بالامر من بنيهم لانهم لم يكن متميزا عليهم جندي ولا شلرك في معرفتهم فان
باشا هما طه بالوان الاطعمة النفيسة بالخي جوا ازوادهم تلك وجعلوا يأكلون منها
وهو يتعجب من شانهم ودخل الامير ابو محمد حمودة باشا بن مراد باي على الحاج مصطفى
خوجة كوزداي بوجه عمله بيده الذي ينام عليه حتى امر الشيخ ابا جعفر فلما
رجع ارسل اليه بسبي بن من هيين قد خلعليه بعد الاعوجر الشيخ الاول الخاله
بمحله من الحجاب تعززا له ولم جامع باز الله وكان الحاج مصطفى لازمنهم وهو من ابناء
نشاة الدولة العثمانية يقول عن نفسه انا من ابناء المكتب يعني من اعتنى به والده
في التربية وتهذيب الاخلاق فحفظ بان غيره من الامراء الذين قبله لم يكونوا كذلك
وانفق في هذا العلم جملة بعد ما كانت مثل ان كتاب وحد الى مال وموضع التمحيص
للطلبة جميع الفنون من العلوم المدونة ودرس منها الادب فلا تسمع لشاعر كلمة بليغة
ولا خطبة لكاتب بعد بديعة وضعت اموال جبايتها مكان مستعمل ما بقي بي تباة
عسكر هالات يرعليه وهم ثلاثة الاف فلما وقعت الفتنة بين بي صبه داي وصاحب
الجزائر احتاج الى زيادة العامل العسكر فصاروا اربعة الاف فلم تف اموال
الجبايات في نباتهم فحمل على الرعية زيادة في الجباية ثقل عليهم موقعها وارهقهم
واجحف بهم حتى تزايد ذلك بعد اسعاف مراد داي وكانوا كلما دهمهم امر ونزلت
بهم حادثة يحتاجون فيها الى زيادة العطا والنفقات وضعوا المغارم على اهل البلد
ثم عمد امتثل ارهم بها رفعوا دواوينها ورسموا جنودها وقاتلوا اعدائها ووجهوا
امطارها واستوعبوا جبايتها واخرجوا الاساطيل لغزو البلاد في البحر فامتلات
ايديهم من المغانم وتاثلوا الاموال وانت العمارة فنموا والحضارة فتجوا والعوايد
فسحت فستحسن وورد عليها في العهد المذكور خلق من اهل الاندلس لما
ملك الطاغية فمن ناظمة ثاني شهر ربيع الاول لسنة سبع وسبعين وتسعماية وانفق ضحة

مملكة الاسلام من الاندلس ثم اخرج الطاغية منها بعد ذلك اهل جبل بالنفة
وجميع المسلمين الذين تمنعوا بالجبال اعوام سبعة عشر والى فخرج منهم الوفد
بعامر والوفد اخى بوهى الى وتلمسان وجمهورهم خرج بتونس جمعى وابها الغى
الخالية واستقروا في سكونها وعمروها واستقرت عادتهم بالحضارة مستحكمة
فيهم وعوائدها مركوزة في طباعهم لرسوخ الدولة فيهم وطول امدها عندهم
واستقروا بها صناعة الشاشية التي تجلب منها الى اقطار الارض وتقصدها
التجار من كل اوب فتركوا بها حظا من الحضارة وقصدها الترك من اهل
القسطنطينية العظمى وجزيرة الروم وغيرهما من بلاد فرانس وعودها من ايديهم
اليوم بعد ان ملكوها اعصارا متطاولة وازمانا بعيدة فبلغت الحضارة فيهم منتهاها
وورثوها منهم لما اخلفوهم في بلادهم وجلبوا منها الى تونس جملة وابنية وشارى
اهلها الى الامان التي استحكمت حضارتهم وتمددوا الى مصر وحملوا على الحضارة البالغة
لسكنى المسلمين بها بعد الفتح الذين ملكوها ثلاثمائة الا سنة فلم يبلغوا الحضارة
غايتها والوطوا اليها بدعوات الاكلة ورجعوا به الى حضرتهم ومن جهة تخوتهم وورث
عليها العلماء من الامان فتخرج عليهم اهلها واعمى بعضهم الى رحلة الى المشرق في
فاخذوا عن اجلة علمائه حتى خرج منهم طائفة من العلماء الاجلة وشرع ملوكها
في اتخاذ المصانع وتوسيع العمارة وكانت دولة بني مراد وغلبوا الى ايام من
اللى لهم على الامر واتخذوا شارات الملك ومراكب الامارة واقتعدوا ارائك السلطنة
وامتدت دولتهم نحوا من تسعين سنة وتخلقوا باخلاق النعيم وتغلبوا في نضارة
العيش وبنوا المصانع الجليلة واتوا بالآثار الفخمة والزينة فنموا في العمارة
وتفننوا في الحضارة ثم جاءت من بعدهم هذه الدولة المباركة الحسينية وامتدت
ظلالها على الانام وانتعشت شموسها في ظلمة الايام بملك الامير الى حوم الطاهي

المقرر

المعظم ابو عبد الله حسين بن علي ثلاثين سنة مضى فيها من اكثار عدله ومد ظلال
عافيته وامنه فتقلب الناس في ايامه في نعيم العيش ومهاد الدعة ورخاء
الاسعار ونماء الخيرات واتصلت العمارة وتوفرت الحضارة واجتمع في حضرته
من اكابر العلماء ووجهاء الفقهاء جماعة من الفضلاء اربوا على من قبلهم رحل اليه
منهم الشيخ المثنى وعلا محل الطلاب وكانت للعلم في ايامه سوق نافقة واجتمع
ببابه جماعة من الشعراء ينظمون مآثره ويجيدون مدائحه واثر في الحضرة آثارا
عظيمة دالة على عظم ملكه وسعة سلطانه ثم ملك بعده ابن اخيه علي باشا
فاستقرت شوكته وتفنن من انواع الترفه والتوسع في المطاعم والملابس واقتناء
الالات الفاخرة واتخاذ المصانع العظيمة والمباني الفخمة ما اشتهر في الحضرة بجملته
وتبعهم الناس في ذلك حتى تنوعوا في مطاعمهم وملابسهم وذلك الاتم وتبرجت
احوال المدينة جمالا ظاهرا وكثر الغيث بها وارتفعت اسوارها واتسعت
جبايتها وبلغت العمارة والحضارة فيها مبلغا زاد على ما قبله وزاد عليه
زيادة لا تقف عند حد ثم ملك بعده المولى الامير المعظم ابو عبد الله
محمد باي بن حسين باي بن علي وكان من علو الهمة وفخامة الدولة والترهب
في مراتب النعيم والاعتناء بشارات الملك وابهة السلطان وتعظيم شأن
الامارة والميل الى معالي الامور على حالة لم يبلغها احد ممن تقدمه ولم تطل
ايامه حتى توفاه الله تعالى اعظم ما كان شأنا واوفر نعمة واغتباطا وكانت
ايامه على قصرها كانها اعراس دخل اصحابه الخلوة بعد طول الاغتراب واوجعها
عن انفسهم شيئا بالميل الى السماع والترفه في الخلاعات وتابعهم على ذلك
غيرهم فكانت ايامه كلها افراحا ثم ملك بعده مولانا الامام ادام الله تعالى ملكه
وسعادته ووفقه الله من مكارم الاخلاق ومحاسن الصفات ومعاني الخلال

ما نقصه عليك فيما نستقبله إن شاء الله تعالى فظهر للناس من معرفته وإحسانه
معادا وثيرا ونشأ لهم من آثار رحمته ورأفته فضلا فسيحا وأدار عليهم من
حياطته وكفالته سياجا حافظا وألبسهم من أمنه وعافيته جنة واقية
فتبحبحوا بحبوحة النعيم وانغمسوا في غضارة العيش وذهبوا في مذاهب
الترف واستحكمت فيهم عوائده وركن فيه طباعهم غير ترته وانقلبت أحوال
المدينة وتبدلت عوائدها دفعة واحدة والسبب في ذلك أنهم كانوا في دولة
علي باشا يشاهدون ما أحدثه من فنون الترف وما اتخذه من أنواع المطاعم والملابس
والطيب وما اقتناه من أنواع الحلي والآنية والفرش وجميع الآلات واشرأبت
أعينهم إلى مشاركته فيها وطمحت أنفسهم إلى مزاحمته عليها لما تقرر في العوائد
أن الناس على دين ملوكهم ولم يستطيعوا أن يفعلوا من ذلك إلا ما لا يدل
على كثرة الى ما فيه ولا ينشأ عن عظم التمول وإلا أشياء استعملوها في بيوتهم
لا تطلع الكافة ولا يطلع عليها الجمهور وذلك لأجل الغيرة وعلوه في حب
الانفراد بالمجد الذي هو طبيعة للملك زاحمه فيه حتى كان خاصة وزرائه
لا يلبسون طيالسة الكشمير المحضة إلا من أذن له في ذلك وحتى أن أهل
البيوتات وأهل الثروة من التجار وغيرهم حظر عليهم لبس البرانس المنسوجات
بالصوف فلما ملك الأمير أيده الله تعالى بعده وكان مجبولا على الرأفة والحلم
والعفو وإرخاء العنان لرعيته فيما يظهر من النعمة عليهم متغافلا عن
أحوالهم وشؤونهم كما وصفه أحدهم بقوله هو متغافل عن أغنيائنا متواضع
لفقرائنا فاستحلوا بعد ذلك إلا النجار أحسنوا حالة وأحسن منظرا وجروا على
مقتضيات الحضارة من جميع فنون النعيم وبلغت الحال في العبارة الغاية
التي تكون في زمن قوة الشبيبة وكثر الخلق بها كثرة أفضت بالحال إلى جلاء

في الحمامات وغيرها سائلة كما تنقص الاصوات الغائبة وحسبة الاعلام
الطواعين الجارفة وعدم الموتان من الجماعات الهالكة وعدم الملاحم المفنية
بأنه لم يقع في هذه الحضرة حرسها الله تعالى واعاذها طاعون و الحركة من سنة
أربع عشرة التي هي مبدا الدولة الحسينية الى منتهى هذه الى سنة تسعين والموتان
من جماعة الماضي ضعيف وقع في ايام علي باشا سنة وخمسين والملحمة
ضاقت فيها الجيوش من كثرة الحروب وما وقع فيها من الفتن في هذه المدة
لم يكن فيها كبير موتان والخليقة اذا لم يعرض لها شيء من هذه الاسباب الثلاثة
للفناء توفرت ونمت وكثرت فان ما يولد اكثر مما يموت باضعاف والامر انه
يكون الموجود من كل نوع من انواع الحيوان دائما زوجا مثل ما كان في اول النشأة
وضاقت المساكن باهلها حتى بلغت الكرية الدور وجميع الرباع اضعاف ما كانت
عليه لهذا العهد القريب واذن مولانا ايده الله تعالى للناس في بناء الدور
بالسبخة من في باب عليوه فانتصبت الدور الى شاطئ البحيرة بعدة ازقة
عظيمة ثم اذن في بناء الدور بالسبخة ايضا ما بين النوابل وباب البحر شرقي
البلد من ناحية الجوف فجاءت بعدة ربض من البلدان وبنا فيها فنادق وحوانيت
ومخازن وسوقا للدباغين مشتملا على اكثر من خمسين دارا ونقلهم اليها
وطرح سوقهم الذي كان داخل المدينة ديارا للسكنى فلم يغن ذلك شيئا
ولم تزد الكرية الا غلاء وارتفعت فيهم العقارات من الدور والضياع
والبساتين والعرادين وغيرها حتى صار كل شيء منها يباع باضعاف مضاعفة
من قيمته للعهد القريب بل قد ارتفعت به الاسعار في كل شيء من الادم والفواكه
والملابس والاقمشة والطعام والمراكب وسائر الحيوان وسائر الصنائع
كما هو شأن الاقطار العظيمة اذا استبحر عمرانها وكثرت حاجات اهلها

واتسعت نفقاتهم واعتز أهل الأعمال بخدمتهم وامتهان أنفسهم لسهولة
المعاش بكثرة الأقوات وتنافس الناس في استعمال الفعلة والصناع وأهل
الحرف في حاجاتهم فيبذلون لهم الكثير في قيمة أعمالهم لأجل المنافسة والحاجة
فكثرت بذلك مكاسب الناس وأرزاقهم إذ المكاسب إنما هي قيمة الأعمال
فإذا كثرت الأعمال كثرت قيمتها بينهم فكثرت مكاسبهم وكثر دخل أهل المصر
وخرجهم وكلما زاد العمران زاد الترف وكثرت الحاجات في أدق الأعمال والصنائع
فزادت قيمتها وتضاعف الكسب وعظمت الأحوال والدخل والخرج دائما
متكاثر في جميع الأمصار وبهذا تعلم جهل من يعيب حال هذه المدينة حماها
الله تعالى حيث لم تزل مستبحرة النعم والموجود العمران في رخاء أسعارها
من الأقوات والأدم والفواكه والملابس والماعون والمراكب وسائر الصنائع
والمباني فيرى قلة الخرج في تحصيل هذه الأشياء في ذلك الزمان فيظن أن ما
زاد من الخرج الآن نقص من أحوال أهل المدينة بسبب انحطاطهم ويكثر التعجب
والتأسف على ذلك الزمان وما كان فيه من صلاح الأحوال ولم يعلم أن من
يحتاج في خرجه اليوم إلى أضعاف ما كان يحتاجه في ذلك الزمان فقد
طرد دخله اليوم أضعاف دخله في ذلك الزمان فحال الدخل والخرج
متكافئ فكلما عظم الدخل عظم الخرج وبالعكس وإنما التفاوت في اتساع
الناس في المعيشة وتنعمهم بأصناف النعم فإنهم حاصل لهم في هذا
العهد دون ذلك العهد ولهذا تجد أهل الأمصار الصغيرة القليلة
العمران ضعاف الأحوال متقاربين في الفقر والخصاصة وإن قيست واعتبر
حال القاهرة والقسطنطينية كان أهلها وكلا وجدت أجل أولئك
متنعمين في النعيم متقلبين في غضارة العيش وهؤلاء يعالجون مشاق البؤس

ويقاسون

وبقاء سوق تشغيب المعيشة وهكذا كلما كثر العمران اتسعت احوال الساكن
وكثر الدخل والخرج في بيوت الاجيال عظم الحال وكثرت عمارته ونبغ الحسب
صغيرا وقلة عمرانه وكثرة الفلاحة والزراعة كثيرا لم تقف عند حد وبلغت
الغاية وتزاحم الناس على الارض والعراضين شراء وكراء حتى تعاولت القيم
في الاوقات تعاوتا فاحشا اخبرني بعض اهل العلم من لواته انه كان جيرانا
من اوقاف الحاجز الشيخ بناحية الغني ابي يسمى فاولة مكترى في طابعة من
دولة علي باشا وصدرا من هذه الدولة السعيدة باربعة عشر ريالا في السنة
ثم تزايد الى ان بلغ اعوام اربعة وثمانين ستة عشر ريالا وكثير من
العراضين في الي نحو مقدار على هذه النسبة او قريب منها ولقد اشترى رجل
من جيرانها فما جيرانا بالحبس لاولاد هذه الدولة من جماعة خط لهم بالارض
ثمانية وخمسين ريالا فلم تزل الاكرية تتزايد حتى بلغ كراؤه ثمانمائة ريال في
السنة فقام عليه ابناؤه يدعون بالغبن ورافعوه الى القضاة والحكام وطال
ترددهم للمجلس العلي فاسقط عليهم بينة مشهورة لدى ان العمران
المذكور قد نودي عليه في ايام الى غبة ومضان الى زيادة مدة طويلة فلم
يبلغ اكثر من هذا الثمن وشهد لهم الحاكم باوصى لهم الخبرة بالقيم ان هذا المقدار
من الثمن كان قيمته لدى وقت الشراء ولو تتبعنا امثال هذا لاقتضى بعض منه
العجب واكثر العراضين اليوم تكرى بما كانت تشترى به قبل ذلك واخذ الناس
في احياء الموات وقطع الاشجار من الاجام والغياض والجبال وتسهيل ارضها
للحرث في كل ناحية حتى ضاقت الارض عن مرعى الماشية من الانعام والمواشي
وصار ارباب الماشية يتنقلون بها من ارض الى ارض طلبا للمرعى فلا يجدونه فكثرت
بسبب ذلك الحبوب والاقوات كثرة بالغة ورخصت اسعارها بالنسبة الى غيرها

كما هو شأن الملك المسيحي للتجارة في خصوص الحبوب حيث فعلوا ما عرفنا وحملت
الى الاقطار كمثل ابلس وجنوة وفنيسيا والمورة وازمير والقسطنطينية
والاسكندرية وبلاد الطليان من الفرنج وغيرها من البلاد الشاسعة ولولا
توزعها في هذه الاقطار مع ما يقع فيها من الاحتكار لبذلت دون ثمن ولا عوض
لكثرتها بكثرة العمران وادى ذلك الى تعطيل الفلاحة والزراعة لكثرة ما يترتب
عليها لغلاء الغرامات كما حكينا وارتفاع قيم الحيوانات العاملة وعزة الغلة
وكثرة ما يبذل في استعمالها وانقلب الحال الى الضرر فقلت الحبوب والاقوات
والغلاء للبعض وتجبر كثير من الناس لكن لا خبرة لهم بحقائق الاشياء ولا قرروا
الامور مقاديرها ولا احكموا اصول العوايد وقواعد العمران ان يستعزون جلبها
الى الاقطار ويعدون في وجهها من ارض الى ارض غيرهم من البلاد انهازا بهم(?)
المقتضي لغلاء اقواتهم ونفاد معاشهم ولم يعلموا ان هذا انما يكون اذا لم تنقص الحبوب
عن اقوات اهل البلد وعن احتكار المحتكرين وليت شعري اذا بذل اهل العلم(?)
في تحصيلها الاموال العظيمة ثم باعوها بالخسيس عاما بعد عام كيف يوجدون بعد
ذلك اليها وكيف تبقى الفلاحة وتتصل التجارة ومصرحا التجار من الافاق
بالسلع والبضائع المختلفة من جميع الاصناف والامتعة الرفيعة وجلبوا
اليها كل نفيس خصوصا ما يتخذ منه زينة النساء وحليهن من انواع الحلي
الملون والرماح(?) المذهب والجواهر الزاهرة بنشر بها(?) واكثروا واتسعت صناعة
الشاشية التي يحملونها الى اقطار الارض ويقصدها التجار من كل مكان لاجلها
وكثرة المتخذون بها حتى غلبوا على اهلها من الاندلسيين وكثر المتعاطون
للتجارة في البر والبحر من اهلها واهل غيرها وتوى(?) احوالي الاسواق والركائز
حتى صار خلو الدكان من دكاكين البزازين بسوق السلسلة يباع منه بالفي ريال

وما يغرب منها ما كان يباع للحوص الذي في بلاد الجريد بالافل وتاخذ اهل جربة
جربة من عجائب صناعة ما يعملونه من اكسية الصوف التي يبيعها الشعابة من
الحرير والطيالسة والشفف التي تصبغ بالالوان المختلفة وتتخذ منها انواع
الملابس والغواي في استجادتها حتى ان الاوقية من الصوف المغزول تباع
بثلاثة ريالات فاكثر واهل هذه الجزيرة من البربر من كتامة وفيهم الى
الآن سدويكش وصدغيان من بطونها وفيهم ايضا من مغراوة وهوارة و[illegible]
وسائر شعوب البربر وكانوا قديما على راي الخوارج وفيها الى الآن منهم
الوهبية والنكارية وليس بها من ينتحل مذهب السنة وغيرهم من الاباضية
الا طائفة من مستاوة ولم يبق الآن بحمد الله من ينتحل مذهبا غير السنة
من اهل البدع الا اهل جربة وكثر بها العلم والعلماء لفضل الحرص كثرة بالغة
وهي الآن مهاجر طلاب العلم ومحط رحالهم من المغرب الاوسط وطرابلس
بما فيها من فحول العلم لاول دولة الترك ثم ارتفع منها بالجملة كما فهمنا
حتى ورد عليها المولى احمد افندي من ارض الروم لاول المائة الحادية
عشر على عهد عثمان داي وكان متفننا في العلوم فاخذ عنه جماعة
من اهلها منهم الشيخ محمد الغماد والشيخ ابو يحيى الرصاع والشيخ
محمد براو وابو القاسم البجائي وغيرهم ثم دخل الى المغرب الاقصى
وامر على سلطانه مولاي احمد الذهبي مع جملة في الحصول للمولى
شعر الدين بالجامع كل يوم فاوضعه منبرة واتى امامه عادة ثم نفسي
وكان يقول وجرت بجامع الذي ويزيد فيه فادت كبعة عني كان هنا يبقى ومن
التقبيح وكلم عن التقبيح بمعنى الآن ملتحم بعضهم الخطاب ثم ارتحل بعد
ذلك الى بلاده فكانت فيها هذه الطبقة التي ذكرنا ومن عاصرهم كلها للعلم

فاتسع نطاقهم صاحب الترجمة وغيره، وانتشى بها العلم وتخرج منها جماعة من الاعلام
والافاضل طبقة بعد طبقة وكل طبقة هي اكثر عددا من التي قبلها الى ان كانت
الطبقة التي في ايام المولى العز من حسين باي بن علي فالفى العلم عندهم عجيب
الشان وطارها رحلة لطالبه ومجمعا لمرتاده وكان منهم حامل لواء المغرب ابو عبد
الله محمد الخضراوي وخلق كثير وانتفع بهم جماعة من ابناء الحضر
واعلام الرفاعي نواحي عمله كالامام ابي الحسن علي النوري الذي طبقت
تصانيفه المفيدة الافاق وابي فارس عبد العزيز الفيلالي رحمه الله في ذلك كلاهما
بصفاقس وابي اسحاق ابراهيم بن عبد الله الجمني الذي طبقة الدائرة على ولاية
وعلمه بجزيرة جربة ثم انتقل الى طبقة بعدهم في ايام علي باشا لم يقصروا
عن مداهم ولم يقعدوا دون مرامهم كقاضي الجماعة ابي محمد حمودة الريكلي
الذي بعد العهد بوجود مثله علما ورياسة وعدالة والمفتي ابي عبد الله محمد
سعادة شيخ القيروان والقارئ والاديب والمحقق شيخ الجماعة
ابي الحسن علي سويسي ووالدنا ابي عبد الله محمد بن عبد العزيز بن الزيتوني بكر
بي عنه، من يحسن المختصر الخليلي ونحو مثله وشيخنا العلامة
الرواية المطلع ابي العباس احمد المحجوبي الواقع عليها مدار وواحد
المغرب علما ودينا وورعا ابي محمد عبد الله السوسي الواقع عليها مدار المغرب
الاقصى الى غير هؤلاء من الاعيان والعلماء الاجلة ثم جاءت هذه
الدولة الميمونة الغراء فكان من اعتناء مولانا اعزه الله تعالى بالعلم والعلماء
وهي من همته السامية الى تعظيمهم واحتفالهم والغاية عليهم من
سعادته وصلة ابديهم مرصلة وعوائد ايامهم الجملا في الوظائف السنية
والارزاق الجارية الفائضة على مجاريهم وتماريهم الشاملة للشابق والمغ

حتى

من جيادهم ما وهى من رواعيهم في العلم وانبساطهم وزاد في رغباتهم في
تحصيله ونشاطهم وعكفهم على اقتناص اوابده وتحصيل شوارده وضم جوامعه ونظم
فرائده فاصبحت الحضرة وفرص العلم فيها جارية انه واهل الطلب يتقاطرون من كل
حدب ينسلون وجعلت بهم المجالس وغصت بسكناهم المدارس التي بلغ عددها
لهذا العهد مما ابقاه الامام من عهد الحفصيين وما احدثه ملوك الدولة
التركية فيها وعشرين مدرسة خامستها وواسطة نظامها مدرسة مولانا الجد
احدثها بساباط عجم وليس الان فيما بلغنا احواله من المعمور شرقا وغربا
مدينة هي دار العلم وموضع الهجرة اليه من الافطار مثل الحاضرة وليس
الازهر اليوم بادعى لمجالس الدروس من جامع الزيتونة ولا علماؤه في تحقيق
المسائل وحل مشكلاتها واستجلاء غويصات الشروح والحواشي وامتحان كلامه
كعلماء تونس وذلك لان اكثر توجه الطلبة بالقاهرة الى تحصيل ما يقرر الشيخ
ويقوله فتراهم مثابرين على كتابة ما يلقيه ويتحفظونه منه فيه ويفيدونه
وهم احذق الناس بذلك وامرعهم فيه فيشغلهم ذلك عن البحث وتدقيق
النظر واما اهل فاس والمغرب الاقصى فاكثر عنايتهم بالحفظ فحفاظهم ابلغ
من جملة اسواهم لشدة عنايتهم به وظنهم انه المقصود من الملكة العلمية
فاذا فاوض احدهم او ناظر فخر ملكته قصيرة ناقصة في الاكثر وقد اكثر مولانا
ايده الله تعالى من الحبايات والاوقاف لاهل العلم حتى انه يكثر طالبه فيها
ومعلمه وارتحل اليها الناس في طلبه من الافاق ونفقت بها اسواقه وزخرت
بحاره فيها اليوم من الجهابذة النظار والفحول الذين تضرب اليهم اكباد الابل
جماعة لا يشق غبارهم ولا يجري في مضمارهم كشيخنا الفقيه ابي الفضل قاسم
المحجوب المساكني حامل لواء المذهب المالكي بالمغرب وشيخنا الفقيه الاكبر

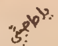
عبد الله محمد بن حسن يرسم على الخفية بالمغرب غير مدافع ومن لم يوجد فيهم
مثله منذ زمن شاسع وشيخنا أبي عبد الله محمد بن علي الغرياني شيخ
التربية وواحد العصر علما ودينا وورعا وسلوكا وشيخنا أبي عبد الله محمد
الشيخي نسبه وهو الذي لا يدانيه أحد ولا يتعلق بهم في تحقيق العلوم
العقلية من الكلام والمنطق والحكمة وشيخنا العلامة أبي عبد الله محمد بن ح
حسن البدة بسوسة وغير هؤلاء ممن تشد إليهم المحامل وترمى بهم المذاكي
ويقال في شأنهم كم ترك الأول للآخر وأما الأدب والشعر والكتابة فشيء
اقتضى المقدار أن خلت ديار الأندلس عنه وتحدر الغرب إلى دونه مدة الدولة التركية
وادخر لدولة مولانا أدامها الله تعلى زيادة في محاسنها وتكميل الملا
أوجه من شعرائها حتى كان من شعر أبيه الذي يصدر عنه من الطبقة مثل قول
من وجه بدويات استطرف الحامية من قومهن في الحب وجمعن الجيش
يجعلن يستن محاسنهن وتحسينها

لقد رأى كونهن الغراء بهمة * يجئن مصقول اللحاظ العواقب
ويجنين حسنا ليس يخفى مكانه * يتشربه ما بين اللحاظ والحواجب

ومثل قوله في تشبيه بقايا الحنايا ذات الأقواس المنعقدة على الأعمدة
النحمة الغربية من مكان بستان أبي جمع

وقفت بها ليلي جنى المحيل فقل * مفضيه دولة الشم العلى أيمن
قوى الحنايا كسطر القلم ربه * دعته ليعنه المجبر الى اجين
أو في دهشته للكهل معتقه * كيلاتي بحرف غير موزون

ومثل قوله من جملة قصيدة وهي أبيات تسهل في ألفاظها وتأنق في معانيها
وفي به استغرابا وأحسن في تشبيهها تشابها حتى ذاق في غاية الإبداع



يا صاحبيّ وما دعوت مشغلا   عوجا على تلك الربوع قليلا

تربا ابتزاز الارض حلة اخضار   قبل الظلام وردها مسرولا

واقنى من خلف البقاع كمعصم   خضت به ايدي الحسان سبيلا

والغصن يعطف من عليه كعاشق   اوما الى معشوقه تقبيلا

والورد في جلب الهوى يحبها   تحكي فساوته تلة اخجيلا

والنهر وجه مي موقي هو جرح   يهوى به عمل النسام ثقيلا

والغور في جبي الاصيل كعوم   لم تبد الاهامة وتليلا

الله اكبر هذه والله الغاية التي لا يتعلق بها احد في هذه الاعصار وكان

بعض الذي يقول حينا اذا وادي الارض مس جلى ترابها وشوقا اليها الغفته

نفسه من معاهد عمرتها لزاتها واتى ابها

اودعهم فهي اذا اودعهم هوى   وثالثة لي فيهم شجون واشجان

احزاني تلك القباب على النوى   وكل مشوق للمعاهد حنان

فان بعدوا عني وشطت ديارهم   فان فوادي كان حيثما كانوا

يتوبون بدر التم ان بان منهما   ينوب محيا البدر عنهم اذا بانوا

فيا دارهم حيث الحنان وطايع   وحيث تهادى الدوح وانعطف البان

وحيث الحسان الساجيات روائع   لها دارة الجلاز مرعى وعبران

فلا بل حت تمى عليهم غمائم   من الدمع او مزنه مباكر هتان

وكان منهم الذي يعبر عنه في بدات التورية البديعة مثل قوله

وبين الزبيبي طي به وقوامه   للعاشقين مثقب ومهلهل

على الكشافار انشهد ريقه   لا تكونن مصليا يتشهل

وكم اجتهدت بان يقلدني براي   فابى ورب الاجتهاد يغفل

الغاب

ظارقت خمري في خد شمسه * لا انكي ن مظ وما يتقي دي

وقوله وكتب به الى صديق له يستعفي منه كتابا بقد المثال عن التورية
والاستخدام للاصلاح الصغري

يا من غرا في دار في امام * وما الكافي دار معنى زمام
العبد منكم مستعفي لما * بيانه يغنيك عنه المقام
وها هو من ابتدار ابكاره * بدوا قد تطلب بقد الختام

وقوله من قصيدة

لليلى طول من عذار يجني * وطول الرجا والشمس بالقوس اجدر
اذا انتصبت في الدجى وهي * الهيف الذي والعقل بهو المظفر

وقوله من النكات الغريبة

غزال كحول يدعى بالامام * ويصبح بين حلاس الاثام
يعلمهم حساب الى امر منه * بقد ب بيه بسط للمقام

وبحرور عنه في الاقتباس مثل قوله

وبدر اذا ما بدا مسبيا * تيه البدور في افقه تحجب
اذا تبسم عن لؤلؤ * يكاد سنا فيه يذهب

وقوله وقد جمع مع الاقتباس التورية

دع السعي في مدح ودم * جلب الرزق في البلاد
وهم مثل الضفادع ان جلوا * الم تر انهم في كل واد

ويحرر عنه في حسن الابتداء وبراعة المطلع مثل قوله

مالي عن مورد الهوى صدر * يلح في العذول او جزر

وكان منهم الذي يعني اثارة فيقول

وبالجواد

وجا العواذ من الضيف الرحيب هوى ❊ يملا المحاجر دمعا والحشا لهبا
اومى اليه بعيني من كلف كحل ❊ يوم النوى هل يرد الدمع ما انسكبا
فظلت ابكي ويبكي خده خجلا ❊ تعجب الورد من مزن الحيا انسكبا
فزارني ويفا بالليلة لعرسه ❊ والليل يعرج بيه انفرا شنبا
يجال وابل مهني وم بطلعته ❊ لان وردية فرد روق ذهبا

وجرا في ويقـــول

تغول الينا فيه والشوق في بجها ❊ وما شرقت لهار حلا ولا قنبا
ام المغارب امارمت قبل مطلعها ❊ اما ترى كل نجم طالع غربا
سار كب الصعب اضميه الذلول ولا ❊ انيم حيث بؤاد ممثل كربا
وسوف يعي فيه من كان يجهلني ❊ الا يخز وعدا منه يخز وهبا

ويقـــول

اره السيح من بعد ما بين لمن به ❊ تجحفه على الخالين فوز زم السبجا
فادوا ورجونا ان يروموا على الهوى ❊ فلقلوا الجبال شيبا وفرض تواجبا
اذا كان من اهواه همسا وفرقدا ❊ فلا تعجبوا ان لا ارى بعده صبحا

ويقـــول

اغير من سواله ورطب ❊ منه فرهقت بين حال وعا طل
فاصب مهجتي بعامل فتل ❊ ليثني فرحمتا ذا العامل
با خل با لله كالدمي ❊ المحترق فلا عجب لذكري با خل
خاد لللسلو ببي تحو الحب ❊ بمريطه من الغي الى الكالو ل
هاجي لا عرمته زينته ❊ لغة الرا بهو عندي كوامل

وبعو ايضا فـــن الكـــ

لهفي نفسي على زمان تولى ۞ هاجني كان للتي بي وصاله
اذ حننا الكئيب مطلعا وطوى اللهو فرجا في اليانع مجاله
وخليلي من سكر حسب النصر ۞ جمع حظا مقال مالي وماله
واتاني مبشرا بشفيعي ۞ ظنه وجنة الحبيب وخاله
بورق معلم حين يسري ۞ يعتلي البدر ان جلا جماله
راعني اذ بدا لبيا من لهب ۞ راعه حسن بورق وهلاله
قابل الشمس وجهه فتلظى ۞ بغيرة منه حين ابدى جماله
وعرته طورها دامه غيظا ۞ وهي لا ينبغي لها ان تناله
هل بنا بعده داني جا ۞ ماتيا فركلته الغي اليه
فهذا الشعر واشكاله مما لا يبعد عن شأو المجيدين من الشاعرين مضاهة البلاغة
وبراعة معان واشتمالا على النكت الغريبة واللطايف النادرة وقع لشعراء
هذه الدولة زاد الله في سعادتها ولو قصصنا عليك ما تلادى الينا
من اشعار المتقدمين عليهم من عهد التردد الى ان حدثت هذه الطبقة
لوجدت احسنها ما سلم من خلل الالفاظ وفساد الوزن واختلال المعنى
واما الاشتمال على النكت الغريبة واللطايف البديعة فهي بمعزل عنه لذلك
وبينها وبينه بون بعيد استغفر الله الا ما وقع لشيخ الحضرة *
ومقيدها في الدولة الى ادبية ابي عبد الله محمد من تاله من قوله وكتب بها الى صديق
له يستنزره اهديا له شهدا او صحبته كتاب يشتمل على نثر

اهديتها شهدا مثل الجزيرا ۞ لله من شهد واصل به شي
شفعتها بمكتوب حوى غررا ۞ من در لفظ كما بالدر مرتبة
لا اشك انكما جاء من فرح ۞ بمنكما يستمد الورق التمد

فإنه من المعاني الغريبة مع ما فيه لبعضه من اللين وقوله يصف روضا حوله متنزها
ومعه معنى بديع في الحمائم مورد

وروض حللناه كأن قراره ٭ فلآلئ ترد في نحور النواعم ٭
إذا ما شدت أطياره في غصونه ٭ ومالت سواقيه كبيض الصوارم ٭
وجرت لزمزاتي في طعم مائه ٭ وضيقت همها من غنا الحمائم ٭

ومع بلوغ الحضارة هذه الغاية من وجود العمران واستحكام الحضارة وزيادة ترفها في
ذلك على ما قبل هذا الزمان من الأزمان انتهت إلى الزيادة البالغة ولم تبلغ في
حضارتها من استحكام عوائد الترف الغاية التي بلغت وراءها غايتها وتخشى عليها
منها غائلة حتى سطا الله تعالى وكلاها وذا الا ان المغرب كلما يستحكم فيه من الحضارة
والتنبه لا سابقا ولا لاحقا بما استحكم في المشرق لأن أهله من البربر لم يكن قبل
الإسلام ملك ضخم كما كان للفرس بالعراق وللروم بالشام والقسطنطينية
وللقبط بمصر فلما جاء الإسلام وملكه العرب وجدوا أهله منغمسين في
غضاضة البداوة وسذاجة الخشونة فلم يجدوا عندهم من رونق الحضارة
ورونق النضارة ما يبعثهم ويتعودون فيه بالعوائد مثل ما وقع في
الأقاليم التي ذكرناها فلم يدر فيه من الحضارة إلا ما حصل له من الدولة الإسلامية
ولا شك أن رسوخ الدولة من عهد الأغالبة والشيعة وصنهاجة وفي
إلى جهة والتردد أكثر أمراء منها بغيرها من أقطاره وهي أنجح سلطانا
بعد ذلك الأمر أحاط علما بأخبار دول المغرب فكانت الحضارة بتونس أقوى
وأرسخ منها بغيرها من بلاده ومن جهة أهلها بحضارة موجودة عليها من أهل
الأندلس وحاضرة التردد وما ينقله المسافرون من حضارة مصر وغيرها
فحصلت بها مرتبة من الحضارة متوسطة لا تبلغ ما بمصر والشام والقسطنطينية

ولا يبعد أن يكون ما في أقطار المغرب يشهد بذلك من تغلب في البلاد وأحاط خبرة
بأخلاق أهلها وعوائدهم وهذه طبيعة البلد في نفسها وهي لا تنفك من التغير
بحسب الغالب فيها على هذه الأقطار التي ذكرنا أنها أحكم حضارة وأعرق في أصول الترف
وعاداته مستحكمة الأحوال أهلها باهلها عمرها الله تعالى وحرسها وسائر بلاد المسلمين
وأما من خالطها من جهة الدولة فإن صاحب هذا العصر الذي أصبحت فيه
وريث أمر الله تعالى دولتهم تستحكم فيهم عوائد الترف ولا ذهب في مذاهبه ولا استغرق
في أوديته لأن هذا البيت جرى في الأغلب في الطبقة الرابعة أو الخامسة من الملوك
وأهل الأحساب فبعضها على ما نبين في موضعه ومولانا رحمه الله تعالى وأصل
ذريته من الطبقة الثانية في الملك لأن والده المعز أول من ملك فيهم
فكان فيه من أخلاق العروبية البداوية في أول الدولة المتلقية لأخلاق التهذيب
الذميمة جملة وافية وقد تغرب في شبيبته عن أوطان ملكه وتعلق في أحياء
العرب وعاشرهم واكتسب من أخلاقهم ما لم يجده لحضارته ورقة طبعه فحصل
له من ذلك الأخلاق منتهى وسط ما بين توحش البادية وخشونتهم ولين
الحاضرة ولذاعتهم ولهذا تجد أحسن أهل الحاضرة أخلاقا وأكثرهم اشتمالا
على الخلال الجميلة أحدثهم عهدا بها من أبناء الطارئين عليها من البدو والقرى
قال بعض المفسرين في قوله تعالى وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا يوحى إليهم
من أهل القرى إنما خصص من أهل القرى لأنهم بعدوا عن جلافة البادية ولذاعة
الحاضرة فكانا أعني ... الله تعالى عن أخلاق الترف الذميمة فتراه لا يركب الأبا الحلية
الرفيعة وليس في موضع ركوبه شيء من الحلية ولا مما لا يباح الجلوس عليه
بل يتخذ ستارة من جلد من صوف الصوف الربيع ويميل إلى القصر في لباسه
وفرشه وآنيته وسائر ما يتخذ ولا يجلس على فرش الحرير والديباج ولا ينام

فيها

فيها عفة وديانة اعانه عليها خلقه الشريف والناس على دين ملوكهم فلم يبقى هلوا
في التقرب الى الغاية التي لا مطمح فوقها وان كانت عوايدهم من قبل ذلك وحقيقتهم قد بلغت
في العمى ان المبلغ الذي لم تبلغه في سالف الدول من عصر الترك وذلك كله بسعادة
التي اتفق له بها ما لم يتفق لغيره من ملوكها واوجبته بيعته الحاصلة في ضمن
الدائمة واتفاق الملا من اهل العقد والحل حسبما بينا الكلام عليه اول الكتاب
ومن اراد الله تثبيتا ان ولاية والده رحمه الله التي هي اصل لولايته كانت ايضا كذلك
بيعة عقدها له اهل العقد والحل وبسبب ذلك رسخت قدمه في الدولة وثبت
ملكه ودام نحوا من ثلاثين سنة حتى انتزع من يده غصبا بغير رضى من الجمهور
ولا مشورة من اهل الراي والمشورة ولا تلبس بها وجه ذلك كما سنقصه عليك
فلنذكر الان اوليته وابتداء امره ومطالع اموره حتى اتفق الملا على بيعته
واتى اليه خلدها الله تعالى في عقبه الى يوم الدين

ذكر اولية الامير المولى حسين باي بن علي التركي ونشاته وتنقله في رتب الولايات

ذكر ابو عبد الله حسين خوجه في كتابه بشاير اهل الايمان ان والده علي
التركي وهذا النسب له اشتهر به قدم الى الحضرة من بلاد الروم واصله من جزيرة
كريت وكان فايدا الى ملك الغرب وغيرهم مشهورا بالشجاعة والفروسية
معروفا من كبار الفرسان وتوفي سنة ثلاث ومائة والف هذا كلامه ولم يذكر
تاريخ قدومه من بلاده ولا اول من استخدمه من الملوك ولعل قدومه كان
ايام الامير ابي محمد حمودة باشا او ايام ابنه مراد باي فانه قبل هذا التاريخ
لم تفتح جزيرة كريت بعد ولا استقر بها قدم الاسلام بهذا الغزاة في ج
اهلها من الترك المنتزعين لها من ايدي الروم الى الاوجاق بعض الحرمة فانها

فتحها للمسلمين بفتيا من جمادى الثانية سنة خمس وخمسين والف فتحها السلطان
ابراهيم بن محمد خان رحمه الله تعالى وهذه الجزيرة تعرف في الفرنج بجزيرة اقريطش
والازيغال لها اقريطش وهي من جزائر البحر الرومي ما بين صقلية وقبرص مقابلة
الاسكندرية افتتحها الجالية من اهل ربض قرطبة وكان محلة متصلة بقصر
الحكم بن هشام ملك الاندلس نقموا عليه وثاروا به سنة ثنتين ومائتين وذلك
ان اهل الربض الغربي من قرطبة وكان محلة متصلة بقصر الحكم بن هشام ملك الاندلس
نقموا عليه وثاروا به سنة ثنتين ومائتين فاوقع بهم الوقعة المشهورة في تواريخ
الاندلس واستلحمهم وهدم ديارهم ومساجدهم واجلى الجل منهم الى العدوة
فنزلوا بفاس وغيرها واجلى آخرين الى الاسكندرية فنزلوا واقاموا في
جوانبها وتلاحى ذات يوم رجل منهم مع رجل من سوقة الاسكندرية فنادوا
بالثار واستلحموا كثيرا من اهل البلد واخرجوا بقيتهم واستعملوا بها وولوا
عليهم ابا حفص عمر بن شعيب البلوطي احد اكابرهم فقام فيها امرهم وكان
على مصر يومئذ عبد الله بن طاهر من قبل المامون فزحف اليهم في العساكر
وحاصرهم حتى استامنوا فامنهم على ان يخرجوا الى اقريطش فخرجوا
اليها وافتتحوها في التاريخ المتقدم واميرهم ابو حفص البلوطي المذكور
وتداولها بنوه من بعده مدة من مائة واربعين سنة الى ان ملكها ارمانوس
ابن قسطنطين ملك القسطنطينية من يد عبد العزيز بن شعيب من اعقابه
سنة خمسين وثلاثمائة واخرجوا المسلمين منها حتى اعادها الله تعالى الى الدولة
بهذه الدولة العلية العثمانية التي ازالت قواعد الروم وهدمت اركانهم واستولت
على ممالكهم اتاح الله لها النصر والتاييد ثم قال في بشاير اهل الايمان وفيها
ابنه حسين باي في خدمة امراء افريقية بحيرة محمد باي بن مراد ومن بعده

أخاه رمضان باي وابن أخيه مراد باي بن علي باي ومن جملتهم ابن الهيم
الشريف وطار صيته وارتفعت منزلته وظهرت كفاءته وتقلب في الولايات
والخطط ينتهي ولم يترك الولايات التي تقلب فيها ولا الخطط التي ارتقى إليها
وسمعت من مولانا أبقاه الله تعالى أنه كان خزندار لمحمد باي بن مراد وأنه
دفع على ذلك الكاهية ثم تنكر له محمد باي وجعل يطلب له العلل وخرج معه الى
الكاف وفرانسو حذر منه وخاف به على نفسه ففارقه وخرج تحت جناح
ابن الراي قلعة سنان في ثلة من اتباعه وترك له حساب كل ما انتقى في بيته
من أمواله وذلك قبل ثورة محمد بن شكر على محمد باي بن مراد وانتزاعه
المملكة منه وكانت ثورة ابن شكر في سنة خمس ومائة وألف وذكر حسين
خوجه في بشائر أهل الإيمان أن ولادة المولى حسين باي كانت في سنة ست
وثمانين وألف فعلى هذا يكون خزندارا حين ولم تبلغ سنه عشرين سنة
ومعلوم أن هذه الخطة من أعظم الخطط في المملكة الإفريقية وصاحبها
وزير عظيم من الخواص المقربين بل قد يكون أعظم الوزراء وهذا دليل على كمال
الكفاءة واستعمال الدول إياه من لدن الشبيبة الا لافخر لانا أبرك
الله تعالى ينحي هذا التاريخ لو لاحقه ويستبعده ويقول هو أقدم
ببلاد الجريد الذي ثم اتصل بعد فراره من محمد باي بابن شكر ودخل معه
الحضرة فظاهر الله عمل أمره فجعله كاهيته وخليفته ولم تطل أيام ابن
شكر حتى هلك وعاد محمد باي الى ملكه فرجع إليه وعفا عنه ووفى به
وبقي في خدمته الى أن توفي وملك بعده أخوه رمضان باي فكان في
أيامه آغة الصبايحية وهلك رمضان باي وملك بعده ابن أخيه مراد باي
ابن علي باي فعزله عن الأعراض وهي من الولايات الجليلة التي تحقق

الالوية على رأس طاجبها وهو اكبر القواد والعمال فما ولاه بعد ذلك كاهية بدار
الخلافة وسبب ذلك انه ارسل اليه يستحثه على القدوم اليه من الاعراض فيل
استيفاء مجابيها فاحس ابن لزالك وخافه على نفسه خوفا شديدا لما يعلم
من بطشه واقدامه على الدماء من غير موجب بما كان عليه خواصه
بالعيار ربما امتنع منه ورحل قافلا الى تونس واصحابه يحسنون له البوار
ويحضونه عليه ويخوفونه سطوة مراد باي وهو مصر على امتناعه
حتى بلغ الحضرة موت مراد باي فخرج الى جنان تربة العبرلية يتبرد
فتحسس الاخبار فلم يسمع ما يعجبه فرجع عليه اصحابه بالعتاب
ولم يسعه الا الوصول اليه فلما دخل عليه قال المرحول له الم اقل لك ان حسين
ابن علي لا يفعل شيئا واقبل عليه واستوزناه وولاه كاهية دار الخلافة
وخلع عليه جبة الولاية فطلب بعض الوزراء الخاص من مراد باي
التزام دار الجلد وكان بيد الكاهية الذي عزل فاجابه الى ذلك فقال له
المولى حسين بن علي يا مولانا هذه من توابع منصب الكاهية وكيف تخرجها
من يده ويكون من كلف بها فيلي الحكم عليه شيء فقال صدقت وامر ان يخلع عليه
جبة اخرى لولاية التزام دار الجلد فخرج على اصحابه في جبتين خلعتين وكانت
احداهما من الديباج المذهب وان اخرى من الخز بين المولى وهم يتوقعون
الايقاع به فقال لهم كيف رأيتم عاقبة الوفا وبقي كاهية بقية دولة
مراد باي فلما قتله ابراهيم الشريف ولاه اغرى على ولايته
وسبب ذلك ان ابراهيم الشريف دبر في العمل في ادباي مع جماعة
من العسكر واجمعوا رأيهم على ان يكون ذلك اذا خرج بالمحلة فلما
خرج بها خلف المولى حسين بن علي بتونس تحلفه عليها فما اليه الخبر بادر

ابراهيم

ابرهيم الشريف وكتب بذلك كتابا وارسله الى مراد باي مع رجب الكاهي
فخرج به عشية وعهد اليه ان يجد السير ليلحقه ليوصل اليه الكتاب قبل ارتحاله
من منزلته وكان نازلا على مجاز الباجة لانه بلغه ان ابرهيم الشريف عازم
على الفتك به في تلك الليلة فاتى رجب الكاهي المحلة من اخر الليل ولم يتهيا له
الوصول الى مراد باي الا صباحا وهو على اهبة الركوب فاوصل اليه الكتاب
وللاجل المحتوم اشتغل عن مطالعته ولم ينظر فيه وابقاه عنده مختوما وارتحل
فقتله ابرهيم الشريف من يومه واستولى على المحلة وبايعه من بها من
العسكر وتم امره فلما بلغ الخبر الى المولى حسين بن علي بالكخية خافه على
نفسه خوفا شديدا من ان يكون قد اطلع على الكتاب الذي ارسله الى مراد
وفيه التحذير منه والاغراء بقتله فعزم على التعويض عن افريقية واللحاق
بطرابلس وما داه ان يخلص منها الى الحجاز فيحج ويقيم به فخرج من تونس وتبعه
جميع من تخلف عن مراد باي من خدمه واتباعه وهم عدد كثير ظنا منهم
انه خارج لطلب الملك فاعلمهم بقصده وعزم عليهم ان يرجعوا فرجعوا عنه
وصار هو في نحو اربعين فارسا من غلمانه واتباعه فلما انتهى الى السواحل
اعترضه جبل اولاد سعيد فهو ادة فقاتلهم قتالا شديدا ومات نحو من
العشرين وخلص منهم بعد عسر الى ان معقل عن طريقه الى جبل وسلات
فوجد به ابا الحسن السهيلي رئيس الكتيبة فر واصل اليه من المحلة صليبيا
فاتفقا على اعتزال خدمة الملوك ما بقيا ثم ورد عليهما كتاب ابي ابرهيم
الشريف يسمح بالامان يقول فيه اني امتعضت للامة من ظلم ظالم الجبار فقتله
ولا طاقة لي على الملك الا بكما فان اجتمعتما علي والا تركته ودعوتما فيه
بذلك جميل من جماعة راسها الاول وصارا اليه بعد ان تعاهدا على التعاضد

والتناصي بما في كل واحد منهما على ولايته واختص بهما مرة دولة حتى انتهى صاحب البحر ابي وانضاف الملك الى المولى حسين بن علي من غير قتال ولا مشقة ولا طلب وتحصل من الذي يستدعي الكلام عن دول هولاء الملوك وانتقال الملك اليهم واحد بعد واحد حتى وصل اليه وذكر اوليتهم ووصول الملك اليهم مرتب على ذكر دولة الترك بالجملة فلنذكر جميع ذلك الاعلى وجه الاختصار لتتم الفايدة ويبنى الكلام على اصله ونكون قد اتينا على ذكر ما تتشوف النفس اليه وتحصل ما تشتاق الى تحصيله من هذه الاجمال السابقة ويكون كتابنا هذا مشتملا على اخبار دولة الترك كما كان مشتملا على اخبار دولة بني ابي حفص المتقدمة عليهم فيكون قد جمع اخبار ملوك الحضرة المستبدين بها قديما وحديثا حتى يوصل الى بيت قصيدهم وواسطة عقدهم والبديع الفرد من نظامهم والله تعالى الموفق لا رب غيره

ذكر ابتداء دولة الترك واحوالهم بعد استقرارهم بالحضرة عقب القبض

لما ملك سنان باشا الحضرة وحسم منها مادة الكفر وانقضت بذلك دولة الحفصيين بدولة الموحدين شرع في ترتيب امورها وتمهيد قوانينها فتمرد بها دارا من كتايبة الانكشارية وهي الدار وعددهم اربعة الاف وقيل بل ثلاثة الاف والالف الى ارعة الجندي يوسف وان بعد ذلك لما وقع الحرب بينه وبين صاحب الجزاير وجعل على كل ماية منهم اميرا يسمى بالراي فكان جملة الامراء المسمى كل واحد منهم دايا اربعين او ثلاثين اميرا ورتب اميرا لوا الضبط

الاوطان

الاوطان واشتغل بما يعنيها يسمى باباي وهو رمضان اصله من جنس الجي آمر وتوفي بها
هذا المنصب في طائفة تونس ايام الفتح بولاة عثمان باشا باي وهو منه مسلمة الفرج
على ما في تاريخ ابن دينار وخالفه الوزير في تاريخه فجعل ان ابتداء التركي من جنس
الجي ابراهيم حسين وقيل انه رمضان باي انا ورد عليه الحكومة بعد الفتح في ايام
عثمان داي ورتب لها ما ضبطه المولى حسين افندي وجعل في البنجرية
الى اغا وحط التصرف والعلم والحكم على الباشا وهو خير باشا صاحب
الفتى وان وقد تقدم خبره وخطب للسلطان من بني عثمان على منابر افريقية
وكتب اسمه على الدينار والدرهم واستقام الغرب الاوسط ولم يتلبس بملكهم
واستمر الحال على هذا الترتيب بتونس الى تغلب الدايات وضعف امر الباشا وسبب
ذالك ان البلوكباشية كبار الديوان كانت ايديهم في التصرف وعظم جورهم وحرمة
من دونهم من العسكر حتى ان حرمة جيوشهم كانت لهم الاستطالة على العسكر فاجمعوا
من ذالك وعزموا على الفتك بهم وانتهزوا لذالك يوما معلوما فهجموا عليهم
الديوان وكان بالقصبة ووضعوا فيهم السيف فقتلوا منهم ثمانين رجلا
بالديوان ثم تتبعوهم في منازلهم واستاصلوهم حتى قيل انه لم ينج منهم الا ثلاثة
نفر والقوا جثثهم على باب القصبة وكان ذالك يوم الجمعة منسلخ ذي الحجة
سنة تسع وتسعين وتسعماية ثم حضر الباشا واعيان العسكر الملقبين بالدايات في
في احوال المدينة وعسكرها ولا يتعلق باهل الديوان في امر من العسكر الا عن
مشورته ورايه فقدموا لذالك ابا العباس احمد داي ودام حكمه ثلاث سنين ولم يستقل
بالكلية وزاحمه غيره من الدايات فطلب الخروج الى الحج فحج ورجع الى البلاد
حتى ورد دمشق واستقر بها وعاش بها مدة طويلة وتولى موسى داي واراد
الاستبداد بالامر فلم يتم له ومكث سنة وطلب الخروج الى الحج ايضا فخرج اليه

وتنازع الامر بعده عثمان داي وصفر داي فذهب كل واحد منهما الى منزله
وتقلد سلاحه فاسرع عثمان داي واتى حتى جلس بباب القصبة واجتمع عليه
اهل عصبته فاقبل صفر داي فلما رآه عثمان داي امر برده واخرجه من البلاد
مطرودا ناحية الجزائر الى ان عاد الى الحضرة ايام يوسف داي وعاش بعد ذلك
الخير والعـــ

ولايــــة عثمان داي

وهو اول داي استقل بالامر لما تولى عثمان داي واستقام له الامر واستبد بالالة
فنفى كثيرا من اكابر العسكر خشية توثبهم عليه وخرج بالمحلة مرتين
احداهما الجريد وبعيته بلاد سهادة وبجاضة وبني عياش ورتب قوانين الرعايا
وقيدها في دفتر كان يسمى عند ارباب الدولة بالميزان يرجع اليه فيما اشكل
منها وباشر الامور بنفسه وكانت فيه شجاعة وشهامة وسياسة في
قمع العسكر عن الظلم يحكى عنه في ذلك حكايات كثيرة وفي ايامه اخرجت
الاهالي طبل الكبار لغزو البحر في البحر بتونس ولم يكن عندهم قبل ذلك الا
الشواني الصغار وانتهت رياسة البحر لمحمد داي بن حسين باشا فاكثر الغزو
في البحر الكبار واخذ من البحر غنائم كثيرة ورزق السعادة وهابته البحر
ثم تمادت به همته الى الوثوب على عثمان داي وداخل في ذلك جماعة من العسكر
فاحس بهم عثمان داي الى العرب فقبضوا عليه واتوا به الى عثمان داي
فقتله وله من العمر ثلاث وعشرون سنة واستوفى جميع اسبابه واموال
وذلك سنة سبع عشرة والف ووقع في ايامه الطاعون الجارف المسمى بوبا
جو ريشة وذلك في سنة ثلاث عشرة والتي بعدها وفي ايامه خرجت
رمضان باي وظهرت كفاءته في استيفاء الجابي لتقلب العرب لذلك العهد

كاولاد

بأولاد ابي الليل وأولاد حمزة وأولاد أبي صالح وأولاد دحنونة وأولاد سعيد على الضواحي
وعصيان اهل الجبال كفرون ورسالة مع مخالطة وكانت لمصطفى باي سياسة
في خداعهم تارة والايقاع بهم أخرى حتى يستوفي جبايته واقتنى مماليك كثيرة
استعمل جماعة منهم في اعماله وسماهم بالبايات كاحمد رمضان باي وحسين باي
ومراد باي وهو الذي خلفه على ولايته بعد وفاته وتوارثها
بعده بنوه وكان له اخ اسمه رجب باي كان يستخلفه ايضا على اعماله ولم يزل
عثمان باي فاعلا في الامر مستبد الكلمة الى ان توفي يوم الاحد ثاني عشر من
رجب سنة تسع عشرة والف وهو الذي بنا على جيرة القنطرة التي
بجانب تبرورت

ولاية يوسف داي

كان عثمان داي زوجه ابنته ولم يدخل بها فلما مرض عثمان داي مرضه قيل له
لم تعهد بعدك فقال ان صاحبها يعني داي والآخران اردتم القنا والعافية
فولوا يوسف لانه ليس الخلاف وقصر بعض الكلام في تعينهم في ولايته فلما
توفي ارسلوا الى يوسف داي وكان في باجه واصبحوا من الغد فاجتمعوا
بسقيفة دار عثمان داي للشورى والقاضي ويوسف داي حاضر معهم ومعه
صاحبه المختص به علي ثابت في اخرائه وقبل يده وبايعه وتبعه
الحاضرون كلهم ومشى جوانبه الى القصبة فاجلسوه واقبل الناس على طبقاتهم
فبايعوه ولم امره ومن الغد قدم يوسف داي من باجه بالغلة وقرأ اسمعهم
شأنه في بيعته وانقاد له فكان يكره بعض الآخرين وقدم علي ثابت تدبير
امور مملكته في جميع عن ابنة عثمان داي خوفا من استيلاء جرها للام
الزمان عليه وانهد وحين كان في حياة داي لا يصدر الا عن رايه وكان

صاحب خير ومعروف وله بالحضرة آثار مشهورة وذلك خلاف ... وتوفي سنة أربع وأربعين
وألف وكان يوسف داي خيرا فاضلا موفقا للانطباع وآثاره عظيمة بالحضرة
من الجامع والمدرسة والميضاة وما حولها من الأسواق كسوق البركة وسوق الجرابة
وبرك وضع سوق الترك إلى العتبة التي هو عليها اليوم ولم يزل قبل ذلك الأرض
على يد الفقيه التي   وبنى باب البنات وقد كان مسدودا
وبنى السور الذي بخارجه وجمع ما بينه وبين دار الخلافة من الدور وكانت تلك
الناحية كلاها فأحياها وله غير ذلك من الآثار العظيمة وبلغ عدد الأسطول
في أيامه خمسة عشر مركبا من البحار وكثرت الغنائم وأخذ مركبين كبيرين فيهما
لأهل النصارى [illegible] مالطه [illegible] أخذها [illegible] مراد
ورجعت جربة في أيامه على عهده لمملكة تونس على يد الشيخ حميدة الجلود
وهو أول من شاخ بمطبخ بيتهم وكانت قبل ذلك مراد [illegible] على طرابلس
ووقع بينه وبين صاحب الجزائر اختلاف في حدود العمالة فوردت محلات
الجزائريين ولم يتم حرب ووقع الاتفاق على الحد الفاصل بين العمالتين وادي
سراط فما كان من غربيه فهو من عمالة الجزائر وما كان من شرقيه فهو من
عمالة تونس وذلك في سنة اثنين وعشرين وألف ثم بعد ذلك في سنة
سبع وثلاثين وألف وقع الخلاف أيضا في [illegible] فيما عسكر تونس
وزعم الجزائريون أنها من مشمولات حدود عملهم وتجددت المشاحنة بينهما
ووفد على الجزائريين الشيخ ثابتة بن قشوب بالطعم في البلاد فخرجوا
بمحلتهم وأرسل إلى لقائهم يوسف داي محلة [illegible] مراد باي وعلة [illegible] رجب
باي أخي رمضان باي فالتقوا بالسطارة فوقعت الكسرة على محلة
تونس يوم السبت [illegible] والعشرين من شهر رمضان من السنة ثم أرسل إليهم

[illegible]

يوسف داي الشيخ ابا عبد الله فتاح العارفين البكري ومعه جماعة
من الفقهاء وغيرهم لعقد الصلح فعقدوه على الحدود السابقة وفي السنة
التي بعدها خرج مراد باي بالمحلة لمنازلة الكاف لثورة في شرفه بها اهلها
واستنقذها بعد حصار يعني ولم يزل يوسف داي على ما هو عليه من حسن
السيرة ودامت ايامه وانتظمت احكامه توفي ليلة الجمعة او يومها لسبع بقين من
رجب سنة سبع واربعين والف

ذكر من كان باي العساكر في ايامه

فمنهم رمضان باي اول باي كان بتونس وانه في اوائل دولة عثمان
داي زهر صيته وارتفع مكانه ولم يزل على حالته تلك الى ان توجه عثمان داي
وتولى بعده يوسف داي فبقي على ولايته الى ان كانت وفاته في ربيع
الثاني سنة ثلاث وعشرين والف وترك ابنا اسمه سليمان باي واخاه
رجب باي وكان له عدة مماليك نجباء كان يستعملهم في اعماله اجلهم مراد
باي فاستشرفت انفسهم كلهم للولاية وكان يوسف داي مائلا الى مراد
باي من بينهم لما يعلم من كفايته فطلب منه رجب باي ان يوليه مكان اخيه
اولا لا نفسه فاجابه يوسف داي انه من اصحب الصغ ابن صنزل على بابه
فعزاه باي وكان ابو صنزل كاتبا لرمضان باي فلما هلك طلب الاعفا
وعاد بعد ذلك الى خدمة الطالبين فارسل اليه يوسف داي واستشاره فيمن يوليه
فاشار عليه بمراد باي واصبح على بابه فاولاه يوسف داي امر المحال
واستكتب له ابا صنزل المذكور ومع ذلك لم يهمل رجب باي من ابقائه اميرا
كما كان على عمل اخيه من احماله الى ادبار ينتقلان على سبيل المحال الا ان
ذهاب الصيت ونفوذ الامر انما كان لمراد باي خاصة لكفايته وصرامته

وكان حازما جليلا مدبرا للامور وله في اولاد سعيد وقبائل كثيرة اوقعها
اتى اجلاهم فيها الى عمل طرابلس في سنة وباتة وكانت غاراتهم تبلغ اقاصي المملكة
وضرر بهم فرع ومجالهم تم بعصيان السلطان بادينهم وحد ابتهم وقطعهم
للسبل مستمر وكانوا يزعمون ان عمل الساحل والجزيرة القبلية اقطاع لهم فكانوا
يستوفون من اهلها الخراج فيغلسون من ذلك الدخشرا ابين وامورا
صعابا وكانت لهم حروب كثيرة مع مراد باي واولاده من بعده فهم اولا
اليوم في دولة مولانا ادامها الله تعالى كهفا للاسلام والمسلمين وقد
بلغ بهم الامر من الطاعة والانقياد الى حيث ان صار من احرار اسيادهم
دروسابهم د فيه سال اليه اصغى خدمه من الحوانب او من الصبايحية
بين يجد من كان صيغته وفي جد من بيته ومن بين عصبته معتقلا
وكثيرا ما نصروا الجباية من غوغائهم فيحبسهم الباي لهم ويأتون بهم اليهم
اليه ايده الله تعالى يتحكم فيه بحكمه وقد امنت السبل من قبلهم كما امنت من
قبل غيرهم وانكفت ايديهم عن الغارات والنهب والظلم كما انكفت ايدي غيرهم
فبهذا وامثاله يعلم فضل هذه الدولة الميمونة على غيرها من الدول المتقدمة
عليها اللهم اطل امدها ووال مددها ثم ان مراد باي في اثنى امره تمت نفسه
الى مرتبة ابيه شاها فارسل الطلب لها من الحضرة الخاقانية حضرة السلطان
خان ابن السلطان   خان رحمه الله تعالى فاجيب الى ذلك
واتاه التقليد والخلع وهو على صفاقس متقلدها ونزل عن خطة المحال لابنه
الامير ابي محمد حمودة باشا وذلك في سنة احدى واربعين ولم تطل ايامه
بعدها فتوفي من سنته ودفن بتربة مجاورة لمقام الاستاذ ابي العباس احمد
ابن عروس رضي الله عنه ثم نقله ابنه بعد مدة الى تربته التي احدثها بجامعه المشهور

وولي

وملك الامر بعده ابنه حمودة باشا فمهد الامور ورتبها احسن ترتيب وكان في بدء
امره محبا الى الناس حسن السيرة حسن التدبير محبا للعلماء مقربا لهم مولعا
بمجالستهم ومباحثتهم واسع العطايا اذ تراه اثر نعمته على اصحابه مولعا بـ
السماع والغنا جميل الصورة واستكتب كاتب ابيه الصفي ابو صنوك وفي خرج محلة
الشتاء سنة احدى واربعين فوصل الى الفي واه وقد دفع عنها اولاد سعيد
بعد ان كانوا يستاصلونها وولى عليها مملوكه القايد علي الحنافي ثم نزل الى
الحامة وكان مشايخها قد عصوا واستبدوا بها سبع سنين وكانت ملجا
لاولاد سعيد يعتصمون بها فحشدوا اليها الجنود والاعراب ونازلها ونصب
عليها المدافع وقطع من نخيلها شيئا كثيرا والح عليها بالحصار الى ان اقتحمها
عنوة واوقع باهلها في ذي الحجة سنة خمس واربعين ثم اوقع باولاد
سعيد والح عليهم بالقتال الى ان اذعنوا بالطاعة واستسلموا واغرى
بين فرق شنوف المتغلبين على الاوطان وعملها واسلط بعضهم على بعض حتى
اوهنهم ثم استاصل شافتهم واستنقذ البلاد من ايديهم ومحا رسمهم ونازل
جبل مطماطة وضيق عليهم حتى اذعنوا بالطاعة بعد امتناعهم برهة
من الزمان ثم نازل جبل عمدون ودوخهم واستباحهم وانقادوا للطاعة
ثم اوقع بالشيخ علي بن عبد الصمد الشابي وطرده وانتزع من يده
دريد واوطنهم الى رعيته ورسم طايفة منهم عظيمة في ديوان جنده
ثم اوقع بالشيخ خالد بن نصر شيخ الحنانشة على مهله وكانت
بينهم فرقة مترددة الى رعيته ابي حفيفة وكان من قبله من الملوك يطلبونه
فقهرهم وهزمهم شنعا وضعف امرهم بعد ذلك ودوخ جميع العرب بصفقته
بالبلاد وامنت السبل واتسعت الجباية وهو الذي رتب اوجاق الصباحية

بتونس والعين دار والكاف والباجه لتامين الطرق فاتت وكثرت عادية العرب وطالت ايامه واشتهرت وماترجمه باي المرتكان في احوبي الولاية ثم توفي سليمان باي بن رمضان باي مزاحمه ايضا وصفت له البلاد وله مئاثر جليلة واثار فخمة مشهورة منها بناء الجامع المشهور به وهو في غاية الاحكام والاتقان ومنارة لا يبلغ اهل المغرب ولا في كثير من البلاد المشرقية ومنها الحنايا المجلوب عليها الماء من ابار راس الطابية الى تونس وهي من الخير المبقي الى يمنا الان ممن ابانه المشهورة وفي سنة ثمان وستين ارسل هدية عظيمة للحضرة الخاقانية وطلب منصب الباشا ابن الباشا ونزل عن نصيبه الحال لابنه الاكبر مراد باي واستخلفه مكانه وعقد لابنه محمد الحفصي على القيروان وسوسة والمنستير وصفاقس وعقد لابنه حسن باي على باجه وفي ذا خاهرة لطلب الاستعفا من الباشا فاعفى منها ومال الى الراحه وتخلى عن البلاد لاولاد الى ان توفي يوم الاربعا التاسع من شوال سنة ست وسبعين والف رحمه الله تعالى على ما ذكر الحاج مصطفى مركور داي وكان من خدم ستة من الدايات اولهم يوسف داي وآخرهم مذكور المذكور كما سياتي

ذكر ولاية اسطا منذ داي

لما توفي يوسف داي في التاريخ المتقدم وكان له مملوك يسمى مامي فرعكم في دولته حتى تشوف للملك بعد صبيّه وخشى امتلاك الترك من تغريبه عليهم فسعى في ولاية اسطا مراد وتكلم في ذالك مع جماعة من اعيان الديوان فاجابوه الى ذالك وقرر انه اذا تم الامر لاسطا مراد يكون مملوكه مثله ولم تنالهم الترك من ولايته عليهم ثم في خلعه وتولى مكانه ولما بويع اسطا مراد بحث لما اراد به فعاجله ونفاه الى زغوان ثم قتل

[margin note, partly legible:] السلطان ... ابن صعوبة ... الى الترك ...

دها وكان اسطا مراد قبل ولايته قبودان البحر وله فيه المواقف المشكورة والوقائع
المشهورة وأخباره في ذلك منه مشهورة عند أهل الحضرة وهو الذي بنى بلد
غار الملح وحمل الناس على سكناها وبنى بها البرج الذي على المرسى ولم تطل
أيامه فتوفي ليلة الأحد الثامن عشر من شهر ربيع الأول سنة خمسين وألف

ولاية أحمد خوجة داي

لما توفي اسطا مراد كان أحمد خوجة كاتبا بالديوان وكان حسن الأخلاق
رفيقا لينا فمالت إليه قلوب العسكر واتفقوا على ولايته فبايعوه
فلما استقرت قدمه تغيرت حاله فظهر منه من الغلظة والجبروت ما لم يكن
يظن به وثابر على جمع الأموال وادخارها وعلى عمره ووقع الطاعون الكبير
واتصل سبع سنين وكان ابتداؤه سنة ثلاث وخمسين وفي أول ولايته دخلت
أغربة مالطة دمرها الله تعالى في حلق الوادي فأخرجوا بعض المراكب المعدة
للجهاد وأحرقوا بقيتها وبسبب ذلك بنى أحمد خوجة البرج الصغير بحلق
الوادي تحصينا للمرسى وكان مطاعا في عسكره فأراد مرة أن يجعل مغرما كعادتهم
لكنا تتبعهم (؟) إلى غار الملح فلم تزل الإشاعة من نظار حتى خرجوا عن أمره (؟)
فسعى في ذلك فأسلم (؟) وتوفي في جمادى سنة أربع وخمسين

ولاية الحاج محمد لاز

لما احتضر أحمد خوجة كان عنده إمامه أبو عبد الله محمد بن نازيلقنه حتى
فاضت نفسه فخرج جوجو (؟) بصفيفته جماعة من أعيان الديوان من جملتهم مراد
فريق وكان مرشحا للولاية وكان سيئ الخلق جبارا فخشي الإمام بن نازل
أن يبادروا ببيعته فقال لهم إن أحمد خوجة توفي إلى رحمة الله وقد عهد بالأمر
للحاج محمد لاز واختاره فقبلها وبايعه فتبعه الحاضرون بالبيعة ثم خرجوا به

الى القصبة وجددت له البيعة العامة وفي اخر ايامه مرض مرضا ثقيلا
كانت وفاته منه يوم الثلاثاء لسبع بقين من شوال سنة ثلاث وستين والف

ولاية الحاج مصطفى لاز

كان قبيل ولايته ان الامير حمودة باشا عزم على الحج بالمحلة والحاج محمد
لاز مريض وخشي ان حدث بعده عليه حادث ان يثب على الامر مراد
بي فكان يامر في بادرته بالقبض مع الحاج مصطفى ميراخور وكان اغا القصبة
ان يقوم يسطو به الامر عن مراد بي وتولية الحاج مصطفى لاز ووعد على ذلك
بمال جزيل فلما هلك الحاج محمد لاز بعث الى المتغلب خرج ميراخور الى باب
القصبة واستلقى على حصير ووضع بجانبه سيفا مسلولا ويبقى منتظرا ان
من يغني عليه بذلك او اقدم عليه مراد بي في جماعة اتباعه فبلغه وقال له ما جاء
بك قال تفتحي في ذا الآن الاعيان الديوان من ان تتفقوا عليه ولو وارسل ميراخور
ان الحاج مصطفى لاز فبايعه هو ومن معه واطلق المدافع وانبلت
الناس الى بيعته ولم يتخلف عنه الامراء مراد بي فلم يواخذه وعفا عنه وامنه
ولما قدم حمودة باشا من سفره اشتد عضده به وقوي امره وبنى له حمودة
باشا الدار المعروفة الان بدار رمضان باي وواهبها له يسكنها وزوجه جارية
من جواريه جهزها بجهاز بنات الملوك وكان الحاج مصطفى لاز لين العريكة
متبعا للشرع هينا بالسعد الرماد لم يقتل في مدة ولايته الا رجلين بعد ان
استفتى فيهما مفتي حضرته فافتيا بقتله وكتب خطه به وحكم به قاضيه
ولما مرض اوصى ان توضع الفتيا في كفنه لتكون حجة له عند الله تعالى وكانت
وفاته ليلة الجمعة التاسع عشر من ذي الحجة سنة خمس وسبعين

ولاية الحاج مصطفى قاره كوز

في

قد تقدم ان المذكور كان اغا القصبة فلما توفي الحاج مصطفى للازوف على
الامر من غير اتفاق من الملا ولا مشورة جدّها من كان معه بالقصبة الا من بايعه
بما يعود واطلق المدافع ثم تتابعت بيعته وكان اهوج متغافلا جبارا على
الدما متتبعا لاهل الشر والفساد والتيء فيه بالقتل حتى اباد منهم خلقا
لا يحصون ولوقع ذا الدا اخبار مشهورة وكان له في بناء اجرها يسمى
طابلي احرة والاخر يسمى سا فال حسين وهما في الولاية بعد قطجالة
كالعماء السم بيعوسر مزاجه واضطربت احواله فلما توفي الامين محمود
باشا في التاريخ المتقدم اتفق اكابر دولته على خلعه فخلعوه واخرجوه
من القصبة الى داره وقالوا له اليه وقال لم لعن قبحهم على انفسكم بابا من
الخلع كان مغلقا وتقدمون على ذالك وكان خلعه في دار اخر ذي القعدة وما بعد
بعد خلعه الا يسيرا فتوفي في العشر الاواخر من ذي الحجة من سنة وخمي سنة
ست وسبعين والف

ولاية الحاج محمد حاج اغلي

بويع يوم خلع فراكوز وكان قبل الولاية قهوداشا من دار السلطان وكان يظهر
منه حسن السيرة فلما تولى عجز عن القيام بالامر واضطربت احواله وطار يامر بالشيء
تارة وينهى عنه اخرى وبقي جماعة من اكابر العسكر ثم مال عنهم بعد ذالك
وصارت الاحكام تصدر عن خاصته ويتسوقون اليه فكان كل واحد منهم يملي
على مقتضى غرضه وكان الحاكم بالقلم لكاتب الديوان شعبان خوجه الزيدولي
بعده والحاج محمد بشارة واختلت الامور وسبب اختلافه انه لما بويع بالولاية
جلس بباب القصبة وامتنع من دخول الدار المعدة للداي حتى تخرج منها
فراكوز فبلغه ذلك واخبر انه اخرج منها فقام ودخل الدار ما عدا الا فراكوز

جالسا بجامع الزلاك وارتاع له بكاء ذلك بسبب ما وقع له من الاختلال ولما
استمر امره على تلك الحال تشاور الاكابر في خلعه فخلعوه يوم السبت الرابع
عشر من صفر سنة احدى وثمانين وألف ونقلوه الى داره والزموه بيته

ذكر مبدأ أخبار مراد باي

لما توفي حمودة باشا المرادي المتقدم وكان قد نزع عن بعض الحال
لابنه مراد باي كما قدمنا استقل حينئذ مراد باي وكان فيهما شجاعا ضابطا
للامور متبصرا بالاحوال بعيد همته بعلو صيته ونفوذ كلمته ولم يزل كذلك
حتى ظهر الغرور وخرج الامر عن ايدي الى ايادي ابنيه وتبدل الحال بصارت
الامارة العظمى له والراي من تحت امره بعدما كان الامر بعكس ذلك وجرى
القانون بعد على هذا الى الان ولم يزل امر البايات يعلو ويقوى وامر
الداي يسفل الى ان بلغ الحال التي نشاهدها الان اعزها نلاو سبب تغلب مراد
باي ما وقع من العداوة بينه وبين شعبان خوجه الذي تولى بعد حاج
اغلي اولا وبين الحاج علي لاز بعد ذلك كما سنذكر في اخبارهما ان
شاء الله تعالى

ولاية شعبان خوجه

سبب ولايته ان مراد باي لما صنع الوليمة المشهورة لعرس اخيه حسن
باي واخيه علي باي واحتفل فيها غاية الاحتفال ودعا فيها الوليمة
التي صنعها له والده لما اعرس له على بنت يوسف داي واستمر على الدولة
الدولة واختص بعضهم بسره وفيهم الحاج محمد بشارة كاتب الديوان فعاودهم
في شأن حاج اغلي وكونه غير خليق بالولاية وتكلم معه في خلعه
والاستبدال به فقال له بشارة كاتب الديوان من ترى يكون عوضه فاشار

بعن

يبعث من ينتمي اليه يسهل له بيشارة الامر فغدا على شعبان خوجه
فاخبره بما جرى بينه وبين مراد باي وقال له ان لم تنتهز الفرصة وتقتلا ب
الغضبة خرج الامر عنا وقام اليه فبايعه وتبعه على ذلك الامر جماعة وامروا
بالطلاق المدافع واخرجوا احاج اغلي الى داره وتم الامر لشعبان خوجه
ولا علم لمراد باي بشيء من ذلك فلما بلغه الخبر اقبل الى شعبان خوجه
فبايعه فلما دخل عليه انف من القيام له وغض من جانبه لما صدر منه
مع بيشارة فكان ذلك منشأ العداوة بينهما وسار شعبان خوجه
في الناس فتحبب وتنزل في امر العامة وتفقد الاحوال المرضية
واشترى له مراد باي دارا في بقعة الحلفا ووهبها له يسكنها ثم ان
بعض بطانة شعبان خوجه داخلوه في الايقاع بمراد باي وزينوا له الغدر
به وهو بالمحلة الشتائية وكان الذي تولى كبر ذلك احمد بن القايد جعفر
ومحمد بن احمد خوجه داي فقال انهما قرر الامر معه على ان يوليهما في
المحلة احدهما بالمحلة الصيفية والاخر بالشتائية وكتب شعبان خوجه
الى رجب بن مراد باي صاحب قسنطينة يحرض عليه القدوم عليه
ليجعله بايا بتونس بدل مراد باي مركزا اليه واجابه الى ذلك
دون معاجلة مراد باي لشعبان خوجه وذلك ان بعض اصحابه اطلع على
الامر وكتب اليه به فلما تحقق ما اضمر واله كتم امره وقفل راجعا الى
الحضرة فلما كان على مرحلة منها خرج وجوه الناس الى لقايه وفيهم
احمد بن جعفر ومحمد بن احمد خوجه فقبض عليهما واعتقلهما
وامتنع من دخول الحضرة وكتب الى اغاوات العسكر واهل الديوان يعلمهم بما
عزم عليه شعبان خوجه من الغدر به فمالت اليه القلوب واحس شعبان

خروجه بالشر وعلم انه المطلوب فارسل جماعة من الاكابر لمراد باي يستعطفه
ويتنصل له مما بلغه فابى الا خلعه فوافقوه عليه وخلعوه وقدموا الحاج
محمد منتشالي فبايعوه بجامع الزيتونة ورجعوا به الى الحاضرة من يومهم وقصدوا به
القصبة فوجدوا شعبان خوجه جالسا على بابها فقال يشارة لا ترضى
ان يتناول هذه الامة السيف لهواك والله ان خلعه مراد باي من جامع
الا شتة من لوامرهم ان يقتلعوا القصبة حجرا حجرا الا قلعوها فقال الارض
انتم اهل المسلمين فاصطلحوا من الذي ارتضيتموه للولاية فاشاروا الى الحاج محمد
منتشالي فقام من موضعه وخلع عنه فروته والبسه اياها وقال له بارك
الله لك فيها واخرج شعبان خوجه الى الدار ثم نقل الى راس الطابية ثم الى
راس الجبل ثم نقل الى زغوان فاقام بها يسيرا ومات في ذي القعدة سنة
ثلاث وثمانين وكان خلعه يوم الثلاثاء الرابع عشر من ذي الحجة سنة
اثنين وثمانين

ولاية الحاج محمد منتشالي

ولما استبد مراد باي لما جلس بالقصبة بعد اخراج شعبان
خوجه منها جددت له البيعة وسكن بالقصبة ولم يكن له مع مراد
باي فيه الا الاسم وسكن بالقصبة ووقع بينه وبين الحاج لخفة كانت
فيه وعدم كفاءة وخرج مراد باي من تونس الى الجريد فبلغه ان عثمان
باشا صاحب طرابلس ثار عليه عسكره وحاصروه بالقلعة الى ان مات
بها واوصى باولاده اليه فخرج من الجريد الى طرابلس لكشف الخبر فلما
بلغهم خبره اخرجوا محلة لقتاله فالتقى [illegible] فكانت الدبرة على
اهل طرابلس واستلحم السيف اكثر من بالمحلة واحاط [illegible] عليهم مراد

باي

باي واقبل اليه مشايخ البلاد ومرابطوها وطلبوا منه الكف عن دخول البلاد
والرجوع عنهم فقبل ذلك منهم ورجع ثم ان جماعة من العسكر لما راوا ضعف
منتشاي واستبداد مراد باي بالحكم دونه كرهوا ذلك فاجتمعوا في
غيبته هذه على الحاج علي لاز وتكلموا معه في الوثوب على منتشاي
وخلعه وان يكون هو مكانه فاجابهم الى ذلك ثم دخلوا على منتشاي
القصبة واقاموه من مجلسه وخلعوه وبعثوا به الى زغوان فمات بها وبايعوا
الحاج علي لاز وكان ذلك يوم الثلاثاء السابع عشر من ذي القعدة
سنة ثلاث وثمانين

ولاية الحاج علي لاز وذكر وقعة الملاسين واستبداد مراد باي بالامر

لما بويع الحاج علي لاز بالتاريخ المتقدم واتخذ ذلك اول يوم من الحسو جعل
له اقامر بذلك ولاول يوم من ولايته فر محمد الحفصي بن حمودة باشا هرب به
الحلقة فلحق باخيه مراد باي وهو بمحلته وراء العين وانحسار الى الزوارين
واقام بها فكاتبه الحاج علي لاز واصحابه في القدوم بالمحلة الى الحضرة وتفويض
الامر على ما كان عليه من قبله فلم يجبهم الى ذلك فجمعوا ديوانا واتفقوا على عزله
فاجمع بعض كبار الديوان على ان يقبلوا منهم واهملوهم رئيسا فجوا منه الرجوع ان
وتبعوهم فقتلا واقاموا بايا عوض مراد باي رجلا من العسكر اسمه محمد اغا
وخلعوا عليه واركبوه شارة المحلة وطافوا به اسواق البلاد والمنادي ينادي
فيه بيد بولايته وذلك يوم عاشورا من سنة اربع وثمانين واخذوا في استجلاب
الناس اليه ببذل المال والرفق بالرعية فجعل مراد باي الجموع من الاعراب
فاجتمع اليه منهم عدد كثير فنهض بهم الى الحضرة وقدم امامه مقدمة فاغارت

على ظاهر الحضرة واخرج محمد اغا خيلا لقتالهم ودفعهم وانطلقت الحرب بينهم
اياما ووجه على الحاج علي لاز ومحمد اغا طائفة من اولاد سعيد والمثاليث
وغيرهم من الاعراب فاخرج محمد اغا محاربه بالملاسين وبذلك سميت الوقعة
بوقعة الملاسين فكسر محمد اغا ايضا وزحف اليهم مراد باي فنزل فتبع
محمد اغا الى قتاله فسلامنه فنهض اليه بمن معه من العسكر والعرب واخرج
معه عدة مدافع وركب اليهم مراد باي والتقى الجمعان على عقبة الجزار ولم
يكن الا بمقدار جزرة جزور حتى وقعت الهزيمة على محمد اغا وجنوده وتبعهم
جنود مراد باي يقتلون ويأسرون وقتلوا منهم مقتلة عظيمة واخذوا
ما معهم وامتعتهم ومضاربهم وذلك يوم الخميس الثامن عشر من صفر ودخل
محمد اغا الحضرة منهزما مكسوبا الى الاسر ولجأ بالقصبة مع الحاج علي لاز
ومن انضم اليه فاصبح بابها مغلقا فارسل مراد باي الى شيخ العسكر بالامان
وامرهم ان يولوا الحاج مامي جمل رايس فلبسوه بالديوان يوم الاحد فلما
تولى ارسل الى الحاج علي لاز ومحمد اغا ومن معهما ان يخرجوا من القصبة
بالامان فخرجوا فبعث بالحاج علي لاز الى الحمامات وقتل بها وانتقل محمد اغا
وبعض من معه الى المغارة الاستاذ في محمولة ابن خلف رضي الله
عنه ليتحصن به فلما راوا ان ذلك لا يغني عنهم صعدوا الى منارة المسجد
وقاتلوا منها من ... فاحيط بهم وقتلوا عن اخرهم ودخل مراد
باي الحضرة وتتبع اعداءه فاستأصلهم قتلا حتى ابادهم واستصفى اكثر
ما نهبه دوره ومنازله ومن ذلك اليوم استقل مراد باي بالامر وتملك
الحضرة وكان من داخل الحاج علي لاز في امر الفتنة ابو القاسم الشريف
شيخ جبل وسلات فلما ظفر مراد باي خافه على نفسه فتمنع بجبله

كابو يحيى بيه

فأرسل

فارسل اليه مراد باي يرغبه ويرهبه فنهض اليه اول سنة خمس وثمانين فنازل الجبل
وامر بقطع اشجاره وضيق عليه والح عليه بالحصار الى ان دخله عنوة يوم
الخميس الثامن من المحرم سنة ست وثمانين والف ولما رأى ابو القاسم الشوك انه
ماخوذ قال بيدي لا بيد عمرو فقتل زوجه وفرسه امامه ثم قتل نفسه
فقطع راسه وجيء به الى مراد باي فارتحل راجعا الى الحضرة فلم تطل
ايامه بعد ذلك فتوفي ليلة الاثنين لخمس بقين من جمادى الاولى من السنة
بقصره بباردو المعمور ودفن بتربة والده رحمه الله تعالى وترك ثلاثة
بنين محمد باي وعلي باي ورمضان باي

ولاية محمد باي بن مراد باي بن حمودة باشا بن مراد باي

لما توفي مراد باي كان ابنه الاكبر محمد غائبا عن الحضرة بالمحلة
الصيفية فاتفق الملأ على ولايته فارسلوا جماعة من اعيان الديوان بالكسوة
الخلعة فبايعوه بالمحلة فاستقل راجعا بجيشه ورجع الى الحضرة فلم
يلبث ان اغرى عليه محمد الحفصي اخاه علي باي فطلبه الى كرسي الولاية
وكلم في ذلك الاعيان من اهل الراي فركنوا اليهما وكلموا محمد باي في ذلك فغضب
وامتنع فارسل اليه ثانيا جماعة انطلقوا جميعا الى الديوان ليقع
الاتفاق من اهل العقد والحل على راي يتبع فنظر محمد باي في امره
فلم يجد معه عصبية تمنعه مما ارادوا فلم يسعه الا الاجابة لذلك
فعقدوا مجلسا يوم الخميس لاربع بقين من رجب من السنة وحضر لذلك اهل
الديوان اجمعين وحضر معهما عمهما محمد الحفصي وقد درس الى علي باي ان يقول
انا واخي كلانا صغير لا يصلح للولاية وكان الواجب ان نبايع لعمنا محمد

الجعيدي فتجوا حتى بالامر منا وقال له اذا فعلت ذلك وصار الامر اليّ فانا
اسلمه اليك فما فلا يفي وكان يتمنى حياة والده فلما مات الدعي باي
رضيه الملا من اهل الديوان كلهم واتفقوا عليه فخلعوا محمد باي وولوا
محمد الجعيدي

ولاية محمد الجعيدي بن محمود باشا

لما بويع بالديوان ركب بشعار السلطنة ونفذت اوامره الى الاقطار
وجمع الصبايحية الطلاق وانف لذلك محمد باي فخرج من الحاضرة هاربا بجماعة
من علمانه يوم السبت ثالث عشر شعبان من السنة فانتهى الى الكاف وبعث خلفها
بالطاعة اهلها واخذ يحشد الحشود وجمع الاعراب لقتال عمه فلما بلغ
ذلك الجعيدي اراد ان يخرج بمحلة لقتاله فلم يتم له ذلك وتثاقل عليه العسكر
لانه جلهم متجانب عنه الى جانب محمد باي واضطربت عليه الامور فاحتمل
[illegible] فاشهد على نفسه بالخلع وارسل الى ابن اخيه يخبره بانه خلع
نفسه وسلم الامر اليه ويطلب منه ان يعود الى حضرته وبعث اليه
بذلك مع جماعة من اعيان الديوان ومن الفقهاء والصلحاء فلما اتوه
واعلموه بذلك اجابهم الا يعود الى الحضرة حتى يخرج عمه منها فلما بلغ
ذلك الجعيدي خرج الى مرناق لليلة بقيت من شعبان فاقام بها سبعا
فخرج اليه الباشا ورجا ان يجيب محمد باي الى ذلك وارسل معه معتقي
الحضرة ورجالا من الكبراء الى محمد باي ومعهم الخلعة فكسوه ورغبوا
منه ان يعود معهم ويبقى على عمه ما صدر من الاذى وجه من الحضرة
فلما سمع بذلك الجعيدي ايس وخرج متغربا في اثنا عشر من شهر
رمضان وركب البحر واقام من حلق الواد فبعد ذلك اقبل محمد باي ودخل

الحضرة

الحجة لليلتين بقيتا من الشهر وخرج اخوه علي باي لتلقيه فتلقاه فيحوم
بترجله وقبل يده وركبته وهو معرض عنه وامر بالقبض على بعض خواصه
فتعلق به وامسك بحجزة ثوبه فانتزع كرها وقتل وهو يشكي الى ابيه ثم عقد
محمود باي ديوانا يوم الجمعة ثاني شوال بباردو ولم يتخلف عنه احد من
الاعيان وجددوا له البيعة واستحلفهم على الطاعة واخذ عليهم ان
لا يقبلوا احدا ولو صدرت فيه الشفاعة من قبل السلطنة العلية فحلفوا له
واعطوا صفقتهم على ذلك ثم انفض الموكب واخرج اخاه عليا الى مرسى قرطاجنة
والزمه السكنى بها ثم خرج بمحلته اوايل ذي القعدة وفي هذه السنة وقع الطاعون
فتوفي فيه حسين باي بن محمود باشا فامر علي باي بشهود جنازته من مكانه
بالمحمدية فلما فرغ من دفنه الزمه عبد الملك القار ان يرجع الى مكانه ومنعه المجي
بالحضرة ثم انه داخل خاله احمد بن يوسف داي في الفرار الى المغرب وكان احمد كثيرا
ما ينزل جوار جده على العقبة التي بناها ابوه فوافقه على ذلك وركبا البحر
ومن لا يعرفونه وسارا منها الى صاحب قسنطينة داي باي فاظهر الانس ورفع لهم
علي وخرج له عن وطانه بلا فيه ثم ان احمد بن يوسف داي توجه الى الجزائر
مستنجدا بصاحبها فمات بها بالطاعون وبقي علي باي بنواحي قسنطينة
وداخل الشيخ سلطان بن منصور شيخ الحنانشة فزوجه ابنته
ام ابنه مراد وجمع له جموعا من الاعراب واقبل بهم لقتال اخيه
فاضطرب لذلك الباي وبينما هو كذلك اذ ورد عليه الخبر بان عمه محمد الحفصي اولاه
السلطان محمد خان باشا بتونس وجهز معه عسكرا في سبع مراكب وارسله
اليها وسبب ذلك ان الحفصي لما خرج فارا من اخيه من تونس وركب البحر حلق
الوادي كما مر نزل على راس المجبر من عمل طرابلس وارسل اليه ناسا من وجوه

اصابه بيه طايفة عظيمة من الجند يتلقونه فلما دخل عليه الى مدغاية الاكرام
وبعث الى ابن اخيه يشفع له عنده في رجوعه الى الحق فلم يشفعه ففارق
طرابلس وركب البحر الى ارض الروم ودخل القسطنطينية فتطارح على الوزير
الاعظم الفاضل احمد باشا ابن الوزير الفاضل محمد باشا الكبرلي فاكرمه وعين
له مقامه وادخله على السلطان محمد بن ابراهيم وكلمه مشافهة وخلع عليه
واولاه باشا بتونس وجهزه اليها كما ذكرنا فلما بلغ الخبر الى محمد باي عقد ديوانا
فجمع الى بيونته مشهوري الراي منهم جل العلماء واكابر الديوان واهل الدولة
فاتفق رايهم على طرده ورده من حيث اتى وارسلوا الى القلاع والمراسي التي
على سواحل البحر يامرونهم بمنعه من النزول ان اتاهم فلما ورد عليهم ردوه
واذنوه بالحرب فرجع من القسطنطينية يده على عموده وكتبوا الى السلطان
يعتذرون اليه ويعلمونه انه غير صالح للولاية لما يصدر عنه من الامور
الفضيعة وارسلوا بذلك جماعة من الاعيان منهم الكاتب ابن عبد الله
محمد بن ايوب خوجه فلما دخل على احمد باشا الكبرلي اقبل عليه ورفع
منزلته لمحله من الذكاء وحسن البديهة ورد له محمد الحفصي من اعتقاله ليلا
وعلم بذلك احمد باشا واهل الحفصي وانحصر وبقي مقيما بالقسطنطينية
و[illegible] بغية خبره ثم ان علي باي زحف بمن معه من الجموع التي جمعها له
الشيخ سلطان بن منصور والتف عليه كثير من العرب واقبل الى وصلات
فاطاعوه واجابوا دعوته وارسل تابعه القايد مصطفى سنيبو الى
ناحية باجة فاغار على محلة للصبايحية من محال محمد باي بمدان في يوم من جبل
عمدون فاخذها وورد من ذلك على محمد باي ما اقلقه فخرج حتى على الى باجة
وكان خوجه بعد انفصاله من الديوان الذي عقد بجامع الزيتونة فاسر

احوالها وسار الى وسلات فنازله وحاصره من جهاته فارسلوا اليه بطاعتهم
وجعلوا له شيا من المال يرضونه به فلم يقبل منهم الا ان ينزلوا على حكمه
فامتنعوا فارسل الى الخوجة يامر بارسال المدد من العسكر فخرج المدد
من العسكر فخرج العدد ثاني شوال من سنة سبع وثمانين وعاد هو الى الخوجة
وتوثق من بها من رؤسا الاخبار واخذ عنده معهم ثم رجع الى محلته وفر
ذلك بعض من الجنود والاعراب فنهض بهم الى الجبل وصعدوه من جهات
متعددة واخذ علي باي في ناحية من نواحيه في طائفة من جمله
وقد اعد كمينا عليه مصطفى سبنيول اسفل الجبل فلما توسطت جنود
محمد باي في الجبل وظنوا انهم اخذوه اثار مصطفى سبنيول بجيشه على
المحلة ونهب بعضها وتناوش القتال من بقي بها من الخامية ورموه بمدافع فلما
سمع المتورطون في الجبل اصوات المدافع خلفهم في محلتهم وجلت قلوبهم
وولوا الادبار منهزمين لا يلوي احد على احد وتبعهم اهل وسلات فكادوا
ان يستاصلوهم قتلا وقتل كثير من رؤسا الجند وقتل كاهية محمد باي القايد
محمد بن علي ونجى محمد باي الى محلته وقد جعل عنها مصطفى سبنيول بعد
ان كاد يقع في ايدي العدو فبات بها وارتحل من الغد الى القيروان وكان
ذلك في ذي القعدة وارسل الى الخوجة يطلب المدد فامدوه بمحلة ثالثة
فلما بلغ القيروان جرد منهم محلة وارسلها الى الجريد لاستيفاء مجابيه لنظر
محمد رايس طبان ثم بلغه الخبر ان اخاه علي باي نزل من وسلات واقام
بسبسة في قل من جموعه فانتهز الفرصة وغدا من القيروان فلما التقت
خيله على علي باي ركب فيمن عنده فاغارت خيل محمد باي على مضاربه واخذت
في النهب فحمل عليهم حملة منكرة فانقشعت عن قتيلهم ومر محمد باي الى الكاف

وَلما رءا عسكر الرجل من الترك الذي بها على خيلهم اجمعوا بنصب اخبيتهم
وتحصنوا بها فارسل اليهم علي باي يامرهم بالرجوع عن انفسهم خوفا عليهم
من جواد والعرب وسكن الحرب وارسل الى المحلة بالامان وطيب خواطرهم ثم
استولى على جميع اسباب اخيه وذخايره وحملات ابيه من معه وكان ذلك
يوم عيد الاضحى ثم ارسل طايفة من ثقاته الى المحلة الى بير وضع هودها واستوعبت
المجابي باسمه وارسل بالخبر الى الحضرة وطلب منهم الدخول في طاعته فارسلوا اليه
جماعة من العلماء منهم الشيخان الفقيهان ابو العباس بن يوسف ابن درغوث وابو عبد
الله محمد بن قتاته واكابر الديوان فبايعوه

ولاية الامير علي باي بن مراد باي

لما رجع بالمحلة كان اول ما انتصب بينه وبين عمه رامي جمل واول الحاج محمد بيشارة
داياً واعاده الى الحضرة فارسل بيشارة داياً واعاده الى الحضرة فارسل بيشارة
ملي جمل الى مقام الشيخ ابي الغيث القشاش ووكل به من يحرسه
ولحق من بيشارة طيش في احكامه وكان يتقن بالسياسة فنزل الاعلام
يكن عندنا الخبر الا انه نزل جهة كريب خدمة علي باي ثم ارتحل علي باي بالمحلة فنزل
الفحص واستجمع عساكره وامر داتي له من الحضرة بمدافع ونهض الى الكاف فنازلها
وقد خرج عنها اخوه محمد باي وركب عليها المدافع وضيق عليها الحصار فراسل
جماعة من العسكر الذين بالمحلة محمد باي واستحثوه للقدوم عليهم ووعدوه
ان يمكنوه من المحلة فلما اتاه الخبر اسرع اليهم ودخل الكاف ليلا وتردد الرسل
بينه وبين اهل المحلة فعله التردد حتى استوثق منهم فخرج اليهم وادخلوه
الى المحلة فاستولى عليها اواسط صفر سنة ثمان وثمانين وكان علي باي مستغفلا
منهم ذا الاعلام ينزل معهم وانما نزل المحلة الاصلية فلم يشعر الا والمدافع متوجهة

من المحلة يرمونه بها والغارة شنت على اهل محلته التي هو بها بسفح يدل
وارتحل من ورثة لمحلته تلك الى ابي يرقاتي فبعثه والمحلة التي يديره عليها ولا علم لاحد
بالجهة بعضها اليه وارتحل متوجها الى الحضرة والتف عليه في طريقه كثير من العرب
مثل دريد واولاد سعيد وورد عليه الشيخ احمد بن نوير في جمع من المحاميل
بالابل في جموع كثيرة فلما انتهى الى البعى وان فيه واطاعته وقاتلوه فارتحل عنهم
ونزل بالبعد واما محمد باي فانه لما استولى على المحلة والطاعة العسكر ارسل الى
الحضرة يعلم بالبشارة واعاده ماعي جل فافرح بالبشارة من القصبة واستغنى بها
ما جرى وذكر بشارة ما صنع معه من الجميل ولم يغن عنه ذالك فارسله الى راس
الجبل وبعد ايام قتله بها وفي حق طايفة من علماء الحضرة والجالبين لها الاصلاح
ذات البين بين الاخوين فترددوا بينهما مرارا ورجعوا بخفي حنين ولما نزل
علي باي بالبعد كما قدمنا اقبل اليه اخوه محمد باي وجموع كثيرة ومعه
شيخ الحنانشة الحاج ابن منصور فخاف علي باي من عسكر المحلة التي
معه ان يفعلوا معه كفعل اصحابهم بالامس فارسلهم ان يرجعوا لمحلتهم وقال لهم
اقيموا هنا فان كانت لي رجعتم الي والا رجعتم الى طاعته فحلفوا له فلم
يقبل منهم فارتحلوا عنه ومر محمد باي في سيره حتى انتهى الى البعد فالتقى
الجمعان واقتتلوا قتالا شديدا فكانت الدائرة على محمد باي فانهزم واستولى
علي باي على محلته واستولى على محلة العسكر وهي متوجهة لم يغادر منها احد
لان الجيد انما كانت من الخيالة فقتل اكابرها وارسل الى محلة ابن عون فانضمت
اليه واول امرها محمد كاهية دايا وكان ارسل قبل ذاك الاغا يده مصطفى سبنيول
الى الحضرة منزل بالجبل الاخضر وارسل يعني لماعي جل واستشار مع الاعيان
من يولي دايا بموقع اختيارهم على اذا احمد وهو من اكابر العسكر طاجب

قوة وجال حسنة فلو لم يحصل تمنع شديد وأرسل مصطفى بن بيول الخبر مع جماعة
من الفقهاء على باي بن الأحمر فوجده قد ولى محمد طاباق وأمضى على باي
أمر طاباق ووجهه إلى الكاف إذ أن أحمد خرج من القصبة وورد طاباق
الكاف فاستولى على دار أحمد فيها فكان ذلك سبب ثبوته وقتل
إذ أن أحمد وقتل على ما مر جال فلما وصل على باي بالمحلة قتله وانتخب طاباق
أربعمائة من العسكر فجمعهم في ديوان وسماهم بالخلفة وجعلهم معه بالقصبة
حامية له وهو أول من اتخذ بتونس وفر جماعة من العسكر المتهمين بالميل
إلى محمد باي وكان شهما شجاعا ذا غلبة وعلو في أحكامه ثم ارتحل علي
باي من العسكر إلى باجة بالمحلة الصيفية لاستيفاء جبايتها ووقعت له
وقائع مع العرب الشابيين والحنانشة وفي به ودريد ملتصقين الشيخ
سلطان ابن منصور من بعض زحوفها وأوقع بهم أخي زحوفه بالشابيين على
وادي تاسة وامتلأت أيدي جنوده من أموالهم واستوفى جبايته ورجع إلى
الكاف منصورا وفي ح الشيخ أحمد بن نوير إلى بلاده بعد أن أحسن
إليه فلما قرب من الحامة لقي طائفة من شيعة محمد باي فقتلوه ثم خرج علي باي
من أول شهر رمضان من السنة بمحلته الشتائية إلى الجريد فبلغ القيروان
وحاصرها ورماها بالمدافع فبينما هو محاصر لها إذا الخبر أن محمد باي
دخل الجريد وفر الطاعنة قفصة واستولى على كثير من بلادها فنهض إليه علي
باي فشاركها من أمامه إلى الزاب فتبعه عدة مراحل ورجع فاستوفى جبايته
ونازل قلعة قفصة فافتتحها وارتحل راجعا إلى الكاف ومن وقع الإرجاف
بها بموته وخرج البعض نحو محمد باي إليها ثم خلعها قبل وصوله في جمع عظيم
فأطاعه ونزل باب السويقة وأمر طاباق بغلق أبواب المدينة فأمر محمد باي بجوفها

وهم المريضة وبعد ان انتهت هذه الواقعة بوقعة حي ن الابواب فدعى طابان
العسكر الى الدخول معه للقصبة والتحصن بها فامتنع من ذلك اكثرهم ميلا
الى محمد باي فاغلق باب القصبة بمن تبعه منهم وكان جملة من بها العسـ(كر)
وثمانية معاقل ودخلها معه القايد مصطفى بنبيول واولاد محمد باي حسنا وافيلي
داي والحج باحطار على القصبة ونال منها مواضع بالانعام وقبض على جماعة من اعيان
البلد واخذ منهم اموالا وقبض على الشيخين الجليلين ابي عبد الله محمد قنانة وابي
العباس [illegible] درغوث واعتقلهما بالجبل الاخضر فبقي ابو عبد الله محمد قنانة
من معتقله وسلمه الله تعالى وقتل الشيخ درغوث ثم بلغ محمد باي ان
اخاه علي باي اقبل اليه فمشى اليه من الحج بن فترك حصار القصبة واخرج محلة العسكر
وسار لتلقيه فجرا وقام على تونس اربعا وعشرين ليلة والتقى الجمعان
بالفحص فلما تقابل العسكر ان امتنعوا من القتال ونبذوا اسلحتهم واختلطوا
معا ان كان واحد من الاخوين عسكر عن ربه فمضى كل واحد منهما الى ناحية
فذهب علي باي الى سوسة وكانت في طاعته وتوجه محمد باي الى الكاف وارسل
اليه داي حسن [illegible] ورده واغلق له الابواب على [illegible] واستولى
على المحلتين وارتحل بهما الى حصار اخيه بسوسة وذلك في اوايل المحرم من
سنة تسع وثمانين وكان طابان لما اقلع محمد باي عن حصاره وارتحل في
القصبة وتحكم في البلاد وكان معه مصطفى بنبيول [illegible] فلما بلغه فرار
[illegible] الى سوسة خرج اليه في اربعماية [illegible] من الصبايحية [illegible] وفر اكثر
عليه من معه من العرب [illegible] الى [illegible] ان تتهزم العرب
في العدو وتاخرهم على حسن [illegible] الطبي وامالا منها جهة [illegible]
على باي وقصد اخاه فالتقى الجمعان بالسواحل وكان محمد باي فرق [illegible] على

محارة

غير ما فنادى بالرحيل فأشار عليه الباي حسن صافسلي بالمقام فخوفوا من الهجوم
عليه فأبى عليهم فأبى إلا الرحيل فبينما هم في جمع أثقالهم للرحيل إذ دهمهم علي باي
فهزمهم هزيمة شنعاء وقتل من العسكر مقتلة عظيمة وقتل حسين صافسلي
وأرسل برؤوس القتلى إلى الحضرة فوضعت بمحلة القصبة وأرسل إليه أهل القيروان
بالطاعة وطلب الأمان فأرسل ونزل في باب منها وأمنهم وكر راجعا إلى الحضرة وقد اعتراه
مرض وأعلموا في جمعون بموته فدخل داره مريضا وهو في جمع أيام في كتب أهل القصبة
وأطلقت المدافع وهنأه أهل المدينة ثم خرجت محلته الصيفية فوردت على الحضرة
في مغيب عمه محمد الجيجي باشا من قبل السلطان محمد خان رحمه الله تعالى فدخلها
بشعار السلطنة في هيئة عظيمة لم ير الناس مثلها وكان دخوله إياها
في أواخر شعبان من سنة تسع وثمانين وحل علي باي الأوبة ليلا في جمعه ومن معه
وهناك ثم خرج بجملته إلى حطار المنستير وكان أهلها قد دانوا بطاعة محمد باي
من أول الفتنة وكذا الأجبصا فسر والقيروان والكاف فوقعت في مغيبه
وحشة بين الباشا محمد الجيجي والباي محمد طاباق وسببها أنه ورد على الحضرة
الأمر من قبل الحضرة الخاقانية بتولية أبي الإدلاء لبعض قلعة شهران من قبيلة بعد
أيام وفي أواخر يوم منها أمر الباشا الجيجي ثلاثة أيام بحضور الأمر من طاباق
فنعى الوزيفة فنقضت في ذلك اليوم ثم نادى منادي طاباق باجتماع العسكر
بمحلة القصبة فاجتمعوا فقام فيهم وقال لهم ما تقولون فيمن يجري في الفساد فقالوا
لا حاجة قال إن محمد الجيجي يريد هذا وأشار إلى القصبة كناية عن إرادته
الاستقلال فقالوا لا حاجة لنا به وانفصلوا على ذلك فلما سمع الباشا بذلك
خرج من وقته إلى رأس الطابية وعلي باي بحطار المنستير ثم بلغه أن أخاه محمد باي
قد نزل من خارج خيمته في جمع عظيم فأسرع إليه ليلا يعيث في الإبلاد فأجفل

الى الجهة ودخل علي باي الى الجريد فلما استوفى جبايته ورجع الى الحاضرة فلما قاربها
خرج اليها المحلة وعدل بخيوله ناحية الغرب داعيا لاخيه عند دخول العمالة
فاقام بناحية باجة فبلغه ان اخاه دخل توزر وانتقضت عليه طاعته وبنى بها
حصنا فارسل محلة الشتاء مع كاهيته الغائر مراد فحاصر توزر وافتتحها
عنوة وهدم حصنها واستوفى الجباية ثم ارتحل علي باي الى الجريد فقرر
احوالها وارتحل منها فاقام بالزواوين وارسل الى الحاضرة بامر باخراج محلة
الصيف قبل اوانها فاجتمعت عنده المحلتان وتوجه بهما الى منازلة الكاف
فنازلها والح عليها بالقتال وبعث اليه لطاطف بالمدد ووقعت بينه وبينهم عدة
وقايع انهزم العسكر في احداها هزيمة شنيعة فلما اتصل الخبر بطابنا في
نادى في العسكر للمرة لمن لم يخرج الى الكاف فاوعب العسكر اليها ولم يتخلف الا
القليل واشتد الخطر في القتال ثم اقلع عنها علي باي لتسع خلت من جمادى
الاولى سنة تسع وثمانين وفي اول رجب من هذه السنة خرج محمد الحفصي الى الساحل
مغاضبا ثم انتهى الى القيروان واتبعه عليه اولاد سعيد وغيرهم واجتمع
لمحمد باي وكان معتصما بها فصالحا بينهما واتفقا على كلمة واحدة
فارسل علي باي الى الحاضرة في جناله محلة وحشد جموعه وسار اليهم
فالتقوا قرب القيروان فلم يقتل الا قليل واحجروا وانفضت جنود محمد باي وعمه
فرجعا منهزمين الى القيروان فاستغفر بها الحفصي وخرج محمد باي الى المنستير
فنزل علي باي على القيروان وطلب منهم تسليم عمه اليه فمطلوا اياما واياه
فارسل اليه كاهيته الغائر مراد وكاتبه عمر الى حرز حلفا فلما انتهيا به
الى باب القيروان بعد واستصرخ اهلها بتحركهم حميتهم وانفوا من اخراجه
من بينهم فانتزعوه واغلقوا الابواب فارتحل علي باي ونزل على المنستير

فحاصرها وضيق عليها وبها اخوه كما ذكرنا ومعه اولاد هبير فلما اشتد بهم الحال
وهلكت ابلهم ومواشيهم ارسلوا اليه ان توقف عنا قليلا ليمكننا الانحياز اليك فخرج اليه
منهم وحكى اجار تخلوا ونزل على سوسة فاقام عليها وارسل اليه اهل صفاقس بطاعتهم
فارسل اليها من ضبطها ثم بلغه الخبر ان صاحب الجزائر حسن باي قد اقبل
لمحلته الى بغية فازعجه ذلك وارتحل اليه في عملي الفى وان قد اغلقوا
الابواب دونه فلم يعرض لهم وسار الى ان دخل الجزائر [illegible] ونزل قرب محلتهم
بالسي ثم تنزل في بيامنهم وارسل اليه اهل الكاف بطاعتهم فسره ذلك وتحقق
عنده ان صاحب الجزائر انما اتى لاصلاح بينه وبين اخيه وعمه فارسلوا
الى محمد باي يقدم من المنستير والى محمد الجعيص يقدم من الكاف واجتمع
ثلاثتهم مع صاحب الجزائر فعقد بينهم الصلح على ان يكون المحلة لعلي باي
ويكون محمد الجعيص باشا بمقتضى امر السلطان وان يستقر محمد باي [illegible]
بالكاف وان دار بها وجعل ابنه احمد رهنا تحت يد اخيه علي باي بمحلته
ومعه محمد الى الحضرة وبعد ايام قليلة جهز لها باي ثلاث مراكب للشيخ
ببلاد الروم فلما تم جهازها ارسل الى محمد الجعيص واركبه اياها منفيا
ولما بلغ غار الملح خرج علي باي كالمودع له فسلبه جميع امواله ولم يترك
له شيئا حتى انتزع خاتمه من اصبعه والزمه طلاق زوجته ابنة عمه
الى حمزة باشا فطلقها وسار الى ان بلغ [illegible] قندية ورجع الى الكاف
سنة تسعين وكان علي باي لما وقعت القضية بينه وبين الجعيص كتب الى السلطان
خفية يشكوه ويذكر سوء سيرته فاتاه الجواب بالاذن في نفيه ولم يزل
بارض الروم الى ان توفي في شعبان سنة سبع وتسعين [illegible] تابوته
الى تونس فدفن في تربة والده رحمة الله عليه وكان علي باي قد بعث

عليه

عليه رواتب للعسكر لم يدفعها لهم لعدم المال ايام الفتنة فلما كان شهر ربيع
الاول من سنة احدى وتسعين دفع لهم رواتبهم وبقي عليه زايدا لم يدفعها
لهم فلما كان يوم تبديل الاغا بالديوان اول شهر ربيع الثاني دخلوا الديوان
واخرجوا الاغا وخلعته جابيا وقالوا له انت كبيرنا فاستوف لنا رواتبنا
واخذوا اسلحتهم فجابهم طابان واغلق باب القصبة وتحصن بها وارسل
الى علي وهو غايب بالمحلة فاسرع اليه ودخل باردو واوفى للعسكر ما بقي
لهم من رواتبهم وفتح طابان القصبة وسكن الفتنة واقبل اهل الحاضرة
لتهنيته وذلك من قولهم له الحيلة التي اطفى نار هذه الفتنة فاجابهم
انما يطفي نارها ابريق ماء من كل دار كناية عن المال ثم وضع عليهم الغارم
واستوفاها منهم بعنف تدبير ثم ان علي باي تنكر لطابان وعزم على قتله
واحس طابان منه بمبادي الشر فلما كان يوم عيد الفطر من سنة ثلاث
وتسعين تاخر طابان عن الوصول اليه على ما جرت به عادته فقلق لذلك
علي باي وارسل اليه من الخيل الغاير مراد فطلب له وحده عن الوصول
اليه فخرج من القصبة بجوانبه ولما توسط الطريق بين قبر نس وباردو اجاب
علي باي بينه وبين قبر نس خشية ان يعود اليها فلم ينفع طابان لذلك
وانتهى الى باردو فلما دخل اغلق الباب دون اصحابه وجوانبه وجمعوا
واخذ طابان فسجن بضعة عشر يوما ثم اخرج منفيا الى غار الملح في جماعة
من الديوان فلما انتهوا به الى راس الطابية عدلوا به الى بستانها فخنقوه
ولما قبض علي باي ارسل اخاه رمضان باي وكاهيته مراد الغاير وجماعة
من اتباعه الى اغا القصبة احمد شلبي فخلع عليه وولاه دايا مكان طابان واطلق
المدافع وهرع اهل الديوان واعيان البلاد لتهنيته وكان شهما شجاعا

مصيبا في رأيه وتدبيره وحسن سياسته وفطرته في الناس سيرة حسنة حتى فسد
ما بينه وبين علي باي

ذكر ثورة أحمد شلبي

كان السبب في ذلك أن أحمد شلبي منذ ولي لم يتميز عن علي باي من أجل فتكه
بالطاق مع شرف ما جعلته له ووزاده، فبلغ عنه أنه كان يدعي الانتصاف للمظلوم
من الظالم وكان حشم علي باي وخدامه قد أفرطوا في الظلم وتجاوزوا الحد
في الجور ولم يكن لهم زاجر ولا ناه، فكان أحمد شلبي يسوءه جدا ما يصدر منهم
من الجور والظلم ولا يقدر على الانتصاف، واخفى ذلك منهم لدانهم من طبعهم
بعسرته لزال لا ينتبه إلى أن صدرت من أبي خليفة بن زاير الورغمي فعلة
شنعاء منكرة وهي أنه كان على رأس الجبل بلد فيه غابة فحمي عليه بعروس قرب ابتداءها
اقتحمها من بين أهلها وأبقى عندها وافتك بكارتها وأرسلها، فاشتكى عليه أهلها
أحمد شلبي وأتوه مستغيثين، فكأنه شفي بهم، فأرسل إليه من جاء به
فسجنه، فقام أبوه خليفة بن زاير وكلمه في شأنه فلم يجبه، وأغلظ له في
القول إذ لا إنكار له من طاعته، وكان فيما قال له إني أنا وولدي لسنا تحت حكمك
وإنما نحن تحت الملك صاحب البلاد علي باي، فغضب أحمد
شلبي غضبا شديدا وأمر بخنق الابن بحضرة خليفة بن زاير في سطحه
واعتنائه بالقول واشتطاط الرأي عنفا وأمر بخنقه أيضا مع ابنه فخنقا
معا في الحين وألقيا بسطح القصبة، وكان ووقع ذلك وعلي باي
غائب عن الحاضرة بمحلته، فورد على الناس ما لم يكن في حسابهم، وركب من
كان بالحاضرة من أصحاب علي باي ولحقوا به وفيهم مصطفى سبنيول
فأخبروه بما صدر من أحمد شلبي فعظم عليه جدا وغضب غضبا شديدا

وزجر

ورجع الى الكاف في خمسة وعشرين من الغبار لانه استشعر الخلاف من احمد
شلبي فكان كما ظن وتبع اهل الحضرة كلهم احمد شلبي والطامعين لما كانوا
يخافون من ايقاع علي باي فنزل علي باي بجنوده الجزيرية وحاصر الحضرة
ووقع القتال بينهم الى نصف ولما راى احمد شلبي كثرة اجناد علي باي ارسل
الى اخيه محمد باي يحذره من البغي وان يستنهض في بلده البلاد
بادعي ابيه محمد باي وارسل له مددا فتسرع من الاعراب نحو علي باي
عن الجزيرية بعد محاصرة تسعة ايام ونزل على ارباضه وامر نحوا اليه يتوفون
ومن الغارة وقتل من ظفر به وكانت ابله صالية ترعى في طاجنة
في جيش عظيم من الحضرة ومعهم اولاد سعيد فلما خرجوا الابل ورجعوا
فلما كانوا بالحضرة ادركهم علي باي فقاتلهم قتالا شديدا وقتل منهم طايفة
شنيعا واسترجع ابله منهم ومات خلق كثير من الجانبين واشتد على اهل البلاد
ثم قدم محمد باي من البغي وان فعل احمد شلبي ديوانا اجتمع فيه اهل العقد
والحل وبايعوا محمد باي وخلعوا عليه وبالغ في حب اخيه ودام القتال
بينهما اياما وفي خلال هذه الفتنة قتل علي باي احمد بن اخيه محمد باي
الذي كان مرتهنا عنده من امر الطبيب بفصده وترك الدم يسيل الى ان
فاضت نفسه واتى بها شنعا منكرة ثم ورد الخبر عليه بان محلة الجزاير
اقبلت مددا لاخيه واحمد شلبي فارتحل عن الحضرة ينهب وياخذ ما
وجد امامه ومعه كثير من عسكر المحلة التي معه الى ان انتهوا الى الكاف
فجعل فيه معمود لذى مرادا واخذ رمضان وما يعز عليه من ذخايره بقلعتها
وترك فيها جيشا لحمايتها لثقل الغاير وخرج في طاف ومعه مصطفى تبيول
وابن موسى في فرار وتبع القوم المحلة بمحلة الذات في نحو محلة الجزاير وقتل

نزلت في بياضه وناوشهم القتال فلم يخرجوا اليه ولا قاتلوه فبينما هم كذلك اذ
اقبل محمد باي بمحلته ونزل على محلة اخيه ايدوا اختلط بهم وصارت المحلتان
محلة واحدة وكتب علي باي لعماله على عادته فتركوه الا ان كاداه في الا
محلتهم وخالفوه الى محلته فاخذوها فذاقت عليه بيته وذلك اواخر جمادى
الثانية سنة خمس وتسعين فانتهى الى قفصة فمنعه اهلها من دخولها
ودافعوه عنها فرجع عنها ومرت جبل الفكار وطمعوا فيه فتخلص
منهم الى صفاقس بعد خلدا ومرض بها مرضا شديدا ثم احدر من اهلها
براخلة احمد شلبي مريضا مرضها فسلم وركب البحر الى سوسة بعد خلها
في شوال من سنته واقام بها من مرضه واما اخوه محمد باي فانه لما لحق
بمحلة اخيه فكان من طبعي بعض اصحابه وارتحل باجي مرين معه فنزل على
الكاف ومنعه اهلها بطاعتهم وبقي اصحاب علي باي ممتنعين بالقلعة
محاصرهم بها من جميع جهاتها والح عليهم بالمدافع فلما ضيق عليهم
الحصار نزل اليه جماعة منهم فقتلهم اولا ثم جرهم في اذيال الخيل وهكذا من
ناحية من القلعة فلما تحقق وجد طي خاه انه ما خود جلس على برميل
بارود واحرق به نارا فطارت اشلاؤه مع العفلن والحجر وكان الذي فعل
ابن موسى حق بنادر وفي مصطفى سنيمون الخنجر واستولى محمد باي على
القلعة بما فيها وجيء اليه اخاه رمضان وابن اخيه مراد وجميع حرم اخيه
وارتحل باجي مرين معه الى ان نزلوا على الحصبة بالحبيبة وهي اول مرة نزلوا
على تونس وكان محمد باي عازما على ان يرحل بهم معه لمنازلة اخيه بسوسة
فوقعت بينهم وبين احمد شلبي وحشة كادت ان تكون فتنة وحاولوا
محمد باي على محاربته فامتنع ثم وقعت منافرة بينه وبين احمد شلبي ايضا

واتفقا

وأعقبها عقد الصلح بينهم وارتحل محمد باي من الجريدة فنزل مرناق وارتحل
الجريدية يوفون الى بلادهم والعداوة تدب بين محمد باي وأحمد شلبي وعطل المحلة
عن السفر لسوسة معه فلما تحقق محمد باي انه مانعه من البلاد طالب عن
الاستقلال بها ولم يمكن له به فبل ارسل الى اخيه بحدانه من سوسة يدعوه
الى الصلح قبل ان يقتسما البلاد نصفين واجابه الى ذلك ووقعت المقاسمة
على يد الكاتب الاعظم عبد الرحمن خلف وكان في قسم محمد باي باجة ووطنها
والقبلي وأوطانه والمنستير وفي قسم علي باي الكاف وعملها ووسلات وسوسة
وبقية السواحل وأرسل محمد الى أخيه في مهاجرته ضمن إليه من قلعة الكاف
صحبة ابنه مراد وأخيه رمضان معهم هدية حسنة وارتحل محمد باي من
مرناق وخرج أخوه من سوسة فالتقيا بينها وبين القيروان وطلب محمد باي من
أخيه تجهيز مائة خباء وادعى أن ليس عنده ما يقوم بذلك فعاتبه محمد باي
وقال له تملك البلاد سبع سنين ثم تعجز عن تجهيز محلة وترا صرفت الاموال في أغراض
أصحابك وجهزها من عنده وحشد الجموع من العرب وارتحلا فنزل محمد
باي بالمحلة بغدير السلطان على مرحلة من تونس ونزل علي باي بمرحلة
المعاوين على مرحلتين من تونس فخرج أحمد شلبي بمحلة لقتال محمد باي
وكان قد ركب البحر بفارس من الترك صبايحية ومعه طائفة من أولاد سعيد
والمسعي شيخ فيم تبعه ليلا فهجموا ليلا وهجموا
على محلة محمد باي على حين غفلة فأخذوها وفر محمد باي وفر من أصحابه
واستولى أحمد شلبي على محلته بجميع ما فيها واخذت حرمه وجيء به الى أحمد
شلبي وكان فتحا عظيما ولما بلغ الخبر اولاد سعيد الذين مع علي باي بالمحلة
غدروا طاعته وانتهبوا المحلة وتفرقت عنه جموعه وفر هاربا بنفسه وكان

وما قاتل الناصر الباي احمد شلبي واجتمع له من العرب جمع عظيم وكان له مملوك ذكي
حتى نزار له اسمه محمد منيوط فخلع عليه وجعله بايا واركبه بابهة الملك
ثم ان محمد باي واخاه حشدا الجموع ثانية وعسكرا بوادي العلم دون الغنى وان قد خرج
احمد شلبي المحلة لقتالهما تلقى محمد منيوط ومعه من العرب جمعا لا يحصى وعقد
محمد باي الجسور على وادي العلم فلما عبرتها جموعه قطعها ليلا فجاء احمد
معرا ورجع اليها محمد منيوط فدافعت الهزيمة على الاخوين واخذ جميع ما
كان لهما من خيل وركاب وسلاح وخيام وقتل من جنودهما خلقه واكثر ما كان
الهلاك عليهم من قطع الجسور وطار الخبر بذلك الى احمد شلبي فوصل اليه من
يومه وجيء بعشرة احمال من رؤوس القتلى فوضعت ببطحاء القصبة وسر
احمد شلبي سرورا عظيما وانتقت الهزيمة بالاخوين الى الغنى وان وعلما ان لا
لا طاقة لهما باحمد شلبي الا باعانة صاحب الجزائر وكان في جيشها في ذلك
الوقت ابن الحاج فوجه بارسال الى محمد بن شكر كاهية محمد باي يطلب منه
اخراج المحلة والتزم له بجميع ما تحتاج اليه وما يجبى به عليها وبال بروع اليه
فخرج ابن الحاج فوجهه بنفسه في محلة من الجزائر وخرجت معه محلة
قسنطينية لتكون طاعتها لمحمد باي فلما اشرفوا على بنفيسة سار اليهم
محمد باي واخوه وتعاقدوا على حرب احمد شلبي ونزلوا على الكاف ثم رحل
الاخوان ابن الحاج بجلادها واستنزلا طائفة من العسكر من قلعتها الحصينة
المنيعة واطلعوهما الى عسكرهما وعقد ديوانا على تولية نفعل باشي
دايا وذلك بعد وقايع وامور جرت بسببه فيها وطولها ولما بلغ ذلك الى احمد
شلبي عقد ديوانا بباب القصبة شهده الاعيان من الديوان واهل الحضرة
واتفقوا على طاعته والقتال دونه ودون انفسهم واموالهم وبعد ذلك

عقد

عقد ديوانا في جامع الزيتونة وجعل ضبعه من شهر الديوان الاول واحكم
العفو عنهم على ما عاهدوه عليه من قبل ورتب العسس في الابواب وعزم جنودا
من العسكر واهل البلد وابن اولاد سعيد على شاطئ البحيرة من الجلاز
الى العطارين ثم اقبل محمد واخوه كل منهما بمحلته واهل الجريد اي ومن كان بهم من
ابن عبد الاحمر باي بمحلة ثالثة مددا فنزلوا باجي ربة وكان ذلك يوم الاثنين
لست بقين من شوال سنة ست وتسعين وجاءوا تونس وادامو عليها
الحصار من هذا التاريخ الى اليوم العاشر من رجب سنة سبع وتسعين والقتال
مستمر فتراجعوا مع اهل تونس في هذه المدة بضعة وعشرين زحفا كان اخرها
بعاشورا الاول المردمين ادمه على اهل الحاير من بلادهم في البحر وفي شهر ربيع
الثاني من سنة سبع وتسعين ارتحلت محال الاخوين واهل الحاير من الجريدة ونزلوا
براس الطابية وركبوا البونبة على البلاد ورموا بالحطار ووضعوا على الحضرة
ووقع الناس من ضرب البونبة وبعد ذلك اخذ امر احمد شلبي في الاختلال واخذ
عسكره واهل البلاد في الهروب الى الاخوين وخرجت بنزرت وغار الملح
عن طاعته ودخلت في طاعة الاخوين وجاء محمد باي فقلعة حلق الواد
وضيق عليها ومنع المدد على الحضرة من ناحية البحر فاشتد الخناق على احمد
شلبي وقتل ابي الهاشم بن زاهية قتيسي الحج ابلسية في رجب ووقع
في منتصف جمادى الثانية وكان هو الذي امر احمد شلبي والقائم له بامره
وكان قد اغرى على اناس كثيرين من اهل الحضرة ورماهم بمظاهرة الاخوين ثم اخذهم
قتلا ونفيا وطردا بالخبر والفتنة وبصادر ارباب النعم واشتد الخطب بسبب ذلك
على اهل الحضرة حتى صاروا لا يتناجون ولا يجتمعون وافترقت عنه القلوب
ووقع عنه كثير من الناس الى المحلة وفيهم جماعة من رؤساء الاجناد الى كان يوم

الجمعة الثامن من رجب فارتحلت اولاد سعيد هرابا وانتهبت بيوتهم وفي ذلك اليوم هرب
الشيخ رمضان التدفلاسي فلام ابراهيم بن زاهية فتبعه جمع كثير وقاتلت انصار احمد
شلبي وتسارع الناس الى الاخوين واستمع اهلها اهل ربض فنو حمادو ونصبوا
السلاليم ودخلت طائفة من الجنان الى الربض المذكور وملكوه ومن الغد اغلق
احمد شلبي على نفسه باب القصبة فحوصر بها وملك الاخوان البلاد فلما
جن عليه الليل خرج من القصبة هاربا من باب الغرب في لمة من غلمانه
واتباعه فيهم محمد منيوط فاخذهم العسس بسبخة سيجوم واتي الصبح
الى المحلة في كبة الخيل في اثره فما تلم حتى اخذته الى اجة وقتل فاسي وتوانوا
به الى المحلة فاعتقل بها حتى نفي ابراهيم خوجه صاحب الجي اليه واسر ايضا
محمد منيوط فاعتقل عند محمد باي ومن الغد وهو يوم الاحد العاشر من
رجب دخل محمد باي واخوه علي باي الحاضرة وتلقاهما اعيان الناس من العلما
واكابر الديوان وجددت لهم البيعة واجلسوا الحاج فطاس داي

ذكر مقتل علي باي واستقلال محمد باي

لما كان بعد ايام من البيعة اجتمعت العساكر التونسية والجزيرية
ولبسوا السلاح وخرجوا الى المحال فخاطبا من راس الطابية ونادوا بلسان
واحد لا نحتمل الا محمد باي ولا نرضى بعلي باي ولا يكون علينا وكان معه
في ذلك الوقت فلوكباشي ابراهيم خوجه فلما رايا الهيعة خرجا من عنده
وتسللا فاما محمد باي فانحاز الى ربوة باردو واهب ووقف عليها ينظر ما يكون
واما علي باي فذهب الى محلته ثم خرج في خيل له عازما على الفرار حتى بلغ
منوبة فسقط به فرس خاصته وقال له كيف تذهب قبل ان تعلم حقيقة الامر
ولعل الامر خلاف ما فررت وهنالك جوقة واقف بازائك لم يهب بموقف فاقبل نحوه

فجاء

ثنية من الجبل وكفا بعضهم مئة فلما فرغوا منه رموه بكا حلم عن جروا حوله باجيب
وخر قتيلا فقطع راسه وجاءوا به الى بطحا القصبة واحتملت جثته ودفن بقربه
وانقلبت محلته وكان ذلك اليوم الثلاثاء السابع والعشرين من رجب وفي الليلة التي
بعد خنق احمد شلبي وارتحل صاحب الجزائر الى محاله وشيعه محمد باي الى ان دخل عمله
ووفى له بجميع ما شرطه له وزاده عطايا فخمة وهدايا سنية ورجع الى بلاده وعفا
عن محمد منيوط الذي اقامه احمد شلبي باشا مدة حسن الوزير في الدنيا عن رجل
كان معه في محمد باي قال كنت العب معه بالنرد في التي تتعلق بهذا الامر فيه بمن كان
يوما تقلبات الدهر وكيف ذا العصر الحال فانشد متمثلا

ايا ابن ادم لا تطمع بعاقبة	من الزمان فان الطبع معهود
ما انت الا كزرع عند خضرته	لكل نوع من الآفات مقصود
فان سلمت من الآفات اجمعها	فانت عند تمام الزرع محصود

فما استتم انشادها حتى هجم علينا بعض الخدم واخبره ان في صفين واتوا بالعملة
فبقيتوا علية فلم يبرح عن امنه الا حتى اقبل بعض الخدم واخبر بعض منه الامر
فابى وذا الذي انه بعد ما امر بتنفيذ اليبت عليه فكر في امره وقال هذا رجل مملوك خارج
عن طاعة سيده فاي ذنب له وامر ان يوتى به اليه فلما اتي اخبره بالقتل وبما اضمر فيه
يريد قال له فقد عفوت عنك فاخرج الى البلاد التي لا ووهب له مالا وجهزه بما يحتاج
اليه وقال له لا تدخل بلاد الناس حتى الهيين بعدها اتى بابا بتونس فوصل الى
اصطنبول وتوصل الى طرد رئيس مركب من مراكب السلطان ومات فيها في جهاد
النصرانية وانفرد محمد باي بالمملكة وخلت عن المنازع ودانت له البلاد الا ما كان من
الحامة فان اهلها امتنعوا بها ودخل معهم في ذلك اولاد سعيد ونزلوا عليها
فنهب ابلهم من اخذ محلته وارسل عسكرا الى البحر فنزلوا على قابس فانضموا اليه

فنازلها وضيق عليها الحصار الى ان فتحها وارتحل الى برقة فاستوفى مجابيه وعاد
الى حضرته وكان يوم دخوله يوما عظيما وانتعش الى اصول بلاده ورعاياه وكان رحمه
الله تعالى محبا في العدل والانصاف قامعا لاهل الجور والظلم منعا للرعية
امتثل الحق في ايامه لهذا الامير الناصر بفكه يؤثر عنه في جميع ذلك حكايات
منقولة عند اهل الحضرة ثم شرع في اتخاذ مصانعه ومبانيه النخمة الباقية على طول الحقب
فشيد قصورا ودورا وزاد فيها اشياء لم تكن من قبل وبنى على ربوة الفلاة
العظمى التي ليس لها نظير وامر بنيانها وعظم نفقتها وما اخترعها من المباني
وما اجراه من الخلجان من ناحيتها وما بنى عليها من القرى والضياع مشهور عند
اهل الحضرة فلا نطيل به وشرع في بناء جامعه ذي القبة المحتجبة ابهج البديعة
الشكل فلما عرم انيقى ومات قبل اتمامه فتممه بعده اخوه رمضان باي
وله اثار حسنة في ذلك وفي حسنة منها احداثه لمدرسة ومسجد بالكاف
ووقف عليها اوقافا جليلة ومدرسة ومسجد للحنفية بباجة ومدرسة
بقفصة ومدرسة ومسجد بتوزر ومدرسة بقابس بمجاورة لضريح سيدي ابي
لبابة الانصاري رضي الله عنه ومدرسة ومسجد للحنفية بالكاف وان بناها
ايام تخليه عن الملك ايها وحاله اذ ذاك في غاية الضيق وله غير ذلك مما ينبئ
بسمو همته وكبر نفسه وايثاره لما عند الله تعالى وفي سنة تسع وتسعين
توفي الحاج بقصد اثر دائه قولنج بعد علي رايس وهو ابن اخت الحاج بقطاش
وكان ذا نهمة ووقار محبا للصالحين حسن الاعتقاد في المنتسبين لله تعالى
مبالغا في طاعة محمد باي حتى لا يصدر عنه حكم في مهم الا بعد مراجعته وفي
شهر ربيع الاول من سنة مائة والف كان مبدا الطاعون الجارف الذي
وقع فيه الفناء حتى بلغ عدد الجنائز في اليوم الواحد زهاء الف ودام ثمانية

اشهر

انتهى وارتفع ولم يزل محمد باي في دعة وامن لا ينازعه منازع ولا يخشى غائلة
الى ان ثار عليه كاهيته محمد بن شكر وكان ما سنذكره من امر الفتنة

ذكر ثورة محمد بن شكر وولايته

كان ابن شكر كاهية محمد باي وخليفته وصهره على اخته فنشأ له محمد باي
للامور كلها عليه فخافه على نفسه فاستتر اياما ثم طلب منه الاجازة
الى الحج وتوسط في ذلك الشيخ ابو عبد الله محمد الحجيج الاندلسي
فاذن له في ذلك وركب البحر وعدل عن الحج وتخلص الى الجزائر بعد مشاق
وامور صعاب حتى تعلق بكبيرها ميزومرتو عند جميع نعمته من حينه
في اربعها اجهزه الشغب على محمد باي وايقاد الفتنة بينه وبين صاحب الجزائر
حسين ميزومرتو حتى تسنى له مقصوده عنده وعزم على غزو محمد باي بتونس
ليلاد ابن شكر مكانه فاخذ في تجهيز محاله وجمع عساكره فلما انتهى على الخروج قام
عليه عسكره عام رضى منهم بذلك واراده من غزو تونس وركب البحر فارا عن الجزائر
واولو لشدانه غيره وبطل امر الغزو ولما بلغ الخبر بذلك الى محمد باي جهز مركبا
من مراكبه وارسلها تعرضا لميزومرتو فكان من سعادته ان طاف به في البحر
فاخذه واتى به اليه فلما حصل في يده من عليه واكرمه غاية الاكرام ووهب له
اموالا ومماليك وخلعا فاخرة واركبه البحر الى اسلامبول فاتصل بخدمة السلطان
سليمان بن ابراهيم خان فبلغ اشعة سعادته الى ان ولاه قبودان باشا فكانت
له في جهاد الكفار مقامات مشهورة وصيت عالي وهذه الفعلة تعد من محاسن
محمد باي ومكارمه وكان ذلك في اخر ماية سنة تسع وتسعين وفي السنة
التي قبلها ورد عليه ابن الحكيم خوجة صاحب الجزائر الذي اعانه على قتال احمد
شلبي فكان بالمال الذي انار عليه ميزومرتو وكان محلا وهداه فاكرم نزله وبلغ في

الى امه واجلاله ووهب له هدايا وافية واركبه البحر الى مغصن ولحق ابن شكر معهما
بالجزائر فتكلم على اعتنائه اكابرها من ارباب الدولة وبرا خاطرهم في حقه وتجهيز
المحلة معه الى تونس ووقع بهم على محمد باي وبعث اليهم بعساكر الغزو في
اثناء ايامه اثر ذالك شعبان خوجه فلما جاء الجزائر على مال اشتط عليه فخرج بنفسه
في عماله وكانت هي وابن شكر طالب اطلس واستمالوا الى مظاهرتهم على محمد باي
فجاءهما الى ذالك وجهز لهما الصعود في البحر بالعسكر فنزلوا على بونه وانحازوا
الى محلة الجزائر واقبلوا الى محمد باي وكان لما بلغه الخبر جمع جموعه واستجمع
عساكره وخرج اليهم في ربيع فالتقى الفريقان على الجمعة من عمل تونس
واشتبوا القتال فلم تلبث خيل محمد باي ان هزمت خيل الجزائريين وادخلوهم
الى محلتهم فاتى جموعهم منها واستولوا على المحلة وبلغ خبر الملتقى من الى
قسنطينة وشاع الخبر بوقوع الدبرة على محلة الجزائر فقيل لشعبان خوجه
ان محلتك انهزمت فقال ليست تلك محلتنا وانما محلتنا هذه التي امامنا وحض
عسكره على القتال اخبرني من حضر ممن شهد الوقعة قال كنت واقفا في الصف
والقتال بيننا متكافئ رميا بالرصاص فجعل عسكر الجزائر يتقدم الينا الا هوينا
خطوة بعد خطوة وجعلنا كلما تقدموا خطوة تاخرنا خطوة فلما راى
محمد باي تصميم العدو وانهم كلما زادوا اقداما زاد عسكره احجاما ولى عنانه
هاربا فكانت الهزيمة واستولوا على المحال بما فيها واخذت مضارب محمد
باي وفيها اموال عظيمة وكان ذالك لثلاث مضت من ذي القعدة سنة
خمس ومائة والف وانتهت الهزيمة بمحمد باي الى الحوة مرحلها ابو جمل
الراي على رايسه واخوه رمضان وكانا قد ابتاعا منذ الوقت فركبا
البحر الى بلاد العجم في جماعة من خواصهم ونصب ابن شكر خوجه دايا ووقع

في

في تحصينها عمر امر يحيى خنفره مجيء بتونس وجمع جموعا الى الرباع العرب وتهيا
لقتالهم فنزلوا الى مرية اوابل ذي الحجة وقد توجهت امدادهم من البحر والنوابع
كبيرة وآلات القتال من المدافع والبونبة وغير ذلك وفي يوم نزولهم خرج محمد باي
الى قتالهم فوقعت ملحمة عظيمة قتل فيها خلق من العسكر والجند وقد قطع من
الجيش نحو ثمانية وثمانون راسا فرد الخوابل الخطر وركبوا المدافع والبونبة ورموا في
ذلك شيئا كثيرا على البلاد ودام الحصار ثلاثة اشهر وعددهم سبعة وقد واعقهم
جميع اعيان ابي بنية وادخلوا الحت لطاعة ابن شكر ومحمد باي صابر لقتالهم
وفي اخر مدة الحصار دخلت قلاع غار الملح في طاعة ابن شكر واستولى على
مراكب محمد باي التي في مراسيها فاصبح بالزلالة محمد باي وتجبر ثم ان شعبان خوجه
جي د من محلة محلة وانزلها من قبلي تونس وجاء ضامن جهتين فاشتد الخناق
على محمد باي وضاق به الامر وزاد ذلك ان اخاه عنه ابو كي اع البيعمر في اهل كبار
فوان الى ابن شكر فادخلتهم الغلبة ورأى نفسه موجود فما اختار الليل جلا وقع
جلاءا ليلة السبت لست بقين من شهر ربيع الاول سنة ست ومائة والف وخلص
الى الغرب وان يعرج الى بني يزيد فلم يقبلوه وطردوه عنهم وبقي من
الدخول في العقبة فخرج الى الجزائر واقام بها واحمى معه وفي ليلة فراره من
الحاضرة خرج اهلها الى شعبان خوجه وطلبوا منه الامان فامنهم ومن الغد
دخل محمد بن شكر ونصب محمود خوجه دايا ودخلا القصبة معا وارسلا الى ابراهيم
خوجه الراي الى سوسة فبقي بها الى ان توفي في ايام ابن الهيم الشريف وصدرت
من محمود خوجه امور تدل على عدم اهليته للولاية وعدم كفاءته فلم يمكث عندهم
مكانه محمد طاطار لثمانية خلت من شهر ربيع الثاني فكانت مدة محمود خوجه ثلاثة
عشر يوما وارتحل شعبان خوجه الى بلاده في الخيل وقد ارسل عسكره في البحر

وركب عسكر طرابلس ايضا البحر الى بلادهم واخذوا مركبين من مراكب تونس
صالحي وابيهما وقبض محمد الطاهر بي الخمسة وكان هذا اخر الخلفة فجاء في السنة
لا يبالي بما ارتكب من العظائم شديد الاقدام على سفك الدماء وفي خمسة انتهى
قتل فيها ما ينيف على المائة نفس لا لشيء الا التهمة فقتلوا اجمعهم واول ما
ابتدا به المراد قتل في اول يوم ولايته ثلاثة من اعيان العسكر منهم حسن خوجه
كاتب الديوان وكان في جملة من قتل الشيخ الفقيه الخطيب المفتي ابو الفتح مصطفى
ابن عبد الله الحنفي واتخذ داخل القصبة بين يديه حبلا وكان اذا غضب على احد
القاه بحبل والقى عوضه زنبيلا من الحبر فمنهم من يتخذ فيعسر في الحال ومنهم
من يبقى اياما حيا الى ان هلك ومن جملة من قتل الشيخ المفتي ابي المحاسن يوسف
ابن درغوث فاستشنعه وهم ايضا بالشيخ ابي الفتح البكري نجاه الله تعالى
منه ونفى كثيرا من اعيان العسكر ورؤساء الاجناد وبعث طائفة من مماليكه
النصارى ليوم صحن ومبطاة كانا حرمهما على راس الدواي بسطح القصبة
فاقتلعوهما في اجع اوصار محمد بن شكري ايضا من سوء المعاملة وفي
السنة ما لا مزيد عليه وخرج لتشييع شعبان خوجه وفارقه من الكاف ورجع
وخرج بالمحلة الشتائية وارسل الغازي ابا داود عاملا على حوزة قسامهم
الخبز وعاملهم بغير المعاملة وطالبهم بأموال لا يقدرون على حملها
فثاروا عليه واخرجوه واغلقوا ابواب المدينة وارسلوا الى محمد لمكانه من الجبل
يستصرخونه ولما انتهى ابن شكري الى الغنى وان عاملهم ايضا بغير سيرته واعتد
بين ان اموالهم اخذا ونهبا وطالبهم بأموال عظيمة لا طاقة لهم بها وبلغ انه ارسل
لهم محمد باي وكان فرقن كهن في الغنى وان بغلام الشيخ لعبد الله حنفي
من باتيه بمن وافق لذلك اهل الغنى وان وجه حيثهم فقصروا طاعته وغلقوا

الاجواد

الابواب وما يزيده باكي به فارسل اليهم يدعوهم الى السلم فامتنعوا فارتحل عنهم
الى اكي يدرما ستوبي بجانبه ورجع فنهض اليه محمد باي من الكاف اوفرا التقت
عليه جموع لا تحصى فرحل الى بيرو ودخل حصن فعصته في طاعته وكان ابن شكر
فر فنهى الى الغبي وكان وجاء بها حطر لشربدا وضيق عليها وكان ابن باجوها
فلما بلغه نهوض محمد باي اليه ارتحل عن الغبي وكان راجعا اليه فالتقى الجمعان
بين يدي البلد من الغبي وكان في وجهه اكي به بينهما وكانت الهزيمة على
ابن شكر يوم السبت لثمان خلون من شهر رمضان من السنة وذهب ابن شكر وتغلب
في البلاد الى ان دخل المرسية فاشترط عليه مولاي اسماعيل الشريف ما حمله
واكي جده وقال البير هذا موضعا للضيعة حيث فعل مع مولاه وولي نعمته
ما فعل فبقي يباشر لكي يرائي الى ان هلك على حالة ضرورة من الحاجة والفقر
نعوذ بالله من سوء العاقبة واستولى محمد باي على محلة ابن شكر وامن العسكر
وسار الى الغبي وكان من خلفها وارسل حي فرار رجب الطبيب الى تونس فلما داهمه
فيه الهزيمة غاية التي ورواد خلوه في خلال الليلة واجتمعوا عليه فاغلقوا
طلطار ومن العراقي طلطار جند لقتال اهل ربض باب فكانت بينهم ملحمة
ثم ان جند طلطار عاثوا في المدينة ونهبوا اسواقها وضموا اليهم من وجدوا
من العسكر طوعا او كرها ودخلوا القصبة وغلقوا ابوابها ومن الغد دخل
محمد باي الحاضرة وكان دخوله اياها يوم الاربعاء لثنتي عشرة خلت
من شهر رمضان فولى يعقوب داي ورتب عسكره في كل ناحية من نواحي
القصبة واحاط بها من جهاتها وكان شعبان خوجه صاحب الخزائن فر
مع ابن شكر وطلطار انه مهمي تي عليهما محمد باي اقبل اليها الرعاع
فخشي محمد باي ان يوقع بالعامة فارسل اليه جماعة من الاعيان لطلب المهادنة

والصلح وهم الشيخ ابو الغيث البكري امام جامع الزيتونة والشيخ الاستاذ
ابو الحسن علي عمي وزواوي والشيخ المفتي ابو عبد الله محمد قبانة ومحمد خوجه
كاتب الديوان فركبوا البحر وانتهوا الى الحاج ابي قلوز فلما اتوا اليه وجدهم افهم
رد واعلمهم انه متجه لطار وامرهم بالاقلاع من حينهم فاقلعوا راجعين فلما
ثم سلكوا البحر الى ان اجتمعوا بسرية جردتهم الى الحاج ابي فهي امير عسكر
الجزائر وخرجوا مكي شعبان خوجه لما قابلهم به من العنف والغلظة
فلما ارسوا بالجزاير وجدوا عسكره قد ثاروا عليه وخلعوه واهانوه اهانة
شديدة وسجنوه اياما ثم قتلوه بعد ذلك واقاموا مقامه غيره فعقدوا
معه الصلح ورجعوا الى محمد باي بالتيسير واشتد الحصار على لطار بالقصبة
وثلمت ثلمات من سورها ودخل من معه من العسكر محمد باي وفتحوا له القصبة
وخرج لطار منها وعاذ بمقام الاستاذ ابي العباس احمد بن عروس وهجم عليه
العسكر فاخرجوه سحبا وقطعوا راسه وجروه في ذيول الخيل واكل بعضهم من
لحمه غيظا لما لقوا منه وكان ذلك في ذي الحجة من السنة وخرج محمد باي
بالمحلة الصيفية الى باجه وقد خالفه عليه عمرون وجمعه فصعد جبالهم
ودوخهم حتى اشتملوا على الطاعة ورجع الى حضرته ثم عقد ديوانا
وتكلم مع الاعيان في عزل يعقوب داي لعجزه عن القيام بامره لانه فرط في
الشرع وان يجعلوا عوضه محمد خوجه الذي كان من جملة من سار الى الحاج ابي
جوابغوه فعملوا ذلك وعزل يعقوب داي وولي محمد خوجه وفوض له امر
المرفقات تفويضا فسار في الناس سيرة حسنة واستعمل الرفق واللين
في احكامه وكان ذا رياسة وسياسة محبا للعلماء معظما لهم ولذوي الاقدار
من الاشراف وغيرهم وكانت ولايته يوم الاحد لست خلت من شهر ربيع الاول

سنة

تسع ومائة وألف وفي هذه السنة خرج محمد باي بمحلته الى جبل مطماطة لخلافهم
عليه وارسل عسكرا في البحر فنزلوا بقابس وصعد الجبل بعساكره واذعنوا اهله
بالطاعة وسار الى الجريد فاستوفى مجابيه ورجع الى الحاضرة في شهر رمضان ثم خرج
بمحلة الصيف في الحجة من سنة ثمان فاستوفى مجابيه واقام بباجة فابتدأه
المرض بها فارتحل الى الحاضرة فدخلها لاربع بقين من صفر مريضا ولم يزل مرضه يتزايد
الى ان توفي ليلة الاثنين السابع عشر من شهر ربيع الاول من السنة وصلى عليه
ببطحاء القصبة ودفن بتربة جده وحزن الناس لموته حزنا شديدا وعظم عليهم
المصاب لفقده رحمه الله تعالى

ولاية رمضان باي ابن مراد باي

بويع يوم الاحد الذي صبيحة الليلة التي توفي فيها اخوه فلقي الرايس محمد خوجه
على ولايته وكذلك الخ جميع وزراء اخيه وعماله على اعمالهم وبعد ايام من ولايته
خرج بالمحلة الشتائية فمر على تستور ثم على صفاقس وقبض على الشيخ
محمد ابي البلود وهو شيخ جربة ولم يفعل به شيئا ثم سار الى الجريد واخر بعد الكلية
في الظفر بعد مجاوزة بني الغادر حسن وكان من طاعتهم محمد بن شكر على اخيه محمد
باي وقام بنصرته فبسطها تماما وكان يعادي محمد باي عداوة شديدة فلما طغى
محمد باي الحق بمصر ثم جاء الى الجريد ايضا لانه اوصى عند موته اخاه رمضان باي
بالتعجيل في القبض عليه وقتله فلما انقضى رمضان باي الى الجريد كتب اليه وجاءت
يهنئه بالولاية فاكرم رسله وكتب اليه جوابا عن كتابه مشتملا على تعظيمه
واجلاله فارسل اليه من جاءت اخاه الغادر مراد فبالغ في اكرامه والاحسان
اليه وحمله وصله بصلات سنية فلما رجع الى اخيه محملا بالصلات عزم على
المسير اليه بنفسه يوم من بني حسن وقال له الرايس محمد ان نقيم مكاننا وترسل اليه

ابقى وابتدأ بتحرزه سنة كاملة وكثر تداينه على الجند إلى أن قطع عملي جبية
امرى مصالحهم فلما بلغت بي جاءت إلى هذا الباشا وركب في جماعة من اهل بيته واتباعه
وقدم تونزر على رمضان باي فأمر لم يدار هو ومن معه فلما كان الليل ارسل اليهم
محمد بن مصطفى ورجب الطبيب خزندار في طائفة من الجند فاحاطوا بهم
وقبضوا عليهم اجمعين واستأصلوهم قتلا وارسل راس علي باشا إلى الحضرة
وطيف بهم فيها ثم ارسل رمضان باي رجاء الكهية ثم ارسل المحلة
الصيفية في المحرم من سنة تسع وانتهى الى جبل خمير وردوهم واذعنوا له
بالطاعة ورجع وفي سنة عشر ثم ع في الضيع الكابلي لحشن ولدى اخيه محمد
باي مراد حسين فاحتفل فيه غاية الاحتفال وتفصيله مذكور في تاريخ
الوزير وكان رمضان باي بعثا صموتا ينقضي المجلس من مجالسه ولا ينطق
فيه بكلمة يميل إلى الخلوات ويغلب عليه الحياء وكان جميل الصورة ولوعا بالغنا
والملاهي عارفا بالالحان والموسيقى وكان له مغني وصي ايب يقال له مزهور
فبلغ عنده مرتبة لم يبلغها احد سواه فاختص به واستولى عليه وفوض له
امر مملكته وعكف على لذاته فكان يملك الشيء والشهير من الامراء احد ولا يصل
اليه وكان يطمع مزهورا في كل شيء واما علي رجب الطبيب خزندار فسلمه
فكان يلقي عليه انواعا من العذاب حتى انه ليدخل في راسه جميلا محموا
جمرا وتي كدحي كته عبيعة حتى كاد يقضي عليه فاستخرج منه ما تبقى الف
دينار ولما طال عليه العذاب قتل نفسه وولى مكانه سليمان بن سليمان
خزندار ثم اغار على الشيخ العلامة ابي محمد حمودة بن الشيخ المفتي
ابي عمر الله محمد قياتة وكان قد اختص اختصاصا شديدا حتى كان لا يفارقه
اصلا ولا يستطيع الصبر عنه وتي جده معه في اسفاره فبنى له وابعد

عند

عنه وامراة لابن جلاب اردوا البنة وخلا لمن هو زوجه رمضان باي وابعد به ثم
ان الشيخ ابا محمد المذكور عكف على التدريس بجامع الزيتونة وهي عن الناس
الى سماعه والاخذ عنه وازدحموا على درسه خصوصا درس البخاري فصار كان
الجامع يموج بالمستمعين له ورد من مزهود ان الشيخ ابي الغيث البكري امام
الجامع اذ هذه الشهرة تؤول الى طلب امامة الجامع فانه عن رواية البخاري فان لم
يفته فامتنع من الصلاة ببعض ذلك وفطنت صلاة العصر يوما فطلب الشيخ فاته
ذلك في التدريس بجامع الزيتونة وانتقل الى مسجد بني داره يجلس فيه
للتدريس والخلق مزدحمون عليه فلم يبق لمزهود رمضان باي حتى ارسل اليه ودس منعه
الخروج من داره بكثرة الامرة ومزهود يدور على قتله اذ اه ارسل الى الراي
محمد خوجه وامره ان يرسل اليه من يخرجه من داره وان يقتله في الجبل واو همه
ان ذلك الامر رمضان باي وهو لم يشعر بشيء فالامر سل اليه واخرجه من بيته
حرمه وخنقه ولا علم لرمضان باي بشيء من ذلك فلما بلغه الخبر لم ينكر على
مزهود ولا عاقبه عليه وجمع في تلك الليلة طائفة من الاوباش اصحابه
وصنع لهم مزهود صنيعا اجتمعوا عليه على ذلك فلا حشمة في هذا بقتل الشيخ
المذكور وعظم الخطب بين الاعيان الناس ونفرت قلوبهم عن رمضان باي واشتمل
على بغضه ورموا الاكف بالدعاء عليه وعمل ابو الشيخ المعتصي
قصيدة يستغيث بجاه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكيل الله تعالى
بفضله الا تنقلم له والاخذ بثاره فاستجاب الله دعاه وهلك رمضان
باي ومزهود من عامهما في الاعلى بن مراد باي كما سنذكره

ذكر [illegible] بن علي باي على عمه رمضان باي

لما قتل علي باي بن مراد باي في [illegible] ابنه مراد هذا وامه بنت السلطان

ابن مسعود الخنايشي وقد تقدم له ذكر في هذا الكتاب فكان في كفالة عمه محمد باي الى ان
توفي رحمه الله تعالى فكفله عمه رمضان باي فخوفه منه من هو ذو حذر غايلته واشار
عليه بالقبض عليه والاحتراس منه فجعله في بيت بارد ومنعه الخروج منه ورتب حرسا
في صونه وذلك في سنة تسع ومائة والف فلما طال عليه حبسه تكلم مع مملوك من مماليك
ابيه مشهور بالشجاعة يقال له علي الصوصي ان يعد له فرسا خارج السور في [illegible]
في ليلة عينها له وانه يحتال في الخروج من محبسه ذلك وياتي السور فينزل اليه فلما
كانت تلك الليلة عمد الى شباك في البيت الذي هو مسجون به فاقتلعه من مكانه
وخرج واتى السور لينزل منه فحس به العسس فطلبوا جوابه فلم يجبهم فقاموا اليه
فمر امامهم راجعا في رجوعه ورفعوا الخبر الى سليمان بن سليمان في قدر رمطليه فوجه
فرد خبر الى عمه فاخبره بذلك الامر فاخرجه ورده الى محبسه وبني العقل
جمع خاصته وفيهم من هو ذو استشارهم في امره فكل اشار برايه ثم وقع الاتفاق
على سمل عينيه لئلا ينقطع نسله ولا يكون له طمع في المملكة فارسل اليه
جماعة من ثقاته فاوثقوه كتافا وهو لا يعلم ما يراد به وامر بطبيب ذهب في سمل
عينيه بمرود يحمى في النار وكبر عليه ذلك الا انه كان امرا فضيعا ثم عاود الطبيب
بمراوات في عينيه فالقى اليه انه لا باس به وان الكي انما وقع في جفنه
واهدابه وان يداويه يسيرا وامره بكتمان امره وداواه الطبيب وجعل له في
عضده حمصة تجذب المادة اليها من راسه وكان يجد لها حكة واذا غفل عن
قبضها تقع على وجهه غشاوة حتى يجدد الحمصة فتنجلي فكتم امره وبقي
على هذه الحال الى ان خرج عمه رمضان باي بالمحلة الشتاوية فاخرجه معه ولما انتهى
الى قصر تيجنه بقلعتها وتكلم مع احد مماليكه يقال له سليمان
البياسر وارتحل الى صفاقس فاقام بها اياما ثم سار الى قابس فتكلم مراد باي

مع بعض من كان يخز معه في التي وجب من القلعة واخبرهم بسلامة بوه، بعملوا
على قتل سليمان البيادر فلما كان ليل صفوه خرج احتى غلبه السكر فجيء به
احدهم على راسه فاوهنه وقام اليه مرادباي وضربه بالسيف حتى برد
ثم اخذوا في نقب سور القلعة فكلما عسر عليهم شيء دعوا مرادباي فاذا وضع
فيه يده انفتحت الحجارة بسهولة وعرضت لهم حجارة عظيمة عسرة الازالة
فزاولها وازالها من غير كبير مشقة فيسر امر الله تعلى وتبين للامر فلما
كملوا النقب جروا البدر سليمان البيادر فعقلوا يديه ورجليه واخرجوه
من ذلك النقب وخرجوا وهم اربعة انفار مع مرادباي ولما
صاروا مليا ادركت مرادباي الغشاوة التي كانت تعتاده من عدم تبديل
الحمية فتفقد محفظة كانت عنده اعدها لوضع الحمة والقيطان والمقفل وما
يحتاج اليه في استعمالها فلم يجدها فسقط ما بيده وعظم عليه ذلك الامر ووقف
عليه الارض وخشي ان يطلع عليه احد من بيني واعند اويقبضوا عليه فبينما هو
مبكي في ذلك الامر وقد كانت نفسه ان تخرج اذ طار من فراخ فوقهم ركظ فنظروا انه
عدو لهم فتلقوه فترجل عن فرسه وكلهم فعرفوه وقالوا له ما اتى بك هاهنا فقال
وجدت محفظة تسير بها مراد التي فيها دواؤه فاتيته بها فحسن ايقن مراد
باي بنجاح مقصده وعلم ان الله تعلى لم ييسر له هذا التيسير الا وقد اراد ان
يكمل له وجه سعيه الى ان انتهى الى جبل وسلات فصعده ودعا اهله الى
كاعتقاد فيه عوا اليه وقاموا بنصره وبلغ الخبر رمضان باي فاتبعه جوم من
في ويد فكتب الى اهل وسلات يامرهم بالقبض عليه فلم يلتفتوا لذلك الامر
تعصبا لمرادباي ووثباتا على امره ووجدت عليه الوفود من الاعراب
ويمينهم وتسارع الناس الى الدخول في دعوته ومالوا اليه بكليتهم لما يخبرون

على رمضان الامور فر انفضت عليه اذنابه حين اتى الى تونس فانحلت عنه جموعه
فاطنة من الجبالة وقادموه الى مراد باي وكان من اشتري ذالك راي محمد اغة
الصبايحية من الترك ولم يبق معه الا شرذمة قليلون فقصد سوسة يريد
ركوب البحر منها فادركه قوم من الخارجين عليه واخذوا امرهم ودا فتعلق بثياب
سيدي فانتزعوه منها واوصلوه الى مراد باي وجاء رمضان باي الى سوسة
ولم يقدر ينجو ولا اراد ركوب البحر لحيلولة بينه وبين ذالك لما التجأ للشيخ
ابي راوية رحمه الله تعالى ونزل مراد باي لما استعجل امره من الجبل وحل
البلد وانه وبويع بها يوم الاربعاء لثمان خلت من شهر رمضان سنة عشر ومائة
والف وارسل الى سوسة بقتل رمضان باي فاخرج من مقام الشيخ
المذكور وادخل القلعة فخنق بها وجز راسه واتي به مراد باي وكانت مدته
ثلاثون شهرا

ولاية مراد باي ابن علي باي

لما بويع بالبلد وانتقل الى الحضرة بويع بها يوم الاثنين لثلاث عشرة خلت
من الشهر واول ما ابتدا به قتل امام المتقدم الذكر دايا واخي محمد خوجه وارسله
الى زغوان ثم اخذ بطش السلطة فما اطلبه في عشيته وان قصده انما هو
التشفي والانتقام ممن كان سببا في ذالك فلما صار الناس منه امنون فكر
الناس منه الى هذا القول فلم يلبث ان شرع في سبي الحرم وسلط طغيته
البربرية وسل سيف البغي والظلم على الخلق وجعل كلامه يوزع عني
من اخي بغية مرضا وحرسا وصارت بعلامته مثلا وما بين الناس واشتهد
في الجور والعدا حتى انتهى ما لم يعهد عنه حر وبلغ في سفك الدماء وقتل النفوس
ما لم يبلغه احد قبله من نحو ومصطفى بن عبد النبي وغيرهما من خواص عمه

الحري

المرين بجزي وَسمل عينيه وَالقي عليهم من العذاب ما لا تحمله القوى وَاتاهم في ادرج
طحبهم رمضان باي وَامرهم ان يتلفظوا بينهم تلفف التحية وَان يلعنوه
وَ يشتموه بذلك قبيح هذه الشتم وَان يغنوا الهاشم كما كانوا يغنون في حياته
وَهو مع هذا يقطع من لحومهم القطعة بعد القطعة بيده وَعبث بهم عبثا
شديدا وَعذبهم عذابا اليما وعلى بهم ذلك اياما ثم سمل اعينهم بالنار كما فعل به
ثم بعثها بعد ذلك ووضع عليهم من الاغلال وَالقيود ما اثقلهم وَابقاهم الى
ءاخر يوم من شهر رمضان فقطع رؤوسهم وَارسلها مع جماعة من خدامه الى
دورهم وَامرهم ان ياخذوا من اهاليهم دراهم للطبال بشارة بموت اعدائه في
مراده وَطافوا بها الاسواق وَالدكاكين يطلبون البشارة من اهلها وَلما اهل
هلال شوال انتهب فيه الكورة سيد الرماة بقتل جماعة من اصحابه وفي اليوم الثالث
اهل الراي وَاهل الديوان فبعث لجميعهم لاحرني عثمان من عقاب عثمان داي على ابنه
محمد باي وَفي به اليه ورجع مكانه وَفي ذي من يومه الى حتفه وَصار منه من العواصف
وَالقتل ما القى في قلوب الناس من الرعب ما حملهم وَطاعته الخوف
وَتعطلت الاحكام وَارسل الى محمد خوجه الراي وَاتى به من زغوان بعد ورود
باش طابر باخطاء باقي مدة اذا خبر انها ورد الى زغوان ثم انتقل الى تبرسق وغار
المال وَهو على حالة قد لم رجع الى الحضرة فاتى اليه بالشيخ الفقيه
المحقق ابي عبد الله محمد العواني الشهير بالعفى وامر بملازمته بقتله فالله
اعلم وَليس الخبر كالعيان انه من قتل علماء ابي من طول حياته فلم يلتفت
اليه وَقتله فيها وَجعل يشرب دمه وياكل منه وَبعث خاصته ثم خرج الى تبرسق
وورد مراكب الافرنج لتجديد عقد الصلح فرجع الى الحضرة وَجلس لهم
مجلسا حافلا وتم عقد الصلح بينه وَبينهم وَفي ذي الحجة من هذه السنة

فقرا عرني عثمان وا حق جثته بالنار وامر بواحد وطيف بهم في الاسواق ومن شنيع
فعلهم انه علي خطيب وكان من صنايع دولتهم وله خطه وابي عمر عبد مجيد جاني ج
في عشر رمضان بابي بعون لمارا فنكر فخاصمه غيرهم جميعهم الى محل منجاته وترك
ابنين صغيرين اكبرهما لم يبلغ الحلم فاخذهما وسلمهما لمن يربيهما صغارا وامرهم
ان يعتنوا بهما ويودعهما احسن ترويع ثم فتح اوحالهما وجعلهما في بعا
من حجر وشواهما على النار وقد نزع الله الرحمة من قلبه عياذا بالله تعالى
وكان يوتى اليه بالرجال فيقوم لهم بنفسه ويذبحهم ويقطع اعضاءهم ويشق بطونهم ويخرج
ما في جوفه من امعاء وكبد ويغني بها فعل الجزار الماهر وكان له كلب يسمى البالة
فلا يفارقه كلبه يوما فتقدم المسلح يحيى عنه انه اذا لم يقتل
احدا يقول انا ابا النجاعة فيقتل من يعرض له وكان في سنة العلماء والمعتنين
والفضلاء والخطباء وغير ذلك وصالح عزيمتهم ما له من حسن له جهة وزين له عمله
سفهاء الخطوط الوكلاء وربما عبث بهم وادانهم ومن اتكى عليه وثبت على الحق صرد
بالقتل وكان ممن عطف به الحق ومعاذ الدامع الشيخ ابو محمد حسن العامري امام
جامع الى بينو فة منها رحمه الله تعالى منه ولم يكن يعظم احدا منهم ويهابه الا الشيخ
المفتي ابا عمر الله محمد رحمه الله فكان يظهره ويجله والذي يعود من مرضه في بيته
ويطلب منه الدعاء وفي سنة ولاية في ج بالحلة الصغيرة وخلصه جموع كثيرة
فانتهى الى باجه وكان قد فهم على اهلها فجعل بهم كالحكي وخرج بعضهم هاربين
بنسائهم واولادهم خوفا من معرة الجند فا فقطعوا عن الاسواق وان هوا بيوتهم
وهو يجو من حلال التابيل او نهار متعلل ا صلاحه ويشيب بازدقها ويرحل العبادي
فيفعل ما يريد بهم من النهو الجليل والبغا الذي هو الذي طاس في وجعه الى الحق
وفي ج بالحلة الشتائية فخاطبه اهل الفقه وان قامة شرين وتوقعوا ان يفعل بهم

فأقاموا بها حتى جاءهم ذلك الأمان غلقوا أبوابها في وجهه ونابذوه فحاصرهم
وقاتلهم فلما رأوا أنه لا طاقة لهم به خرجوا إليه يطلبون الأمان فأمنهم وأخذ منهم
مالا كثيرا ثم قبض على إمام الجامع الأعظم بها أبي العباس أحمد بن أبي إبراهيم الزجاج
وعلى الشيخ أبي الحسن علي بن أحمد الغرياني وأرسلهما إلى تونس مسجونين بحابيه
ورجع إلى الحضرة

ذكر غزوة قسنطينة والجزاير وما وقع في ذلك

كان في أول ولايته أرسل رسلا إلى الجزاير ومعهم هدايا فردوها عليه وأظهروا
له العداوة والبغضاء فاستشاط لذلك غيظا وكان مغتاظا عليهم أيضا من
أجل قتلهم لأبيه فكان يحدث نفسه بغزوهم ويعلن به في مجالسه إلى أن
دخلت سنة ثمان عشرة فعقد ديوانا واجتمع إليه وجوه العسكر
وأهل الشورى منهم فتكلم معهم في غزو الجزاير فأجابوه بالسمع والطاعة
فجمع جموعه واستعد عساكره وأخرج آلات حربه وكتب إلى خليل باي صاحب
طرابلس يلتمس منه الإعانة على قتال الجزاير وخرج بمحلته في خمسة
وعشرين ألفا فلما قارب قسنطينة خرج إليه بايها علي خوجه
فالتقى الجمعان وكانت الهزيمة على علي خوجه وقتل من جند علي خوجه
خلق كثير وحزت رؤوس القتلى وبعث بها مراد باي إلى الحضرة وأمر
بنائها بسور القصبة واستولى على المحلة وظفر بأم علي خوجه وزوجه
فأكرمها وأحسن إليها وأخذ في قتل الأسارى وألقى أهل قسنطينة بأيديهم
وهموا بتسليم البلد إليه فلو كان أتى عاجلا بعد الوقعة لدخلها
من غير قتال لكنه تلوم أياما حتى أفاقوا من غشيتهم وتهيؤوا لقتاله فلما
نزل عليها امتنعوا عليه فأرسل إليهم بالأمان فلم يقبلوا فألح عليها بالحصار

وأخذ القلعة التي بظاهرها عنوة وقتل جميع من بها من المقاتلة ونهب ما
اشتملت عليه وأرسل المدافع التي بها الى الجزائر ثم أمنا طهاهرها وتركها
خرابا وأوطأ، وتوجه الى قسنطينة خليل باي صاحب طرابلس فخلع عليه
وأعطاه عطايا فخمة وأحاطوا بقسنطينة من جهاتها ودام الحصار خمسة أشهر
فلما أشرف على فتحها بلغه خبر محلة الجزائر منه وكان عسكر الجزائر استضجروا
أمير كلم ورأوا منه عدم التدبير والبلادة كالعدو، وأقاموا غير مقامه فخرج بهم الى
قتال مراد باي وبعده عن قسنطينة فوجه اليهم ثلاثة أيام متتابعة بعد الرحيل
ونزل الغروب وتراءى الجمعان في اليوم الثالث بمكان يعرف بجوامع العلماء وقد
لقي عسكره من التعب والنصب أمر عظيم وفي صبيحة اليوم الرابع ركب للقتال
فنهاه نصحاؤه عن ذلك وأشاروا اليه بترك القتال ذلك اليوم حتى تستريح
العساكر وينفضوا أسلحتهم ويصلحوا من شأنهم ويجموا خيلهم وكراعهم فلم
يلتفت الى هذا الكلام وعد من قاله وراءه جبنا وخورا وأنشب القتال واجتلد
الفريقان ودارت رحى الحرب وحمي الوطيس ولما اشتد الأمر وضاق الخناق انهزم
خليل باي بخيله وظن كثير من الناس أنه مراد باي انهزم فانكسر كثير من خيله
أيضا وكلهم الجزائريون وصرموا الجملة فكانت الهزيمة وذلك لاحدى عشرة ليلة
بقيت من شهر ربيع الثاني سنة ثلاثين عشرية وقتل من عسكر مراد باي خلق
وأسر أضعافهم فلما كان من غد يوم الوقعة نادوا في الأسارى من العرب
والبربر بالأمان وأمروهم أن يجتمعوا وسط المحلة ليبعثوا معهم من يوصلهم
الى أمنهم فلما اجتمعوا وضعوا فيهم السيف فما استأصلوهم عن آخرهم
وكلفوا الأسارى من عسكر الترك أن يحملوا المدافع التي أخذوها من محلة مراد باي
على ظهورهم الى قسنطينة فحملوها على أعناقهم ولما اتصلت الهزيمة بمراد باي

(ما)

الى الداي امر اهلها بالرحيل الى الحضرة لانه ظن ان الجزيري يتبعونه وكذلك فعل
باهل تبرسق وتستور وما حولها من القرى ودخل الحضرة وتهيأ لقتال العدو
وحصن ابواب البلد وحصنه خيله ورجله فاتاه الخبر بانهم رجعوا الى بلادهم
فلما ثبت عنده ذلك ارسل خليل باي الى القيروان وامره باخذها واطلق يده فيها
وفي اهلها من خلصها وعاث فيها وقتل منها ملتقاه وسبا نساءها وذراريها وعاد
الى بلاده وامر مراد باي بعد هدمها فهدمت دورها واسواقها وسورها ولم
يترك بها بناء قائما الا المساجد وانهوا اياما ثم صار لا يقوم ولا يقعد الا بذكر الجزاير
وتوصل العودة اليهم واخذ الثار منهم ويصرح بذلك في المحافل والمشاهد
وارسل اغة الصبايحية ابراهيم الشريف في ثلاث مراكب الى ارض الروم ليأتيه
بالعسكر فصادف بالحضرة العثمانية رجلا من الجزاير ابوه مع كل من الفريقين فحثه
الى السلطان مصطفى بن السلطان محمد خان رحمه الله يشكو الآخر فخرج التوقيع
بعقد الصلح بينهما وكتب لكل واحد من الفريقين كتابا بذلك ورجع ابراهيم
الشريف الى مراد باي بذلك فامتنع من قبوله وقوي عزمه على معاودة غزوهم
وذلك في سنة ثلاث عشرة وفي هذه السنة عين الداي محمد داي وولى مكانه
وهو جبي محمد ولم يزل معه الا الاسم ثم جهز محلته الصيفية وخرج بها
في جمع عظيم عازما على غزو ابن عمه علي من عسكره وكان في وجهه يحاول
المحرم سنة اربع عشرة فلما كان بوادي الزرقاء على ستة اميال من باجه فتك
به ابراهيم الشريف اغة الصبايحية بفتكته المشهورة وكان قد تواطأ على ذلك
مع اكبر جماعة من الجند وكان مراد باي راكبا في كروسة ومعه طبجيه
حمودة فرابطا فوصل اليه ابراهيم الشريف الغية ورماه برصاصة وزنتها اربعة
وعشرون درهما ومعها من الرصاص الصغير شيء كثير فاما حمودة فرابط ف

فمات مكانه بما وقع عليه من الرصاص والمراد باي لما رآه وثب الى الارض ورمى ابراهيم
الشريف برصاصة فاصابته في فخذه فخرج جريحا وفر اصحاب ابراهيم الشريف
فقطعوا راس مراد باي هكذا ذكر الوزير في تاريخه والمشهور على السنة
شيوخ الحاضرة ان مراد باي لما وثب الى الارض وقع ميتا وان الذي جرح ابراهيم
الشريف في فخذه هو شعير كان راكبا خلف مراد باي وان ابراهيم
الشريف عفا عنه بعد ذلك واحترمه وقال له مثلك من يصطنع ثم الجمع
ابراهيم الشريف من امر مراد باي ارسل خيلا فادركوا ابني اخيه مراد باي
حسينا ومرادا وكانا فرا من معه في تلك الحلة فقتلوهما واتوا برؤوسهما
وارسل باي دوبر الثلاثة الى الحاضرة وكان بها من بقية آل مراد محمود بن حسين باي
ابن مراد وكان صغيرا وله ابن صغير له من العمر اربع سنين فقتلا معا ووضعت
رؤوسهم الخمسة بباب القصبة وانقرضت دولة آل مراد باي والملك لله وحده
ومما شاع على الالسنة ان دولة بني مراد كانت بقدر دولة بني امية الف شهر
وهذا صحيح اذا اعتبر مبدؤ دولتهم من اول اسلافهم لا من ابنه مراد باي اول ملوكهم
حيث رفعت عنهم الولاية واشتغل على من كان يزاحمه فيها وكانت مدة مراد
باي ثلاثة اعوام واربعة اشهر وكان قتله يوم السبت لثلاث عشرة خلت من
المحرم سنة اربع عشرة

ولاية ابراهيم الشريف

لما قتل ابراهيم الشريف مراد باي اطاعته جميع العساكر الذين بالحلة ولم
يختلف عليه اثنان وهو تركي الجنس سمعت بعض شيوخ الحاضرة يذكر
ان اصله من عسكر الجزائر الذين اتوا مع محمد بن شكر حين خلعه منهم بتونس
ودخل في ديوان جندها وخرج مع ابن شكر في محلته واستغنى بنفسه

وكثر

ومحمد باي بالمحلة فبدا له أن يجعل في رد قلعة قفصة إلى طاعة محمد باي لما رأى
من ميل أهلها إليه فاستعفوا له محمد باي وقربه وأمن أن يترقى إلى أن صار آغا صبايحية
الترك وكان منه ما كان من أمره ما ذكرناه، ولما ثبت أمره أرسل إلى تونس بعض الرأي
فوجه محمدا وأولاه مكانه فورا مصطفى في يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة خلت
من صفر وجعل كاتبه محمد خوجة الأصغر آغا بالقصبة واستمر على وجهته
تلك بالمحلة وأتى باجة وجبا الجباية على العادة والطاعة الجميلة وعاد إلى الحاضرة فسكن
بدار الأمير حمودة باشا في حيث القصبة والطم أولاد بي ثم حصنه وأبقى أرباب
الرتب والعمال على مراتبهم وأعمالهم ولم يغير أحدا منهم إلا أبا القاسم ابن أحمد الجنبي
في نزار مراد باي فإنه سجنه وعزله وقتل نفسه في السجن ثم بعث أولاد الطق حين
في طلب إلى علاوا وأخذ أموالهم وكان ينزل على الحي من أهاليهم فيستوفي محلاه منهم
ثم يستأصل خيلهم وإبلهم ويأخذ خليهم وأموالهم ويقتل أبناءهم وكان فيه استئصال
شأفة العرب لبغضه إياهم واجتمع عنده من إبلهم ثمانية عشر ألف بعير ومن الخيل ما لا يحصى
وجاءت الأقوات من الجزيرة أيامه جودا كثيرا ومنع البيع دم بالعكر والنهب ولقي
الناس منهم شدة ولما استقر بالحاضرة بعد رجوعه بالمحلة تجاراه الخبر أن علي
الصوفي أحمد أبا الهيل والمراد اجتمع عليه جمع من الأعراب المعمري وسكنوا القران
على الأطراب وجعلوا معتصمهم قلعة سنان يأوون إليها فأرسل محمد بن مصطفى
المعين باي بمحلة يطلبه فأتى قلعة سنان ليلا فاقتلع بابها ودخلها وتسور
عليه فقتله في فراشه وكرروا أعلام عن إبراهيم الشريف فرا مصطفى داي في
تسع خلت من جمادى الثانية من السنة وأرسله إلى المستير وصار يكتب فيها وأمر
إبراهيم الشريف باي داي ثم بعزف الأمير سنة خمس عشرة وورد عليه الأمر العثماني
بمنصب الباشا فصار يكتب الباشا إبراهيم باي داي ثم خرج بالمحلة الشتائية من سنته

واتى جبل فيما ثم وفر خالعوا عليه فصعد الجبل واخذهم وحمل على الغنى وان واحرقها
بعمارتها وبناءها انهدم منها وسكانها وفي ذي الحجة من هذه السنة خرج عليه
احمد بن رجب بن سليمان باي بن رمضان باي مولى مراد باي المتقدم الذكر واجتمعت
عليه من العرب جموع كثيرة ثم دبر على ملاقاة العدو وكان القائم بامره جلال
ابن المسعي الى رقبة والطمع عرالا وعطايا وانه لا باخذ من الى عايلا الا زكاة اموالهم
فخرج ابراهيم الشريف لاربع خلت من المحرم سنة خمس عشرة ومائة والف في ثمانية الاف
من خيل ورجل وكان احمد بن سليمان نازلا بالسرس فقصدهم وتقدمت طليعة
لابراهيم الشريف فبعث لها احمد بن سليمان وارتحل من السرس فنزل بيلاد
جمروبة فتبعه ابراهيم الشريف ووقع المصاف يوم الاحد لاحدى
عشرة خلت من الشهر وكانت الهزيمة على احمد بن سليمان وقتل من جيشه
مقتلة عظيمة وتفرقت جموعه وذهب لناحية الغنى وان محاربا عليها
ابراهيم الشريف منه فارسل جيشه لحمايتها وحماية نواحيها
ما قبل اليهم احمد بن سليمان وكانوا من انز روابه فوضعوا له كمينا فلما لقيهم
ثار به الكمين فقتلوا جلال بن المسعي وانهزم احمد بن سليمان وضعف امره
وتلاشى فلم يكن له بعد ذلك ذكر وارسل برأس جلال الى تونس ودخل
ابراهيم الشريف خميرة وجبى مجابيه ورجع الى الحضرة

ذكر خروجه وجه الى طرابلس لقتال خليل باي

وذلك ان السبب في ذلك انه كان بين خليل باي صاحب طرابلس وبين مراد باي
مودة اكيدة ومحبة صريحة فلما قتله ابراهيم الشريف غضب له خليل
باي ونصب العداوة لابراهيم الشريف فجرت عليه مع الكرطرية لابراهيم
الشريف من مع ارسلها اليه بعض ملوكها ومن جملتها امر امر مخالف

الجز

الخبر ما نزعها خليل باي من أيدي حامليها واغتصبها فلما بلغ ذلك إبراهيم
الشريف كتب إليه في شأنها وطلب منه ردها عليه فلم يفعل وأغلظ له في
الجواب فغضب لذلك إبراهيم الشريف غضبا شديدا ثم بعد ذلك
خرجت مركب لبعض تجار البحر في البحر فاختطفت مركبا لهم بها أثواب
نصرانية وبضاعة ذات خطر تحتوي على أموال وسلاح وفي ذلك فجاءتهم الى
أن دخلوا طرابلس فمد خليل باي يده إليها واغتصب من أنطاره أحد عشر
زادا واغتصب الصناديق بأسرها وطردهم فقامت القيامة على إبراهيم
الشريف وعقد ديوانا بكافة عسكره وأعلمهم بما عزم عليه من غزو خليل
باي فوافقوه عليه هذا وصاحب الجزائر يرسم خلال ذلك الأثناء بينهما ويغري كل
واحد منهما على الآخر ويعده النصرة عليه وخرج إبراهيم الشريف بمحلته
ومعه جموع كثيرة وكان خروجه في جمادى الثانية سنة ست عشرة فلما قارب
طرابلس خرج إليه خليل باي والتقى الجمعان ووقع القتال بينهما في شعبان
فاقتتلوا ساعة من نهار فكانت الهزيمة على خليل باي ومات من جنده
في المعركة نحو الألف وانهزم لذلك وانتهبت محلته وأخذ منها مدافع
من نحاس وبغلان محملان مالا ونجا خليل باي الى طرابلس برأس طمرة
وخلا من خلفها حيا فترقب مشتكيا وارتحل إبراهيم الشريف فنزل
عليها وحاصرها وضيق على أهلها فأرسلوا إليه يطلبون الصلح على مال
يجعلونه له وكان المتوسط في ذلك كاهيته المولى حسين بن علي
رحمه الله تعالى فامتنع وألح وأقام عليهم في الشيء ولم وتمادى الحصار
أياما فوقع الطاعون في عسكره ومات منهم خلق وفرق عنه العدد
بسبب ذلك فارتحل عنها وانكف راجعا الى الحضرة وكان إقلاعه

عنها لاثنتي عشرة بقيت من رمضان ودخل تونس أول شوال فوقع بها
الطاعون واشتد الحال بلغ عدد الموتى في اليوم الى سبعمائة نفس ولا اشتغل
ابراهيم الشريف بتونس ثبت عنده انصراف الحاج ابن عيسى مصطفى
عازم على حربه ومتهيئ للخروج اليه فأخذ يتجهز لحربه وحصن قلعة
الكاف وسورها وشحنها بالآلات الحرب والميرة وارسل جندا لحمايتها
لنظر محمد خوجه وشرع في بناء البرج الكبير الذي بالجبل الأخضر وكان
هو أول مباشر للعمارة ثم أمر ببناء البرجين الأخيرين والفراغ من جهازه
وبلغه خروج محلة الجزائر لقتالهم وكان خروجه يوم السبت
غرة المحرم سنة سبع عشرة فنزل قريبا من الكاف وأقبل الجزائريون فلما
تراءى الجمعان فر عنه أولاد سعيد الى الجزائريين وتبعهم كثير من العرب
ثم فر عنه وزيره وصاحبه محمد بن مصطفى المعروف بابن بكيمة وتبعه
دريد ولم يبق معه من الخيالة الا صبايحية الترك وقليل من العرب وكان
ارسل طائفة من الجند الذين خرجوا معه في المحلة الى الكاف
يتقوى بهم من الحامية وهو مع ذلك مظهر للتجلد لم يخامر
قلبه خوف ولا جزع ثم ان صاحب الجزائر ارسل اليه
رسلا يطلب الصلح على أن يدفع اليه مقدارا من المال سماه له
والح بعمر وارسل اليه هو بدروش من عنده من أهل
الحضرة الذين كانوا سببا في اثارة الفتنة وان يبعث اليه أولاده
رهنا يستوفي منه المال والأجل فعظم عليه ارسال أولاده وقال
لا افعل هذا ابدا فقالوا له خليفتك

خليفته المولى حسين بن علي انا رهنا عنه حتى توفي له ما اشترط ويمضي
من ذلك ورجعنا به الى محل انحطاطهم ولحقت بالرفقة الثانية فلم يبق احد
الا وهو قد اذن بالرحيل للقتال فعارضه المولى حسين بن علي وجرى على عادته
النبي وقال له امهل حتى نجمع اليك الذي نمسك بالخبر فلم يقبل منه فلما ارتحل
استدعى المولى حسين بن علي اغا صبايحية الترك وامره بالوقوف في
ما يلي ولده في مكان من امكنة الحافة عينه له وعين لغيره من الاغات
اماكنهم وامرهم بلزومها وتقدم ببقية العسكر لينزل المحلة فنزلتها
وصعد ابن الحيم الشيخ الى مكان مرتفع من الهضاب يشرف
منه على محلة العدو وهي نازلة ببحيرة الذئاب فلما اشرف عليهم رآهم
قد عاثوا في الزرع وافسدوه بدوابهم فتحركت حميته وامر بشن
الغارة عليهم فاغارت خيله وقتلوا اناسا من اولئك الذين في الزرع
وطردوهم فلما رآه الاعشى مصطفى ركب في خيله ومن معه واقبلت
الخيل اليه متسارعة فلما رأى كثرتهم ارسل الى خليفته حسين بن علي
يستدعيه من موقفه فاجابه انه لا يسوغ لي ذلك الان فاني اذا جئتك
خشيت على المحلة من العدو فرد اليه الرسل ثانيا فامتنع من اجابته
فحينئذ ارسل الى اغات الصبايحية يستدعيهم من اماكنهم التي
رتبهم فيها المولى حسين بن علي فاقبلوا اليه متسارعين في خيلهم
فلما انتهوا اليه وكان في محل مرتفع كما ذكرنا وجدوا المرتقى صعبا
من الناحية التي اتوا منها فلم يمكنهم الصعود اليه منها فولوا مع جانب
الجبل ليصعدوا اليه من خلفه فلم يشعر الجيش حتى وقفوا في افق امامهم فحملوا
عليه حملة واحدة واشتد القتال وتقاتلت الى ابي يفنية اولاد سعيد

وعنى هم عليه وصعدوا اليه من كل مكان حتى افضى الى شعاب وعرة واحاطوا
به من كل جانب وهو يقاتلهم اشد قتال ولم يبق له منه شيء حتى فنى
عنه خيله وكتائبه في هذه ثلاث مراتب كلها وهو في الثالثة واخذوه اسيرا
وكان الذي اسره صبايحية من عسكر الجزائر وانطلقوا به الى محلتهم ووضعوا
عليه الاغلال والقيود ولما بلغ خبر اسره الى عسكره
رجعوا على اعقابهم منهزمين خيلا ورجالا وتركوا محلتهم ولم يتبعهم
الجزائريون فسلموا كلهم من القتل والسلب وانفضت بهم الهزيمة
الى الخوة وكان ذلك لاثنتي عشرة ليلة بقين من شهر ربيع الاول فكانت
دولة ابي الحسن الثاني بعد وكانت ثلاثة اعوام وشهرين وخمسة
ايام ثم ارسل صاحب الجزائر الى اخيه بحاله من قلعة القاف واعلمه
ان اخاه موقوف عندهم وارسل اليه كتابا مختوما بخاتمه وامره بالنزول
عن القلعة طوعا والا اشتركا ها فاختلف عليه من معه من
العسكر فبعضهم اختار النزول على حكم صاحب الجزائر وقال ما
نضيع دماءنا وبعضهم قال نقاتل ولا نلقي بايدينا اليهم فقال
احد كبرائهم يقال له الحاج احمد انا انطلق الى محلة الجزائريين
فان وجدت اخي ذا موثقا عندهم كما زعموا لم يسعنا الا النزول
على حكمهم وان كان الامر خلاف ذلك افتنا على القتال وكان محمد
اخو ابي الحسن الشريف ومن معه لم يتحققوا الامر فانطلق ورجع
اليهم بصحة الخبر وخوفهم فطلب الامان لنفسه فاعطوه له
ولما حصل بايديهم انقلوه بالاغلال مع اخيه واخرجوا جميع من كان
بالقلعة وسلبوهم اسلحتهم واخذوا جميع ما كان من المال

والسلاح

والسلاح والطعام وجعلوا يأكلون من نهب الاموال والمتاع وجميع الاشيا
وارتكاب الفواحش كل منكر ولما بلغت المنتهى مدة الاخوة وكان
بلوغهم اياها ثاني يوم من الحجة جمع اهلها من عاشروا وخافوا
من هجوم العدو عليهم وهم بموضع دون امير يذب عنهم ويدبر
امرهم ويقوم بحمايتهم فاجمع امرهم على ان ينصبوا اميرا يقلدونه امرهم
ليدافع عنهم اعداءهم ودايا ينظر في احوال المدينة حملا المنافقون اكثر
عزمهم فتفاوضوا فيمن يختارونه لهذا الامر فاتفق اعيان الدولة واكابر
الجند وجمهورهم واعيان البلد واهل العقد والحل على المولى حسين
ابن علي لما يعلمون فيه من الخصال والصفات التي توهله للملك وما عهدوه
من كفاءته وحزمه وعفته ورفقه وسياسته وكان قد انتهى الى مقام
الشيخ ابي عبد الله حسين الصيحوفي بظاهر تونس وارسل من يأتيه
يحمي منه ومراده النجاة من حمى تلك الاهوال بلا لقا الى محل منجاة يامن فيه
فاتوه هنالك وطلبوا منه ان يتولى عليهم فامتنع عليهم امتناعا
شديدا ولم تزل المراجعة بينهم وكلما زاد امتناعا ازدادوا الحاحا
بالامارة الامر فتعين عليه ولم يجد منهم مخلصا دخل معهم الحاضرة
للبيعة

ذكر بيعة المولى الامير حسين باي ابن علي باي وابتدا هذه الدولة المباركة الميمونة

لما اراد الله تعالى احيا ارض هذه البلاد الافريقية وتلافي شملها
وجمع نظامها وحماية ساحتها وحياطة حوزتها بعث لها من هذا
الامير الذي جمعت العناية الى بابه والالطاف الخفية السارية في
الخليفة من اقتعد كرسي سلطانها وقام بامور المسلمين بها بعد ان كان

الحصار

مدة من الزمان عامة لسرير ملكها ومهد الخلافة لدولتها وقد آن
لها بن مامه وقد علا بدرجة الأمر وانتهى بها ومن ثم علا في درج الملك
وامتلأت جو الحضرة العزو وحليه بجى، الى الاستمداد فاصبحت مبتهجة
بما حصل لها من عنايته واعطات الدولة بهائها من مظنة الشباب والخلق
أمنوا في كنف العافية ومهاد الدعة وكان من اتفاق الملأ من أهل
الحضرة على بيعته كافة إذ ذاك اتفقا ودخل الحضرة فبويع بها البيعة
العامة يوم الأحد ويوم الاثنين لعشر بقين من شهر ربيع الأول سنة
سبع عشرة وجلس في الديوان المقابل لباب القصبة وحضر العلماء
والقضاة وأهل الديوان وأهل المرتبة والخاص والعام فأخذ عليهم
البيعة وتوثق منهم وانعقد أمرها وولاية محمد خوجة الأصفر أغا
القصبة دايا مولى في هذا الوقت وكان محمد مشهورا بحزمه رحمه
الله تعالى إذ ضبط البلاد وسد أنقابها ورتب المرابع على أبوابها
ورتب لها الحرس وحفظ عمالها وجنودها ولما وصل إلى الغزو الذي بين
الكاف وتونس فأمرهم بأن يحطوا عليهم من سطوة الحرب
وشيء في جيوش جنده محيطا بتونس فتم لهم غرب وقعت وأعمل
الجهد في أكمال البروج الذي ابتدأه أبي الحكيم الشهيد فتم إلى المرة
في جبهة وبعث العلماء إلى الاجناد في حضهم على القتال وبذل كونهم
وجوب عليهم دفاعا عن الأنفس والحرم والأموال وضبط أمور
أحسن ضبط ورتبها أتم ترتيب ثم وردت إليه رسل عمي مصطفى
صاحب الجزائر تتضمن توبيخات من الأمان وأنه لا يريد إلا الإصلاح
والخير فعقد لهم ديوانا فحضر أهل الرأي وأكابر العلماء وأعيان الديوان

وكان

وكان ذلك اليوم الخميس منتصف شهر ربيع الثاني وفي ثاني كتبهم تصدير
الجواب بانكم تزكون ان يجيبكم انما كان لاجل ان اجيبكم الشيء بيد خاصة
وان فرطتم ثم به فليس لكم فيما وراء حجة تعتذرون بها ووجد فيه ذلك
اليوم البيعة للمولى الامير ثانيا وللرأي المذكور والبسا الخلعة
واطلقت البشائر وارتفعت الاصوات بالاعلان بالطاعة والانقياد
من اهل ذلك الموكب واختاروا رسلا من اعيان الناس ارسلوهم
بالجواب مع رسل عيسى مصطفى وهم الشيخ الاستاذ الطاهر
الذكي ابو الحسن علي عمي وزوجه الله تعالى والشيخان المعتمدان
عبد الكبير بن بوشعيب درغوث وابو الحسن علي الصوفي الحنفيان
والشيخ القاضي ابو العباس احمد الحطاع ومعه والي اغا الديوان
وكاهية العسكر وجماعة من طبقات الديوان فلما انتهوا الى عيسى
مصطفى تلقاهم بالترحاب والطف لهم طلاقة وبشاشة لكنهم لم
يحصلوا منه على طائل من عظم العلماء وخوفوه عقاب الله تعالى
وذكروه عظم اراقة دماء المسلمين وانتهاب اموالهم بغيا وعدوانا
وكان جواب عدو الله ان قال لو اتبعت الى جوانب الشريعة ما خرجت
من الجزائر ولطف لهم ما اضمره من الشر وهو مع ذلك الخليفة لم الايمان
المغلظة ان ليس لي في ضربها مثلكم وما اريد الا الخير والعافية
فاجابوه بان نفسه وصولكم الى تونس فتنة وشر فان كان ما تقول
صحيحا فارتحل عنا وعينوا اليه ما لا يدفعونه اليه حقنا لدماء المسلمين
اذا اقلع وارتحل فابى وتحج وانفصلوا عنه وكان اخر كلامه ان قال لهم
لياتيني انا من غيركم اتكلم معهم في هذا الوقت وانا من قبل البيعة

ولا يدعون الا الخير من جمعوا عنه وصحبتهم رسل من عنده يطلبون غير
هولاء للكلام معه فارسل المولى الامير اليه جماعة من كبراء الاجناد
عقلا اختارهم لذلك فلما انتهوا اليه الانوا له القول وخاطبوه بكل جميل
وكان فيما قالوه له ان ما مضى من عليه من قتل المسلمين بعضهم بعضا
مما يتمناه المشركون وفيه هم وانه من عمل الشيطان فارجع الى الله
تعالى واحقن دماء المسلمين فما كان جوابه الا ان قال اني من اهل البيعة
ولا يدعون الا الخير رجعوا من عنده كما جاءوا وارتحل من الكاف متوجها
الى تونس فكتب اليه المولى الامير يذكره ويحذره ويطلب منه عقد
الصلح على مال يعينه له فما زاده الا طغيانا وعتوا واقبلوا جملة وصار
منه ومن جنوده في وجهتهم تلك من الظلم والنهب والتخريب والفساد
شيء عظيم فوصل الى طبربة واقام عليها اياما ثم ارتحل فنزل على حمى
تونس بمكان يقال له ابو منجوس وشيد البيت منجرف اليه في نحو
اربعين الفا من عسكره وعرب بلاده وما انضم اليهم من عرب افريقية
وكان نزوله عليها يوم السبت لتسع خلت من جمادى الاولى وكانت
جملة جنود المولى الامير ثمانية عشر الفا فوقعت مناوشة
في يوم نزولهم بين الخيل واستمر القتال الى وقت الزوال فركب عشي
مصطفى وحشد جنوده واقبل بهم فخرج اليه المولى الامير ووقعت
بينهم حرب مات فيها جماعة من جماعة الجزائر وكانت
موقفه بالكدية للعسكر وطالعة لوقوع الدبرة عليهم وانفصل
الحرب الى الغد ورجع كل الى مكانه الى يوم الخميس الثاني بعد ان خرج
الجزائريون من محلتهم متهيئين للقتال وصفوا صفوفهم فخرجت اليهم



العساكر التونسية فلما انتشبوا القتال امدهم المولى الامين باربعة
مدافع على العجل وامرهم بالحملة فحملوا عليهم فازالوهم عن اماكنهم
وتبعوهم على اثارهم ثم تراجعوا وانجلى عن نحو مائتي قتيل من
الجزايريين وثلاثماية قتيل من اهل تونس ومائة وخمسين جريحا ثم وقع
القتال في يوم الخميس الحادي والعشرين من الشهر فوقعت بينهم ملحمة
ثالثة مات فيها من اهل الجزائر مائة وعشرون وجرح مائة وسبعون
ومات من اهل تونس خمسون وجرح مائة وعشرة ثم كانت الوقعة
الرابعة يوم الخميس ايضا خامس جمادى الثانية وهي اعظم الوقائع وضع
الجزايريون كمينا فانذر به المولى الامين فارسل اليهم من اثارهم من
مكمنهم ووضعوا الكمين اخرى فما ردوا فارسل اليهم من ازعجهم واخرجهم
وكر من مواطنهم وتبعوا اثارهم والتحمت الحرب وحمي الوطيس حتى ظن
الجزايريون انه احيط بهم فولوا الادبار منهزمين الى محلتهم وقد خلعوا
ما بين وستين ما بين قتيل وجريح وهربت طايفة منهم الى تونس وكان
يوما مشهورا عليهم وندم عشي مصطفى على ما فاته من الصلح ولزم
محلته وصارت العساكر التونسية كل يوم تخرج وتغشى محلتهم
ويرمون عليهم الكور من المدافع وبنادق الرصاص وهم جاثمون لا يخرجون
الا احيانا يدافعون وهم كارهون واستضعف الناس امرهم وتهاونوا
بهم وكان المولى الامين قد استخرج مدفعا من نحاس كان مدفونا بالارض
في البحيرة باشارة من القطب الاكبر امام العارفين عبد القادر الجيلاني
رضي الله عنه وكان له فيه اعتقاد كبير ومزيد تعظيم لما سمعه الا
ان رجلا من اهل الصلاح زعم انه رأى الشيخ رضي الله عنه في المنام

فقال له اذهب الى حسين باي وقل له يصل مضحيه في مكان كذا عند البحيرة
واوقفه على المكان بعينه فيستخرج مدفعا من كذا فاستيقظ الرجل
وخاف ان تكون رؤياه اضغاث احلام فيفتضح ثم نام ثانيا فجاءه الشيخ
وقال له ما قال اولا فاستيقظ وكانت حاله كالاولى فجاءه ثالثا وزجره وقال
له بلغ ما امرتك به واذا لا فحق العذاب ينزل عليه فاقبل الى المولى [illegible] واخبر
بما راى فسر به سرورا شديدا وارسل معه الى المكان الذي عينه له الشيخ
فحفروا فوجدوا المدفع كما وصف فامر المولى الامير بالرمي على عدوه وامر
بوضع المدفع على باب [illegible] ورمى به اياما ولما كان يوم السبت لاربع عشرة
من شوال اخرج له [illegible] خمسة مدافع وثلاثين عسكري بالتقدم الى محلة
الجزائريين فتقدموا ورموها بتلك المدافع فسقطت بعض من الاكر في باب من
[illegible] عسكر مصطفى ومات بعض من عسكرهم بالاكور وهم في ذلك الحال جاء الموت
في اماكنهم ملازمون لاخبيتهم وما استطاعوا من قيام وما كانوا امتثلوا في
وبعد ذلك الجزائريين وردت رسلهم بكتب الامير والداي واهل الديوان في طلب
الصلح فكتب لهم الديوان وفي كتبهم مصدر الجواب انا نقبل الصلح
الذي هو [illegible] الله تعالى خيرا لكن على ان تردوا جميع ما نهبتم من قلعة
الكاف وتردوا الابل التي اخذتموها وتعطونا جميع ما صرفنا على قتالكم
ثم ينعقد الصلح بيننا وبينكم وترجعون الى بلادكم امنين غير ان [illegible]
لهم ورجعت رسلهم بذلك الكلام فلم يجاوبوا وعزموا على ردهم لقبول
الصلح اولا وركب المولى الامير في بعض تلك الليالي واغار على الطرف من جند
العرب الذين هم على العين فاخذ بعضهم وهربوا بالجملة فلم [illegible]
[illegible] منهم في [illegible] بادروا [illegible] لغارته وتكلم الشيخ ابو عبد الله

ابي

ابن نفي مع محمد مصطفى في ذلك وقال له اذا لم يأتنا الشيء في موعدنا اهلكنا
وقال له اما بالليل فلا باقية احد منكم ولا تخرج اليك احد من محلتي فبعد
ما جبتهما بهذا السبب في الظاهر واما سبب صبره عليه باطنا فهو ان محمد
باي بن علي تركي اخا المولى الامين لابيه وكانت تحته اخت المولى الامين لامه
كان في ايام ابي اسحاق الشيخ فابدى دسائس فلما هرب دريد الى الجبل مع محمد
ابن مصطفى كان محمد باي معهم فلما تولى على تونس كان هو وزوجته يبعثان
بالاخبار الى اخيها المولى الامين ويطلعانه على عورات الحفصيين فكتب
اليهما في اهتمام الشيخ ابي محمد وقتل عميه فلم يجد الا ان اجابهما ودار
بينه وبين عمه مصطفى ما دار من الكلام بسبب غارة المولى الامين بالخيل على
العرب واستوحش كل واحد منهما من صاحبه وانضم الى ذلك ان عرب افريقية
مثل دريد واولاد سعيد وغيرهم الذين يجيزوا اليه انما فعلوا ذلك بغضا لبني حفص
التي يبعثون الى محيطهم فلما شهد وضم عمه مصطفى على قصر تونس ابعثوا
بغلته فبعثوا معه فلما لم يضع شيئا وراوا العجز من اخذ تونس وما جلب من
عسكرها اجتمعوا للوثوب عليه فلما اجتمعت هذه الاسباب كلها امهل
الى ليلة الاربعة لاثنتي عشرة بقيت من الشهر وارتحل ليلا وترك اثقاله
وبعضا من خيمته وشيئا كثيرا من الالات التي به من الحرور والرصاص وما شبه
ذلك من بونبة وامتعة ومهيرة وغير ذلك واجفلت العرب كلها وتركوا كثيرا
من خيامهم وصاروا ليلتهم تلك كلها وكانت مدة اقامتهم على تونس اربعين
يوما وحصل المولى الامين بتونس وبهم وكتب اليهم في ذلك اليوم في جنوده
فلما انتهى الى العامرية لاقى من الترك اربعماية فارس ورجالا كثيرا فاقفلوا
من بونة ومعهم خمسماية بعير بالمئين وقنطوف بغلة بالبارود والرصاص

فاخذهم وغنم جميع ما معهم وانتهى الجيش الى طمروبة فنزلوا عليها
غير مطمئنين فمكثوا قليلا وارتحلوا والعدو متأخر الى امامهم وينهب ما قدر عليه
من اثارهم وبات المولى الامين ليلة ثلاث في اثرهم فادركهم من العطش وقد ارادوا
ورود الماء فحال بينهم عنه واجفلوا امامه الى العقبة التي على محجة مجاز الذباب
فنزلوا عليها وقد كادوا يهلكون عطشا وتعبا ولم يجدوا سبيلا للهروب فقاتلوا
على جبال وجبة مستميتين فوقعت حرب عظيمة اشتد الخطب فيها وباشر
المولى الامين القتال بنفسه ومات من جمعه مقتلة عظيمة فانحاز جنوده
ناحية ورجع عنهم الى المحلة فدخلها وقد افتتحت دولته السعيدة
بشيء لم يتفق لاحد قبله من انهزام الجيشين ورجوعهم بالخيبة والخزي الى
وافضوا الى باجة فاقاموا عليها وطلبوا من اهلها المال والطعام ومن
القمح والسمن والعسل والايقاع بهم فاشتد الخطب على اهل باجة فضاقت بهم
الحيل فارسل الله تعالى عليهم ريحا صرصرا اثارت غبارا اسود غطى واعطبت
بعض اخبيتهم وظنوا ان الامير قد علا في طلبهم فارتحلوا وتركوا كثيرا
من اثقالهم وفساطيطهم حتى تركوا اكثر من مائة صابة مذبوحة لعجزهم
الى الحمل عن حملها وتركوا جماعة من الجرحى وتركوا عسكرهم على غير
تعبئة وارتحلوا منه قبل انقضاء الليل وتركوا به ثلاثة عشر خباء
وانتقلوا واسرعوا حتى بعدوا من ارادوا الطلب وتجاسرت عليهم الاعراب يتخطفون
وينهبون في اخبيتهم واخذوا لهم مرة مائتي بعير باحمالها وثلاثين
فرسا ومن السلاح والاثاث شيئا كثيرا وصاروا يشكون الى اهل طيب
حتى قطعوا في ستة ايام ما كانوا قطعوه في مجيئهم في سبعة
وثلاثين يوما ورجعوا الى بلادهم ولما استقر المولى الامين بالحضرة

بعد

بعد انقباض السلطان محمد خوجه الاصغر الراي الا استقلالا عليه وقدر انه يدونه في
الامر على ما كان عليه اول دولة المتوكل من استقلال الرأي على ابيه وكان المولى
الامير ان العسكر يميلون معه فاخذ في اصطناعهم ومجاملتهم ووفد
الوفود من البلدان النائية وفيهم ومن باجة فلما دخلوا على الرأي
وكلمهم وعنفهم على ما فعلوه مكن هيبر من امراء الجند بن ميزن المسيسي ثم قام
ثم ان الجند يشيع بينهم المولى الامير وكلمه بينهم مرارا فصدر منه
جواب غير لائق وظهر من فحوى كلامه ما اضمره من الغدر والمكر في جانبه
وكان هذا مبدأ الشر بينهما واشتملت على الاصغر بطانة من عظماء الدولة
غصوا بولاية المولى الامير فاغروه عليه وخوفوه منه وحملوه على القبض
عليه والايقاع به وتواعدوا ان يقبض عليه اذا اتاه للسلام عليه
بالقصبة وكان احمد شلبي مملوكا صغيرا عند الاصغر فسمع ما دار بينهم فانهاه
الى المولى الامير فاخذ باحزمهم وعزم على الهروب فلما كان الغد لبس سلاحه
وركب واتى باب القصبة فلم يفتحه فلما فتح كان هو اول داخل فلما رآه
الاصغر متقلد السلاح قال له ما وراءك قال ان العرب اغاروا بناحية
البحر واني خارج اليهم بنفسه وانتقد انفاذ ذلك في منذ الاعتقاد فاذن له
حيث لم يجد الى القبض عليه سبيلا فخرج الى ظاهر تونس وارسل الى الخيل
فنادى فيهم بالركوب فخرجوا اليه وسار بهم الى البحر فنزل به على
دودير وغيرهم من العرب الذين انفصلوا عن الجند بن ميزن واول ما افتتح
به الاصغر امره ان امر بشنق جماعة من اعيان اهل باجة فشنق خمسة
منهم بسور القصبة واثنين تحت منارة جامع الزيتونة وهما الفقيه
العدل ابو العباس احمد بن محمد الغربي من اهل بعض ابناء باجة واعيانها واحد

الحسن عليوة ابن ابي الحسن علي الصادقي من بيت كبير مشهور رياسة بقفصة
وبلغني انه لما امر بطلب هاذين الفاضلين قال اطلبوا هذين القسيسين عنه
عن كنيستهم عياذا بالله تعالى وذلك ليلة رجب فاصبحا اقتاصى
وفرطارت انفسهم شعاعا من خوف سطوته وخامر قلوبهم بغضه
ولما علم امتناع المولى الامير منه وانه غير آيل اليه كتب اليه يخادعه
ويحلف له على البراءة من الغدر به ويستميله للعود الى الحضرة فلم
يجبه الى ذلك وكتب الى جميع القبائل بنبذ طاعته ونقض بيعته وامرهم
ان لا يقبلوه ان جاءهم وكتبه تترى على المولى الامير بما يقتضي الوفاء
والثبات على العهد مكرا منه وخداعا ليحصل في قبضته فلما لم يغن
عنه ذلك شيئا ارسل اليه جماعة من الاعيان منهم الشيخ الاستاذ
ابو الحسن علي بن وزو والشيخان الفقيهان عبد الجبير ورغوف وابو الحسن
علي الصوفي والشيخ القاضي ابو العباس احمد الى طع وغيرهم من
اكابر الديوان ليتقي بر الصلح وعوده الى الحضرة فلما اتوه وتكلم معهم
اجبروه بانه عندهم من قطعوا باطن الامر على الايقاع به فلم يأذن
لهم في السراح واقاموا عنده مكرمين واستشارهم في اقامة قوا
مصطفى الراي الذي عن له الى اقليم الشريف ونبذه الى المنستير
مقام محمد الاصغر فلما ثاروا عليه به فارسل اليه واحضره واولاه بعد
توقف شديد واعطاه المولى الامير عهدا ان لا يبغي له مضرة جبانه
وذلك لعشر خلت من رمضان ولما بلغ ذلك محمد الاصغر قلق قلقا شديدا
واضطربت احواله واخذ امره في الانحطاط وقد كان قبل ذلك لما رأى امر
المولى الامير لا يزداد الا قوة ارسل رجلا يقال له الحاج مصطفى الرويشي

الى الجزائر خفية وقد بلغه ان صاحبها الحاج ابراهيم الشريف باي من شيعته
ووعده ان يرده الى ملكه للعداوة التي استحكمت بينه وبين الامير بوقطة
لانتهاز الفرصة ويستحثه على القدوم ويعلمه انه قد ضبط البلاد له الى ان
يقدمها واخذ في مطاولة المولى الامير رجاء ان يقدم عليه ابراهيم الشريف باي
فيسلم له البلاد ثم ان العسكر طالبوه في قبايلهم والحوا عليه في الطلب
من اعطايهم اياها فبقي في انفسهم منه واغلظوا له في القول فامر بجمعهم
بفناء القصبة ضحى يوم الجمعة منتصف شهر رمضان فقال لهم من اراد
الاجر فليخرج الى قتال العدو فاضطربوا وتنادوا بخلعه على كلمة واحدة
واضرب في الفرسان منهم وانطلقوا في اثره الى حضرة المولى الامير
فاخبروه بالقضية على وجهها وحثوه على الركوب للحضرة فنهض
لوقته متوجها اليها والبشاير تتوالى عليه بذلك ما يسره ويعجبه
وخرج اكثر الناس لتلقيه فلما انتهى الى الحمى جريدة واجتمع باعيان
الدولة امتنع من الدخول الى الحضرة حتى يخرج منها محمد الاصغر وكان قد
دخل مقام الشيخ الولي الاستاذ ابي العباس احمد بن عروس لائذا به
فدخل عليه جماعة من الجند واخرجوه وانطلقوا به الى المولى الامير فلما
كان بالملاسين عمد اليه جماعة من اتباعه فقتلوه وحزوا راسه واتوا به
الى المولى الامير فامر بدفنه ودخل القصبة يوم الاحد السابع عشر
من الشهر ومن الغد قدم الداي فرامطع مجلس الامير لتجديد البيعة
واجلس الداي معه وبويع بيعة عامة واطلقت البشاير وانتقل
الى دار الامير حمودة باشا فسكنها فلم يلبث ان وافاه الخبر
بركوب ابراهيم الشريف باي البحر من الجزائر الى الحضرة ليتسلمها من يد

محمد الاصغر بسبب ما ارسل اليه فكتب الى جميع القلاع والبلدان التي بالسواحل بامرهم
بالقبض عليه ان جاءهم وبعث خيله على السواحل وارسل ثقاته الى بنزرت
وغار الملح وغيرهما لطلبه ووجه من الجيش بمنزل بالعبدلية من الحواشي
واركب جماعة وثق بهم من رؤساء العسكر في مركب من مراكب البحر وامر عليهم
حسين جابي رايس ونزلوا في النظرة وامرهم بالتعرض له فان صادفوه يحيلوا
على الوثوب عليه في كبد وقتلوه فلما خلصوا من حلق الوادي وانتهى ابو ابراهيم الشابي
الى بنزرت فارسى بين سلحا وارسل رجلا ممن معه وامره ان وجد المركب
ان يجعل له علامة لينزل وان كان الامر غير ذلك جعل له علامة ليقلع
فعلم اصحاب المولى الحسن بمقصد الرجل وهددوه بالقتل فلان لهم
واخبرهم بما تواطأ عليه مع ابي ابراهيم الشابي من وضع العلامة فامروه
ان يجعل له علامة النزول فاستراب ابو ابراهيم الشابي ولم ينزل واقلع
عن بنزرت قاصدا غيرها من البلاد يتجسس الاخبار بعدها ومنه
مركب حسين رايس واصحابه بين بنزرت وغار الملح فلما تقاربت المركبتان
سألهم اصحاب الشابي من اين جئتم قالوا من تونس فطلبوا منهم ان يبعثوا
ليسألوهم عن مقصدهم وقربوا منهم فقالوا من اين كنتم بتونس فيتولى
امرها قالوا محمد الاصغر والناس كلهم معه قالوا واين حسين بن علي قالوا
بنواحي القيروان وكلهم مع ذلك يهربون منهم فلما تكرر حسين رايس
واصحابه من الرمي رموه عن قادوس فاصيب وسقط وفيه ووثبوا
الى مركبه فحزوا راسه وقتلوا بعض من معه واتوا الى غار الملح
ثم ارسلوه بالبشارة الى المولى الحسن فورد عليه الجيش وهو بمكان من
العبدلية يمشي بقتل ابراهيم الشابي واتى اليه بعد ذلك براسه

الجمع

ورجع الى حضرته وقد صفاله ملكه وانبسطت يده ورسخت قدمه وكان
رحمه الله تعالى شهما فيلما عاقلا حازما ضابطا عجيبا رحيما رفيقا موثرا للعدل
والانصاف عارفا بامور السياسة وقوانين الملك محبا للعلماء معظما
منوها بالهم كثير الاثاني والخيرات معتنيا بحديث رسول الله صلى الله
عليه وسلم بحيث قرئ بحضرته الكتب الستة على الدوام مواظبا على الاذكار
والاوراد وقورا مهيبا شديد الهيبة كثرت الخيرات في ايامه ورخصت
الاسعار وحسنت احوال الناس وامتلات ايديهم بالمكاسب وامنت
الطرقات واول ما وجه اليه عزمه عمارة مدينة الغنى وانه لما خرج
بمحلة الشتاء بنى عليها امر ببناء سورها من حالته وكان ابتداء العمل
فيه يوم جمعة في سنة ولايته وكان هدمه قبل ذلك ووقع يوم جمعة تم لحرارة
سنة وجاء على احسن منوال وبنيت دورها واسواقها حتى زادت عمارتها على ما كانت
عليه وحشر اليها اهلها من جميع البلاد التي في نواحيها واحيا بها من المساجد
ما ينيف على الخمسين وعمر من زوايا الصالحين بها واضرحة الاولياء شيئا
كثيرا وجدد بها اثارا ورسوما كثيرة واثر بها اثارا جميلة وسياتي في
مدة الحج عند ذكر ماثره وحسناته ان شاء الله تعالى وانتقل في
اول ولايته الى سكنى باردو واعتنى بقصورها وشيدها واحيا مسجدها واقام به
الجمعة ولم تقم فيه قبل ذلك واول خطابته الشيخ ابا العباس احمد بن
مصطفى الحنفي ذكر امارة علي باشا لما ملك المولى الامير لم يكن
له ولد وكان لاخيه محمد باي المتقدم الذكر ولد اسمه علي كان المولى الامير قد تولى
تربيته وكفالته فلما كانت السنة الثانية من ملكه وهي سنة ثمان عشرة اولاه
السعي بالمحال العسكرية وسماه باي واعلى منزلته واكرمه ولم يبق على
ذلك الى سنة سبع وثلاثين كما سياتي في بقية اخباره ان شاء الله تعالى ثم ان المولى الامير

ارسل رسلا الى الحضرة الخاقانية لطلب التشريف بمرسوم الولاية والخلعة
فاسعف بذلك وخرج له المرسوم العالي بتقريره في مملكة ابي بغية ابيه ووردت مراكبه
بذلك في سنة تسع عشرة فعقد مجلسا بقصره من باردو المعمور شهده ابناء الباشا
والباي واهل الديوان وارباب المناصب الشرعية من الحنفيين والقضاة وغيرهم وجددوا
له البيعة وفي سنة احدى وعشرين صدر من النصراني صاحب طبرقة تجاوز الحد
واخلال الشرط ولم يخرج اليه المولى الامير لمحلته واخرج معه على مراد ونازله بطلب
الامان والصلح على ما اشترط له الشايعة وعلى مال يدفعه معجلا فقبل منه وامر بتجديد
البرج القديم الذي هو خارج الجزيرة وحصنه وجعل به مدافع ورتب به طائفة من
العسكر حمية وحماية ذكر ذلك كله صاحب [illegible] في اخباره على ما نشأ مستوفي انشا الله تعالى وفي
سنة ثلاث وعشرين جهز مراكبه رحمه الله تعالى الجهادية لغزو العدو الكافر خذله
الله تعالى في البحر فصادفت مركبا للجنويين للفرنج بها ما ينيف على [illegible] كانوا اساري
بالجزائر فاشتروا انفسهم وركبوا منها راجعين الى بلادهم وفيهم جماعة من
القساوسة فاخذتهم الى ان التونسية بعد دفاع ومحاربة ورجعت بهم الى
الحضرة مع مركبهم فاغتاظ للفرنج اهل تلك الطائفة وتكلم في شانهم القناصل الذين
بالجزائر مع صاحبها وقالوا هؤلاء اشتروا انفسهم منكم وهم في جوار من بلادكم
فهم في ذمتكم الى ان يصلوا لمامنهم فكتب صاحب الجزائر الى المولى الامير يطلبهم
منه فعذر الحجة فلم يجبه الى ذلك فكتب اليه ثانيا وارسل رسلا من قبله في ذلك
فلما بلغوا الحضرة قادوا الى رسالة جمع لهم المولى الامير اهل الشورى وسادة اهل الشريعة
بمحضر رسل الجزائري فاجمعوا على انه ليس لهم وجه في ذلك لانه ليس له وجه شرعا
لانهم لما انفصلوا عن الجزائر في مركب اهل الحرب صاروا في ما لا سيما وقد قاتلوا
وحاربوا وكان فيما قالوا لهم ارايتم لو انهم والعياذ بالله اخذوا المسلمين اكنتم
تستردونهم وتحتجون عليهم بانهم اساري في جوار بلادكم ولم يصلوا الى


منهم

ما منهم من متعدى باقية عليهم وكتب الجواب من ذلك وصرف به الى ان طاجهم
تلجج ولم يعتبروا ذكر والطلب مرارا بالمراة الذي غير مغن عنه شيئا ارسل جماعة من عسكر
الى الحضرة الخاقانية واستفتوا شيخ الاسلام بها فافتاهم على مقتضى ما ارادوا
ثم عرضوا القضية على السلطان احمد خان رحمه الله تعالى مصرحين من انه العالي
برد الاسارى موافقة لفتيا شيخ الاسلام وصرف كتب من بعض اهل الدولة
العلية بمقتضاه وارسل من ذلك فنجي باشا وجاويشا مع رسل الحج ابروانتهوا
الى تونس في سنة اربع وعشرين وكان الامير وقت وصولهم غائبا عن تونس
بالمحلة الربيعية فقابلهم اعيان الحضرة ورؤساؤها بالاكرام والتعظيم
وعقدوا ديوانا لقراءة الفرمان السلطاني فلما قرئ عليهم اجابوا بان
اخواننا الحجريين وقعوا بانفسهم لدى الباب العالي وسالوا على وجه
غرضهم في اخراج الجواب طبق سؤالهم وقد ابطنوا ما يقع به وبين لو تجمعنا
وبعد ان يقف مولانا السلطان بنفسه وقعنا عند امره وبقية الاسارى في محل
من ولهم مكى مين فلما قدم المولى الامير من سفره استدعاهم واقام عليهم
الحجة واراهم الحق ثم راى ان الامر يؤول الى شر وفتنة وان خصماء ربما
اشاعوا عنه انه قابل امر السلطنة بالعصيان فحسم هذه المادة ورد
عليهم الاسارى وسرحهم الى بلادهم ثم جهز الى رسل بجهازهم وركبوا البحر
اجمعين رسل السلطان ورسل الحج ابروما وكان من الامر العجيب والاتفاق
الغريب ان طاردتهم مراكب العدو من البحر فحاربتهم واسرتهم فكان
من لطف الله تعالى بهم وصنعه الجميل للمولى الامير وحسن نيته على ما
اتى من اصلاح ذات البين والنفع للمسلمين ان دفع بجانب البحر لم تلك
معه مراكب العدو امر بغيرهما باتفاقها الى ايام ولعطفها البحر الى ساحل

من سوا حل أبي بغية فانصرف وسلم من بها من الغرق وبقوا حيارى لا يملكون
لأنفسهم نفعا ولا يستطيعونه دفعا فسبتهم أيدي المسلمين وأوصلوهم إلى الحضرة
وخلص الله تعالى أولئك الرسل من هذه الورطة وعوض الله المولى الأمير من
الأسارى مثل ما رد وكان عددهم مثل عدد الذين أطلقوا ما يقارب بل يزيدون
ثلاثة وكانت مغيب الرسل بعد سفرهم ورجوعهم على هذه الحالة وورودهم
لهذه الحضرة ستة أيام وفي سنة خمس وعشرين طرق عند الحنانشة رجل زعم
أنه ابن علي باي بن مراد باي وهو مملوك لمحمد بن سليمان وكيل رمضان باي فيما
تقدم واعمال على ذلك الحنانشة أبو عزيز بن نصر وأرسله إلى أولاد سعيد
فاستقر عندهم واحتفى كاتب أخي أبي بغية وحكى كذا داعية الفساد وكتب
المولى الأمير إلى القايد [illegible] أن وهو على الكاف يأمره بشأن الكائن
القايد [illegible] حيله وعمل وفر [illegible] أنه بقرية وكبسه على
حين غفلة وفرق جموعه ولقفه كتابا ورجع به فلقي والربي خيله فأمر
لمثل ما قصد به فأعلمه أنه كان أمره وأوصله إلى الحضرة فقتل

ذكر دولة محمد ابن مصطفى المعروف بابن قهمة

كان من حديثه أنه كان من كبراء الدولة التونسية وعظمائها مشهورا
بالشجاعة الفروسية وكان مختصا بأبي إبراهيم الشريف وعرف
بمكانه منه أرباب دولته فلما خرج لقتال الجزائريين من انتهز الفرصة
فيه وأغرى به الأمور فسبوها بقتله وكان يعادي المولى الأمير
عداوة شديدة فلما توقع الشر من أبي إبراهيم الشريف فطارح عليه
فشفع له عنده وعفى عنه ما الم به من قتله ثم بعد أيام هرب إلى محلة
الجزائريين وتبعته ذريته فما تقدم ولما رحل الجزائريون عن تونس راجعين

الى بلادهم وقد تغيضوا على ابي الهيم الشيخ فيه وتلا مكانه المولى الامين فارفهم
فكتب اليه المولى الامين يقاتيه ان حرمته فاخف من ذلك ولم يركن اليه وارتحل
الى المشرق وتقلبت به الاحوال الى ان اتصل بالخارج خوجه فبعد ان بالغ اكرامه وكان
قد خرج بالمراكب السلطانية فبذل له اموالا على ان يأتي به الى تونس وبلده
امورها ووعدكان ثم له ما اراد مواعيد عظيمة وفي زعمه ان العساكر واهل
البلد قابلون فيه طاعته فاقلع به في مراكبه السلطانية وحط على غار
الملح في سنة سبع وعشرين وارسل الى المولى الامين يطلب الامان العفو وما
هو الا عن جبن الافرنج وسولت له نفسه انه ينزل له عن المملكة طاعة
للخارج خوجه لاجل ما ان استظهر به من قبل الدولة فاحضر المولى الامير
علماء ووزراء واباشا واهل الديوان وفاوضهم في القضية فاجمعوا معه
على طرد جانم خوجه ورمى مراكبه بالمدافع ان لم يقلعوا وارسلوا اليه بذلك
فلما راى الخارج تبين له بطلان ما زين به عنه محمد بن مصطفى اقلع راجعا من حيث اتى
واستصفى اموال محمد بن مصطفى وطرده فتوجه الى الحجاز حاجا فلقيه هنالك
محمد بن اسحق مراد وكان بينه وبين المولى الامير صحبة وكان اجتماعه به في
المواجهة الشريفة امام الحجرة المطهرة على صاحبها افضل الصلاة
والسلام فعاتبه على ما صدر منه من ارادة احداث الفتنة فاظهر الندم
والاقلاع وحلف له لا يعود الى مثلها واخبر عليه بذلك حمل الى تلك الديار
التونسية ثم عاد الى مصر فمكث بها الى سنة ثمان وعشرين فلما خرج الركب
المغربي منها خرج معه كانه امر عازما على دخول افريقية والعيث فيها
واثارة الفتنة فيها طلبا للملك فكتب بذلك الى المولى الامين عيونه بمصر
وورد عليه الخبر وهو نازل بباجة بمحلته الصيفية فاستدعى ابا عبد الله

عمر الشقيلي وكان على الكاف ماصر اليه بالخبر وامره بالنهوض لوقته لمعارضة
الركب في الحين وبات من ليلته بالكاف بعض شؤونه وخرج صباح الغد
متوجها الى فاس في اربعة ايام وبعث ابن اخيه احمد الصغير
واليا على المقدم فاقام بها يتجسس الاخبار ويتبع قدوم الركب
فورد عليه كتاب المولى اليزيد يخبره فيه بان ابن مصطفى فارق الركب
في فزان فسلك طريق الظهراء وبعث الى الخنقة وامره بترصد الطريق
الصحراء وارسل الجواسيس الى الخنقة ومعه كتاب الى احمد الصغير فاتى
المقدم امرا بامره ان يتعرض للركب ويبحث الخبر عن ابن مصطفى ويبث
الخيل في النواحي وياخذ عليه المسالك فارسل الخيل الى النواحي وكتب
الى الركب فثبت عنده انه تخلف بطرابلس عند اولاد عبد النبي واما
الشقيلي فانه خرج من فاس فاتى تازة وانتقل عنها الى تلمسان وكتب الى الحاج
تعرف بالعينين عليه ان ينصرنا جهته وارسل خيلا من طرود الى مياه الصحراء
يتجسسون ثم ارتحل من تلمسان الى الخنقة ولقي هو ومن معه من شدة الحر
والعطش ما اشفى بهم على الهلاك فاقام بها اياما وخيله متبوعة على
الجهة فورد عليه كتاب المولى اليزيد يامره بالرجوع الى الامر لما ثبت عنده
تخلفه عند اولاد عبد النبي فلما انتهى الى الجرير لقي الركب فاتهمهم بالتستر
عنه فلم يرجع له امير الركب كتابا من ابن عمه اخر يخبره فيه انه استخفى
الى كتب جيمة جيمة حتى صح عنده انه ليس معه فلم يتعرض له ثم ال
وركب معهم وسار مرحلة كاملة حتى جاءه خبر المزيد فلما ايس
منه انفصل الى فاس فارسل اليه فاتى بكتاب من عم اخر يخبره انه فارق اولاد
عبد النبي الى غدامس وارتحل من فاس وارسل انجيهم فانتهى الى زميط

وهو منحاز في دوار له من ناحية الحيا فأقام عليه خمسا وعشرين ليلة
كامنا تحت ظلال الصخر والأرض ويعينونه على كل شيء وضم إليه كثيرا من أهل
النجدة من عرب تادلا الناحية وعميت عليه أخبار ابن مصطفى وكان قد وصله
عن أمره في حضرة الشيخ أبي القاسم ابن حبيب بن عبد الحي بوجدير بها
خيلا لأحمد الصغير أرسلهم لاستعلام أمره فاستعلم لهم أبيه وهو مخفي الغدر
بهم فعاقبه على ذلك الشيخ أبو حبيب وأنكر عليه واستتر عنهم
بحرزهم منه وأعلمهم بباطن أمره فوجدهم فراضى والله مثل ما اضمر لم ينتهم
أيام ثم إن ابن مصطفى ارتحل من غرامس منقذا ووراء بعض ناحية غير التي
أرادها فأرسل أولئك الخيل خلفه من يعلم لهم خبره فعاد إليهم وأخبرهم
أنه سار إلى ناحية الشيء في طلبها ثم انتقل منها فخرجوا يقصون أثره حتى انتهوا
إلى نواحي الجبل الأبيض فوجدوا بعض الحي أنه فسألوهم عن الأخبار فأخبروهم
أنه مر بهم متوجها إلى ضوء وأن القايد نازل على زمية فرجعوا إليه فلما
وردوا عليه وأخبروه بالأمر على وجهه استشار من معه من العرب فكلهم
أشار عليه بالإقامة في مكانه لأن ابن مصطفى إذا جاء زمية فهنالك عطشا بالمقام
فيشتكي وقد كاد أن يجيء خوفا من جواته وأرسل رجالا يتجسسونه فعادوا
إليه بعد يومين وأخبروه أنهم فارقوه ظهرا امسهم من مكان يدعى بالقماح
وأنه لم يشعر بهم فأرسل طايفة من خيله إلى بغي أورة لعلهم يصادفونه فرجع
فصدها وأرسل إلى ابن أخيه أحمد الصغير يأمره أن يخبر الخبر إلى نواحي الجبل
وسار هو ومن معه إلى الموضع الذي فارقه فيه أصحابه وتبعه بعض أثره فلما جنح
الليل أوقد المشاعل وجعل يقص الأثر على ضوئها حتى أصبح فتبع الأثر
إلى رضوان فانقطع الأثر لكونه حجارة صلدا فلما انتهى إلى مافسر وجد الأثر

فقصد الى مرداسة وصل الى قبور النعام فادركه هناك وقبض الله تعالى عليه
اذ انهم هو ومن معه قوما تحت ظلال الشجر للاستظلال من النصب وقد ظنوا ان الطلب
لا يدركهم هناك وقام ايضا رئيسهم الذي اقام في دولتهم الطاغية ولم يحز بينهم وبين محل
منجاتهم من قبضة الاصابة قليلة بموضع يقال له اليسب فقتلهم عن اخرهم وحمل
راسه الى قسنطينة وارسله بين يديه الى الحضرة وكان قتله في اخر يوم من شوال وحصل
بذلك للمولى الامير سرورا شديدا لانه كان قد اهمه امره وكثر الارجاف وارتفعت
الاسعار بسببه اهلكه الله تعالى شر قتلة

ثورة حسن غلام الغزالي المعروف بجوزاب

كان حسن هذا غلاما مرنيا للغزالي مسمى قبل اسلامه جوزاب فلما اسلم
سمي حسنا ثم انه جنى جناية وبسببها الى قسنطينة وكان بها رجل يسمى
حمودة الخناسي قد واقعها ايضا وانى امن المولى الامير بجناية جناها ايام
خدمته له فسولت له نفسه الثورة على المولى الامير وان ينصب جوزاب
للامر فتكلم مع جماعة من العسكر الجناة كانوا لمذهبهم في كي يقال له محمد
خوجه كان من خدام المولى الامير ايضا فاجمع رايهم على ان يقدموا حسن
جوزاب بابايا ومحمد خوجه دايا ويقدموا الى ابي بغية فيطيعهم العرب ويستولوا
على ملكها في جوار قسنطينة وجملتهم اربعون فارسا فانتهوا الى الزاب
وجه في مالية بيت من اولاد مقدم شروا عن قومهم محل العين فقصدوهم فقبل ان
يصلوا اليهم صادفهم قوم من بني عيسى اهل الزاب فاخذوهم فلما علم بذلك
اولاد مقدم ركبوا الى بني علي وكلموهم في شانهم في دولهم فما اخذوا منهم
واتبعوا عليهم واقبل اليهم قوم من عرب الزاب وتوجهوا الى الطاهر ابي بغية
فانتهوا الى القلعة وهي قرية باعلى جبل عيسى ان وبلغ خبرهم الى المولى



الامير وهو نازل على باجة بمحلته في دار ثلاثة الاف فارس وامر عليهم احد قواده
ووجههم اليه فانتهوا الى القلعة وجاء وهو بها وقاتل معهم اهل المحلة فلما اشتد
القتال عطش جوزاب فنزل الى الماء بطلا من ابلدو فناحية غير ناحية القتال
فصادفته سرية من خيل المولى الامير فعرفت قالوا انا هيه فاخذوه اسيرا
ورجعوا به الى رحالهم فقطعوا راسه وكروا راجعين به الى المولى الامير
وتفرق جمعه وبعد ذلك ارسل رجب بن حمودة الخوجه الذي تولى كبر هذه الواقعة
الى المولى الامير يطلب منه الامان فامنه وعفا عنه فاقبل اليه فاستخدمه وعاش
الى ان مات الحاج علي باشا فقتله

ذكر ولاية المولى محمد باي بن ابي الامير بابا ابي علي باشا وولايته منصب اباشا وما نشا عن ذلك من ثورة يونس بوسلاك ومصاير امره في ذلك

فقد قدمنا انه كان للمولى الامير اخ اسن منه اسمه محمد هو ابو علي باشا وكان قد
خدم الملوك من بني مراد وبعدهم الى ايام الشريف قبل ما لاخيه الا انه لم يكن
له من الحدة ونباهة الشان والنجابة ما لاخيه بل كان اكثر شغله بالصيد
والخلاعة فتقاعدت مرتبته عن مرتبة اخيه ولم يهم الا بعمله وكان قد تزوج
ابنة حسن بن محمد بن الغايد حسن فولدت له علي باشا فنشا في بيت عمه
وكفالته وحين تجدد ان افضى امر المملكة اليه ولم يكن له اذ ذاك من الولد ما يشد
عضده فاراد الا يستخدم الا ابن اخيه فلما كان في سنة ثمان عشرة بعد
اعطاء المحلة اليه باجر عشر شهور اخلع عليه واولاه صبغ الجلال سماه بايا
وخرج بالمحلة السلطانية في شهر ربيع الاول من سنة وله من العمر تسع
عشرة سنة ثلاثة ولد سنة اجرى وطابة والعب واستمر حاله على ذلك

يخرج بالمحلة مرتين في السنة محلة الشتاء للجريد ومحلة الصيف لوطن باجة
على ما هو القانون عند ملوك الحفصية وتخرج الولد الأمير في محلة أخرى فينتهي
إلى القيروان وأمه بباجة في الشتاء والصيف وزوجه بابنة كاهية علي بن
أبي وهب الفقي وولدت له أولادا كلهم بو نصر ومحمد وسليمان وأختهم زوج
مولانا أيده الله تعالى ثم زوجه بعد ذا بعقيلته وشد أزره بصدقه
وهو في جميع أحواله يجري مجرى الولد ولما أراد الله تعالى أن يشد عضده
ويجعل له من لدنه وليا في ملكه من بعده ويكون الملك وراثة في عقبه
إن شاء الله تعالى أن أخيه الجليل هيأ له أسباب ذلك في قضية مشارة
وكرامة ودليل على أن وصول الملك إلى مولانا أدام الله تعالى ملكه بعد
أخيه رحمه الله تعالى إنما كان بموهبة ربانية وعناية نبوية ويعلم منها أن
ملكه كان له ببشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم خليق بالثبات
والدوام وجدير أن تجري أحواله على أحسن نظام وأنه لا يغير من الليالي
والأيام وأن حقا على الناس أن يدينوا بطاعته ويدخلوا كافة تحت
دعوته وأن الذي قضى للولد الأمير بنيل الأمر لم يكن إلا عن ميسر وبرهان
مبين

وما ذا أحظر بالبال أسنى وجوهها ... ولا الذي به الغر مضحى
ولكن موجود من الآي الذي ... تلقاه عن جبريل صفيه به جبي
وكنز من العلم الربوبي أنه ... هو العلم حقا لا الغيابة والجبي

والقضية المذكورة مشهورة مستفيضة وممن ذكرها أبو عبد الله حسين خوجة
في كتابه بشائر أهل الإيمان والوزير الكاتب أبو العباس أحمد الأصرم
في ديباجة شرحه على قصيدة المولى محمد باي رحمه الله تعالى التي

مطلعها

مطلعهاه بالله اربع جيش الحُسن والنصب واحرهاني يرعلى الاخي بجمعت
بين روايتيهما وذكر ما زاد كل واحد منهما على الاخر وهـــو ان
رجلا من الجن اه الواضين على حرمة المشايخ وزيارة قبورهم ٭
اجابته لغوثة قال صاحب بشاير اهل الايمان زاينه وبجيبي شرفه وعينه
في بيته مزاوِنه واعينه الجليلة في ابن عللازم زيارة قبور الصالحين مستعيث
ومتوصلا برسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ض به الشيخ ابو المواهب
التونكي عبد الوهاب التوفيي احد خدام الشيخ الاستاذ ابي الحسن
الشاذلي رضي الله تعالى عنها وضريحه مشهور بجنب منوبة يزاره للناس
بيه اعتقاد قال جهت عنى نهار ابرايته رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه اصحابه
الكرام بسالته الشفاعة ثم شكوت اليه حالي وما طبعني بحسب بين الخيجة
بحيي وعيني فسعاني الله تعالى بي الكالى ثم سالته صلى الله عليه وسلم عن سبب
قدومه الى هذه المدان فقال جيئنا لنقضية حسين باي بهذه الجارية
المباركة وهي لولده منقولوا لان ببيبي احدهما مكراو الاخر عليا هما وارثا
ملكه من بعده قال وقد كان المحل احتبس في تلك الليلة مع شرح الحاجة اليه السنة
فسالته صلى الله عليه وسلم الغيث فقال انكم تستسقون يوم الخميس ان شاء
الله تعالى وكانت الرؤيا يوم الاحد ثم استيقظ الرجل ووجد نفسه معافى
كان لم يشكُ قط فاتى الى المولى الاحمى وقص عليه رؤياه فسر بها سرورا عظيما
وكشف صرفها من بر الرجل وعافيته ودفعه بعد ان كان على حالة منكرة ولما
كان يوم الخميس بعد ارتفاع النهار جادت السماء بمطر كافواه القرب ودام
الى صبيحة يوم الجمعة ثم لم تمض الايام قليلة حتى اخترق مراجبه الجهادية
مركبا للعجم من اهل جنوة وجيها عظيمة من عظمايهم لتامن العجم نحو من ثلاثة

عشرة سنة في شهر تموز فوصفها الخزانكي أبو العباس الأصم في رواية وذكر أصحاب
بشأنه أهل البلدان أن حصولها كان قبل الرؤيا بأيام قليلة والأول هو الذي سمعته
أنا من مولانا أيده الله تعالى وربما أثبت أعلم بما فيها وكان حصولها بمحل
في سنة أحد وعشرين فاصطفاها لنفسه ولم يحصل لها إلا أمر الحمل
بوضعه مولانا محمد باي رحمه الله تعالى وكانت ولادته في ذي الحجة سنة
ثنتين وعشرين ثم بعد مضي حول ونصف منه حملت بمولانا أيده الله تعالى بوضعته
في شوال سنة أربع وعشرين ثم ولدت بعد خمس سنين المولى محمود باي
ثم بعد سنتين أخوها المولى مصطفى باي وولدت أخته باكلة بين مولانا
وبين أخيه المولى محمود بكان قبلها ولدان وبعدها ولدان وفي هذا الفصل
بينهم بالأنثى وتحي أخرى من الذين عن الاثنين أشار إلى حديث الرؤيا من
أن الملك الذي له الولدان المبشر بهما أجليتهما ولما نشر الله عظم بنيه
في بوادي مهاد الملك ونشأوا في كنف العز وتسنموا ذروة التي فاعتنى
رحمه الله بتهذيبهم وتعليمهم ولما ترعرعوا ونشأوا ضم إليهم إمامه
الشيخ الفقيه أبا المحاسن يوسف بن تغيز فاعتنى بتعليمهم وتخريجهم
هذا كله وعلي باشا أخي أخيه في إمارته وشيعه بالحال إلى سنة سبع وثلاثين
ومن بلغ المولى محمد باي أشده واستوى وتأهل للإمارة وكمل له من العمر خمس
عشرة سنة فأراد أن يجعله لولاية محل وجعله بلدا ويقلده أمر جباية
أمواله والسعي لحماله وبوفي عند ذلك علي باشا البكري ابنه هو وارث ملكه
ويكون في ذلك وجعل يقدم فيه رجلا ويؤخر أخرى توقعا الصدود ما صدر من
علي باشا واستشار خواصه وأهل الشورى وذوي الرأي من أصحابه
فكلهم أشاروا بإمضاء ذلك وحثه عليه وحضه على المبادرة إليه

ذا الحلي

وأعلموا أن تأخيره عن الحكم وإطاعة للتي أي عزم على ذلك وصمم عليه لكنه
رأى أن صباه ابن أخيه عن الإمارة بالكلية وسلخه عن الولاية بالمرة بعد أن تقلدها
أبدا ويمد الأعين بها ويغل خلال خلعه الذي اقتضته الحرم والتربية وغض
من جانبه والإمارة لحيته فأجمع رأيه أن يجعله باشا كما فعل كل واحد من مراد باي
وابنه حمودة باشا بنفسه حين نزل عن خطة المحال لابنه وتقلد هذا المنصب
وكما فعل محمد باي بن رمضان باي بأخيه مراد باي حين تقلد في أيامه بواسطة
ليكون قد انتقل إلى مرتبة أعلى وخطة أنبه بحسب العوائد الرسمية فجهز محمد
الوزير وأرسله إلى القسطنطينية حضرة السلطنة العلية بهدية عظيمة
وطلب من السلطان أحمد خان رحمه الله تعالى تولية ابن أخيه باشا بتونس وأنه باي
بها فأجابه إلى ما طلب وأنعم به عليه وخرجت التقليدات والخلع ورجع
إليه رسوله بالطلب فعند ذلك سمى ابن أخيه باشا وأمره بالانتقال من سكنى باردو
وأسكنه بدار رمضان باي وعقد لابنه على خطة المحال وولاه بدلا مكانه وشق
ذلك على علي باشا وصعب عليه لكنه لم يسعه إلا الامتثال وسر المولى حسين
بولاية ابنه سرورا كثيرا وهنأه الناس ومدحه الشعراء في
ذلك قول الوزير السراج

هنا آلوي الحال بغير جميل ... وسعد له بالنيرين وصول
وعز يرد الشاكي بغير مكلل ... وكل بليغ في ثناه كليل

وللشيخ قصيدة طويلة والمصراع الأول أعلى وأتى بها تاريخ السنة ولادته وقال
الفقيه أبو القاسم بن غانم من قصيدة طويلة أولها

أهوى علاقة شوقه الحبيب ... إلى أن قال
أم در تلج أب تتوج ابنه ... وليته عن أبيها إلا بنساء

ام عفو سلطنة تعز رجاله   دانت لواجب امره الكبراء

ومنها في مدح المولى محمد زيان

نفحت سريرته وجهر نداله • ولنا منى اذا له نفحاء

الى بهجتها وحسدانه • نسب مواطنه ابو العلى باء

ومنزه عن شبه مثل كماله • ومن التبس بالحجاج جراء

وجى قبلتها بيع المجامع بحرها • نصبت عناصرها وغيض الماء

ودنيا منحت دول عز • لم تغشها سحب ولا ظلماء

شرقت البلاد بالسلام تحية • وتواخت سجعة لها الورقاء

وتعرت في نجدها وبرجلها • جيشه رايته ذي الحمراء

حملته اجنحة الهوى امتثالها • حملت سليمان النبي رخاء

وهي طويلة جدا وقال الشيخ الفقيه القاضي المشاور ابو عبد الله محمد بعدار،

هكذا بالاصل

ثم لما كان في ذي القعدة من السنة فتح المولى محمد زيان بالحملة الصبيعية

وكل

وَعمل الصابون في وجهه وكان مشهوراً حاملاً وكان عمل الصب يوم خروج المحلة ويوم
دخولها فاذا نزلوا جاءوا بالحلوة حتى ابطله علي باشا المذكور وصورته ان يجتمع العسكر
ببطحاء القصبة صباحاً لابسين احسن ثيابهم متزينين باحسن زينتهم فاذا تم جمعهم
تقدم الاغا والاوذباشية بين يديه الى دار الخلافة حيث الباشا ويأتي
فاذا اصحاب الرايات نازلين براياتهم فيأتي الباي او خليفته فيخلع عليه
الباشا خلعة سلطانية ثم يركب ويركب معه الباشا او كاهيته وبين
يديه الشعار والايالة وعلى رأسه السناجق والنوبة العثمانية تدق
خلفه والاغا والاوذباشية واصحاب الرايات بين يديه صفين بادبه ووقار
الى بطحاء القصبة ويرحب هناك الباي بالاختيارية فيتقدم بطائفته
امام العسكر ويتوجه من يقوم مقامه ويتبعه العسكر باجمعهم مصطفين صفين
والباي في موكبه خلف الجميع فاذا انتهى الباي الى اعلا الربوة المشرفة على الملاسين
فرش له هناك مصلى وجلس عليه ونفذ العساكر قدماً الى الملاسين فاذا وصل اليه الباي
سلم عليه وودعه وحينئذ يرجع الباي ويمضي الباي في العسكر على
ان يصل الى الملاسين حيث الخيام مضروبة فيدخل اوطاقه وكذلك الاغا
وبقية العسكر المشاة في ... ويرجع غير المسافر من اهل المدينة بعد ان
تطلق المدافع فاذا رجعوا من سبقهم ارسلوا رسلا يخبرون بان دخولهم
يكون يوم كذا فيأتي صاحب الباي واهل الباي والعسكر الذين في البلاد للقائهم
فاذا كان يوم الدخول خرجوا الى الملاسين ايضا على الرسم فيتلقونهم هناك ولما
يتقابل العسكر ان يطلق المشاة مكاحلهم دفعة واحدة ثلاث مرات
فيجيبهم المقيمون كذلك ايضا ثلاثا وتطلق المدافع من الابراج ويدخلون
على النظام المتقدم الى بطحاء القصبة ثم يذهب الكاتب العسكر مع الباي

او خليفته الى دار الخلافة على الرسم فيخلع عليه الباشا ثم يركب ويرجعون معه
الى داره وتضرب النوبة ببابه ساعة ثم ينصرفون وهذا هو القانون في بعد
ذلك من قديم كل عام وتعظم الخدمة والنواحي وطاهي الخيل بالنقارة
وتخرج اولاد الدايات امام الباي ويتجملون في الملابس والاسلحة
ويتباهون من ذلك ويتفاخرون فيه ولم يزل هذا القانون بتونس من
الاوجاق العثمانية

ثورة علي باشا بوصلاة وما صار امره بعد ذلك

لما قرر المولى الامين الامور على ما ذكرنا وعلي باشا على منصبه تحت
من اداف العيش وفي ذمة وافية من الامن وعلى احسن حالات الرعة وكان له شيخ
من اهل العلم يقال له محمد التونسي فيما استوحش منه المولى الامين واسترابا
لخائنه منه وانهى اليه انه يطلعه على ما يفي به على طلب الملك من علوم
الحدثان فابعده عنه وتبعه الى طرابلس فمات بها وضم اليه شيخا اديبا وهو
العلامة ابا عبد الله محمد الخو لازمه فاكب على تعليمه وفتح له في ذلك
المدة كتاب التسهيل لابن مالك الذي نسبه اليه وهو محمول من فتح الى آخر الجلاد
ولما اشتغل علي باشا بعد ذلك كتب منه نسخا وارسلها الى الاطراف وطار
له به صيت وهو مع ذلك كله متحجب على ما جاءه من امرة العساكر
وولاية المحلات ويوم عيد الجمعة ويستجمع للثوب واماراته ذلك
ظاهرة عليه من فلتات لسانه وقرائن احواله وانهى جميع ذلك
الى المولى الامين نصحا وقد علم منه مثل ما علموا وحذروا غائلته فتقدم
من اخذه على الظنة ورعى له ذمة الرحم وحق التربية للمرفود لانه
تعالى لا بد من كونه فلما عمل صبره وكثر الطعن عليه من عمه وما رأت

ظنونه

ظنونه وارتاب واوجس خيفة من القبض عليه تكلم مع جماعة من يالبقم
منهم كاتبه عبد الرحمن البغلوطي وكان معلم ابنه بو نصر فاتفق رايهم على الفرار وبعث
الى جبل ومسلات ودعا اهله الى القيام بدعوتهم لانه احصن جبل بافريقية واكثر
عمارة وعلفا واهله اسرع الناس الى الفتنة واكثرهم نفاقا وكان امرهم ذلك احمد
بن منيخة ريبر عمال زواوه فواطا على ذلك ووعده انه اذا اخليه الى
ومسلات كان اول لاحق به فلما احكم امره خرج غروب يوم الجمعة عاشر رجب سنة
اربعين ومعه ابنه بو نصر غلاما قد ناهز الحلم واستتبع زوجه ابنة علي
بن مامي بولديها محمد وسليمان وقد تقدم الكلام قبله الى ناحية الجبل فاجتمع بهم
وصار بلاده كلها ومن الغد وصل الى ومسلات وفاتحهم اذ ذاك عبد اللطيف السهيلي
فتلقاه ورحب به ولم يكن باسرع من ان دخلوا كلهم تحت طاعته واجابوا دعوته و
وكان خروجه من دار قرب باب القصبة وقد اغلقوا بابها وخرج من باب المنارة
ثم من الباب المجاور لتربة الشيخ ابي الحسن علي الزواوي لانهم من شراكة في بحيرة باردو
ثم احتز الى الشهال الذي وجهته في دار وهو يدعى القصبة رجل من الصوفة
فارتاب لركوبه في ذلك الوقت فاتى على الدرابي احد خاصة المولى
الامير فاخبره وارسلا الى الدار من يابتهم بحقيقة امره فعاد الرسول
واخبرهم انه لم يجد بها احدا فركب على الدرابي وامر الحاجب ففتح له باب
البلد واتى باردو وابطح بالحي فرقا خبروا من اعلم
المولى الامير بمكانه وامر ان يبعث له ابداب ودخل
عليه خبر الخبر جميع خاصته وتفاوضوا فيما عسى
ان يكون وخاف ان يسرع الى طرفه وهي اذ ذاك
في جبل الحي فارتكب خيل اغا الى ناحية بلاجه وامره

ان لا ينتهي دون طنجة واركب الخيل الى النواحي
التي هي مظنته من وجده وجاء احمد ابن
متيشة في تلك الليلة متنفلا بصلاحه
وقال انا ابعثك ناحية وسلا فيحي
فبعثه اليها فخرج في كتيبة من الخيل
ومعه ابناه ابو بكر ومصطفى فجعل يتلوم
ويتماهل في سيره فبلغه الخبر في طريقه
ان عليا باشا صعد الى جبل وسلات
فسار حتى انتهى الى سفح الجبل فوقف وقال
لمن معه من الخيل من اراد منكم الرجوع
فليرجع ومن اراد ان يرتقي معي الى الباشا فليفعل
فاني طالع اليه ثم بارزهم وصعد هو وابناه
فيمن تبعه وقبض عليه امامه وكبر ما اسر اليه من انعامه
ورجع الباقون الى المولى اليزيد بالخبر فلما تيقن
اجتماع اهل وسلات على طاعته ومظاهرة
احمد بن متيشة له امر بنصب مضاربه وازاح علل عساكره
وخرج بمحلته منتصف رجب ومعه ابناه
المولى محمد بلا ومولانا اعزه الله تعالى وفي
الخوة لنظر الراي وخليفته الحاج مليان كاهية
وقصد وسلات واستنفر العرب فاتته دريل
واولاد سعيد

سعيد والسواسي والمثاليث وجلاص واولاد عون والكعوب
وغيرهم وكتب الى اهل وسلات يحذرهم غايلة الفتنة ويرغبهم
في الصلح ويرهبهم ويامرهم ان يسلموا اليه ابن اخيه على الامان
ويضمن لهم التجاوز عنه وان يجعل له مرتبته معززا مكرما
فما زادهم ذلك الا عتوا وتماديا في الغي وجاء جوابهم في انه
لا يفد اليهم فامهل ورجا ان تكون لهم فية الى السلم فارسل الى الحضرة
واستدعى المشيخة من علمايها ليبعثهم اليهم في عقد الصلح
وهم الشيخ العلامة ابو عبد الله محمد الخضراوي والشيخ
ابو الحسن علي الصوفي مفتي الحضرة والشيخ ابو عبد الله
محمد سعادة والشيخ عبد القادر ابن الشيخ الولي الصالح ابي
عبد الله محمد بن عاشور وغيرهم فوافوه بالمحلة وقدم جهة وسلات
فارسلهم اليهم وامرهم ان يعظوا ابن اخيه ويدعوه الى الصلح والنزول
على الحكم والامان ويجعل له منزلته ومرتبته وان يعظوا اهل وسلات
ويرغبوهم في الصلح والسلم ويحذروهم غايلة البغي والفتنة
وسوء العاقبة فلما توسطوا الجبل وعلم علي باشا بمكانهم ارسل اليهم
طايفة من اهل وسلات وامرهم اذا وقعت اعينهم عليهم ان
يطلقوا مدافعهم دفعة ارهابا لهم وان يردوهم من حيث اتوا
وتمثل بقول الشاعر

لا نسب اليوم ولا خلة ❊ اتسع الخرق على الراقع

وارسل الى شيخه ابي عبد الله الخضراوي يستدعيه من
بينهم فامتنع وقال اما ان يذهب اصحابي معي او ارجع معهم فلم

يعرض له ورجعوا بخفي حنين وكان ذلك اوايل شعبان فبعث جمعهم المولى
الى الامير الحسن وارتحل من منزلته فنزل النخالة تحت الجبل من ثم فيه
وجعل يغاديهم القتال ويراوحهم وضيق عليهم ودهمهم وتكرر الزحف
مرارا فلما كان في اثناء شهر رمضان نادى ليلا في عساكره وجنوده بالهجوم
عليهم والصعود الى الجبل واستباحته فباتوا متهيئين لذلك واصبحوا على
كتيبة وهجموا على الجبل خيلا ورجلا وتسنموه واخترق الجيش بفجاجه
ومساربه فلا يقوم لهم شيء فانهزم اهل وسلات وولوا الادبار
وانتقل علي باشا من قرية بورجا الى قرية بقية الجبل فاعتصم بها
وانتهت العساكر الى بورجا فاستباحوها وانتسفوا ما جاورها
من القرى وانطلقت فيها ايدي الجيش وخامر اهل وسلات الدهش
فلما كان اخر النهار وراوا اشتغال العساكر وانتهب تراجعت اليهم
انفسهم فكروا على العساكر وصرفوا الحملة عليهم وقد شغلهم
النهب عن الدفاع فولوا لا يلوون احد على احد وتورطوا في تلك
الشعاب والاوعار ولا خبرة لهم بمسالكها ولا استطاعة لهم على
الفرار فيها وادركهم الاخرون وهم الخبيرون بها المتمرنون على الفرار
فيها فقتلوهم كيف شاءوا قتلا ذريعا وهزموهم هزيمة شنعاء
واستولوا على مربعين تسنموا بهما الجبل واسي والطايفة منهم وفي
الغد الى المحلة واقام المولى الامير بمكانه من النخالة ووقع بينه وبين اهل
وسلات بعد ذلك خمسة زحوف كان الظهور في جميعها له الا انه
لم يعاود الصعود الى الجبل بل كان القتال في جميعها بسفحه وقبل بعد
ذلك على اخيه محمد باي والرعلي باشا وكان قراح جه معه في

المحلة

المحلة وارسله الى الغنى وان يدافع بهاء اتهمه بطاعة ابنه والميل
الى جانبه لما اتى له من بلاد الظهور يوم بورجا بعد ان كان فر الطبق البراءة
منه واستخلف لما جابه بارسله الى بلاده او سجن في بيت اعرف له
وبعد يوم بورجا افترق اعيان المعسكر الى البلاد واتى اهل النفاق
في البلاد واستشعر اعداء الدولة الى علي باشا وكاتبه الشيخ ابو عزيز
ابن فرحات شيخ الحنانشة ودخل افريقية وعاث في اطرافها
واغار على زواغة بناحية باجة فاكتسحهم وانقلب راجعا الى بلاده
وثار جماعة من اهل الفساد ببلد الكاف واعلنوا بطاعة علي باشا وضبطوا
نصبوها باسمه من جهة ايهم الشيخ احمد الصغير بن عمار بن سلطان واخو
سلطان شيخ الحنانشة ايضا وكانا يرميان عن قوس المولى الامير و[illegible]
في قومهما من الحنانشة بعدما بيعا ودها اهوائهما ورجعا وبقي اهلها
على نياتهم ولما راى المولى ما نزل به من ذلك خشي انتقاض البلاد
عليه وعلم ان مقامه على خطر وسلات غير مغن عنه شيئا فارتحل
من المحلة يريد الكاف وخاف يوم رحيله من جهة اهل وسلات
وانهم اخذوه في الرحيل متورطون في الشعاب فوقف في خيوله
في منزلته الى ان تم رحيل الناس ولم يبق احد بالمنزلة وامر بان
ما ثقل عليه حمله من الحبوب يحرق وتثاقلت دروعه في ذلك
اليوم وتوالوا بالطبل الحيلة في استنهاضهم وتبيين عزائمهم من اجعوا
الطاعة وارتحلوا في ركابه وكان ارتحاله عن وسلات بعد ان
اقام عليها اكثر من ثلاثة اشهر وقدم بين يديه الى الكاف [illegible] اد
ابي فيران وكتب الى ثقاته من اهلها يعلمهم بقدومه فتاهبوا

لديها ورد عليهم التفوا عليه بقوى بهم وجمع مشيختها وذوي الراي
من اهلها فرغبهم ورهبهم فراجعوا الطاعة واعتذروا ونسبوا ما صدر
الى غوغايهم وسفهايهم فاستنزل من بقصبتها وضبطها باسم المولى
الامير وارسل اليه يعلمه برجوع البلاد الى طاعته ودخولها تحت
حكمه فسار حتى نزل عليها وخرج اليه اهلها معلنين بطاعته
فقبض على جماعة منهم هم رؤوساء الفتنة واهل الشغب فقتل منهم
بضعة وسبعين رجلا واعتقل اخرين وهدم سور قلعتها وامكن
الحطانة منها واقام عليها نحوا من شهرين وارسل الى ولديه
الى حوميز محمود ومصطفى فجا اليه من تونس بوالدتهما وواعده
بالكاف فاجتمع شمله بهم وفي اثناء مقامه عليها خرج حسين تجليان
صاحب قسنطينة بمحلته وكانت بينه وبين المولى الامير مودة
اكيدة فتراسلا في الاجتماع واتفقا ان يكون التقاؤهما بقصر
جابر فاستخلف المولى الامير على المحلة ابنه المولى محمد باي وركب
معه بقية ابنائه الى ان التقى بحسين تجليان وقضى كل واحد
منهما وطرا من لقاء صاحبه ورجع الى محلته ثم ارتحل من الكاف ونزل
سبيبة وبلغه الخبر ليلا ان علي باشا نزل من الجبل يريد لقاءه في اهل
وصلات ومن ضم اليه من الاعراب فتهيا لهم فلم يتجاوز علي باشا
سفح الجبل ووقع للمولى الامير في هذه المنزلة طايفة عظيمة من
اولاد جوين احمر فمال دريد الى علي باشا ثم سرح المولى الامير
محلة العسكر الى الحضرة مع ولده المولى محمد باي للاراحة وامره ان
يخرج اليه بمحلة اخرى وبعث معه اهله وولديه الاصغرين وارتحل

الى البحر بمواقعة هنا للحلة الثانية وحاربها حتى نزل الفلج الفحص اثنية
على ثلاثة من امتر من البلد واقام بها وبلغه ان عليا الخطاب ابن
الغاليرك كاتب اولاد يعقوب وهو اذ ذاك امير اولاد يعقوب قد ظهر
منه امارات الخلاف والشغب فاستدعاه فتلوم واعتذر فارسل اليه
من يأتي به فلما اقبل احس بالطلب فذهب بقومه اولاد يعقوب وفي اهل
الشيخ احمد الصغير واخيه سلطان ابني عمار بن سلطان بن منصور
شيخي الحنانشة المتقدم ذكرهما وكانا اذ ذاك في صف المولى
الامير ومن صنائعه وقد كانت رياسة الحنانشة متداولة بين
اولاد نمي ومنهم الشيخ ابو علي بن عبد العزيز اولاد مقدم هو لاء وكان
الشيخ ابو علي بن يعقوب في المولى الامير ووالده واشتغل على احمد
الصغير وسلطان هذين لمكانه من حسن بن خليفة صاحب قسنطينة
واجداهما وضعف امرهما حتى انتظر راجعا على المولى الامير واستجار
به فاجارهما وقوصهما لما عنده حسن بن خليفة حتى فوض امر
الحنانشة اليهما وخلع عليهما وطرد ابا علي بن نمي فلما ثار علي بن باشا
بو سلاف عاث ابو علي بن نمي اطراف العمالة واخذ زواقه كما
قومنا للعداوة التي بينه وبين المولى الامير فلما امر علي الخطاب
باولاد يعقوب وقتل اهل ابن عمار ارسلهما الى جانب علي بن باشا
وجعل يعقل لهما في الذروة والغارب حتى اجابا الى ذلك جميعا
زعموا وكتبوا الى علي بن باشا بمكانه من وسلاف فارسل اليهم ابنه
يونس ومعه مطيع بن احمد متنشة في طائفة عظيمة من اهل
وسلاف فلما وصل اليهم الى مواقف له واجتمعوا عليه فلما بلغ

ذلك الى المولى الامير كتب الى ابي عمار يذكر له ما عمل وحذره منه
فلم يعتبر وابانه اتاه مستجيرا الى بيوتهما فلم يجد ابدا من قبوله واجارته
وكانوا في الحي ابي العمالة ومعهم اولاد يعقوب واولاد يحيى بن طالب
فخرج المولى الامير محلة لقتالهم لنظر مصطفى خزنه اغا الصبايحية فصبحهم
على بوسانة وقاتلهم فهزموه وقتل في ذلك اليوم عمار بن دالية شيخ
بني رزق من دريد وكان عظيما في الدولة وله من المولى الامير مكان
ورجع الاغا الى المحلة فنهض اليهم المولى الامير بنفسه وغزاهم من
مكانهم بالفحص اينة فلما بلغ ذلك الحال الشيخ ابا عزيز بن نوح اتى
الى صاحب ابن عمار وارسل الى المولى الامير بطاعته واقبل اليه في
اهل بيته وجنوده ومن تبعه من الحنانشة فاتى مع المولى الامير
الى امامه واعطاه عطايا عظيمة من الاموال والخيل والثياب ما لا يدري
وفي جملة ذلك سبعون فرسا منها اربعة محلات بالحلية الثقيلة
وظاهره على قتال ابن عمار وبلغهم انهم نزلوا على فسروامة فقصدهم
فلما قرب منهم اجعلوا امامه فتبعهم حتى شارف تبسة فقاتله الكثير
حين ماتت الحلة وكثير من الاخبية لم يبق منهم الا العود الى قرية اكسرى
وامر بالرحيل لوقته والوى عنانه راجعا حتى نزل عليها فوجدهم
قد تحصنوا بها وهي قرية في سفح جبل يحيط بها من جهاتها تهاميا جا
عليها اللاز ناحية واحدة وبها غار عظيم جدا واغترت الجبل يدخلوا
اليه انعامهم ومواشيهم واهليهم وذراريهم وقت الخطر فلما اتى
من الغد ركب في عساكره وجنوده وامر بالحملة والهجوم عليهم
في عقر بيوتهم فدافعوا دفاعا شديدا ثم القوا بايديهم ودخلت

العساكر

العساكر الغربية فاكتسحوها وقسم ابناء عمار الجبل بينه وبينهم من جنود هما
ومعهم يونس وقد حملوه على اعناقهم الى جبال وفروا من شعاب الجبل وجاهد
وادخل المولى الامير راجعا بعد ان انتسف الغربية وكان ذلك الرجوع ذا في شهر
رمضان من سنة احدى واربعين ومر ابناء عمار في طريقهم على حي التوكيي
من اولاد جبير وهم نزول على الصبطاف فاغاروا عليهم يوم العيد
فاخذوهم واستلات ايديهم من اموالهم وتنوا ابن الكا واستجموا ا
الظهر والكراع واقبلوا يريدون علي باشا وقد نزل من وهلاتة
واجتمع عليه من الاعراب ما لا يحصى فاجتمعوا ورجعوا الى المولى
الامير منصرفه من الكس فلما التقى الجمعان بين واجنة وقع القتال
بينهم يوما كاملا مطاردة بالخيل فلما اقبل الليل الجبي واوقف المولى
الامير على تعبية بعد علي باشا من الليل فلما كان الصباح ركب المولى
الامير للقتال فلم يجد الا الري وقد رفعه ابناء عمار يونس فاجي واوسار
الى وهران الغربي وان حاصرها ثلاثة ايام يقاديها القتال ويراوحها فلم
يحصل منها على طايل اقلع عنها الى انساحل وقد اجتمع عليه من العرب
واهل الساحل جنود تغص بها الارض كثرة وماتت بيه واطاعته كثير من
البلاد مثل جبال والمنيز والبطالطة وتلمسان والقلعة الصغيرة والكودة *
وغيرها وامتنعت عليه القلعة الكبيرة فيما امتنع منازلها والحيلط
بالحطار وبلغ ذلك الى المولى الامير وكان قد نزل بمحلته على الى وادي ع
مرجعه من قوما جنده وصرح المولى محمد باي الى الحضرة لتجلة العسكر
لارا حتهم واخرج محلة اخرى بكتب اليه يامره ان يركب بالخيل والرجال
وجوابيه بالساحل ليجتمعوا على قتال علي باشا ودبعه عن البلاد فخرج

المولى محمد باي كما مر فلما انتهى الى تازى ونة اصابه مرض شديد واشفق
منه على نفسه فعاد الى الحضرة بمن معه واما المولى الامين فانه اشتغل
على محلته مولانا ابقاه الله تعالى وامره من الزواوي في جبل الانبلغ
عشي الجبل الذي مع علي باشا باجراليسي وطوى الارض بقصده على
القلعة البيرة فخلص لها فلما اطل عليه ورءا من معه من الامم التي
ملات الله اجي رايات المولى الامين منشورة اجفلوا وانفض من الالوف
على اجر من غير قتال وبقي ثم تلك الجموع الكثيرة شذر مذر وانجى من
في اثناء حال وبعضهم هرب الى البرية وتبعهم جند المولى الامين يقتلون وينهبون
الرجل وامتلات ايديهم من الخيل والكراع والنعم والاسلاب والسلاح فيما
لا يعد ولا يحصى وفر علي باشا منهزما في نفر من اصحابه حتى انتهى الى
الحامة وكان اهلها قد اجابوا دعوته ودفعوا له قلعتها فاتى سليمان
الضباع اغا زواوة اعتصم هو ومن معه واغلقها متمسكا بطاعة المولى
الامين وكان من صنائع احمد بن متيشة فظن انه يميل اليه لمكان يده عنده
فارسل اليه يستدعيه الى طاعة مخدومه من لا بن متيشة فاجابه الى ذلك
ودعاه الى الدخول للقلعة ليبعثها له فاطمان اليه وتوثق بسلاحه وبعث
بعض اليه ودخلها فلما حصل داخلها اغلق الباب في وجوه اصحابه وقبض
عليه وقتله فلما علم بن الاعلي باشا اجمل في الحامة وكتب الضباع الى
المولى الامين بخبر ما صنع وارسل اليه بن اسرابي متيشة يسر بفتله سرورا
عظيما وارسل بذلك الى الحضرة بطبيب به في اسواقها وكان فرار ذلك
في طلب علي باشا فبلغ الحامة وبلغه انه دخل الي فاذكر راجعا
عن اتباعه حتى في اليفي وان وكتب الى ابنه المولى محمد باي بالامر

بالخروج الى المحلة التي ببلاد زواوة يستسلمها من اخيه مولانا ايده الله
تعالى وكتب اليه اخوه ايده الله تعالى بالكتاب ليدخل معه الحضرة فركب اليه
ولم يدركه حتى دخلها ولما شارفها خرج اهلها لتلقيه وفرحوا بقدومه
في حاشيته وكان دخوله اياها في المحرم من ثمان واربعين بعد ان غاب
عنها ثمانية عشر شهرا وارتحل المولى محمد باي بالمحلة من بلاد زواوة ولحق
بابيه فاستوفى جبايته ومهد البلاد ورجع الى الحضرة واما علي باشا فانه
لما اجلي عن الحاضرة مر على قفصة وسار الى اولاد عمار بني سلطان وابنه
يونس وهم بمكانهم من القفر واوصى اليه سلطان بن عمار على ابنته ثم ساروا
به الى بني حاتب بني رحمن احد شيخي بني يحيى عرب الزاب من الزواودة
الهلاليين فنزلوا عليه فلاقاهم في لمة وعرض لهم الضيافة فقال له علي باشا لا اريد
منك الا ان تبلغني الجزائر فاستدعى له عشرين فارسا من اولاد ماضي
جيرة العرب فساهم وبرهم واخذ عليهم ان يبلغوه سور الغزلان وهو برج
على تخوم الجزائر شرقه مرحلة من الجزائر بينه وبينها ثلاث مراحل واستدل له
عشر فارسا منهم رهنا عنده وسار هو وابنه مع الباقين فاوصلوه الى سور
الغزلان ورجعوا الى بني حاتب بامارة من علي باشا واصبح عليها فسرح حسين
اخوتهم وانطلقوا ودخل علي باشا الجزائر وصاحبها اذذاك عمرة باشا وكانت
بينه وبين المولى الامير صداقة ومودة فكاتبه في شانه فسجنه بمكان من دار
السلطان ومنعه التصرف وحجر عليه الداخل والخارج الى ان كان من خبره
ما سنذكره ان شاء الله تعالى ثم ان المولى الامير خرج في عماله الى وصلات
واهله مستمرون على امتناعهم خوفا من سطوته فكاتب رؤساءهم وداخل
اولاد ماضي منهم وقد كانوا اماله ايام الفتنة وتوددت الاصلح في ذلك

حتى اذعنوا بالطاعة على ان يخلى عنهم ويعفى من استيفاء الديار ويتنزلوا
من سكنى الجبال الى سكنى القرى التي باسفل ما علوه اولاد مدافر منهم فانهم
يعفون في اهم وما علوا في بيوت رجال الديوان مشايخها فابرم الامر على ذلك
وقفل الامير راجعا الى الحضرة وسكنت نائرة الفتنة

وفاة الداي فرا مصطفى وولاية الحاج علي

كان فرا مصطفى فرا طبيبه داء في امره فانحل منه وصار لا يستطيع المشي
الا بين رجلين ولم يزل به الداء حتى هلك في صفر سنة تسع وثلاثين وكان شديد
النصيحة للمولى الامير فيما صعب اليه امره في اصلاحه وكان المولى الامير يعظمه
ويجله وصاهره على ابنته لابنه المولى محمد باي وهو داي اشتهر
بالتحرج في القتل فما دونه ولما توفي ولي مكانه الحاج علي داي كان المولى
الامير قد اتخذه اماما يصلي به الخمس ثم صيره بالشيخ ابي المحاسن يوسف
ابن تغيير وجعله اغا بالقصبة ثم جعله دايا مكان المذكور الى ان كان من
امره ما سنذكر

ذكر مآثر المولى الامير في الحضرة وغيرها من مآثره الجميلة

كان رحمه الله مثابرا على فعل الخير مواظبا على الطاعات كثير العبادة
والذكر والاوراد لم ينم على غير طهارة قط ولم يترك ركعات الفجر
من جوف الليل حتى التحق بربه وله آثار عظيمة في وجوه البر منها
احداثه للمدرسة بقرب جامع الزيتونة المسماة بمدرسة النخلة لنخلة
في وسط صحنها كان محلها خانا يباع به الزبيب واوقف عليها اوقافا
تفي بحاجاتها واول مدرس بها الشيخ العلامة ابو عبد
الله محمد الخضراوي وله يقول الاديب البارع ابو زيد عبد الرحمن الجامعي



الباجي بن بلقوش رحمهما الله تعالى مؤرخا

يهنيك ايها الخليفة المرتضى — منزلة جلت عن المساويه
مدرسة فرح تها بجاه بي — تاريخها بان بها الخفي اويه

وذا الحجة سنة ست وعشرين ثم انشا بعدها مدرسة اخرى بسابا الجم المسماة
بالحسينية واول مدرس بها الشيخ ابو عبد الله محمد حبيبة وبنى حد
جوارها تربة اعدها لنفسه فلما بنى التربة الثانية التي ذكرها جعل هذه
للحرم ثم احدث جامعه الحافل والمدرسة والتربة بمكان الحانات الثلاث
المسماة بالشواشين التي اتخذها عثمان داي بني ب دار ثم امر بهدمها وبنى
الدور با فيها وحاز مكانا منها يبنى به هذه المصانع الثلاث من الحانات
الثلاث واحتفل في بناء الجامع واتخذ به المنبر البديع الشكل الموشى
بغريب النقش والمنارة البديعة المرتفعة السمك على منوال منارة حمودة
باشا بحاءت في نهاية اعتدال الهوا وحسن شكل وجعل المدرسة بصحنه
ذا بيوت عديدة لسكنى الطلبة والتربة ملاصقة له على يمين المصلى ومن
سعادته رحمه الله تعالى وعلامات قبوله اندفن قبله رجلان كانا من
من اولياء الله تعالى وهما الشيخان المعتقدان ابو الفضل قاسم السبابطي
وابو الفضل قاسم الباجي نفعنا الله تعالى وايانا بهما واول خطيب
بالجامع المذكور الشيخ ابو العباس احمد مصطفى النيفر الكبير ورتب
به اربعة دروس احدها لرواية صحيح البخاري واول رواية الخطيب
المذكور والثاني لقراءة مختصر الشيخ خليل على مذهب الامام مالك
رضي الله عنه واول مدرس به الشيخ الفاضل ابو الربيع سليمان الحي
والثالث لتجويد القرآن العظيم واول مدرس به الشيخ ابو عبد الله

٢
جامع

محمد الكاتب والرابع لقراءة القرآن والعلمين والتبيان ونحوها وأول مدرس به
الشيخ أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد ... إمام جامع دار ابناشا
وأول صلاة أقيمت به ظهر يوم الأحد الرابع عشر من شعبان سنة تسع
وثلاثين وحضر بنفسه للصلاة وكان رحمه الله تعالى قد هدم التي
كانت بموضع سوق الجزارين اليوم وبنى مكانها السوق المذكور والحوانيت
اللازمة به وخانا ثانيا في بيامز ذا الدكاكين وحبس الجميع على مدارسه
قال أبو عبد الله حسين خوجة في تاريخه فشكر أهل الإيمان ولو لم يكن له
من الحسنات إلا نقضه لهذه الخمارات ورفع تلك المنكرات لجداه عند
الله تعالى ورفع قدره أعلى الدرجات في الحياة وبعد الممات فإن
هو رحمه الله تعالى وإن نقض هذه الحانات وصير أماكنها في وجوه
القربات بما بقي منها بالبلد أكثر لكنه لم يتهيأ له أكثر من ذلك ولو عاش
حتى أدركه ابنه مولانا أيده الله تعالى ونصره فنقضها كلها واجتثها
من أصلها وطهر البلاد من خبثها كما من ذا الأماديح وبنى كل مسجد وسيأتي
ذكر ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى وأنشأ رحمه الله تعالى
مدرسة بنفطة من بلاد الجريد ووقف عليها أوقافا لما درس من آثار
العلم بتلك البلاد وأنشأ مدرسة كذلك بقفصة وأول مدرس بها الشيخ
أبو عبد الله محمد بن مختار الشابي ومدرسة بالقيروان ورتب بها ثلاثة
دروس أحدها لتجويد القرآن العظيم وذلك في سنة ثلاث وثلاثين
وفي سنة سبع وثلاثين أحدث بها ميضأة للوضوء في أماكن متعددة وأحيى
مدرسة سوسة وأحياها بعد الدثور ورتب بجامع الزيتونة ... القراءة
القرآن العظيم ودرسا للتجويد وعين به أقبابا للطلبة وأوقف على ذلك

أوقافا

أوقافا وبنى مسجدا للصلاة الأستاذ الأجل أبي سعيد الباجي رضي الله
تعالى عنه بجبل المنارة وبنى قبة على ضريح الولي الصالح أبي محمد عبد العزيز
المهدوي الغريفي رضي الله تعالى عنه بسانية الجنة وجدد مقام الشيخ
أبي يحيى الفحصي صاحب رادس وقبة على قبر الإمام أبي عبد الله محمد بن عرفة
الفقيه المشهور بالجلاز وكذا الذي على مقام الولي العارف أبي عبد الله محمد الكومي
بالجلاز أيضا ومقام الشيخ أبي مهدي عيسى الغبريني بجبل المنارة ووسعه
وزاد فيه أشياء، ومن حسناته رحمه الله تعالى ما أحدث من المصانع والمواجل
ليجتمع فيها ماء المطر لشرب السابلة في أماكن كثيرة العطش وأحيا ما اندثر
منها فبنى الماجل بثنايا الكرش وماجل الجبيبية وماجل أم رعينة وغير ذلك
في أماكن كثيرة أعظمها الفسقية التي في باب قرعة ربع أو أزيد وأحيا الماجل المسمى
بأبي سلسلة بحي بني قفصة وماجل صنيبور بالكاف وماجلين بعين بعاث
العطش وأحيا بير البويتة بحي بني هوسة وبير خنفة الحمامات وبير
النغيضة التي حفرها محمد باي بن مراد وأنشأ السبيل برحبة بني حماد وجلب
إليه الماء من أبيار بن الحاجب بسفح الجبل الأخضر في قناة ظاهرة في الجبل
تصب في الحي إنه الذي جعلها أسفل الربوة المشرفة على الملاسين وأعلى
سمكها واتخذ لها أبوابا مرتفعا عليها حتى أمكن ارتفاع الماء على الربوة ودخل
للبيت المذكور إلى ثلاث سقايات إحداها برحبة الغنم والثانية بالي كلاف
والثالثة في رحبة الغلالين وحبس عليها أموالا وانتفع بها الناس انتفاعا
بالغا وأحيا السقايات القديمة التي هي من آثار بني حفص داي وآثار
حمودة باشا ونقحها وقام بها وأعظم من ذلك الفسقية الكبيرة
الموازية للجبل الأخضر التي تم بها النفع وبقي ثوابها جاريا بعده إلى اليوم

القيامة ان شاء الله تعالى بان معظم نفع الابار بالماء وقت عن ثمنها *

ومن علاماته — فبولها ان علي باشا احدث بعدها فسقيتين كلاهما
اكبر منها واضخم واقرب مسافة لانها على طريق الابار حولها التي بباب البطحة
والاخرى التي بباب شرشال عند السلالم ومع ذالك الابار الانتفاع بها اضعاف
الانتفاع بها وسبب ذالك انه طحنها اشترط في تحبيسه ان لا يستقي
منها السقاؤون للبيع وانما يستقي منها من اراد الشرب لنفسه خاصة
ولعله احدثها لما كان يتوقعه من الحصار وما خشي نفعهما بالمجاورين
لها ومن حسناته رحمه الله تعالى ما بناه من القناطر المتعددة
في اماكن كثيرة يعسر المرور بها في الشتاء عند نزول الامطار وكثرة السيول
والاوحال منها قنطرة ابي حية وقنطرة البحر الحمى ومنه قنطرة
الزيانة وقنطرة العلة في بالعين وان وقنطرة القريم بجهة بني الذاب
والقنطرة التي بين وادي ... وقنطرة المنارة بجهة بني مسوس
والحسن فذالك بجهة بني العين وان وعلى الجملة فحسناته وحسناته
كثيرة رحمه الله تعالى ولم يزل دائما في ملكه متمليا في سلطانه
والناس في ايامه في غفلة من الدهر وظل ظليل من العيش وامن من الخطوب
حتى اذن الله تعالى بكدر الشرب وتقلص ظل العز وتعجيل فنا اللذة
بخروج المحلة مع علي باشا من الجزائر وما وقع بعد ذالك من الغش
والاهوال

ذكر وقعة ... والاسباب التي اقتضت خروج المحلة من الجزائر

لما دخل علي باشا الجزائر اتاه رسوله بوصلات بعد انهزم عن افريقية ونفر
اكبر منها نفعه صاحبها عمر باشا بموضع داخل دار السلطان لمودة كانت

بينه

بينه وبين المولى الامين وضيق عليه تضييقا شديدا وحجبت عليه الاخبار حتى
ان بعض اصحابه تحيلوا في ايصال كتاب اليه بحيلة خفية فعثر عليهم ونمي خبرهم
الى محمد باشا فهم بقتلهم وبعد لاي تخلصوا من القتل وعوقبوا بالنفي وفي سنة
ثم ان العرب من اهل الاندلس عمروا وهي ان من عمل الجزاير بعمارة عظيمة في البحر
لاسترجاعهما من ايدي النصارى حين كانوا ملكوها لما تركت ربيع في ابي
حفص بتونس وضعف امر بني زيان بتلمسان فمكثت بايديهم مدة طويلة
ثم انتزعها منهم النصارى عنوة بالسيف وضموها الى ايالتهم الى ان كانت سنة
ثلاث واربعين فاما العرب عودا لثانية وعموا بهذه العمارة بالتوهما من يدي
متوليها مصطفى باي المعسكر وفي باي الشلف فجيوشهما من غير استعداد منهم
للغاية فخرج هاربا وتبعه الناس من غير دفاع ولا قتال فدخلها العرب
وضبطوا ابراجها واسوارها واخرج محمد باشا الحلات لاسترجاعها
لنجدة ابنه الحاج محمد وتوفي بعد ذلك بايام قليلة فولي مكانه ابراهيم
باشا واضحى امر الحلات على ولي ان يامرهم بالرجوع وبقيت بايدي
العرب الى ان اعادها الله تعالى للاسلام باوعز امر المولى الامين من خاصة
الدولة بالحاج ابي الحسن ابراهيم باشا انه امر العرب من اهل اسبانية بالاقوات والعلايم
بين اهل عملي اخرى وهي ان قتله هذا او السر وتكلم مصطفى بن المسبح الحاجب
تلمسان في امر عليه باشا والانى اخرجه عنه وكانت لم منزلة عند ابراهيم باشا
بتقبل منه واخرج عن علي باشا من السجن ووسع عليه وكان الشيخ ابو عثمان
ابن خلدون من فوي امره بظاهر تطلع المولى الامين على ابني عمه بني سلطانه
والوقيعة عليهما بالكسر وضعف امرهما بعد ذلك فلما وضعت الحرب اوزارها
حملته الدولة على طلب الاصهار على بناته لاولاد المولى الامين فاومر عليه
زوجه مع جمة فتنة مبارك في نسوة من كرائم قومه في حفل العرس بها من ذلك ورغب

عندهم والى علجية والسوء اللتي معها الى اماتاما واحسن اليهم وردهم اليه فلما لم يجد
الى ما طلبه اسعه ذالك فنقض عهده وعلا الى منازعته فلما علم منه المولى الامير ذالك
داخل حسن خليان صاحب قسنطينة في تاخيره وتقديم احمد بن علي وابي عبد محمد
بوفعه للمشيخة مدانه ومن له واولاهما بدلا منه وفوض اليهما امر الحنانشة
بعندهما ارسل ابو عبد بن احمد الصغير وسلطان ابني عمار في الصلح والمظاهرة على
حرب حسن خليان فنهض اليهم والتقى الجيشان على مجردة فاوقع بهم واخرجهم
وقتل في هذه الوقعة محمد بن طاهر بن ابي عبد بن وعيسى من شيوخ الحنانشة ورجع
فلم الى ان احمد الصغير واخاه سلطان لما رايا ضعف احمد بن علي وابا فقعة
عن القيام بامر الحنانشة واجتماع طاعة المولى الامير وكتبا اليه يستقيلان ذنوبهما
فاقالهما واحسن اليهما وقدمهما على مشيخة الحنانشة فخلع عليهما حسن خليان
وان احمد بن علي وابا فقعة بالمدد ابو عبد بن الامور فانتقضت عليه ما وال الى
رزان شيخ عرب البيبان محاهم على ابنته واعتصم به وارسلا الى ابراهيم باشا وتقربا
اليه ودسا اليه امورا ينقمها على المولى الامير وحرضاه على عداوته وحربه وهونا
عليه الامر فلما احكما امرهما معه طلبا منه ان يسرح لهما يونس بن علي باشا لينزل به
ابو عبد بن ابي الصباح عن ارض بغية وتجمع عليه الناس وسهل الله امر بغية وفي را
عمى انه يكنهم [illegible] اخذها من يحيى احتياج الى اخراج محلة وطلبا منه ان يكتب الى حسن
كليان بعاضدتهم واعانتهم بتسريح اليهما يونس وكتب الى حسن كليان بذلك طلبا مصرفا [illegible]
ابو عبد بن يونس وتل اعلى [illegible] محمد بن ابي الصباح شيخ عرب اولاد [illegible] على
امرهم ودخل معهم في ذلك حاشية بن [illegible] واجه [illegible] في العيث والفساد واغضى
عنهم حسن كليان لمكان كتاب ابراهيم باشا اليه وعفر ابو عبد بن يونس على ابنه ولد
[illegible] ولما طال عليهم الامر ولم يصنعوا شيئا كتبوا الى ابراهيم باشا انه لا يبقى اخراج المحلة
ووافق ذلك اغا المتعصبين لعلي باشا من اهل الدولة على ذلك وعز على باشا له بالموال

الجيلة

الى بلد باجاب طاغيتهم وامر باخراج المحلة وحمله على ذلك الضابط العنيف
على حسن خليفة مع كان تقي بنفسه منه اشياء قبل تلك وقد علم ما بينه وبين المولى
الامير من المودة فاراد ان يعضد محله على قتال من والاه ومن عاداه وكان انفصال المحلة
عن الجزائر في ربيع الثاني من سنة سبع واربعين لتغري ابي ابراهيم خوجه الخزناجي
وخرج حسين خليفة ايضا بالمحلة واتاهم ابو عز بن بجموعه وحشروا الاعراب
من كل ناحية ودخل علي باشا احمد الصغير واخوه سلطانا وسمت اليهما
بالصحو باهم عادية وانقض على المولى المعين ثانية وبنو اعمهما واقبلا
بجموعهما مع المحلة متالبين عليه ولما بلغه خبر وجههم جمع عساكره وجنوده
وتهيأ لهم وخرج بمحلته فانتهى الى الزاوية لتفقد البلاد وحشد
العرب وامر اهل الكاف بالارتحال منها وكذلك فعل باهل البلدان التي بينه
وبين المحلة قطعا للمادة عن اهلها اذ ابوا وخرجوا على اهل تلك
البلاد من عاداتهم وقد وقع ذلك الكلام لم يمتثل امره باجة حين مثل اهل
تبرسق فانهم اهانوهم وانتهبوا منهم اشياء من الاموات وغيرها بعنف
[illegible] وامر رحمه الله تعالى فرسان الربع الزيج على طريقهم وفرطانا
الوقت عن جمعه قبل وصولهم ليلا يستمعوا به ثم تلاه من ذلك معركة وزحف
الى المحلة وفي اواخر صفر من سنة ثمان واربعين توفي اصغر بنيه المولى
مصطفى باي وهو غلام كما طر شاربه بمرض قبرمة والله وجد عليه
وجدا شديدا وتنحى اهتماما لموته بين يدي هذا كالحرب وانتهت محلة
الجزائر الى الكاف فاقاموا عليها وازاحوا عللهم وارتفعوا بلا رحا عنها
وامر انها ولم تحلوا مقبلين وانتشت والمولى الامير خاض في الخروج
الى لقائهم او المحاصرة بتونس وقال لهم نظاهر هنا كما فعل اولو الاية فاستقر

الى ان اولا على المحاصرة ثم بدا له في الخروج وعزم عليه فامر بنصب
مضاربه في الملاحين وازاح علل العساكر وفرق فيهم العطاء وضرب الخروج
على الطي ابلسين واهل الجبال وغيرهم من سكان الحوز في محلة منفردة
وقسم العسكر بين محلتين فخرج ابنه المولى محمد بالي باحداهما وفيها
معظمهم وخرج هو بالاخرى ومعه ابناوه مولانا ابن النصر تعلي والمولى
محمد واوعب العسكر معه من الترك وزواوة والجند من اوجاق الصبايحية
الاربعة وصبايحية الترك وغيرهم من الاتباع ومن العرب خلق كثير
دريد على بكرة ابيهم واولاد صغير والسواهية وغيرهم من جميع المشارقية
وخرج من الحضرة منتصف شهر ربيع الاول في جمع عظيم حتى نزل على صمنجة
قرب نهر مليان على بضعة عشر ميلا من الحضرة وفرق محلته ومحلة
ابنه متوازيتين واجراهما ملاصقة للاخرى وفرق ثم محلة الاخلاط من
الطي ابلسين وغيرهم وراءها والعرب خلفها الجميع الى ناحية الشمال
واقبل الذين يريدون بجموعهم فنزلوا مقابلين لهم من ناحية الغرب وجعل
المولى الامير يركب كل يوم ويخرج عساكره وجنوده للقتال فيقفون بظاهر
المحلة وعساكر الذي ايرجا لموه لمحلتهم لا يخرج منهم احد واقام بصمنجة
ستة عشر يوما لم يقع فيها قتال الا مطاردة بالخيل وجرى في تلك الايام
انخزال دريد ومن معهم من العرب عن المولى الامير فارتحلوا ليلا واما
دريد فنزلوا غربي السلطان بين صمنجة وتوضر واما اولاد سعيد
فلحقوا بالي علي بن شاكر وتفرقت عن المولى الامير جموع العرب ولم يبق
معه منهم الا اولاد قاسم من بني رزق التزموا الامير وودعوا الله ثم
ووقع المصاف يوم الاحد ثاني عشر من شهر ربيع الثاني فخرج الذي يريدون

من

من محلتهم على بغتة من آخر الليل بعد الولع وجهتهم الى محال المولى الامين واخذوا ذات
الشمال حتى طرق الحالمي جنوبهم فنصروها من تلك الناحية وركب حسن نخليان
في خيله ورجله ومعه الاعراب من الليل ايضا واخذ ذات الشمال ايضا ودار الى انهار
حيث محلات المولى الامين من ناحية الشرق وقد كان المولى الامين امده اتى من
محلة العدو امس ذلك اليوم واخبر انهم يريدون ان يستبطنوا الوادي
المعتر من الغرب الى الشرق في وجهة المحلة حتى لا تشعر بهم الا وقد
طلعوا منه فيجمعوا فلما كان الصباح وعلم خروجهم نادى في عساكره
بالخروج وعقد لابنه مولانا ابي النصر تعلى محلة العساكر الذين بمحلته من
الخيل والرجل تحت السناجق وامره ان ياتي الوادي فيمشي معه فيصادف
العدو ان جاء مستبطنه كما ذكر له فسار معه مليا فلم يجد احدا لانهم لما خرجوا
اخذوا ذات الشمال كما ذكرنا والوادي كان ذات اليمين من محلتهم وخرج المولى محمد
من محلته بمن معه من العساكر فالتحم القتال بينه وبين عسكر الجزائر وذهب
خاله مصطفى خبوزي مرافعه وبيدها المدفع المسمى جبل الشمار مولانا
عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه ورماهم فاخذ فيهم واتحوا عنه واشتد
الحرب ووقع الاختلال في صفوف الجزائريين وانثنى وصار القتل منهم
الى المولى محمد بلا ساري فيغيروا ولم تبق لهم الهزيمة فبينما الناس
كذلك لم يشعر المولى الامين الا بحسن خليان قد هجم على محلته من خلفها
وكان قد استدار حتى اتاها من تلك الناحية كما ذكرنا وصار طلائع
الغلس اولا والضباب ثانيا وقد خلت تلك الناحية من الحامية لهروب العرب
واشتغال الناس بالقتال ولم يدفع المولى الامين الا صايحة الذاب فدافع بهم
فلم يغنوا شيئا لكثرة من غشيهم ودخلت عليهم المحلة من اقطارها فانهزموا

وضرب المولى الامين نجيبة رطاس على محمد فجرح والوى عنانه هاربا وامر حسين
كليان جنده باسقاط اخبية المحلة ففي هو واخيه الدو واعانهم عليه من كان به
من المتخلفين عن القتال مثل الاوداباشية ومن يتخلف معظم فسقطت ان به
الارض والتقت الغائلة من عساكر المولى محمد باي بما راءهم الا هلكتهم ساقة
فكانت على بغتهم واتى الضحى بني ان مولانا ابن الله تعالى وهو بكافة من الوادي
وقد ارسل اخاه ابنه الجزي بانه لم يجد به احرا ووقف ينتظر اذنه فاعلمه بما
جرى فجد راجعا ونادى في الناس بالرجوع وظن انه ينزل فاوقع لمحلتهم فلما
انتهى اليها وجد العرب قد ملكوها وانفضت عساكر اخيه فولى راجعا الى الحليان
وتبعه من معه منهزمين ولا علم له بما كان من امر ابيه واخويه وكان من تبعه فسوا
فاما المولى الامين فانه سار مع خمس من الخيل على طريق زغوان وتلاحق به
بعض المنهزمة والتحق به ابنه المولى محمود باي لانه سلك ناحيته فساروا
حتى دخل القيروان فحدثني اخبرني بعض من شهد الوقعة من جند
الاتراك علي السعيدي في طائفة كثيرة من الخيل فهبطنا وهو امن الارض
فاتى ما عليها فارسان من العرب فاصاب اولئك الخيل الذين معنا على كثرتهم
خوفا منهما فتزممت انا ورجل اخر فكررنا عليهما فقتلنا احدهما وهرب
الاخر ورجعنا الى خيلنا وقد فر في صاحبي وتاخرت عنه فلم اشعر الا
بالمولى الامين قد اقبل راكضا وخلفه فارس من العرب مشرع مكحلته
نحوه في ثراره يريد رميه وقد كان ان يدركه فوقفت حتى مر بي المولى الامين
وانا مختف فقلت له سر انت حافظا ولا تخف ثم مررت الى الفارس خلفه
فحملت عليه ورميته فسقط عن فرسه قتيلا والتفت المولى الامين وراه
مجدلا في الارض فسر ان على نجاته واعجبني من وراءه من العرب عن سلب

واله

ذلك الفارس بركضه وادركني اصحابي ثم اجتمعنا بالمولى الامير في بيت تلكي وقفنا
فالتقينا عليه ودخلنا معه القبة وانا ثم دخلت عليه بعد ذلك وعنده ابناؤه الكبار
وهو مضطجع لمكان الجراحة وراسه على مخدة احدهم ويحيى بيده بارعلته وشكى
لي ذلك واستراب واما مولانا ابو الله تعالى فانه لما بلغ الملتقى وجد الناس
مزدحمين على المخاضة ومن وقع كثير منهم في المدور والقباء من هنالك فتعمد
فعدل عنها وركب الطريق الجادة الموصلة الى تونس فاسلك على بيوت اولاد قاسم
من بني رزق الذين شتوا معهم فوجد بها ابا عيسى بن نفيع وابنه سرحد وكان واخر
الصغير واخاه سلطانا في جماعة من الخنانشة فبهاراو طفقوا على بابه
وكان راكبا على فرسه هم ومولانا ابو الله علي بن سراج الا انه لكثرة ما نال
منه من التعب فاطلق الا دهم فبادروا اليه فلما قرب منهم وعلموا انه ليس
صاحبهم رموه بالرصاص فحمل عليهم من معه الا انه لم يجد برا سوى تلك
الطريق فاجر جواده عنها وجاوزهم فتبعوه باجمعهم من تخلف من اصحابه
ويلحقون ويسلبون وادرك فارس منهم بمولانا فاخطا وكبا بمولانا فقال
الله تعالى عن عثرته حصانه ثم نهض به الى ان التجأ ثم استوى به فتم
ذلك الفارس ان فراغه بدرنا منه طمعا فيه بمرأى مولانا ومحمد الله خمس
حبات فاصابه واصاب بمثله في امر جبير الميدين والعم ولم يزل الطلب وراءه
حتى اتى به على غدير السلطان ودرع فرسه وقد طلبوا النواحي ولما
راوا الحرس كثرتهم رجعوا عنه حينئذ وعدل هو عن ورود ولم يدخل بيوتهم
وانما بعض اكابرهم ودعوه الى ان يصير اليهم فامتنع وظن ذهم عنه
خوفا ان يغدروا به وقال لهم من اراد فليلتحق بي الى الحوزة وسار قليلا
فلاقيهما ارسل الى الحاج سليمان كاهية خليفة ابيه عليها فخرج اليه

فلما رآه قال يا حسين تعلم أن ليس عندي غناء وقال له جئتك بنفسي فهل علي
ما أخاف فرد طيب الجنود عقبه وصدر عنه ما بلغه لكون حسين ابن عمه علي
بكيفيتي وأنا ابنه قال صدقت ولكن كيف نفعل قال نضبط بلادنا ونضع
الثقات في مضيقها وأي أحد ونجمع حضرتنا كل ما عندي ما يجب لما أصابه
من الدهش فتركه وسار الى باردو فدخل على أمه وأهله فأخبرهم
بسلامة أبيه وأخويه ولم يخبرهم بشيء مما وقع من الهزيمة وقد استتر بحيثه
وأشار الى زوجه ابنة علي باشا بالوصاة عليهم وخرج فوقف بدار آباردو ولم يبق
معه الا اثنا عشر فارسا من أرباب تيم ورئيسي الحاج علي بن عبد العزيز وأبي
الحسن علي الجزيري وجعل يفكر في عمل متجانة يأوي اليه فأجمع رأيه الى المسير
الى طبرقة وهي إذ ذاك بأيدي الفرنج ليركب البحر منها الى حيث يشاء، فبينما
هو يدير الرأي في ذلك إذ طلعت عليه نواصي الخيل من الليل وإذا هو أخوه
المولى محمد باي قد أقبل في ألف وخمسماية من الخيل وكان لما وقعت الهزيمة
انحاز بخيله الى ناحية الغرب فوقف بمحلة الجزيري ثم نكب الى جهة
تونس فبلغها، فمولانا حفظه الله تعالى ولما قرب منه ترجل له وقبل يده
في صورة المبايعة وقال له أين مات حسين بن علي فأنت الأمير بعده فقال أو مات
هو قال لا علم لي ولكن إن حدث به حادث فأنت الأمير وهلم ندخل بلدنا
فنضبطها ونجمع عساكرنا وجموعنا ونتهيأ لقتال عدونا ثانية فلعل
الله تعالى أن يجبر لنا الكرة عليهم وأكثر له من هذا الكلام وشهد فيه
جميع أصحابه أخيه معا لله كان ذا الأرايس فرد عن ضوعه على المولى محمد باي
بأمتنع قالوا له اسمع ما يقول أخوك فقد أصاب الرأي الذي للعرب عنه
ثم سار معا في يريد تونس فقال لأخيه وهو سائر إن ترد يكون محل

مجالنا

منجانقا قال واني رأيت الذي كنت تشير به علي انفا قال ذلك كلام فلتة لكن
على رؤوس الملا تطييبا لقلوبهم وتثبيتا لمن خامره الخوف منهم والا فباي شيء
نقوم لعدونا وقد تعين فقد حاميتنا وانقطع جندنا وطمعت فيه افنا من الاموال
والسلاح والكراع واجمع رايهم على ان يأتيا الغنيوان ويعلما خبره والرهط حتى
يطلق لما وجه مولاي ان وهارا حتى وقعا عند مقام السيدة المنوبية بطاق
البلد وفي جانبيها الداهية وجماعة من الاعيان وتكلموا معهما فاعلماهم
انهما يريدان دخول البلد والتقى حرب العدو ثانيا وفي اثناء ذلك الا رجل
مولانا بارسا من جنده صراقنا من جهة لم يتنبه به احد فطلع عليهم بكتب
واخبرهم ان المولى الامير بناحية مرنان ومعه د [illegible] وقد صدر عن ة
دخول الحضرة وحسنوا له الكون معهم فقال كل واحد منهما انا اذهب فاتي
به ووقع بينهما تداعي في ذلك ثم اتفقا على ان ينطلقا اليه معا فياتيا
به واوصيا الداهية ومن معه بضبط البلد الى ان يجيئا فبقية يومهما
وصاروا بقية ذلك اليوم والليل كله فاصبحوا وقد قطعوا جنفة
الحمامات فوجدوا د ... ولا بالنقيضة فلما طلعت عليهم الخيل ارتاعوا
وركبوا فلما تبين لهم الامر اتوا اليهما مؤمنين بالطاعة ولم تكلموا بركابهما
الى الغنيوان ولا علم لهما بشيء من خبر ابيهما فلما اشارا بها في خ اخوهما المولى
محمود باي فتلقاهما مستبشرا بسلامته وسالاه عن والدهم فاخبرهم انه
بالغنيوان وانه به مرض لما اصابه من الجراحة فبقي جابسلامته وقويت
قلوبهما ودخلوا الغنيوان فاستقبلوا ابنهما مع والدهم

ولاية علي باشا ابن محمد باي بن حسين ودخوله الحضرة

لما وقعت الهزيمة على عساكر تونس واخذت محلاتهم وذهب من ذهب

منهم واسر الباقون في فوا الانصارى على الاخبية فلما كان الليل نادى منادي
ابي ابراهيم خوجه الحاج ناجي ان يقتل كل اهل خبا من عندهم من الاسرى فلما بلغ
ذلك علي باشا فزع ونهض اليه مبادرا وقال له اذا قتلت هولاء وقد بقي
على من جهتي ما بقي فيمن اقاتل ولم يزل به حتى عفا عنهم ونادى مناديه بالابقا
عليهم واصبح من الغد مقيما بسنجقه لانه لم يتحقق خبر حركة وابنايه اين
توجهوا ولا علم له بما كان من باي الحوزة من ورود العساكر واهل العقد والحل وبقيهم
فيه متوقفا لاجل ذلك وكان من خبرهم انه لما بلغهم خبر الوقعة ورجع
الجل من المنهزمة الى الحوزة ثم جاءهم ابنا المولى الامين من يومهم وامضوا عنهم
من ذاك النهار بانوا ليلتهم تلك متوقفين في امرهم فلما كان صباح اليوم
الثاني اخرج محمد باي ابو علي باشا من مكان هجنه بباردو ولداه محمد
وسليمان واخواه مراد ومحمود ونقلوا الى القصبة وجعلوا بدار
الطابية منها عن مشورة من بعض اللائم اقبل الحاج علي الداي
في وجوه العسكر حتى جلس بسقيفة القصبة واقبل الحاج سليمان كاهية
والي اغا القصبة وجماعة من العسكر تكلم الراي الذاهبة في جمع العسكر
وضبط البلاد فاجابه الى ذلك فقال له انهم يحتاجون الى مال يفرق فيهم
فاعتذر بانه ليس تحت يده شيء من المال فنهض الراي من مجلسه ورجع
الى داره وانفض الموكب ثم بعد ساعة عاد الراي الى القصبة في جماعة من
اعيان العسكر منهم صفي اغا وعثمان انقلنبي وغيرهما وكلهم شيعة لعلي
باشا وقد اتفقوا مع الراي على ضبط البلد باسم علي باشا فدخل الداي
القصبة وجلس بسقيفتها واجتمع اليه من بها من العسكر فدخل معه صغارا
وهو يمشي حينئذ الارض وجيفون الله يسمع من اصحابه ويحيي مدارا فلم ينكر عليه

احد

احد من الحاضرين فقال له الراي ما تقولون فاشاروا عليه المغالقة فقال له وانا اقول
كقولكم فقال له الحاضرون كلهم ونحن ذلك نقول ثم جاءهم الحاج سليمان كاهية
وكانوا بعثوا اليه فياتيهم فاقبل في سرية من الخيل فاخبروه بما صنعوا
بموافقتهم ايضا حذرا منه ودهشا ثم حملوا الى محمد باي ابن علي باي فاخرجوه
واجلسوه بموضع الاغا واخذ عليهم البيعة لابنه وتسامع الناس فاقبلوا
اليهم واخرجوا محمد او سليمان اخوي علي باشا فاركبوهما وارسلوهما لتلقي
ابيهما وكتبوا اليه يخبرونه بما صنعوا فلما ورد عليه الخبر تحقق ان البلد بين
وكتب اليهم كتبا بالامان وارسلها اليهم وورد عليه ابناه فسر بقدومهما
وركب ابنه يونس فدخل الحاضرة يوم الثلاثاء فجلس بالقصبة مليا واتاه اعيان
الناس ثم انتقل الى باردو وفي ذلك اليوم ارتحلت المحلة من سمنجة ونزلت
فيما بينها وبين تونس وبات بها علي باشا ومن الغد وهو يوم الاربعاء
التاسع عشر من الشهر دخل الحاضرة فجلس بالقصبة واخذ البيعة العامة
على الناس ولبس الخلعة السلطانية واطلقت المدافع ولما انفض الموكب
انتقل الى باردو وترك ابنه بالقصبة واقبلت محلة الجزائريين فنزلت
الجزيرة ودخل عسكرهم البلد وارادوا ان يعيثوا فيها فمارسهم اهلها وقتلوا
منهم طايفة عظيمة فركب يونس وسكنهم ورتبوا على ابواب البلد طايفة
من كبار عسكر الجزاير يمنعون صلاح من اراد دخولها منهم واقامت المحلة
على الحاضرة ثم ارتحلوا راجعين الى بلادهم بعد ان استوفوا
من علي باشا ما شرطوا وبعد مضي بضعة عشر يوما من دخوله توفي والد
محمد باي بجاية فيقال في سبب موته اقوال الله اعلم بحقيقتها وامر علي باشا
الحاج علي داي على ولايته لانه كان يكاتبه ايام اقامته بالجزاير فاعتقلها له

فاغتفرها له واكرم الاضيافة للبلد وهنيه باسمه وبقي الى ان انقضت حرب
القيروان فكان من خبره ما سنذكره ان شاء الله تعالى

بقية اخبار المولى الامير وابنائه الكرام ومصاير امورهم

لما دخل المولى الامير القيروان والتحق به ابناؤه حسبما ذكرنا اجتمع اهل القيروان
على طاعته والقتال دونه وتابعهم على ذلك الاجلاص ودريد وغيرهم من العرب
فاذا الخبر ان علي باشا جعل لاهل الجبل ابي خشيم الف ريال على ان تجي جوامعه
الى القيروان لقتاله بها فصعب عليه ذلك الامر لان اهل القيروان لا طاقة
لهم بعسكر الجبل ابي توفه فصمم على الرحيل عنها والتوغل في الصحراء الى
ان يجمع عسكر الجبل الى بلادهم وكان لا يقدر على الركوب لكبر جاء حيته
بامره فعمل له محفة يركبها فلما شرع العامل في عملها ارتاب اهل القيروان
لذلك فمنعوه من العمل وتكلموا في ذلك وقالوا كيف تخرج عنا بعد ما بدا
فينا بدعوته واظهرنا العداوة لعلي باشا ويتركنا موطنين مع ضيق
الهلاك هذا لا يكون ابدا فلما بلغه ذلك عنهم اشتد عليه الامر جدا
وجمع اولاده وبعض خاصته وشاورهم في ذلك وقال لابد من
خروجي خوفا من مجيئة العدو ولو قد استقلعت مكاني احرا منكم
ها هنا ارضي بذلك القيروان ولم يتعرضوا لي فسكتوا عنه فتكلم ابنه
المولى محمد باي في ذلك فاعتذر بانه لا قدرة له على الهروب اذا اقبل
اليه العدو مع انه المطلوب لعلي باشا والاشد عداوة له فتكلم به
اخاه لامه عامر وكان على القيروان فاعتذر بعدم وفاق اهل
القيروان له ومنافرتهم اياه فلما ايس منهم بكى وقال اقبح الحال
الامنازل اعظم الحال فتح كتحية مولانا ابن الله تعالى وحملته

مثابرته على ذلك والذي عمله الشيخ في نفسه وقع بعضها الكلام فقال اذهب
انت بسلام وانا امكث ها هنا فآتيا معاهدة فقال او نفعل فالنعم وكان امة فتهلل
وجهه ودعا له فانطلق فدعا عليه في كافة الى ذلك الرهط واجتمع اعيان
القيروان فقال لهم اني خارج لجمع العرب وحشرهم ومستخلف عليكم
ابني عليا وقد بلغني انكم لن ترضوا بذلك فقالوا رضينا ومن قال رضي وما همنا
انه مستخلف ابنه وانا خشينا ان تذهبوا عنا جميعا وتتركونه
فوصل فيتمكن منا العدو فوقع الاتفاق على ذلك وخرجوا اجمعين
وعملت للمولى الامير الدوسة في ركبها وخرج من القيروان ومعه
ابناؤه ودريد وجلام وخلف من العرب بعد ان فرق فيهم العطا وملا
ايديهم من الحبوب والاقوات وسار بهم حتى نزل بسيدي الناصر فبقي
القيروان وصار فيه ابن عمه دريد نائبة ولم يتخلف عنه احد
الا اكثر في رزق وبيوت قليلة من غيرهم ثم رحل راجعا الى القيروان
فلما نزل زعموا انه كتب الى مولانا ابي الله تعالى يامره بالخروج اليه
في صورة المتلقي له حتى يحصل عنده واعلمه انه عازم على التفويض
من القيروان فخرج اليه جماعة من اعيانها فلما حصل عنده امسكه
ومنعه العود اليها بكلمة او كلمة الجامعة في شيء فحد فابى ودار بينهم
الكلام حتى اغضبوه في جهم واقبلوا معاضين فكتب مولانا ابي
الله تعالى في اثرهم فاسترضاهم وردهم اليه فعاتبهم ودار بينهم
الكلام ودار الامر انفصلوا على ان ياخذوا رهنا عنده من ابناء اعيانهم
ويترك ابنه عندهم وذلك بالنارة من مالك ومحل الامر الذي بايديهم وكانا
متى ميز عنه من الباطن ما يليق ان جاهد علي بلاهيا فكتب اليه اتهاما

من يأخذ رهنا واستوعب اعيان البلد وذهب الى ابي منكم وقالا له ان لم
يعطوك هؤلاء فلا تنزل ايديك عنهم تفتضح الدين عمها واقوى اهل الفيروان
الدين لدلاهم وحايديهم النبت الذي كتب باسماء الرهن ومن القيسي ارسل المولى الامير
مولانا الى القيروان ليقيم بها وارسل معه اخاه عامرا وامره ان يجمع اليه
بالرهن المسمين وكان اهل القيروان قد خرجوا الى المصلى في صباح ذلك اليوم
ليروا رايهم فلما قرئت عليهم اسماء من عينوا للرهن اضطربوا وجالوا
جولة واحدة وقالوا اذا خرج عنا هؤلاء من يقوم بتدبير امورنا
هذا راي خديعة وتكلموا في حق البلد لعلها ما شاء ثم اجمعوا ان لا يعطوا منهم
نفرا لهم ما الذي وتمثل الا من رضا وقبوله فاجمعوا على طاعته واطلقوا
المدافع وثاروا الى من عندهم من اتباع المولى الامير فقبضوا على بعضهم وفر
الباقون فعارضوا مولانا ابا عبد الله فقتلوه وقد قدر بالقيروان في سبيل
دخولها فاخبروه الخبر فرجع الى ابيه واعلمه بما جرى فقام به الامر
وارتحل من الحين الى منزل الزليعة وارسل اليه اهل القيروان كتابا
اعتذروا له فيه وتكلموا بكلام فيه فاستدعى جماعة منكم معهم
فقالوا له انا من اهل القيروان وان كانوا معه فنحن معه والا فلا طاقة
لنا على الحرب الا انا لسنا اهل ابل ومهما فارقنا محلة القيروان هلكنا
فمضى معهم ثم ان اكثر من معه من الخزنة ركبوا خيولهم الى القيروان
واسلموه في ارادة انفسهم وبقي في قل من الناس فلما كان الليل استدعى
خاصته وفاوضهم في مال امرهم فاختلفوا عليه ولم يأتوا بطائل فقال
احرموا فوصوا عن صبرنا ودعوا فنام قليلا فسمع في فلما كان من الليل
صباح غد فقاموا وخلى بمنبه وذكرهم ما نزل به ورفقة فشرب



رحمهما الله تعالى منذ خرج عنه فقال والله لا نرجع أنا إذ ذهب إلا إلى القيروان
وأحملهم على معاودة كلامنا فرجع إلى الجزيرة عاما طويلا وذكر أخوه المولى
محمد باي جعبة من أبيه كراهية لما قال فلما خرج من عنده خلا به أخوه
وقال له كيف تقول المهدي وتغرر بنفسك هذا التغرير أنا أبا رجل كبير
قد ذهب أقباله وأخي محمد صغير لا اعتماد عليه ولم يبق لي من أعتضد به
إلا أنت فإن حدثت عليك حادثة والعياذ بالله تعالى بقيت وحيدا للمنية
لي وبات ليلته كلها يعذله ويرده عن رأيه فلم يقبل وتركه حتى تعسر من أتى
أبيك بطعام ولبس لأمته وخرج إلى أبيه بوعده وركب بأمان أخوه وأحسن
به ما كتبه بالأنعل واحد ركبه وأخذ بعنان فرسه ليرده فقال له والله
لا مضيت يكون في ذا الكلام ينون ولا انثني أبدا على هذه الحالة التي هو عليها
فلما عبدا أمر فقال له امض والموعد الجنة إن شاء الله تعالى لأنهم يشد
في أن أهل القيروان يقبضون عليه ويحملونه إلى عبيد الله ويعترفونها
يد أعضدوه لمحوا ما فرط عنهم بضرب وجهه على وجل شديد حتى دخل
القيروان على أهلها وهم في أنديتهم وأسواقهم فلما مر بجماعة منهم
تعجبوا لمجيئه وقابلوه بالترحاب وقالوا له جزاك الله تعالى عن هذه
المحبة خيرا وهكذا لا يكون إلا اعتقاد الجميل وصحة النية وهو يقول لهم
أنتم شيعتنا وعصابتنا وأهل الكل خير وجمال في جانبنا والذي بيننا
وبينكم من المودة لا يدرك فما في لكم من غير محدود روية ولم يزل الناس
الناس يتلقونه حتى أتى أبدارك فأقبل إليه أعيان البلد فقالوا له
هلم نخرج لمقاتلة أبي يزيد صاحب رسول الله صلى الله عليه
ونتعاقد هنا لك وتمالأ نخرج معهم ووقع العقد والحلف على ذلك فقال

والمقاتلة دونه فما بقي منهم اثنان واطلقوا المدافع فلما سمعها ابو
وهو بمكانه تحير فلم يشعر الا بالمخازنية الذين فارقوه الى الغني وان قد
عادوا اليه بالخبر فسر سرورا كثيرا وارتحل فنزل تبان بخارج البلد
وخرج اليه اعيانها وجددوا العهد معه وبلغه ان علي باي فر يريد
الى بلاده فارسل الى قبايل الاعراب يستنفرهم فاجتمع عليه منهم
خلق كثير مثل الهمامة وبنعمة وجميع قبايلها وغيرهم وارتحل من الغني وان
فنزل العلم وخرج يونس لمحلة من الحي في عدد كبير من زواوة والمخازنية
فنزل الجم دافعا لهم عن الوصول الى الحضرة فكتب المولى الامير الى مولانا
ايده الله تعالى يامره ان يخرج اليه لغنى يوفر بجانبه من الجم فخرج في
اربعماية من اهل الغني وان وهو بجانبه من العلم فنزل ابنه المولى محمد
فاي بمكانه فيمن تخلف عن الغني وردها لهم وانتهى الى يونس فصبحه
في غارة شعواء فانفضوا واخذت محلته بما فيها من المضارب والمدافع
والالات والاموات وغير ذلك وذلك ليلة عشرة بقين من جمادى
الثانية ورجع المولى الامير الى العلم وتخلف بعده مولانا حتى
اقام جميع ما في المحلة وانخرقت اليه زواوة باسرهم وهم الفا مقاتل
فرجع بهم الى ابيه ثم خالفوا في تونس لما راوا من كثرة جموعهم
وما نالهم من الخوف على يونس فساروا اليها حتى نزلوا على غدير
السلطان على مرحلة منها وكانت دبيرهم (?) فارقوا المولى من سبيرة (?)
اثناء نزلوا على قمودة فارسل اليهم علي باشا القايد محمد بن عثمان
الحسيني وسليمان بن احمد المناعي يستميلهم اليه فجاءوا وارتحلوا الى
سبيبة فخرج اليهم يونس بعد الوقيعة عليهم بالجم يستنفرهم

الى

الى الحضرة لما بلغه توجه المولى الامين اليها فاطاعوه واجتمعوا عليه ورحلوا
معه ولما نزلوا على تاستور بلغ الخبر الى المولى الامين وهو بمكانه من غدير
السلطان وربما ان يعارضهم ويعوق منهم ويصدهم عن الوصول الى الحضرة
واعتقاد عساكرها بهم ثم يعود الى غزوها بما لعبه ابنه المولى محمد باي
وصمم على قصد الحضرة قبل وصولهم اليها وزين له هذا الراي صاحبه ابو
عبد الله محمد الشافعي فاجاب الى ذلك المولى الامين عملا كما منه وارتحل
من غدير السلطان ونزل الثنايا على ابي سخين من الحضرة يوم الاثنين السابع
من رجب فاقام اربعة ايام ولما راى علي باشا كثرة جموعه وكثرة
الارجاف بالحضرة بخوف تخربها شرع وهم بالبعث ارهبته وزينه
مصطفى بن متيشة فاقام يبادروا على تخوف وحذر شديد ثم جعل
للمولى الامين ان ياتي البلد من قبليها فادخلوني على رادس وكاتبه
كثير من اعيان البلد ورؤسائها وسهلوا له دخولها وركب بعض
اصحابه من خاض من الجبال الى ربض باب الجزيرة وبث الخبر في الناس ان المولى
محمد باي دخل البلد فتسارعوا اليه فلما لم يجدوه انحشروا وكان قسمح
من اهل البلد فانه لو وصل اليهم احد ابناء المولى الامين لفتحوا له البلد
واخلوه وثاروا كلهم معه ولم يقدر الله تعالى ذلك ثم اقبل يونس بن الداي
فالتقى بهم الجابية ودخل الحضرة وجمع رؤساء العسكر فتكلم معهم
واحسن اليهم ومن الغد ركبت حرب فكانت بينهم وبين جيوش
المولى الامين حرب انتهى منها فيها ذريرق لما انفصلوا اشار
الشافعي على المولى محمد باي بعبور نهر مليان والنزول بعروة الغبلية
ليكون النهر حاجزا بينهم وبين العدو خوفا من هجوم يونس في

العسكر ودريد عليهم فباتوا ليلتهم تلك يعبرون على القنطرة وضربوا
مضاربهم على حافة النهر وما استتموا العبور حتى أغار عليهم بنو قيس
مجموعة من جهة الغرب فانشرقت الاعراب وانهزمت وتركوا أحلالهم ومواشيهم
فانتهبت وامتلأت أيدي العسكر ودريد ومن معهم من المواشي
والأمتعة والأسلاب حتى بيعت الشاة بثلاثة ناصرية
وبقي المتورعون بالحضرة مدة لا يأكلون اللحم لاختلاطه بلحوم
ذات النهب وهلك المولى الأمير وابنه المولى محمود طي بن
زغوان وصلب المولى محمد بن طه بن الشاحل وتخلف بعدهم مولانا
أبقاه الله تعالى حتى حمل جميع ما بقي معه من الآلة وأخذ في
عمله وحل شديد فأدرك الطلب فسلك طريق الشاحل أيضا
وأدرك أخاه فسارا معا حتى قطعا الحنفة فوجد المولى الأمير
أمامهما عمه عز طه بن زغوان ذات الشمال فلما اجتمعا تفاوضا في محل
هنا ثم وذلك والقيروان وبعثهم عقدا عامر وقال إن أهلها لا يقبلوننا
بعد هذه الوقعة فخالفه مولانا وقال لأبيه لا نسمع فيه فإني أعلم
بأهل القيروان وبينما هم مراجعة وساروا إليها فلما دنوا منها
أمر أن يبعث من يخبرهم بقدومه ليتلقوه فبعث ولما أبطأ به
الرسول أمر بأن يبعث غيره ولم يزل يأمر ببعث رسول بعد
رسول إلى أن بعث إليهم اثني عشر رسولا خوفا منه أن لا يقبلوه
بعد هذه الهزيمة.

هذه الهزيمة فلما بلغ الزرادع ولم يعد اليه احد من اليه الى محل ارتاب وقال ابن كل العافال
لاعبيدالان ترى فلم يلبث ان طلع عليه اهل الغني وان فرانجوا اليه فاهلهم
في حينه بقدومه فلما وصلوا اليه قالوا له حيث رجعت اليتنا مدالماافة وابلوا ذ
وابنا وقا وبدل شيء بعز الاجلال وانا هم مظ بهم علات اليهم ودخلوا
بها البلد فاقام بها مليا ثم بر المولى محمد باي بيا الخروج عنها خوفا من
الهجوم عليه فخرج الى قفصة فاستخرج منها ذخايرهم بها من الحبوب
والادم فبقي فيها على من معه من العرب ثم خرج بعد المولى الامير
فانتهى الى قفصة ايضا ثم عاد هو وابنه معسكرين ابواديه البنر واجتمعت
عليه جموع من العرب وبقي مولانا ايده الله تعلى بالغني وان وخرج يونس
من الحضرة بمحلة الشتاء فاتى الغني وان ونزل بباطن الغني فكان مولانا
ايده الله تعلى يخرج كل يوم في اهل البلد الى ظاهرها وكانوا كلما سمعوا هيعة
او خافوا هجوم العدو عليهم ضربوا الطبل لاجتماع الناس فيخرجون
ارسالا ويجتمعون بظاهر البلد فاتاه قائد ومحمد الاحمر الحفي يا ثبان وقال
له انا نخشى من خروج الناس متبعين الى ظاهر البلد ان يهجم عليهم
العدو قبل استكمال جمعهم فلا يقوموا له فلو وضعنا اسلحة الناس
بمكان واحد وكلما ضرب الطبل اجتمعوا في ذلك المكان واخذوا اسلحتهم
وخرجوا جميعا لكان احوط فاستحسن الراي على هذا وعينوا مكانا
لوضع الاسلحة بعض مولانا ايده الله تعلى بان في ذلك اليوم الى صحن
داره فيتلخى بالملذات في احيلا في جند من المحلة فانتهت الى دار
الامان فاخذوا رجلين وحملوهما فظنهم اخذوهما اسيرين ثم عاود
صعود السطح من الغد مرة الخيل فرابلت من المحلة بالرجلين وتكتفهما

برار الامان حيث اخذوهما فنزل مصر هنا وامر الحاج علي بن عبد الغني بن
ان يركب في خيل معه ويمضي الى دار الامان فياتيه بمن هنالك في كتف ولم يبق باهي
من اناء بالي جليز وقد دهما فاقي انهما رضوا لمالك وهمة الا حتى الى تونس
وان جا اليه كتاب بتونس جوابا عن كتابيه واذا هما قد اخبراه انهما قد قاما
في جمع اسلحة اهل البلد في مكان واحد معا فيجد بابيرهما وامراه ان يتحرك
من باطن الغي فينزل على قبان ويهجم على البلد في يوم عيناه له فلما
يفتحان لمكان السلاح للناس ويفتحان له باب البلد الذي من ناحيته
فيدخلها عليهم وكلاهم عن لا سلاح لهم فيملكها بسهولة واجابهما في كتابه
انه فاعل جميع ما اشارا به عليه فلما اطلع مولانا على حقيقة الامر اعلم
جماعة من اعيان البلد واطلعهم على ذلك فعظم عليهم ذلك وقاموا من
فورهم فقبضوا عليهما واتوا بهما الى بابه فقطع وجوههما بالسيوف وطلبوا
منه ان يمكنهم من الغاية البي الليلي اخرجوا دابيه وكان قد اطلع على
خيانته ووجد عنده كتبا كثيرة من علي باشا فاعتقله فسلمه اليهم
فقتلوه ايضا ومن الغد رحل يونس من باطن الغي فنزل بنابل ليوقع
الغي بابين فلما بلغه مقتلهما اقلع عن الغي وانه وادخل متوجها الى
الجبير وسلطاني الغي فومة فاصرا المولى المهين فجيمه من واد
اللبن فلما دنا منه اجفل امامه الى قفصة وافترق كثير من العرب
الذين معه واضطربت احوال من معه وكثر الارجاف والخوف فاصبح راحلا
مقفلا الى الجزائر فاخذ عنه اكثر العرب وفارقه ايضا اكثر من معه من
الخزاندارية فرجع بعضهم الى الغي وانه وذهب الكثير منهم الى تونس في شهر
مقدمة علي باشا وسلطاني الزوارة فخرج الى بلاد الحنانشة فاقام عندهم

اياما

ايامًا ثم ركب المولى محمد باي الى الحنانشة وهم بتبسة فرحل بنيت سلطان بن
عمار مستنجدا به فرعه وقارب ثم لحق به المولى الامين فنزل على نفيسوق
وابناء احمد الصغير واخوه سلطان بو عزيز النفي والقيام بامره واعطاهما
عشرة آلاف ريال وثلاثة امر فقبضها منه وانصرفا الى بيوتهما واتصل
تردد بينهما ثم طلق منهما الشك لعمهما فكر راجعا الى الكاف وان فرخلها وفي
اثناء يوشر عزاجي بيرو عزل عن الكاف وان نزل بتبسة واقام اولا عون
امو الاوار نقل الى الكاف ومن دخل علي باشا تونس واستقل بطاعة المولى الامين
بالكاف وان كانت له قواعد البلاد مثل سوسة والمنستير والمهدية والقلعة
الكبيرة وكثير من القرى وصفاقس ثم انتقضت عليه وكانت لعلي باشا
جمال ومساكن والقلعة الصغيرة والكورة وزاوية سوسة وغيرها من القرى
فلما رجع المولى الامين من تبسة وقع اقتتال بين عسكره من الجند والعرب
واهل الكاف وان قتلا تلها يوما واحدا من الصبح الى المساء حتى افنى من على
اخرها ثم اقلع عنها ورجع الى الكاف وان ثم خرج مولانا ايده الله تعالى الى
الساحل لتسكين امره فرحل سوسة وارسل الى جميع البلاد فاتت له
طايعة كلها الا جمال وخرج بعده اخوه المولى محمد باي فاستفزوا العامة
وجلاص وغيرهم من العرب واقبل بهم الى ابيه فارسل الى مولانا
جعله الله تعالى بمكانه من سوسة يسترهبه اليه فلما قدم عليه
استخلفه على الكاف وان وخرج هو وابنه المولى محمد باي بتلك الجموع
لغزو ماجر وورغان وهم نازلون بتبسة فلما نازلهم دافعوا دفاعا
شديدا وصدقوا القتال فانهزمت العامة وجلاص وهاربين معهم
وانتقضوا ورجع المولى الامين وابنه الى الكاف وان ثم ورد عليهم الخبر بخروج

يوسف من الحضرة بالمحلة المنازلة الغنى وأن عزم المولى محمد باي على الخروج
عندما خوفا أن يجري بهم حادث فلا يستطيع النهوض لثقل جسمه فأمر مولانا
أن يكلم أباه في ذلك فكلمه فسمع منه فغضب غضبا شديدا وقال أبقى دون
عيني وتحكموا في فقال ها أنا ذا معكما وأخي له عذر فيما قال فلم يقبل منه فخرج
إلى أخيه وقال له قد سمعت مقالته فقال لا بد من أن أخرج بنفسي وإن لم يأذن
لي وأريد منك أن تخرج معي فتشيعني إلى العين توسمة وترجع بالفعل لذلك
مساء الليلة القابلة فلم يمهل الأخ ولد يوسف لحلته على ذراع التمارة
من يومه ذلك فلم يقضيا للمولى محمد باي ما أراد وأمر من حينه بجعل
خمس مئة مجبورا بالبلد فيه أمارهم في جوهم ولما كان أيل أمر مولانا أعزه
الله ذلك الأمان تخرج بنفسه للحراسة تخرج في كتيبة من الخيل وبات في خيامهم
إلى الصبح في كبير يوسف في عساكره للقتال وخرج المولى الهيبي أهل
الغنى وأن وقعت بينهم الحرب إلى العصر وانجلوا فقال المولى محمد باي
لمولانا لا أطمئن حتى تخرج أحمد بك إلى غيرة فلا بد من أن تخرج هذه الليلة أيضا
فاعتذر له بأنه لم ينم ليلته كلها وأصبح مشتغلا بالقتال نهاره أجمع فلا
يمكنه الخروج فلم يعذره فقام تلك الساعة من العشية ولما كان الليل خرج
فدان هذا دابة يبيت راكبا للحراسة ويصبح راكبا للقتال حتى أقلع
يوسف عن الغنى وأن جعل أقام عليها بضع عشرة ليلة ونهض إلى القلعة
الكبيرة فنازلها وضيق عليها فكتب أهلها إلى المولى الهامي يقع هو
ويعلمونه أنه إن لم يدركهم سلموا له البلد فنادى في أهل الغنى وأن
بالنفير إليها فجاء إلى المولى محمد باي وقال لو كنا قادرين على
أخذ يوسف لأخذناه هاهنا وما عسى أن يكون عند أهل القلعة ولم

يحامي

يتجافى على مراجعة ابيه منذ الآن وشاور مولانا فقال له انا ابعث لك اهل
الفتى وان عن التعبير فكان كلما كلمه احد منهم في شأن الخروج الحق له الكراهية
في يوم ذلك الامر في ابن احواله فتثاقلوا فغضب المولى الامين واستدعاهم
فكلمهم في ذلك الامر فاخبروه بالعجز من اجابته من كراهية هذا الامر فصرفهم
دون جوابه فكتب لهم وقال له ما قلت لهم شيئا وانا الخروج هو الخروج فعلم
ابن يس من اهل القيروان عزم على الخروج في الخيل خاصة فخرج الى ظاهر
البلد وامر مولانا ان يلحقه بهم بعد جمعهم فتجافى في تخلفهم عنه فان
ركب بلا سلاح ولا اهبة حرب فلما راوه خارجا على تلك الهيئة لم يظنوا
انه يريد بدا فلم يخرج معه احد فلما انفصل عن البلد نزل فلبس لامته
واقبل الى ابيه في اهبة حرب فسأله عن الامر فاعلمه بتثاقلهم واشار عليه
بان يعمهم بالغزو وان ردا للناس ويفي في العطا من اراده وخرج معهم من ا
لاهل القلعة فاضرب لذلك اول يوم خمسمائة مقاتل فاخذوا عطاءهم وخرجوا
واضرب من الغد اربعمائة فاخذوا عطاءهم والتحقوا باصحابهم وكان من خبر
يونس من اهل القلعة انه لما نزل لم يكتب الى شيخهم علي بن صالح امه يستميله
ووعده مواعيد جميلة ان اطاعه فقارب في جوابه ووعده ان يحمل اهل البلد
على طاعته وتحدث الى صالح بها اياما الى ان عمل خندقا بالبلد
واراح الناس علامهم فجنح من الطمع والى العصيان ونابذوه القتال ووقعت
الحرب بينهم اياما فجهت عساكر يونس على البلد بعضها الى ان بلغوا ا
جدرانها ووقعت الحرب من اهل القلعة وقاتلوا على جمال وحمية فلانت
لهم الطرق واستلحموا من اصحابه ما ينيف على خمسمائة قتيل وكان معظمهم الى ان
تجاوزوا عن مراجعتهم حتى رجعوا ايضا ومضى يونس لجهة رطاش فطاديت

منطقته فلم توفق فيه وكانوا نحوا شريرا وانفضت الهزيمة بمرد الى البحر
ثم بعث يونس مواعيد للامراد من داخل ناحية والح عليها بالقتال ورمي
المدافع والبونبة فلما تأبى اهلها مرد القيروان وكثرت القتلى في
عسكره، ارتحل عنها مغلولا بعد ان اقام عليها شهرا ورجع الى الحوز
ثم خرج المولى محمد باي من القيروان الى سوسة فاستفتحها واختل
السعر لجلب الاقوات من البلاد وجعل المحلة بعد القيروان وبقي في
جبه الحرب وكان قايدها علي اليمني وجاء من جماعة بها واخذ
في اسباب التشغيب عليه وكتب اقاربه يعلمهم بذلك وانه تخشى
منه انتقاض امره عليه وانه لم يقدر على اخذه لقوة عصبيته وركب من
القيروان الى سوسة واوعز لمولانا اذا دخل هو منزله واتى اهل
سوسة للسلام عليه ان يأخذ علي اليمني حتى تقع عينه عليه
ويخرج من سوسة ويرجع بعد على عوده الى القيروان فجعل ذلك
ورجع به معتقلا فلما اتصل به وارتحل ركب المولى الحسين من يومه
عشي يومه ورجع الى القيروان ثم ارسل المولى محمد باي الى ابيه
يستجيشه على اهل الكودة وهم متمسكون بطاعة علي باشا من تسلط
بها من اهل الساحل فامده مولانا ايده الله تعالى من جيش من اهل القيروان
والعرب واستنفر المولى محمد باي عسكر المحلة وغزاهم وخرج من سوسة
وجاء وهاكلهم فلما اعياهم امرها اشار مولانا اعزه الله تعالى بعمل
دبابات محشوة صوفا فاستترت بها المقاتلة وهجموا عليها
فاخذوها واستقصى المولى محمد باي اموالها وجميع ما فيها من
الامتعة والاقوات والحيوان وارتحل الى سوسة ورجع مولانا ... ، الله

تعالى

تعالى الله الغني وان فلما بلغ ذلك علي باشا ارسل الجيوش لضبط الساحل
وكان علي التميمي باكورة وجعفي اغا بالقلعة الصغيرة ورتب جند البساكر
وجند ابن اوية شوسة ونجال القايد محمد بن خفي وضم ابنه على شوسة وحمل
المنستير معا ووقعت بينهم وبين جنود المولى محمد باي حروب كبيرة فخرج
في اثرها جاب الله ابو مسعود الى القلعة الصغيرة فاسر واعتقل
بها وكان علي باشا شديد الغيظ عليه لانه كان امنه واستخدمه
بعد عنه يوم زاد فراق المولى الامير فلما بلغه خبر اسره واعتقاله
بالقلعة الصغيرة ارسل جيشا كثيفا لياتي به وارسل المولى محمد
باي الى ابيه يستنجده على القلعة الصغيرة فاخرج اليه مولانا
ابن الله تعالى في جيش من الفي ومن جنزل على شوسة وعسكر بظاهرها
وافيلت المثاليث مردا لاهل القلعة ولم يكن بها من جند علي باشا فارسل
بعض عيون المولى محمد باي بالقلعة الصغيرة اليه يخبره ان المثاليث اقبلوا
وتركوا خيلهم حول الجبال الخالية من الخاصية فجمع فيهم واركب الخيل
لتبييتهم وامر مولانا ان يبعث خلطاه يصله وكان عنده كتيبة مختارة
شجاعة ذوي وشية فابى وقال هولاء لا يعارفونني فان شئت ان اسيرهم
فهو ذلك فاسيرهم ولما انفصلت الخيل عن شوسة علم بسببهم جند علي باشا فانتقوا البعض
وضحوا محلة مولانا الحي بظاهرها وكان ابن الله تعالى فاتيا بالمرقبة عند اخيه فلما وقعت
الغارة امر بغلق باب المرقبة فامتنع من ذلك اهلها خوفا من هجوم العدو عليهم ثم ظهر
وقال لهم كيف تو خرج محلتنا ونحن ننظر افتحوا الباب ففتحوه وخرج فيمن كان معه
وخرج اخوه المولى محمد باي فوقف بظاهر البلد وتعرض مولانا الحي في العدو يدافعهم
فاستبعد اكثر خيله مسيل ماهنالك وسار هو مستعليا ومعه قليل من الفرسان

ورجالة الغني وأن فاجهضه العدو بالرمي وتكاثر واعليه فالوى عنانه راداً الى
الجبل وأدركه العدو يتخطفون الرجال حواليه ودخل خيله الذين استبطنوا سبيل
الأبيض فار العدو ولم يبق وابهم ودخل المولى محمد باي الجبل وفي اعلى سوسة في
مواضع السور هي ابدا الى بيوتهم فلما رأى مولانا ايده الله تعالى شناعة تلك
الهزيمة همت به همته العالية وثبت حميته فنادى في اصحابه بالكرة وألوى
عنانه نحو العدو وهم الوف ولم يبلغ عدد من معه من الجيش مائة العشرة فلما صدمهم
الحملة اخلوا واعرضوا وهم واقحموا الفرار اذا الامر دخل في خارجهم من اصحاب ثابت
اليه نفوسهم فضرب كل واحد منهم من يليه من العدو وفقدت الحازنية منهم
ان العرب غدروا بهم وظن العرب ان الحازنية قد غدرتهم فتحق في ايديهم
جميعا وكانت لهم هزيمتهم فولوا لا يلوون احد على احد وتبعتهم خيل مولانا ايده
الله تعالى تقتل وتأسر وتنهب الى القلعة الصغيرة فدخلتها الحازنية
وعدل العرب عنها الى حللهم وهذا اليوم يعد من مواقف مولانا ايده
الله تعالى المشهورة الشاهدة له بكمال الشجاعة وقوة الثبات
وموفور النجدة والفروسية ورجعت خيل المولى محمد باي التي غنمت حلل
العرب ولم تلق كيدا ثم ان جند علي باشا الذين بالقلعة الصغيرة اخذوا
جابا لله ابلمرد وأسارى كانوا معه وانطلقوا بهم الى تونس
فامر علي باشا بجاب الله ان تكسر يداه ورجلاه وتجيء ذيل بغل ويطاف
به على اسواق المدينة ففعل به جميع ذلك وجعل ملقى بباب البحر
الى ان من عليه يونس بعد ايام فامر بالاجهاز عليه ثم خرج المولى محمد باي
من سوسة لحصار القلعة الصغيرة فاقام عليها يومين او ثلاثة ثم اقلع عنها
ورجع عنها الى سوسة وامر مولانا سلمه الله تعالى ان يعقب بجانده من

كلاهما

ظاهرها حتى يعلم وصول الاثقال والمدافع المذكورة خوفا من خروج العدو
في اثرها فامر محلته بالى جيران القيروان ووقف حيث رسم اخوه كيفيته
فلما حصلت الاثقال والمدافع بسوسة اطلعها الى مرفوعا علامة على الاجسار
الى القيروان واقام بجامع ابيه ثم خرج ونزل بمحلة الشتاء من الحجة اواخر
سنة تسع واربعين فنزل على القيروان وحاصرها محاصرته الطويلة احدى
عشر شهرا ألح عليها بالقتال والمولى الامير يركب كل يوم لقتالها وجرت بينهم
حروب كثيرة ظهر فيها من شجاعة مولانا ابقاه الله تعالى ونجدته ما اعترف
له بفضيلته الجمهور وسياتي ذكر شيء من ذلك في موضع اليق من هذا
ان شاء الله تعالى وبلغ الحصار من اهل القيروان الجهد وفنيت اقواتهم
وقلت امدادهم حتى اكلوا الميتة والدم وخرج منها كثير من الضعفاء
وبعد سبعة اشهر من امر الحصار امر المولى الامير ابنه مولانا اعزه الله تعالى
بالخروج الى الشيخ ابي علي بن فضل يستنجده فتأبى عليه وقال له كيف
اخلص اليه وهذا العدو اخذ بمخنق القيروان ولا امكن خروجنا ان يدركني
وايضا فاكثر من بيننا وبينه من الاعراب عدو لنا منهم على نفسي وابو علي في
نفسه عدو لنا متظاهر بعداوتنا فكيف الطمن اليه فابى الا خروجه
وقال له سر الى الموت فلان تموت متبوعا خير من ان تموت بنجح بعضا
ان بعد فخرج من القيروان طريق في صفر سنة خمسين في تسعين فارسا
من اتباعه وخرج ابوه لتوديعه فبكى عند فراقه ودعا له بالخير دعاء
كثيرا وكان ذا خرج معه به فسار وخشي من كماة العدو له خشية
شديدة لانه خرج وهم ينظرون اليه فلم يلحقه احد بعناية يومه فقد ان
في جوامع الليل فسار ليلته كلها على وجل شديد فلاقى العدو في يومه

مرة اخرى فما شعر الا بها قليلا وركب وجاءت له امور مع الهمامة الذين في طاعته
الى ان خلص الى اولاد مسعود وغيرهم منهم فاجتمعوا عليه وانضم اليه غيرهم من
الاعراب حتى حصل معه زها الف فارس فنزل بهم في نواحي قفصة فجمع رجب
ابن يوسف الحسيني فأبى الهمامة من بقي معه منهم واستنجد من اهل قفصة
وعسكر الترك الذين بقصبتها وزحف الى لقائه فلما بلغ خبره الى مولانا
ارسل الى رودر من معه يكساهم ودواهم فتقاعدوا عنه وتخاذلت
بنو الاعراب الهمامة فلما احس بذلك رجب ارتحل هاربا ودخل اهل قفصة
والترك بلدهم وكتب مولانا الى الشيخ ابي عزيز يسأله الدخول عنه والقيام
بنفقتهم فاعتذر بوماجل باشا له وانه لا يحسن به الغدر ووعده وقارب في
كلامه فاقام بكل حيلة من مثلها قفصة شهرين ورسله مترددة اليه الى ان كان من قدر
الله تعالى ان علي باشا كان قد اطال حصار ابنه للكاف وانه لم يقدر منها
على شيء ارسل علي الخطاب المتقدم الذكر الى عثمان حسن صاحب قسنطينة
وقدماء حسن خزناته وتولى هو ابعدهم يسأله الوصول الى الكاف وان
يعينه على امرها وضمن له على ذلك ماية الف ريال فامتنع عثمان حسن
ان لا يصل اليه المال معجلا ثم تراضوا ووقع الاتفاق على ان يخرج بمحلته فاذا
بلغ تيفاش اخذ خمسة وعشرين الفا فاذا بلغ الدالي اخذ خمسة وعشرين
الفا اخرى فاذا بلغ الكاف وانه اخذ الخمسين الفا الباقية فتجهز عثمان حسن
وخرج من قسنطينة فلما بلغ ذلك ابا عزيز خافه على نفسه لانه
خرج في غير وقت خروجه المعتاد ولم يعلم السبب في ذلك وظن انه المقصود
فارسل اليه يقول ما سبب هذا الخروج وقد انقضت اموالك وليس لك
قبلنا شيء فورى في جوابه واعلمه انه يريد مقصدا غير ذلك فارتاب ولم

يعين

ويحميه ابيه وتنحى عن طريقه واقبل الى تولجيب الى بيت وارسل الى مولانا اعزه الله
تعالى يستقدمه فارتحل اليه وركب ابو عمر بن يحيى وجوه الحنانشة الى لقائه
واظهر السرور بمقدمه ولما استقر عنده طالبه باموال زعم انه ضمنها فقال له
واين مال فاستظهر بكتاب بخط ابي زيد بن محرز فجعله فيه ضمان مائة الف
دينار وما فيه من شروطها ونقل ببيلها فانكر الامر فقال هذا خط ابي زيد بن محرز
وليس هو كاتبي ولا الكتاب مختوم بطابعي فقال السلطان تعطيني هذا المال
والا ان اخذ من عليك ما شئنا فارتاب لقوله والتزم له باعطاء المال
ودفع له نحوا من اثني عشر الف دينار وامره ان يرسل الى الغير وان رجالا من
خاصة قومه ليأتوه ببقية المال فجهز رسلا فيهم اربعة من اكابر الحنانشة
وارسلهم وكتب مولانا الى ابيه يطلب منه ان لا يسرح الرسل وان يسجنهم تحت
يده رهنا ليأمن مكرهم فجعل ثم ان عيسى حين بلغ تيماسنا وقبض
الحسنة والعيسى بن ابيطور رجع فاعتذر بعض ابو عمرو على يعاجم وغيرهم
من قبايل [illegible] وهم بنو ماجد ويقتني من هي بلية شنيعة واخذوا رواحله
وبيوته وجلا في ذلك اليوم هو وابن ابنه عثمان بن طي اذ وابلبلا بلا
حسنا ثم عاد ونزل بمديانه وفرار [illegible] يونس عن الغير وان لما ايس من مورد
صاحب قسنطينة جعل اي بكانه فلما علم بغى به اجمل امامه الى الحجاز وارتحل
من اول الليل وكان مولانا حفظه الله تعالى قد اصابه مرض هو منه سقيم
فركب على ما به من الضعف وفا سبق في اثر المايشرين ولما اصبحوا فقدوا
الشيخ اباعمرو وكان قد فر عن العينين وصلا ناحية غير ناحية
الناجعة فظنوا انه يونس فرطعن به وانه كان ضعيفا من رأيه [illegible] مولانا ×
فنزلوا ووكلوا به حتى شاء الله تعالى من حبسه فعلم انه ما خوذ

بعوض امره الى الله تعالى وجمع صاحبه الحاج علي بن عبد العزيز في عام ثم دبرا
وجعل ابن الله تعالى يسكنه ويامره بالجلوس في الصف ثم اغفى الحاج علي اغفاءة
باباته وهو في شدة من الفرح يقول يا مولاي الشيخ فرأيت رجلا طالعا في النوم
فقال لي هاهو ذا الشيخ ابو محمد يطلع عليك الساعة فسالته عنه
من هو فاخبرني انه السيد علي العزفي الشيخ وكان مولانا كثير
الزيارة لقبره ايام اقامته بالعين وان خصوص ايام حربه فكان لا يخرج اليها
حتى يقدم زيارته فلم يصبه مكروه ولم يغفل احد من البلد كيفيته
المختص به الا يوما واحدا في جواز زيارته فبلغ في وجه فبات فيه ابن الضباب
ابن الغزاف احد ابطال المشهورين ولم يزل الى الان فتك ما لزوجته محسنا
اليهم قاضيا لحوائجهم فما استتم الحاج علي كلامه حتى اقبلت البشائر بقدوم
الشيخ ابي محمد فذهب الالم عنها وفرج الله ذلك الكرب وكان وصله
مشيا بامره الى جبل لوقته فساروا ليلتهم الى الصبح ونزلوا على البئر
وظنوا ان يونس لا يلحقهم فلم يشعروا الا والخيل ومضاربه منصوبة في اثر
العين منهم فارتاعوا وتحملوا من وقتهم ولم يزل مولانا حفظه الله تعالى
قدرة على ان ركب فجعله اصحابه في محمل وحملوه على بعير وباتوا ليلتهم
كلها يسوقون بها سوقا حثيثا والمه عنق البعير الا شديدا فامرهم
ان ينزلوا به ليستريح قليلا فابوا فجعل يسبهم تارة ويرفق بهم اخرى
لعلهم ينزلون به لشدة ما يلقى فلم يفعلوا وجعلوا يحثون البعير
في مسيرهم الى ان اصبحوا وقد تقدموا الناجعة في الشيخ وكان
ابو محمد في قومه فنزل عندهم واطمان ولم يقدر ان يونس يدركهم
هنالك فلم يشعروا الا وقد اغار عليهم بدوهم امر عظيم

لعلهم

وركبوا خيولهم واطلقوا ابلهم من عقلها واستاقوها وتركوا بيوتهم باخبيتها
واجفلوا واتى الى مولانا اعزه الله تعالى بفرسه ليركبها فنفرت فلم تمسك الا
بعد حين فركب واحدقت به كتيبته وسار بعد ان حمل اكثر مهاباته وقد ادركتهم
خيل العدو فجعلت تجير عنهم يمينا وشمالا اتقاء من اثار البنادق والنجدة على تلك
الكتيبة فلما راوا مجد الخيل عنهم طمعوا فيهم فناوشوهم القتال وانتزعوا من
ايديهم كثيرا من ابل الخزانة وساروا يومهم كله وطووا من الليل حتى انتهوا الى
عسلوج اجرميه الذي افتركوه وخافوا من ورائه الطلب فارتحلوا وذلك في
حارة القيظ فساروا في يوم شديد الحر نهارهم كله وباتوا على غير ماء وذاقهم
من العطش امر شديد الى ان جد ابل فجعب منهم بعض الشيء ولو صل ابو على بن
الى مولانا بقدح من لبن الابل وقدح من الماء فمزج اللبن بالماء وشرب به فضل
من رمقه واشترى لاصحابه في تلك الليلة قليلا من الماء بدنانير كثيرة ولما كان
الصباح ارتحلوا وطلعت الشمس كانها جمرة فساروا الى ارتفاع الضحى وكان
لهم خبير يهديهم الطريق فاقبل الى مولانا فاسر اليه انه قد حار وضل
الطريق فلا يهتدي الى موضع الماء ولا يدري اين يتوجه وطلب منه ان يكتم
عليه خوفا ان يقتل وسمعه بعض اصحابه فجزعوا وبكوا ونزل بهم امر لم يكن
في حسابهم فبينما هم على هذه الحال اذ نظر مولانا ايده الله تعالى مردا
على البعد فكانت في بعضها اللهب فاخبر الخبير بذلك فقال ان تلك
رويته قرن الماء فساروا غير بعيد وتحققوا ان ذلك الشبح فاذا هو
نخل فنادوا في الناس بالبشرى وجدوا السير وقد هلك كثير من الناس
والدواب والابل عطشا وذاقهم من الجهد ما لا مزيد عليه حتى انتهوا الى
الماء وكان قليبا كثيرة فجعل الفارس يلقي نفسه من على فرسه في القليب

بوردوا واعزاخوهم وثابت اليهم انفسهم ونزلوا على سوف فاقاموا عليها
اياما ثم ارتحلوا داخلين الزاب فاقاموا على بيانه شهرين حتى استتموا الطعم والانتجاع
وارتحلوا فكلم مولانا ابا عنان في ترغيبهم الى بجاية فاجابه الى ذلك وداخلوا في ذلك
محمد بن المبارك الشالي من امرائهم في الفامشة والقهاوية واجتمع الى مولانا من كان معه
من الثعالبة ودريد فنزلوا كلهم على نجلة وحامي وهالهم الطمع فحصلوا منها على طائل
فارتحلوا عنها الى توزر وحاصروها ايضا اياما ثم بدا لابي عنان في ترحيلهم الى بجاية وفرق
اهل الحامة واهل نفزاوة الى مولانا بطاعتهم فكلمهم في اقامة يوم واحد ليتم له ما
اراد منهم فقال له ان شاء الله انصاف الغد فكلمه واعطاه خاتمين نفيسين وحزاما من
ذهب مرصعا بالجواهر ودراهم كثيرة لينعم له فاجابه واخذها ثم نكث وارتحل
من بقية يومه فارتحل ابو عنان ولم يصنعوا شيئا ودخلوا الزاب ثانية
فلقيهم احمد بن جلاب صاحب تقرت فاخرجه عنها ابن عم له اسمه محمد طويل
وملكها دونه ومع احمد اولاد مولات وطود والصلمية وكلهم من عرب الزاب
وبنو جلاب هؤلاء رؤساء تقرت وامراؤها من القديم وهم من بقايا
بني مرين وحكمهم نافذ في بلاد ريغ كلها الاقاصين وبها صاحبها
مستقل بها وهو من قبيلهم فكلم احمد بن جلاب ابا عنان في ان يمضي معه
الى تقرت ويعينه على اخذها وانتزاع ابن عمه عنها وضمن له خمسين الف دينار
وماشية نافعة واربعماية كساء وثمانية حمل من التمر فاجابه الى ذلك
وساروا اجمعين حتى نزلوا عليها وكان مع محمد صاحب تقرت في حافة ابن
رجل اسمه شيبة في علي وهو خاله فارسل الى ابي عنان وكان بينهما
صحبة يطلب له ما ضمنه احمد بن جلاب على ان يتاخر اولاد مولات
ويتفع ويقلع عنهم فاجابه ابو عنان الى ذلك وارسل ايضا الى مولانا

ابن

ايده الله تعالى تخبره ان صاحب اخي ابي ابراهيم بافشا كتب اليه كتابا في شانه
لما بلغه انه دخل الزاب بالوطاة عليه والقيام بشانه وان يسعى في
ايصاله اليه باخي ابي يقظان عماه عليه ووعده ان يبعث اليه بالكتاب ليطلع
عليه وطلب منه ان يجيز ابا عمر بن علي اخي اعلاد مولات بن معه من دريد
والهامة فاجابه ايضا وطمع في الوصول الى صاحب اخي ابي ورفقته ممالئا
واتفقوا جميعا ان يجتمعوا بظاهر تكرت للمفاوضة في الراي وابرام العقد
فركب ابو عمي ثابت في فرسان من وجوه قومه وركب معه مولانا والملك وانهم
خارجون للقنص وسلكوا ناحية غير ناحية تكرت حتى اجعروا ثم عدلوا
اليها وخرج اليهم بني حات فاحكم امره معهم ورجع كل الى موضعه وعزم
ابو عمي ثابت على تنصيب مولات فاتفق ان ركب في فرسان منهم لامر يروقه
فعثروا على اثر خيل ابي عمي ثابت فقصوه الى موضع اجتماعهم ببني حات فوجدوا
اثر خيل اقبلت من تكرت فاجتمعت بهم ورجع هولاء وهولاء فولوا الى قومهم
وقصوا عليهم الخبر فعلموا ان بني حات داخل ابا عمي ثابت في اخذهم فاجفلوا
من ليلتهم ولم تصب الا نوالهم واثاثهم وارتحل معهم احمد بن جلاب في
بقية من كان معه فبعث ابو عمي ثابت الى بني حات يطلب منه مصاحبته وقال
له هلا عرفتم فرد عليه عنكم فوالي بالمشي طمعا بمنعه واجابه بانه
المانع له لهذا الحمل اخذ اولاد مولات وحيث ذهبوا جاءمين فليس
له عندهم شيء فلم يزل ابو عمي ثابت معه حتى فتح منه بلاه باذن
لقومه في دخول البلد للتسوق وهي اداه المسيرة فلما افروا ثم تفرق
فلم ياذن له في ذلك حتى اعطاه رجلين من اهل قومه رهنا حتى يدخلوا
فيدخلوا البلد وقضوا حوائجهم ثم انعقد ابو عمي ثابت مع بني حات للاجتماع

فاجتمعا وهي معهما مولانا اعزه الله تعالى وطلب من بني حاتم ان يدفع
له كتاب ابي ابراهيم باشا فتعلل في اخراجه اليه فاذا محصله انه قد بلغنا دخول
فلان للزاب فاحمل على قتله او القبض عليه فان فعلت فلا عذر لنا مما
يجب وانما يقصد فاطمي من الزاب فلما اطلع عليه سار في ذلك واحتفظ
بالكتاب ثم ارتحل ابو عزيز من قريتهم وارتفعت بلاد الجموع وكان اولاد
مولات قد قعدوا له على الحي في شرصونة فبادر من اجتاز بهم القافلة
فاخذوهم ثم اجتازت بهم حديد واخذوهم ثم التقى اليه فنالوا منهم وكل من
اخذوه يمضي قدما ولا علم لمن وراءهم بما جرى عليهم ثم اقبل محمد
ابن الميراحي الشابي فاغاروا عليه وابو عزيز على اثره
فلما راوا غارتهم نكبوا عن طريقهم فقال مولانا
لا حاجة لنا في هذه البلاد التي فيها بلاد الشابي ونحن
محتاجون اليه وهم في شيء لنتحرها عنه فاغار عليهم
ودفعهم عنه واستغنم منهم خمسين بعيرا بعضها له
وبعضها لابنه ابي عزيز ورجع على اثره يتتبع اثر الخانشة
فلم يدعه الا بعض اثقالهم واثاثهم مرمية على الحي فاستدل
بذلك على اجفالهم وخشي ان يكون قد دهمهم امر من
ورائهم فسار على حذر فلا دون سريه ابن ابي عزيز
من ناحية الليل فاخبر ان اجفالهم انما هو خشية من ادراك اولاد
مولات ثم رجع ابو عزيز الى ناحية العين فلما استوفت
به الدار اغار صميل

صفية الشابي على واردته فلما جاءه الصريخ ارتحل واجفل لوقته
وجاء بعض الحنانشة الى مولانا اعزه الله تعالى فاوعز اليه
ان ابا عزيز طارده وقال له ان في فراقك له لطمعا من الله تعالى
قبل ان يغدر بك بعض غدراته فلما سمع هذا الكلام فكر
فيمن يجيره فلم يجد الا الهزابرة ففاوض في ذلك بعض رؤسائهم
فقالوا له ان اجارك محمد بن الصيد امي منعناك والا فليس
عندنا منعة لذلك فقال لهم ايذاء اتى اليكم ولابد فاصنعوا
ما انتم صانعون فقالوا ان اتيتنا فانزل جانبا منا ولا تدخل بيوتنا
وسكنا فان بن الصيد امي اذا راك اجارك فحينئذ ندخلك
وسطنا ونمنعك من كل احد فابرم معهم الامر على هذا
وبعد ذلك ارسل اليه ابو عزيز يستدعيه فلما جاءه قال له انك
اتيتنا ونحن اولو عدة وعديد وبنا من القوة والمنعة ما لا
مصلح وراءه فلم يزل امرنا يضعف وعددنا يقل وخيلنا
تفنى واموالنا تذهب فليس معي الان الا دون مائتي فارس
ليس فيهم عليه الا دون الاربعين قد انهكهم الشدائد
والحروب كل ذلك لاجلك وبسببك فارتحل عنا الى ابيك فلا
مصلحة لنا في كونك عندنا ففارقه وارتحل فنزل على الهزابرة
ورجا ان يرسل اليه ابن الصيد امي ويجيره فلم يفعل فركب اليه
سديرة ابن ابي عزيز وكان مولانا يختص خاله عثمان بالصحبة
ويميل اليه اكثر منه فقال له هذا راي الاحداث قد بلغك هذا

المبلغ يعني اخاه عثمان بغضب وقال له نعم الى اي راي كان
سببا في رافكم واي خير فيكم وقد اتيتكم بمالي ورد الي
فاخذتم المال واضعتم الرجال فرجع الى ابيه مغضبا وبلغه
مقالة مولانا وزاده فيها بغضب وارسل الى اللمامشة وجعل لهم ما الاعاجز
ان ياتوه به فطمعوا في المال وارسلوا الى الهزابرة في القبض
عليه لابي عزيز على مال ياخذونه لهم منه فقالوا لهم والله
لا تصلون اليه ابدا الا انتم ولا ابو عزيز فان استطعتما ان تمنعه
منكم ونمنع اموالنا ولا منعناه وتركنا لكم الاموال فبداوا له
فرجعوا خايبين وارسلوا الى ابي عزيز بطاده المقالة فعلموا
انه لا يقدر عليه وكرح بهم فارتحل الى بلاده من التل وارتحل
الهزابرة بمولانا ايده الله تعالى فنزلوا بسندس فيما من
تامغزا فاقاموا به في خصب ودعة ثم بعد ايام اتاهم النذير بان
يونس في نواحي نجزاوة وقد اوعز الى صبيحة الشايب
وشنوفا الصولي بغزوهم وانهما قد خرجا اليهم في
اولاد صولة وان يونس مقدمهم بين يديه ومصمم
اليه على اثرهم فارتحلوا من ليلتهم وكان معهم سلطان بن المهدي
بن الشايب فالتجا الى القلعة ليعتصم بها وتبعته طايفة من
الهزابرة ولم يبق مع مولانا منهم الا اربعون فارسا فساروا
به واصبحوا وراء توزر فنزلوا واجتمعوا للشورى والمحاورة
فقالوا له قد منعناك في ساعة المضيق والشدة واما الان
فانا

فانك في سعة من امرك فانظر مكانا نعتصم به فلا قدرة
لنا على اجارتك فيكفر فانه هو مطلوب لصاحب تونس وصاحب
الجزاير وكل واحد من الشابي وشتوف وابي عزيز يطلبه
وضاق به الامر واستشار اصحابه فقال بعضهم لو ذهبنا
الى سوف فبعنا بها خيلنا واشترينا بها رواحل من المهاري
فركبناها الى غدامس وانتقلنا منها الى وطن ابلس ثم ركبنا
البحر الى سوسة فان اخاك بها في عز ومنعة وقال بعضهم
لو ذهبنا الى بلد عقبة فانتظرنا بها الركب الفاسي وذهبنا
معه الى المغرب الاقصى فلم يعجبه شيء من ذلك فقال
الطيب بن خلف لو ذهبنا الى الشيخ محمد بن الطيب شيخ الحنفة
فاجارنا وكل بلد اردناها بعد ذلك سرنا اليها في جواره فقال
مولانا هذا هو الراي وطلب من الهزابرة ان يبعثوا معه
فارسين يهديانه الطريق وفارقهم وسار من حد البيض
وقد بلغه ان الطيب بن الشيخ محمد بن الطيب نازل به
ومعه النميلة فلما شارفه كانت ابله واثقاله متاخرة عنه
فقال له بعض اصحابه لو ارسلت الى الابل من يحثها لتلحق بنا
فانا لا ندري اما منا وذلك مغيب الشمس فارسل فارسا
للابل فلما اظلم عليه الليل ضل ولم يهتد الى صوبها فجعل
عنان فرسه في قربوس سرجه وتركها فلم تزل سايرة
به حتى انتهت الى بيت الطيب ثم قدما فارسين لينظرا له امر البيض

ومن هو نازل به فابطا عليه فارتاب وظن ان الشايب هنالك
وانه قبض عليهما فعدل عن الطريق راجعا فسار برهة
من الليل في الارض التي ذكرها فقال لاصحابه قد اخطانا الطريق
وهاذه ارض ما وطيتها قط فوقفوا حايرين لا يدرون
اين يتوجهون فبينما هم كذلك اذ ادركهم اصحاب الابل وقد
تبعوهم يقصون اثرهم فاعلموهم انهم على غير طريق فجعلوا
فلما اشرفوا على الغيض راوا نيرانا كثيرة فتوقفوا وقالوا
لا تكون هاذه نيران النميلة هي اصغر من ذلك فامر اصحابه
ان يمضي احدهم وينظر خبر القوم فاشتغلوا كلهم فقال لهم
قفوا مكانكم واذهب انا بنفسي فانظر لكم خبر القوم فلما سار
لحقوه وقالوا له كيف تسير انت ونبقى نحن فساروا جميعا حتى
بلغوا البيوت فاذا هم النميلة نزلوا امنعو فتبين فظهرت
نيران انهم كثيرة في راي العين فسالوا عن بيت الطبيب فلما
اتوها لم يجدوه بها ووجدوا بعض اتباعه فجاءوه فيسير من
القرى وقالوا له تعجل فان السحر قريب وهذا اصيدة الشايب
نازل بمكان كذا وشنوف بمكان كذا المكانين سموهما على واسع
منهم ونخشى عليك منهما ان اصبحنا فان نحل قبل ان يبلغهما
خبرك فلما سمع منهم هذا الكلام هو واصحابه تحيروا ووقعوا
في امر عظيم وتفاوضوا في وجه خلاصهم فسالوا هل في ذلك
المكان احد من اولاد صولة فقال قايل هذا ابراهيم بن حميد من

الضوا

الصولي هاهنا فبعثوا اليه فاقبل يمسح عينيه من النوم
ويجر كساءه فسلم وردوا عليه وسال عن القصة فاخبروه
فقال لعن الله الشايب وشنوفا والله لا يصل اليك احد ما
بقي من قومي عين تطرف ثم هنيئا وقد غاب بن اخته غلام
صغير فقال له العبد فقال له اركب الان الى ابي عزيز احد بني عمه
من اولاد صولة وكانت منزلته قريبة منه وقل له يرحل فيمن
معه من قومنا وينزل علينا فانطلق الغلام واقبل ابو عزيز فنزل
عليهم واطمانوا ثم بلغ خبره الى الخنفة فخرج اليه الشيخ محمد
ابن الطيب وابناء الطيب واحمد بن ناصر والطهر والسر ومقدمه
واقاموا اياما بالقيض ثم بلغهم ان يونس بالجريد فتخو
فوا منه وعزموا على النقلة الى الخنفة فارتحلوا وركب
معهم ابراهيم بن صميدة في قومه وخافوا ان يتعرض
لهم الشايب فحملوا على القتال وقال ابراهيم لاهل
الخنفة لا يقاتل احد منكم وقد عرفوا واتباعهم
فانكم ان قاتلتموهم اجلبوا عليكم وقاتلوكم في
عقر دياركم وكذلك قال المولى انا واصحابه لا يقاتل احد منكم
لئلا يجلبوا على اهل الخنفة بسببكم وساروا فبلغوا
البلد سالمين ولم يعرض لهم احد ولا الفواكية فاستقر
بها مولانا اعزه الله تعالى مامون السرب وادع البال من
تلك الاهوال التي لاقاها فلما كان لمضي خمسة اشهر من حلوله

بها وقد ضاقت نفسه وعيل صبره من المقام لعدم ترقب
على يده تعود عليه بمنفعة منه رأى النبي صلى الله عليه وسلم
في منامه فقال له يا رسول الله متى يكون خروجي من هذه
البلدة فجمع النبي صلى الله عليه وسلم بين اصبعيه الشريفتين
السبابة والوسطى اشارة الى تثنية من العدد فوقع في روعه
ان خروجه يكون بعد شهرين ثم قال له يا رسول الله ما علا
مة صدق رؤياي قال علامة ذلك ان يجيء الوادي ظهر يوم
الجمعة مفعما سيلا وكان ذلك في زمن احتدام القيظ وفي
وقت لا يرجى فيه نزول الامطار والناس في جهد شديد من
العطش يستقون الماء على فراسخ فاستيقظ ايده الله تعالى من
نومه مسرورا برؤياه واسرها الى بعض خاصته وقال له اكتمها
عني فاني اخشى ان اكون قد وهمت في شيء منها فلا يقع ما ذكرت
فافتضح فاسرها ذلك الرجل الى غيره وهو الى آخر ولم تلبث
ان شاعت في الناس وسمعها الخاص والعام وترقبوا مجيء السيل
تصديقا بالرؤيا فقلق لذلك قلقا شديدا وتخوف ان لا يكون
قد تثبت في منامه فلما كان يوم الجمعة وحضرت الصلاة توضأ
وخرج الى المسجد وهو على حاله من القلق فاذا الناس يشتدون
والمبشر ينادي هذا الوادي قد اقبل بما فيه واذا السيل قد
طبق الارض فسر وابتهج الناس سرورا عظيما وكان اعزه الله
تعالى اشدهم سرورا لثبوت صدق رؤياه فلما بقي لانقضا .

الشهرين

الشهرين اربعة ايام او خمسة صعد عشية سطح داره ومعه
بعض اصحابه فسمع صوتا من خلفه قريبا منه جدا يقول هذا محمد
ابن ابي الضياف قد اقبل اليك فقال لمن معه هل سمعتم شيئا
قالوا لا قال من القائل كذا وكذا المقالة التي سمعها قالوا لم يقله احد
فعلموا انها مقالة هاتف ونظر وابعد ذلك فاذا ذلك الوقت
الذي سمع فيه المقالة هو وقت خروج محمد بن ابي الضياف من
بيته ليحمله الى حسن باي وورد عليه الخفقة على راس الشهرين
من الرؤيا هو واحمد عبود كاتب حسن يستخبرانه على القصة
التي وورد عليه ايضا قبلهما بيومين علي الخطاب رسولا من حسن باي
من هذا المعنى ايضا وكان السبب في ذلك ان حسن باي [illegible]
للصداقة التي بينه وبين علي باشا اوفد عليه كاتبه احمد عبود وكان
منه بالمكانة العظيمة والمرتبة العليا وهو صاحب النقض والابرام
من دولته فلما دخل عليه اظهر التشاغل عنه بقراءة كتاب ورد عليه
من بعض النواحي وتركه برهة واقفا لم يلتفت اليه ولم ياذن
له في الوصول اليه ليقبل يده غضا منه على رؤوس الملا واظهارا
للترفع على مرسله فانكسر لذلك احمد عبود وقال له في نفسه
والله لاوقفنك موقفا صعبة تخزى فيها كما اوقفتني هذا الموقف
فلما رجع الى صاحبه القى في اذنه اشياء نسبها اليه او غربها صدره
فتنكر له ونمى ذلك الى علي باشا فانقبض منه وجعل احمد عبود
لا تنام له عين عن تتبع عورات علي باشا واحصاء الامور الموجبة

للوحشة بينه وبين صاحبه بينهيها اليه الى ان اظلم الجو بينهما
وانضم الى ذلك ان علي الحطاب وصل اليه فارا عن علي باشا وذلك
انه لما عاد اليه من سفارته التي اخفق مسعاه لما خرج الى
حسين باي يستنجده على الفقير وان قد رجع من نتيجتها بشيء
بعد قبض المال كما قدمنا اتهمه بالخيانة فنكر له وهم بقتله
فخلصه منه ابنه يونس وقال له اذا قتلته بهذا السبب اثرت
الفتنة مع حسن باي وعلم بذلك علي الحطاب فتحيل حتى خلص الى
حسن باي فقربه واختصه فاخذ في التضريب والسعي في فساد
ما بينهما والقى اليه حسن باي اذنا واعية وجعل ينهي الى ابراهيم
باشا صاحب الجزائر ما ينقمه على علي باشا ليغار صدره عليه
ووافق ذلك ان علي بن مصطفى كان في ذلك الوقت
جاويشا بديوان الجزائر فارسله ابراهيم باشا سفيرا عنه الى
علي باشا فنزل على ابنه يونس وهو بمحلته خارج الحضرة
فبدرت منه بادرة الى بعض خدمه فضربه ضربة بعمود كان فيها
تلفه فلما سمع بذلك يونس استدعاه وشتمه شتما قبيحا وعنفه
ولطم وجهه ورده اقبح رد ثم ندم على ترك القصاص منه فعاد ذلك
الرسول لابراهيم باشا وشكى اليه ما لقيه من الهوان وسعى في
افساد ما بينه وبين علي باشا وابنه حتى ملا صدره غيظا
فانتهزها احمد عبود وحرض حسين باي على استنية ان ابراهيم
باشا في استدعاء مولانا من الخنقة والاجلاب به على علي باشا

والتشفي

والتشغيب عليه بذلك فاذن له لما اراد في نفسه فحينئذ
ارسل احمد عبو الى ابي محمد بن ابي الضياف صاحب جبل اوراس
وشيخ العرب وكان بينهما صهر فان ابنة عم محمد بن ابي الضياف
واخا زوجه كانت تحت حسن باي وامره ان ينطلق معه الى مولانا
بمكانه في بقايه ويمده بما يجب من النصر على عدوه ويضمنا
له ذلك عليه الى ان قال فيا ابنائه مكرم وسرح الله علي الخطاب
ايضا فوصل قبلهما بيومين فلما كلموه في ذلك شاور ذوي
الراي من اصحابه فكلهم اشار عليه بان لا يجيبه ولا ينطلق اليه
لمكان الكتاب الذي دفعه اليه فرحات بن رجراجة ببلد ريغ
وقالوا والله ان امنك حسن باي فلانا من ابراهيم باشا وقد كره
مودتهما لعلي باشا وتخالفهما عن جانب والده وانحرافهما عنه
فخالفهما جميعا وعزم على المضي اليه وقال لهم كلما ذكرتم غير
غايب عن علمي ولكن المطلب الذي انا طالبه مما يخاطر فيه بالنفوس
وقد بلغتكم الحال التي عليها ابي من شدة الحصار وضيق المذا
هب والاخذ بالمخنق وقد برقت بارقة من نصره بان
منتجعها وبادرت بنفسي في خلاصه ونصرته وكتب من حينه
الى ابيه يعلمه بما كان من حسن باي اليه واخبره انه منطلق
اليه وبعث اليه بكتاب ابراهيم باشا الذي دفعه اليه فرحات
ابن رجراجه وفيه ذكر قتله والقبض عليه واخبره انه انما
بعث به اليه ليعلم نية القوم فيه وما اضمروه له من المكر

ومع ذلك فلما لاحت له لمحة نصر من قبلهم ذام بنفسه
وانطلق اليهم كان ذلك انما فعله طلبا لمرضاته التي لا يعدلها عنده
شيء . فلما وصل الكتاب الى المولى الامير واطلع على حقيقة الامر
جزع وتخوف ان يغدر وابه ورد الرسول اليه مسرعا لعله ان
يدركه قبل خروجه فيصده عن مقصده فلما وصل الرسول
الى الحنفة وجده قد سار عنها ووصل الى حسن باي وكان
بعد ان انفصلت عنه الرسل اليه اتاه الشيخ ابو عز بن نصر
فابيسه من مجيئه لمكان الكتاب المذكور فاضطر لذلك حسن
باي وتندم على ارساله اليه خوفا ان لا يجيبه فلما اتاه الخبر بقدومه
سر سرورا شديدا وكان نازلا بمحلته خارج قسنطينة وركب
اليه وتلقاه على اميال منها فلما رآه ترجل له فترجل مولانا
ايده الله تعالى واعتنقا واظهر له البشر والسرور وشكره
على وثوقه به واطمئنانه اليه واكرمه غاية الاكرام فاقام
عنده عشرين ليلة واشار اليه ان يبعث رسلا من عنده
الى ابيه بالقبر وان يكونوا عنده حتى يصل اليه بمحلته بعدهم
ليعينه على ارتجاع مملكته واعلمه ان في ذلك تقوية لامر
ابيه وكفا لعادية العدو عنه وانما اراد ان يخمد بذلك
الفتنة وتستحكم العداوة بينه وبين علي باشا فارسل على
الخطاب في سبعين فارسا من جنده ما بين عرب وترك فوردوا
القبر وان على المولى الامير فسر بهم وقويت نفوس اهلها
بذلك

بذلك فاقاموا عنده سبعة اشهر الى ان خرج الى المغرب فخرجوا
معه كما نذكره ثم ان حسن باي عاد الى قسنطينة وخلف خليفته
مع مولانا ايده الله تعالى وقد اجتمعت عليه كرفه واولاد عيسى وغيرهم
من عرب قسنطينة مع ما انضم اليه من عرب افريقية فشنوا الغارة
على اطراف افريقية ونزلوا على بشر و واقاموا عليه سبعة اشهر
مضيقين على افريقية ثم رجع الخليفة الى قسنطينة وارتحل مولانا
اعزه الله تعالى فنزل التلامع الحنانشة فارسل اليه المولى الامير
وهو بمكانه من التل يخبره انه عازم على الخروج من القيروان الى
الغرب فطلب الانجاز عدة صاحب الجزاير له في اخراج المحلة لنصرته
وامره ان يسير اليه ليمنعه من تعرض العدو فسار اليه فيمن
عنده من الخيل وسار معه سريرة بن ابي عزيز ومحمد
ابن سلطان لزعمات في قومهما من الحنانشة فلما بلغوا نبر ولقيهم
فارسان وجههما المولى الامير اليه يامره بالرجوع من
حيث اقبل ويعلمه انه رجع عن رايه في الخروج الى الغرب وذلك
ان ابنه المولى محمد باي [illegible] وعنده انه ان خرج بنفسه يخشى من
انتقاض البلاد التي في طاعته بعده فالراي ان يقيم بافريقية
ويخرج هو الى الغرب مكانه فاستقر الراي على [illegible] فلما
فلما كان في اوايل شهر ربيع الاول سنة ثنتين وخمسين
خرج المولى محمد باي من سوسة في محلة بها خمسماية فارس
وعدد كثير من الرجال فاتى القيروان واقام بها يومين عنه

ابيه ثم ودعه وارتحل فلما بلغ تبسة اقام بها وكان لعلي باشا
جند كثير بالكاف فخشي ان يتحرك له فارسل الى مولانا اعزه
الله تعالى ان يقدم عليه في خيله فركب مسرعا فلما علم المولى
محمد باي انه حال بينه وبين العدو وان قصده اسرع بالرحيل عن
تبسة وسار مخبا فلما بلغ مولانا ايده الله تعالى وادي مسكيانة
وجد المخاضة متغيرة من اثر خيل كثيرة خاضتها فظنها
انها خيل اخيه وانه رحل عن تبسة فرجع مع الوادي يقتص
اثرهم الى ان بلغ موضع مبيتهم فوجد اثارا حققت ظنه فسار
بقية ليلته فادركهم من الغد نزولا على عين البيوش فاجتمع
باخيه بعد طول الافتراق ولم يقم معه غير يوم واحد وطلب
اليه اخوه ان يضم اليه الخيل التي معه لانه لا يقوم لمونتهم
في قسنطينة فاخرج حسن باي الخيل لتلقيه ولما دخل اليه
عظمه واكرمه ووعده كل جميل ثم لم تطل اقامته عنده حتى
فسد ما بينهما وذلك ان احمد عبود الذي كان قايما في
امر الفتنة قد هلك وكان علي الحطاب وسلامة النجيبي
احد خدام المولى الامير ونصر ابن ابي الضياف الزرقي قد
فسدت نياتهم مع المولى محمد باي واختصوا بحسن باي
يوسوسون له حتى افسد وافتنه عليه فتنكر له ثم جهز محلة
بها ثمانين خباء وخرج بها مظهرا الدخول الى امر بقية لتمرهم
وقد اضمر خلاف ذلك واجتمعت عليه الاعراب وارسل الى ابي

عزي

عزيز فوافاه في ناجعته وقدم عليهم مولانا ايده الله تعالى
بخلافه حسن باي وشكى اليه ما نقمه على اخيه واراده
على الوقوع فيه فلم يوافقه فلما لم تجد عنده ما احبا عرض
عنه ايضا ثم ان ابا عزيز استضافه فلما حصل في بيته عاتبه
على تنكره لهما واعراضه عنهما وقال له انهما اليوم اشد
حرمة واعز منك عند صاحب الجزائر فغضب لذلك غضبا
شديدا واسرها في نفسه ثم دار كلام بين ابي عزيز وبين
شعبان بن عبد العزيز بن شيخ بني داود فشتمه ابو عزيز شتما
قبيحا بحضرة حسن باي فاشتد لذلك غضبه اذ لم يوقر
مجلسه فسب ابا عزيز وشتمه وركب من وقته الى محلته واخذ
معه ابراهيم بن ابي عزيز فاعتقله فارتحل ابو عزيز مغاضبا وهما
رفقهم نازعا الى علي باشا فرده المولى محمد باي في الكاف اذ ثم فسح
عليهم امره فارسل الى مولانا يامره بالركوب اليه واستنظره فركب
اليه في اثني عشر فارسا من اصحابه فادركه على مرحلة من مكان
نزولهم فلما حصل عندهم به وامر بتجديد خيله وهي علامة الرلا
عنقال الذي فيه رايه فاشتد خوف مولانا من الله خوفه
واصحابه منه ولم يشكوا انه قابض عليهم فجاملهم الى
علي باشا ليعتقد هاية اعنده واكد ذلك عندهم انه
اكثر الوقوع في حسن باي وذكره بكل قبيح وحلف
بايمان مغلظة ليتنهين الى علي باشا فيوليه اعتة

الخيل فليطيقن على حسن باي بلاده وليكشفنها الى
البيان فتخيل مولانا اعزه الله تعالى في خلاصه وخلاص
اصحابه منه بتدبير لا يصدر الا عمن امده الله تعالى في
نفس فدسيسة ستذكر ان شاء الله تعالى في موضع
اليق به من هذا الموضع ورجع الى ناجعته فاقام بها
وفسد امر تلك المحلة وارتحل حسن باي راجعا فسرح بعض
المحلة الى قسنطينة وسار ببقيتها الاستيفاء جبايته فلما رآه
المولى محمد باي لا يزيد الاجفالا عنه والحرابا استاذنه في
المصير الى الجزائر فلم ياذن له فتركه وكتب الى ابراهيم
باشا يستاذنه في ذلك فاذن له وكتب الى حسن باي بامره
بارساله اليه فخرج الى الجزائر واقبل عليه ابراهيم باشا فاقام
عنده معظما مكرما واقام مولانا ايده الله تعالى في ناجعته
بمكانه من التل ونزع ابو عزيز في وجهته تلك الى علي باشا
وابنه فكان بينهما صرعة كما سياتي ان شاء الله تعالى ثم
ان المولى محمد باي كلم ابراهيم باشا في اخراج محلة من
قسنطينة للتنفيس عن محنة الفقير وان فاجابه الى ذلك وكتب
به الى حسن باي وكتب المولى محمد باي الى مولانا يخبره
بذلك وبامره ان يسير الى حسن باي ليتسلم منه المحلة
فلما جاءه لم يلف عنده ما يجب فبارقه وكتب حسن باي الى
ابراهيم باشا يعتذر بان محلة قسنطينة ليست بذات
قوة

قوة ولا عدد طالبا من مزان يأخذها العدو فتكون
سبة عليهم وقال ان شئت نصر هولاء القوم فلا
تبعث محلة من الجزاير والا فدع ذلك ثم ان علي باشا
اصلح ما بينه وبين حسن باي ورجعا الى ما كان عليه
من المودة فعنده اكتب حسن باي الى مولانا وهو بمكانه
من البلاد يخبره بوقوع الصلح بينه وبين علي باشا ويقول انك
دخلت بلادنا بامان فليكن خروجك منها بامان فلا مقام لك
عندنا وقرض علي باشا في كتابه تقريضا كثيرا ونوه فيه بذكره
اغاضة له بذلك فلما بلغه الكتاب اشتد عليه الامر ورأى
انه ان اظهر للناس حقيقة الامر تفرقوا عنه ووقع فيهم
اللخفة والنهب فكتمه عنهم لئلا يخلوا حاميين ويبلغوه مكانا
يأمن فيه على نفسه واراهم انه ارسل اليه يأمره بالافراج والتبا
عد عن بلاد الحنانشة لانهم شكوا اليه من مضايقة ناجعته
لهم في مراعيهم وكان حسن باي قد ارسل كتابا في السر الى
نصر بن ابي الضياف الزرفي ومحمد عزايب اخي علي الحطاب
يخبرهما فيه بما صدر منه الى مولانا اعزه الله تعالى ليعلمه
بعد ارتحاله فلم يلبثا ان افشيا الخبر في الناس فوقعت فيهم
هيعة واسرعوا الى الحبل وتفرقوا ايادي سبا ووقع فيهم
النهب واللخفة ونادى نصر بن ابي الضياف وابنه في بني رزق
ان ينهضوا من حول مولانا ويفارقوه الى قسنطينة وينزلوا

يعقوبة صاحبها فلم يجيبوهما الى ذلك وقالوا انا ان تركنا
ابن حسن باي في محل ضيعة وفارقناه في بما يحدث به حادث فلا
يكون لنا باق بقية في ارالى اخر الدهر واجمع رايهم على ان
يبلغوه الى الحنفة فارتحلوا معه فلما بلغوا الكاف اعلمهم
انه قاصد بلاد الحمامشة فنازل معهم فرجعت عنه راجعة
من الناس وسار بقيتهم فانتهى الى فج موسى وامران بوثني من
امامه فبينما هو سائر اول القوم بعد غروب الشمس اذ سمع صوت
البارود خلفه وكر راجعا واستطلع الخبر فاذا جيش من العمامرة
نحو ثلاثمائة راجل قد اغاروا على اخريات ناجعته فاخذ وها وكان
في اخر الناس فوارس من بني رزق ومعهم الحاج علي بن عبد العزيز
عددهم بضعة عشر فارسا فلما راوا ما نزل بهم تلاوموا وكروا
على العدو فهزموهم ومنحهم الله تعالى اكتافهم يقتلونهم كيف
شاءوا فقتلوا منهم اربعين قتيلا واستنقذوا ابلهم ورحالهم
ورجعوا بها فلقيهم مولانا وقد فرغوا منهم وكانت
منزلة العمامرة قريبة من مكان الوقعة بفج روانهم اخ
رجعت اليهم منهزمة منهم واخبروهم بقتالهم امتخصوا
لهم وطلبوهم للاخذ بثارهم فاجفلوا ليلتهم كلها وكانت
ليلة شديدة البرد خوفا من ادراك الطلب ونزلوا قبيل الامسى
اخر الليل للاستراحة وقد اشرف بعضهم على الهلاك ثم ارتحلوا
واتاهم الخبر بعد ذلك بان العمامرة لما رجعت اليهم

منهزمة

منهزمتهم اجفلوا ايضا خايفين من كرتهم عليهم ولما
انتهوا بيده الله تعالى الى تامسنة وجدهم مجتمعين بالمنزلة
وهم قبيلتان الاعشاش وهم اولياؤه واولاد خبار وهم اعداؤه
واولياء علي باشا فاتاه الغوار احد رؤوس الاعشاش وقال له
قد تعلم عداوة اولاد خبار لك ولا امن ان يداخلوا في شانك
قومنا من الاعشاش فيصيبوهم ولا ادري ما تكون عاقبة امرك
معهم وقد رايت رايا فيه امنك والخلاص مما اعتدي عليك
منهم وهو ان احمل الاعشاش على اخذ اولاد خبار فاذا فعلوا
ذلك نشبت الحرب بينهم وتحركت ضغاينهم واحقادهم
القديمة فتجتنبه امن عليك وكثيرا ما كانت الحرب تقع بين
هاذين الحيين فقال له مولانا ايده الله اخشى ان لا يطيعك
قومك على هذا فقال ستري ما اصنع فلما اصبح الصباح ركب
فرسه وغدا على قومه في حللهم وانذرتهم فطاف عليهم
كلما مر بحلة او ناد قال لهم وفرسه تخب به وهو ينعش اركبوا
للاخذ اولاد خبار قد اخذنا اولاد خبار فانتم نهب اولاد خبار
وامثال هاذه الكلمات فظن اهل كل حلة انه امر ابرم بليل وانه
احكم عقده مع سائر قومه فاسرعوا متابعته وركبوا
خيولهم وشنوا الغارة على اولاد خبار فاخذوا انعامهم
وبعض حللهم ثم رجعت لهم الكرة عليهم من اخر النهار والحرب
وتباعدوا بالمنزلة وتم للغوار ما اراده بتدبيره ثم ان مولانا ايده

الله تعالى كتب الى العايد بن عطية شيخ بني زروف الذي بن عند
علي باشا والى اكابر قومهم يستميلهم اليه وكذلك كتب الى عثمان
ابن منصور الحسني قايد الهمامة والى روسايهم بالوالية وعملوا
على الانحياز اليه وكان بتونس يوميذ الى الوقت محاصر للقيروان
محاصرته الاخيرة وقد بعث محلة الى الجريد عليها عثمان
اغا ومعه عبد اللطيف السهيلي رئيس الكتاب فطمعوا في
اخذها وتقرر الامر بين العايد وعثمان بن منصور وكبار قومهما
ان يدعوها حتى تستوفي مجابيها وتنكفي راجعة
بالمال وبنو زروف معها فاذا تجاوزت قفصة ونزلت عشرة
خرجت عليها الهمامة وثار معهم بنو زروف فاخذوها
وانصرفوا الى مولانا اعزه الله تعالى بما فيها من المال وارتحل
هو ايده الله تعالى فقرب من الجريد دون ام الاقصاب وكان
العايد بن عطية قد ترك اهله بالناجعة نزلوا على القيروان
مع المحلة فلما عزم على ما عزم عليه من اخذ المحلة كتب اليهم يامرهم
بالانحياز الى القيروان وان وقع الكتاب بيد يونس واطلع على
حقيقة الامر فاخرج مددا وامرهم ان يجدوا السير في ركوب
المحلة بتوزر وامرهم ان يعدلوا عن طريق قفصة الى طريق
نفزاوة فلما ارتحلت المحلة من توزر وسلكت طريق نفزاوة
علم العايد انهم قد اتخذوا روايهم وانه قد فاته ما اراده منهم
فانصرف راحلا الى مولانا ايده الله تعالى وبعثوا الى عثمان بن
منصور

منصور فارتحل اليه ابطال واجتمعوا عليه بمكانه من ام الاقصاب في
ووفد عليه بذلك المكان عزوز بن عمارة بن دحية الدريدي
واشتد الحصار على المولى الامير بالقيروان فارسل الى مولانا
ابيه ايده الله تعالى يستنجده ويعلمه انه ماخوذ ان لم يتداركه
فجاءه الرسول وقد اجتمع عليه من ذكرنا ففاوضهم في النهوض
معه الى القيروان وان لا استئذان ابيه فاجابوه كلهم وعزموا
على النهوض معه فثبطهم عزوز بن عمارة وقال لهم انا اعلم
بامر القيروان منكم قد خرجت منها انفا ولم يبق فيها ولا في
استنقاذ من بها مطمع بلمادة امولانا اتنا فلهم رحالهم راجعا
الى بلاد الهمامشة فجاءه الخبر في ذلك الوجه بمقتل ابيه رحمه
الله تعالى واخذ القيروان فجزع لذلك جزعا شديدا وبعد
ذلك بايام قليلة اغار عليهم محمد بن سلطان في الحنانشة واولاد
يحيى بن طالب وهو نازل قبلي جبل المعتكف فراوا ان لا ملجا لهم
الا السيوف فهم فارتحلوا ونهبوا واليه فلما راوا العدو وتصميمهم
فروا من غير قتال واعتصموا بالجبال ثم ارسل محمد بن سلطان
الى مولانا يعتذر له فلم يقبل منه وبقي مدة ببلاد الهمامشة
حتى كلم اخوه المولى عمه باي ابراهيم باشا في عوده الى الناحية
قسنطينة فارسل الى حسن باي قام ان يستخدمه فكتب اليه
بذلك فسار واقام بالناحية بناجعته سنين وجرت له امور
ووقائع يطول شرحها وتشهد مع حسن باي حروبا كثيرة ثم مل

من سكنى البادية واستاذنه في الانتقال الى قسنطينة فاذن
له بالانتقال اليها ووافى يوم رحيله من قلة ووداع من معه من بني رزق
وغيرهم ومعاملة بعض رؤسائهم له بما هم اهله من السوء
رابنا الاض ابا عن خدمه اولى واستقر بقسنطينة بعد سكنى
البادية سنين متعددة خلصته خلوص السبيك وسبكته سبك
الابريز فهذه اخبار اعزه الله تعالى
من يوم خروجه من الغرب وان في التاريخ المتقدم الى يوم
استقراره بقسنطينة ذكرناها على سبيل الاختصار ولم
نفصلها بما تخللها من المدة من بقية اخبار والده رحمه الله
تعالى لارتباط بعضها ببعض ولان اخباره هي المقصودة
بالذات من هذا الكتاب ولنعد الان الى بقية اخبار المولى
الامير رحمه الله تعالى فنقول قد قدمنا ان يونس خرج بمحلة
الشتاء في خلال سنة تسع واربعين ودام الغيبة وان احد عشر
شهرا وفي اثناء محاصرته خرج مولانا ايده الله تعالى الى وجهته
التي فرغنا الان من قصها ثم اقلع يونس عن الحصار وغزى
الحنانشة على غيصان وخرج اخوه محمد باي بمحلة الصيف سنة
خمسين في الفتنة عليه البربر من جبال باجة كعمرون وغيرهم
وكتبوا الى المولى الامير يطلبون منه ان يرسل اليهم
احدا بنيه ليقوموا معه ويأخذوا المحلة فارسل اليهم
مسعود كاهية في خيل من الصبايحية فثاروا معه واغاروا
على

على محلة محمد باي ببلطة ووقع القتال بينهم وخاف محمد باي
خوفا شديدا بعد الشدة جبنه وهمّ بالفرار فمنعه روساء من
معه وبلغ الخبر بتونس فتضرر به من غيظ ان فاغذ السير حتى
نزل بمحلته على محلة اخيه وضم المحلتين اليه وجعلها محلة واحدة
وصيّر اخاه كاحد اتباعه وكتب الى قبايل البربر بالامان
ورفق بهم فلاذوا له واجابوه وكتب الى مسعود كاهية
بالامان فنزلوا اليه لما رءاه البربر فذم الواقعة واصلح
احوال وطن باجة وارتحل الى الحضرة وكانت جلاص ومن
بقي مع المولى الامير من دريد وغيرهم ينزلون ضا
حية القيروان فطمع علي باشا في اخذهم فجهز لهم جيشا
كثيفا وامّر عليهم احد اغات الصبايحية من المماليك
اسمه عثمان اغا ومعه عمار بن عيسى كاهية الصبايحية وغيره
من الروسا واخرجهم لاخذهم فلم يشعر المولى الامير واهل
القيروان حين طلعت عليهم نواصي الخيل من دراع التمار فركب
رحمه الله تعالى في خيله مسرعا وخرج اليهم ومعه اهل القيروان وانا
وارتاعت العرب فالتجوا بحللهم وانعامهم ومواشيهم الى سور البلد
وشغل المولى الامير العدو عما قصدوا اليه من اخذهم وناوشهم
القتال ووقع الطراد ساعة من نهار ثم امر باحضار المدافع من
البلد فاوتي بها على العجل وامر الرامي ان يضع الكورة
في كبكبة الخيل ففعل وكانت هي بينتهم فولوا الادبار

احد على احد وتبعهم جند المولى الامير يقتلون ويأسرون
فباخة واعثمان اغا امير الجيش وعمار بن عيسى كاهية
اسبهين وقتلوا منهم مقتلة عظيمة وامتلات ايديهم من خيلهم
وسلاحهم واسلابهم وتمم شيعة المولى الامير من هاذه
الوقعة رائحة النصر واملوا عودة الكرة ولم يكن الا ما قدره
الله تعالى ثم عاد يونس الى منازلة القيروان سنة احدى وخمسين
فحاصرها تسعة اشهر يغاديها القتال ويراوحها حتى فنيت
الاقوات وضاقت الاحوال وبلغ الضر والبوس من اهلها كل
مبلغ وخرج كثير من ضعفائهم مستسلمين وتفرقوا في
البلاد ثم اقلع عنها وتنفس الخناق ودخلت سنة ثنتين وخمسين
فكان من خروج المولى محمد باي بمحلته من سوسة في بحر
قسنطينة ما قدمنا الخبر عنه فلما نزل القيروان على ابيه
كلمه في استخلاف اخيه المولى محمود باي على سوسة وارتحل
لوجهته فظن المولى الامير بابنه لانه كان القايم بجميع امور
فاظطربت سوسة وتكالب عليها العدو من ناحية علي باشا
الذين بالساحل وكتب اهلها الى المولى الامير يحثونه على
ان يرسل اليهم ابنه والا اسلموا البلد لعدوه فسرحه اليهم
فوصلها في شهر ربيع الثاني وضبطها احسن ضبط والتا
فضي يونس وطن امر محلة الصيف وظفر بالشيخ ابي عز بن بن نصر كا
سنة كره وعاد الى الحضرة ثم اجمع رايه وراي ابيه على المسير الى
القيروان

القيروان واستيقن اهلها الهلاك لما من ضعف الحامية وقلة الجنود
ونفاد الاموال وفناء الاقوات فاخرج مضاربه ونادى في عساكره
عربه بالرحيل وازاح عللهم ثم ارتحل في شعبان في عدة تامة
وعدية وامر فنزل على القيروان وضرب مخيمه بذراع
التمار واخذ بمخنقها ومنع وصول الامداد اليها وغادى اهلها
القتال وراوحهم ثم ارتحل من معسكره بذراع التمار ونزل بدار
الامان من شرقيها وخرجت عساكره بصبح الغد من نزلهم
يصنعوا متاريس بازاء القصبة وتترسوا بها نهارهم كله فلما
جن الليل ركب المولى الامير واجتمعت عليه جميع المقاتلة
وقصدوا باب البلد وخرجوا اليهم ليزحزحوهم عن متاريسهم
فلم يقدروا عليهم فرجعوا الى بلدهم واغلقوا الباب وركب
يونس المدافع والبونبة والح بها على القصبة فعطل مدافعها
ان تصيب عسكره ومنع المقاتلة من تسنم سورها ووضع
الالغام لهدمه فانثلمت منه ثلمة كبيرة وانثلمت ثلمة اخرى
مثلها من سور البلد المجاور للقصبة واشتد الحال على اهل
القيروان ونالهم من الجهد والجوع امر لا يبلغه الوصف
حتى اضطروا الى اكل الكلاب والسنانير والجيف والدم
وجلود الحيوانات مذكاة وغير مذكاة وغلت سائر الحبوب
والاقوات حتى ابيعت ويبة القمح بالمكيال المعتاد
بمائة وعشرين ريالا ورطل الزيت بعشرة ريالات وعلى هذه

النسبة في كل شيء من المأكولات واستهلك الناس أموالهم
وجهودهم وضاقت أحوالهم وخرج أكثرهم فعاثت فيهم أيدي النهب
والأخذ وتشتتوا في البلاد ولم يبق مع المولى الأمير من المقاتلة
إلا دون الأربعمائة ولا من الفرسان إلا دون المائة ومن عداهم من أبناء
الجلا فكلهم عزل لا يحملون سلاحا ولا يملكون دفاعا وتقوى عليهم
عدوهم وقدم سليمان بن علي باشا على أخيه مددا له ولم يزل
الحال على ذلك ويونس لم يأذن لعسكره في الهجوم على البلد
خوفا عليهم من أن يتورطوا في سككها فيقاتلهم الآخرون على
استماتة وحفاظ حتى بلغ السيل الزبى والحزام الطبيين وتواترت
عنده الأخبار بضعف الحامية وقلة الأنصار وبلوغ الجهد غايته
فلما كان يوم الجمعة السادس عشر من صفر سنة ثلاث وخمسين
هجمت العساكر على البلد ودخلوها من أقطارها ولما وقعت
الهيعة ركب المولى الأمير في خاصته والتفت عليه المقاتلة ووقف
في ألم فغشيتهم الجنود وعاينوا انحلال الأمر فتسلل عامة
أصحابه في غيابات المدينة ولاذوا بأضرحة الصالحين فلم تغن عنهم
شيئا وانفرد المولى الأمير في طائفة من زواوة وبعض مماليكه
وخدمه ومن خاصته علي بن أحمد شلبي صهره على ابنته فخرج من
الباب الغربي فلما بلغ صبرة أحاطت به الخيل من كل جانب فرماه
أحدهم فرسه فصرعها وسقط إلى الأرض فقعد لا يدنو منه أحد
إلى أن أقبل يونس فلما انتهى إليه نزل عن فرسه وأتى بفعل
شنعا

شنعا منكرة تصم عنها الاذان وتخرس عندها الالسن فلله ارحام
هناك تشقق واديم بارك فيه يد الله تمزق واصبح الفارس
بعد مصرعه وقوعا لم يشبع واما الكرام كجزور الايسار ليس
فيها كبد ولا عليها سنام وفقد ريح البشر وتكدر الشرب
وتقلصت ظلال العز وتعطلت ابنية الملك وقوضت خيام
الامن وهدت اركان المجد واخلت عقد الحزم وانتقضت
عرى الكرم ومن قول الفقيه الوزير الكاتب ابي العباس
احمد الاصرم القيرواني مرثية

خليلي مالي انظر الدار بلقعا ∴ كان امير المومنين تضعضعا
لعل حسينا ضمه اللحد يا فتى ∴ فاين اصطباري غاب او فر امعا
يناشد في دمعي وفي نصله دم ∴ ونصل بنادي عن وهيها منزعا
وتجري دمي فيه باحمر فعله ∴ فبنت بدا ان توانا وافلعا
مليك فقدنا اليوم ما مثل فقده ∴ ملم اذا ما قلت مهلا تبرعا
سقاني كاس الحزن موصول حسرة ∴ تجرع قلبي منه ما قد تجرعا
كاني لم اشهد عا فقد راية ∴ ونفاع اسلام وعدلا مجمعا
الا فابكه يا دهر ان كنت منصفا ∴ الا فاقطعن عنه الفواد مع المعا
على شلوه المرحوم ازكى تحية ∴ تشوق له الغفران والعفو اجمعا

وقال ايضا يرثيه ويندب القيروان

كيف صبري عنك يا قيروان ∴ وقت بشر اكا بيد الزمان
اين معناك الذي راق ليه ∴ اين هاتيك المغاني الحسان

ابن مولاي الذي كان في ⁂ جنة الملك كالشمس بين فان

قيل لي ان مليك المعالي ⁂ حسبنا جئنا منه المكان

فانبرى والوجد على اضلعي ⁂ ببنتي منها الحشا والجنان

ملك ان جال بين الملوك ⁂ يكونوا الجسم وهو اللسان

انما العدل يبدي اضاحيا ⁂ قطعة من راحتيه البنان

حق ان تبكي عليه العلا ⁂ والليالي والهدى والامان

كم ما قد كان من هلكه ⁂ هكذا الدهر جري وجان

ان يري ما الردى علقما ⁂ سوف يسقى من عين الجنان

وتقبض يونس على عامة خاصة المولى الامير واعيان اهل القيروان فاستلحم السيف اكثرهم وارسل باكابرهم الى بابه واستبيحت القيروان وانطلقت ايدي العيث في الاموال والحرم وذهب من اهلك من الشيب ومن لا يؤبه له شيا على البلاد وتشتت شملهم واستولى النهب والتغلب عليهم من غير اخرهم وكان امرا هايلا وخطبا فضيعا وارسل يونس بن اسي المولى الامير مع اخيه سليمان الى تونس وارسل معه بالكبار من اصحابه مثل عامر اخيه لامه واحمد شلبي وابنه علي وعلي الشيخ وعلي بن مريقة وعلي اليمني في اخرين واقام هو على القيروان الى ان استاصل بقية سورها بالهدم وتركها خلاء بلقعا وانصرف ولما بلغ علي باشا مقتل عمه تغير والمنصرة الذي اهينة ولما دخل عليه بن اسي سقط في موعده وغضبا غضبا

شديدا

شديدة النكاية اتى باشنع مما جاء ابنه به فبعث به من ادخله على بناته
وحرمه حتى راينه باعينهن وكاد الجزع ان يقضي عليهن ثم امر
بوضع على القبة بيطحاء القصبة حتى رواه الناس ثم دفن مع شلوه
المقدس بتربته التي احدثها بجامعه المتقدم الذكر ودفن مع المجد
والكرم رحمة الله وبركاته عليه ولما دخل اولئك التبع من اصحابه
على علي باشا شتمهم وعنفهم وقال لهم فيما قال هذا اكله عملكم
وتدبيركم وامر فنتفت لحاهم الاعلام ثم بعث بهم الى بحال
القصبة فاستلحمهم السيف واستولى الشنوع على سائر من قبض
عليه من اهل القيروان وجلاص وسائر من دخل في امر الفتنة
وهكذا الشان في كل من ظفر به سائر ايام الفتنة ولما بلغ خبر
الوقيعة ومقتل المولى الامير الى ابنه المولى محمود باي بسوسة
ونجا اليه بعض الفل ممن اخطاه السيف تحير واضطرب وخشي
ان يبدو لاهل سوسة راي في فتح البلد لعلي باشا فاتاه الاعيان
واهل الشورى منهم وسكنوه واعصوصبوا عليه وقالوا
نحن لا نعرف اميرا غيرك وغير اخيك ولم نكن نبعد لاهل
القيروان فطب نفسا فانا مقاتلون دونك ما بقي منا
احد وتبعهم على ذلك اهل المنستير واهل القلعة الكبيرة
واستمروا على امتناعهم ثم لم تلبث المنستير ان فتحت لعلي باشا بتدبير
شيخها ونجا قايدها شعبان التسعيي في البحر الى طرابلس
ولما بلغ المولى محمد باي وهو بمكانه من الجزاير مقتل ابيه واخته

الغير وان اسف لذلك اسفا شديدا وخاف على اخيه ورءا ان
امتناعه بسوسة بعد ذلك غير مغن عنه شيئا ولما بلغه
فتح المنستير ازداد تخوفه عليه فاعمل الحيلة في خلاصه
فارسل اليه مركبا من الجزاير وكتب اليه سرا يامره بالهرب
فيها وان يكتم امره حتى يتهيا له ما اراد ولا يشعر به احد
وكتب اليه كتابا اخر يصوب فيه رايه و راي اهل سوسة
في تمسكهم بالامتناع ويخبره انه خارج من المحلة بالجزاير لا
ستنقاذ ملكه ويامره ان يستمر على الامتناع حتى يوافيه وامره
ان يظهر هذا الكتاب للناس ويقراه على ملايهم لئلا يتراخوا
فلما قراه عليهم استانسوا به واستبشروا وعمل هو على
الهرب وكتم سره عن كل احد فلما كانت الليلة التي اراد الخروج
فيها اطلع خاصته ومن يعز عليه من اصحابه وامرهم
بالتهيء لذلك فلما مضت برهة من الليل نزل من سور القصبة
ونزل اصحابه وركبوا فلوكة توصلهم الى المركب وفطن له بعض
الناس فلحقوه وتعلقوا بجانب الفلوكة ليركبوا معه وهي
لا تحملهم فكادوا ان يغرقوها ولم يكد يتخلص منهم حتى
سلت السيوف وقطعت رؤوس ايد منهم فتركوها لما
احسوا بحر السيف فنجى الى المركب ولم يكد ينجو واقلع من ليلته من
مرسى سوسة ودخل مالطة فاقام بها اياما في تركية وميرة ثم
اقلع منها فدخل مرسيلية من بلاد الفرنج فتلقوه بكل اكرام
ثم

ثم اقلع الى الجزاير واستقر بها واد عامج اخيه في عزو وتكرمة
ومولانا ايده الله تعالى حيث ذكرناه انفا حتى كان من امرهم
ما سنذكر ان شاء الله تعالى وكان انفصاله عن سوسة في رجب
سنة ثلاث وخمسين ولما علم اهل سوسة من ليلتهم بخروج اميرهم
عنهم برح امرهم واضطربوا والقوا بايديهم وكتبوا الى علي
باشا يستامنونه فما كان باسرع من ان خرج اليهم يونس فنزل
على اهل البلد فقتل ونهب وقبض على طايفة من الروسا وبعثهم
الى ابيه فقتلهم واغرمهم اموالا كثيرة ثقيلة واقتضاها
منهم وارتحل الى القلعة الكبيرة فانتسفها واستاصل من ظفر
به من اهلها وهدمها كلها الا مساجدها وامر بالمحاريث فمرت
بسككها وبالبر احاط المتسعة منها الخلة لفسهم ان يحرثها
وتركها خاوية على عروشها وبعث بشيخها علي بن سالم
القايد بامر حربها الى ابيه فامر به فكسرت يداه ورجلاه وجر في
دبل بغل وترك الى ان مات وارتحل الى المستنير فاغرمهم ايضا
اموالا كثيرة ورجع الى الحضرة **بقية اخبار علي باشا**
واولاده وتقلبات احوالهم ومصار امورهم
لما اقتعد علي باشا اريكة السلطنة بالحضرة ارهب حده
واورى زنده وسل سيفه واغمد حلمه وارسل نفسه على سجيتها
في الانتقام ممن خالفه وشدة العقاب لمن انحرف عنه فتتبع من
ظفر به من اولياء عمه ومن له ادنى نسبة اليه قتلا واخذا

يقبل لاحد منهم عثرة ولا يغفر له زلة ولا يقبل له معذرة بل
يقتل على التهمة وياخذ بالظنة وذالك انه ملك بلادا قد
انتزعها من يد ملك طال امد سلطانه بها وحسنت اثاره
عند اهلها واشتملت قلوبهم على محبته بما عاملهم به من حسن
سيرته فوجد قلوبهم عنه منحرفة ونفوسهم اليه غير
منصرفة صاغية الى ملكهم الذي احسن الملكة فيهم وطامحة
الى ما الفوا من حسن اثره لديهم فرءا ان ما داوى روؤسهم
من تاميله ورجاء هبوب ريحه لا يخرجه الا التشبيب بحكمه في رقابهم
وامضى حده في اعقابهم فدخل عليهم من ذالك ما طير انفسهم
شعاعا وصير افيدتهم هواء فاستحكا نواختت كلكل سطوته
وثقل وطاته واخباره كثيرة جدا في الاضراب عنها اقضاء
عليه غير انا نذكر ما له وما عليه من الامور العظام التي وقعت
في دولته والله يغفر لنا وله ولجميع المسلمين

اخبار الحاج علي

قد قدمنا ان الحاج علي زو لما وقعت الهزيمة على عساكر
المولى الامير بسمنجة ووصل ابناه الى الحضرة ثم فرضا
عنها دخل القصبة واعلن بدعوة علي باشا وضبط البلد
باسمه وذالك كانت بينهما ايام تعرف به فان الحاج علي راكان قد
اخرج عن المولى الامير لما قص من شانه وغض من عنانه عن
امور كان يتصرف فيها امره امضى الراي الذي قبله ما فسح ذالك

من

من قبله وكاتب علي باشا على البعد ثم تمم ذلك بادخال البلد
في طاعته بعد الوقيعة بسنجة فلما دخلها رعى له حقه ووفى
له وابقاه دايما على ولايته ثم صاهره على ابنته لابنه محمد
ويقال ان العقد وقع بينهما وعلي باشا بالجزاير واستمر
على ذلك الى رجب سنة ثنتين وخمسين فنكبه وعزله
ونفاه الى صاطر وذلك انه اتهمه بالانحراف عنه الى المولى
الامير واقام مقامه محمود اباي كان كاهية بالقصبة وبقي
الحاج علي بصاطر الى ان توفي بها سنة   وخمسين

* مقتل احمد الصغير واخيه سلطان ابني * * عفار بن سلطان شيخي الحنانشة *

فقد ذكرنا فيما مر ان احمد الصغير واخاه سلطان كان عيبة
صدق للمولى الامير وانهما استجارا به لما استبد الشيخ ابو عزيز
دونهما بمشيخة الحنانشة لمكانه من صاحب قسنطينة فاجارهما
وقام في شانهما حتى رجع امر الحنانشة اليهما بوساطته وعاداه
ابو عزيز لاجل ذلك فلما ثار علي باشا بوسلات مال اليه ابو
عزيز وشن الغارة على اطراف افريقية وانتصر ابناء عفار
للمولى الامير ودخلا الكاف عنوة على اهله لما خالفوا عليه
الى ان كان ما ذكرناه من نزوع علي الحطاب اليهما واستمالتهما
الى علي باشا حتى اجابا ونبذا الى المولى الامير عهده وخرج
اليهما يونس واجتمعت عليهم الاعراب ومدوا ايدي العيث والفساد

في العمالة فجهز المولى الامير جيشا لقتالهم لنظر مصطفى كرونه
فهزموهم فنهض اليهم بنفسه ووافاه ابو عز بن معيز الد عليهم
انتهاز الفرصة فيه وابني عمار فاعتصموا بقرية اكسر فدخلها
عليهم واخذها وفر وابيونس الى الصحراء ثم رجع المولى الامير
وهزم علي باشا بالساحل واجلاه عن افريقية فوافاهم مكانهم
من الصحراء وعقد الصهر مع سلطان على ابنته اعتضادا بصهرهم
ثم انتهى الى الجزاير بسعيهما ثم انتقض ابو عز بن على المولى الامير
لسبب ذكرناه سابقا فداخل في شانه حسن كلبان صاحب قسنطينة
فصرفه عن مشيخة الحنانشة واقام مكانه اخاه احمد بن نصر وابن
عمهما ابا فيه فضعفا عن القيام بامر قومهما ورجع ابناء عمار الى
موالات المولى الامير وكتبا اليه يستقيلان ذنبهما
ويرغبان في الطاعة فقبل منهما واصلح ما بينهما وبين حسن كلبان
فقلدهما امر الحنانشة واخر احمد بن نصر وابن عمه فلما خرج
علي باشا من الجزاير بالمحلة ومرقت له بارقة الظهور
نبذ الى المولى الامير عهده ثانية ورجعا الى موالات
علي باشا واقبلا مع المحلة في نصرته حتى جلس على كرسي ملكه
فارتحلا الى بلادهما وكان قد نقم عليهما ايام توليه امورا اسرها
في نفسه من عدم المحافظة على الادب في خطابه وعدم المجاملة
في عشرته فلما رجعا الى موالاته عقد ايام مقامه بالجزاير ضغنها
عليهما ايضا ولما اجفل المولى الامير الى الصحراء بعد يوم وادي
اللبن

اللبن كما تقدم ودخل ابنه المولى محمد باي عليهما اناجعتهما
وترددت المراسلة والمراجعة بينه وبينهما وواعداه النصر وقاربا
واقتضيا منه امورا الا ولم يتم ذالك والضرب عنهما زاد ذالك علي
باشا غيظا عليهما فاخذ في اعمال الحيلة في القبض عليهما وكان
سلطان يفد عليه لمكان صهره فيكرم مه غاية الاكرام ويعين له
-دار النزول له بما يحتاج اليه من الفرش والكسوة والا *
وافاض عليه سجال احسانه وقضى المكل حاجة طلبها منه
والان جانبه لاحمد الصغير وغمره بالاحسان على البعد حتى
اطرز الليه ووقع في حبائله وذلك بان كلم سلطانا ان يكتب
عليه ليقضي من حقه فخرج اليه من عنده وهو نازل على الزواري
بارادة على الوفود عليه واطمعه فيما عنده حتى اجابه الى ذالك
وخرج اليه في نحو الثلاثمائة فارس من وجوه قومه فلما دخلوا
عليه بادر ورحب بهم واكرم نزلهم وامهلهم اينما جن الليل
فقبض عليهم وامر بقتل احمد الصغير وابنه ابراهيم وسلطان
وابنه بريك وابن اخيه خالد بن محمد بن عمار واخيه وجماعة
من خواصهم وامر ببقية القوم فجعلوا في السلاسل كل اثنين
في سلسلة واستعملهم في نقل الحجر والجير لبناء ما انهدم من سور
القصبة فمات بعضهم وتخلص الباقون بعد مدة طويلة وطلق
زوجة ابنة سلطان وزوجها لبعض المماليك في مسلمة الفرنج
فانفت لذالك وماتت قبل تمام الحول اسفا ومثل هذه ابعيته

وقع للابنة لم احد من ابي عز بين زوج بونس

مقتل الشيخ ابي عز بن

كان ابو عز بن يتطور في احواله في والي الامير تارة
ويناقضه اخرى وينتمي الى علي باشا مرة ويتبرا منه اخرى
ويتطلع امره مع صاحب قسنطينة احيانا ثم ييبسه وذلك لبعد غوره
في المكر وشدة دهائه وقلة ريائه وقد مر هنا جملة من احواله
فيما ذكرنا موالاته للمولى الامير بعد ثورة علي باشا
بالجزائر بوسلات ثم انتقاضه عليه ايام مقام علي باشا بالجزائر
وانه قام وقعد في امره وكان احد الاسباب في خروج محلة
الجزائر معه ووقعت وقعة سمنجة وله فيها اثر عظيم واستقر
علي باشا على كرسي السلطنة بتونس وامرهما صحيح وكلمتهما
واحدة حتى كان من خروج مولانا اعزه الله تعالى من الغرب وان
وانحيازه الى ابي عز بن بعد تمنعه واغارته بعد ذلك على ما جرى
مافة مناه فجبينه استحكمت العداوة بينه وبين علي باشا
واوقع به بونس على غيض ان الوقعة المشهورة ثم فارقه
مولانا ايده الله تعالى واخذ ابو عز بن في تلونه مع علي باشا
الى ان خرج المولى محمد باي بمحلته من سوسة واتصل حسن باي
وخرج معه بمحلته من قسنطينة بني بيد امر بفرقة فيما بزعم
ووالاه ابو عز بن بناجعته ووقعت الوحشة بينهما للسبب
الذي ذكرناه سابقا وتقبض حسن باي على ابنه ابراهيم واعتقله

فارتحل

فارتحل حينئذ نازعا الى علي باشا مستنجدا به على حسن باي
ولحق به مولانا ايده الله تعالى ليصرفه عن رايه فهم بـه
وخلصه الله تعالى منه وسار حتى شارف افريقية فنزل على وضي
جابر وكتب الى علي باشا وابنه يونس وكان نازلا على بـا
جة بمحلته الصيفية واستجار بهما وطلب منهما الامان وان
يظاهرهما على حسن باي وان يسرح معه العرب فيعيث بهم
في بلاده فاجاباه الى كل ما طلب وضمنا له جميع ما يجب وواعداه المواعيد
العظيمة وارتحل يونس بمحلته من باجة فنزل على الكاف وكان اخوه سليمان
بها فارسل اليه ابو عزيز يطلب الفاير مصطفى بن يوسف الحسيني
ابن عمة علي باشا وقريبه امه لصداقة كانت بينهما ظنا منه
ان ذمته لا تخفر فسرحه اليه وكان عنده فرحات بن رجابة
وفد عليه من الزاب لنجدة عندهم فسرحه معه ايضا فلما
انتهيا اليه تكلم مع مصطفى بن يوسف فيما احب وتوثق
منه فضمن له كل ما اراده حتى اطمانت نفسه فركب
معه في نحو خمسين فارسا من قومه يريد يونس فلما اتصل
به خبر مقدمه ركب في خيله فلقيه بوادي الرمل على ثلاث
فراسخ من الكاف فسلم عليه ورحب به ونصبت له سحابة فدخلها
وادخله معه فاتي بالطعام فلما امتد ابو عزيز يده نهض
يونس مسرعا الى فرسه فركبها ووثب حيدر خوجة كاتب
ابيه بالقلم التركي على ابي عزيز فاوثقه كتافا ووقعت

هيعة مات فيها خمسة من قومه وطار الباقون الى محل منجاتهم
ورجع به يونس الى محلته ومن الغد اصبح راجلا به الى الحضرة فاوصله
الى ابيه فاعتقله اياما وجازاه عن غيه ربعد فبعث به الى تونس
فطيف به في اسواقها على بغل فجعل وجهه الى ذنبه ثم اتى به
لبطحاء القصبة فاستلحمته السيوف وتوزع شلوه طعام العسكر
فاكلوه على شرابهم في الحانات غيظا عليه وذهب
كامس الدابر وكان قتله في جمادى سنة اثنتين وخمسين

* خبر طرفة وكيفية استيلاء علج باشا * عليها واسر اهلها *

طرفة هذه جزيرة على الساحل بين بونة وبنزرت يحيط بها
البحر من الجهات كلها لكن المجاز اليها من ناحية البر فيه لا يزيد
البحر فيه من مقدار علوه وبذلك كانت جزيرة لانه لا يتمكن من
الدخول اليها من البر الا في الشواني ولما ملك الفرنج من اهل
اسبانية حلق الواد بنوا بها برجا اتخذوه ذريعة لامتداد
ايديهم الى ثغور الاسلام فلما غزا سنان باشا حلق الواد وافتتحه
وطهر ارجاء الحضرة من خبث الكفر واستوثقت بها العساكر
السلطانية وايس الفرنج من عود الكرة تركوا ذلك البرج
ونفضوا ايديهم من ابي بقية وكان للجنويين اهل جنوة من الفرنج في ذلك
الزمن يد عند السلطان من ال عثمان ايده الله تعالى اضاء لدولتهم على
الانام فطلبوا منه ان يعطيهم تلك الجزيرة وهي جبل من نفع

ليتخذوا

ليتخذوا بها قرية يعتصمون بها ويتمكنون من اصطياد المرجان
من بحرها فانه اكثر البحر الشامي من جانبا واعطاهم ذلك لبذلهم
عندة وكتب لهم به عهدة فاتوها وبنوا بها قرية وجعلوا
قصبتها باعلا الجبل مطلة على البحر من جهاتها وانعقدت
لهم ذمة مع صاحب تونس وصاحب الجزائر وقرروا على انفسهم
ضريبة لكل واحد منهما يؤدونها في كل سنة وعمروا القرية
من ذلك العهد وتناسلوا بها امنين لا يروع لهم سرب ولا
يطار لهم غراب وخالطوا اهل الجبال القريبة منها من البربر مثل خمير ووشتاتة
وعمرون وتعزة وغيرهم من البربر والعرب المتوطنون حوا
ليها فكانوا يجلبون اليهم الاقوات من الحبوب والادام و
والفواكه وغير ذلك ويكسبون منهم المكاسب الكثيرة فبدا
لعلي باشا ان ياخذها ويسبي اهلها لزعمه انه قد ظهرت عليهم علامات
النكث والانتقاض فجهز اليها اربع مراكب شحنها بالعسكر
وامرهم ان يأتوا مرساها فاذا وصلوا اليها دخلوا البلد على
حين غفلة من اهلها وضبطوها الى ان يوافيهم ابنه يونس
فلما حطوا عليها وافق ذلك خروج كثير من اهلها لاصطياد
المرجان فوجدوها خالية من الحامية فدخلوها على من بها وملكوها
بلا تعب وقبضوا على رؤسائها وخرج يونس من الحضرة فوافاهم
وقد تمكنوا منها وقطع اليها المجاز في الشواني ونزل بقصبتها
واستدعى رؤساءها فطالبهم باموال ادعى ان المولى محمود باي قد وجها

الى الغرب فانكر وان يكون اختار بهم فضلا عن كونه اودع امواله
عندهم وانما اراد بذلك ان يتعلل عليهم وتعلل عليهم ايضا
بانهم ارادوا ان يسلموا البلد للفرنسيس في مقابلة اشترطو
ها عليه وذلك في مبادي تعلل اليه على نقض مع الفرنسيس
وقال لهم ان الفرنسيس يريدون ان يتخذوها للغزو وثغورنا
واخذ مراكبنا وانتم مظاهرون لهم على ذلك بتسليم البلد
اليهم فانكروا هذه ايضا فلم يغن عنهم الانكار شيئا وامر بهم
فعزلوا ناحية واستصفى اموالهم وذخايرهم ونهب امتعتهم
وغلالهم وساقهم اسارى الى الحضرة وهم تسعماية راس ما بين
رجال ونساء وولدان واصطفى منهم جارية لنفسه وحاولها على
الاسلام حتى اسلمت واولدها ابنه مصطفى المتوفى سنة خمس
وثمانين وترك بالبلد من يحرسها وانكفا راجعا ومر في طريقه
على تامكرت وهي قرية على الساحل بينها وبين طبرقة ستة
فراسخ من ناحية بنزرت يعمرها طايفة من جنس الفرنسيس مستا
منون لاجل اصطياد المرجان ايضا فساقهم ايضا الى الحضرة
ورجع وكان ذلك في سنة ثلاث وخمسين ولما خرج بعد ذلك
لمحلة الصيف اخرج معه اربعة وعشرين دارا من العسكر
عينهم لضبطها وحراسة ذلك الثغر ولما انتهى الى بلطة
ترك المحلة بها وسار بهم اليها فرتب شحنتها وامر بهدم
القرية ونقضها والقى حجارتها في البحر ليصير قنطرة يعبر
عليها

اموال

عليها الى الجزيرة وترك فصبتها على اصولها للاستقرار العسكر
بها وامر ببناء برج على الساحل خارج الجزيرة فبني وانزل به
العسكر وهي باقية على هذا الوضع الى عهدنا هذا ثم
امر بهدم قرية تامكرت بهدمها ولم يبقوا لها اثر

❊ خبر الفتنة مع الفرنسيس خذلهم الله تعالى ❊

كان علي باشا بجا ونقض الصلح مع الفرنسيس للامور التي جاءت
عليهم حاول ما يدفعهم به ان انتزع مزايدهم تامكرت كما
ذكرناه انفا فاغضوا له عنها ثم لما انتزع طبرقة ومزايد في
الجنويين واتى بهم اسرى الى الحضرة كان في عمارهم نفر من
الفرنسيس كانوا نازلين بها فشملهم الاسر فكلمهم قنصل
الفرنسيس في اطلاقهم واحتج بان حكم الصلح مع الفرنسيس
شامل لهم فلا يسوغ تملكهم فابى ان يطلقهم وقال له ما اخذتهم
الا من تحت راية الجنويين فاغضوا له عن هاذه ايضا وكان القانون
في الحضرة عند ملوكها ان قناصر المصالحين من الفرنج
لا يقبلون يد الملك اذا دخلوا عليه انما يجعل احدهم
يده في يده على صورة المصافحة ولا يخلعون نعالهم اذا
دخلوا عليه وكان الملك اذا اراد احدهم الدخول عليه يتكلف له
الجلوس ببيت لا فرش فيه ليطأه بنعله وكان هذا مشترطا في عقد
الصلح فانف لذلك علي باشا وبعث الى قنصل الفرنسيس من
ينهم يامره ان يقبل يده ويخلع نعليه اذا دخل عليه فامتنع

واعتذر بانه ليس ماذونا في ذلك من قبل طاغيته وانه يخشى
بادرته ان يفعل ذلك قبل ان ياذنه فاستشاط علي باشا
غضبا وبعث اليه من ازعجه كرها واكرهه على فعل الامر فبقي
معلقا بعد ذهاب القنصل في اعمال الحيلة في الهروب حتى
تمت له فركب البحر من حلق الوادي الى طرابلس فلما علم بذلك
علي باشا امر بازالة سنجقهم واعلن بما كان يضمره من نقض الصلح
معهم وجهز جميع مراكبه واخرجها لغزوهم في البحر
لتاخذ ما قدرت عليه من مراكبهم فعادت اليه في اسرع وقت
بغنايم كثيرة لكثرة مراكبهم بهذا البحر الشامي وتتابع
عليهم الغزو في البحر والحّ عليهم به وبلغ ذلك طاغيتهم
فغضب وجهز ثلاث مراكب من مراكب الحرب الكبيرة وارسلها
الى حلق الواد لحصر المرسى ومنع الداخل اليها والخارج منها
فاقبلت وارست على حلق الواد متنحية عن رمي المدافع
ومنعت الداخل والخارج ورمت على الساحل بمدافعها
فامر علي باشا باخراج مدافع وركبها بمكان البرج الجديد الذي
احدثه بعد ذلك بكرم بجبل المنارة وحاربهم بها اياما حتى
اقلعوا ثم ان الطاغية طمع في استنقاذ طبرقة من يد علي
باشا فجهز اليها جيشا واركبهم البحر في المراكب الصّغار
ليتمكنوا من النزول اليها فاتوها وحطّوا عليها ليلا ولا علم
لمن فيها من العسكر بهم وكان ذلك قرب تبديل النوبة وفي
عا

عاد كثير منهم الى اهاليهم وكانت طايفة منهم تبيت بالبلد
وذلك قبل تمام هدمها ومعظمهم يبيتون بالقصبة فلما
ارست مراكب العدو وعليها انزلوا الفا واربعماية مقاتل الى البر
فدخلوا البلد وجاسوا خلالها واحاطوا بالقصبة فاحس
بهم الذين بالبلد من العسكر فثاروا اليهم وقاتلوهم وسمع
الذين بالقصبة الهيعة فاشرفوا من سوارها فراوا العدو
قد دخل عليهم البلد ومراكبهم مرسية بالبحر واخوانهم
قد شرعوا في قتالهم فارتاعوا لذلك واخذوا اسلحتهم
وطلبوا الى رييسهم ان يفتح لهم باب القصبة فابى
وخشي ان يملكوها عليه فاكرهوه على ذلك وقالوا له
لا يقتل العدو اخواننا ونحن ننظر اليهم ففتح لهم الباب
وخرجوا ورماة المدافع ان يرموا المراكب فرموها وصدق المسلمون
الحملة فالقى الله في قلوب الذين كفروا الرعب فلاذوا بالفرار
واجهض رماة المدافع المراكب فاقلعت فلما رات المنهزمة مراكبهم
قد اقلعت القوا بايديهم واسلموا انفسهم للاسر فاستولت عليهم
ايدي المسلمين واسرهم اجمعين ولم يفلت احد منهم الا من قتل فيه وهم
وارسلوا بالفتح الى علي باشا وبعثوا اليه برووس القتلى فالقاها امام دار
الفرنسيس لزيادة النكال عليهم وبعث من اتى بالاسرى وكانوا ثلاثماية
وثمانين نفرا فدخلوا الحضرة مقرنين في السلاسل وعظمت
النكاية على الفرنسيس وكثر الاخذ لمراكبهم فكانت المراكب الجهادية

تخرج من ثغور شتى من ثغور الاسلام وتاخذهم بالانتماء الى تونس
وبغال انهم رفعوا امرهم الى السلطان محمود خان بن السلطان
مصطفى خان رحمه الله تعالى وكانت الدولة على عهده في غاية
الاستعجال فتغافل عنهم ثم ان الطاغية لما اقلقه امر علي باشا
جهز ثنتي عشر مركبا من مراكبه الحربية الكبار وشحنها بالمقاتلة
والالات من المدافع والبونبة وعينها الغزو الثغور الافريقية لتخريب
القلاع والحصار وكان من علو كعب علي باشا عليهم وصنع الله تعالى
للاسلام والمسلمين انهم في اليوم الذي ارادوا الخروج فيه من مرسى
طلون نطن وا [illegible] اثنان عشرة مركبا من مراكب الانكليز الحربية
فدحطت عليهم وكان ذلك مبدا الفتنة الطويلة في ذالك
العهد بينهم وبين الانكليز التي اتصلت سبع سنين فارسلوا
بذالك الى طاغيتهم فسقط في يده ورد الرصاص علي باشا حبيبا
اهم شيء عنده ليتفرغ لحرب عدوه الشديد النكاية له ولتكون افريقية
ملجا له تاوي اليها مراكبه ان اضطره العدو الى ذالك
فعين قنصلا لتونس وفوض اليه في امر الصلح واركبه البحر الى القالة
وهي قرية لهم بين طبرقة وبونة من عمل الجزائر اتخذوها
لاصطياد المرجان منذ تاخرت فاستقر بها وامهل حتى خرج يونس بمحلة
الصيف وقرب من القالة فراسله في شان الصلح وبذل له مالا له
خطر على الاعطاء من تقبيل اليد وكتب يونس بذالك الى ابيه فابى ان
يعطيهم وترددت المراسلة بينهم في ذالك واخر الامر التزم النصارى في

شرطه

شرطه وانعقد الصلح على ذلك وعلى ان يدفعوا له الهدية التي
جرت عادتهم ان يدفعوها عند عقد الصلح وزيادة عليها او لا
يطالبوه بما غنمه منهم من الاموال والامتعة والمراكب ويطلقوا لهم ما
عنده من اسراهم وكان قد اجتمع عنده منهم سبعماية اسير فلما تم
العقد اقبل القنصل من القالة واستقر بتونس ووقعت الهدية
وانقضت الفتنة وجرى الامر على هذا الصلح الى يومنا هذا ودخل
فيه جميع امم النصارى اتبة المصالحين فصارت قناصلهم يقبلون يد
الملك ويخلعون نعالهم اذا ارادوا الدخول عليه وبقيت
عادة مستمرة الى هذا العهد

ثورة الاتراك من الجند

كان علي باشا قد استكثر من الاتراك وجلبهم من ارض الروم
ورتبهم في ديوان الجند واستظهر بهم على حربه وانتخب منهم
ابنه يونس رجالا عرفوا بالشجاعة والتميز والنجدة فعقد لهم على
الى ايان ولازموه في حروبه واسفاره وادر لهم اخلاف احسانه فحملتهم
الدالة على الاستطالة وانتهاك الحرمات والاسراف في الفتك والبغي
وعلي باشا يغض منهم على القذى ويتجرع ريقه في الاحتمال لهم
على الشجى فلما وضعت الحرب اوزارها وانقضى شان الفتنة وامن
تغيض لهم فغض من اعنتهم وكف من غلوائهم وقبض ايديهم على
ما الفوه من البغي والعدوان وبالغ في ردعهم فاستعظموا ذلك وملا
قلوبهم حسرة فتطارحوا ابثاثهم فيما بينهم وتداعوا الى الثورة عليه والتوثب

على المملكة واجمعوا رايهم على ان يتسوروا القصبة ليلا ويملكوها
وقد اختزن بها علي باشا ذخاير من كل شي من الاقوات والادم
وآلات الحرب من البارود والرصاص والالات والمدافع والاسلحة في
وجميع ما يحتاج اليه المحاصر في المدة الطويلة وقدروا انهم اذا
ملكوا القصبة دخلت البلد في طاعتهم وتابعهم من لم يكن
داخلا في امرهم من بقية العسكر فلا يسع علي باشا ولاده الا التفويض
والفرار وترك البلد بايديهم ثم ان جمع العرب لفتالهم كان حربهم
عليهم يسيرا واخذهم هينا ودارت هاذه الخيالات في رووسهم
ونصبوا للامر رجلا منهم يقال له امير علي كان صاحب رايتنا
ثم صار خطابا بالديوان فجعلوه دايا وقدموا اخر من اصحاب
الرايات اسود اللون يقال له فرج علي فجعلوه باشا واخر يقال له
علي بهلوان جعلوه اغا القصبة وتوزعوا الوظايف واقتسموا
الخطط واتعدوا لليلة عينوها من شهر ربيع الاول سنة ست
وخمسين فلما جن الليل وسكن المتحرك لبسوا اسلحتهم وخرجوا
من اماكنهم جماعة ووحدانا واجتمعوا بفناء القصبة ولم يعرضوا
لاحد ممن لقيهم في الطرقات من الحرس وغيرهم فلما تم اجتماعهم ذكروا
رجلا منهم يقال له يوسف ارنوط مشهورا بالشجاعة والراي مطاعا
فيهم مقبول الكلمة عندهم ولم يكن داخلا في شي من امرهم ولا علم له
بما اجمعوا عليه من شانهم فخشوا ان يخالفهم ويسمع له من كان على
شاكلته من العسكر فتختلف كلمتهم وتنحل عقدتهم فارادوا ان يحبسوا

بعد

يدي معهم فانطلقوا اليه فرأى علي ونفر معه وكان يسكن بفندق جامع
القصر فقرعوا عليه الباب فخرج اليهم فلما رآهم متقلدين السلاح
انكرهم وارتاب بهم وسألهم عن الذي جاء بهم فاعلموه انهم جاءوا
للشورى معه في مهم عرض لهم فقال اليه نفر فرأى علي وجده بإزاء اهل
الخان لا يحتملون دخولكم عليهم ليلا بالسلاح فادخله وحده في
واغلق الباب دون اصحابه وسأله عن امره فاخبره بشانهم كله
واعلمه ان القوم قد اجتمعوا بفناء القصبة لينتهبوا سورها
وقد توقفوا على حضوره ودخوله في امرهم للاستظهار بكفاءته
فلما وعى مقالته وكان رجلا عاقلا وبخه وعنفه وسفه رأيه
ورأي اصحابه واستضعف عقولهم وآراءهم ووجوه الخلل فيما دبروا
وقرر عنده فساد ما اعتمدوا واعلمه ان امرهم آيل الى الاضمحلال
والتلاشي وخوفه سطوة علي باشا وشدة عقابه وقال له انج
بنفسك ولات حين نجاة قال كيف اصنع وقد برح الخفاء وظهر
المكتوم وافتضح السر قال لان تسلم ويهلك اصحابك خير من ان
تهلك ويهلكوا امكث عندي الى آخر الليل ثم انطلق الى باردو
فادخل على يونس وأره انك جئته متنصحا وبين له القصة على
وجهها وقرر براءتك عنده فلعلك تنجو فامتثل فرأى علي
امره ووضع سلاحه عنده واستبطأ اصحابه فجاءوا
الى فناء القصبة واخبروا القوم بما كان من دخوله
الى يوسف ارنوط ثم لم يعد اليهم فارتابوا لذلك واضطربوا

واختل امرهم وتفرقوا واختفوا في اماكنهم وعلم علي بها وان
عاقبة الامر فامهل حتى فتحت ابواب البلد وخرج في طايفة كانت
على مثل رايه فنجوا الى قسنطينة فلم يفلت من علي باشا سواهم
وخرج فرا علي من اخر الليل فانتهى الى باردو ودخل على يونس
فاخبره خبر القوم وما ارادوه من الثورة وسمى له النفر الذين
تولوا كبرها وقرر براءة نفسه فشكره وودعه ووعده احسانا
وانطلق الى ابيه فاخبره ثم ارسل يونس الى امير علي راس النوبة
وقد اصبح في الديوان كعادته نفيا للريبة عن نفسه والى بقية
روسايهم فاتى بهم فلما مثلوا بين يديه شتمهم وعنفهم وذكرهم
احسانه عليهم فوجموا ولم يحيروا جوابا ولما راوا فرا علي جالسا عنده
علموا انه الذي سعى بهم اليه فقال الوالي وهذا الذي جالس عندك هو الذي
اراد ان يتولى مكانك فتقبض عليه وامر بهم فخنقوا جميعا وكانوا
سبعة والقايم بعطاء القصبة ليعتني بهم غيرهم وارسل الى فنادق
العطارين ليأتوه بمن فيها فامتنعوا ولم يلقوا بايديهم ودافعوا
عن انفسهم ووقعت هيعة بالبلد فاقبل اليهم حسين خوجة
ولاينهم بالقول وسكنهم حتى انقادوا وحملوا الى يونس وتتبعهم
من اماكنهم واشتد البحث عن جميع من كانت له يد معهم واستمر
اياما كثيرة وادار الحبل على رقابهم وقطع شافتهم وتشفى نفسه
منهم وبلغ عدد من خنق منهم خمسماية نفس وجرى على الترك من
ذلك العهد سكنى الفنادق واسكنهم بالعلوات ليتفرقوا واكره الناس
على

على تغلبه علو اتهم لهم فلقوا من ذالك عنتا شديدا ولم يستثن الا شيخ
جامع القصر اكراما ليوسف ارنووط الذي اوسع عليهم امرهم
وكساه ووصله واحسن اليه ويحكى عنه انه كان يقول والله
ما فعلت الذي فعلت محبة في علي باشا وانما اردت حقن دماء
المسلمين وانقاذهم من مهالك الفتنة وفي
ركبه علي باشا في خيله من باردو ودخل الحضرة واتى الى مقام
الشيخ الاستاذ ابي محفوظ محرز بن خلف رضي الله عنه بربض باب
قبره فلما توسط الصحن عارضته المراة القيمة فقالت له ان هاهنا
رجلا تركيا معه السلاح قد دخل انفا وقعد الى قبر الشيخ ولما
بلغنا خبر مقدمك اعلمناه بذالك وامرناه بان يخرج فامتنع فوقف
علي باشا مكانه من الصحن ودخل ابو القاسم الوحيشي رويس الحانبة
ليعلم له خبره فلما راه التركي طعنه علي باشا فرماه فاصابت الحمة فخذه
فخر صريعا وهجمت الحشم على التركي فاخرجوه واذا هو رجل من الجند
يقال له الحاج عيسى يدعي الصلاح وينتمي الى الطلب فلم يسأله علي
باشا عن شيء بل امر به فاخرج الى المحجة وقتل وامر بالوحيشي
فحمل الى داره جريحا فبرئ بعد ايام وركب فرسه واسرع
السير الى باردو وندم بعد ذالك على تعجيله بقتله وود ان لو
استبقاه لعله ان يقر بمن كان مواطئا له على فتكه ومن
ذالك التاريخ لم يدخل علي باشا مدينة تونس الى ان مات
وانما يخرج من ذاك الى الارياض

وقعة الكاف وخبر خروج المحال من الجزائر مع أبناء المولى الأمير علي باشا ومحاصرتهم للكاف ورجوعهم عنها وذكر السبب في ذلك

قد تقدم أن المولى محمد باي لما أيس من نصرة حسين باي
وظهر له خداعه الى الجزائر ارتحل الى الجزائر فأقام بها في
ظل إبراهيم باشا وكان يعظمه ويقرب مجلسه ويعرف له حقه
واعتذر إليه بما صدر منه في جانب والده من نصرة علي باشا عليه ووعده
أن يأخذ له بحقه ويعيده إلى سرير ملكه ولم يتهيأ له ذلك إلى أن
هلك في شهر رمضان سنة ثمان وخمسين وكان قد مرض مرضا شديدا
وطال به فلما أيس من نفسه انتقل من دار السلطان إلى داره واستخلف
ربيبه إبراهيم خوجة الخزناجي مكانه وعهد له بالأمر من بعده
وأوصاه أن ينجز للمولى محمد باي ما كان وعده به وأن يأخذ له
بحقه فلما مات قام إبراهيم خوجة مقامه وأطاعته العساكر
والأجناد وتم أمره وكان يناقر علي باشا وينحرف عنه من أجل
أنه كان هو الذي وصل بالمحلة معه إلى تونس حتى أجلسه على
سرير ملكه كما مر فلما استقل بها لم يوف له بما أراد منه فمال
إلى جانب المولى محمد باي واستحكمت بينهما مودة أكيدة بسبب
ذلك وكان كثيرا ما يعده إعادته لملكه والسعي له في ذلك فلما
استقل بالأمر أراد أن ينجز له وعده وينفذ وصية مستخلفه
ويعيده إلى مقر عزه وسلطانه وكان بالجزائر رجل من أكابر

الدولة

الدولة يقال له احمد اغا صبايحية العرب وصاحب هاذه الخطة عندهم
له مكان عظيم من الدولة وكلمة نافذة وحكم ماض وكان هو
المرشح للامر بعد ابراهيم باشا وكان عرضة ذالك لنا وتقدم
وله اخوة جماعة اقويا انجاد قد تسنموا الخطط وتمكنوا من
الدولة وعز بهم جانبه وما تقدم عليه ابراهيم خوجة الا فرقا
من ابراهيم باشا واستخلافه اياه وكان يخافه على نفسه ويحذره
وثبته عليه وظهر له من الراي ان يخرج المحلة مع المولى محمد
باي لحرب علي باشا ويولي احمد اغا امر عساكرها ليستخرج منه مدة
مغيبها الى ان يظهر له فيه راي ويكون قد شفا نفسه من
علي باشا وبعد وصية ابراهيم باشا وانجز للمولى محمد باي وعده
واستعداه واعلمه بما عزم عليه وامره بالتهيئ لذالك
والاستعداد وكتب الى حسن باي بقسنطينة يعلمه بذالك
ويامره بالاستعداد فشق ذالك عليه وعظم عنده لاكنه
لم يسعه الا الامتثال وكتب ايضا الى مولانا ايده الله تعالى بمكانه
من قسنطينة بذالك وكتب اليه به اخوه وامره ان يعسكر بناحية
قسنطينة لتجتمع عليه قواصيه وتنضم اليه اطرافه ونواحيه
امداده ومن اراد الالتحاق اليه من عرب افريقية فلما ورد
عليه الخبر خرج في اوائل المحرم من سنة تسع وخمسين فضرب
مخيمه العالي بالضاحية واجتمعت عليه الاعراب والتفت
عليه القبايل ولما احضروا خروج المحلة امر ابراهيم

خوجة بنصب الخيام وازاح علل عساكره وخرجوا في محلتين احداهما
لنظر احمد اغا المذكور ومعه المولى محمد باي خاصة اصحابه
والاخرى ارسلها الى حسن باي ليخرج بها او اسند نظرها اليه
وخرج المولى محمود باي في محلة من اتباعهم المنتخبين معهم من
اهل افريقية وكان خروجهم في شهر ربيع الاول وخرج حسن
باي لتلقيهم فلما ورد عليهم تسلم محلته وساروا جميعا الى قسنطينة
فاراحوا بها وازاحوا العلل واجتمع مولانا ايده الله تعالى باخويه
وقضى وطرا من لقائهما ثم ارتحلوا بربعون افريقية كل من احمد
اغا وحسن باي في محلته والمولى محمود باي في محلة ومولانا ايده
الله تعالى في ناجعته وقد كان علي باشا المعزم ابراهيم خوجة
على غزوه اخبره بذلك عيونه في الجزاير فاخذ في الاستعداد
والتهيء للحرب ثم ارسل اليه ابراهيم خوجة رسلا وطلب منه امورا
غير ممكنة واشتط عليه في طلبها وردهم بالخيبة ولم يجبهم الى شيء
مما طلب لعلمه انه لم يرد بذلك الا ان يتعلل عليه وانه قاصد
للمحالة وزاد في الاستعداد والتاهب وشرع في تحصين الكاف
وشحنها بالعدد والاسلحة والاقوات وراى ان يقيمها في صدر
الجزاير وقد رانهم لا يتجاوزونها اليه للاعتراض
بينه بينهم وبين بلادهم فتنقطع عنهم الامداد ويكونون
قد توسطوا بين عدوين فلا محيد لهم عن منازلتها ولا يقدرون
عليها لحصانتها وشدة باس اهلها فانتخب لها من عسكر الترك
نحو

نحو ستماية مقاتل وارسلهم لحفظها فصيّنها النظر حيدر خوجة
ومن عسكر زواوة الف مقاتل لنظر رويسهم علي التميمي ورتب
بها اوجاق الصبايحية المنسوبين اليها لنظر اغاهم حسين
كرباصة وامدّ اهلها بجميع ما يحتاجون اليه من الالات والاسلحة
وجعل النظر كله الى حيدر خوجة وعلي التميمي وتيقظ لمّا رأت
مصطفى بن منيشة لما رآه عازما على تحصينها عارضه
في ذالك وقال له لا تجعل ملكك معلقا على الكاف التي
هي قريبة من القرى فانهم ان اخذوها كان لهم ما وراءها
وسقطت هيبتك من اعينهم واعين جندك فلم يصغ اليه ووفق
عنده صحة رايه ما حصل للمحلة الجزايرية بها من الهزيمة عام سبعة
لما اخلاها عمّه رحمه الله تعالى من الحامية ثمّ ارسل الى جميع
البلاد الغربية التي بين الكاف وتونس مثل تبرسق وتاستور
وباجة وطبربة وغيرها من القرى فازعج اهلها عنها وتركها
خاوية فلا تستدعمها الغوامن الشدايد ولما استقر حيدر خوجة بالكاف
احس من بعض الذين معه صاغية الى المولى محمد باي واخراها عن
علي باشا فبحث عن امرهم حتى انكشف له سرهم وكتب الى علي
باشا يخبره بشانهم فكتب اليه ان يبرز من القصبة كل من حصلت له
فيه ريبة ويردهم الى تونس فردّ نحوا من ماية وخمسين رجلا
ولم يترك معه الا من علم منه الاخلاص ولمّا بلغ علي باشا
ارتحال المحال من قسنطينة ارسل الى دريد يستنجعهم الى النزول

على الحضرة فتثاقلوا وابطوا وراوا ان في ذالك اهلاك انعامهم
ومواشيهم واجمع رايهم على انه اذا خرج احد اولاده بمحلة
اجتمعوا عليه ونزلوا بنواحي القفر وان لم يصدوا غرة من
العدو وان لم يفعل ارتحلوا الى الصحرا فلما بلغ ذالك صاحبه احمد بن سليمان
المناعي ارسل ابنه صبيحة الى قومه اولاد مناع وكانوا بناحية تاستور
فقال لهم الراي عندي ان تتقدموا امام حلتين وتنزلوا بعقونة وتنظروا
ما يفعل اهل الجزاير فانهم لم يتجاوزوا الكاف كنتم قد نظرتم لانفسكم
باظهار طاعته فامنتم غايلته وثبتتم منزلتكم عنده، وان هم تجاوزوا
الكاف وتقدموا اليكم نظرتم في امركم فان اخرج لكم احد
بنيه كما طلبتم التففتم عليه ورحلتم معه الى ناحية القفر وان
رصدتم غرة عدوكم وان لم يفعل كانت الصحرا.
امامكم فترحلون وقد ابليتم عذرا فلما سمعوا كلامه
علموا انه قد نصحهم وكلموا في ذالك اولاد جوين واولاد عربيه
وعربجوره فاتفقوا كلهم على هذا الراي واصبحوا راحلين فلما نزلوا
على الكاف ركب علي باشا لتلقيهم واظهر البشر وربفقة معهم واتفق
رايه معهم على ان ينزلوا عنده فان جاوز الجزيريون الكاف اخرج
اليهم ابنه محمدا وارتحلوا به ونزلوا فحة وسلات وامرهم ان ينزلوا
بالحربية ومنوبة فاهلكت انعامهم سبلاتيتها وضاقت عليهم
المراعي واشتعوا امياه الابار فلم تكفهم لسقياهم وسقي انعا
مهم وغرضوا بالاقامة هناك فامرهم حينئذ ان يرحلوا وينزلوا على

نجد

مجردة ليتسع لهم المرعى ويشربون من النهر كراهة اوقح
والجربريون لم يبلغوا الكلاب وكانوا لما ارتحل من قسنطينة لم يوافهم
سديدة بن ابي عزيز في الحنانشة لاستيحاشه من حسن باي
وكان من خبره انه لما هلك جده ابو عزيز كان هو المرشح
لرياسة الحنانشة بعده وكانت الرياسة قبل مهلك ابي عزيز
متصوفة بينه وبين رجب بن احمد الصغير فلما هلك ابو عزيز
استقل بها رجب فتطارح سديدة على مولانا ايده الله
تعالى لمكان صهره ولصداقة اكيدة قد استحكمت بينهما فتوسط
له عند حسن باي واحكم العقد معه على ان يأتيه به ليوليه
مكان جده فاستدعاه وركب معه الى حسن باي فقلده
امر الحنانشة وكان رجب ابن احمد الصغير عنده فاعتقله وعزم
على غزو قومه من الحنانشة وامر بالركوب اليهم وعهد الى مولانا
اعزه الله تعالى ان يأتيه ناجعته فيركب في خيله الى غزوهم
ايضا فيصبحوهم بغارة شعواء فانفصل حفظه الله تعالى من عنده
مساء وسار ليلته كلها في سرية من الخيل كانت معه فلما اصبحوا
وجدوا انفسهم في ارض بعيدة عن مكان الناجعة واذا هم قد اخطأوا
الطريق اليها فبينما هم كذلك لم يرعهم الا نواصي الخيل طالعة عليهم
فنظروا فاذا هم قوم رجب قد اجفلوا لما بلغهم اعتقال صاحبهم
فهموا به حفظه الله تعالى لعلمهم ان ما حل بهم انما هو بتدبيره وان
في القبض عليهم نجاة صاحبهم فكان منه ايده الله تعالى في ذلك

الموطن من الثبات والشجاعة واصابة الراي والنجدة بهذه التي لم
تستقل بها الانظار حتى نخلص منهم ما نستقصه عليك ان شاء الله
تعالى فيما نستقبله من كتابنا هذا ومن ذلك العهد استفحل
سيدي بدة برياسة الحنانشة الا انه لم يركن الى حسن باي
ولا اطمان اليه ولا وفد عليه منذ ولي ولا وقعت له عليه عين
فلما تثاقل عنه في وجهته هاذه ازداد غيظه وحنقه عليه
واشتدت ريبته منه فلما نزل على تبسة فاوض في شانه المولى
محمد باي وذكر له فساد باطنه وانه لا يامن من ان يفسد عليهم
امرهم وعول على قتله وقال له حسن باي انا اخادعه حتى يحصل
في يده لكن اخوك لا يوافقنا على هذا الراي لشدة المودة
بينهما ولما كان ضجره منه فاستجمعه لتعلم ما عنده في هذا فلما حضر
عرضا عليه رايهما فانكره وقال قد تعلمان ان الحنانشة هم جناح المحلة
ولو قتل سيدي بدة لانفضوا من حولنا وكنا قد هضنا جناحنا بايدينا
وسعينا في فساد امرنا بانفسنا وهاذه هي التي اراد حسن باي به
تدبيره على سيدي بدة لموالاته لعلي باشا وشدة عداوته
للمولى محمد باي فلما فهمها مولانا التفت حسن باي الى المولى محمد
باي وقال له الم اقل لك ان اخاك لا يوافق على سيدي بدة فقال له اجل
لا اوافق عليه فيما هو مضرة علينا ولا بد لنا الان من مصانعته
فاذا انقضت حربنا فشانكما واياه فقالا وكيف نصنع به وقد تاخر
عنا ولم يدخل في شيء من امرنا فقال انما اخره الخوف على نفسه
فان

فان اعطيتماني عهودكما ومواثيقكما على ان لا توقعا به مكروها
اتيتكما به فاعطياه من ذلك ما رضيه وركب الى سديدية وكان
لا يعصي له امرا فاخبره بالقضية على وجهها وقال سر معي
في خفارتي ولا باس عليك فارتحل معه في ناجعته حتى نزل على
المحلة وارتحل معها فلما نزلوا قصر جابر اغارت غازية من ناجعة مولانا
ومن محلة اخيه المولى محمود على الكاف طمعا في اخذ سرحها فلما
شارفوها صادفوا طايفة من اهلها قد خرجوا الى ظاهرها للتسبب
فناوشوهم القتال وارسلوا الصريخ الى البلد فخرجوا خيلا ورجالا
ووقعت بينهم حرب مات فيها نفر من اهل الكاف واسر منهم ثلاثون
رجلا منهم اربعة عشر من اهل البلد والباقون من زواوة وكان
اول قتيل من جند الجزائر علي بهلوان التركي قدمنا خبر مهربه
من تونس بعد ثورة الترك على علي باشا وقتل ابنا جابر الكلاعي
شيخ كلاع ورجل اخر واحتزوا راس علي بهلوان ومن
معه وانفذ بهما الى تونس واطلق المولى محمد باي البلديين
من الاسارى تالفا لقومهم فرجعوا الى بلدهم وارتحلت المحال من
قصر جابر فنزلت على الكاف لعشرة خلت من جمادى الاولى
وكان نزولهم بالمرجى من قبلي البلد واهتزت افريقية
لمقدم ابناء المولى الامير واحتشدت اليهم الاعراب من كل
اوب فوافقتهم شارن واولاد ابي غانم وساير قبايل ونيفن
والفراشيش من ماجر ورتقان وغيرهم فطلبوا النواحي وامدهم

سائر الرعايا والعربان بما يحتاجون اليه من الحبوب والادم والمواشي
واستشرفت العيون وامتدت الاعناق لعودهم الى سلطانهم ومقر
عزهم وكانوا قد اقبلوا في عدة وافرة وعدة تامة وهيبة عظيمة
واقترض عامة اتباعهم اموال الامر التجار وغيرهم فاتخذوا المراكب الفا
رهة والعدة الوافرة والثياب الفاخرة وكانت عساكر الجزائر في
جنودها في غاية القوة كثرة عديدة وشدة نجدة وانضمت
اليهم هاذه الحشود من اهل افريقية فطبقوا الارض وملوا الفضا
ولم يشك احد في استيلائهم على مملكة تونس لولا ما قيض الله لهم
من حسن راي ومكره وخداعه ووفدت على المولى محمد باي
الوفود من كل ناحية فاتته وفود الجريد من جميع بلادهم
ووفود الجريد من جميع بلادهم ووفود باجة وجميع قبائل
الغرب من جبالها وغيرهم من جميع القرى والبوادي كلهم قد دانوا
بطاعته وانقادوا لدعوته وفي اليوم الثاني من نزولهم ركب الامراء
جميعا في خيولهم وعساكرهم وطافوا حول البلد واحاطوا بها من
جهاتها ارهابا للعدو واظهارا لقوتهم وارتيادا للمواضع متاريسهم
فاتفق رايهم على ان يتخذوا متاريس محيطة بالبلد من كل ناحية ليشتد
الخناق بالمحاصرة من جميع الجهات وعينوا مكانا منها الوضع
البونبة ومكان المطر وكان مستعليا على البلد مشرفا عليها
لتركيب المدافع ورجعوا الى محلتهم وبعد ثالثة نزولهم خرج
جل العساكر ليلا فاتوا المصلى وعملوا به متاريسا من التراب
والصوف

والصوف وجروا اليه المدافع ثم عملوا متراسا اخر وجروا اليه
البونبة وادارو المتارس بالبلد كالطواف وتمكنت بها
المقاتلة ونشبوا القتال وتتابعت الرماية من العرب بقبز وجا
الوطبس وضاق الحصار باهل الكاف ونالت منهم المدافع
والبونبة وتعذر عليهم السلوك في الطرقات من الرصاص
للاستعلاء المطل عليهم فكانوا ينقبون الدور ويسلكون
من دار الى اخرى وشرع الجزيريون في اتخاذ النقب المسمى
باللسان التركي باللغم وهو من مكايد الحرب العظام التي اتخذت
لهدم الاسوار وتخريب الحصون وهو نقب يحفر تحت الارض
ويذهب مستطيلا الى المكان الذي يراد هدمه من السور
حتى يدخل تحته وتوضع ثمة قناطير البارود وتجعل اجزاءه منه
مبثوثة بطول النقب فيلتهب ويلتهب ما يجاوره ويبلغ الى معظمها
فيرفع ما فوقه من البنيان ولا يقوم له شيء وتبعلو منه بلقة يمكن
الهجوم منها فاحس بذلك اهل الكاف واخبرهم به عيونهم وكان
في العسكر الذين بها رجل من الاتراك صاحب راية يقال له مصطفى
دامرجي عالم بصناعة الالغام وبالحيلة في افسادها فشرع في حفر
حفر كبير تحت جدار السور من داخله ليتنفس منها البارود
اذا اضطرم ثم غلب على ظنه وظن غيره وقوع اللغم من
الناحية التي وقع منها بقرب بئر فاقمت لهم على ذالك فادلوا
رجلا بحبل من السور ليلا يتجسس لهم فلم ير عند الاضوء المصباح

تحت الارض فخرج من كوة اتخذها صانع اللغم للاستضاءة فنظر
منها فرءا رجلا مضطجعا فرماه برصاصة فاثبته وعاد الى اصحابه
فرحوه واخبرهم بما صنع واتتهم عيونهم من الغد فاخبرتهم بموت
الرجل وانه من عملة اللغم وتحققت عندهم جهته واعلمهم مصطفى
دامرجي انهم لا ينفعهم موت عاملهم من اتمام اللغم لان لهم عملة غيره
وعند التوقف فقد احكم شد جلدة على الطارة وجعل عليه قبضة من
القمح واتى الى تلك الجهة وطفق يضعه في مكان الوجه اس
السور فاذا راه القمح باقيا على وضعه لا يتحرك نقله الى مكان
اخر مجاور للاول حتى صادف سمت اللغم فلما وضعه فيه جعل الحب
يتطاير من فوق الجلد لاجل ضرب الفاس عند الحفر فتحقق
فعند ها شرع اهل البلاد في الحفر على ذلك السمت حتى لم يبق
بينهم وبين اللغم الا حايل رقيق من التراب ففتحوا فوه والفوا
العامل الاخر فقتلوه وجروه الى البلد قتيلا وفسد اللغم واشتد
فرحهم بخلاصهم من هاذه المكيدة واتصل الخبر بحسن باي فاعظمه
واظهر الوهن والاحجام وكان مصرا على خداعه ومكره والرسل
تتردد بينه وبين علي باشا سرا وهو يعده بصرف العساكر عنه
وردهم من حيث جاءوا وذلك لامور منها شدة عداوته لابناء
المولى الامير لاسيما المولى محمد باي ومنها جبنه ونكوله عن الاقدام
ومنها طماعيته ورغبته في الاموال التي وعده بها علي باشا فلما
فسد امر اللغم ظهر له وجه الحيلة فيما اراده ودبره واستدعا
علي

علي اغا بن مفسيس وكان اغا صبايحية الترك ورتبته عندهم
منحطة عن رتبة اغا صبايحية العرب فقال له هل لك ان تتولى
صبايحية العرب مكان احمد اغا مع كذا وكذا من المال
ادفعه اليك من مالي ومثله اخذه لك من علي باشا
وتجيبني الى خصلة فيها صلاح قال ما هي قال قد رايت
ما جرا على اصحاب اللغم وقد طال مقامنا على هاذه البلد ..
ولم نصنع شيئا فرايت ان انزل العسكر عن المتاريس ..
واكف عن قتال اهلها واظهر لمن معنا انا لا نقدر على فتحها الا
بمدد ياتينا من الجزاير وارسلك انت وثقاة من اصحابي الى ابرا
هيم خوجة بهذا السبب الظاهر وانت تعلم ثقل مكان احمد اغا
عليه وتخوفه منه فتوغر اليه انه قد داخل العسكر في التوثب عليه
واتفق معهم انه اذا اتم له فتح تونس رجع بهم ودخلوا الجزاير
بالصف والدخول بالصف كناية عن اجتماع العساكر عند الدخول
الى البلد وطلبهم خلع من بها وتولية من معهم وانا نخشى ان طال
مقامنا ان يزداد امره قوة حتى لا نقدر على تلافيه فلياذن لنا في
الاقلاع على الكاف والرجوع الى بلادنا وانا اكفيه امره فاذا
ارتحلنا قتلته وارحته منه فمال علي بن مفسيس على ذالك
وابر ما عقدة هذا التدبير فعند ذالك كلم حسن باي احمد اغا
في الامساك عن القتال وارسال الرسل الى ابراهيم خوجة
ليرى رايه فاما ان يبعث مددا او يامر بالرجوع او بالاقدام

فأجابه الى ذلك ولم يتفطن بما أراده من المكر به وعينوا على
أغا بن مقسيس ورجلا من ثقات حسن باي يقال له الحاج
محمد كان صهره على أخته وضموا اليهما غيرهما وأرسلوهم الى
الجزائر ولما جن الليل أمروا العساكر أن تنزل عن المتارس وتترك
القتال وأن لواه الآت حربهم من المدافع والبونبة وغيرها
وأقاموا بمحلتهم وأحس بهم أهل الكاف من الليل فأدلوا رجالا
من السور يتجسسون لهم الخبر فعادوا اليهم وأخبروهم أن
المتارس خالية من الحامية فتساقطوا من الأسوار وغنموا ما فيها
وأفسدوها ورجعوا وكان علي باشا لما بلغه شدة الحرب
واتصالها خاف أن ينفد البارود والرصاص على أهل الكاف
فانتخب خمسمائة فارس من جنده وأمدهم بهم لنظر كريدح
كاهية الباجية وضم اليه جماعة من الرؤسا ودفع اليهم مائة
وعشرين حملا من البارود والرصاص حملوها على الخيل والبغال
لسرعة السير ودفع لهم أيضا جملة وافرة من المال وأمر أن يفرق
على العساكر بالكاف فخرجوا من باردو ليلا وأغذوا السير
فانتهوا الى تاستور من غد الغد فأراحوا بها وعلفوا دوابهم
ثم ارتحلوا بقية يومهم وليلتهم فأصبحوا وقد شارفوا الكاف
وأحس بهم طرادين فرسان وكان عنده قوم من كلاع
فأرسل الشيخ الى المحلة يخبرهم بكيفية الأمر ووجه جواسيس
عساكرهم وقد كان عمار فريدح قدم أمامه فارسين من البلد الى
الكاف

الكاف فاعلماهم بقدوم المحلة عليهم ففتحوا باب البلد وخرجوا
ليمنعوهم من تعرض لهم من المحلة فالتقى الفريقان بظاهر
البلد والتحموا ووقع بينهم قتال شديد وحال المولى محمد باي
وحسن باي بين اهل الكاف وبين الخلوص الى اصحابهم واثخنوا فيهم
حتى ادخلوهم البلد واسرع المولى محمود باي الى المدد وبينهم
وبين البلد فرسخ فدافعوا دفاعا يسيرا ثم القوا بايديهم
فقتل من قتل واسر الباقون ولم ينج منهم الا القليل واخذت
تلك الاحمال كلها ولما رجع بالاسرى الى المحلة امر بهم حسن
باي فقتلوا عن اخرهم ونجا كبير القوم عمار كريدح الى
الكاف سليما ورجع من افلت منهم الى تونس فاخبروا بما
جرى عليهم فرجم لذلك علي باشا واشربيه وعاق مولانا ايده
الله تعالى عن الركوب في يومهم حمى اصابت جسده الشريف
ثم ان حسن باي بعد ما ارسل علي اغا الى الجزاير وكفا عن
القتال تنكر للمولى محمد باي واخويه ولسيديه بزايا عن بنو
فظهرت عليه دلايل ما اضمره من المكر والخديعة وكانوا قد
فطنوا كلهم لمقصده ونمى اليهم الخبر فاسره فجلس سيدنا
ابو مولانا ايده الله تعالى وعنده اخوه المولى محمود باي للشورى
والمفاوضة في امره فقال مولانا اعزه الله تعالى لسيدنا
ان هذا الرجل قد ظهرت منه علامات الغدر وانت قد جيت
في ضمانه فخذ لنفسك الان فلا ضمان لك علي فقال اذا الرجل

فقال له افعل فعانقه اخوه وقال له كيف تام به بالتحيل ولو
ارتحل لم يكن لنا مقام بعده فقال دعه يرتحل وتشط عو
الرسل فان عاد وابما الخبر واذن لنا في الانسياح الى تونس
كنا حينئذ اعز من حسن باي وكان ارجاع سعيدة علينا
هينا وان كانت الاخرى كان قد اخذ لنفسه في السعة
ونجى من القتل وسلمت انا من معرة خفر الذمة فنهض
سعيدة الى مخيمه ولما جن الليل ارتحل ولم يصبح الا نوبة واثافيه
فلما بلغ ذلك حسن باي قام وقعد وامر بنهب ما خلفه من
الثقل واتى اليه بفوارس من قومه تخلفوا عنه فاعتقلهم واخذ
خيلهم وانفتح له بهروب سعيدة باب اخر من المكر فاستدعى
المولى محمد باي وقال قد رايت ما فعل سعيدة ولا امنه على
بلادي ان يفسدها وشن غاراته عليها فاما ان تاتيني به والا
اصبحتم محلا وقد رايته اذا عادت اليه الرسل من الجزاير
بغير ما يريد اتخذ هذا الوجه سببا للرجوع وخاف المولى
محمد باي ان يعجل بالتحيل فضمن له ان ياتيه به وعاد الى
مخيمه فاستدعى اخاه المولى محمود باي وارسله الى مولانا
اعزه الله تعالى بمقالة حسن باي وكانت الحمى قد اخذته فقال
اني مريض كما ترى فانطلق انت الى سعيدة فاجابه بانه لا يامنه على
نفسه فقال له ارسل الى اخينا الباشا فاني لا استطيع ان اذهب اليه
فلما جاءه قال له عدو حسن باي واعلمه اني جار له من ان امر
يخشاه

يغشاه من سعيدة فإن رضي والا ركبت اليه فعاد اليه واخبره
بمقالة اخيه فلم يرض بجواره وقال لئن لم تاتوني به لارتحلن
فعندها نهض مولانا اعزه الله تعالى من فراشه ولبس لامة
حربه وركب فرسه وانطلق الى حسن باي فلما رآه تغير وجهه
واصفر وقال تريد ان تنطلق الى سعيدة قال نعم واطلق من
في سجنك من قومه ورد لهم خيلهم وسرحهم معي فاراد ان
يمتنع فقال له كيف يطمئن اليك وياتيك وقومه في الاعتقال
فاطلقهم له ورد لهم خيلهم وسار بهم حتى ادرك سريرة
فقص عليه القصص فقال له اما ترى ان افعل في كل شيء تأمر
ني به افعله وكان يطيعه في كل شيء وقال اذا ذهبت اليه
الآن فلا آمنه عليك فالرأي ان نقيم ها هنا ونرسل سيارة
يرصدون لنا على الطرق عود الرسل من الجزائر فهذا اوان
انقلابهم فإن عاد معهم علي بن مفسيس علمنا ان الامر فيه
جاء بخلاف ما دبره فتسلل اليه حينئذ ولا يقدر على مضرتك
وان لم يعد اقمت بمكانك وقد تم له ما اراده وهو راجع
لا محالة فارسلوا سيارة ترصد لهم الرسل فلم يصادفوهم
وخالفوهم من الليل الى حسن وكان من خبرهم ان علي اغا
لما دخل على ابراهيم خوجة قال ارسل الى عسكرك ورده اليك
قبل ان ينتقضوا عليك ثم لا يمكنك تلافيه فان احمد اغا قد
صدر منه كيت وكيت للمقالة التي دسها اليه حسن باي

وان حسن باي غير ناصح لك ولا راض بقتال علي باشا ووقع بينهما
معاتبة للتربية عن نفسه فوقع هذا الكلام من ابراهيم خوجة
موقعا عظيما وخشي ان يحدث عليه حادث في ملكه فكتب الى حسن
باي يجيبه الى ما اشار عليه به من الرجوع ويامره بقتل احمد اغا
وامسك علي بن قسيس عنده ووعده بولاية خطة احمد اغا في
بعد قتله ورد البلغين وكتب معهم كتبا ظاهرة في الامر بالرجوع
فانتهوا الى المحلة بالخبر بعد مغيب خمسة عشر يوما واتصل
بمولانا ايده الله تعالى وسدده خبر عودهم مبينا ولم يتصل
بها خبر ما عادوا به فتقاوضا في الراي فقال له مولانا اقم
انت بمكانك وارجع انا الى المحلة فان وجدت الامر على ما نحب
ارسلت اليك فلحقت بي والا فقد حصلت على منجاتك ثم ان اتاك
كتابي في القدوم فلا تفعل الا اذا بعثت اليك بعلامة كذا
لعلامة واضعه عليها فلما مضى جزء من الليل اتصل بهما الخبر
اليقين ان الرسل عادت برجوع المحلة فانها ارتحلت عن الكاف
مع انه فورد عليهما اعظم وارد وقال سيدي لمولانا لا امن
عليكم بعد هذه الرجعة من مكروه ينالكم على يد حسن باي
فقد اشتدت عداوته لكم فلو اقمت عندكم وامهلنا ريثما
تعود المحلة الى بلادها واستصحبنا الاعراب الذين كانوا معك
من اهل افريقية فاجتمعوا علينا واغرنا على افريقية فان شئت
طبقناها الى الكرايم فامتنع من ذلك وقال كيف الجوانب بسببي

وارجع

وادع اقوى ويتحدث الناس انه فر عنهما في ساعة العسرة
ولكن دعني انطلق اليهما واعرض عليهما مقالتك فان اذنا
لي في الرجوع اليك رجعت ثم اشار على سديدة ان يكتب الى علي
باشا بخبره بانصراف اهل الجزائر عنه ويتخذها عنده يدا في
ويعتذر عليه باخذ اله عنهم ليستند اليه مهما نزل به امر
من حسن باي وقال له انك لا تقدر على عداوة صاحب تونس
وصاحب قسنطينة فامتنع سديدة الا ان يكون ذالك عن
رضا منه وطيب نفس وقال له لا اوالي من عاديت فقال له افعل
فان هذا صلاح امرك واي ضرر علي في ان توالي علي باشا
ظاهر التامن على نفسك فكتب سديدة من حينه الى علي
باشا وخرجت الى سلو ومولانا اعزه الله تعالى عنده فقبل منه
علي باشا واعتذر له وبقيت المكاتبة والمراسلة بينهما ما
الى ان هلك سديدة ثم فارقه مولانا اكرمه الله تعالى راجعا
الى المحلة وكان من خبرها انه لما وردت عليهم الى سلو فرقة
كتب ابراهيم باشا اخو حسن باي بالى جبل فورد على اهل
افريقية الذين نابذوا علي باشا وجاهروا بعداوته
اعظم وارد وسقط في ايديهم واما اتباع المولى محمد باي
فلا تسل عما ابدوا من المشاق وما لاقوا من عنت الاقتضا
فيما اقترضوه وما نالهم من الاسف على خيبة رجاءهم وعكس
تقديرهم وورد على اهل الكاف عيونهم من المحلة ليلة رحيلها

فاخبر وهم انها مرتحلة صبيحة الغد فباتوا على حذر شديد
وخافوا ان يكون ذالك لمكيدة ارادوا ان يكيدوهم بها فلما
تبلج الصبح اخذوا في الرحيل ورجعوا مغربين وذالك في العا
شر من رجب فلما راوهم اهل الكاف قد رحلوا خرجوا الى منازلهم
فوجدوهم قد خلفوا بها كثيرا من الثقل والحبوب فانتهبوه وكتبوا
بالخبر الى علي باشا ولما ثبت عنده رجوعهم عنه وكفهم عن حربه
سر سرورا شديدا واظهر البشر والفرح ووافته اعيان الحضرة
للتهنئة ووفدت عليه الوفود وامر باطلاق المدافع من جميع
الابراج ثلاثة ايام متوالية وقضى الله تعالى ان يمهله عشر سـ
سنين بعدها ولكل اجل كتاب ولما اجتمع مولانا اعزه الله
تعالى باخويه وجدهما قد اخذ منهما الجزع ما اخذه لفوات ما
هواهما في حل بيتهما وسكنهما وكان فيما قال لهما كان ينبغي
لنا الان ان نسر لا ان نحزن فانا اليوم صرنا ملوكا حيث فدتنا
العساكر وانجرت المحال على اعقابنا ودخلنا بها افريقية وبعد
هذا الانتقام عن طلب ملكنا ما بقيت من واحد منا عين تطرف
اخبرني جماعة من اصحابه الذين شهدوا معه ذالك الموطن انه
ايده الله تعالى لما حل بهم هذا الامر الفضيع ونزل بهم هذا
الحادث المزعج لم يخامر قلبه شيء من الدهش ولم يظهر عليه
شيء من امارات الجزع ولا تغير عما هو المعهود من حاله وذالك
من دلائل كمال ثباته وقوة جاشه وارتباط جنانه ثبته الله
بالقول

بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الاخرة ولما انتهت المحال
الى الفسقية على مرحلة من قسنطينة دخل المولى محمد باي
على احمد اغا مضايه صباحا للسلام عليه فبينما هو عنده اذ
دخل عليهما حسن باي فجاء برسم السلام عليه ايضا وكان هو قد
اوعز الى نفر من الجاوشية بقتل احمد اغا واطلعهم على كتاب
ابراهيم خوجة اليه بذلك فلما استقر به المجلس اشار الى المولى
محمد باي بالقيام اشارة خفية فنهض لا يبصر موضع قدمه لانه لم
يعلم السبب في ذلك وانصرف الى محله فلما ان بطل اليه دخل
اولئك النفر فقبضوا عليه وساقوه الى محل باكيهم ثم خنقوه
ولفوه في كساء وحملوه على بغل الى قسنطينة فدفن بها وانقطع
اثره ثم دخل حسن باي قسنطينة وسرح عسكر الجزائر الى
بلدهم فاستاذنه المولى محمد باي في الرجوع الى الجزائر معهم فلم
ياذن له وتعلل بان ابراهيم خوجة لعله لا يتام عن وترسه
ويعيد الكرة الى غزو عليه باشا فتكون بقربك ها هنا فتكفيت
مؤنة تجشم السفر الى الجزائر والعود منها وما اراد الا ان
يمنعه بابقائه حتى حوزته فارتاب لذلك المولى محمد
باي واستوحش منه وخافه على نفسه وذهبت به الظنون
كل مذهب فارسل كاتبه ابا العباس احمد اللارم الى الجزائر سرا
ليستنقذه من حبالته ويسعى له في النقلة اليها وبقي
بعده بقسنطينة على وجل وحذر شديد فكان في خلال ذلك على

حسن باي كل يوم جمعة للسلام عليه فيمتنع من شرب
القهوة عنده ويستتر بالصوم خوفا ان يدخل عليه شيء فيها
وكان حسن باي يعرف ذلك منه ويتغافل فلما بلغ الامر الى الجزائر
وجد وجوهها متنكرة واحوالا متغيرة ومطالب متعسرة فلم يزل
يتطارح على عظماء الدولة ويلازم ابوابهم حتى اجيب الى مطلبه
وكتب ابراهيم خوجة الى حسن باي يامره بتسريح المولى محمد
باي الى الجزائر فخرج اليها في اوايل سنة ستين فلما دخلها لم يجد عند
ابراهيم خوجة ما كان يعهده منه من البر والاحتفال والمبالغة في تكر
مته وتعظيمه واقام كذلك برهة ثم عاد الى ما كان عليه معه وقرب
مجلسه ورعى له حقه

[illegible]

لم يزل منذ ارتحل عن الكاف ملازما للفكر والاكتئاب ممتنعا
عن الطعام والشراب تاسفا على ما فاته من بلوغ امله في
وعودة الى وطنه مقر عزه وسلطانه وعزاه في ذلك
اخواه ونصحاؤه من اصحابه ووعظوه وسلوه بكل وجه فلم ينجع فيه
ذلك وقال اي حياة تطيب واي عيش يغتبط بعد ما رايتها بلادي
بعيني ودفعنا عنها ولم يزل على تلك الحال وجسمه يضني وقوته
تضعف الى ان توفي لاحدى عشرة خلت من شوال سنة تسع
وخمسين بقسنطينة انظر ما كان شبابا واورقه عودا واعلق
ما كانت القلوب به واشد ما كانت الامال مصروفة اليه فضمه
اللحد

الحي منه ليثا هصورا وروض المكارم منظورا فقد كان
رحمه الله تعالى شجاعا صارما وبطلا مبيح اله المشاهد المشهورة
والوقايع المذكورة ايام الفير وان والساحل وكان على
شجاعته دمث الاخلاق سهل الطباع لاوليايه لاكنه شديد
الشكيمة صعب المراس على اعدايه جريا مقداما حازما اقلا
كريما عالي الهمة ابي النفس رحمة الله تعالى وبركاته عليه وقد قال
الفقيه الوزير الكاتب ابو العباس الاصم مرثيه ٠٠ ٭ لا

يا ناعيا بخبيك البيد امي الغسق ؞ رفقا على ما بجا من مهجة الرمق
مهلا حنانيك ان ذا الطواه ردى ؞ واجعله عين الذي مثواه في الحدق
لا يهنا القلب بالمحبوب بعدك لا ؞ لو كان قلبي من بعدك الى حجر يقي
عنك السلام ابا دنيا ي بعد سنى ؞ عيني نعم اي شمل غير مفترق
هاذا المصاب الذي عم الانام اسى ؞ امست به انفس الامجاد في شرق
والدهر اقسم لا يبقي اخا خطر ؞ هلا حنثت هنا ولا اثم في عنق
يا ايها الركب هل من زايد كرما ؞ ينشح رفادي بعد اودى به ارقي
ضاقت على النفس رومانها ورثيتها ؞ كانت يهول الى زايد النهي لم تضق
ما الزمان على قلبي بكلكله ؞ فيا من انبى الآن زايد الحرق
سطا علي صروف غير مشفقة ؞ حتى اذالت دموع الجفن كالشرق
فالنفس جازعة والعين دامعة ؞ والقلب في ضنا والطرف في غرق
ما للمعالي تبدت وهي واجمة ؞ كانما بجرها لم يبد في الافق
عهدي به وزمان العز مسكنه ؞ لهفي على البدر امسى دون منبثق

واوفتا انسي بهم اصبو اليك كما ∴ يصبو العليل الى روح باسني الفلق
ايام شهدت الاماني وهي ضاحكة ∴ والدهر طوع يدي والشعر من فرق
في ظل فرعاء من دوح البشام نعم ∴ فطابها السهل من تبر ومن ورق
يا بيعة المجد بل يا زهرة قطفت ∴ كانت حياتي بها منشورة العبق
حيث الليالي نيام لا تطالبنا ∴ امسي واصبح في تيه وفي انق
ومنصرخ وقريرة ثم سطونا به ∴ على الزمان اذا ما جاء في عنق
كهود اذا التفت الابطال واشتعلت ∴ نار القراع اتاها سابق مستبق
كم شاهد للغاضي العداة لقا ∴ وسامع راح بالتهذار في فرق
لم تغن انصلة عنه ومنصلة ∴ ولا الوقاية بالامراس والدرق
تراه مبتسما عند النزال فما ∴ والهندي برق والابطال في حرق
بعد وجاه العداة اذا التي الرجا ∴ امتاد لهم الردى من ابيض يقق
صعب على الضد هون في العطا اذا ∴ ما انهل جدواه اغضى وابل الغرق
فان يسامري او نتغي نداه رايت ∴ المال في سرف والدر في نسق
او نافسوه ذوو الاخطار واجتهدوا ∴ لعيا تهم رملا في اول الطلق
يا راحلا عن عواء بي وهو مسكنه ∴ يا املح الناس في خلق وفي خلق
لولا مصابك ما سفت الدموع دما ∴ والورق لولاه ما ناحت على الورق
شقيقك البدر لو يدري بنعيك لم ∴ يبت ونورته كسار هام في الطرق
كانني شقيقه وقد هلا ∴ نفسي فداؤهما من ذلك الفلق
محمد يا حلى الناد ورونقه ∴ هون عليك وان الصبر لم نطق
فيما اختياري اجر الصبر نتركه ∴ اذ كان لا شيء من لقيا الحمام يقي

ووجد عليه اخواه وجدا عظيما والمهما بفقده وعظم عليهما
مصابه وبلغ الحزن من المولى محمد باي مبلغا عظيما فجعل
مولانا اعزه الله تعالى يسليه ويصبره ويذكره رؤيا الرجل الصالح
للنبيء صلى الله عليه وسلم التي منها بشارة والده بولده بن بيرشات
ملكه من بعده محمد وعلي ولا ذكر فيها للمحمود ولا غيره وقال
له هاذا الوان تحقق رجاؤنا فيمن ملكنا واتاه بنسخة من
كتاب بشائر الايمان كانت بقسنطينة واطلعه على القصة
مسطورة فيه فسلاه ذالك وقوى من قلبه ثم ارتحل المولى محمد باي
الى الجزائر بعد موت اخيه كافة منا وبقي مولانا ايده الله تعالى
بقسنطينة مستوحشا من حسن باي وكان علي باشا اثره مقله
بها لانه لا تزال نازعة تنزع اليه من اعراب افريقية وبواديها اذ
ذهبهم امر من قبله فلا تزال رعيته مضطربة عليه فلما انس من
جانب حسن باي اخلاص المودة كتب اليه يلتمس نقلة مولانا
حفظه الله تعالى الى الجزائر لتصفو له رعيته ببعده عنه فاجابه
الى ملتمسه وكتب الى ابراهيم خوجة يطلب منه ذالك وتعلل
باشياء ذكرها فقبل منه وامر المولى محمد باي ان يكتب اليه يستدعيه
الى الجزائر ليانس به ونفذت كتبه بذالك الى حسن باي وكان نازلا
بمحلته في الضاحية فكتب الى مولانا اعزه الله تعالى ليوافيه
بمكانه من المحلة فبين سار معه من يبلغه المامن وكان الطريق الى
الجزائر مخوفا فخرج من قسنطينة بريده وفيه وردت عليه كتب اخيه

يستحثه على الخروج ويعلمه ان هذا الامر عزيمة فيهم فلم يمكن فيه التخلف
وكان لا يستطيع الركوب لدمل كبير قد اعتراه في جسده نـ
وكان معظمه في مواضع الركوب فركب على ما به من الضر وحصل
له من ذلك الم شديد فلما دخل على حسن باي بعد الهيه ارسال في
رسل معه واعتذر عن ذلك وقال له اكتب لك الى الشيخ ابي زيد
شيخ عرب البيبان ورب استنهضهم في ذلك الوقت ترجع الوثلاثة
ابي زيد هذا وكان خالصة لحسن باي واحمد بن ابي زيان
وابن الكندوز وكلاهما منابذ للترك خارج عن طاعتهم
مخيف للسبل قاطع للطريق ولابن الكندوز فتكات في الترك
وغيرهم ووقايع مشهورة واهل الجبال في تلك الناحية من البربر
كبني عباس وبني صالح وزواوة وبني ورتيلان وغيرهم الذين لا يدينون
بطاعة ولا يدخلون تحت ملكه كلهم ما بين منقاد لهولا
المشايخ ومخالف لهم فكانوا اذا خافوا عادية الترك
اعتصموا بتلك الجبال ولجوا اليها فلا يقدرون منهم على
شيء فاخذ الكتاب من عنده وسار في سبعين فارسا من الحشم
والاولياء وخرجنا معه قافلة لاهل قسنطينة تشتمل على نحو
ماتين حمل من السلع قد حملوها على البغال فلما اشرف
موضع المخافة وقرب من البيبان نكل عامة اصحابه وجبنوا عن
تجشم المخافة فاستاذنه بعضهم في العودة الى قسنطينة فاذن لهم
فقيل كيف تاذن لهم ونحن في موضع المخافة فكره ذلك وقال ان
الضعف

اظهر لهم الضراعة والاحتياج الى غنايهم وانشد لسان حاله قول الكاتب

يدوم بمهجتي ربي وسيفي ⁂ اذا احتاج الوحيد الى الذمام

ثم استاذنته طايفة اخرى فاذن لهم وهكذا حتى لم يبق معه
الا اثنى عشر فارسا فيهم من يعتمد بدفاعه الا اربعة منهم
وزيره الحاج علي بن عبد العزيز وابو الضياء بن الحسن الاكوفا بجا
كاهية البلاجية اليوم فسار على جهد شديد وبلغه ان حلة
احمد بن ابي رمان قريبة من طريقه فاقتضى رايه السديد
ان يعدل اليها وينزل عليه ويريه انه غير مستوحش منه
ليام بقصده فلما اتاها سال عنه فاخبر انه خرج للقنص
فامر بنصب مضاربه ونزل فلما كان المساء اقبل بن ابي رمان فلما
علم به رحب واظهر البشر واوسع القرى وجرى في ذلك على عادة
المعتاد من طريقهم فانهم كانوا لعزتهم لا يطعمون الترك
ولا يعلفون لهم خوفا ان تصير لهم عادة ولما كان الصباح
ارتحل عنه فركب معه وشيعه قليلا وقال له لولا انك داخل
ارض الشيخ ابي زيد وبيننا وبينه ما يكون بين الروساء لسرت
معك الى موضع الامن وودعه ورجع فبعث مولانا اعزه
الله تعالى الى الشيخ ابي زيد بكتاب حسن باي فلما قراه اركب
ولده صبيا لم يبلغ الحلم في خمسة عشر فارسا من قومه فتلقوه
وساروا معه قليلا فلما انتهوا الى موضع البيبان وموضع
المخاضة قالوا انا لا نقدر على مجاوزة هذا المكان .

ورجعوا والبيبان وارض ضيق جدا مستطيل بين جبلين شاهقين
يسكنها امم من البربر لا يدينون بطاعة احد فلما توغل فيه
اقبلت البرابر تعدو في شعاب الجبال واطلقوا مكاحلهم في
دفعة واحدة وتلك عادة لهم مع كل مجتاز بهم لا سيما ان كان
كبير القدر في نفسه يفعلون ذلك طلبا للاحسان فلما راى
ذلك كاتبه ابو الحسن علي العبيدي ارتاع وظن انهم محاربون
فقال له اعزه الله تعالى لا ترع فانهم يطلبون الاحسان فقال
له اعطهم اعطهم وجعل يكررها فضحك منهم واشار اليهم
بالنزول فنزلوا وقبلوا يده واحسن اليهم وصعدوا الى جبالهم
ولما قطع البيبان ادركه الليل في اعلوجة وخوف من نزل الكندوز
لان الارض ارضه فاراح قليلا وارتحل من الليل وجد السير الى
الضحى فظهر لهم برج حمزة فلما راه اهل القافلة تصارخوا وحسن
افطارها في جانب الامان وسلم الله تعالى ودخل الجزائر فاقام
بها مع اخيه في عز وتكرمة وتعظيم ولم تطل مدة ابراهيم
خوجة حتى مات فجاة في خلال سنة وستين وولي
مكانه محمد خوجة فاقام لهما الرسم من التعظيم والاكرام الا
انه كان يكره الحرب والفتنة فاستهما ذلك من انجاده

ذكر ابتداء الفتنة بين علي باشا وابنه يونس والسبب في ذلك

كان علي باشا يوثر ابناءه بمراتب ملكه وخطط سلطانه
شفقا بهم وترشيحا لهم فارخى لهم طله في ذلك وامتدت

اعناقهم

اعناقهم الى تسنم رتب الملك واقتعاد اريك السلطنة وكان
يونس قد تمكن من الدولة واناخ عليها بكلاكله بما اهله له
ابوه من مباشرة الحروب واستيفاء الجبايات والاشراف على الاعمال
وارهف حده للاستبداد بذلك دون اخويه وحال بينهما
وبين ما يرومان منه وبالغ في الغض من اعنتهما وكف
ايديهما عن الوصول الى ما يحاولان من اصطناع الرجال ومخالطة
اهل الكفاية والغنا فتمكنت بسبب ذلك اواصر الشحنا
بينهم وامتلات الصدور من الضغاين والاحن خصوصا بينه وبين
اخيه محمد لانه كان يرى انه رديفه في الولاية وثانيه
في الترشح للملك وكان يونس يقصر من غلوايه عن
ذلك فاول ما وضح من شانه انه لما كانت سنة بضع وخمسين
في صدر الدولة وقد اشتغل يونس بحروب القيروان والساحل
ونهب بلاد الجريد وحضر اوان خروج محلة الصيف
وهو غايب عن الحضرة امر علي باشا بتجهيز المحلة واخرجها
لنظر ابنه محمد فسار بها الى الوطن باخذ في ابهة الملك وشارة
السلطنة وضم جباياته ورجع وسكت يونس من ذلك على
البت ثم دخلت سنة احدى وخمسين ويونس اخذ بمخنق القيروان
مسالح عليها بالحصار فعاود محمد الخروج بمحلة الصيف
وقد راسلت البربر من اهل باجة كعمرون وغيرهم المولى
اللامير بمكانه من القيروان في ان يبعث اليهم احد ابنايه

ليقوموا بدعوته في تلك النواحي ويملكوا البلاد باسمه وظن
المولى الامير بنيه وبعثا اليهم مسعود كاهية كما تقدم ثم
جاء لهم بوطن باجة وثارت البربر معه واغاروا على محلة محمد
باي وهو نازل على بلطة فانذعر لذالك ذعرا شديدا وكاد
لشدة جبنه ان يسلم لهم المحلة وينجو بنفسه لولا رجال كانوا
معه من ثقات ابيه ثبتوها وبلغت هاذه الاخبار الى يونس
مرجعه من الابقاع بابي عزيز بن علي عيسى ان فاعد السير الى باجة
حتى نزل على اخيه وضم محلته اليه وصير المحلتين محلة واحدة
ودخل اخوه في عمارة حاشية كاحاد اتباعه وباشر الامور بنفسه
واستنزل مسعود كاهية بالامان ومهد احوال البلاد
وسكن نايرة الفتنة واستوفى المغارم والمجابي ورجع الى
الحضرة فوجد السبيل الى الكلام مع ابيه في شان اخيه محمد وقرر
عنده شدة جبنه وقلة كفايته ونجدته وان خروجه بالمحلة مما
يجرئ عليهم العدو ويحسم الرهبة فاثر كلامه في نفس ابيه ووطد
دونه اذنا واعية ومن ذالك التاريخ لم يخرج محمد باي بمحلة
الا المحلة التي هي اخر المحلات في سنة تسع وستين كما سياتي
ولما كانت سنة وخمسين توسل محمد باي الى ابيه
واستعمله على دار الباشا فصار يركب اليها كل يوم اذا اوشكت
الشهرية للاعطاء رواتب العسكر ويجلس على السهرية وتوزع
الرواتب بحضرته واخذ يتودد الى الناس ويستجلب اعيان العسكر
واهل

واهل النجدة منهم الى نفسه بالاحسان اليهم وقضاء حوائجهم
وتعرف باعيان البلد من الفقهاء والتجار وغيرهم فاسفه ذلك
يونس فلم ينزل ابيه حتى صرفه عن ذلك فاستنكر ذلك محمد باي
وامتلا صدره غيظا وحنقا ووقعت بينهما مشاحنات اخرى
ضربنا عن تفصيلها اوجبت بينهما غاية النفرة واستحكام
العداوة وبقي الحال على ذلك لا يقدر احد منهما على شيء لصاحبه
لمكان امهما ابنة مامي فانها كانت نافذة الكلمة مطاعة
الراي عند زوجها وبنيها وكانت تنزل كل واحد من بنيها
منزلته وتابى ان يجاوزها او ان يقصر عنها ودخلت سنة تسع
وخمسين فيها همهم يحيى بن موالينا ابناء المولى الامير بمحلات
الجزائر لافتكاك البلاد من ايديهم فشغلوا بذلك عن غيره
وكان من وقعة الكاف ما تقدم الحديث عنه ورجعت محلات
الجزائر عنهم وخلا لهم الجو ودخلت سنة ستين وفيها
خرج يونس بمحلة الصيف الى باجة واقام بها اقامة طويلة
ثم سار منها الى الجريد وماتت امه ابنة مامي في اثناء السنة
يوم من جمادى وكانت هي الحافظة لنظامهم
فاختل النظام بعدها وتغيرت الاحوال واستهز محمد باي
الفرصة في حط يونس واسقاط مرتبته عند ابيه واعمل في ذلك
كل حيلة واستفرغ وسعه في التدبير عليه وكان يونس فيه
حملته الدالة على ابيه على مخالفته في بعض الامور وعلى الاستقلال

بحاشيته وخواص اصحابه وكان محمد قد بالغ في بر ابيه
والتقرب اليه بكل ما يحبه والازدلاف اليه بانواع القربات
وافرط في التودد والاحسان الى خاصة ابيه وافرغ عليهم العطا
فمالوا كلهم اليه وانحرفوا عن يونس وكان يونس قد انهمك
في اللذات واسرف في انتهاك الحرمات واكثر ما يصدر عنه
من ذلك لا يبلغ الى الباشا ولا يتجاسر احد من خاصته على انهايه
اليه بما يعلمون من مكانته عنده فكانوا يتجنبون صاغية
منه اليهم في ذلك ليبثوا له ما اشتملت عليه ضمايرهم واشدهم
سعيا على يونس وانحرافا عنه مصطفى بن هيشة لان نكبته
العظيمة وصرفه عن خطة خزندار ومصادرته على الاموال
الجليلة انما كانت على يده وهو السبب فيها واستنكبته بعد
ذلك وبقي مطرحا عند علي باشا الى سنة ستين فالتفت اليه
وزال ما يغلب عليه وصرف رجب بن مامي عن الاعراض وولاه
عليها ورفع من موضعه فاختص بمحمد باي واخذ في التدبير
معه على يونس وكان صاحب دهاء ومكر وتدبير فكل ما تم على
يونس بعد ذلك انما هو بتدبيره فلما كانت سنة احدى وستين
خرج يونس بمحلة الصيف على عادته فوقع منه اخلال بالامور
واهمال لاحوال الرعية فلم يجلس لفصل الخصومات والنظر
في احوال الجبايات ومصالح الرعية وعاد الى الحضرة مستوحشا
ثم خرج بمحلة الشتاء الى الجريد فازداد اهماله للامور وكان

اوطافه

اوطاقه في اكثر الاوقات مسدول الجوانب عليه لا يدخل اليه احد
ولا يخرج من عنده وكذالك فعل في محلة الصيف بعدها فلما وجد
بذالك السبيل على نفسه عند ابيه فدبت اليه عقارب السعايات
من كل جانب ووجدوا الطريق الى القول فقالوا وتولى كبر ذالك
من اصحاب علي باشا كاتبه المختص به عبد الرحمان البقلوطي وسليمان
ابن احمد المناعي وعلي الحطاب وصالح بن محمد الزرفي فقرروا
عنده اهماله للامور وتضييعه لاحوال الرعايا
وانه يخشى الفضيحة على العمالة من ذالك وان ما وقع
منه من الاستيحاش من الناس وعدم المباشرة
للامور انما هو لخبال وقع في عقله وارجعوا بذالك واشاعوه
في الناس وانهوا اليه ما كان يصدر منه من العظايم التي
ارتكبها واشاعوا عنده براءة ساحة مصطفى بن يوسف الحسيني مما
رماه به من النفاق حين قتله علي باشا واعلموه ان تعريضه اباه
للقتل انما كان لغرض من اغراض نفسه فضاق بعد موته الى غير
ذالك من تشنيعات الاعراض عن تفصيلها اليق وحسنوا عنده
الخروج بالمحلة ومباشرة احوال الرعايا بنفسه واكثروا من
الكلام في ذالك حتى ملوا صدره غيظا واشتد غضبه على
يونس وتنكر له فلما استحكمت الوحشة واظلم الجو بينهما
خوفوه عاقبة امره وحذروه غايلته واقاموا له امارات
دالة على انه عازم على الفتك به فاستوحش منه علي باشا غاية

الاستيحاش حتى كان لا يدخل عليه حتى يستأذن ولا يأمن له
حتى يحضر السلاح عنده وتقف المماليك بين يديه بالسلاح
وترك علي باشا صلاة الجمعة لان الطريق الى المسجد الجامع على
باب دار يونس خوفا ان يرميه من احد الشبابيك وخرج في المحلة
بنفسه وباشر احوال رعيته واطرح يونس واهمله واسقط
كثيرا من حشمه واتباعه مثل الحوانب والمماليك
والحجاب ولم يترك له من ذلك الا مثلها للاخويصه
او اقل واستكان يونس لذلك وخضع وتبرأ من جميع
الامور والاعمال ولم يدخل نفسه في شيء من امور المملكة
واظهر امورا تدل على وقوع شيء بعقله وقيل ان ذلك كان
قد اصابه حقيقة ثم عوفي منه وقيل انما اظهر ذلك تصنعا
خوفا من بطش ابيه وانتهاز الفرصة للتوثب والله اعلم
اي ذلك كان وكان سليمان بن علي باشا غير داخل مع اخيه
محمد في شأن يونس لمحبة كانت بينه وبين يونس وانه كان
يخصه بالكرامة ويفضله على اخيه محمد ولم يزل محمد بسليمان
حتى تألب معه على يونس واعصوصب معه وبذلك تم لمحمد
ما اراد وكان علي باشا قد اتخذ بعد موت زوجته ابنة ماصي
جاريتين شغف بهما وولع بحبهما فجعل محمد باي يتقرب اليهما
بانواع الهدايا من اللباس الفاخر والحلي الثمين وغير ذلك
من الاشياء الفاخرة وكانتا معه على يونس ولم يزل الحال
بينهم

بينهم على ذلك والشر لا يزداد الا اتفاقما الى ان كان من عاقبة
امرهم ما نفصله ان شاء الله تعالى

ذكر خروج علي باشا وابنه سليمان بالمحلة

لما تقررت هاذه الاحوال عنده علي باشا راى ان يصرف
الامر عن يونس ويقدم محمدا وسليمان فلما ان وقت خروج
محلة الشتاء من سنة ثنتين وستين امر بتجهيز ثلاث
محلات احداها محلة العسكر المعتادة التي بها اغا العسكر
وكبراء الجند فخرج بها يونس على الرسم والاخرى محلة عسكر
ايضا اقل من الاولى خرج بها سليمان باي والثالثة محلة خيالة
استوعب فيها جميع اجناده من الفرسان وخرج فيها بنفسه
واستخلف ابنه محمدا على الحضرة واسند اليه نظرها مدة
مغيبه وكتب الى جميع المرازقية من العربان يوافوه
فوافوه كلهم وساروا معه وسارت المحلات الثلاث يتبع
بعضها بعضا حتى انتهى الى القيروان فنظر في امورها
وسار الى الجريد فضم مغارمه ومهد احواله ورجع الى
القيروان والوفود تفد عليه من اقطار العمالة ويونس
بمحلته مسدول اطراف الخباء لا يفد عليه وافد ولا يغشى محلته
وارد ثم لما قضى وطر امر سفره عاد الى الحضرة ولما كان
وقت خروج محلة الصيف خرجت المحلات الثلاث على الرسم
وسار يونس بمحلته فنزل بوسديرة باذن ابيه ونزل علي

باشا وابنه سليمان على باجة ثم ارتحلا الى جبل وشتاتة وكانوا
قد خالفوا واستعدوا من اداء المغرم فحشد علي باشا الحشود
من الاعراب ورماهم بهم واتبعهم بالجنود فاخذهم اخذ سنة
رابية وساق انعامهم ومواشيهم ورجع الى باجة هو وابنه
سليمان ثم قفلا منها الى الحضرة وارتحل يونس من بوسعدية
فدخلها بعدهما

في [illegible] الهمامة مع علي باشا وقصتهم معه

كانت الهمامة اكثرهم شيعة للمولى الامير وابنائه وكان في قلب
علي باشا عليهم اضغان واحقاد قديمة فانه لما اجفل امام
المولى الامير من الساحل بعد تورثه بوسلامة واتى
الى الحامة وقتل بها احمد بن منيشة واجفل منها مغربا
سلك ارضهم في خف من اصحابه فاحسوا به وركبوا اليه
وهموا به وارادوا ان يقبضوا عليه فنجا منهم واخذوا
بعض سلبه واتوا به الى المولى الامير ثم لما وقعت الكرة
على جنود المولى الامير بسمنجة ودخل القبر وان التعوا
عليه واعصوصبوا معه وشهدوا امعه وقعة رادس وغيرها
من الوقايع ثم لما خرج مولانا ايده الله تعالى من القيروان
بريد ناجعة اي عزيز سلك ارضهم فلم يعرضوا له بسو
وانضم اليه كثير منهم فاقام بهم في نواحي قفصة مدة
حسبما مر ذكره مفصلا ولما انتصر بالي عزيز ودخل معه الزاب كان
معه

معه طائفة عظيمة منهم ولما فارق بعد ذلك حسن باي وارتحل
من عمل قسنطينة ونزل على اللمامشة وبونس عامر للقيروان
المحاصرة الاخيرة كاتبه رؤساؤهم واتعدوا معه في رزوا ان
ياخذوا محلة الجريد بعد ضمها المجابي ويلتحقوا جميعا به
فسار ابده الله تعالى حتى نزل ام الاقصاب وقرب من بلاد
الجريد ولم يتم لهم ما ارادوا من اخذ المحلة والتحقوا به
ونفضوا ايديهم من افريقية وقايدهم اذ ذاك عثمان بن منصور
الحسيني ثم عاودوا افريقية بعد ذلك وطاعتهم مريضة وايديهم
ممتدة بالعيث والفساد واستغلظوا وكثرت اموالهم
وانعامهم وكان مصطفى بن متيشة شديد البغضاء لهم
لكثرة ما يقع بينهم وبين اهل عمله من عرب الاعراض من الفتن
والغارات وكانت نجعات من عرب الاعراض حلفاء للهمامة
فارهقهم بن متيشة بظلمه فهربوا منه والتجؤوا الى الهمامة
فطلبهم منهم ليعودوا الى بلادهم فابوا ان يسلموهم فازداد حد
غيظه وحنقه عليهم فاغرى بهم علي باشا وحرضه على اخذهم
وقام في ذلك وقعد فاعتذر له علي باشا بانه ربما يبلغهم
قصده اياهم فيجفلون الى الصحراء ولا يحصل منهم على شيء
فتكون وصمة عليه فهون عليه امرهم وسهل عليه اخذهم
واشار عليه بوجه الراي ولم يزل به حتى قبل منه واجابه الى
ذلك وعزم على غزوهم وخرج مصطفى بن متيشة بجملة الاعراض

الى عمله وبعد ذلك خرج علي باشا بمحلاته الى الجريد على الرسم ولما
كان علي بن متيشة قد خرج من الحضرة نشار من الاعراض بربية الجريد
وقد حشد العرب من كل وجه كاولاد يعقوب والحرزم وبني يزيد
وورغمة واولاد سعيد والشوابي والمثاليث وغيرهم واقبل في
جمع عظيم فارتابت الهمامة واجتمعوا وضموا اقاصيهم
وجمعوا ابلهم وانعامهم وسلكوا طريق الدوارة والتجوا
الى جبل المجل وتحصنوا به فسار بن متيشة حتى نزل رؤوس
العيون وارسل الى مشايخهم فاتوه فكساهم ووطاهم واعلمهم
ان علي باشا قاصدهم لا يريد شيئا وانما طلبته ان يقتضي منهم
خمسة آلاف بعير وينصرف عنهم فاجابوه الى ذلك والتزموا
بدفعها وسرحهم الى اهاليهم وذلك كله خداع منه ليطمئنوا
ففهمها فرحات بن عصيبة احد رؤسائهم وهرب في اولاد معمر
ومن تبعه من غيرهم ونزل من الجبل ودخل الصحراء فلما بلغ الخبر
الى ابن متيشة اقلقه وخاف ان يلتحق بقيتهم فارتحل لوقته وسلك
احد شعاب الجبل وقطعه الى ناحية القبلة ونزل مما يلي القلعة
اخذ المختفين كيلا يتسللوا الى الصحراء ثم اقبل علي باشا وابنه سليمان
في محلتيهما وقد استوعب علي باشا معه المرازقية من دريد وغيرهم
فسلك طريق الدوارة ونزل برؤوس العيون ولما بلغه التزامهم
بدفع الخمسة آلاف بعير رضي منهم بذلك وارسل الى مشايخهم
ليتسللوا اليه ويبرم معهم الامر فارتابوا وامتنعوا وعند ذلك جد من كلمة

ثلاث

ثلاث محلات وامر كل واحدة منها ان تنزل على شعبة من شعاب الجبل
التي يمكنهم النزول منها وضيق عليهم الحصار وقاتلهم ثلاثة ايام
لا يقدر منهم على شيء . ثم بلغه انهم يردون الوشيكات من
جنوبي الجبل وانه لو حيز عليهم هلكوا عطشا فامر ابنه
سليمان ان يرحل بمحلته ويقطع الجبل من حيث قطعه بن منيشة
وينزل الوشيكات ففعل ذلك وضاق الحصار بالهمامة
واشتد عليهم الخطب فنزلت مشايخهم الى سليمان باي وطلبوا
منه الامان ومن ابيه على ان يعطوه ما اراد فكتب الى ابيه في ذلك
فاجابه ان يمنحهم ويأخذ جميع انعامهم ثم كتب اليه ان يأخذ
منهم الابل خاصة ويترك لهم الغنم فسيقت اليه الابل باجمعها
فوسمها بوسم المخزن واحصاها فكانت ثلاثة عشر الف بعير
فيما بلغنا ثم ارتحل علي باشا من رؤوس العيون وسار حتى نزل في
حامة البهاليل وارتحل سليمان باي في ابطة ورحل بن منيشة
ايضا فيمن معه هذا كله ويونس نازل بمحلته على توزر فانه لما
خرج من المحلة سار اليها واستمر نازلا بها الى ان انقضى شأن
الهمامة ولم يشهد شيئا من امرهم وتلهف علي باشا على ما فاته
من اولاد مجر ليعلموا علمهم ويخبروه بمن لقيهم فساروا
حتى احاطوا بهم خبرا ورجعوا اليه فاخبروه بانهم نزول
على مكان دون سوف يسمى كدية مانع وسهلوا عليه غزوهم فقال
للادلاء هل رأيتم فارسا من اولاد مناع قال من رآهم قال من اولاد سلامة قال

واين منزلة القوم قال بكدية مانع قال اذن اخذهم من كذا او كذا
منك نقاولا لهم بما سمح من الاسماء. وسكت عنهم ثم استوفى
مجابيه من الجريد وقفل راجعا الى الحضرة بمحلاته على الرسم وفي
مرجعه هذا قبض على صاحبه المختص به سليمان بن احمد المناعي
لانه اتهمه بانه اتى رالهمامة يغزوه اياهم وذلك الذي كان سبب
منجاة فرحات بن عميد في اولاد معمر ومن تبعه فاعتقله حتى
مات في سجنه بعد اشهر

[illegible]

قد تقدم ان اللمامشة تنجمع الى قبيلتين الاعشاش واولاد
خيار وان الاعشاش اولياء المولى الامير وابنائه واولاد خيار
اولياء علي باشا وان بين هاتين القبيلتين عداوة واضغانا قديمة
وان الحرب لا تزال قايمة بينهما وان مولانا ايده الله تعالى لما فصل
عن حسين باي وفارق عمل قسنطينة اوى الى الاعشاش والى
اولاد خيار معهم وهم في هدنة وصلح وان الهوارك من الاعشاش
تخوف عليه من مداخلة اولاد خيار لقومه في شانه فتحيل حتى اوقع
بينهم الحرب وتباعدوا بالمنزلة وانه ايده الله لم يزل مقيما
معهم بمساكنهم من التراب حتى عاد الى ضاحية قسنطينة
فكان علي باشا لذلك شديد البغض لهم والحقد عليهم وكانت
عليهم اتاوة من غنم يودونها لصاحب تونس لاجل نشوفهم
بلاد الجريد وغيرها من عمله فمنعوها عليه سنين ثم لما كانت
سنة

سنة اربع وستين تعرضوا الركب الحجاج الفاسي في حال السير به وعاثوا
فيه واخذوا منه خيلا وابلا واحمالا ابيض وب الامتعة وفي جملة
ما اخذوا اسحارة داخلها امانات كثيرة من التبر والدنانير و
والجواهر لجماعة من التجار وامتلات ايديهم من اموال الحاج
وتوزعوه بينهم واقبل الاخيذون من الحاج الى تونس ورفعوا
امرهم الى علي باشا فوعدهم باسترداد اموالهم من ايدي الحنانشة
واستدعى شيوخ الصولة ومحمد بن الحاج احد مشايخ الخنفة
والشيخ الفقيه احمد التليلي صاحب فريانة وارسلهم اليهم ليستردوا
اموال الحاج فحبسوهم وامتنعوا واغلظوا في الرد فكتبوا بذلك
الى علي باشا فامتعض لذلك وعزم على غزوهم وحضروا ان خروج
محلة الشتاء فامر بتجهيز محلاته وازاح علل عساكره وجنوده وخرج
في محلة عظيمة واوعب معه الزوارفية وكان يونس فمضجعا امره
جدا عند ابيه وامتهنه فانتزع منه في هاذه الخرجة محلة العسكر
السلطانية وضمها لابنه سليمان وخرج يونس في محلة صغيرة
فسار حتى انتهى الى توزر واقام بها واما علي باشا فانه سار ومعه
ابنه سليمان في محلته فلما اتى الى بطحة سلك ذات اليمين على
ماجل عباس الى تبسة وقطع التل الى الصحراء ما بين غيضان
وقد ذان فتبالة الاجلاد من فرية فركان
وعاثوا فيها ونزل علي باشا هنالك وقد
استدعى اولاد خبار وولي صالح بن محمد

ابن مرزوق في قومه واستدعى بني بربار من عرب الزاب
ليستظهر بهم مع اولاد خبار على اللمامشة لانهم اعلم ببلادهم
من غيرهم وابلاه ايضا واداه شنوف التولية في اولاد صولة وكانت اللما
مشة متفرقين على مياه الزاب فبعضهم على المثنية وبعضهم على
وازارن وبعضهم على وادي العرب والعوار كبيرهم على الضيبع في
اولاد زايد وغيرهم منهم وبيوت من بني رزق فيهم عزوز بن عمارة
ابن دالية فاذكى علي باشا العيون في طلبهم واصبح مرتحلا فاصبح
من اخر النهار على زريبة حامد ونهى عن ايقاد النيران تلك الليلة
وقد عميت اخباره على اللمامشة وعادت اليه عيونه فاخبروه
بقرب منازلهم فاسرى اليهم وقد انتهت روايته فاجفلوا فصبح
معظمهم على عريش وازارن وهم مرتحلون فاخذهم وساق انعا
مهم ومواشيهم وتوزعتها ايدي النهب اسعفتهم ورجع من اخر
النهار الى محلته بمكانها من زريبة حامد والتجا من تخطاه الاخذ
من اللمامشة الى الخنقة والعرب تاخذ في اخر بياتهم فادخلوا
انعامهم وامتعتهم الى حرعابها وساير غاباتها وبلغ خبرهم الى
علي باشا فسرح الجنود والاعراب لاستيفائهم وقال لهم ان زحم
اهل الخنقة وابوهم فلا تعرضوا لهم وان دافعوا عنهم فقاتلوهم
فرام اهل الخنقة الدفاع عن اللمامشة فلم يكن لهم قبل بمن غشيهم
من الجنود فسلموا وانطلقت ايدي العيث والنهب في انعام
اللمامشة واموالهم فاستوصلت عن اخرها ودخلت الجنود

والاعراب

والاعراب الى البلد وعاثوا فيها وانتهبوا اكثر دورها وكانت
وكانت رياسة الخنفة اذ ذاك للشيخ احمد بن ناصر بن الشيخ محمد بن الطيب
وهو وابوه واخوه الطيب الذين اجاروا مولانا ايده الله تعالى لما اوى
الى الخنفة واقام في ضيافتهم اشهرا حين استدعاه حسن باي كما مر
وتوفي الشيخ محمد بن الطيب وابنه الطيب وبقيت الرياسة بعده لابنه
احمد بن ناصر ويشاركه فيها الشيخ السعيد بن محمد والشيخ محمد
ابن الحاج وهما عصبية صدق لعلي باشا فان الخنفة كانت منقسمة
كثيرا من البلاد فالشيخ محمد بن الطيب واولاده وجماعته شيعة
المولى الامير وابنائه والسعيد ومحمد بن الحاج وجماعتهما
شيعة لعلي باشا فاما الشيخ احمد بن ناصر فانه فر بنفسه
من علي باشا الى قرية تنوبحت واما السعيد وابن الحاج
فانطلقا الى علي باشا فبينما هما عنده اذ اتاهما الصريخ
باخذ الخنفة فارتاعا لذلك وكلما علي باشا فانتزع لهما الكرامى
برد جميع ما نهب لهم وكل رجل الابطوفون على الاخبية ومعهم
اهل الخنفة فمن وجد متاعه بعينه اخذه ومن لم يجده ضاع عليه
ومن الغريب ان دار السعيد ودار محمد بن الحاج صاحبي علي
باشا نهبتا ودار الشيخ احمد بن ناصر صاحب مولانا ايده الله
تعالى لم تنهب واختص علي باشا بابل الشامسة فاحتازها
لنفسه وانتزع ما وجد منها بايدي العرب الاماشر دونه وكانت
ابلا كثيرة وقاسم العرب والجنود الغنم واقام بمكانه من زريبة

حامة اربعة ايام ثم ارتحل بمحلاته وقصد بلاد الجريد فنزل على
نفطة وبلغه ان الغوار ومن معه نزلوا على سوف فسرح ابنه
سليمان لغزوهم في اربعة الاف وخمسماية فارس من المخازنية
والعرب وحمل معه خمسماية من العسكر على الابل فاستكملت عدة
من معه خمسة الاف وسار اليهم من نفطة فاراح على ماء السلطان
ثم ارتحل من اخر النهار فاسرى ليلته كلها فاصبح على بير ابي
ذئاب فسقى منه وكانت اولاد سيدي عبيد بتلك الناحية فا
متدت اليهم الايدي بالاخذ والنهب ورفعوا امرهم الى سليمان
باي فلم يغن عنهم شيئا ثم ارتحل فاجتاز باهل الدبيلة فاحتو
شتهم الجنود وعاثوا فيهم وبلغه ان الغوار اجفل امامه
نحو بلاد دريغ فسلك على عمرة من بلاد سوف واسرى ليلته كلها
فاصبح على سيف سلطان فاراح به قليلا وارتحل الى ان بلغ
المجيري وقد ترك الغوار وقومه كثيرا من الابل والغنم اعجلهم
الامر عن سوقها فتركوها مهملة ولما بلغ المجيري خارت الخيل
ولحقها الكلال فخشي من معه من رؤساء العرب التهلكة فاشاروا
عليه بالرجوع وخوفوه كثرة العدو وعلى حين كلال من الخيل وملال
من الجند فكر راجعا واستاق تلك الابل والغنم وسار ليلته كلها
فاصبح على سوف ونزل على قمار من بلادها وخرج اليه اهل سوف
وكانوا قد ارتاعوا لمقدمه وهرب اكثرهم الى الوادي بعرق في
الرمل ثم تراجعوا وجمعوا له مالا فداء ارتضاه منهم وامر بقطع
نخيل

نخيل عزوز بن عمارة وكان له نخل كثير بسوف فقطع نخيله
واراح على قمار ثلاثة ايام ثم ارتحل ونزل على ابيه بنفطة بعد ان غاب
عنه ثلاثة عشر يوما واقتضوا مغارمهم من بلاد الجريد ورحلوا
راجعين الى الحضرة فدخلها علي باشا وابنه سليمان وجاء في
يونس بعدها فنهى علي باشا جميع حاشيته واتباعه
عن تلقيه فلم يخرج اليه احد ولا تلقاه ودخل في كآبة شديدة
ولم يلبث بعدها ان قام " ∴ " ∴ "

ذكر ثورة يونس على ابيه وقيامه بدعوة نفسه وما كان في ذلك من الاخبار

لما استحكمت العداوة بين يونس وابيه واهتضم جانبه وتقوضت
دعائم عزه وتقلصت ظلال دولته واستبد عليه اخواه وتضاءل
لاستطالتهما ودخل تحت ربقة الحجر وقصر سمو الملكة انفة لذلك
وحدثته نفسه بالاستبداد والثورة وفاوض من جهة ذلك بطانته
واهل سره مثل وكيله محمد الخياط وكاتبيه احمد بن ابي الحسن
الشهيلي وابي القاسم الزريدي ورجال من اولاد حسن ورؤساء
دريد فدبروا في ذلك واعملوا فيه افكارهم ولم يخف ذلك
على اخيه محمد فانهاه الى ابيه فاخذ واحترزهم منه واذكوا
عليه العيون والجواسيس في جميع اماكنه وفي بيته مع عياله
وكانت عيونهم تاتيهم بالجليل والحقير من امره وهو يغضي من
ذلك على القذى ويغص منه بالريق وكان اذا ركب وخرج

من باردو مستترا وحاركه اخوه محمد على اثره وخالفه الى القصبة
حذرا من توثبه بها ولا يغني الحذر من القدر ولما خرج علي باشا
بمحلة الشتاء الى الهمامة وصرفه عن المحلة السلطانية وضمها
لابنه سليمان وقدمه هو وامامه في عجيلة البرنوز ترك بالحضرة
كاتبه احمد بن ابي الحسن الشهيلي مستشارا ومحمد الخباطي واوعز
اليهما ان يدعوا رجالا من ابطال الترك سماهم لهم فدعوا [illegible]
بالشهامة واشتهروا بالشجاعة الى القيام معه متحيلا بالاجتماع
بهم منفردين على حذر شديد ودعواهم الى ذلك فاجابوا
وعقدوا معهما عقدهم وابرموا امرهم ثم ان يونس لما
كان بالجريد تكلم مع خلطائه من اولاد حسن ودريد
وكانوا ياتونه سرا فاشاروا عليه بان يدع اباه واخاه
حتى يدخلا الحضرة ويتخلف بعدهما على رسمه
في ذلك ثم ياتي القلم وبه ابل علي باشا وخيله
فيحتوي عليها ويدعو العرب الى القيام معه ويملك العمالة ولا
يجد ابوه واخوه نهوضا الى حربه لاستيلائه على الظهر من الابل
والخيل فبينما هو يجيل هذا الراي وقد اعجبه اذ ورد عليه
صاحبه محمد الخباطي من الحضرة خرج لتلقيه فوافاه بالقيروان
ففاوضه فيما اهمه وعرضه عليه فلم يساعده عليه وقال
له بعد ما احكمنا امرنا مع اجناد الترك الذين اذا ثاروا معك
تبعهم العسكر كله وتملك بهم حضرة الملك وكرسي السلطنة

ثم ظهر

تركهم الوخم وعاف الغرب ولم يزل به حتى صرفه عن ذلك
الباي وجره الى الحضرة فدخل باردو في اوايل سنة خمس
وستين وقد خشي له باطرابيه جدا وخامره الرعب من فتكه
به فبدر في اراحة نفسه منه فاتفق رايه مع ابنيه على
ان يشخصه الى المشرق فقام رجب بن مامي ان ياتيه فيقول
له ان اباك يامرك ان تخرج الى الحج هذا العام في البحر
وقد هيات لك مركبا لتركبه فقال له انا ما اشتقت الى الحج
ولا البيت وانما انا معني فان سلم الي عيالي واولادي خرجت
عنه فعاد رجب بن مامي الى علي باشا بهذا الجواب فامتنع
من تسليم عياله واولاده وامتنع يونس من الخروج فوقع الاتفاق
ثانيا على القبض عليه واعتقاله ولقيه اخوه سليمان
متنصحا لانه كان في قلبه بعض حنان عليه فقال له لم
تصنع بنفسك هكذا او كيف بلغ الحال بينك وبين ابيك
الى ما ترى فاي خير ترجوه في الاقامة تحت حوزته
فانج بنفسك وان لم تفعل اعتقلك ولا تدري ما يصدر منه
بعد الاعتقال فرجع يونس لذلك وخامره الرعب وعزم على
الفرار وبعث بكثير من امواله خفية الى دار الخباطي وعزم
علي باشا على القبض عليه واتحد مع ابنه محمد ليوم يعينه
ليقبضوا عليه فيه وكان يونس اذا اراد الدخول على ابيه يخرج
من داره ويسلك على الجنينة ويصعد من الباب المفضي اليها من البرج

ويمضي الى بيت الملك التي يجلس بها محمد اخوه ويخرج من بابها
الشارع في البرج ويدخل بيت الباشا الى ابيه فاوعزوا الى
حسين الطبجي صاحب الطابع ان يقف في المماليك بالسلاح
ويترصده في بيت الملك فاذا دخلها قبضوا عليه ولم يخف ذلك
على يونس انهاه عيونه عليهم فجزم على دخول القصبة ذلك
اليوم وارسل الى الاتراك الذين تابعوه على الثورة ان يترصدوه
ما بين باب القصبة وباب البنات داخل سور المدينة واوعز الى محمد
سنجق دار جاوش السلام عنده وكان من اجناد الاتراك واربطهم
ان يمضي من صبيحته الى سقيفة القصبة فيجلس الى الاغا على ما يلي
بجاذاته حتى يهجم عليه ولما اصبح الصباح فتح طباخه بالالة الى بستانه
بمنوبة واظهر انه يريد الغدا هنالك وارسل الى ابيه يستاذنه في
الخروج وطلب منه ان يفتح له باب الباجية من باردو ليمضي الى منوبة
فعلم ان ماهم به من القبض عليه قد فاته ذلك اليوم فاذن له وفتح له
باب الباجية تنبيها للريبة فخرج الى منوبة ونزل ببستانه والعيون
قد دارت خلفه واخبار متابعة الى اخيه محمد فمكث في البستان
هنيئة ثم ركب وتوجه صوب الحنايا والعيون ترقبه الى ان ابعد
وكان خوفهم كله من دخول القصبة فلما
راوه قد ابعد رجعوا عنه وظنوا انه يعود
الى منوبة وارسلوا الى محمد باي بالخبر
فلما علم انقطاع العيون عنه انعطف ذات

اليمين

اليمين ودخل غابة الزيتون ورجع قاصدا تونس
وستره تكاثف الاشجار فلما سامت باب الخضرا
خرج من الغابة وسار مع السور الى القصبة فوجد
اوليك الاتراك يترقبونه فامسكوا ابن كابه وسار
بهم فلما قارب باب القصبة حرك فرسه وهجم
السقيفة على الاغا فقام اليه وامسك بعنانه وقال
له انتي غير ماذون من ابيك في دخولك القصبة فامر من معه
فقبضوا عليه وحملوه الى السجن ونزل فجلس مجلس
الاغاوة الى ظهر يوم الاثنين التاسع من جمادى الثانية
سنة خمس وستين وامر بغلق ابواب تونس واستدعى
جواش العسكر وامرهم ان ينادوا في العسكر بالاجتماع اليه ومن
اراد الاثبات في ديوان الجند من ابناء الجند فليقدم فتسارعت اليه
الاتراك وابناوهم وامر لوقته ان يوتى اليه برجب بن ماهي فاتي
به فوبخه على تهيئة المركب لنفيه وكان علي باشا قد اختار
ثلاثماية من العسكر واثبتهم في جريدة ورتبهم في القصبة
وعينهم حرسا بالنوبة وسماهم جوانب القصبة فكانوا
هم اول تابع لبيونس ووجدهم عصبة مجتمعة فاعتضد
بهم وتبعهم من باقي اهل القصبة من العسكر نوبة وامر لوقته
ان يوتى اليه برجب بن ماهي فاتي به فوبخه على تهيئة المر
كب لنفيه واودعه السجن وسجن طايفة من اصحاب ابيه منهم عبد القادر

البقلوطي ومنصور المنزلي كاتب دار الباشا وابراهيم المالطي
خوجة الديوان وغيرهم ووقعت وقت دخوله القصبة هيعة
بالبلد فغلقت الاسواق وتسارع الناس الى منازلهم واكثرهم
لا علم له بحقيقة الامر وطار الخبر الى علي باشا وابنيه
فارتاعوا لذلك واتاهم ما كانوا يحذرون فامر علي
باشا ابنه محمد ان يركب ويبادر الى ابراج الجبل الاخضر
فيحوزها ويرتب بها ثقاته وخافوا ان تدخل الابراج في
طاعة يونس فلا يسعهم فرار فبادر وركب لوقته واتى الجبل
الاخضر ورتب بالبرج الكبير علي التميمي وببرج زوارة [illegible]
الحسين الشريف كاتب ابيه وببرج فليفل كاتبه محمد بن عمران ثم
قصد البلد فوجد الابواب مغلقة فامر بهدم ثلمة من الطابية
مما يلي باب ابي سعدون فهدمت وخرج اليه بعض الناس من
اهل ربض باب السويقة وبلغ يونس مجيء اخيه فارسل طائفة
من عنده ليصدوه عن دخول البلد فذهبوا وفتحوا باب
ابي سعدون وناوشوه القتال واما سليمان باي فانه تاخر
عن الركوب بعدما ركب اخوه محمد فامره ابوه ان يركب
وكان مصطفى بن متيشة حاضرا عنده فسكت ثم اعاد
عليه القول فسكت فاعاد عليه الثالثة فقال له كيف اركب
وادع هذا المنافق عندك يعني مصطفى بن متيشة ونهض
فقبض عليه بيده واخرجه من عند ابيه فاثقله بالحديد واوجعه

الجاموس

القاموس وامر عمه مراد ان يحرسه بنفسه الى ان يرجع ثم
ركب ولحق اخاه فوقف معه بظاهر البلد حتى اقبل المساء فرجعا
الى باردو ولما اجن الليل امر سليمان بخنق مصطفى بن مبيشة
فخنق وذهب كامس الذاهب واخوه محمد يتعرف عليه ولم يقدر
على افتكاكه من يديه ولما بلغ يونس خبر مقتله قال لا رحمه
الله الحمد لله الذي جعل هلاكه على ايديهم والله ليس احد
من حاشيتهم اعدى اليّ منه وكان سليمان يبغضه بغضا شديدا
لعلمه بانه هو السبب في فساد ذات بينهم فلما انكشف
فيه الفرصة انتهزها وسرى يونس من الليل عشية الى القصبة
وبات ليلته يفرق فيهم العطايا فاتاه منصالي احد الاتراك
المواطيين له على الثورة فقال له ان العطايا لا يفوتنا فلنشتغل
بما هو اهم لهذا العسكر فاجتمع فافتح لنا باب الغدر وننهض
الى ابراج الجبل الاخضر فنملكها فانها ان لم تدخل في حوزتك
لم تصنع شيئا فقال له لا عليك من الابراج فانها لي واشار عليه
الخبائط بان يخرج الاخبية فيضربها بظاهر البلد ويخرج اليها
في العسكر ويترك في القصبة من يثق به فيكون قد ملك عليهم
البلد والضاحية فلم يجبه الى ذلك وبات علي باشا وابناه
ليلتهم تلك باكبر ليلة لقلة الحامية وعدم المدافع وبات
جنودهم وعساكرهم متفرقة وكتب الى صاحب الاوجاق ان
يوافوه الى الحصون والقلاع التي بها نوبات العسكر ان يتركوا

في كل قلعة عددا يسيرا لحراستها ويوافيه الباقون والسى
العساكر الساكنين في القرى ومن لم يكن ثابتا في ديوان الجند
منهم لينبته والى مشايخ قبائل البربر المتوطنين وطـن
ماطر ان يجتمعوا ويوافوه ولما كان اليوم الثاني ركب محمد
باي واخوه سليمان من باردو ووقفا بالجبل الاخضر واجتمع
اليه طايفة من زواوة وارسل يونس جماعة من جنده ليحوزوا
عليهم ابواب البلد فوقع بين الفريقين قتال داخل ابي سعدون
مات فيه احمد سنجق دار داويتش السلام ونفر غيره من الفريقين
فوجد يونس عليه وجدا عظيما وظهر الميل من اهل ربض باب
السويقة الى جانب علي باشا وارتاب بهم يونس وفي هذا
اليوم هرعت اعيان البلد الى يونس واتاه الفقهاء المفتون
منهم ابو عبد الله محمد ارنوط مفتي الحنفية وابو محمد حمودة
الرصاع مفتي المالكية وابو عبد الله محمد سعادة مفتي المالكية
ايضا فاجلسهم الى جانبه فاخذ يعتذر اليهم وحدثهم بمـا
جرى عليه وشكى اليهم ما توعده به من النفي والسجن واطـال
معهم الحديث في ذلك فظهر من الشيخ الرصاع الميل اليـه
وتحسين ما اتى به وذلك كان سبب نكبته وفي اليوم الثالث
ركب محمد وسليمان الى الجبل الاخضر وجمع يونس عساكره
واعطاهم الرايات ونظر الى زيهم وشارتهم وكثرتهم فاعجبه
ذلك وسرحهم الى الربض ليملكوه وفي بعض اخبيه فانطلقوا والنوبة

تضرب

تضرب خلفهم من الصبايات والطبول وهم بلا هيبة عجيبة فخرجوا من
باب البنات وانعطفوا الى باب السويقة وسلكوا الطريق الموصل
الى باب ابي سعدون فلما انتهى الاولون منهم الى سوق اولاد
ابي زيد عارضهم طايفة من جند علي باشا الايلغون معشارهم
فتعلق بعضهم بسطوح ورماهم منها وبعضهم قابلهم
كفاحا فانهزموا وولوا الادبار يركب احد على احد والاخر ومن يتبعونهم
فقتلوا واسروا منهم ودخلوا المدينة واغلقوا ابوابها
وكانت كسرة عظيمة على يونس ومن ذلك اليوم خلص ربض
باب السويقة لعلي باشا وقوي جانبه ووافته امداده
وتكاثرت جنوده ولما دخل يونس القصبة وقع
الارجاف بان علي باشا قتل وان يونس ملك داخل القصبة
حتى فرغ من امره وشاع ذلك عند العامة فبلغ ذلك
الى علي باشا واشير عليه بالركوب الى الجبل الاخضر فوقف
في خيله ووافته اعيان اهل الربض فبينما هو كذلك اذ
رمي بمدفع من القصبة فصدمت الرامي كبكبة الخيل فوقعت
الكرة امامه قريبا منه فتساقطت دموعه على خديه ولحيته
ولم يملك ردها وكشف عمامته عن مقدم راسه ودعا على يونس
فقال اللهم لا تجعل منه ولا من عمله ولا من ذريته وتحول من مو
قفه فوقف خلف البرج يتقي به المدفع فمكث مليا ثم رجع
الى باردو ولما علم يونس بمكان ابيه من الجبل الاخضر امر

بالكف عن الرماية بالمدافع الى ان رجع الى باردو وثمّ انّ
يونس رتب جنده من باب البنات الى باب البحر يقاتلون على
الاسوار واخذ يعمل متاريس بالسبخة خارج باب البحر على التل
المرتفع من رمي الازبال مقابل النوابل ورتب به طايفة
من العسكر ورتب عمه باي جنوده في مقابلتهم وصنعوا متاريس
على السطوح تترسوا بها وحمي القتال بين الفريقين ودافعت
الاتراك مع يونس دفاعا شديدا وبذلوا كل جهدهم وصد
قوا كل القتال لولا ما فت في اعضادهم من عدم البارود فان
ذخيرة السلطنة بالحضرة كل مخزنها القصبة فلما ثارت
الاتراك على علي باشا واراد وا تسنم القصبة وملكها ولم
يتم لهم ذالك كما تقدم معه لا اشار يونس على ابيه
بنقل الذخاير من القصبة فنقلت الى باردو وغيره خارج البلد
فلما دخلها يونس لم يكن بها شيء مما يحتاج اليه من البارود
والمونة فاثر ذالك فيه وكسر من شوكته وارتفعت الاسعار
بالمدينة وربض باب الجزيرة وعزت الاقوات من
جميع الماكولات ووقع منع الكل في ربض باب السويقة
لان جميع ما كان يجلب الى البلد صار يجلب اليهم خاصة
وكان بالقير وان رجل يعرف ببكر باله عالم بصناعة
الالغام فارسل اليه علي باشا واتوه به فشرع في عمل الالغام
فعمل منها شيئا كثيرا وهدم السور من باب البنات الوطي ف
الخندق

الخندق الذي بين باب السويقة وباب قرطاجنة ولولا الخندق رده لاتصل
السور بهم الى حيث شاء . وصعد بالعزم جماعة من عسكر يونس في كوا
الصعود الى الاسوار وصنعوا منارس من الارض وقني صوابها وارتفعت
طايفة من اشرار التكاكرة المنبوذ الى الصوامع المطلة على باب السويقة مثل
صومعة جامع محمد باي وما هو اعلا من الصوامع فجعلوا يلتقطون الساكنة
في سككها الى حيث جاءهم كفارا ومارا ومن الصوامع جامع محمد باي وما هو اسفل
من الصوامع بوضع مدفع بالحلفاوين دون تلك الصوامع فهدم اعاليها
وكف عاديتهم وركب يونس معه مدفعا الى الجامع محمد باي لابطال مدفع
الحلفاوين فلم يتخذ له الفلك البارود وركب محمد باي مدافع على كدية
النوالة التي من باب القصبة حيث يجلس اغواته فوقعت في منها جوف الباب
بيبي يتحول يونس من مكان الاغا وجلس في زاوية السقيفة على
بين الاغا وتتابع رمي المدافع على المدينة والقصبة من النواحي
والى اخر النهار وخاف الناس منها الى غنيا والتي فيهم
ووقعت في جامع الى يوسف فكسرت سارية من سواريه ومدافع
القصبة معطلة لعدم البارود ولولا ذلك لانتقت في المدينة والا انها
ناشية عطلها ولما واقف الى على باشا امراء فباك الى يخوطه
ما هي في الى مقاتل الحيثم انفسهم وطلبوا القتال كالغوا الى
النواير وادخل اليهم خلقا من عقبة المقاتلة خيلا ورجلا وهجموا على
من هو السجة الذي بخارج باب البحر بين اليهم العسكر من هي شيمهم وامدهم
يونس لبعض بقية العسكر ووقع بين البحر يعني ملحمة مات فيها ناس
من البحر يعني وحجز بينهم الليل القتال ووقع عشيا وكان الظهور لهم

ذلك اليوم لعسكر تونس

ذكر خروج سليمان باي الى دريد بالبحيرة ورجوعه خايبا ومجي اولاد مناع الى علي باشا وبقية دريد وهرب مجور الى تونس وما كان في ذلك من الاخبار

كان علي باشا قد اخذ دايرة من اولاد مناع مثل داير اولاد عمر بين واولاد عربية استكثارا بهم لوفورهم وعصبيتهم له وولى عليهما بها بن مصطفى بن يوسف الحسيني وكانت تراجع دريد وعرب مجور لما دخل يوسف القصبة في ولاية احمد الدمرداش والدواسي في البحيرة فاشار عليه الكاهية علي باشا بان يوجه ابنه سليمان الى الدواسي ليخرجهم من البحيرة فيبعدهم الى استقصارا بهم على حربه وخاف ان يقع على الى تونس فجيء اليهم سليمان في اليوم الذي نسر من سيرا القصبة فاتى الدجاج ورا اهلهم فاول ما لقيه بعض اولاد مناع فاقتتل اليهم بعضهم فاجابوه فانتهاه طمع جميع الطلبة اولاد مناع معه ثم تبينوا الامر فاجمعهم ثم اتاه بن محمد بن مصطفى بن يوسف فابرز داير اولاد مناع وبها بن محمد بن محمد الحسيني الملقب بابن الامراسية فابرز داير اولاد جوين واولاد عربية فكلهم في حيل الدواسي معه فقتلوا ثم رجعوا عنه فبكما القوم في زعمهما فاعفا بالخلاف عليه وهنا بزنة وجا هنا القوم على مهده فركبوا اليه فقد منهم من ادرك من معه فولى هاربا والحار في جمع عنهم خايبا وعاد الى ابيه فاخبره وبلغ ذلك الدواسي فرحلوا واركبت الدواسي فتوجهوا يطلبون حراجهم لمكانهم من ناحية الغربي وان وكانت

ايه

دريد لما بلغهم خبر الفتنة جلسوا للشورى والراي فاختلفوا اماما اولا
منابع فاختاروا ابني وع الرجال فاشتا واما اولاد جوبر واولاد عمه وعب
محمود فاختاروا الشيخ عن ابي يحيى والرحال الى ابي اسحاق فارتحلت اولاد
مناع فاز عموا الى علي فاشتا فاستوا مع ذابي نسم الله ارتحلت من البحر
الى اشتا الطاب بنف في دولهم معهم وردوا فلا بركم بياد بن مصطفي كيما
واقبلوا الى علاء واشتا بسبب بعذ مهم وامر لهم ان يبني لواكما اماما بارد ما
على مجموع مدينة واتبى بن 2 وارتحلوا زوبا الى الحمراء واتحت بهم داهية تامل
مسار واصغى بن لها على ابي اسحاق فاوص بلادهم عابلي شرك، وكان
اخرجوا على الجوري الحسين قابر ابي اسحاق وشيل الجوري لاولاد ذم
في الجور ولقومن سمعة بونس ماجمع فاولاد حمزه وولد دريد
قال لهم ابن ان تصنعوا فارتحال وتخلع عن ابي يحيى سلطانا لم ابسرم
اي لام مع علي فاشتا وناقشم عليه حيثما ثم نبعا اليه كافعلت
اولاد مناع وجاهم نوابا لعدارة واشتدوا بونس فيهم شطولجيف
الى بم تنسر ومعهم عرابينوا على رايه وحمي موابعا الى جموع لتونة بتونس
وكذا اشتا جوانبي ابي اسحاق ان يبن ع الحم الى تونس وملى وكتب
يحيى لهم الى علي فاستا فيبيح لوفقه صالح بن عمران رغبوا وكان فانبت
اولاد ابي عامر واي ان يجمعهم وكتب الى اولاد جعفر وفسارنا وسا
يا فبايل و بنعن وورفاف واي لهم ان يجتمعوا جميعا على صالح بن محمد
وفصروا دريد على الوصول الى تونس وحولوا بينهم وبين ذلك
فاجتمع فيما اجتمع من شيوخ القبائل وفصروا لهم على ابي دارجيس
فاقبلت اليهم دريد وقاتلوهم فيثبتوا لهم وقتلوا منهم وانهزموا

لهم في اهلها وصلاحها ومغرامها فذهلوا لوجهتهم وبلغ الخبر الى علي
باشا وهو في برامخ الحنفية فانتهض اليهم اولاد مقداع من جنوده فيهم
عثمان اغا محمد بوعشيبة وفي صدوركم علي الحمرية واخوه الحاج و في
من شيخة فاقتحم عليهم فيما بين الضاية التقا الذي دفان واقبلت
دريد ومعهم الحمال عليهما النواوح ووقد انفصلوا عن فاجعتهم وفي كرسا
ورائهم وهي عرابة القتال يوم ميبيهم قتال انشرم فاعرضنا كل فريقة
من الصبالحية وغيرهم وفي كرا القتال واقتصروا الى الناجعة وعاقوا
فيها اخذا ونهبا ثم انفصل الحامية عنها فيما راء من دريد ما حل
بناجعتهم اشتغلوا والنواوح والروا عشيتهم للوداع عنها فتبعهم
عثمان اغا في جنوده واولاد مقداع فكانت هي بينهم واغار
الحنبو ليلا الناجعة فعاثوا فيها واحرزوا منها شيئا من الابل والمال
وسار من خطاه الاخر منهم داشا البيهي والطلب ورائهم حتى
كانوا بقي بانسونته واد مر وشواح بو نصر على جمال منهم عشرة مسنى
الخيل بوالراس شداد فرابح عنهم ورجع عنهم الطلب واقبل بهم
قابى ثم بوشمسران بني لراجعي في كل هلا جني لحراد الا البلد
في قبليها ورجعت جنود علي باشا منهم بغنائم عظيمة ثم بعد
ايام من ذلك ولهم [illegible] جبكرا علي باشا ان يبيتهم بمكانهم
منتها فصبح اليهم الجنود خيلا ورجلا من الليل فانتهوا اليهم
وقتلوا منهم في احتازة بهم دريد ودافعوا عن انفسهم ثم هجموا
عندهم ولم يصنعوا شيئا وكان مع ما بينا من كتب الى جميع المزارعية
في الذي باقي بو [illegible] فلما عند [illegible] ولد دريد [illegible]
اقبلنا اولاد سعيد وانفصموا في فتنة على عادتهم فانطلق اكثرهم

ودوا

وزودوا الاسارى منهم الى علي باشا وانطلقوا الباقون الى بوشرف باي اعلى
باشر الدزيري واحوة منهم على اولاد مناع فعزوا عليه من الغزو ولكونه
في ان يبني حصن لقتال الدريه فاجابهم الى ذلك واستدعى اولاد مناع
معه ودخل عليهم مقالة اولاد شعيب وان هم داين كونوا الى القتال من الغنم
جبال الدكيب فخرج مع اولاد شعيب وابناؤهم واخوانهم عند بوشرف
فلا يطلبون الا فكاكهم ان يمشي معا ابدا او يبقى في وا الغنم مقال لهم
الخلا ورد ان اغصر ابلهم في الخيمة بعد موتهم امامكم فلعل الدم
تقع بينهم وبين دريد حتى في حيانهم ويجعلون لنا فلما اصبح
الصباح ركبت اولاد مناع واولاد شعيب وسلكوا على بجيوم الى مغيوة
وانقلبوا مع حاشية السبخة وركب عثمان اغا وحسن بن الاعمى
في الخازنية قد معوا عن السبخة على طريق الملاشي ولما رأتهم دريد
واهل [illegible] ومن معهم من اولاد شعيب ركبوا من خيلهم حتى قربوا
[illegible] وساروا الى المشي في الطرف على السبخة ودار دفاع المكحلة
النوبية فوقعوا به وامطلوا عليهم اولاد مناع واولاد شعيب
حتى [illegible] منهم [illegible] البعض وحملوا عليهم فقتلوا موتهم واتبعوهم
وفرق [illegible] بجبل بو [illegible] مدد الغنم ما تمكنوا عليهم فقلا
[illegible] وسار عثمان اغا مع حاشية السبخة للدفاع فعارضوه
وصدقوا الحملة عليه [illegible] جميع ادراجه واتبعهم وانتهوا الى [illegible]
المنهزمين من اولاد مناع الى بجيوم ثم عادوا الى قصارهم [illegible]
فعود [illegible] لهم على اولاد مناع والخازنية ودخل على [illegible] الحنوة
حتى انتهوا الى القصبة في [illegible] وعلى [illegible] لم يقع قتال بين الفريقين ب
بعد هذا حتى جاء بوشرف الى القصبة ذكر فتح حلق الواد

كان يونس لما دخل القصبة كتب الى عثمان الشريف بالثغور يدعوهم
الى الدخول في دعوته فلم يفعلوا او حتى بلغهم الايقاع بعسكره في
سوق اولاد يوزيد وفي وسط رجب وباب السويقة عن طاعته فجاؤوا
طاعتهم الى علي باشا واستنفروا كثيرا منهم فمشى واليه وقاتلوا
معه وكان من جملة خلق الوادي قد دخلوا هنا والبلاد مع يونس
وامده بما عنده من البارود واستمروا مستمسكين بطاعته الى يوم
بقين من رجب فجمع اليهم علي باشا طائفة من العسكر
ومعهم رؤساء البحر وجماعة من البحرية فاقتحموا اليهم وكان بازاء القلعة
جبانا من اثار الصرح من جهة السماء فصعد عليهم فيه فاشتغلوا
المقاتلة بالرماية عن اسوار القلعة ولم يكن لهم من البارود
ما يدفعون به عن انفسهم فتنحوا عن الاسوار والقوا بايديهم
ونصب الاتراك السلاليم على الاسوار وعبروا اليهم فملكوا
القلعة وافنوا لوانهم بها وساقوهم الى محمد باي فعفا عنهم
استجلابا لقلوب العسكر ثم ان رؤساءهم تشفعوا الشواطي بالمقاتلة
والمدافع ودخلوا البحيرة فارتاعوا اذ اتى اعظمها العسكر
اللذين بسور السجنة المقيم الذي يمر الدامع وتتابعت
الى مدينة منهم على البلد وعظم الضر بهم الى ان انقطعت الهدنة

ذكر استيلاء علي باشا على الحضرة وخروج يونس من القصبة وتقويضه على ابي يغيبة

لما رأى يونس الخذلان وانه لا بد له منه فعلا وان ابى احبه
لابد له منه الا قوة ورأى ما نزل بسور المدينة من الهدم والتخريب
من باب البنات الى جهة باب في طاعته وتعقدت عليه الامور

فخرج

عزم على الفرار والنجاة بنفسه وكان محمد الخياط يشير عليه
بالتلبث والثبات ويحسن عنده الصبر والترجي ويوهمه
هبوب الريح وعود الكرة واعظم ما فت في عضده وثنى من امله
فقد البارود وكان قبل اخذ حلق الواد بعث الجند ان يبعث من اكب
الى بلاد الفرنج ذاتيه بالبارود فلما استولى العدو على حلق الواد
وانغلق باب البحر وهلك عليه البر والبحر اسود ذلك وطفق عليهم
الفشل والحزن واعيى الحال على ذلك لان ابن عنق تبقى من البارود
معه على الفرار ولهوى جماعة الطبجيان وارسل جماعة الى محمد باي
عيونه بالمدينة واعلموه بفقد البارود راسا وانه لو هجم
عليهم المدينة ما استطاعوا الدفاع فلا تخفى زعقة الجند المشر
عاروشا جنده واصحاب الرايات منهم ونهض بمكانه من الجبل الاخضر
وفي زعقة ثم الراي واي هم بالهجوم على المدينة صبيحة الغد
وهو يوم السبت الثالث من شعبان فاتفقوا على ذلك ورجعوا
الى مضارب وحملوا ورجع محمد واخيه سليمان من باب النشار الى
ابيهما فاخبراه الخبر فسر به ولما كان الصباح ركب محمد وسليمان
الى الجبل الاخضر وضم اليه محمد خيله من جميع المخازنية وامر
اولاد منداع بالركوب وارسل الى العسكر باي هم بالهجوم فتبادروا
الى ملي والحروا بالقتال ودافع عسكر تونس بما بقي عندهم
من البارود دفاعا قصيرا الى ارتفاع الضحى ثم انفضوا
بايديهم وولوا على ادبارهم ودخل عسكر علي باشا المدينة
من اقطارها واستولوا عليها فكان دخوله بلغة العسكر ام

عمدا الى ابنه على الجموع ارسل يحيى الخباطي وكاتبه ابا القاسم الوزيري
وهو بالجور بمكانهم من عقبى ذلك يطلب لبيتهم رسلهما بن تفلة ويحيى ج
البيهم كي يحيرا نفسه في غيابات سافروهم وقد احتروا الى جبل
الشقوا يطي والمغرب دانا عليهم بن نصر ويسار وبن كرة معهم
يحيى الخباطي ومن معه فما البحر ما عنها فبلغ حصن عامر فمنهم اولاد
صالح واولاد سعيد فانهم ركبوا منا اول البحار وسلكوا على سجوم
الى مغنية وعارضهم من امامهم فلم يكن لاحد منهم لهم الا النجاة
بنفسه فاستاقوا اولاد صالح ومن معهم ابلهم واستصفوا امتعتهم
واخذوهم اخذة رابية وما نجى احد منهم الا باسر طير وكلام والسيف
لهم الذي لجا الى تيزيتي فاقاموا فيها حتى جاءهم على حال وكان من
بني الخباطي واولاد حمزة ما هنزت واما بوسرمانه بني حبيب
العصبة الى موسى الى والرحمن محمد عثمان الى ابي على المدينة ورجعت
اليه المنتي من جنود محمد ركب منهم عبد من اتباعه
وما ليك ونهب باب الخزروه حرمه وبين جيوده من باب
الى جنة وسار الى جهة حتى خرج من باب القلعة وخرج معه طائفة
من العسكر مغيرا على طريق المحمدية التي سلكها دبير وسلك
طريقا من تلقاء عن دلة المدين وسلك طريق العيس وافا واعمل
السير حتى دخل قفصة فاقام بها ولم يجد رعيا ورحلا الا فرس
بنا لهم ادى ابي على بن سيد الخيانة بلغه مقدم به فاركب اليه
عن ابي ابيه الفضل الناصر بابيه ومعاتبة الرفيعة وارسل
الى حسني باي صاحب قسنطينة يعلمه بالحيازة اليه ويطلب منه

ان

ان يرسل اليه من يمنعه حتى يصل اليه فارسل اليه حمزة باي جيشا
كثيفا وسار معهم الى قسنطينة فاقام بفحص عمرته وكان من امره
ما قد جاء من قبل وكان يدور على السنة الناس قبل هذه الواقعة
فزمان فايح تونس من تونس وفايح بو تونس من تونس فكان
الامر كذلك لم يخرج منها حتى دهمت منه اسوارها وتخربت اكثر
دورها ومات من مات من اهلها ووقع النهب والعبث حتى انها
وقع فيها ما لم يقع فيها قبل دورته مدة ما يذكر ثم خرج منها الى بلدا
بلدا وانتزاعها حتى ملكه عن محبوسا مضيقا عليه الى
ان هلك ولما دخلت العساكر المدينة دخلوا حارة اليهود
فنهبوا ودخلوا اسواقها وامتدت ايديهم بالعيث
والفساد فيها وتجاوزوها الى دور اليهود ومسنا
منه نعرفهم داخل باب الجزيرة فاستوعبوها نهبا ووقفت
لذلك اسباب البلد ولما خرج يونس من القصبة على اخراه مكانها
من الجبل الاخضر منقطعا عن خاصته وتقاعدوا عن ذلك ومضوا الى
سبيله ولما بلغ المحبوس يونس عند باب القصبة حتى مر به ليحي رجب
من مامن لم فتنه وكسر قيوده وامر بغلق ابواب القصبة وعمر
السور وارسل الى محمد باي لبيعته عند الرد حولها فسار اليه
وخاطبه مستعطفا واعلمه انه لم يبق بها احد من حاشية يونس
بجيشه ففتح له باب العذر ودخلها واستولى على ما ترك اخوه
بعدما نقل عليه حمله ثم رجع الى باردو من الغداة دار الى الناس
الى على فانشا يمتون بالبيعة وسكنت نائرة الفتنة وتبح

محمد باي جميع من ادخل بدسيسه الى الفتنة من العسكر والخازندية مع روسا
العرب واهل البلد فقتلوا واخذوا وتشتتوا برا ولم ينج من بادرة الامر سوى
الجلاء الا القليل وقليل ما هم فاستخلص اولا العساكر من انتمى الى من سوى
دونه من الاعشارية والجاوشية والى الباي اذ لم يسبق منهم
احد وكذلك من لحق به من حاشية تونس واتباعهم ومن اقام بجهة
اي من اهل البلاد ومشيختها فامن الجميع متفضلا وشد فاتر
النقمة الى بقية العسكر ومن لبس من اهل السوار منهم فشرد
المتزوج الى بلادهم وبعدهم عن اوطانهم وكان كثير منهم مستوطنين قد كثروا
نساءهم وابناءهم وانقطعت ابناؤهم من ديوان الجند ودفع بعضهم
الى الغرب ومن انال احدهم عشرة ولا يقبل له زلة ولا يرحم
له عبرة وبلغ عدد من بقي من الترك جميع عشرة امات سوى من
قتل منهم بالثغور والجهات بالجبايات وتبرا الديوان منهم والحق جرائد
المحلة مع المولى محمد باي لما خرج من الجبايات لطالما احفظه من ملكه وملك ابيه
فكانوا اشر الناس تذكار الفتنة وهي ما عاد دخول تونس وعظم الغير
بهم جدا وهذا من اثار الغضب والانتقام والاغلال بفضيلة الحلم
والعفو وانتهى اليه محمد الخياطي والى القاسم الورديري ورجالها اولادنا
حسين مثل علي بن عماد بن عمار والى الضيا بن عماد ومحمد بن مصطفى
بن يوسف وكان قد جاء الى تونس فقبل منهم باياما بعد ما انتهت
به اولاد منافع الرجال باشناق هنا ومثل احمد بن ابي الضياف واحمد بن علي
المجوري وابنه محمد فقتلت ثلاثة عشر رجلا منهم وعثمان ابن محمد شيخ
اولاد حريز وكان من جمعهم انهم اتفقوا مع ناحية دريد والعرب

حتى

من حين ذلك بطو فارقوا بوتنس فلما انتقضت دريد والعرب الى ضاحية
تبسة فقاموا ابيها وعلى حمولا . انهم كانوا في ايام الا العرب فبارزوهم
وصاروا في بيوت قسنطينة فاحتازوا ببلاد ورغة فاثرتهم شيخهم
عمار بن السنوسي من كعب اليهم في خيله وتلقاهم فانتحاب وعدى
عليهم الشيخ ود عزه وكانوا قد مسهم التعب والنصب وذاقوا الباس الجوع
والخوف فقتلوا عنده عدة منهم فتقدم عليهم عواتهم واستلب
سلاحهم واموالهم واوصلهم الى ... فانتقاما وقدمهم الى امير الامام
واتقى الهزاب على الخباطين ليبقى في مواله وودايع بوتنس عنه زعموا
فامتنع وحلف ان لا يدفع لهم حرزهم ولو نشفى فالشافعي فلما
خاف استشراف الهزاب عليه قال بمن يدي عمر وشفيق نفسه نهلكة
نسى اوليائه واهل رحمه واى عجيبا فنشا بالوادي حنقر تجمعوا كلهم
كلهم واى ان يفرع ابن احمد ابن عبد المجروري قبل ابيه وهو ينتلجئ
اليه زيادة في النكال به لعلمه بيشر دنعقه به فحبح لزنده عاشر برا
وكان ابنه هو احسن الصورة نبيله الشمايل جهرا وهو الذي صنعه
له بوتنس المنتقل الذكر في امره فاخرجه تعد انفصال الحي في بيتي
من الكتاب وهو اجمع دريد كلهم في ولاء الحي به و شهود نعمنا
الصبح واخشعوا في الملعب وكان بوتنس واخواه في كبوا فيه
حيرلهم كل عشية لشهودها و تخرج الوفاق التكارة من الحي
واذهل ذلك ايام ما وكان سليمان فاي في عمر الفلام الوزير في
ذمة نسابقة فافتاته من بينهم واعتقله يوما عنده وشفع
فيه الى ابيه ليبقيه فابى الا القتل فامهله اخوه يحرحتى ركبوا الى مسوعة
واغرى في الحطاب ان يزكه الى علي باشا فمعنق في الحي وسقفه

في سر سليمان بباي وفتى من ذمته وكان محمد بباي قبل ونفث العصبة
ايام زبونه فرفد على امر عظيم من التصنع وستر ما طبع عليه من الاخلاق
الذميمة فلم يكن يتودد الى الناس ويتنزه عن البذخ ويتجنب الهم بحسنهم
ويتجاوز عن مسيئهم والمتمسك من الرفق وحسن الخلق وطيب النفس
والحلم ما استجلب به قلوب الخاصة والعامة حتى اجتمعوا الى ابيه واملوه
واشتملوا على حبه وما انطووا عليه من ذلك كله تصنع من الحاجة
في نفسه فلما هلك امير يونس عن ابي يحيى وخلا له الجو
واستغلت هزم من العثار واستوسق له الملك ظهر حينئذ ما
كان كامنا في نفسه من الاخلاق التي جبل عليها فبرا منه من الشكي
والخرق والاحتقار للناس والاستخفاف بالخاصة والاصطناع
والاولياء والبخل والقسوة والجراة على سفك الدماء من حيلة
في المسلمين عثرة ثم فيهم البعوضة فتل اعدادا من الخلق على كلمة
تصدر من احدهم مرجحا بوحش او ذمامه فلم يكن بقي قلبه
حتى نفرت عنه القلوب وانحرفت عنه الخاصة واشتملت قلوب
الاجناد والرعايا على بغضه الى ان كان من مهلكه ما نسيذكر ان شاء
الله تع • وفاة سليمان بن يابي ابن علي ابي هشال
كان سليمان محببا الى ابيه عزيزا عنده وكان يحضه بالكرامة
ويوثره بالتقديم وكان يخرج معه في المحلة السلطانية فلما
ذهاب بوتنس ونعرته رحلة الشتا والصيف وكان محمد يشير
التغلب على الملك وكان يحجر نفسه من تنشيه سليمان على
المحلة السلطانية في اخر بيرا وكان يشيره حبه من ان لو مات
ابوه لم يستقل سليمان بالملك دونه لتمام خلقه وقوة جنانه

وعوم سواى في الناس ولما كان في المحرم من سنة ثمان و
وستين ورد على الحضرة فجأة باشا من الحضرة الخاقانية بخلع
التحرير فاتى بخلعة للباشا وخلعة للباي وكان فات البلاد في
الحقيقة هو سليمان الاستبداد بتلك الخلافة وجباية الاموال
اليه وكان محمد القطاع من جهة السن فوقع الكلام بينهم فمضى
فلبس خلعة الباي فاستعفى الى ان علي ان يلبسها محمد فاخذ عن
سليمان لزلة واظهر انه رضي ولحق به محمد انه افطفصطه في نفسه
فحاف لنشره حينئذ فبادرته فعاجله وسقاه السم زعموا
فبقي سبع ليال واشتد به المرض ولا علم لابيه ولا بيده
ولا لاهله بشيء من حاله بل كلما ارسل ابوه او اهله من يستطلع
حاله اخبر ثم كرمانه طبيب وان ما به خفيف على شيئي
العافية الى ان فاضت نفسه ظهر يوم الجمعة
اول صفر سنة ثمان وستين وفجأ علي باشا من ذلك الاعظم
وارد دوانشرجى عنه علبه وحزنا حزنا شديدا واخرجت
جنازته من باردو على روس الرجال الى مدفنه بالتربة التي انشاها
ابوه بالقصبة وحضر الناس لشهودها واستمر الحزن
بالبلد سنة كاملة لم تضرب بها النوبة ولا صنع بها عرس
وعظم على الباشا بان كان اغتاله فاصبح عنها وندم على ما
في جنب يونس ونفيه بعد عن حضرته ولم يزل كئيبا مغموما
الى ان انتزع من ملكه فاتى ذلك كما نقص عليها ان شاء الله تعالى
اخبر بعض خاصة سليمان باي الملازمين له في مجلس خلوته
قال اخبرناه عيا فاشا بعد موت سليمان ما ارى بسليمان كهل

ثم اطلعته على كيفية اغتياله به وادخال السم عليه فاخفيته فاني
لم اطلع على شيء من ذلك فقال لي من قتله واعلمني ابني الاول والثانية
بعد انه به فجعل ماله وكان بعض ما قيل اخبر باي الاثنين من الربيع
اخبرني ان سليمان مات يوم من فادخل على حجر وسقاه فدسره
وفي جمع عشرة فيسقط لحينه من بيضاء او لحانح من عشرة
تعودتها من العشرة استنكر على مجرباي واني في ان امه الله كسوة
سودا وطالع على في الوقات فاخفيها وان لا يطلع عليها
احد ففعلت ذلك ولم اشعر حتى اشتد المرض بسليمان ولما
هلك اتيته بها من حينه فلبسها واخبرني من اثق به من
مشايخنا انه سمع من ابي عبد الله محمد المغري في اخبر الاطبة
كان بالحضرة ومن يرسبا البكي المنازع الى ابيشوكيبة
من النحي ابنة طبيب الملوك بالحضرة ان سليمان مات مسموما
وكان سليمان قد تبنى ولدا ابنا طالع الاشتر اسمه النعمان فلما
ان اوحى وخرج محلة الشتا بعد هلكه اراد عليه ما شاء ان يبني
النعمان ويجعله مكان ابيه في المحلة السلطانية ويخرج بجمعها
معه على رسم ابيه فقام في ذلك الامر وفعر ولم يا بيه حتى صح به عن
ذلك وتعطلت المحلة في تلك السنة

Fol. 100

ذكر ما فضل الله تعالى به مولانا ايده الله تعالى من محاسن
الاخلاق وكرم الطباع وشرف الخلال وجميل الخصال

اعلم ان الله تعالى بقدرته الباهرة وحكمته البالغة قد ركب
في الانسان ثلاث قوى جعلها منشأ لكل الفضائل والرذائل
التي توجد في الانسان وهي قوة العقل وقوة الشهوة وقوة
الغضب الا انه سبحانه وتعالى جعل قوة العقل من بين هذه القوى
خاصة بالانسان يمتاز بها عن سائر الحيوان واما القوتان الاخريان
اعني قوة الشهوة وقوة الغضب فهي موجودة في جميع الحيوان
يشارك فيها الانسان سائره ثم ان كل واحدة من هذه القوى
الثلاث المذكورة لها ثلاث مراتب اي افراط واعتدال وتفريط وانما
للانسان حسن الخلق اذا كانت هذه القوى متوسطة بينها اعني اعتدالها
واستواءها فاعتدال قوة العقل هو ان تكون بحيث يحصل بها درك
الحق وتمييز الصدق والكذب في الاقوال وبين الحق والباطل في
الاعتقادات وبين الحسن والقبيح في الافعال وفي قوتي الشهوة
والغضب ان تكونا اذا انبعثتا تحت حكم العقل الجاري على وفق
الشرع منقادتين له غير مسترسلتين عليه ولا فائتتين لحكمه واعتدال
هذه القوى هو عطفها الى حد الواجب فيهما ودخول قوتي
الشهوة والغضب تحت حكم العقل والشرع وضبطهما تحت
اشارتهما هو المعبر عنه بالعدل فمن استوت فيه هذه الصفات
واعتدلت فهو حسن الخلق مطلقا ويتفاوت الناس في حسن
الخلق بحسب تفاوت الاعتدال في جميع هذه الاوصاف او بعضها

في ان امهات الفضائل الجامعة لجميع شعبها والمحيطة بجميع انواعها اربعة
اخلاق ناشئة عن اعتدال هذه القوى الثلاث وهي الحكمة والشجاعة
والعفة والعدل والحكمة هي اعتدال قوة التعقل والعفة هي اعتدال
قوة الشهوية وتعرف ان العدل عبارة عن وقوع هذه القوى على النهج
الواجب فيها فيه كلية جميع الامور ولذلك قيل بالعدل قامت السماوات
والارض اما الحكمة التي هي فضيلة القوة العقلية فهي قسمان حكمة
علمية وتسمى الحكمة النظرية وحكمة نظرية خلقية وتسمى العقل العملي
فالحكمة النظرية هو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته وكتبه
ورسله واصناف خلقه وتدبير ملكه واحوال المبداء والاعادة خلقا
وابدا واحوال المعاد من السعادة والشقاوة الى غير ذلك من معرفة
حقايق الاشياء على ما هي عليه والحكمة الخلقية هي العلم بالخيرات
في الاعمال ولهذا سميت بالعقل العملي وبها يدبر الانسان
نفسه واهل منزله واهل بلده واهل مملكته ان كان ممن بلغ رتبة
ذلك وهي العلم بصواب الافعال وتدبير احوال هذا العالم على ما
يقتضيه العقل السليم وبها تسوس النفس القوة الغضبية
والقوة الشهوية وتقررهما على النحو الواجب في الانقباض
والانبساط وقد تكفلت الشريعة المطهرة ببيان جميع جزئيات
الحكمة العملية وبيان الصواب في جميع الافعال وتدبير احوال العالم
على وجه يقصر عنه عقل البشر ولهذا اشتغل حكماء الاسلام بتدوين
هذا القسم من جملة سائر اقسام الحكمة واما الشجاعة التي هي فضيلة
القوة الغضبية فهي ان تكون هذه القوة قوية الحمية منقادة ومع

ذلك

ذلك لكونه منقادة للعقل المتأدب بالشرع في أمرها ونهيها وأما
العفة التي هي فضيلة القوة الشهوية فتظهر بانقياد تلك القوة عن
يسر وسهولة للقوة العقلية الجارية على الآداب التي عينها حتى يكون
انقباضها وانبساطها على حسب إشارتها وحيث كانت هذه
الفضائل الثلاث ناشئة عن اعتدال القوى الثلاث وتوسطها
على ما تقدم فلا جرم يكتنف كل واحدة منها رذيلتان احداهما
في جانب الافراط ناشئة عن افراط القوة والاخرى في جانب
التفريط ناشئة عن تفريطها فيحصل لنا اذا رذائل ستة هي
امهات الرذائل الجامعة لجميع انواعها المختلفة والمحيطة بجملة
جزئياتها التي فيه فيكتنف فضيلة الحكمة الخب والبله والخب
هو طرف الافراط وزيادتها وهي حالة يكون الانسان فيها
ذا مكر وحيلة باطلاق القوة الغضبية والشهوية لتتحرك الى المطلوب
حركة زائدة على القدر الواجب والبله هو طرف التفريط فيها وتعطيلها
فيها عن الاعتدال وهي حالة للنفس تقصر بالغضبية والشهوية
عن القدر الواجب ومنشأ بطوئها وقلة الاحاطة بصواب الا
فعال ويكتنف فضيلة الشجاعة التهور والجبن والتهور طلب الزيادة
على الاعتدال وهي الحالة التي يقدم فيها الانسان على الامور المخوفة
التي يجب في العقل الاحجام عنها والجبن طرف النقصان وهي الحالة
التي فيها تنقبض حركة القوة الغضبية عن القدر الواجب فتمتنع
عن الاقدام حيث يجب الاقدام ويكتنف فضيلة العفة الشره
وخمود الشهوة فالشره افراط الشهوة في المبالغة في اللذات
التي يستقبحها القوة العقلية وتنهى عنها والخمود هو

وفتور الشهوة عن الانبعاث الى ما يقتضي العقل تحصيله فالوسط
هو المحمود في الجميع والطرفان مذمومان جدا وعن هذا عبّر النبي صلى الله
عليه وسلم بقوله خيار الامور اوساطها واما العدل فيقابله رذيلة
الجور المضاد له ويندرج تحت فضيلة الحكمة الدهاء والجربزة وتحت
رذيلة البله الغباوة والحمق والجنون ويندرج تحت فضيلة الشجاعة
النجدة والجرأة والثبات والشهامة وكبر النفس والحلم والاحتمال
وكظم الغيظ والتؤدة والوقار كما يندرج تحت رذيلة التهور الجسارة
والصلف والبذخ والاستشاطة والتكبر والعجب وتحت رذيلة الجبن
النذالة والذلة والجزع والنكول وصغر النفس والهلع والتقاعس
والمهانة والانقباض عن تناول الحق الواجب ويندرج تحت فضيلة
العفة الحيا والسماحة والتسخي والسخا والانبساط والدماثة والا
نتظام والقناعة والورع والطلاقة والمساعدة والدعة وقلة
الطمع وحسن الهيئة الى ان يبلغ الرعونة فيما كما يندرج تحت
رذيلتي الشهوة والخمود اعني مثل الشره والوقاحة والخبث
والحرص والتبذير والتقتير والرياء والهتكة والمزاح والمجانة
والعبث والتكاسل والملق والحسد والشماتة والتذلل للاغنيا
واحتقار الفقرا الى غير ذلك فامهات محاسن الاخلاق هذه
الصفات والفضائل الاربعة اعني الحكمة والشجاعة والعفة والعدل
والباقي فروعها ومن جمع كمال هذه الاخلاق استحق ان يكون
بين الخلق ملكا مطاعا يرجع الخلق كلهم اليه ويقتدون به في
جميع الافعال ومن انفك عن جملة هذه الاخلاق كلها واتصف بما
ضدها استحق ان يخرج من بين العباد والبلاد فانه قد قرب

من

من الشيطان اللعين البعد ينبغي ان يبعد ولم يبعث رسول الله صلى
الله عليه وسلم الا ليتمم محاسن الاخلاق كما قال وقد اشار الكتاب
العظيم الى هذه الاخلاق في اوصاف المؤمنين فقال تعالى انما المؤمنون
الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا باموالهم
وانفسهم في سبيل الله اولئك هم الصادقون فالايمان بالله وبرسوله
من غير ارتياب هو قوة اليقين وهو ثمرة العقل ومنتهى الحكمة والمجاهدة
بالمال هو السخاء الذي يرجع الى ضبط قوة الشهوة والمجاهدة بالنفس
هي الشجاعة التي ترجع الى استعمال قوة الغضب على شرط العقل
وحد الاعتدال وقد وصف الله تعالى الصحابة رضي الله تعالى عنهم فقال
اشداء على الكفار رحماء بينهم اشارة الى ان للشدة موضعا
وللرحمة موضعا وليس الكمال في الشدة بكل حال ولا في الرحمة بكل
حال وما بلغ احد منتهى كمال الاعتدال في هذه الاخلاق الاربع
التي هي امهات الفضائل واصول الكمالات الا رسول الله صلى الله عليه
وسلم والناس بعده متفاوتون في القرب والبعد منه وكل من
قرب منه في هذه الاخلاق فهو قريب من النبي بقدر قربه
من رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تمهدت هذه المقدمة
واحطت بها علما فاعلم ان الله تعالى قد اعطى مولانا ايده الله تعالى النصيب
الاوفى من محاسن الاخلاق والحظ الاوفر من ثمرة الاصول
والفروع التي هي منشأ سير الاخلاق وابعد عنه اضدادها التي
هي رذائل الشيم المنافية لما طبع عليه من الجود والكرم وكما تقيم
لدعوى اتصافه بكل خلق منها شاهد عدل من اثاره لدى الخلق
العبارة عنه فان دلالة الافعال التي هي اثار الاخلاق على تلك الاخلاق
قطعية عقلية لا يتصور فيها التخلف فان كان ذلك منه الا فسراح

في المخاوف والانخلاع في الشق الآخر إذ دلالة الفعل على اتصافه بالشجاعة
قطعا وكذا في صدور هذه الإعطاءات المتتابعة من غني منع كان ذلك
دليلا على اتصافه بالسخاوة وهكذا في هذا وهذا معنى ما يقال إن دلالة
الفعل أقوى من دلالة القول فإنه مخصوص بالأفعال الناشئة عن أخلاق
في أصحابها لما فيها من الدلالة على تلك الأخلاق أقوى من دلالة القول
فإنا نقطع بأن دلالة الإعطاء على السخاوة أقوى من قول المعطي
أنا سخي وقول غيره عنه إنه سخي فإذا صدور آثار هذه الأفعال في
عن مولانا جل وعز أقوى دليل على تحليه بها وتحليه بكمال
وتخليه عن أضدادها وإلا لزم اجتماع الضدين وأنه محال فنقول
أما الحكمة الشرعية فمعناها أخذ أصول عقائد دين [illegible] على
شيخه إمام والده أبي المحاسن يوسف بن [illegible] رحمه الله تعالى
وذلك على طريقة أهل السنة والجماعة من غير زيادة على ذلك
مما يثيره البحث ويثبته المنطق من مباحث الكلام والحكمة
التي نهى كثير من الأئمة عن الخوض فيها وأما القدر الواجب
على المكلف أن يعرف ما يجب في حق الله تعالى وما يستحيل وما
يجوز ومثل ذلك في حق رسله عليهم الصلاة والسلام الداخل
فيه أحكام المعاد ببراهينه العقلية المستمدة من الأدلة
النقلية وما عدا ذلك فالأولى ترك الخوض فيه ولذا قال
الإمام فخر الدين الرازي رحمه الله في وصيته التي كتبها في مرض موته
إني قد حصلت جميع العلوم المدونة بقدر إمكان البشر ثم رفضت جميع
ذلك ورجعت إلى ما في كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه
وسلم بعض أحكام أصول العقائد أو كلاما هذا معناه كما
صرح به ونقل عن إمام الحرمين رحمه الله نحو ما ذكر عن

وهذا

وهذا المقدار الذي رجع اليه الامام هو الحامل والباعث على تقديم
زمود عقايد بني امينهما من غير خوض في معقول المباحث الكلمية
ونحو ما اخذ عن شيخه المذكور في باب الحاق الفقه على مذهب
الامام ابي حنيفة رضي الله عنه ولم تطل ايامه حتى كان من وفقه نعمة
ماكان وحج مع والده رحمه الله تعالى وسنه عليه مبادئ الى وب وهذا
رغبة الابطال عن طلب العلم وتحصيله ولم يزل الامام على ذلك الى ان استوى
ركائبه العالي بالحضرة واستقل بالامر وجلس على اريكة السلطنة
بالمشي من محبة العلم وتعظيمه وتعظيم اهله واي اهتمام اي اعتبـار
العصر لمثله في باب العلماء واصطنعهم وعلى مكانتهم ورفع منازلهم
واعتنى بالمذاكرة والتدريس بمجلسه العالي فيه يجعل اوقاتا من
ذلك الامر نحله باعباء السلطنة وقام بجميع مصالح الرعية وسياسته
بالجليل والحقير من امورهم امورهم بنفسه واكثر اعتنائه بالحديث
التي يجب ... اوقات ... دراسته وروايته وله جمع اسانيد
واجازات سيأتي ذكر بعضها والتزم ختم صحيح البخاري في كل عام ختمة
يحضر له مجلسا بين الظهر بين يديه وبه امامه الذي يحضر ما يحضر من
وحضر الجلة من العلماء من تكون من يتعين البيت بحضرته العلية
تلك الليلة ويحضر شرح القسطلاني وشرح العيني لبيان جمع العلماء
فيما اشكل منه او ضبطه او ختمه يكون في كل عام ليلة سبع وعشرين
من شهر رمضان فيحضر ابناء السمرقند جميع الفقهاء. واكابر
الدولة فيبيت ... خفية ... ان الصيلة في ... فيجتمع
واذا انتهوا الى قوله كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في
الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم
اخذته الجماعة في التسبيح والتحميد والتهليل في ... الاسماع

ونوم الجماعة على عادته ثم يبتدئ الختمة الثا
نية في ذلك المجلس لئلا تنقطع الرواية كما
يبتدئ من يختم القرآن بعد ختمه بقراءة الفا
تحة والآيات من سورة البقرة لئلا تنقطع
القراءة ويكون كالحال المرتحل على ما ورد في الحديث
ثم ينفض الموكب وقد أفاض عليهم أيده الله
تعالى سجال إحسانه وهكذا في كل عام على
الدوام وأما غير صحيح البخاري من كتب التفسير
والحديث والسير والفقه مما يقرأ بالحضرة
العلية ليلا فإنه قد انتخب جماعة من العلما
ورتبهم للمبيت عنده للتحصيل والمباحثة
والمذاكرة والمحاضرة ووزعهم على ليالي الا
سبوع بحيث يبيت عنده في كل ليلة منه
طائفة منهم يدرسون كتابا لا يقرأ إلا في تلك
الليلة وكلما ختم كتابا يجيء مثلا أو غيره بقراءة
بمجلسه العالي كتب كثيرة منها صحيح مسلم
وسنن أبي داوود وسنن الترمذي والموطأ للإمام
مالك رضي الله عنه والجامع الصغير للحافظ
السيوطي والشفا للقاضي عياض والمواهب
اللدنية للقسطلاني والاكتفا للحافظ أبي الربيع
بن سالم الكلاعي ومنها تفسير القاضي ناصر
الدين البيضاوي وتفسير الخازن ومنها شرح
العيني على الكنز وشرح شيخه أبي المحاسن

يوسف

يوسف بن تعين على القدوري والدر المختار على
تنوير الابصار في فقه الامام ابي حنيفة رضي الله عنه
وتفرع في ذلك مباحث ومناظرات بين الفضلاء
ثم لا تخلو ليلة من الليالي من ورود الطلاب واحسان
لاهلها من الفضلاء فلذلك اوجل بحيث لا ينصرفون
الا بصلة وتكرمة وربما مناهم والطف لهم في
اقتراح ما شاءوا ومع قضاء حوائجهم واجابة مطالبهم
واجازة شعرائهم ولقد اتفق في ليلة من الليالي ان قال
لهم ليسألني كل واحد ما شاء فسألوه فاعطاهم
ما سألوا فتمثل بعضهم بقول نصيب
فعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله ** ولو سكتوا
اثنت عليك الحقائب ** فاستحسن
استشهاده بالشاهد وتفاءل جوابه تضمين البيت
مدحا له اعزه الله تعالى ولم يكن في تلك الجماعة من
يحسن النظم فلما انصرفوا التمس مني بعضهم وسألني
تضمين البيت ولم اكن اذ ذاك اتصلت بخدمة حضرته
العلية فضمنتها وبعثت له النسخة فلما كان
في مثل تلك الليلة من الجمعة القابلة وعادوا للمبيت
عنده ايده الله تعالى قرئت القصيدة عليه
فاستحسنها واخذ النسخة وعرضها على بقية
الفضلاء الملازمين لمجلسه الرفيع ولما اشتهرت
القصيدة انتدب جماعة من الشعراء لمعارضتها
فاتى كل واحد منهم بقصيدة ضمنها البيت

المذكورون هم الفقيه الكاتب ابو عبد الله محمد بن احمد
الورغي والفقيه الاديب ابو العباس احمد القصبوري
والاديب البارع ابو الحسن علي الغراب الصفاقسي وها
انا اعرض عليك القصايد الاربع واكل الترجيح فيما
بينها الى الانظار السديدة، قلت انا

اليك والا ما تستند الركايب :: ومنك والا ما تنال الرغايب
توجهت الآمال نحوك وانثنت :: وما امّلت فيما ترجاك خايب
تتبع سلوك الارض من سلكنا :: ابي الحسن الباشا علي بغالب
ومن كابيه يوم نحن سوالد :: حسين الذي انعت عليه المواكب
ومن نور ذو الاغصان في المحالكه :: ومن يكتسب الغمار ناب نايب
ومن هاهيس الخطب يعلو ابه :: فيبقى تعادا حيث نبت الغواضب
سواى بحر السيف احمي غالبا :: وانت لمن ناواك بالحلم غالب
تقابل بالعفو المسيء وانما :: اجدت به ما لم تعده الكتايب
فكانت لك العقبى بذاك وانما :: تنيس فضيلات العفو العواقب
واحرزت حمدا واسعا ومثوبة :: ونلت مرادا لم ينله المعاقب
وبات الورى في ظل امنك نوما :: وارواحهم فيما تنيل مواهب
وقمت بكل المكرمات محافظا :: عليها كان الفعل عندك واجب
وقربت اهل العلم حتى غدت لهم :: منازل الجدوى ونهى الكواكب
تفيدهم علما وتجمعوا ونايلا :: وفضل تجلى في حنكة التجارب
اذا عرضت الاشكال وارتج فهمهم :: فذلك وناد ورابك صايب
ولا غرو هذي عادة في الفقهاء :: اغاثة من ضاقت عليه المذاهب
بكم تحت يا ليل من الحرب جاء لحلقه :: بوجهك والسيف الصقيل الغياهب
تخوض غمار الحرب لا متنكرا :: ولا القلب خفاق ولا الوجه غاضب

تخو

تصول جيش من ورايك راهب .. حديد وجيش من امامك هارب
وما الغيث هتانا على نفعه الورى باكثر جدوى منك لو عد حاسب
اجفت نداك بيك في الناس الجرا .. وباد الوافيما ما تصوب السحايب
اذا زارك الوفد انثنوا وجميعهم .. من الجود في النيل الذى جايب
فيشكوا الركبان من كثرة الحبا .. وتشكو من ثقل العطايا الركايب
ومذ حدوا والعيس كالنخل اذ رها .. سالناهم كيف العلا والمناقب
فجاوبوا اما شوا بالذي انت اهله .. ولو سكتوا اثنت عليك الحقايب
وبعد نحو عشرة سنين من نظمي لهذه القصيدة وقفت
على بيتين انشدهما ابو عثمان سعيد بن ابي جعفر
التجيبي في كتابه لمح السحر من روح الشعر وروح
الشحر ونسبهما لاحد وهما
اليك والا لا تشد الركايب .. ومنك والا لا تنال الرغايب
وعنك والا فالمحدث كاذب .. وفيك والا فالمومل خايب
والبيت الاول منهما هو مطلع قصيدتي بعينه بلا زيادة
كنت رايت البيتين في غير الكتاب المذكور الذي لم اقف عليه
قبل ان نسيتهما بعد ان علقا بحفظي وكان ذلك من
توارد الخواطر وبودي اني كنت اطلعت عليهما قبل
ان تنسب قصيدتي وتذهب في الناس فكنت اسقط هذا
البيت منها وقال ابو عبد الله محمد المرعي وقد
كان رسولا في الملوك بالحضرة في امتثال البيعة
اقصر التطويل في الشكر واجب .. لمن فضله في كل ما شئت غالب
واهدي اليسير النافق القدر للذي .. عن النقد في كل المشاهد غايب
اذ لم يكن فيما مضى لي والذي .. ياتي الا في من الدهر صاحب

تناسب من ايا بن المحسن الا انتضرا ::
بواجب الطراب وابن المجاورة كل بني الاشعار صواع الندا ،
يلي ذاتهم في ذلك طبع منا سيئا ::
فوا عجبا منها ومني منهم :: وكل فوز للفهوم مشارب ،
اما انها عين حسان تبرجت :: وليس لها عن عين من راه حاجب ::
كلما انا وجد رايت عيونها :: تغامزن والغمز للحب خالب
الطت وايام المكارم عنست :: على حين شاخ الدهر وهي الغرايب
فيا ليت الايام في عنفوانها :: وقام لها من معقد الامر طارب ،
فلا خير الا وهو كالعقد لازب :: ولا نشر الا وهو كالقلع عازب
وصف طريق المجد فيه منحة :: لمن هو في شكر المزية راغب
وان الستر الا قوال كلت فانما :: على الستر الجميل امنه الغرايب
فاعقله فيه الجود عن كل مصقع :: وفي كل صقع من اياديه جانب
واجلال اهل العلم الاجلة :: وايثارهم حتى بخاف الاقارب
ورفقة فيهم للعويصة امها :: اخو فطنة او في فيها المشاغب
ومعرفة الفضل الحقيق لاهله :: واكرام من في ثوابه او تجانب
وانصافه من نفسه غير ساكت :: ولا منكر ان جاء للحق طالب
ونصرة ملهوف واحسان معشر :: وكظم لغيظ حين يحبو الغاضب
وجبر كسير القلب بانت همومه :: تغالبه عن نومه وتغالب
وحية لذكر الله عز وجل فترة :: واهلا وما في الذكر ما هو دايب
ورعي جنابا له في كل حالة :: فلا حفظها منه التقى المراقب
فيا ايها المولى الذي بفضائلنا :: به ولنا حلم وحاشاك كاذب
لك الله من فطنته ورباوجه :: شارز واصداح الوري والمغارب
لعالانك استوجبتها بشمايل :: ليسلمها الراعي ومن هو غاضب

بوعن

ودعت بهابه صدر كل ممالك :: يرا انه فوق السها ويقارب
وحزت على اسماعه فيك مدحة :: تغيب منها جيده والغرائب
فما وسعته الارض حتى ازاحه :: عن الفكر استعلام شانك رايب
فرجه من تاد الجلب اهله :: على رغبة في رجعه وهو راهب
فجا ومن قدامه الامن قايد :: ومن خلفه حبل الصبابة جاذب
وعاين ما بين السماكين زخا تقرب به رجلاه والراس راسب
وقد حسرت عيناه رجليه ارسغ :: فيهو تود السعي فيه الثواقب
وما شغلته الدار تلعب بالنها :: عن الفكر في تزوير قول يناسب
ولما انتحت القول طيرت سحره :: وضاقت عليه في الكلام المذاهب
وشاهد ما لم يخرط في حسابه :: واسمع ما لم تنتحيه الاعارب
وولى عن الاعقاب تصغر نفسه :: ومخدومه والمنتمى والمصاحب
وانت رسولاه مبار ورا ه :: تمام جلال هذبته التجارب
وان ملوك الارض قسمان بعده :: فذو الالفاظ معقوتا وذو الجد عاتب
فقد احد ثني فيك اسندت بعضه :: وعثر لتر البلاغة عد فك النوايب
ولست براض من مديحك بالذي :: ترى هتني فيه اذا عين عاتب
وهل لي اعتذار في انتحابا نسا افتا :: وما دح ذي زيد بانفه عايب
على ان من اهدى لغيرك مدحه :: على قدر ما اسدى له القدر واجب
كعذر نصيب اذ تبجح للذي :: فقال نصيب ضمه وهو راكب
فقالوا لو لا الافاك يا جيرلم يقل :: وقد اجمعت دنيا ومنك المناقب
فما جوابا نثوا بالذي انت اهله :: ولو سكتوا اثنت عليك الحقائب
وقال ابو العباس احمد العصفوري بن مماليك جلت ما حوالحمر حاسب
اميا ديك للعاقبين سحب سواكب

ورايك في كل الامور موفق ؛
؛ وفهمك في حل العويصات ثاقب
فيا ابن الموفي على باسقة الرضى ؛
؛ سليل حسين الباش فيك العجايب
جمعت خصال المجد لم تبق سوددا ؛
؛ لغيرك حتى جانبتك المعايب
وصاحبك الحلم الغزير مع العلى ؛
؛ فتنقض وتخشى من دهاك الكتايب
وواتاك علم اذ طلبت كانه ؛
؛ يحب ذكا منك فهو مصاحب
محياك ازهر في غيهب حندس ؛
؛ اراذا انجلى وانزاح عنا الغياهب
يزيد على بدر الدجا عند تمه ؛
؛ اما عابه من كلفة فيه عايب
فيا فوزي الاسحار قبل فراقه ؛
؛ بشادية معا بر تضفو وتناسب
بمعسول الفاظ اراها كسكر ؛
؛ واجعاله كالراح فيها غرايب
تسكر ذا الصحو وتنعش ساكرا ؛
؛ تفرح ذا الشجو لها السمع شارب
بها الميت يحيا خالدا عند بثها ؛
؛ فعندي فيها كما حيث رغايب
فماذا

فما ذا المدام الفرفف الراح والطلا ۞
۞ اذا ما تجليه الكؤوس السواكب
لها كل معنى تقصد الذوود ره ۞
۞ بجاء بسحر وهو للعقل سالب
متى رام ينظم له حصر مدحه ۞
۞ مليك فواد اعجزته المناقب
فيا احلم الاملاك من غير ذلة ۞
۞ ولكن لتقوى الله والله حاجب
واباك حتى صار فيك سجية ۞
۞ فلا تستطع دفعا له فهو جاذب
وايقنت ان الله اولاك فضله ۞
۞ فنعم الحسيب الله جل المراقب
وقيت الردى والله يحميك الهدى ۞
۞ ويبقيك ما لاحت بليل كواكب
تدبر ملكا افدا نساك وراثة ۞
۞ فتاهت علوا عن علاك المراتب
ودامت لك الدنيا دواما مؤبدا ۞
۞ محكمة فيها الجود والله واهب
بفاد نا اليك البعملات خفيفة ۞
۞ عتاق الحذر والبعملات نجائب
باثقلتها من انعم وحقائب ۞
۞ فسارت بهم سير اخطاها تقارب

بما جوابا اثنوا بالذ انتنا هله

ولو يسكتوا اثنت عليك الحقايب

وفال الغراب

لبابك ترجاب المدح الركايب

وتبسم وجه العفات المطالب

ومبك النشاصد وفاز اهر الرس

وفي غيرك المدح الذي فيك كاذب

بكاد لبعاد الصلد ينطق شاهد

بعطك والاشجار عنه لحواسه

بلو فيا من زي الملوك باسرها

لقالت يابن الحسين تجاوب

مليك افرت انها دون قدره

مواقع اجلا الكلا والفوار

له خلق لو بعو طيب نشر

على الزهر طيب الكنه الزهر حاسب

ولولا انفصال البدر مر نور بشره

لقلنا مشاه عن سنا البدر نايب

واداية الغرام مر لطفه

بها الحيوان العجم كادت تخاطب

تفقد البان الحلم من قبل حلمه

وقيل لبان الشدي اذهو حاجب

اذ لما بدا من جمعه في مواكب

بعد

يبدر به امست تحيف الكواكب .

. اذا ما رايه المحل حلت خيامه

به اعطو شبت وانهل عنها السحايب .

. اذا ما اتى يوم الوغا جهاته

لطرد وهزته الجياد السلاهب .

. تطير الى الاعداء عقبان خيله

اسنتها للطايرات مخالب .

. بغادرهم صرعى الكمات لهم على

ترابيهم منها الطيور جواذب .

. سما لسماء الفخر حتى كانما

به جلال جاوي العلو وغايب .

. رفعت مقام العلم بالنصب اهله

الا انما محبوا امر رافع وهو ناصب .

. مليك تحلى بالتقى محاسنه

تحدث عن حسنها تصفية الكواعب .

. له الجود طبعا حازه لا تكلفا

واين من الطبع الذي المتكاسب .

. واذا انه راح لدمع سواكب

تعود من العلياء تنال الرغايب .

. بواب العطا المعتني منتابعا

مواهب تتلو اثرهن مواهب .

. ولا عيب في نعمه الا انها

بضيوبها الماوي لمن هو راغب ؛
؛ محت حسد الحساد حتى غدوا بها
ولكل عدو للعدو مصاحب ؛
؛ ترانجب العافين عنك صوادرا
مثقلة منهم تشكوا الغوارب ؛
؛ حقايبهم ملئى منك وانما
حقايب تبر ما تقل النجايب ؛
؛ غدوا الكامر والحي وبلسند ؛
ثنوا نحو ما مرت عليه الركايب ؛
؛ وعاجوا فاثنوا بالذي انت اهله
ولو سكتوا اثنت عليك الحقايب ؛

والبيت المذكور يقوله نصيب الشاعر المشهور من
ابيات يمدح بها امير المومنين سليمان بن عبد
الملك لما حضر مجلسه مع الفرزدق في قضية مشهورة
ولما را الطلاب العلم ومريديه اهلية التعلم احسانه ايده
الله تعالى المتتابع على ابعدها، وتعظيمه اياهم والتفاته
الى جانبهم رغبوا في تعلم العلم وانكبوا عليه وكثر طلاب العلم
وعمر الجامع الاعظم جامع الزيتونة بالدروس في جميع الفنون
المتداولة بصرف الفقه اعزه الله تعالى وجه عنايته بالطلوع
لهذه المرتبة الواسعة والى الخطة النافعة واتصل الامر
على هذا الشان الى ان دخلت سنة ثلاث وثمانين وقد
تكاملت عمارة الجامع بالدروس وتوافرت المدرسون والطلبة
وبالنظا

فاقتضى نظر السيد أن يشملهم بإحسانه ويفيض
عليهم سجال إنعامه وإكرامه وإنالتهم المحرومة لم يسبق
إليها ومأثرة باقية على وجه الدهر لم يهم خاطر أحد
عليها وذلك أن أمر بضبط مال الجزية بأسره ورجع
إليه حسبانه وكتبت له جريدة بأسماء المدرسين
بالحضرة من أبنائها ومن الغرباء الواردين عليها لطلب
العلم وأسماء المتأهلين من الطلبة ووزع عليهم مال
الجزية كله بعين لكل مدرس من نسبة مقابلة التدريس
ولكل طالب متأهل من نسبة دون الأول إعانة لهم على تحصيل
العلم الذي هم بصدده ففضل عنهم مال الجزية لكثرته
فزادهم من أفضل أوقاف جليلة تحبس على مصالح ففضل عنها
بعد إقامة ما عينت هي له مال له بال يقرب من محصول
الجزية فوزعه عليهم أيضا بعد أن شاور أهل العلم وصرف
من أفضل الأوقاف المذكورة في هذا المصرف فأفتوه بالجواز بناء
على أن لصاحب الأمر أن يتصرف في أحباس الولاة والعمال
ونحوهم ويصرفه فيما يراه من وجوه المصالح بحصول النفع
العام لطلاب العلم وبعث ذلك من دواعيهم وهكذا فعل
بفقهاء المدن من عمله كفقهاء القيروان وسوسة
وصفاقس والمنستير وباجة والكاف وقفصة وغيرها
فعين لهم المرتبات النافعة من الجزية وفواضل الأوقاف غير
أن القيروان لما لم تكن مسكنا لأهل الجزية لعدم سكنى
الكفار بها تعظيما لآثار الصحابة رضي الله عنهم صرف

ثم وقفها جزيرة جربة وفي ذلك من اللطف ان اهل
جزيرة لما كان معظمهم على غير مذهب السنة لم يكونوا اهلا
لمعرفة جزيرة بلادهم اليهم فعدل بها عنهم الى اهل القيروان
المنزهة بلدتهم عن سكنى المخالفين للدين ثم بعد
هذه المدة وقف على المدرسين وقفا عظيما من عقار
المجرى له بالارث في والدته المقدسة ودفعه الى ناظر
اوقاف المدرسين يقسم عليهم غلته والعادة جارية في
الحضرة بان الفقهاء المرسمين في ديوان الجند
من الحنفية يعفون من الخدمة والسفر وتطلق لهم رواتبهم
لكن ذلك كان في الدول السالفة مخصوصا بائمة مثل
العلماء واهل الوظائف منهم حتى جاءت دولة مولانا
ادامها الله تعالى فجعل ذلك لكل من تعاطى قراءة
العلم منهم حتى حصل ذلك لكل المبتدين وبهذا السبب
كثر طالبوا العلم منهم وخرجت منهم جماعة نجباء
ولما انشا تربته المطهرة بساباط في انشاء
مدرسة مجاورة لها واوقف عليها اوقافا واسعة
ورتب بها مدرسين في فنون شتى وطلبة واجرى عليهم
الجرايات الواسعة التي لم تكن في مدرسة من
المدارس غيرها وسيأتي تفصيل ذلك ان شاء الله
تعالى وعلى الجملة فاعتناؤه بالعلم الشريف وحملته
قد بلغ من الشهرة مبلغا الحقه بالمعلومات الضرورية
واما الحكمة الخلقية فمن اعليها ما اخذ به نفسه

من

من الاعمال الصالحة والطاعات والقربات والمواظبة على
الخيرات وانا اذكرها هنا منها ما لابد خل تحت خلو من الاخلاق
الاتية اما ما هو داخل تحت شيء منها ككثرة الصدق فانه الداخلة
تحت السخاء وكطهارة الذيل فانه داخلة تحت العفة ونحو ذلك
مما اخر الكلام فيه الى موضعه من ذلك المحافظة على اداء الصلوات
لمواقيتها بحيث لا يحفظ عنه تاخير صلاة من الصلوات عن وقتها
في حضر او سفر مع تعديل اركانها والقيام بسننها وفضائلها
والمحافظة على الطهارة والمبالغة في التحرز من النجاسة واتقان
الوضوء واتمام اسباغه والقيام بالسنن الراتبة وعدم الاخلال
بشيء منها في معظم الاوقات ومنها المداومة على حضور مجالس
العلم من التفسير والحديث والفقه وغيرها على ما مر تفصيله
ومنها المواظبة على الاذكار والاوراد ليلا ونهارا بحيث لا يفتر
لسانه عن ذكر الله تعالى في غالب اوقاته فقد اتخذ الذكر
ديدنا ورطب به لسانه فهو يستعمله حتى في وقت جلوسه
للحكم والقضاء وفي وقت سمره وغير ذلك من الاوقات التي
يشتغل فيها ببعض المصالح والحوائج مع كونه قد افرد
وقتين للذكر لا يعمل فيهما عملا سواه وهما ما بعد صلاة
الصبح الى نحو ساعة من النهار وما بعد صلاة المغرب
الى وقت العشاء وقد الزم نفسه ذكر كلمة التوحيد
ثلاثة الاف مرة في كل يوم فلم يترك ذلك منذ سنين متطاولة
ولا في ايام الحروب الشديدة مع ما التزمه من الاذكار والاوراد
غير ذلك وله في ذلك اسانيد واجازات عن الشيوخ وقد
اخذ ورد الامام العلامة سيدي احمد بن ناصر الدرعي عن الشيخ

سيدي عبد الحفيظ الحنفي وهو يرويه عن صاحبه سيدي
احمد بن ناصر رحمه الله تعالى وقد اجاز الشيخ لعبد الحفيظ
عن سيدي احمد بن ناصر بسنده المعروف في الكبرى ولنذكره تبركا
به فنقول يروي سيدي احمد بن ناصر عن سيدي محمد بن ناصر عن
سيدي عبد الله بن حسين عن سيدي احمد بن علي الحاجي عن سيدي
ابي القاسم الغازي عن سيدي علي بن عبد الله العيللب عن سيدي
احمد بن يوسف الملياني عن سيدي احمد زروق عن سيدي احمد
بن عقبة الحضرمي عن سيدي علي القرافي عن سيدي احمد بن عطاء
الله عن سيدي ابي العباس المرسي عن سيدي ابي الحسن
الشاذلي عن سيدي عبد السلام بن مشيش عن سيدي عبد الرحمان
العطار عن القطب تقي الدين بن الفقير عن القطب فخر الدين
عن القطب نور الدين عن القطب ابي الحسن علي عن القطب
تاج الدين عن القطب شمس الدين عن القطب زين الدين
عن القطب ابراهيم البصري عن القطب احمد المرواني عن
القطب سعيد عن القطب فتح السعود عن القطب
الغزواني عن القطب جابر عن سيد الاقطاب واولهم سيدنا
الحسن بن سيدنا علي بن ابي طالب رضي الله عنهما عن افضل
جميع الخلق سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ثم وردت عليه
اجازة من الشيخ العلامة الفاضل سيدي يوسف بن محمد
بن ناصر بن اخي سيدي احمد بن ناصر القائم مقامه الان فسح
الله في اجله ونوه المقصود منها وقد بلغنا كتابك وفهمنا
مضمونه وما تضمنه من ذكرك فقد سر الله سرك في احمد الله
على ذلك وقد زدنا فيك محبة بما ذكرته من توفيق الله تعالى

لك

لك الوما انت عليه من رحمة الغريب ونهج منهج من طالبه السبيع
الغريب محدث الدلك وطلبنا لك الزيادة منه من فضله عليه
ومنا من كان تحاسب نفسك بقانون الشريعة لتعلم ما انت
عليه وقد اجزناك في كل ما اخذته عن السيد عبد الحفيظ
قولا وفعلا واجزناك ايضا في سائر مروياتنا ومسموعاتنا
عن الاشياخ محدث عنا بكل ما تجوز عنا روايته بشرطه
اهل الاجازة المعتبر من التثبت والاحتساب واحترام العلم
واهله فقد انتقلت لنا رواية الكتب الستة والشفا لعياض
والمواهب اللدنية وحلية ابي نعيم والترغيب والترهيب
واحياء علوم الدين والجامعين الصغير والكبير وكنز العمال
والعقودات المكية رواية ودراية اما الدراية فعن عدة من العلماء
رحمهم الله تعالى واما الرواية فعن العلامة شيخ الجماعة
بالديار الفاسية سيدي محمد بن عبد السلام بناني رحمه
الله تعالى وهو عن عدة من العلماء كالشيخ ابي الحسن علي
اليوسي والشيخ ابي زيد عبد الرحمان بن عبد القادر الفاسي
والشيخ محمد بن عبد القادر والشيخ عبد السلام بسوس
وكل بطريقه في فهرسته وعن امام الحرم الشريف سيدي محمد
بن الطيب الفاسي عام حجنا وهو عام اثنين وستين ومائة
ومائة والف وعن اخينا ابي عمران سيدي موسى بن محمد بن محمد
بن ناصر عن العم الشيخ البركة سيدي احمد بن محمد بن ناصر
وهو عن والده رحمهم الله سيدي محمد بن ناصر عن البابلي
وعن ابي العباس المجذوب وسيدي احمد بن ابراهيم السباعي
عن العم المذكور وعن والده ابي اسحاق وسيدي ابراهيم

لنا

البساطي عن البابلي المذكور وعن الشبراملسي عن النجم
الغيطي وعن السنهوري بسنده الى الحافظ ابن حجر والشيخ
بن الطيب يروي عن العم وعن مولف المنح البادية الاسانيد
العالية سيدي محمد الفاسي واشياخه في فهرسته وعن
العلامة سيدي محمد بن عبد الله عن ابن سليمان الرسموكي
عن اليوسي وعن الشيخ عبد الله بن احمد الوبكاميني
عن العم ايضا عن الده عن الشيخ بن سعيد المرغيتي
السوسي وهو عن مولانا عبد الله بن علي بن طاهر
الحسني وهو عن محمد عن النجم الغيطي بطرقهم كلها
حسبما في بهارستهم وعن ابي العباس الهلالي رحمه
الله عن الشيخ احمد الحبيب السجلماسي وعن الشيخ
الحفناوي المصري والاسكندراني والشيخ الهلالي عم
جدنا المذكور واخذ الجد ايضا سيدي محمد بن ناصر عن ابي
عبد الله محمد بن احمد المسعودي وهو عن ابي زكرياء يحيا
السراج عن العلامة بن هارون عن الامام بن غازي عن اشياخه
المعلومين في فهرسته واخذ ايضا عن العلامة ابي الحسن
علي بن يوسف الكتاني التمارزي الشهير بالتدبري
وهو عن العلامة التمارزي وهو رحمه الله عن والده
عن ابي علي الحسن بن عثمان الجزولي عن الامامين ابن
غازي والقوري وعمنا احمد رحمه الله يروي عن صفي
الدين الفشتالي باسانيده ايضا ويروي ايضا عن ابي
سالم العياشي عن اشياخه المذكورين في فهرسته
الاقتفا والمنظومة وغيرها كما في الرحلة وعن الشيخ
العلامة

العلامة المحقق ابي العباس احمد بن محمد الورززي الدرعي بتطاون رحمهما الله تعالى وهو يروي المستغاني عن عمه عمنا المذكور وعن ابي عبد الله محمد الصغير بن عبد الله بن حسين اليحيوي المدعو قريب بن القاسم العنبي واشهب تغمدهم الله برحمته واسكنهم فسيح جنته وهو يروي عن عدة مغاربة ومشارقة كما يروي عنهم السيد احمد المذكور يروي عن الشيخ العلامة المحقق سيدي احمد بن مبارك السجلماسي امام الجماعة بفاس القرويين عن عدة من اشياخه وارويه ايضا الجميع عن الشيخ المجاهد سيدي محمد بن محمد بن عبد الله الورززي صنو السيد احمد وهو عن مبارك الصغير وعن البناني الملقب بالحرجي وعن العلامة الفسمطيني عن الحافظ سيدي محمد بن زكرياء وعن الزكي العلامة سيدي محمد العربي بن بردلة الفاسيين كلهم عن اشياخهم ولولا خوف الاطالة لتتبعنا الاسانيد كلها حتى تكون دفترا عظيما ولكن حسبنا التبرك بذكرهم ولقد اجازونا والحمد لله في العلوم الاسلامية معقولا ومنقولا حديثا وتفسيرا ونحوا وتصريفا وادبا وعروضا وتوقيتا وتوحيدا وتعديلا ومصافحة ومشابكة ومناولة ومعانقة وضيافة بالماء والتمر وبالحديث المسلسل باول كل شيء في المجلس وبقراءة سورة الصف وقراءة سورة الم نشرح على الصدر اليمنى على الصدر واليسرى اسفلها وبجميع ما ذكرت اجزت السيد علي باي بن حسين باي كما اجازني

اشياخي في جميعه وبكل ما تصح لي روايته من مسموع ومقرو
وتقييد واذنت له في تلقين الذكر لمن اراده من اهل الله وعباله
وذ تني في ورده احد عشر العامر بالطيب في الطيب كل يوم
واذنت له في قراءة المسبعات العشر عند كل طلوع
شمس وغروبها وحزب النووي وحزب البحر والوظيفة
الزروقية والصلاة المشيشية موكدا عليه بالاقبال على
الله والتوكل عليه والاعتصام بحبله موقنا ان الله تعالى
لم يخلقنا في الدنيا الا لنعبر الى الاخرة عليها واوصيه
في الغربا وبالاهتمام من الغربة الجميع فانك مسئول
عن رعيتك فباعد لسوالك ما استطعت في ارسل بالبكة
لا تشغلها عليه خافية في الارض ولا في السماء والله يرعاكم
ويحفظكم ويتولى بمنه اموركم وياخذ بايديكم وبعزمكم ويدفع
عنكم كل سوء امين وفي اربع وعشرين من شعبان سنة
سبع وثمانين وماية والف كتب عبيد الله عمر بن ... هول
نسل الله العفو والعافية يوسف بن محمد بن محمد بن ناصر
تاب الله عليه امين تشهير لمولانا ابده الله تعالى
تعظيما زايدا وتوقيرا كبيرا لجانب سيدي احمد بن ناصر
واعتناء بكل من هو ملتزم الطريقة وداخل دايرته
حتى لقد بلغه عن بعض اصحابنا من الطلبة وهو مبلا دين
سليمان الموديانه منتسب الطريقة الشاذلية
ومواظب على ورده فقضى له عدة حاجات واذا ذكر
عنده يقول ذلك اخي من الطريقة الناصرية ولقد
ورد على الحضرة سنة وثمانين مشاب معرفيا دعا انه

ابن

ابن اخي سيدي يوسف بن ناصر فاهتز له مولانا اعزه الله
تعالى وبالغ في اكرامه واعطاه عطايا جمة واجازه بجوائز
جزيلة واوعز الى كل مفترح افترحه وكثر الطعن عليه
من الفقراء به بانه كاذب في دعواه ودعي في نسبه وانما
هو طالب من طلبة الزاوية الناصرية واثبتوا ذالك
بشواهد وقرائن وبلغ ذالك مولانا ابقاه الله. اما له
على وجهه بل بعده عن اتمام ما اسدى اليه ولا رده
عن انجاز جميع ما وعده به حتى انصرف من عنده
موفور الحبور او ورد قبله على الحضرة احد تلامذة
الشيخ سيدي يوسف بن ناصر اسمه عبد الله
بن المقدم وهو رجل فاضل من اهل الفلاح وله ولابيه
اختصاص بالبيت الناصري فاستزاره مولانا ايده الله
تعالى واحسن اليه ولما صدر راجعا الى المغرب كتب عن
مولانا اعزه الله تعالى الى سيدي يوسف بن ناصر
كتابا ذكرت فيه السيد عبد الله بن المقدم المذكور
ونعت المقام الذي نقتبس منه انوار المعارف وتستمنح
منه لمحات العوارف ويتفيؤ على الانام ظلالها الوارف
وتهوي منه القلوب الى حضرته القدسية العوارف
وتسكب فيه من خشية الله تعالى الدموع الذوارف
معقل البركات وينبوع العرفان ومحط رحال الافاضل
من كل فاج و دار حضرة الاستاذ الاعظم والملاذ الاعم
الطيب الطاهر ذي المناقب والمفاخر العلامة الفاضل

الولي الكامل مولانا ابي المحاسن سيدي يوسف بن ناصر
ادام الله عليه من معارفه امدادها واتم نعمته عليه
وزادها بلا غفلة من ادر نعمه وعائد منحه وهبة قربه
ووهبته وفيه امين السلام التام الكريم الطيب المبارك العميم
يخص مقامكم الاعلى ومنابكم المعلى ورحمة الله تعالى وبركاته
وبعد فقد كتبنا اليكم كتب الله لكم الحسنى وزيادة وسنى
لكم المحل الاسنى في دار السعادة من حضرة قدس
حرسها الله تعالى استجلابا لصالح ادعيتكم التي
نعتقدها من حسنة ونعتقدها من الاسباب
الموصلة الى الجنة وتاكيد العهد مودتكم التي من اهلها
من اوكد الطاعات التي تقربنا الى الله زلفى وانفع
القربات التي تبلغنا عنده تعالى ان شاء المقام
الاسنى وعلى ما استنفر من خيركم على المريد ومريديه
ومن هو على تقويمه وتقديبه ان لا تغفلوا من دعوة
مستجابة تكون لنا ذخرا في المعاد ووقاية لنا ولكم
ويحمينا من كيد الاعداء والحساد وهذا ما يسر حبيبه
انتاونا اليكم بفتح المرضيه ودخولنا في دائرة
سلسلتكم العليه فانفعنا الله بكم النفع من جزاكم عنا
احسن الجزاء بمنه هذا وقد ورد علينا السيد ابو محمد
عبد الله بن المقدم رضيع لبان مجدكم ونجم فلك سعدكم
صادرا عن حضرتكم التي ظهرت عليه علامات قبولها
وزيارته التي لاحت عليه انوار حصولها راجعا من حضرة
الى

البيئة الذي منه خرج وذكره الذي منه درج ومحل عزه
الذي به تخرج فاستدعيناه الى زيارتنا التماس البركة
التي في حصوله طريقتها وتلاوة آدابها واقتباسا من مشكاة
انوارها التي منع استمدادها ابرانيا عليه هيبة المعرفة
ونضارة العبادة ووقار الخشية ورقة الوجد وارتياح
الشوق ومتانة الديانة وقبول الاخلاق وجدير بمن
قد مر في عقر تلك الدار وتخرج فيها على تلك السادات الاخيار
ان لا يقعد عن بلوغ العليا ولا يبعد عن تسنم الرتبة
الشماء وعرفنا من فضائلكم المأثورة ما لا يسع احد
ان لا يعلمه وذكرنا من مزاياكم المشهورة ما لم يكن
يتسنى الا من عدم التوفيق وحرمه تحرك من اشتياقنا
لو نجد سبيلا وهز من ارتياحنا لو امكن في ذلك الحل
مقيلا لكنا اكتفينا من رؤيته بالصعيد الطيب
عن معين العارف الطيب واكتفيناه عن ابي مصافحة
يده الكريمة والتماس دعواته المباركة الصحيحة
والله تعالى يديم بهجة هذا العالم ببقائكم ويزيد كل
طريقة في صعودكم الى رتب القرب وارتقائكم اعلين
وسمعت مولانا ادام الله سعادته يستشكل
قوله في سند الطريقة المذكور عن سيدنا الحسن بن
علي رضي الله عنهما انه سيد الاقطاب واولهم ويقول
كيف يكون رضي الله عنه سيد الاقطاب واولهم وقبله
الخلفاء الاربعة رضي الله عنهم وهم افضل منه بلا شك

واستبقوا لكنهم لا يبلغون مرتبة القطبانية وقد يلحقها
من هو دونهم وكيف يكون عصرهم خاليا عن القطب
الذي لا يخلوا عنه عصر من الاعصار فيتقول في اقسام الله
تعالى القطب لحفظ نظام العالم والتصرف فيه بالولاية
والعزل وغيرهما من جميع ما يعرف فيه فلا يقع شيء من
ذلك الا باذنه وتصرفه غير ان تصرفه في الباطن دون
الظاهر والتصرف الظاهري انما هو للملوك والامرا
ومعلوم انه على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان التصرف الكلي له ظاهرا وباطنا والنظام
محفوظ بعدله وسيرته صلى الله عليه وسلم حفظا لا يقوم
به غيره من البشر فلما قبضه الله تعالى وتقلد الامر
بعده خلفاؤه الراشدون رضي الله عنهم فاقتفوا
سيرته واهتدوا بهديه فحفظوا النظام على مقتضى ما بين
لهم من السنة وحد لهم من الحدود ولم يكن الوقت اذ ذاك
محتاجا الى قطب لاستغنائه عنه بالخلافة القائمة
بحفظ النظام على الوجه الاكمل فلما انقضت مدتها
بانقضاء المدة التي عينها رسول الله صلى الله عليه وسلم
وصارت ملكا عضوضا كما قال عليه الصلاة والسلام وذلك
بنزول الحسن بن علي عنها الى معاوية رضي الله عنهم
اجمعين احتاج الوقت حينئذ الى قطب يقوم بحفظ
النظام باطنا حيث طرقه الخلل ظاهرا ولم يكن في ذلك
الوقت اولى بذلك من الحسن بن علي رضي الله عنه لقام بحفظ

وبنوته لرسول الله صلى الله عليه وسلم باقية بعد نزوله عن
الخلافة فصبا يتصرف في الباطن دون الظاهر فلا جرم كان
اولا اقطابا اذ لم يكن فيه الا الخلافة وسيد هم اذ لم يلحها
بعد من هو افضل منه قطعا هذا ما ظهر لنا في حل هذا الاشكال
من غير وقوف على كلام لاحد في ذلك بعد وقف عليه لاحد
من الايمة فليثبته والله تعالى ملهم التوفيق لارب غيره
ثم وردت عليه في سنة سبع وثمانين من المدينة المنورة
على صاحبها افضل الصلاة والسلام اجازة من الشيخ الصالح
المتصرف ابي عبد الله محمد بن عبد الكريم السمان المدني
رحمه الله تعالى وهو اجازة عامة بجميع مروياته ومقطعاته
ومصنفاته واوراده واذكاره لم يحضرني الآن لفظها بانفله
وهذا الشيخ السمان رحمه الله تعالى لقيته عام حجي
سنة احدى وثمانين بداره التي بازاء المسجد الشريف
من شرقيه دخلت عليه في جماعة من اهل بلدنا وغيرهم
بدعانا بالطعام فاكلنا ثم دعا للناضرين فلما نهضنا
للانصراف اختصني من بينهم وامرني بالجلوس بعدهم
ولم اكن متميزا عنهم بزي الفقهاء ولا اظنه سمع
ذكري قبل ان اد خل عليه فسالني اتروي عني الحديث
المسلسل بالاولية قلت نعم فسمعته من لفظه ثم
اجازني بعد ذلك بالاجازة العامة وتوفي بالمدينة
المنورة سنة   رحمه الله تعالى وها هنا
اشعار انشدت بمجلس مولانا اطال الله بقاءه مدحا فيه

عند ختمه لصحيح البخاري في ختمات مختلفة نثبت منه ما
يليق ان يثبت في هذا المحل قال الفقيه الكاتب ابو عبد الله
محمد بن احمد الورغي

ختمك الجامع الصحيح كرامه :: يبتغي الفوز يوم هول القيامه
حفظ الله ما تمنيت منها :: عزة في الدنيا ودار الكرامه
دعوة تملا القلوب ارتياحا :: وعلى صدقها الخشوع علامه
سيما والختام في سلخ شهر :: عظم الله للعبيد صيامه
لا يرد الدعاء فيه مضاما :: عند ما يحضر المطيع ختامه
ذاك بحر الحديث ليس على من :: خاض فيه وفي الغريب منه ملامه
خضت يا ابن الحسين فيه بجسم :: وبنفس بعيدة عن سامه
بعد عام تسير سير ادراك :: كل يوم برحلة في اقامه
تطلب الوصل من حبيب بقول :: قد اصبت وقد سمعت كلامه
لو لو اسلكه المسامع لكن :: طوق الروح منه طوق الحمامه
عند جمع المآب منه جليل الا :: جار وكان عنده ندامه
كل ليلة لكل عقل حيات :: لا اقول كما يقال مدامه
اي شيء يلذ بعد خطاب :: من عزيز الوجود مجل الفخامه
يا هنا الان بالوصال الوقت :: موسم الفطر قد يبيه خيامه
انت اذا اتى يهنيك عما :: اوجب الحق ان يكون امامه
فهو عيد له وجود كه عيد :: عمه الله بالرضا وادامه
ايها المستجادي كل محل :: وهو في الملك في محل العمامه
ما عرفنا من الكلام نفيسا :: نصطفيه لجيد تلك الفخامه
غير ان الكمال في العقل زين :: حاز الفوز ثم كنت ختامه

وفي

وقال الفقيه الشاور ابو بكر عبد اللطيف الحوري القيرواني
حديث المصطفى المختار نور
به يهدى وتنشى ح المزور
اذا نرويه يرويه فيحيا
وتكتسب المحامل والاجور
لقارئه ومغنى به مقصور
اذا وصف اللسان له قصور
يزيد تأهبا ويزيل وحشا
اذا بالوحش اظلمت القبور
يسكن روعة وينيل امنا
اذا بالحوب احيدة تطير
ويورث كون ابا الحوض عذبا
اذا كان القيامة والنشور
يميط عرض النفوس اذا دهتها
مهمات وينجى الكبير
ويحميها من الاغيار كميا
كما يحمي من الحزم الغيور
وفيه صنف الفضلاء كتبا
بها حقا تزينت العصور
حضور ما جامع الجما السنن المختار
امام السنة العلم الكبير
فقد جمعت جامعه مزايا
بها قد اذعن الجم الغفير

للحوض

فتراجمه تترجم عن معان
تجار لبعضها الحبر الكبير
وابواب به اخذها قصور
مشيدة وولدان وحور
مبا ثار الى صول بها تجلى
كواكب او بحور او بدور
زذاب الجرب والامحال يزرون
تصوب للورى المطر الغزير
ومنها شك دة نزلت بقوم
فان فرط تنكشف السرور
به من كل ما مرض شفاء
وموعظة تلين لها الصخور
به احتفل الورى شرقا وغربا
وفلفل به ركابا لها المسير

وسار [illegible] بنعم

وساد بنفعه امراء سادوا ∴ خصوصا منهم المولى الامير
ابو الحسن الرضى الباشا علي ∴ هو ابن حسين الملك الشهير
ادام على قراءته فاضحت ∴ عليه حلا محاسنها تدور
تروى من روايته مليا ∴ كما يروي الصدى الماء النمير
تنسم من دراسته مقاما ∴ تخر لبعده الشعرى العبور
مجالسه يزينها البخاري ∴ فتنثر فيه الجواهر والحرير
واسفار له تجلى بها ما ∴ معتقة يطوف بها المدير
ووصل ختامه في كل عام ∴ به قد هام لا الرشا الغرير
رفيق بالرعية ذو حنان ∴ نزيه النفس مفضال وقور
اخو حلم اخو عفو وصفح ∴ مجير ان اتاه مستجير
مقيم للجماعة مستديم ∴ لذكر الله ليس له فتور
وفيض للمواهب والعطايا ∴ اذا ما ابحر الزمن العسير
في المسجد درس العلم زينت ∴ كما زينت بحليتها النحور
الاهي بالنبي وبالبخاري ∴ سألتك يا مدبر يا قدير
تقبل صوم هذا الشهر منه ∴ وزد داد المواهب والاجور
واعتقه من النيران فيه ∴ فلا يخشى اذا لفح السعير
واسبل ستر الطاف عليه ∴ اذا انهتكت او انكشفت ستور
انله على العدا جدا وليت عونا ∴ فانك انت مولاه النصير
واصلح باله في كل حال ∴ وارشده اذا دجت الامور
وصنه وصن بنيه من البلايا ∴ اذا ما حارب الدهر الهصور
واصلح شانه واختم بخير ∴ ختاما منه قد حصلت خيور

ختاما كان بدء الوحي بحرا ∴ له فالتاج كوكبه المنير
ختاما قد حوى بشرا وبشرا ∴ ونشر الاحاكيه العبير
تقبل سعيه المشكور منه ∴ فإنك قابل العمل الشكور
تجاوز عنه وارحم والديه ∴ وإخوته فأنت هو الغفور
ومن إخواننا من غاب فارحم ∴ ومن هم في مجامعنا حضور
وهذي العيد فاجعله سعيدا ∴ يعود على الدوام له السرور
وبلغه المؤمل في بنيه ∴ وقبر المصطفى الهادي يزور
عليه صلاة ربي كل حين ∴ وتسليم تنال به الأجور
كذاك الآل والأصحاب طرا ∴ ومن بسنني سنته يسير

وقال الأديب الكاتب أحمد سميسه

ان رمت ذكرى في المواطن تحمد ∴ وعلاك بين العالمين تخلد
فالزم تقارير العلوم وكن بها ∴ متولعا فهي المنى والمقصد
لا سيما علم الحديث فإنه ∴ نور به أهل الشقاوة تسعد
فذووا الجلال تواضعت لجلاله ∴ وذووا الكمال له تقر وتشهد
وبه المدارس والدروس تشرفت ∴ شرفا يقوم له الزمان ويقعد
ما لاح منه سنا الهدى في مجلس ∴ إلا ونيران الضلالة تخمد
من للبخاري لا تنال حمايته ∴ وسيادة منها الإساءة تبعد
فلكل شيء نافع فاسأل به ∴ ما شئت ربا فضله لا يجحد
حرس الإله ابن الحسين بفضله ∴ وحماه حتى ما يسوء بمقصد
وأعانه وأطال مدة ملكه ∴ وأناله الآمال وهو مؤيد
وكساه ثوبا كاملا من نصره ∴ وأدام نعمته له تتجدد

لازال

لازال يه في كل عام هاكذا ∴ بحديث خير الخلق نورا يوفد
لما تجلى في الجلال ختامه ∴ ارخته ختم جليل يحمد

∴ وقال ايضا ∴

يا خليلي عللاني بيوم ∴ هو للخلق بهجة وانتظام
ما دريت السرور فيه لامر ∴ هو في الحال يقظة ام منام
حج ثلاث بواصل عن عطا ∴ بينت الزهر طله والغمام
ذكر ابي الحديث فيه بوصل ∴ هاجني بالحديث عنه الغرام
يا رعى الله للامارة ختما ∴ بهو للملك عزة ودوام
اي بدء ابدى لامير ويوم ∴ حين ارخت جاء فيه الختام

∴ وقال ايضا ∴

بشرى ليوم به ابي الهدى انتظمت
وعن جوانبه الاذكار ما انفصلت
به شموس علوم الدين مشرقة
في كل وقت مدى الايام ما افلت
حديث احمد خير الخلق بهجته
في الدرس من حسنها شمس الضحى خجلت
فسرّه سار بين العالمين ومن
دعا الاله به حاجاته حصلت
من ام ابوابه لباه مقصده
والمشكلات من الاشيا له سهلت
طوبى لمن بتعاطيه له شغف

ونفسه يسنا عليا يه اشتغلت
ما اللاذ والم يوما نجانبه
الا وا للامه عن جسمه اعتزلت
اذا توجه سلطان له وجرت
بالعدل احكامه ايامه اعتدلت
مجرب لين ولا الغيث منته
اذا دعا الناس مولاهم به نزلت
يا منزله بطنة باق الملوك بها
وهمة بعلت ما زانها وعلت
ومن سجيته طابت وسيرته
على الهدى والتقا والبر قد جبلت
ومن له خلق في الخلق ممتدح
ومن مكارمه كل الورى شملت
لك الهنا بانوار الحديث على
جمال وجهك كالبدر المنير حلت
حلت بقلبك لو جلت روضته
هدايته عنه ما زالت وما انتقلت
بفضله زانك المولى وما انك لا
تخشى الاساءة في الاسوا فقد رحلت
دامنا ابا الحسن الباشا سعود كرسي
طوع به كلما امرتها امتثلت

يه

في يوم ختم البخاري حال تهنية ، ، ،
ارخ احاديث صح الانبيا كملت ، ، ،
ومن حكمته الخليفية سياسته لاهل منزله واهل بلده ومملكته
اذ داى داخل في مسماها كما مر فاما سياسته لاهل منزله
فقد اخذهم بما اخذ به نفسه من الطاعات والمحافظة على
الصلوات والاذكار وقراءة القرءان في المصاحف وقراءة
دلائل الخيرات والرحمة بخلق الله تعالى والشفقة عليهم
وكثرة الصدقات والاحسان فبكل دار من دار العامرة
صدقات لنساء مستورات جارية عليهن على الدوام
هاسيا بتفصيلها دون ما لبست برانية مما لا يحصى
العد وكفالة اليتامى وتربيتهن وتزويجهن اذا بلغن
امد ذالك وتجهيزهن باحسن الجهاز مما يجهز به ذووا
البيوتات بناتهم هذا هو الداب لا تخلو دار من
ديار العامرة عن عدة يتامى يفعل بهن ما ذكرنا
الى قبول الشفاعة في اهل الجرائم والتوسط
لطلاب الحاجات والارزاق فتجري على ايديهن بذالك
خيرات كثيرة ولقد اعتنى بتهذيب ابنائه السعدا
حفظهم الله تعالى وتقويمهم في صغرهم وضم اليهم
في رجب سنة ستين وثمانين لتعليمهم العلم الشريف فقيها بشر
عوا يقرءون علي العربية وضم اليهم امامه الاجل الفاضل
ابا عبد الله محمد بن باكير يعلمهم الفقه على مذهبهم

الحنفي الزكي وعليهم من مخايل الرياسة وامارات الاقبال
وعلامات النجدة والشهامة والصرامة وعلو الهمة وكبر
النفس ما ابرزه الغيب وفيهم اقول اذ ذاك من جملة
قصيدة ستاتي بتمامها ان شاء الله تعالى في محلها من
هذا الكتاب

وما ضاهاك في كرم ومجد :: سوى ابنائك الشم الفخام
رويدا يبلغون الحلم تنظر :: عداك تصاب بالموت الزؤام
ستبصرهم اذا ركبوا وساروا :: تضيق الارض بالجيش اللهام
بقيت لهم ودامو كالثريا :: نظاما ما تراعي الانفصام
ولا زال الحسود لهم وفيهم :: يبيت على فراش من ضرام

ولقد عود ابنه الاسعد المنصور مولانا محمد المامون
اعزه الله تعالى انه كلما دخل عليه وعنده احد من
الفقهاء اعطاه جملة من الدنانير وامره بتفرقتها
فيهم حتى صار ذلك ديدنا له وذلك من سياسته ابده
الله تعالى لما راى الطبيعة الكريمة مايلة الى الجود والسخاء جراه
على ذلك بتعويده متابعة الاعطاء للفقهاء وغيرهم حتى
جاء اكرم من السيل ولما تاهل كبيرهم وافضلهم
مولانا ابو محمد حمودة باشا نصره الله تعالى للامارة
وكان خليقا لها واهلا لها ومحلا ولم تك تصلح الا له
ولم يك يصلح الا لها فقلده قود الاجناد وامرة
العساكر وفوض اليه امر الجبايات فقام باعباء ذلك
اتم

اتم قيام حسبما اشتهر هذا الخبر عنه الى فيها واما سياسته لاهل
بلده واهل مملكته ورفقه فسار فيهم سيرة لم يسر بها احد
ممن تقدم من اهل هذه الاعصار من لين الجانب وسهولة
الحجاب والعفو عن الجرائم والصفح عن الزلات
والكف عن الدماء والمحارم ورفع الظلامات والتفقد
لاحوال الضعفاء وسد خلتهم واستمالة القلوب بالا
حسان والاخذ من القوي للضعيف والتزام احكام
الشريعة المطهرة وحمل الكافة من الخاصة والعامة
عليها فيما يجري بينهم من المعاملات لا يفرق في ذلك
بين وزير مقرب ومملوك مستضعف وبلغ بلين
الجانب والرفق والحلم مبلغا من طاعة الرعية وانتظام
احوالهم وامن طرقاتهم وصيانة اموالهم ما لم يبلغه
غيره بشدة سطوته وتفرط انه وسيأتي كثير مما
يتعلق بهذا الفصل في الكلام على بيان احكام حلمه وعفته
وكرمه ولما استقر اخوه المولى محمد باي رحمه الله تعالى
على سرير المملكة بتونس بعد علي باشا وراه فارهف
حده للانتقام من اعداء الدولة قال له انك ان حملت
الناس على طاعتك بشدة السطوة لم تصنع شيئا لان
علي باشا قبلك قد سلك هذه الطريق وبلغ
الغاية منها فان فعلت اثرت فصرت عنه لا محالة
وجرات الناس عليك فاترك ذلك واسلك طريق الاحسان

الى الناس واستمالة قلوبهم والتودد اليهم وانك تبلغ بذلك
ما تريد منهم مع حسن السمعة وجميل الثنا والسلامة
من عقاب الله تعالى وعلم صواب قوله وعجز عن الناس
كافة فلما ملك مولانا ادام الله ملكه بعده سلك هذه
الطريق وبلغ فيها الغاية التي ما وراءها غاية مما هو
مشاهد بالعيان ومنقول بالتواتر اما اقامة
الشريعة واجراء احكامها وتنفيذها على كل احد والوقوف عند
حدودها في جميع ما يجري بين الناس في الدماء
والانكحة وساير العقود والمعاملات فامر اختص به
المغرب عن ساير البلاد واختصت به افريقية
عن ساير المغرب فلا تجد بلدا تقام به مراسم
الشريعة اقامتها بالمملكة التونسية من لدن
عهد المولى الامير رحمه الله تعالى فقد كانت
القضاة ترد من الحضرة العثمانية حرسها الله تعالى
ولا هم لهم الا جمع الدراهم لانهم يلتزمونها التزا
ما بالمال لطلب الفايدة كما هو الشان في ساير المملكة
العثمانية ثم يرهقون الناس بما ياخذونه منهم
على ما يكتبونه من الاحكام في الرسوم المحتاجة الى
حكم القاضي وعلى قسم التركات بين الورثة بل على مجرد
موت مورثهم واستحقاقهم الميراث وعلى غير ذلك من
الامور المتوقفة على تنفيذهم فلما ولي المولى الامير

كثرة

كثرة عسفهم وتطاولهم الى اموال الناس حتى الهم ود ا
ردهم اليها فيما ياخذونه على تنفيذ الاحكام على حسب
القضايا لا يتجاوزونها الى ما فوقها وكان ذلك غير مجحف
بالناس ومع ذلك ففصل القضايا واجراؤها على مناهج
الشرع مفوض الى قاضي الجماعة المالكي والمفتيين من
الحنفية والمالكية ولا تصرف لاولئك القضاة الا في تنفيذ
ما يحكم به هؤلاء المتصدرون لاقامة مراسم الشريعة
واستمر الامر على ذلك بقية دولته وصدرا من دولة
علي باشا فطلب من الدولة العالية ابطال هؤلاء القضاة
الواردين من قبلها فاجيب الى ذلك واقام قاضيا
حنفيا من قبله منفذا للاحكام احد اهل البلد ورسم له
ان لا ياخذ من احد شيئا الا ربال او ربع الريال على ما
يكتبه بخطه من الاحكام في الرسوم لبس غير واتصل
ذلك الى دولة مولانا ادامها الله تعالى فابطل اخذ
الدراهم على الحكم جملة ومنع القاضي الحنفي من ذلك
سواء كتب الحكم بخطه او لم يكتب وعاقب من بلغه عنه
منهم انه ياخذ على ما يكتبه واعتنى باحوال القضاة
والمفتيين باحثا عن سرايرهم متتبعا لما يصدر عنهم
من الاحكام وعزل جماعة منهم لم يحسنوا السيرة واستبدل
بهم غيرهم وباشر فصل القضايا الشرعية بنفسه الكريمة
في مجلسه العالي فان القانون بالحضرة حرسها الله تعالى

ان يجلس القاضيان الحنفي والمالكي بالمحكمة الشرعية كل
يوم من ارتفاع الشمس الى قرب الزوال ومن بعد صلاة العصر
الى قرب الغروب فيقضيان ما خف خطبه من القضايا ويرسلان
بما اشكل عليهما الى المفتيين من المذهبين فيقضون
فيه وما اعضل امره من القضايا يبقى الى يوم المجلس
وهما مجلسان احدهما يقع عشي الاحد عند مولانا ايده
الله تعالى بقصره من باردو وصانه الله تعالى يحضره المفتيون
والقضاة قاضيا الحضرة الحنفي والمالكي وقاضي باردو
لا تنفصل القضايا فيه الا على وجهها وقد يقع الخلاف بين
الاشياخ في القضية او يشكل عليهم وجه الحق فيها فيؤخرون
القضايا فيها الى ان يظهر لهم الوجه فربما ترددت القضية
الواحدة الاشهر العديدة حتى تنفصل على صميم الحق او على صلح
يرتضيه الخصمان ومولانا اعزه الله يشاركهم في النظر ويتبع
المسائل على وجهها فلا تنفصل قضية الا وهو عالم وجه
الحق في انفصالها والمجلس الثاني يقع ضحى يوم الخميس
بمحكمة الراي لا يتخلف عنه ممن ذكر الا قاضي باردو ثم
لما راى مولانا اسعده الله رايه كثرة الخصومات وتشعبها
زاد مجلسا ثالثا يوم الثلاثاء بالمحكمة الشرعية واذا احضر
الخصمان محكمة القاضي في غير المجلس وحكم على احدهما
فطلب الحضور لدى مجلس من المجالس اجابه الى ذلك
ولا ينفذ الحكم عليه الا في المجلس اللهم الا ان يكون الحكم ممن

الواضحات

الواضحات التي لا لبس فيها اصلا وهاذا كله لتقريب العدل وانـ
تصاف فيما بين الناس لانه يبعد كل البعد اتفاق ستة او
سبعة من العلماء قد تخيروا من بين ساير علماء البلد
علما ودينا على الجور عمدا او خطا ثم اذا توجهت دعوى
على احد كاينا من كان ولو كان من اخص الوزراء الزم بالحضور
لدى الشرع فان كان ممن يتحاشى عن الخصام بنفسه اقام
نايبا فان ثبت الحق عليه اعطاه ولقد حضر رجل يوما
مجلس مولانا الشرعي ووجه عليه اعزه الله تعالى دعوى
شرعية وطلب منه النصفة بمقتضى الشرع فاقام ايده
الله تعالى وكيلا في المجلس ناب عنه في الخصام مع الرجل
وادلى كل واحد منهما بحجته فكان الحق لمولانا ولم يثبت
لذلك الرجل حق فقال ايده الله تعالى وددت لو كان
الحق له واعطيه اياه وامّا حكمه الصادر منه ايده الله
تعالى في قضاياه بين رعاياه وتنفيذه للامور وملكه
وابرامه لمصالح مملكته فله في ذلك طريقة غريبة
ليست لاحد من الملوك غيره من جلوسه العام
للخاصة والعامة وسهولة حجابه بل تركه جملة فلا يصد
احد رام الدخول اليه واصغايه لكل متظلم واخذه النصف
من كل ظالم في جميع ما يجري بين الرعايا واستمراره ذلك كل يوم
على الدوام لا يكاد يتخلف يوما واحدا ولنذكر ترتيب
احواله اليومية المندرج فيها ما ذكر زيادة في الفايدة

منقول فمن عادته لاقطعها الله تعالى ان يصلي كل يوم
الصبح في الوقت جماعة بقومه امامه ويشهدها معه الفقهاء
الذين تكون نوبتهم في المبيت عنده ومماليكه وموذنوه
ثم بعد الانصراف من الصلاة والفراغ من الدعاء يسلمون
عليه وينصرفون فيجلس للذكر وقراءة الورد الى ان تمضي
ساعة من النهار او نحوها فيخرج الى محكمته السامية
فاذا استقر على كرسيه دخل عليه خاصة وزرائه فيقبلون
يده وياخذون مواقفهم ثم ياذن لباقي الناس ويفعلون
فعل من قبلهم من تقبيل يده والوقوف ولا يجلس احد في
محل الحكم الا الكتاب فانهم يجلسون على مسافة معدة
لهم منه تبين ثم ان كان هناك وفود من العرب او من اعيان
الحواضر دخلوا فقبلوا يده وانصرفوا ثم اذا تم سلام
الناس عليه طيف عليهم بصحون الحلواء وبعدها بفناجين
القهوة ثم ينادي رئيس الحاشية باسعد وهي علامة
على الاذن في دخول المتظلمين واهل الشكايات فلا
يحجب عنه فقير مستضعف ولا شيخ عاجز ولا امراة
ولا بدوي جاف فينهي كل واحد ظلامته ويتكلم كيف
شاء بذات صدره من غير زجر ولا ازعاج ورئيس الحاشية
واقف بين يديه يتلقى كلامهم فما كان من الظلامات ظاهر
الحكم متكرر الامثال نفذه من غير استيمار وغيره يامر
فيه مولانا اعزه الله تعالى بامره والكتاب يكتبون
بما

بما يصدر منه من الاحكام الى العمال ورؤساء النواحي وقد
اذن ايده الله تعالى لجماعة من النسوة ثمانا ونحوهن ان
يدخلن كل يوم الى محكمته السامية فيبلغن اليه ظلامات
من لا يستطيع الابلاغ من المسجونين والنساء المخدرات
وغيرهم من كل من يمنعه من الحضور بنفسه مانع وقد
اشتهر امر هاؤلاء النسوة وعرفهن الناس فهم يقصدونهن
بحاجاتهم ويطفن كل يوم على السجون لتلقي حاجات اهلها
وقد حصل لهن تمرن على انهاء الظلامات وكيفية اداءها
وتقضى على ايديهن حاجات لا تكاد تقضى على ايدي
الوزراء وتحصل لهن بذلك نفع واكتساب من الناس
ومع ذلك فهو ايده الله تعالى يتفقد من يصدقانه
وقتا بعد وقت ومن الغرائب انه لا يحجب عنه اذا جلس
في مجلس الحكم السؤال الطالبون للصدقة فيدخل عليه
كل يوم من يدخل منهم ويقف بين يديه في صورة المتشكي
من الضرورة والحاجة فيأمر بهم ان يجلسوا في زاوية من زوايا
المحكمة حتى اذا اجتمعوا قرب انفصاله عن الحكم اتاهم مملوك
صغير فيفرق فيهم ما امر لهم به ولا يزال جالسا بمجلس
حكمه ينفذ اوامره الى ان لا يبقى متشك ولا صاحب
ظلامة وقد يطول ذلك حتى يضج اهل المحكمة من الوقوف
فاذا لم يبق احد نادى رئيس الحجاب العاقبة رافعا بها
صوته وذلك علامة على انتهاء الحكم فتنصرف الناس وينهض

هو اعزه الله تعالى من مجلس حكمه فيطوف على دياره الاهلة
ثم يخرج الى مكان من اماكن جلوسه فيستدعي خاصة كتابه
فيجلسون ويسرد عليه احدهم جميع ما كتب في ذلك اليوم
من الاوامر والتذاكر وهو مصغ اليه فيسمع كل ما فيها فيجيز
منها ما وافق الحكم والصواب ويامر بتمزيق ما خالف ذلك
ويلقي طابعه المبارك الى صاحب الطابع فيطبع ما اجيز
منها وتنفذ وتعطى لاصحابها ثم يؤتى بالغذا وذلك عند
الزوال فيتغذى ومعه جماعة عشرة فما دون من خاصة كتابه
وبعض خدامه واكابر الاعراب فيباسطهم ويفرق فيبعث
الى كل واحد منهم ما يعرف انه يشتهيه من الالوان وربما
اشتهى احدهم اللون من الطعام فلا يكون حاضرا فيامر
ان يصنع له من الغد ويقربه اليه فاذا انقضى الغذا انصرفوا
فيدخل الى محل استراحته فينام قليلا ثم يستيقظ فلا
يدخل عليه احد الا من كانت له حاجة مهمة او من يستدعي
هو الى ان تقرب ساعة العصر فيتوضا ويستدعي
الامام والفقهاء اصحاب نوبة المبيت فيصلون الظهر
ثم يجلسون لقراءة صحيح البخاري فاذا فرغوا من ذلك
صلوا العصر لاول الوقت وانصرفوا وقد جرت العادة
في جميع الممالك العثمانية حرسها الله تعالى بضرب النوبة
بعد العصر وهو قانون قديم من عهد السلطان عثمان
جد هؤلاء السلاطين ادام الله دولتهم واول قايم منهم

وذلك

وذالك انه لما انحاز الى ناحية الروم في قضية طويلة ومعه
جيش من التركمان استاذن السلطان غياث الدين السلجوقي
صاحب بلاد الروم في غزو الكفار فاذن له في ذالك ففتح اهم
وافتتح قلعة قولجة وقلعة ابنه كول وارسل بذالك الى غياث
الدين فسره ذالك وقلده ولاية اسكي شهر ونواحيها وما
افتتحه من بلاد الكفر وارسل اليه بالخلع السلطانية والر[ا]
يات والكوسات والطبول وغيرها من الات النوبة فانتهى
اليه ذالك عند صلاة العصر فقام قايما على قدميه تعظيما
للامر وضربت النوبة على بابه وهو قايم فاستمرت نوبة
العصر في ال عثمان الى يومنا هذا فقد اتخذوها قانونا لهم
ولجميع عمالهم وكان ذالك سنة تسع وتسعين وستماية وهي
وهي اول مبدا ملكهم ثم لم يزل امر السلطان عثمان وبنيه
بعده يعلوا وامر الدولة السلجوقية ببلاد الروم يضعف
الى ان ملكوا البلاد وكان منهم ما هو مشهور فاذا
فرغ من نوبة العصر بباب مولانا ادام الله سعادته جلس
ببيته المسمات بيت الباشا لديوان العصر فيدخل عليه خاصته
واتباعه فيقفون بين يديه صفين الا الكتاب فيجلسون
على عادتهم في اعلى البيت ويطاف عليهم بفناجين القهوة
ثم قد يفصل في هذا المجلس بعض القضايا التي لم يحضر
المطلوب فيها زمن الحكم وفي يوم الاحد يكون الديوان
بحضور الفقهاء المفتيين والقضاة لفصل القضايا

الشرعية فحين يدخلون عليه يقوم لهم قائما على قدميه
تعظيما لهم فيسلمون عليه ويقبلون كتفه فينحني لكل واحد
منهم ويضمه بيده ولا يأذن لهم في تقبيل يده اجلالا
وتعظيما للعلم وتواضعا بل لا يأذن في ذلك لغيرهم من
العلماء بل بعضهم يقبل كتفه وبعضهم يصافحه مصافحة
ثم يجلس فقهاء الحنفية عن يمينه وفقهاء المالكية عن
يساره باعلى البهو ويأذن للخصوم في الدخول ويشرعون
في القضا الى قرب المغرب ويبيتون عنده تلك الليلة ولا يح
يحضرها غيرهم حتى الامام بل يؤمهم احدهم وبعد
انقضاء ديوان العصر يطوف على دياره العامرة ايضا ثم
يخرج فيستريح مع من يريد ان شاء فاذا دخل وقت
المغرب استدعى امامه والفقهاء فيصلون لاول الوقت
ويخرجون فيجلس للذكر وقراءة الورد الى وقت العشاء
فيستدعي الامام والفقهاء ايضا فيجلسون معه للمسامرة
والقراءة كما تقدم الى ان تنقضي قطعة من الليل اربع ساعات
او خمس او اقل من ذلك او اكثر بحسب ما يقتضيه المجلس
ثم ينهض فيجدد الوضوء ويخرج اليهم فيصلون
العشاء الاخيرة وينصرفون الى مضاجعهم هذا هو
الداب في الحضر والسفر حتى لا يترك في ايام الزيارة والخلاعة
الا في النادر من الايام لعارض ركوب او نحوه واما زينة
العيد فقد جرت العادة بالاحتفال ليلتي العيد بين

فيحضر

فيحضر اهل الدولة جميعا عشية ليلة العيد وبعض الفقهاء
فاذا اصليت المغرب مد السماط بانواع الاطعمة ونفايس الالوان
فيجلس مولانا اعزه الله تعالى في الصدر ويجلس معه جميع
الحاضرين فاذا اطعموا وانتشروا ثم تجلس طبقة اخرى
دون الاولى في الرتبة فاذا فرغوا جلست طبقة اخرى
وهاكذا الى ان لايبقى احد الاطعم ثم تنتهي النوبة
الى السايلين فيخرج اليهم بالصحاف مملوة طعاما ثم
بعد برهة يجلس ايده الله تعالى بفهوة ويجلس عن
يمينه وشماله الفقهاء والكتاب ويقف حوله الخواص من
اصحابه ويصطف باقي الناس صفين عن اليمين وعن
الشمال وقد اوقدت الشموع واوتي بالمجامر فيها
الطيب المسمى بطوابع العنبر المصنوع من العنبر والعود
والزباد والمسك الغريب الرايحة الذي لاتصنع الابتونس
فيما علمنا يحملها غلمان العرفج ولاينفصل ذلك الى تمام
المجلس ثم يدخل المغنون من الترك بالالتهم التركية فيغنون
بلسانهم التركي برهة ثم يقومون فيدخل بعدهم الضاربون
والمغنون بالغنا العربي فيضربون على الالتهم البديعة
ويغنون برهة ايضا ثم ينفض الموكب وينهض اعزه الله
تعالى الى محل خلوته ويستدعي اهل سمره من الفقهاء
والكتاب فيجلسون معه ويخلع عليهم ويفيض احسانه لديهم
هذا والنوبة العثمانية تدق بمكان معين من القصر

الى كله فاذا اصبح الصباح خرج الى صلاة الصبح ثم يجلس
بقهوة ويجلس حوله المذكورون ويوتى بانواع من
الحلويات الملوكية فياكلون معه ويشربون القهوة
ثم ينهض الى صلاة العيد من قصره في زي عجيب والنوبة
تدق خلفه حتى يدخل الجامع فيصلي في المقصورة المعدة
له ثم يخرج فيجلس على كرسيه بمكمنته السامية فيسلم عليه
وزراوه وخواصه وكل من شملته باردو المعمورة فلا ينقضي سلا
مهم حتى يصل اعيان الناس من الحضرة من الفقهاء واكابر
البلد فاذا انقضى سلامهم وضع له كرسي باعلا درج البرج فيخرج
ويجلس عليه ويأتي البلهوانات المصارعون فيتصارعون
قدامه وهو ينظر اليهم عادة قديمة للترك ثم
يدخل الى قصره فيدخل عليه المفتيون والقضاة فيسلمون
عليه ويختصون في ذلك المجلس ترفيعا لهم عن مساواة
غيرهم وفي اليوم الثاني يصل اليه عامة وجوه
البلد مع مشايخها ثلاث طوايف فاهل المدينة مع
شيخ المدينة واهل ربض باب السويقة مع شيخهم
واهل ربض باب الجزيرة مع شيخهم وفي اليوم الرابع
يصل اليه الداي في الاختيارية والجاوشية فاذا دخلوا عليه
قام لهم قايما فيقبل الداي كتفه ويده ويقف ثم تقبل جميع
الاختيارية يده وهو قايم فاذا فرغوا جلس واجلس الداي
الى جانبه وامر الباقين بالجلوس ثم يقبل الجاوشية يده

وهو

وهو جالس ثم يعيد السلام عليهم وهم جلوس فيجيبونه
رافعين اصواتهم بالدعاء بلسانهم التركي فمن تبع لهم بعد الك
حجة ثم يطاف عليهم بالاشربة في صحاف الصيني والبلور والفضة
ثم بفناجين القهوة ثم يطيبون بماء الورد ومجامر الطوابع
وينصرفون وللشعراء مدائح عيدية تنشد ليالي
الاعياد بحضرته ايده الله تعالى نذكر منها ما يليق ان يثبت
في هذا الموضع فمن ذالك قول الاديب البارع علي الغراب
الصفاقسي ، ، " " " "

يا مليكا اثنت عليه الايادي ؞ عاد كل بهاك في الاعياد
عش هنيئا لكل عيد معاد ؞ واسم عزا ودم ليوم المعاد
من بعيد غدا يهنيك هنا ؞ بك عيد الورى وكل البلاد
انما العيد بين ايام الاعوا ؞ م كمثل الامير بين العباد
ذي المعالي علي بن حسين ؞ ملك سار في طريق الرشاد
من تحلى بحلى علم وحلم ؞ وبراي مقارن للسداد
بالكل الزمان والعيد يهنا ؞ وبانجاله السراة النجاد
هم تسامو البان تدي المعالي ؞ وتماشوا على ظهور الجياد
كلهم سيد زكي كريم ؞ شامخ مجده طويل النجاد
بهم الملك يستزيد علوا ؞ وامتد ادابهم ليوم التناد
حرس الله مجدهم وعلاهم ؞ من طروف الردى وكيد الاعادي
يا مليكا علا الملوك بحلم ؞ وبنقد سما على النقاد
وخصال حميدة وايادي ؞ فيها في علاه بالافراد

انت ري الضدا مفيض العطايا ؞ انت حي الندا كثير الرماد
انت مر ذي العدا جميل الثنا ؞ انت رحب الفنا رفيع العماد
من يرم وصفا عزى بعد وا ؞ في انتقاص ونيلكم في ازدياد
بفضلكم عم كل دان وقاص ؞ واستوى فيه حضر وبواد
ليس كل امرء حواه لمدح ؞ او لعلم لديه او انجاد
غير اني حرمت للامنه بل من ؞ سوء حظ مفارق لسواد
ان يجد لي الزمان سهوا بنجح ؞ منه تمنعه غيرة الحساد
خلت اراه داب خير صديق ؞ فانجلت عن عداوة وكساد
عجب للزمان عني جموح ؞ ولكل الانام سهل القياد
فقد الحر كل ما جيت اشكو ؞ خطب دهر كمشتك لجماد
لاكن العبد لم يزل بجميل ؞ واثقا منك جازم الاعتقاد
للتغيب رجاه راجي رضاكم ؞ في ظلام اراه جل اعتماد
للبرية للخلق مورد فضل ؞ كعبة للاملين والقصاد
في بلاج الصيام واهنا بعيد ؞ للاعادي مفطر الاكباد
بارك العيد ولا يام تهنا ؞ كل يوم بالامن والاسعاد
فابلا كل واحد لك ارخ ؞ بك ذا العيد ابرك الاعياد
وقال الاديب الكاتب ابو العباس احمد بن ...

هنيئا ايها الملك المعالي ؞ بعيد فيه اشرق نوره
اتاك مبشرا بدوام ملك ؞ عليه سحابة المولى تدور
يصاحبك الهنا زمنا طويلا ؞ وتنتج بي مطالعك الامور
جلست على منصتك ابتهاجا ؞ كانك بوقها قمر منير

اخ

إذا ما لاح وجهك مثل شمس ؞ تغيب بحسن طلعتك البدور
فعيد العيد أنت ومن تعادي ؞ تعاديه المواسم والدهور
فمن كابن الحسين أبان حسنا ؞ به الأعوام تحسن والشهور
له في ألسن المداح روض ؞ نضير وهو ليس له نظير
وقبلت العلا يده وقالت ؞ بفي قبلتها فيها الحضور
تزاحمت الشفاه عليه حتى ؞ غدت باللثم تفتخر الثغور
علوي بأعلى طويل باع ؞ وباع سواك في العليا قصير
سرور العيد طاب فأرخوه ؞ بعيد النحر طاب لك السرور

وقال أيضا

قلبي يميل إلى الجمال إذا بدا ؞ وبحر منه أن الغرام تعودا
حتى رأيت غزالة فتانة ؞ أيقنت أن غرامها سبب الردى
لما نظرت نهدها وجيادها الحسنا ؞ غادى التجني بوجنتيها عسجدا
سكرت بخمرة ريقها فتأودت ؞ تيها كغصن بالنسيم تأودا
كالمرء في عجبة وتنسك ؞ فنهارها منها النهود تنهدا
ففتوره عجبا تغر بجفنها ؞ فاعجب لجفن بالفتور تعبدا
لحبيبها أبديه جفا ارى ؞ تبدي مخالفة وتخلف موعدا
لما سمت بالجور في إهمالها ؞ حكم السلو بعدله فترشدا
كم بات يرشد للهداية قلبه ؞ لولا علي بن الحسين لما اهتدى
ملك خصال الحمد فيه تجمعت ؞ وعلى الملوك تشرفت فتفردا
أغرى القلوب من المخافة أمنه ؞ ومن السرور المحض السهادا
جلاه بالعز المجمل عدله ؞ فإذا امرؤ جورا على الناس اعتدى

في العفو شيمته يراه كأنه ∴ رحم له ما فيه قط تردد
في وجهه روض البشاشة يانع ∴ حسن وفي كفيه انهار الندى
وكلامه تهوى المسامع وصله ∴ وحسامه يهوى مواصلة العدى
اجرى على صعب المسائل لبه ∴ فغدا سبيل المشكلات ممهدا
ما جال في امر عويص رايه ∴ الا وبالراي السديد تسددا
فالزمه ان هزته مطربة الرضى ∴ واحذره ان هز القنا وتهددا
في طبعه لين وفي اخلاقه ∴ طيب وكل منهما يحلو الصدى
يا ايها الحكم الذي احكامه ∴ حكم وفي الحكام اضحى مفردا
جليت بك الدنيا كانك حليها ∴ وزهت علي فمن راح فيها او غدا
والسعد مبتسم اتاك كانه ∴ رق رفيق الطبع لاقى سيدا
وزمان من والاك اصبح ابيضا ∴ وزمان من عاداك امسى اسودا
والعيد ليس له سواك من الورى ∴ عيد الذي ابدا علاك تابدا
يحيى الى امثاله اذ ارخوا ∴ بالخير عاد العيد يا ملك الهدى

وقال ايضا

هنيئا لك الايام وافتك بالمنى ∴ وعيد الاضاحي ان ملكك بالسعد
يوافيك بالاقبال في كل ما تشا ∴ ويأتيه طوعا من القرب والبعد
تغار من الارض السماء لانها ∴ رأتك بها بدرا من الحسن في برد
وتحسد افواه الانام نجومها ∴ لتقبيلها البحر الذي منك في الايدي
الى بيتك المعمور منها توجهت ∴ عمائم اهل الفضل تكرم بالرفد
وفي عرفات الحرب للناس وقفة ∴ يفيض عليهم من نداك شذا الند
وكفك ما طافت بكعبة جوده ∴ عفاة الورى الا وتظفر بالقصد

بحر

تورّدت بالفعل الجميل وقد بدت ∴ خصال الكمال منك جلت عن العد
ولبس على الرحمان جل جلاله ∴ بمستنكر ان يجمع الخلق في فرد
يهنى بك العيد الذي انت عيده ∴ وانت تهنى بالمكارم والمجد
ولما اتاك العيد قلت مورخا ∴ اتى لعلي العيد بالعز والسعد

وقال ايضا

تبدى الفراح الورد يشكو من الخد ∴ ومر يقلد الغصن خاضع القد
غزال اذا ما الظبي شاهد جيده ∴ ومقلته ابدى التذلل للعبد
نفار الذي كان من حسنه وهو في الخفا ∴ وتحسده الاقمار مذ كان في المهد
عليه من الحسن البديع سحائب ∴ فمن رام وصلا منه واباه بالصد
تغيره من لينه نسمة الصبا ∴ واحشاؤه كالمرو والحجر الصلد
فيعذب لي تعذيبه ان حبه ∴ ومن غرامي فيه احلى من الشهد
اذا ما رنى انساك هاروت لحظه ∴ وانساك حد السهم والصارم الهندي
فما فيه عيب غير خمرة ريقه ∴ تعاطيك قبل الشرب راحة الند
صفا ثغره من جوهر الدر مثلما ∴ صفا باطن الباشا علي من الحقد
سليل حسين الباي اظهر سيرة ∴ محسنة فيها رضا الحر والعبد
به تونس الخضراء رافقت واصبحت ∴ تقول افتخارا تاج هام العلا عندي
ابى ان انسان يحسن صنيعه ∴ ويبدو واله من غيره مثل ما يبدي
اذا كان حكام الورى عقد لؤلؤ ∴ يجيد المعالي فهو واسطة العقد
ولو كان ما يعطيه غيثا للمطرنا ∴ سحائب من غير برق ولا رعد
وحيد من الاشباه مع جد دهره ∴ فما ملك ضاهاه في منهج الحمد
اذا اوعد ابشر والمومل ناجح ∴ يجيبك جهرا لا على كاهل الوعد

مليك له في الحلم اربع رتبة ∴ واوفى مقاما في الموافات بالعهد
تقول العلا هذا الذي في وزغيره ∴ نكست له راسي حياء من المجد
من السنن لا يجري من الدهر في الورى ∴ كسيف جبان ليس يجري من الغمد
فابرزت نظمي في مدائح فضله ∴ ولولاه لم ابرزه من باطن الجلد
وحو معاليه حسان فلا تجد ∴ من الدر ما احطت سواه على فرد
محباه عن ايدي ونعليه دونه ∴ وخدمته فرضي واوامره وردي
ايا من نشا اليه خرفكري عنده ∴ ولولو لحرب راحتي فضله عندي
كسونك من نسج المحامد حلة الثنا ∴ وثوب المعالي فاكسني ثوبك الجدد
اتى العيد والاقبال قال مورخا ∴ ابا الحسن الكرب طن عيدك بالسعد
ولا يخفى ما في لفظة طن من الركاكة والغثاثة على ان في مواضع
من هاذه القصيدة مجالا للانتقاد الناقد ، ، ،

∴ وقال ايضا ∴

اعياد ملكك هكذا بك زاهيه ، ، ، ،
، ، ، ، وبحسن طلعتك البهية باهيه
فلطر بعيد الفطر اعياد العدا ، ، ، ،
، ، ، ، ، ، ، والنحر بعيد النحر فوما باغيه
فسناء للعيد ابتهاج واضح ، ، ، ، ، ، ،
، ، ، ، ، ، ، ، لم تخف بارقه كشمس ضاحيه
ايام دولتك السعيدة كلها ، ، ، ، ، ،
، ، ، ، للناس اعياد حسان ضاويه
يحيي الخلايق صومها بمواسم ، ، ، ، ، ، ،

وبك المواسم في الخلايق ضافيه
فيا هنا وطب نفسا وقر بما تشا
عينا ودم في عيشة لك راضيه
ان الليالي بالمنافه اشرقت
واتت بايام الهنا والعافيه
نم يا ابا الحسن الرضى وامور قم
واقعد وسر واقم بذاتك ناجيه
لا زلت من عظم المهابة باسما
وعداك من الم الكمابة باكيه
ته تخوة بالعز في رحب العلى
واطرب وهب للمجد نفسا زاكيه
فالحفظ حفظ والامان مصاحب
لك والسلامة باحتنا لا هيه
ان رمت سعدا سامية ومورخا
فالعيد اقبل مع سعود ساميه
وقال ايضا
العيد اقبل في بديع جماله
فاضاء فوق سماك بدر كماله
واليمن جاءك في سنا بركاته
بطويل عز في مديد جلاله
لك ايها الباشا علي الملك يفي
علياءه اهدى نفيس وصاله

ولسان حال العيد قال مبشرا

يبقى الى الاعياد مع اجلاله

لازلت تحيي بالهبات مواسما

وتميت ذا حسد بسيف نكاله

ابقاك للخلق الاله وانت في

روض السرور ممتعا بظلاله

دامت لك الايام في اشراقها

والدهر دام عليك في اقباله

حسن ياكريم بن الحسيني وهباله

منك الهنا واجمعه مع اماله

ملك كساه العدل ثوب مهابة

واذاق طعم الشهد من افواله

عيد الاضاحي جبيه من نال الورى

شرّ بابلثم يمينه وشماله

قبلت راحته بقلت مورخا

دم عاد للتحيي الى امثاله

وقال

يا ايها الملك المطاع ومن له

ملك بابواه المعالي ضاحك

يا هنا بعيد جاء في تاريخه

عيد اتى بالسعد وهو مبارك

وقال

وقال

عيد الاضحى في بديع جماله ... وافاك مبتسما بطيب وصاله

لما اتاك بيمنه وبامنه ... القى عليك السعد ثوب جلاله

فاطرب وته بالعز في رحب الهنا ... واجن المنا والدهر في اقباله

صح المسرة في مقامك مشرق ... فغدا به كالبدر في اكماله

عش سالما من حرقة الاسوا ... روض الاماني ممتعا بظلاله

ملك المفاخر يا ابا الحسن الرضى ... بعظيم ملك لم ينل حاله

للعيد اشراق يزيدك بهجة ... بسنا محياه وفرط جماله

يا هنا به اذ جاء في تاريخه ... تبقى باجلال الى امثاله

وقال

تعيش الى امثال عيدك في الهنا ... وتظفر في علياك بالقصد والمنى

بثالث عيد الفطر قلت مورخا

لفتح خلق العيد الدوام لك الهنا ومما ابينا سبب
هلالة انوار نجيه في تذهيبات تحويل العام بمنهج اقوله

واقاك عام اليمن بالبركات ⁂ والسعد ساعد والزمان موات
والوقت مبتسم الحيا مشرق في ⁂ بسنا الهنا صاف من الشبهات
بك كل ارض شرفت فوق ترابها ⁂ سعدت وانت سعدت بالاوقات
يا من ترفع قدره وسما على ⁂ كل الملوك بارفع الدرجات
يا من له سند قوي في العلى ⁂ عن والديه وبه خبير رواة
اقبل اليوم ما تشتهي من حاجة ⁂ فيومك الاقبال بالحاجات
الله اودع فيك نور فراسة ⁂ فتكاد تخبرنا بما هو آت
اصحت في وجه القضا بلاغة ⁂ يجلو سناها غيهب الظلمات
ابقاك ربك للانام مؤيدا ⁂ وحماك اكراما من النكبات
ما انشد النجباء قولا مؤرخا ⁂ اسعد بعام هل بالبركات

وقوله في هاذه السنة

يا من حوى جمع الكمال وماله ⁂ في الحلم من اهل الزمان مشارك
اقبل العام السعيد وارخوا ⁂ عام عليك كما تريد مبارك

وقوله

اوقات دهرك في سرور صافيه ⁂ والعام اقبل بالهنا والعافيه
نتجت مقاصدك التي املتها ⁂ ومقاصد الاعداء اضحت باليه
الان جاء السعد والتيسر انتمى ⁂ لو تطلب الدنيا لجاءت جاثيه
والنصر مثل الجيش لك طائع ⁂ يقضي البغاة وفي النفوس الغاليه
مهما اتجهت لما اردت نلت المنى ⁂ شمس السلامة في سماء ساميه

لم

لم تسمع الا ما يسر ولا ترى ∴ الا الذي يرضى ونفسك راضيه
لك كل يوم على مسرة ∴ ولكل باغ من جيوشك غازيه
قرت بعين الامن عينك فرحة ∴ وغدت عيون ذوي الخيانة باكيه
عمرت مداركك العلية بالهنا ∴ ومنازل السفهاء عادت خاليه
ما هم خاطرك الغني بحاجة ∴ الا وتاتي باعتنائك شافيه
لما اتى عام الهنا ارخته ∴ عام تجلى في سماء العافيه

وقوله

فتحت عليك بما تشاء بلا عنا ∴ بمفاتح الاقبال ابواب الهنا
فوضت للاقدار امري كلما ∴ املته تلقاه سهلا هينا
ناديت سعدي والزمان مساعدي ∴ فاجابه سلم امنيته فله انا
اجرى الكلام على لسانك طيبه ∴ ولنشر طيب ثناك اجرى الالسنا
وملوك عرب العالمين وعجمها ∴ ابوابها صارت لذكرك مسكنا
ان كانت الامراء بدرا وذكا ∴ فعلي باشا ابن الحسين هو السنا
نهر من المعروف يغرف من يشا ∴ من فيضه المعروف اجرى من دنا
لو حل في ماء اجاج طبعه ∴ لحلا وفي حجر لاضحى لينا
لو مر بالاشجار وهي مجربة ∴ لكسا باوراق شذاه الاغصنا
تتشوق الامراء طيب ثناءه ∴ فكانه لهم الشفاء من الضنا
واكابر العلماء تشهد انه ∴ فيه الذكاء من العلوم تمكنا
ابدت له الايام وهي سنية ∴ بسناه في امن الهنا شمس المنا
وهو ابن الاقبال في عليائه ∴ تتشحا من بالاله تحصنا
لك يا ابا الحسن السرور وللعدا ∴ حزن فليس له دواء الا الفنا

لما اتى العام الجديد تجددت، حلل الهناء بها بقيت مزينا
فلذاك قلت مبشرا ومورخا، عام السعود اتى ولاح لك الهنا
وقال الفقيه الشاعر ابو محمد عبد اللطيف
الطوير الفيرواني وكتب بها اليه من القيروان وذكر
الليالي التي كان يشهدها بمجلسه السامي وتشوف البها وهي
رسالة تشتمل على نثر قبل القصيدة واولها
حرس الله تعالى حضرة الكمال، ومطلع ذوي الامال، وملتثم
شفاه الاقبال، ومطلع شمس السعادة والاقبال، والبها
والجلال والجمال، ومنبع الفضايل وينبوع الافضال من شرر
الكايد وحسد الحاسد، ومن كل شيطان مارد، ولازالت سماء
لبدور الاعلام، وثواقب نجوم الافهام، وروضة زاهرة بازهار
الاعلام، واجتناء ثمر المنطوف منها والمفهوم، حضرة
مولانا الملك الكامل، والامام الهزبر الباسل، والفيل
السميدع الجحجاح الحلاحل، السامية مناقبه، الهامية مواهبه
العذبة مناهله، المتصلة بصايب اللجين والنضار انامله
الشامخة معاليه، المشرقة بانواع السرور ايامه ولياليه
مليك له في العالمين مناقب، هي الشمس لا تخفى بكل مكان
فيا ليته ايام وازمانه، فقد فاق في المجد وفاق زمانه
اللمعي النافذ الاريب، الرامي بسهام فراسته الى اغراض
الصواب فيفرطس ويصيب، اصابة ليس للابس فيها
نصيب، اذا ظن لا يخطي كان ظنونه، على ما يضل الناس عنه

دلايله

فلله، سعد على الانام امانة وعم عفوا وحلما وفضلا واحسانا
حتى امن الخائف سطوته، والجاني جفوته، بل قابل كل بسماحة
واغمد في غمد الصفح من ذات صفاحه

صفوح عن الجاني وصفحة سيفه
اذا هي لم تقتله بالصفح قاتله

حاز رتب السؤدد والمعالي
وحاز نشأه الى المجد اياد الايام والليالي

فهو الشامخ الهمم، الجامع بين النجدة والحيا والحلم والكرم

فاوجدنا المجد وهو من حلم احنف
ونجدة بسطام وهبات حاتم
وليس حياء الوجه في الذيب شيمة
ولاكنه من شيمة الاسد الورد

سيدنا ومولانا ابا الحسن الباشا علي باي حفظه الله بما
حفظ به السور والاي ابن الملك الهمام، والاسد الضرغام
كوكب الفخار، ونخبة الامرا الاخيار، المنعم
المرحوم، بكرم مولانا الحي القيوم، سيدنا ومولانا
حسين باي، رحم الله الاصل وبارك في الفرع، وسدد
احكامه واجراها على منهج الشرع، فسلام عليكم
ورحمة الله وبركاته، يتضوع
نشره ويتنوع بشره، ولا اقول كانفاس النسيم
فانها بارحة عليله، ولا كازهار الرياض فانها

ايام مقامها قليله، ولا كصرف المدام فانه غير حلال
ولا كالمسك الحبيب فانه بعض دم الغزال، ولا كالعنبر
والغاليه، فانهما دون انفاسكم العاليه، بل اهدى
لكم سلاما كطيب اخلاقكم المنفضه على العدوات من
الشابيه بانفاسها الزكيه من السقام، المونسه
للارواح المنعشه للاشباح، الممثلة للالباب من غير
جناح، فهي السحر الحلال، والكوثر الزلال، والروض
الطايع الظلال، الذي ليس لايام زهره من زوال، تسيد
الاطيار انما يطربها الربيع، وشيد السرابيوف
البديع، بتزهى بازهاره، وتستعذب زلال
انهاره، وتخطب على منابر اغصانه، وتتفنن بانواع
من السجع على افنانه، وتنعم بنسيمه المعتل ويصلح
حالها المختل، مع ان ايامه ربع العام، وربيع حضرة
مولانا دايم الايام، وروضته زاهرة الازهار
يانعة الثمار، بالحين والنظار، تترنم فيها اطيار
العلوم والاثار، وتسمع فيها الالحان بصايح الاخبار
للبرنات الاوتار، وتمايل فيها اغصان الاقلام، بحاب
الاعلام، بنسمات الافهام، وتدار فيها اسلاف العلوم
للسلافة بنت الكروم، وفيها بلوغ الامل والشفاء
الشافي من العلل، فحد الحذ تها طيور الاوطار اوطانا
تغدو لها خماصا وتروح بطانا، فلا يحمد ان خفق

الهوى

الطويل لها الجناح، اذ لم يرتكب في ذلك الجناح، فهو ما
خفق جوانحه حتى ملا الشوق جناحيه وجوانحه
سيما وقد تذكر ما سلف له في الحضرة من الليالي الانيقه
وما شملته من الطرائف الرشيقه، والمعاني الدقيقه
والنكت الرقيقه والاوقات البهيه والاوقات الشهيه
والفكاهة المتحببه، والسمار والاحاديث المطربه
المستغربه، مع جلة اعلام وصحابة كرام، والجميع
من اشراق مجالسه دائم علاه في انوار، ومن صوا
نسته ومواساته في روضة ذات ازهار، وثمار
نستفيد منه الادب، والانس والطرب، والرقة
والدقة والذهب، واخرى نهتدي بنبراس ذكائه
الى صوب الصواب، ويرشدنا الى ما خفي على الالباب
من معاني الخطاب واسرار الكتاب، فيسبح في بحره بغواص
الافكار، فيستخرج جواهر الدر المختار، ويصطاد شوارد
العلوم من مكامن المنطوق والمفهوم، ويعجم ببداهته
المجاد والمسائل، فاذا اسنح للعبد ذكر تلك
الليالي والايام، وما خول فيهما من المنح العظام
والايادي الجسام، حيث
طار جناحه وكساه رياشا، واكسبه انتعاشا
فلم يعقه عقر، ولا انتثر بازه او صقره، هز للالمام
بالحضرة العلية التوق وكاد ان يطير به البها طائرا

للشوق الا انه ربما توهم سآمة الترداد، ازهو اجرى النفس
على المعتاد، لان من واصل الزيادة بمل ومن
اكثر الترداد اضاه الملل ويحجم عن الاقدام على
القدوم لها وان كان شايقا، ويتحمل اعباء التصبر وان
كان التبريح له سايقا هذا وان شهر الصوم قد
زمت منه رحال الارتحال، وعيد الفطر قد واجه الحضرة
بالاستقبال واقبل بحلل السعادة واليمن والاقبال
مهنيا لكم بما اسلفتم في رمضان من ذخاير الاعمال
مبشرا لكم بنيل المراد وبلوغ الامال باسم الاثغار مبتهج
المحيا، متكفلا لكم بعود مسراته ودوام المحيا
والله المسئول ان يبلغكم غاية المامول، وان يصاحبكم
فيه بالاسعاد، ويجعله عليكم اسعد الاعياد، وان
يحييكم لامثاله وامثال امثاله الى ابعد غاية، في
حفظ من الله تعالى وهناء وامن ورعاية، وان يصرف من
الاسواء انجالكم، ويبلغكم من خير الدنيا والاخرة امالكم
ولما اعوز العبد ان يعمل للقدوم القدم، استناب عنه
القرطاس والقلم، فقال

اذا السلام الى الامير معطرا :: في طيب رياه يفوق العنبرا
اقرا السلام عليه كل عشية :: واذا سنا الاصباح اقبل مسفرا
بل كل حين خصه بتحية :: من كل ما طيب عم واعطرا
يحكي شذاها طيب اخلاق له :: اذ لست عنها بالعبير معبرا

والثم

والنجم بدا انزوي البخاري دايما ∴ ومن النه انزوي الاتلاع الكوثرا
واغضض جفونك ان لعنا دبيبة ∴ وحذا ارمز كفيه عش الجرا
وجه اذا القمر المنير له بدا ∴ لبس الحياء وبالسحاب تستترا
واخصص ليالي الاربعا جميعها ∴ بمزيد تسليم عميم اعطرا
فيها شفينا بالشفاء غليلنا ∴ وغليل صار للشفاء تصدرا
ان يكتحل اعمى البصيرة مرسى ∴ انواره في الحين برجع مبصرا
وكذا الليال للخميس بحينها ∴ ولياليا الاحد الانيقة منظرا
هاذي الثلاث لها فواد شيق ∴ لم يا لها قلبي العميد تذكرا
فمتى ثنيت لها عنان تذكري ∴ يوما تفسح منزلي وتعطرا
لاكن قلبي ما تذكر انسها ∴ الا تاجج شوقه وتسعرا
لم انس انساب الامير خلالها ∴ نجني بها زهر المسرة ازهرا
وجنا اللما في تجنيه وتختلي ∴ وجها من الشمس المنيرة ابهرا
انوار بهجته عن المصباح تغني ∴ من يطالع في الطروس مسطرا
انى لحضرته وقد غسق الدجى ∴ فيا خال ليلي مشمسا او مقمرا
لا ارتضي بدلا بها عمر الصبا ∴ كسكابا حرم ان يعار ويشترا
ان كان شخصي قد نا يا القلب لا ∴ ينفك في تلك المعاهد محضرا
لو ان ذكري للقدوم بها جرى ∴ لاجبت من قبل الدعاء مشمرا
اني قد ذكرت بليلة وكنت في ∴ غرها من ارض الغيب وان مبكرا
احببتها لمواسم الاعياد لستناكان بوم لقاه عيدا اكبرا
من يغش حضرته العلية يقتني ∴ علما ونبلا موفرا او موفرا
فيها كواكب بالذكاء توقدت ∴ ما بينها قمر بدى في معسكرا

يهدي الى اسماعنا وعقولنا ؞ وانوفنا ادبا ونشرا اعطرا
والعلم والنكت الدقيقة والحيا ؞ والانس والاكل الشهي مع القرا
يلفى لمصعب المسائل مشكلا ؞ فيرده سهل المنال ميسرا
فهو المجلي للعويص اذا اختفى ؞ وهو المجلى في الذكاء اذا جرى
ويرى المغيب بفراسة فتخاله ؞ من انها ما في الضمير مصورا
لم ابك المعاصا فلبا فهما ؞ علق الغوالي والاغر الاحورا
وبدرها المختار هام فلم يزل ؞ من بحرها الفياض يلفظ جوهرا
ورث المفاخر عن ابيه عصابة ؞ والشبل لا يعدو السبنتا القسورا
فعلي بن حسين الباشا الرضى ؞ علم الفخار فقد ارتقى وتازرا
يابى الدنايا خيمه وخلاله ؞ وتراه للفعل الحميد مشمرا
الف التقا والدرس والاوراد لا ؞ نعم المثابة والباب ومن هرا
وحوى المهابة والانابة والنجا ؞ بة والاصابة والاعطا اللاوفرا
والعفو عن قدجنا والحلم والتـ ؞ ـشرحات والخلق الجميل واكثرا
وبشاشة تشبيه النهار وقالها ؞ سحر البلابل اوعقارا مسكرا
مهما يلي يطب وان يطلب يلن ؞ ويريك ان يرتب وان يخلف قرا
فالوابه دون الخلال لحلمه ؞ وله الشيمة الحلم شيء مزدرا
نفوا عليه العفو عمن قدجنا ؞ ومديحه في الذكر حقا قد جرى
عفو الملوك عن الجناة اذا جنوا ؞ للملك ابقى صح عن خير الورى
واستكروا منه الحيا وانما ؞ يلقى الحيا اذا القيت غضنفرا
سير الليالي بامتداد خلافها ؞ خبرا وسوغ صافيا ومكدرا
جواب مرماة يجاربها القطا ؞ حزنيتها ابن السبسب والثرى

كتاب

كشفا ان مات ارهب حول : بعد ما به يغزوا فيهتم عسكرا
جلا الى الجلى بنادي منجدا : قدما اذا ما الامر اورد اصدرا
بالبيض والسمر اللذان يخوض في : مغن نقع او نجيع احمرا
ابقضه لا عمرا اذا امر عني : او ناب خطب فادعه لا مسعرا
فذا المحاول ان يرى شبها له : فيمن تقدم ما رايت ولا ارى
سبق الاوايل سوددا وسماهم : فخرا وان هو في الزمان تاخرا
لا غرو ان البحر يعلوا فوقه : زبد ويمسك في المقر الجوهرا
والبدر قد سبق النهار سواده : والصبح حاجبه يلوح موخرا
لو انهم في جامع العلياء قد : جمعت جموعهم رقينا المنبرا
همم مرفعة تعد حذاوها : فرق الثريا والنجوم لها ثرى
سمح اذا ما القطر امسك غيثه : ان جي لنا ما في النظار فامطرا
واذا الوعود خبت وصوح غرسها : القيت موعده المولى مثمرا
فمتى وصفنا ظله وخلاله : دع عنك كسرى ما وصفت وقيصرا
او ننخ للاقيال جمع ماثر : لهم فكل الصيد في جوف الفرا
يا كوكب الامراء بدرا يا شمسهم : لا نال نقصان سناك الانورا
وافاك بعد الصوم عيد عائد : لك من الاهك بالسرور موفرا
يسعى لحضرتكم بوجه نير : كيما يحيي منك وجها انورا
ومقبلا لليمين يمنك ناشقا : من طيب رياك العبير الاعطرا
واتى اليك مهنيا مستبشرا : وبعوده لك بالهناء مبشرا
لا غرو ان وافى يحيي مجدكم : ان الصغير اتى يحيي الاكبرا
ويرى سناه الخلق كيف تزاحموا : عن راحة فيها اجتمعنا الابحرا

فليهنك منه دوام مسرة ... وصفاء عيش لا تراه مكدرا
وتقبل الرحمان ما اسلفتم ... من حسن صنع صايما او مفطرا
عش سالما من كل خطب طارق ... متبوا احصن الامان مخمرا
وبنوك في كنف الاله وحفظه ... بهم ربوع المكرمات معمرا
وعليك يا اسعد الزمان تحية ... تحكي ثناك طيبها الا العنبرا

وقال ايضا

بشارات افراح ونور ... بعيد دايم معه السرور
تبدى مشرقا فابشر وبشر ... نضير الوجه ليس له نظير
به ظهرت تباشير التهاني ... وفيه قد تجمعت الحبور
فان يك في اسمه عيد اصغرا ... فما هو بهجة الا كبير
بتونس قد تزين كل قصر ... وزينة تونس المولى الامير
ابو الحسن الرضى الباشا علي ... بن الامير حسين الصارم الشهير
مليك قد رقى قنن المعالي ... ويعرف مقامه الشعر العبور
وزين كل مأثرة وفخر ... عليه حلى محاسنها تدور
فخار قد سما فوق الثريا ... وقار مثل ما ارسى ثبير
وبا. زانه حلم وعدل ... فليس على اعاديه يجور
نظيف العرض محمود السجايا ... رحيب الصدر مفضال وقور
تسربل للعفاف ثياب تقوى ... فلم يستصبه الرشا النفور
بشاشته وجهه توليك بشرى ... وتملا من مهابته الصدور
له خلق كنشر الروض غضا ... لطافته تلين له الصخور
كان من احه ممزوج راح ... له يصبو اخو النسك الوقور

وجه

وحيد فإذا عار البيض حجا ∴ له تنبو صوارمها الذكور
تراه باسما لطف المحيا ∴ إذا عبس المهند والطرير
جليل القدر يكشف كل جلى ∴ إذا اسود الخطوب لها استور
إذا ابنته عاينت بدرا ∴ ولحسن بهايه عنت البدور
وإن يقمنه يمت بحسن ∴ فراتا ما الفا عنه صدور
بمن يمناه إبقاء أو جدوى ∴ تفيض لنا الرغايب والبحور
وهجيراه ذكر الله دوما ∴ فلا يعروه في الذكر الفتور
بتدريس العلوم له اعتناء ∴ فلا يلهيه بتجر أو بخور
لقد ورث المآثر عن أبيه ∴ وشبل الليث عدا هصور
يصيح بفكره ذكت المعالي ∴ كما انفضت على الصيد الصقور
ويلمح هاجس الأفكار حتى ∴ كأن بها يناجيه الضمير
فمن آرائه البركات تجنى ∴ فيسهل عندها الأمر العسير
يجود بديهة بنكات بحث ∴ إذا انبهمت على الحذق الأمور
جرى ذكري من الإخوان ليلا ∴ بحضرته وإني لو ازور
ومنه الإذن لي طلبوه كيما ∴ مزارهم القرب وإن لهم أسير
وكنا الذكر ليلة أربعاء ∴ وفي غدها أتيح لي المسير
تخالفت النفوس على بعادي ∴ لأبعتها وليس لها شعور
وطاعتها الجسوم إلى التلاقي ∴ وسر الأمر أن أذن الأمير
فأخرت السلام عليه يوما ∴ فعاتب والجواب به قصور
فالى أن أجبت بغير نظم ∴ بأن العتب ليس له فتور
فقلت له أيا ملك المزايا ∴ ومن منه المسائل تستجير

اردنا ان نجيء بفال خير ∴ وحسن الفال ليس له نظير
فقدمت التأخر يا مليكي ∴ وقلبي لو حضرتكم يطير
فكيف اقدم التقديم عنه ∴ وفي التأخير خير يا خبير
فلا زلت المقدم في المعالي ∴ وربعك في الزمان هو الاخير
ولا برحت لياليك اللآلي ∴ تقلد للدهور بها نحور
ولا زلت المعيد لنا كمالا ∴ ورب الخلق عاضدك النصير
ولا فرعت لك الاسواء بابا ∴ ولا دبت بساحتك الشرور
وقال ، ، ، لاح سعد السعود بالافراح
والتهاني بيوم عيد الاضاحي ، ، ، ، ، ، ، ، ، ،
، ، ، ، ، ، ، ، والمسرات واجهت بوجوه
نيرات مستبشرات اصباح ، ، ، ، ، ، ، ، ، ، ،
ورياض الحبور تزهر بالنور ∴ وعليها بلابل الانشراح
وطيور الاقبال تهتف بالبشر في كل غدوة ورواح
وتجلت عرائس الانس والبشرى عليها ملابس الافراح
وازدهى الدهر بالامير علي بن حسين الحلاحل الجحجاح
ملك ذو جلالة وجمال ∴ وعفاف وسودد وفلاح
وذكاء ونجدة ووقار ∴ واتجار بصالح ورباح
ذو سرور كعصور حبي ∴ المعي سميدع نجاح
ملك يجذب القلوب بمعنى ∴ طيب اخلاقه الكريم السماح
همم تعتلي الثريا اعتلاء ∴ وعليها الجوزاء مثل الوشاح
خلق واسع وباع طويل ∴ وزناد في الراي غير شحاح

لبنى

لين الجانب الرفيع نصيف السعر من التي الحلو المن راح
امن الخايف المروع ويخشاه لدى الحرب كل شاكي السلاح
العديم النظير عفوا وحلما والعطوف الصفوح السفاح
يفتر الملك الخلائع بالعفو وبالصفح للابيض الصفاح
لبسم برضيه ان نحوه اعاح بجبوجه الصبيح منه الاضاح
بل بي ضبه منهم الجزم بالسلم ورفع الاذى وخفض الجناح
كل هذا اتى ه عن دماه تنجها بالصفاح عن مباح
نال منه الانام نيل الاماني وامان الاشباح والارواح
وصل الفضل بالصلاة وبالاو راد والفقه والحديث الصحاح
واذا ما جنت لباجي المعاني لاح من فكره نسيم الاصباح
واذا ما عليك بين يخ باب السفهم اوهى اليك بالمفتاح
ونبات الافكار في الكتب تجلى بيده لا اليراح في الافداح
هذه بنا اخلاقه وسقتنا راح انس لكن بغير جناح
علمتنا الاداب في الجد والهز ل بلا هجنة ولا استقباح
عمرتنا الاوه فسبحنا في بحار العطا بلا الصفاح
ان يخن السحاب بالقطر بن خى جن كفيه بالنضار الصراح
واذا اصبحت رياض الاماني ازهرت من نواله السماح
من كمثل البادشا علي بن حسين بن علي في جوده الطفاح
من يضاهي علي ابن حسين بن علي في عفة وصلاح
من يجاري علي بن حسين بن علي في عقله الرجاح
بامليك الجلال وافاك عبد عابد بالسرور والافراح
باسم الثغر مشرق الوجه فرحا حلى جي ابنور كالوضاح

وكساك البهاء حسنك وازدا … د عبوقا بطيبك الفياح
خذ منك السعود فيه على الافق … ام تسعى كمثل دوح رداح
واتى للهناء وهو كبير … لا كما كان ابن حجاج
كي يرى زحمة الشفاه على اللثـ … ـم بنان يصفق الصف الطماح
عش لامثاله معافا الى ما … ليس يحصى في راحة وارتياح
لك الايام والليالي عبيد … وامان ما ان لها من براح
سالما مع بنيك من كل سوء … بامان النفوس والاشباح
واعذوا سعد واسعد ودم وتنعم … وتيمن بيمن عيد الاضاحي
وقلت من عيدية لم تحظني منها الا الازار فقولي
لم يحمل القلب فيك ما حملا … ليتني حين يسمع العذلا
ولم تبت مقلتي مسهدة … لئن نضى منك في الهوى بدلا
قد اين والغيب قبل الهجر … اما كوجدي الذي اجن فلا
خفوق قلب ولوعة وبكا … لله هذا الغرام ما فعلا
وكل ذا هين ومحتمل … ما لم يكن منك بغضة وقلا
باضى انسر رعى الحشا ثنيا … ويحر نتم بالقلب قد نزلا
ماذا ترى في متيم اخذت … عليه ايدي الصبابة السبلا
يجني للامر الذي تخفيه له … ولو غدا السابقا له الاجلا
وهبك ان لقيته بعيشه فهل … اوراصب في الحب قد قتلا
ابه نار قد حنت في حشاه … يوقدها الدمع كلما انهملا
واي قلب بالله حمله … هواك ما لا يطيق واحتملا
تالله ذلك الا نسمة بعثت … من جانب الى تشتكي العللا
هذا الكلام الشاذ زال به وقد … اضرم قلبي بين الفلا

ذ:

ايه وان كان حبه اجلا … جى بما حسن الهوى اجلا
احبه او يعيل مفتـرح … للذين صفقا من بعد ما اشتملا

ومن مزيجها

الفارس الطاعن الكتيبـة اذ … بر بيومه داسوى الرماة قبلا
والواهب الخيل في اعنتها … جى ما نها كل القنا الذبلا
والجيش فرجى خلق سافته … غنايما والبلاد والسر ولا
بعوعن حاتم وشهى قـه … ىغلايه الامران حبا ابـلا
باذن للضيف والمبارز … زيارة لم يمنع الفيصـلا
جارت على المال كفه ىغـزل … يقول مهلا يا خير من عدلا
وكلما اذهبته من ذهب … عوضها الله فدره فبلا
ويكى السوحي الدماء ولا … يعتل الا المبارز البطـلا
تطيف من حوله العوارض ان … زحزح طها وزعزع الاسلا
لهمته الملك مات يرعها … ما زال عنها كلا ولا فشلا
تصور عنه الملوك اذا قلمة … تستعظم الى بيروهوما احتملا
يا ملكا من علو همته … لوا مرالدهر جاء ممتثلا
كيف وعاذا الانام ما رسالهم … وانت تخشى من قولهم خللا
سلوا جى الجود عارفين لم … يستغفوا من ملكت اذ سالا
من سار يطوى البلاد صيلم … يبشر منها سهلا ولا جبلا
لم يات ارضا الا وابـتها … من جود كفيك عارضا هطلا
صيغت قلبه صيغاتجد لو … حكيته زرق النصال ما نصلا
وكيف لا استهم فيك وقد … نولتني بالنعيم من بعد ما احتملا
البستني نعمة مضاعفة … وزدت حتى سلبتني الاملا

وقال الفقيه الاديب الكاتب ابو عبد الله محمد بن احمد الورغمي وذكر
ابناء الحمام

ما احسن الصبر يوم انه صبي الحسن … اما جود ذي بهو الرأي الحسن
ولو صار انا بذا الاعياد ما حكمت … الا باندا روح او هي البرق
وفي المهناة اذكت الحياة اما … وان جرى بخلاف ذا الحد السنن
فاهنأ بعيش تمام العمر ليلته … وصعد بافتتاح البشر مقترن
تعطيه من بعض الايام بالغة … لمثله منها في اثرها منن
تنال منها الجوهر الذي تلبسه … عفوا ويبخل عنه الوارث الخشن
حتى ترى من سليمان وتابعه … محرما تلك العين والاذن
وتقع بابي حم ولغايته … وما خاف على المامون مؤتمن
ابلاد قليلا هم في نعم وامنهم … شان وفي عين من يشناهم شجن
من كل اروع يستشفي بطلعته … ويستجير به من همه الا من
اعزة لمعالم الملاك تشبههم … ذكاوهم من بعد ما ختنوا
بل ما استقل لدى الميلاد طارحهم … الا وعفو في كبة مرتهن
تبادروا فلا في كف حامله … منهم نكول ولا في طبعه درن
تودهم صهوة الخيل جنين … وهم على الى كفر في الارحام قد مرنوا
وقد وجئته من الناس منبعدا … وقولهم في حجة بان بداغصن
بل هم جاء الان باهت مبتهجا … وهم بسويد لا مرئ القين
وهم على الدهر سوط ان بغى بنا … وحيث يجمع هم في راسه رسن
بما تكاله عز مضاد نا … خرة الا ومنهم على اعناقها شطن
ومثلهم ليس من الزنجي بعده … بل الشمائل والاحساب والعطن
يقول فيهم مريد الكلام يسوهم … اذا انبرى علو ماله ثمن

ذوي

ومن ترى ابدا يستغني بجوهره ⁂ عن المزيد وارض كلامه [illegible]

تلك المذاهب لا اتاتي بها ا بل ⁂ من العضى ولا اتاتي بها سنن

كسيتهم دهوما تحت غامرة ⁂ من الغبار في وشباب الاثر والدرن

وخضت في امن الاهوال ما جهلة ⁂ حينا وجبت الاوقات والمحن

ما تستقل بارض قبة تعب سكنا ⁂ الا ومتنك بارض ما بها سكن

وحيثما لاح وجه الضيم في وطن ⁂ كانت ظهور المذاكي عندك الوطن

وطعت اجفانه سوءا وكم محلة ⁂ لا تستغني بها الاخماص والثقن

وفي مهامه تيه تهو مومرها ⁂ كانت سواد ولوا الابدان والبدن

وبعد كشفك ما بالقراب من طرب ⁂ وعاد ناح وناح كاحمد حسن

في رتبة وعلى خيران ما تحكت ⁂ بدا العلاق ولاول بها العطن

وفي ترفعت في اعلام نادية ⁂ منازلا ما بها من يصرها وكن

وجبت اوراق تطوى كل قابعة ⁂ تمتد فيها بدا الاطلال والدمن

فراحض فلما تبغي سالكها ⁂ عن التورط او ينجو ابها العتن

يرتاع من وصفها مرجا يسمعه ⁂ وكيف من حل فيها وهو ممتحن

وانت لم تح فيها عيني معترف ⁂ بحيث تعجب منه العور والعمن

فلا بصرك لمح الشمس عن غرض ⁂ ولا اذا عنه العارض الهتن

ونور اللامع يسير النهار بها ⁂ كانما انت في جوف الدجى وسن

يجد فيك الخوف ان نازلت معضلة ⁂ هواوى ظ طرف ما به درن

حتى طرق بارك كنت تطلبه ⁂ وكان ما كان مما علمه علن

لا الحسب الجرمي فيغيه مادبة ⁂ معنى الجنان ينهى دونه الجنن

يا موسع الخلق من اثني اذ همته ⁂ الا انا فنصيبي منه ممتهن

ان كان حبذا برني منك منزلة ⁂ فما ذهبي فبك من يدليه به لسن

هذي نتائج فكري قد اتيت بها ... دليل صدق لمن يبلو ويمتحن
اخترتها منذ الآن حليتها ... بصوغها كيف شئت الحاذق اللسن
كيف لا ان تجي تعويل شاعرها ... لا يصلح الطيب ما لم تصلح الجون
فلتبق في بعض وكر امول المنى ... يلومني ان يعيي ما به عنى
فان جيد شيء ان صحت جبه ... زكت به النفس وامتاز به الثمن
وللفعل قليل انت واهبه ... بقية بالقيمة الاحسان والمنن
واسلم هنيئا مزيد العز في دعة ... ودم كما دام في هذا الورى حسن

وهذي القصيدة جمعت بين السهولة والمتانة والغرابة والعربية وقد اشتملت على الجبر العالي الذي لا يتعلق به احد والى دي الشاعر الذي لا يأتي به احد من اوابدها قوله

تود بهم صهوات الخيل حين ترى ... وهم على الكفر في الارجاء قد مرنوا

فان هذا البيت مع كونه ماخوذا من قول ابي بكر بن الابيض الاشبيلي من قصيدة في مولود انشدها الامير صفوان بن ادريس وزاد وهي باحسن معنى واولاها بعذر به

ليهنك الفارس الميمون طايره ... شكوا النعماء عنها الدهر من نعسا
اما جنى الخيل اذا لم تهي جنته ... لعمر انت لقواد كتيبة مبسا
تعشق الدرع اذ شرق لبا يمه ... وارتاع كل هزبر عنوما عطسا
تعلم الكفر ابان الحلم به ... وابغض المهر لما ابق المعرسا
تبي فاين معنى ان تسيرها ... فما امتطى الخيل الا وهو مفترسا
[illegible] ... من الم الملك بالبيع النزاعي سا

اردف البيت الخامس فقوى عنه غاية التعصي وتمادد ما شاء بكلمة حين فانه ما اطردت موقعها ولا اصابت محزها والطامة الكبرى قوله في الارجاء فانه لا يدري هذه اللفظة من جميع الملوك الا من اطيا البر شلع

ومن

ومن محاسنها قوله كأنما أنت في جفن الرجا وحسنه بأنه قول الصناع وإن كان
قد أخذه من قول المتنبي

وقفت وما في الموت شك لواقف كأنك في جفن الردى وهو نائم

ومن قول ابن زيدون يعني

سى ان في خاطر الظلماء يكتمنا حتى يكاد لسان الصبح يفشينا

إلا أنه أحسن الأخذ وأتى به في غاية الحسن وأما حسن التدبير
ومقاربة الرأي وصواب الفكر وكثيرا ما يبرز الرأي في مهمات الأمور المغلقة
في مباديه كل من يعترض عليه ثم لما تبين عاقبته يجلي الأمر على صوابه ويعترف
كل من أنكر بإصابته وأنه لا ينبغي أن يكون الأمر إلا كذلك وذلك لأن بصيرته بعواقب
الأمور وخبرته كما قلت له من جملة قصيدة نظمت في موضعها

بصير بأعقاب الأمور كأنما يرى بعد حجاء شاهدا كل غائب

وكأنه صور الأمور وإنما تبين مرئيات النهى في العواقب

من ذلك ما رآه من التمكن بالتدبير في مطاولة أهل وسلاف لما نشزوا العصا
وخرجوا عن الطاعة وكعبر قتالهم في عين جبلهم لعلمه بأن قتالهم تحلك
الأوعار والمواجهة التي أحاطوا علما بما لها ويسهل عليهم لطول التمرن
سلوكها مما في بيوتهم من حدة وقوة شوكة وإن كان الذي في فمه مناجزة التأييد
وترك المطاولة لتوهمه أن المطاولة مما يتبع صاحب الدولة المستحق دون
المستقرة لما تبين في محله لأن ذلك إذا كان القتال جريا في ذواتهم
ومحصلا للبعض من استقطابهم ولذلك لما تفرق كما جرى وأولا دعيا الطاعة
وتابعوا أهل وسلاف وقتا يعولون على التعلق بأذيال الله تعالى لمناجزتهم
وأخذهم وعن أهم بكانهم من البسائط التي لا يخشى على أجناده من التورط
في مجال الكفار وترك أهل وسلاف وجبلهم وما يعرض لهم بغير الأخذ لمحتقبهم

بالملاقاة المحاصرة لهم وقطع المادة عنهم واجتثاث زروعهم على ما تقدم تفصيله
وكانت عاقبة ذلك اضمحلالهم بكثير في الحساب من نزولهم من جبلهم وهم امنع من
عقاب لوح الجو وصيرورته مرعى للذئب ومأوى للبوم واجابة للصدى
بعد التأهيل البالغ والعمارة الكاملة والمنعة التي اعتصت بشيء
في صدور بني ومهر حيث لا تطمع الملوك منهم باكثر من الطاعة اما
حسم مادتهم وخضد شوكتهم واستئصال شأفتهم واستنزالهم من معاقلهم
وصيرورتهم عبيدا للعصي وخولا للمغارم فمما لا يطمع لاحد فيه ومن
ذلك ملابسته للفرنسيس لما نقضوا الصلح في مبادئ الفتنة بين السلطان
والموركو وجنوحهم للسلم لما جنحوا لها لما رأى في ذلك من المصلحة
العظمى والحوطة لحوزة الاسلام والنفع العام للمسلمين كما تقدم تفصيله
وطرقت بعد ذلك مراكبهم ترسي في مراسي المسلمين وجلبت لهم
الى جميع البلاد وربح التجار في ذلك ربحا بالغا ولولا ذلك لاحجم الموركو
اجزل الله تعالى ما هو عليه منها حكى القاضي
شمس الدين بن خلكان في تاريخه وفيات الاعيان في ترجمة السلطان
ملكشاه ابن ارسلان السلجوقي انه لما مات ابوه في سبيل ذلك ما
وراء النهر وولي هو الامر بعده بوصيته اليه وتحليف الامراء
والاجناد على طاعته ووصى وزيره نظام الملك ابا علي الحسن ابن علي
الطوسي بتفرقة البلاد بين اولاده ويكون مرجعهم الى ملكشاه
ففعل ذلك وعصى عليهم عمهم واخذ البلاد قبلها وطال البلاد
وجرت بينهما الحروب فخرج عليه وانهزم عمه فتبعه بعض جند
ملكشاه فبذل التوبة ورضي بالاعتقال وان لا يقتل فلم يجبه
ملكشاه الى ذلك فانفذ اليه خريطة مملوءة من كتب امرائه وانهم

[illegible]

كلهم

حملوه على الخروج من طاعته وحسنوا له ذلك فوصل السلطان الوزير
نظام الملك وأعطاه الخريطة ليفتحها ويقرأ ما فيها فلم يفتحها وكان هناك
كانون منار فرمى الخريطة فيه فاحترقت الكتب فسكنت قلوب
العصاة وأمنوا وظنوا أنفسهم على الخدمة بعد أن كانوا قد خافوا من
الخريطة لأن أكثرهم كان قد كاتبه وكان ذلك سبب ثبات ملكشاه
في السلطنة وكانت هذه معدودة في جميل آراء نظام الملك انتهى قلت
هذه الفعلة وإن كانت من الآراء الصائبة الجميلة التي يعني ذكرها
إن دافع الوهن إلا أن نظام الملك لم يكن صاحب الأمر ولا هو المقصود بالثورة
لكونه وزيراً لا ملكاً فلم يخش عليه من هيجان القوة الغضبية ما يحمله على
ترك الرأي وإضاعة الحزم في إحراق الكتب ليطلع على ما فيها فيمنع من الحاجة
ويحتاج في مجاهدة هذا الغضب إلى عقل مؤيد دائماً بالتأييد الإلهي وتفحص
قدسية توهن هذه القوة وتغوص حدتها على الفور الواجب وتسكن
ثورتها ليظهر لها موقع الرأي وإنما لقائل أن يقول يحتمل أن يكون
لنظام الملك كتاب من جملة تلك الكتب فألقاها لئلا يفتضح
وإن كان الظن بنظام الملك تنزيهه عن مثل هذا لكمال عقله وعلو همته
وكمال مروءته ووفور ديانته مع ما كان من رجال العالم وأفراد الدهر رحمه
الله تعالى وعلى كل حال فلم يكن حاله مثل حال مولانا أعزه الله تعالى لما وقع
له مثل هذا بعينه مرتين أحدهما حين ظفر بإسماعيل بن يونس من [illegible]
وتفرق جموعه فإنه جيء بالخريطة مملوءة من كتب كاتبه بها كثير
من رؤساء الجند والأكابر العرب وأعيان البلد وغيرها وفي أثناء كتب
منها فعلم المراد بها ثم ردها إلى الخريطة وأمر بإحراقها بجميع ما فيها فأحرقت
في الحال وتوالى عنه الناس من أجل ذلك فسكنت نفوسهم واطمأنوا وأمنوا

ووطنوا انفسهم على النصح والخدمة لما وقع من عسكر ملاقشاه بعينه
وارغب من هذا انواع يعاقب الستة الذين الجلا على كيفهم ولاي وهم انه
على ذالك منهم ولا صبعوا به وفوهات بعضهم وبعضهم بان الى الان لا شعور لهم
بشيء من ذالك والثانية لما اخذ عثمان الجراد الذي ثار بجبل
جميرة وادعى انه ابن بن فسو واتى به اسيرا الى الحضرة كما تقدم شرح ذالك
اتى معه في بلغة كيف كان تهم بهالايط منبعين بالفساد فلم ينقص ايده الله
تعلى في شيء منها وامر بان اقطعا فلان فتحصل بذالك الامن والكافية
لجميع العرب وغيرهم ومن الغرابة التي لا توجد من كمال العقل وحسن
التدبير وفهو الغضب ووفور الحلم ومن ارايه الصائبة وتدبيراته
البديهية التي تعجز عنها الاذكار الوقيفة في الازمنة الطويلة انه لما
عين صاحب الجزاير الحلة لاسترداد ملكه وملاذ اخيه من علي باشا
ووصل مولانا ايده الله تعلى عن الجزاير وانه قسنطينة ليغتنم اليه
الى امر وتجمع عليه فواصيه ويذهب علاهم وانتشر الخبر في قبايل
العرب من اهل ابي بغية فتتابعت عليه وفودهم وفي عجبة حسن
باي صاحب قسنطينة حتى نزل على شبره ما اجتمعت عليه قبايل
العرب من ابي بغية ونبذوا الطاعة لعلي باشا واضحت لولا ابي بغية
وعند ذالك الامر الصاحب الجزاير في حرب علي باشا ورجع عنه وجا ما عارفته
والحق لو جعه الكابر دولته من شيعة علي باشا النصيحة في ذالك
بسبب ما استحكم لعلي باشا من الملا وتوسع فيه من النعم واحتجم به من
الاموال وكثر عنده من ارتباط الخيول واستجادة الاسلحة وعظم لديه
من الابعثر الملاعبة فعمل برايهم وكتب اله حسن باي عامله على
قسنطينة يامره بابطال الحركة وتخبره انه رجع عن رايه وابطل السعي

فاجتمع

ما جمع حسن باي بمولانا اعزه الله تعالى والقى اليه كلهم الخبر الذي يحتج به ويقصر
لذاك ولا تفعلنه ولا الحاجة لو جيء به ولا احتشوا به بل اجابه على البديهة بقوله اما
انا فبعد جيئة من تونس صغيرا واكثر اقامتي بالجزائر وخلطت وقد الفت
سكناها واغتنمت الراحة وهذه البلاد فلا اهتم بهذا الامر كبير اهتمام
ولاكن احضر في عندك كيف يكون خلافا او جاء الجزائر على بيده وتبقى معه
والاعتماد [illegible] الاعلى فلا لو كيف ذا الا قال انا نبينه لاحتى تعرف الان بعينه
هل حقق العادة بانكم اذا توجهتم الى قتال ملك او بقية احد من ملوكها معكم
ان تقصدوا ضعيفا فيما تبعكم من كبعة الذي معكم من قبائل العرب وغيرهم
ما يقي به من مقاومة الذي يبقى منهم مع صاحب تونس ويمدونهم بالميرة والعلف
ويحضرونهم بجميع اوجه الاعانة وهو ذا ترى منفعة من العرب لم يبلغ عددهم
وانما يا تونس ونوفا بغلبتكم ومرابطنا على الكلاب ولما رجعنا عنها عاقبتهم
علي باشا اشد العقوبة ونكل بهم كل التنكيل بقتل الرجال ونهب الاموال
الا ان ذا الذي يصدهم عن معاودة قصدنا في هذا العام لما شاع بين الخلائق
والعام من ان عشي حسن باي الذي كان يتولى قسنطينة قبلك لما توجه
بتلك المحلة كان في باطن امره مظاهرا لعلي باشا وساعيا في نصره وانما
اخل الامر ورجعت المحلة من الكاف بتدبيره وان الذي ليست كمثله لانك
قد جاهرت بعداوة علي باشا واطلقت لسانك في القول فيه بما ذا ابطل السعي
ثبت عنه جميع الناس ان ذا الذي شاهرت به عنه وعزم مقاومتكم له
وعاد هو الى نظائر من جاءنا من العرب بما ذا شيء عنهم في الحركة مرة اخرى لم يأتكم
منهم [illegible] نافع ضرره بل يكونون كلهم عليكم ولا طاقة لكم بقتالهم اذا كانوا
مجتمعين واخرى اكبر من هذه وهي انكم تظلمون عمالكم وتسومونهم للخدمة
وتستنجزون اموالكم ولو امكنتهم الغفلة التي يجعل اخر ما انفقوا لعلكم يوما واحدا

ولا يمنعهم من النقلة الى محل تونس مع فيه منهم ومجاورته اياهم الا علمهم
بانهم لو انتقلوا الى ذلك لتوهم فيهم او زد توهم من القتال الكثير وما في دونه فهي
الا لغلبتهم واستطالتهم على صاحب تونس وحيث بان نحن لم تعز مكاتبات
بعد اظهار تمام العداوة له استخفت بكم الرعية وطمع ذلك منهم
ضيع او اضربه ظلم من قبلكم في كل البيد فياويه ويستظهر به ثم اذا طلبتموه
لفي دعا اليكم تمادوا به بكم حيث كنتم عاجزين عنه في اذا وقع بينكم وبينهم
قتال فقل عنه من هو به قبيه من رعاياكم اكثر قتال ودافع عنه اكثر مدافعة
خوفا من استيلائكم عليهم وعقابكم اياهم وانعكس الحال فلو كنتم
انتم ورعية تونس القاطع ملكها مصيرا ملكا تونس ورعيته مع رعيتكم
القاطعين فهو ذا الامر ان خلا بحكمه من الى عادا بالانكليز الى ملك
تونس تغلبه عليكم بكثرة المقاتلين فوقع هذا الكلام في نفس
حسن باي واثر فيه وقال له صدقت والله واصبت في جميع ما ذكرته
ولا يكون هذا على يدي ابدا ولو كان فيه تلاف نفسي ودعا بكاتبه
في الحين فامره ان يكتب الى صاحب الجزائر ويعرفه بهذه المقاصد
الناشئة من ابطال الصلح ويقول في كتابه اما ان يتم امر الصلح
واما ان ات في قسنطينة وذاتيها بنفسي ما تشاء واما ان اقتل نفسي
وارمل بالاقتال وبقي مدة مغيب رسوله واجاكا الياس على
غاية من الحزن ومولانا ابو عبد الله يتعلل قبلية ويسكنه ويهون له الامر
وفي قلبه من ذلك الاحلاحه ولما بلغ الكتاب الى صاحب الجزائر حتى تامل اليه
وظهر له فيه وجه الراي وصوب له خاصته من شيعة المولى محمد باي
واي حسن باي وقالوا ارسل به علي باشا وعرض له امر الحرب فلم يجد من
يكفيه امره فلم يامر بانفاذ امر الصلح فكان من امرهما ما كان وفي تقدم

وسه

في اخباره ايده الله تعالى انه لما يعل عن الخنقة وبلاد الزاب واتصل ركابه العالي
بعشي حسن باي صاحب قسنطينة ووعده ان يقوم فيه و الوصل على
باشا وافام اعزه الله في الضواحي بنا جمعته وخرج المولى محمد باي من سوق في محلة
والتحق بحسن باي وخرج لقتالهم في محلة باذن من صاحب الجزائر ووافاهم
مولانا ادام الله بنا جمعته والشيخ ابو عزيز بن ناصر شيخ الحنانشة
وزعيم العرب المشهور بالوفا والمكارم في الحنانشة ومن تبعهم من الاعراب
اجتمع حسن باي بابي عزيز في محلته فوقعت بينهما مفاوضة
فغلا جبيها حسن باي على ابي عزيز حتى شتمه وسبه ونهره
من حينه ورجعا الى محلته ولحق بابنه ابي الهيم فاعتقله فارتحل ابو عزيز
من يومه نافضا يده من حسن باي ونازعا الى علي باشا فاهم ذلك المولى محمد باي
واقلقه لعلمه انه لا يتم له امر بدون ابي عزيز وانه في تروعه عنه فساد ما دبره
دبوره وبطلان امر المحلة فارسل الى مولانا اعزه الله تعالى بمكانه من نا جمعته
يامره بان يتوجه الى ابي عزيز ليسترضاه ويرده عن مقصده فامتثل امره اخيه وسار
الى الشيخ ابي عزيز في اربعة عشر فارسا من اتباعه فجاه وحل اليه وسلم انه
فيه وامره في الحال بتجريد خيله وخيل اصحابه ورد الامارة الاعتقال ولم دلة
اليه امرأة ابي عزيز تعلمه انه جاء بسم ليعتقل ابنه من حبس حسن باي
فوردت عليهم امرة الذا اعظم وارد وفزع اصحابه وانزعجوا لما يعلمون من غدر
ابي عزيز وجاموا انه ادام يفتك الله خلاص ابنه يكفهم غير علي باشا
ليتعنف عنهم بيا جزالة وبا خير فبادر ابنه فامرهم ايده الله تعالى بالسكت
وترك الضجار الجرع والتعامل كما معاركهم وقال لهم انا امتثلتم امره خلاصت
نفسي وخاصتكم والا فعدو وقضا في امر غيظهم وشرع في اعمال الراي في الخلاص
فاظهر غاية التبسط والادلال على الشيخ ابي عزيز وافتراح الولفة

الطعام كان يشتهيها حتى اعتقوا ابو علي بن ابراهيم في شيء ومما مضى به وكلمه
في صلاح رجلين من اصحابه لم يطيعا كم ما جاء من هما من الى عب والجنة وار وكلمه انه
موصل بهما في نظر بعض جوانحه فبعثهما وطاروا وقال لاصحابه قوموا حتى
منهما فيلا نفتضح بما كتموا امرهم وانكل واما اجعل في كل الشيخ ابا علي بن
في هذا ابنه ابي القاسم المسجون وقال له لو كنت اعلم اني ان اقتدي به من عمل
حسن بدى صالحته ورجعت معي ولم نعسر علينا امور لكنت اذهب
واقتدي به ولاكن حيث كنت عازما على خدمة عليه باشا فانا في معارفه لاني
اعلم انك تقتل لاجل غضبه ابدا وكل شيء فانا غير بارح عنه وحيثما توجهت
توجهت معه او ترجع عن همه وان شئت فاذهب في الى علي باشا فقال له
ابو علي بن انا عازم على الانحراف الى علي باشا وخدمته من غير توقف عنه في
ذالك ولا شك لي ان فعلت ذالك الاصر عليكم امرهم ولاكن ان انطلقت
واتيت بابني رجعت عن هي فما طفق له غاية الامتناع وقال له في مراده خرج عني
حتى نظفر بابنه فاذا حصل عندي امضيت رايه وبين كتابي حتى الى الجمعة
بينهما في ذالك الحال حلف له الشيخ ابو علي بن بالايمان المغلظة انه ان فعل
واتاه بابنه رجع عن خدمة علي باشا وعن الافساد عليهم فقال له لا اقبل شيئا
من ايمانك لاني عارف بها وقال له وجوه الخلق كيف هذا منونية كلما عاهد
عليه الشيخ فقال لهم لا اقبل ما تكلم لانكم لا تعرفون على مخالفته وجعل في يد
في القنع ويشتد وابو علي بن يروح طاعلى ركوبه وانطلاقه لعل ابنه
وامره عن ضده وحمل اصحابه محبلته من الحديد واني حتى وعى عليه اني كب
وكبه هو واهله وكلهم لا يصرفون بنزاله وركب معهم الشيخ ابو علي بن
مشيعا فلما فارقوا الحلة حشي مولانا ابن الله تعالى ان يبره له
فيندم فقال له ايها الشيخ لا تتعب نفسك وارجع فقال لا ابرانه

ارفعه

اتسعت مباحثه لبعض الخاصة كلاما ذكره الشيخ مرجع فلما عارفهم
حمدوا الله تعالى على هذا الخلاف الجليل من يرى هذا المأتي الخبيث الذي اعجز نبوها
ومكن كل ذي راي وكان مزامره بعدها الامام تقدم شيء جمع لو تتبعنا الجزئيات
الدالة على حسن تدبيره وصحة ارائه لاحتجنا ذلك الى من يتطوع وينشر
هذا الانموذج كعادته وانتخب جودة ذهنه وذكائه فكذلك
اني تشاورت من توفر الصحة زادها الله قوة ما ورايت ملوكا وعلماء
وعاشرت خلفاء من اهل العلم والادب ونحن هم ما رايت اذكى ولا ابحر ولا
اسرع فهما ولا اقوى عارضة منه ولم تعرض عليه كتب الانشاء الصادرة عن
امراء من انشاء ذي او انشاء غيري بالترجمة كتابة فيستعمل فيها انشاء
كثيرة الصواب فيها معه ومنها ما لا يكاد يتفطن اليه الا الكاتب المتولي
وقد اطلع عليه فصحح لشاعر وكان فيها موضع للنقد الا انتقد وبين
موضع الخطا منه وكثيرا ما يناظر علماء حضرته ويسبقهم الى الفهم في كثير
من المسائل الغامضة جودة قريحته وسيلان ذهنه وهذا لا ادري الا
مسالتين من المسائل المشكلة التي تورد بعضها او حل انتقادها دون
غيري من العلماء الذي وقع البحث معهم فيها من حضر بمجلسه
العالي وقت المذاكرة وغيرهم من عرضت عليه بعد ذلك ولم يتوصل
الى فهم احديهما محشي الدر المختار وموقعه في خبطة عشواء
واوقع غيره من النظار الاولى ان صاحب تنوير الابصار قال في باب المهر
ويجب مهر المثل في نكاح فاسد بالوطء لا بغيره وان اخره قال ويجب العدة
من وقت التفريق فقال شارحه صاحب الدر المختار شارحا لقوله
ويجب العدة من وقت التفريق مزجا ما نصه ويجب العدة بعد الوطء
لا الخلوة للطلاق لا للموت من وقت التفريق فلما نوى كمل الكلام بمجلسه

قف مستبين

الشافعي استشكل الفقهاء الحاضرون قوله للطلاق لا للموت لانه بعدما
قيد وجوب العدة بكونه بعد الوطء كيف ينفي وجوبها للموت وكيف
لا تعتد اذا مات عنها في نكاح فاسد وقد وطئها وجمعت حاشية
الشيخ اسحاق ابي ابراهيم الحلبي في بلد القسطنطينية فاذا هو قد قال قوله
للطلاق متعلق بتجب وفي تعميم محل الطلاق نظر فان الفرقة هنا فسخ
لا طلاق واجيب بان الطلاق قد يراد به المتاركة كما سيأتي في
نكاح الرقيق قوله لا للموت اي موت الزوج قبل الوطء لانه لو مات بعد
الوطء وجبت عدة الموت فقط كما يأتي في العدة انتهى كلامه
فلما عثر الفقهاء الحاضرون بهذا الكلام من المحشي وقنعوا به ورضوا به
في دفع الاشكال وخالفهم مولانا ابقاه الله تعالى قائلا انه لم يندفع المسئلة
الا اشكالا لان الشارح بعدما قيد وجوب العدة بما بعد الوطء كيف يحمل
قوله لا للموت على ما قبل الوطء وهل هذا الا تهافت واجاب
اعزه الله تعالى بما حاصله ان الاشكال انما نشا من قلة التدبر وتعليق
المحشي فيه كلام الشارح وهو قوله للطلاق لا للموت بتجب في قول
الماتن وجب العدة كما صرح به المحشي وليس الامر كذلك بل هما
متعلقان بالعدة اي حال كونها عدة طلاق ويجب في النكاح الفاسد بعد
الوطء عدة طلاق لا عدة موت اي انها تعتد بالاقراء لا الاربعة اشهر
وعشر سواء مات عنها الزوج او فرق بينهما او تاركها وهذا هو الاتي في
باب العدة وقول المحشي لانه لو مات بعد الوطء وجبت عدة الموت فقط
كما يأتي في باب العدة سهو فلا حاجة الى تعليق المحشي فيه بتجب
وبهذا يعلم ان النظر الذي اورد على تعبير الشارح بالطلاق في الفاسد
وما ذكر في جوابه غير محتاج اليه هذا ملخص ما اجاب به سيد

الله

الله وابه مع زيادة ايضاح وبيان بحيث اذعن له الفقهاء ونطق
لهم وجه الحق فوافق والذي اظهره من الفضيلة والثالثة انه كان يوما
بمجلس حكمه بعرض عليه الوزير الاجل وجيه الدين نزار مسئلة عسر
عليها في بعض الكتب ان يفهم وجهها ولم يجد فيه الا ان ذلك الكتاب
فاخفاها بلفظها ومحصلها ان جماعة من الناس اجتمعوا على راس
سقطة في زبية وازدحموا عليه فاصطكوا رجلا منهم بازدحامهم فسقط
على الاسد في الزبية فتعلق ذلك الرجل برجل اخر منهم وتعلق الاخر حتى
بثالث فسقطوا جميعا في الزبية وهلكوا فسيل عن ذلك امير المومنين
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه فقال للاول ربع دية وللثاني نصف دية
وللثالث دية كاملة فاسترعاني ايدك الله تعالى وسالني عن توجيهها
وطلبت منه المهلة لاراجع النظر فامهلني ففعل ان يظهر لي وجه المسئلة
استرعاني ثانيا وقال لي يجوز ان يكون وجهها ان الاول لما سقط بمزاحمة
الجماعة وجبت ديته كاملة في مالهم لانه سقط بفعلهم فلما سقط
الثاني وجبت ديته ايضا كاملة لكن نصفها في مال الجماعة ونصفها في
مال الساقط اولا الذي تعلق به لانه سقط بفعلهما معا والفعل
منصف بينهما بالتسبب والمباشرة ثم لما سقط الثالث وجبت ديته
ايضا كاملة لكن نصفها على الذي تعلق به وهو الساقط ثانيا وربعها
على الساقط الاول وربعها على الجماعة لانه سقط بفعل الجميع والفعل
منصف بين الثاني المتعلق به وبين غيره بالمباشرة والتسبب منصفين
الساقط الاول وبين الجماعة فعلم من هذا ان الاول وجبت ديته
كاملة على الجماعة وانه منصف دية الثاني وربع دية الثالث فلم يبق
بيده الا ربع دية والثاني وجبت ديته كاملة على الاول وعلى الجماعة

فقه مستعصي

مباحثة

وفي نصفها دية الثالثة فلم يبق بين الاصبعه دية والثالثة وجبت ديته كاملة على
الثالث الذي يلي منه شيء وقبله الدية كاملة ثم عرض المسئلة على كل من يغشى مجلسه
العالي من الفضلاء فلم يجب احد منهم بطائل وقطر الهم ان يطلبوا المهلة للتامل
والمراجعة ولهم العذر في ذلك اذ ليست هذه المسئلة مما يدرك تعليله
بالبديهة لغير من ايده الله بتأييد من عنده وذلك الفضل الله يؤتيه من
يشاء **واما شجاعته** فاعلم اولا ان الشجاعة خصلة هي ام
الخصال وينبوع الفضائل ومن فقدها لم تكن فيه خصلة مثلى بهمة ترفع او مكرمة
تكتسب لا تتحقق الا بالشجاعة الا ترى ان الشخص اذا اراد ان يعطي شيئا
من ماله خار طبعه ووهن قلبه مشى به فاذا اغضى عنه وفوبت بنفسه
وفهم قدر الاجر اخرج المال المضنون به وعلى قدر قوة القلب وضعفه يكون
طيب النفس باخراجه او كراهة استطالة وعلى هذا النمط جميع الفضائل فلا بد من
قوة النفس التي تتحقق بقوة القلب بطاعة امتثال الاوامر والانتهاء عن النواهي
ومطالب اكتساب الفضائل وينتهي عن اتباع الهوى والتصبر بالاذى وبصبر
الجليس عن اذى الجليس وجفاء الصاحب وكتم الاسرار ودفع العار وتقحم
الامور الصعاب وتحمل اثقال المكاره ويبنى عليها اخلاق الرجال ويتغافل
كل عن لمية وريبة اوجبها الحزم والعمل وقصد الرجال فيه وجوه الرجال
وقلوبها مشحونة بالضغائن والاحقاد وليست الشجاعة والصبر وقوة
النفس ان يكون الرجل مصرا في المجال الحرب جالب البلاء وان يكون صبورا
على الضرب والتعب مصمما على التغرير والتهور بان لا صبغة التجسر والتجاسر
ولكن ان يكون صبورا على اداء الحقوق عليه صبورا على سماعها والقائها
اليه غالبا لهواه مالكا لشهواته ملتزما للفضائل مجتنبا عن ما يعيبه الك
على الحقيقة التي لا محيد عنها حياة ولا موت كما كان علي الحسين رضي الله

عنه

عنها يا بني ما يبالي أبو أنوار الخلق في العدو إذا كان على الحق وهذا معنى
الشجاعة على العموم المندرج فيه جميع الفضائل تحت الشجاعة ودخولها
فيها لكن الكلام ههنا الآن على الشجاعة بالمعنى الخاص وهو اقتحام الشدائد
في الحروب وخوض غمراتها وثبات الأقدام في مقارعة أبطالها وإن لمولانا
أيده الله تعالى في ذلك المشاهد المشهورة والمواقف المذكورة والوقائع
المنصورة مما يشهد به العدو العاني ويقر به المنكر الجاحد فقد كان له
في حرب يونس أيام منازلته الفقيه وزان ما أغنى فيه بفضيلته الجمهور وتناولته
الألسن على مر الدهور وكان أعزه الله تعالى لكل ملمة ولدفع كل شدة
فمن بعض مشاهده الشاهدة له بكمال الشجاعة وتمام الحزم وشدة
والجولة ما أخبرني به من أثق به وسمعته من غير واحد أنه في أثناء القتال الذي بينهم
وبين يونس في بعض منازلته للفقيه وزان مدة طويلة فكان يونس يخرج
كل يوم في عساكره وجنوده ويخرج المولى الأمير رحمه الله تعالى
في جنوده من الفقيه وزان ويقع بينهم مناوشة ومنازلات إلى وقت الظهر
ثم يرجع يونس إلى محلته ومن جملة عادته أنه إذا انتهى إلى المحلة
أطلق المدافع واستفتح بها فيعود المولى الأمير إلى البلد
ويخرج السرح فاحتال له يونس في بعض الأيام فأظهر الرجوع إلى محلته
كعادته وجعل خيوله وراء الزرائب وأمر بإطلاق المدافع في المحلة فعاد المولى
الأمير إلى الفقيه وزان بجيشه وخرج السرح وبقي مولانا أعزه الله تعالى
لحمايته على العادة وسار حتى نزل تلقاء الزرائب التي خلف يونس خيله وسار
يونس والزرائب تحجبه إلى أن لم يبق بينهما إلا مسافة يسيرة فاجتمع به
بعض أصحابه مولانا نصره الله تعالى فأسرع إليه وانتزع به مجال في
فنون فرسه وركب من كان نازلا من أصحابه خيولهم وانقلبوا جميعا فأغار

يوضع في آثارهم فيفوتوه ولم يدركهم وعطف على السرح فأخذه واستاقه
خيوله فصعب ذلك على مولانا أعزه الله تعالى وأدركته رجوليته وثارت
حميته فعطف وكر راجعا لاسترداد السرح وفر عنه عامة أصحابه ونكلوا
فلم يتبعه إلا الحاج علي بن عبد العزيز وأبو الضياف بن الشيخ أبي
وعثمان أبو حلومة فحملوا بأربعتهم على تلك الجنود التي لا تحصى كثرة فمزقوا
الكتائب بين أيديهم وأبو الضياف يقول ما بي الآن أموت على سعيي
جلال فدافعوا دفاعا شديدا حتى انتزعوا السرح بتمامه من أيدي
العدو ولم يبق منه إلا بعير واحد عاقه الشكال فهم مولانا أيده الله
تعالى بالانثناء فأبى عليه أصحابه وجعلوا لا يرجعون إلا بالبعير
أو يموتون دونه ولم يزالوا يقاتلون دونه حتى قطع أحدهم شكاله
بسيفه ورجع به وضمه إلى جملة السرح ورجعوا به ظافرين وفرح
المولى الأمير من الغنى ولقي الإلاء الحي فوجدهم قد رجعوا من قتالهم
وجرح في ذلك اليوم أبو الضياف ابن الغازي أي أصيب بجنة على كتفه فكان
فيها حتفه رحمه الله تعالى ومات على سعيي جلال كما قال وفي بعض
تلك الأيام أغارت أولاد مناع على سرح لأهل الغنيمات وهم نحو
أربعمائة فارس واستاقوه فأدركهم مولانا أبقاه الله تعالى
ومعه الحاج علي أيضا فقاتلوهم عنه وانتزعوه من أيديهم
وبقيت منه بقرة واحدة في أيديهم فحمل عليهم الحاج علي لانتزاعها
منهم فقالوا له قاتلك الله دعها لنا نتعشاها فقال لا والله إن
تركتها أو حتى يعطى علما رأوا الجد تركوها وانصرفوا وقالوا له خذها
لا بارك الله لك فيها وأمثال هذه الوقائع لو حكي عن ربيعة بن
مكدم أو عتيبة بن الحارث بن شهاب أو دريد بن الصمة أو عنترة



العبسي وأمثالهم من فرسان العرب لعدم منافقهم وخوفه به من جملة ما ترتكم
وقد تقدم في جملة أخبار أبقاه الله تعالى أن أخاه المولى محمد فلاي
رحمه الله تعالى أيام مقامه بسوسة أرسل إلى أبيه بمكانه من الفتح وأن
يستنجده على جنود علي باشا وهم بالقلعة الصغيرة فرأى نجوه
فأمده مولانا أيده الله تعالى في جيش من الترك والعرب ونزل على سوسة
وعسكر بظاهرها وأقبلت المثاليث مددا لأهل القلعة ولم يعلم من
جند علي باشا وعسكر المولى محمد فلاي أن المثاليث أقبلوا وكشفوا
فلاهم حول الجبال خيامهم من الخامية فطمع فيهم وركب الخيل لتبييتهم
وأمر مولانا أن يبعث خلفان خيله معهم وكانت عنده كتيبة مختارة شجاعة
وخيالة وفي وكيف يقتحم بهم كل شدة ويخوض بهم كل لجة فأبى عليه وقال
هو لأبي لا أبعثها في ولا إمارتهم فإن شئت سر معهم فأعطاهم ولما
وطئت الخيل من سوسة بلغ خبرهم إلى جند علي باشا بمكانهم من القلعة
الصغيرة فانتقل والفرصة وصبحوا فقتلوهم مولانا أيده الله تعالى بموضعها
من ظاهر سوسة وكان أعزه الله تعالى باتا بالمدينة عند أخيه فلما سمع
هيعة الغارة أمر بفتح باب المدينة فامتنع أهلها خوفا من هجوم
العدو عليهم معهم وقال لهم كيف تؤخذ محلتنا ونحن فتحنا من
وراء الجدران افتحوا الباب فتحوا له فخرج وخرج المولى محمد فلاي
فوقف بظاهر البلد ونهض مولانا أعزه الله في لحق العدو فرأى معظم
قد استولى الشر عليه فسيل ماء هنالك وسار هو مستقبلا ومعه
قليل من الفرسان ورجالة الترك والعرب فأجهض العدو بالرماية وتكاثروا
عليه والوى عنانه إلى البلد وأدركه العدو يتخطفون الأجال حواليه

ودخل خيله الذين استبطنوا مسيل الماء في غمار العدو فلم يسعى وايهم لكونهم
وقلة تلك الخيل فيهم ودخل المولى محمد بن البلد ونزل اهل سوسة من اعالي
السور حتى ابان الى بيوتهم فلما راء مولانا ايده الله تعالى شناعة تلك
الفرقية همت به همته العالية فنادى في اصحابه بالكر وعطف عنانه نحو
العدو وهم الوف ولم يبلغ عدد من بقي معه من الفرسان العشرة فلما
راوا صدق حملته افلوا واعز قياده ولم وانجمعوا فلما راى ذلك من دخل في غمارهم
من اصحابه ثابت اليهم نفوسهم ورجعت اليهم عن ابصارهم فبذلوا جهدهم
من بليه من العدو فلما راوا ذلك ارتابوا وظنت المخازنية منهم ان العرب
غدروا بهم وظنت العرب ان المخازنية غدرت بهم فسقط في ايديهم جميعا
وكانت هزيمتهم فولوا الادبار لا يلوي احد على احد وتبعتهم خيل مولانا ايده الله
تعالى تقتل وتاسر ونهب ابن القلعة الصغيرة ولما كان ذلك العام في
مستقر اجتماعه قسنطينة خرج حسن باي بالمحلة قبول امان ايده الله
تعالى ووفد عليه رجب بن احمد الصغير وكان اذ ذاك يتولى الحنانشة
بعد مهلك الشيخ احمد بن بن نصر وكان في نفس حسن باي عليه
شيء فاغتنمه وعزم على غزو ناحيته وتضييعها وامر مولانا ايده
الله تعالى ان يركب الى ناحيته وبعث الى محمد بن سلطان ابن عم رجب
فيستفزه وبعث اليه ان يوافيه صباحا للغارة على ناحية الحنانشة
اصحاب رجب وركب ايده الله تعالى وسار بقية يومه وليلته ومعه
نحو عشرين من اشياعه فاضلوا الطريق ولم يهتدوا الى صوب
ناحيتهم ولما اصبحوا وجدوا الفسح قد ابعدوا فجمعوا على اثارهم
وقد فاتهم ما قصدوا اليه وكان حسن باي قد قرب ناحية الحنانشة

فلحقهم

فاجزوهم في صبح ذلك اليوم وفي دقة خيولهم منهم مدة فلما ارتفع الضحى
اقبلت طائفة منهم فطاردت مولانا ايده الله تعالى فلما رأى الجماعة مع عدهم
وعددهم فخافوهم على نفسه وامتنعت الجماعة الى الغيبة عليه ليستخلصوا
به طاجينهم فحملوا عليه فثبت لهم وامر الحاج علي بن عبد الغني ان يحمل عليهم
فحمل ثم حرض مولانا اعزه الله حسينا بو طاغان على الحملة وغيره ووبخه
فحمل عليهم ايضا فما فتق منه خيل الخنانشة وولوا الادبار ورجع الحاج علي
وحسين بو طاغان الى موقفهما فبينما هم كذلك اذ طلعت عليهم اعنة
الخيول من كل ناحية فقال مولانا اعزه الله تعالى لاصحابه لما رأى منهم اجرمنكم
فانكم اذا دهمتموهم واختلط جاسوا واعلينا ولاكن ناولوهم في مداحلكم
واحدة بعد واحدة فما رميتهم حيث فانه اذا كانت كل رمية تردي فارسا
منهم ذلاهم الافراد علينا وهم يعلمون انه ايده الله تعالى ارمى الناس
لا يكاد يخطى في رمايته فبكانت عليهم الخيل واقبلوا من كل اوب واحدقوا
بهم من كل جهة فلما رأى مولانا ايده الله تعالى كثرتهم علم انه لا طاقة له
ولمن معه بقتالهم فرجع الى رأيه السديد وعمله الثاقب الاصيل
فناداهم باستعداد الخنانشة انا فلان بن فلان وان صاحبكم رجب
ابن احمد الصغير قد مات قتله حسين باي ووليت عليكم مكانه ابن عمه
محمد بن سلطان جعله الله تعالى مباركا عليكم وقد وجهني حسين
باي لاتيه به فيخلع عليه ويعقد له على الخنانشة وعلم ان هذا الكلام
يخلصه منهم لانهم انما يريدون ان يقبضوا عليه ليستنقذوا صاحبهم
وحيث هلك فلا معنى للقبض عليه الا زيادة في عداوة حسين باي
ولانهم يعلمون ولاية محمد بن سلطان بعد رجب ولذلك هو ان يتولى

عليهم يومين. ثم اتى عنده فلما سمعوا هذه المقالة ترجلوا عن دوابهم
وقبلوا نحره وقبلوا يده واعتذروا اليه بانهم لم يعرفوه ثم ركبوا خيولهم وكروا
وانهزموا راجعين وهذه الواقعة تشهد بكمال الشجاعة والثبات والشهامة
والنجدة وغاية كمال التدبير لانه في ذلك الموقف الضنك وجودة
الراي وتحقيق التمييز قال ابو الطيب المتنبي

الراي قبل شجاعة الشجعان ... هو اول وهي المحل الثاني
فاذا هما اجتمعا لنفس حرة ... بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى اقرانه ... بالراي قبل تطاعن الاقران

وفي ايام مقاتلته لعلي باشا بتونس خرجت عساكر تونس من متاريسهم
رجالهم وخيالهم وقصدوا محلة الجزيريين بكاملها من مغيرة حتى جاوا اليهم
وركب حسن باي والمولى محمد باي ومولانا ايده الله تعالى في خيولهم
والتقى الجمعان فلم يلبث الا مقدار ان انهزموا وولوا الادبار وتبعهم
عسكر تونس وولى حسن باي منهزما وتبعه المولى محمد باي وكانت
الهزيمة لا شك فيها فثبت مولانا ايده الله تعالى وامر نفرة من
الطايب ان يصيح للهاجية بحبسهم حيثما وامرهم بضرب طبولهم
وصب بياناتهم وابواقهم لتثبيت المنهزمة واتى الى ابرهيم بن ابي علي بن
شيخ الخنانشة وعاتبه على الفرار من غير كبير قتال فثبت معه
وتكلم مع الخنانشة فقالوا انا الحق تبع لك ثم وقد انهزموا بما يقع
دفاعا عنا فسار الى الترك وهم منهزمون فعاتبهم ولامهم على فرارهم
من غير موافقة فاعتذروا بغيبة اميرهم لان حسن باي بادر بالهزيمة
وقالوا اين الباي فقال لهم انا الباي وها انا ذا امامكم وحضهم وحرضهم

نظرة

جلم

حميتهم ببعض ما قاله لهم وبكى وابكاهم اجمعين وكف الخيل وثبتوا للقتال
اخبرني ابي الله تعالى قال والله ما فعلت الذي فعلته من ثباتي وثبت
العسكر طمعا في عود الكرة لنا ولا رجاء للغلبة لاني لما رايت تلك الهزيمة
الشنعاء ايست من ذلك وانما اردت ان يستمر القتال برهة ريثما ينجو اخي
بنفسه حتى لا يدركه الطلب لانه لم يكن له طاقة على صهوة الركض لثقل
جسمه رحمه الله تعالى ففعلت اشغالهم عنه حتى ينجو فلما ثبت الخبر بنجاته
وعادوا للكرة لم يلبث عسكر تونس ان انهزموا واستمرت بهم الهزيمة
الى ان دخلوا منازلهم وكانوا متفرقين جاءوا على غير تعبية ولا اتفاق ودبر
يدبر امرهم واميرهم محمد باي ابن علي باشا جالس تحت المترس ينظر اهل
الى ان فلما راى هزيمة عسكره جعل يبكي ويخضع له وسايس جيشه
وخورا وسوء تدبير ومن ذلك اليوم استفحل امر الجزيريون واخذ
امر علي باشا وابنه في الخلال والتلاشي الى ان كان ما تقدم ذكره
من اخذ تونس ودخولها في التاريخ المذكور ومن دخلها مولانا ايده
الله تعالى هو وحسين باي وقصد دار البلي التي اسكن العصبة
وجدا عيالات علي باشا تيسوي في حسين باي ما عندهن من الحلي
والجواهر بدخل مولانا ايده الله تعالى وامر النساء ان يعترفن
في الجي ووضع في صابح الدار واجلس عليه حسين باي ودخل هو
ايده الله تعالى على زوجه الجليلة ابنة علي باشا فامرها ان تجمع له ما
عندهن من الحلي فاخرجت له من ذلك شيئا كثيرا وخرج به فتيان من
الخصيان بوضعوه بين يدي حسين باي فلم يرض وطلب احضار ما بقي وجاء
مولانا الى زوجه وامرها ان تخرج له جميع ما بقي عندها فاخرجته له فلم

في ضد حسن باي ايضا بقال له مولانا لم يبق عندهم شيء فرأيتهم تجميع
ما عندهم قال لا حتى ادخل بنفسي وانظر هل بقي شيء فقال له كيف تدخل
على الحرم وبيطلر زوجتي فقال لابد من ذلك فجاولوا ولم يخرج وصمم على الدخول فيه
فلما طلبت الرفاعي عيضى مولانا نور الله بصيرته وقال فيه الله
ملدا لي آ بمثل هذا وشتم حسن باي وعراه مكلحة من وسطه
فاجتزيها وسوى وزاد فأبرميه بها فلما رآه حسن باي منه الجبل
ومن بيز بيموح هاربا جعروا الى ويهشم في كبد وهو لا يتصر ضمور جمع
الى محلته واصبح يتمني ويتعلل ويقول على باي يوم ادخلته بلدي
اراد ان يقتلني وكان هذا من اسباب خروج مولانا ايده الله تعالى على الاتي
الى صفاقس واقامته بها الى ان ارتحل حسن باي من تونس فانتقل المولى
محمد باي في يوم رحيله من القصبة الى باردو وفي عشي ذلك اليوم
ثار عسكر تونس واجتمعوا ببطحاء القصبة ودخل معهم طائفة
من طغام عسكر الجزائر خلعوا محلتهم وصولتهم انفسهم ان يملكوا
البلد وينصبوا للمروحة منهم الا انهم حجبوا عن ذلك ولم يبرحوا
به واخذوا يتعللون بان العرب ظايفوهم في المساكن والملابس
وصار الجندي لا يتميز منهم واشياء غير ذلك لا حقيقة لها ودخلوا
ربض باب السويقة وعاثوا فيه ونهبوا وقتلوا نحو امن ستين نفسا
ثم في فهم ايل ومن الغرا جتمعوا ببطحاء القصبة ايضا وتكاثروا ودخل
معهم من لم يشهرهم بالامس وركب الراي مصطفى بن دغلي والظن انه
يسكنهم وهو في ضع في البلد وجمعا ومنته نفسه الاماني ولما تم له
اجتماعهم في جوامع البلد ونصروا المولى محمد باي لمكانه من باردو ولزوم

ثم الله

لزالة خوف تخوفا شر يراه وامر بغلق الابواب ووجه اليهم المراجع ولم
يكن معه بباردو الا نفر من اتباعه فلما توسطوا الحلفاوين توقفوا وتآمروا
فيما بينهم ثم رجعوا تخذيلا من الله تعالى لهم ومن الغد اصبحوا مجتمعين ببطحاء
القصبة ايضا وكان المولى محمد باي يطير الخبر الى مولانا فيداركه من صباح نفس
من اول ثورتهم واستعجاله للقدوم عليه فوصل اليه الخبر في يوم عرفة
في حينه فسار ليله ونهاره وطوى المراحل حتى نزل بباردو عشيا
واجتمع باخيه واشتد به غضبه ولما اصبح الصباح ركب الى بلد
تونس فقيل له ان هذه ثورة عظيمة ونخشى عليك من بادرة تبدر
من بعض طغام الناس اذ قلبا تاتهم فلم يقبل حتى اتى القصبة فاشير
عليه ان يجلس بسقيفتها في مجلس الحكم لانه اهيب فابى وجلس خارجها
بالبطحاء وارسل الى رؤوس الثورة من عسكر تونس وعسكر [illegible]
فاقبلوا اليه متقلدين اسلحتهم فقيل له مر بوضع اسلحتهم فابى
وقال الذين يعتقدون ان في قلوبنا هيبة لهم فلما مثلوا بين يديه
شتمهم ووبخهم وعنفهم حتى كادوا ان ينقضوا عليهم من الرعب وحتى ان
احدهم بال في سراويله من شدة الخوف وقال للعسكر [illegible] من وجدته
منكم بتونس بعد ذلك ضربت عنقه وردهم ولم يعاقبهم باكثر من التعنيف
سياسة اقتضاها الحال فرجعوا وفتر امرهم وسكنت ثائرتهم وكفى
الله المومنين شرهم ثم بعد ذلك تتبع المولى محمد باي الكبار منهم فاباد هم
وخضد شوكتهم وصفى له ملكه واما كبر النفس وهذا الوصف من
الاوصاف اللازمة للملوك غالبا فيمن ملكهم نعم قل من يسلم منهم
مع ذا الامر رذيلة الكبر ولا يعتريه عوار كبر نفس الملك اذا تخلى عن ملكه

والجاته الضرورة الى غيره ودخل تحت ملكته خصوصا ان كان عدوا له
وقد تغلب مولانا اعزه الله تعالى على ملكه وبار مستقر عزه وسلطانه
وقد عنته الحال التي اشتغل بها احياء العرب وعقد الزمام من رقابهم
والاستجارة بجوارهم ثم الالتجاء الى امراء الترك بقسنطينة والجزائر
فلم يك خاضعا لاحد منهم ولا مستخشعا له ولا واضعا من نفسه
عنده بل كان في جميعه الدهر معتزا متكرما وافر الجاه والحرمة عالي الهمة
حافظا لناموس الملك لم يتغير شيء من سمته وهديه ووقاره ولما
وفد على حسن باي صاحب قسنطينة اول الفتنة لقيه ترجل له حسن
باي عن فرسه وعانقه واستمرت الحال بينهما على ذلك كلما دخل
عليه قام له وعانقه فلما طالت المدة انكر ذلك الحسن باي من فعل
نفسه وكانه انف من القيام له لما فيه من العجرفة مع ما في نفسه
من العداوة فتكلم في ذلك مع بعض من خواص الصبايحية الذين كان
مختلطا به وقال له لم لا يقبل يدي وانا في مقام الولاة وامره ان
يكلمه في ذلك فاتى ذلك الرجل الى مولانا اعزه الله تعالى وقال
له انت محتاج الى هذا الرجل في نصرتك واستخلاص ملكك وقد علمت
فساد باطنه معك فلو قابلته بتقبيل يده كان ارجى لاستصلاحه
ودفع غائلته فقال له اخبره عني اني لا اجيبه ولو امرني ما اجبته
مستنجدا به لابي رحمه الله تعالى مستمر حاله على عدوه
الذي ضيق عليه واشفقا على استئصاله فلو امرني في ذلك الوقت
بتقبيل رجله لفعلت لاستنقاذ ابي واني طلب ذلك الى مرضاته
فاذا هو قد ترجل لي عن فرسه وعانقني ومشى الامر بيننا على ذلك

فالآن حين مات أبي وفات ما كنت أمله من عود الكرة فلم يطمع مني أن
أفعل بعده وأي شيء أرجوه من قبله إلا الإعانة على استرجاع الملك فقد
أعد ملكا يأتي بالزلة والمهانة والله لا جعلت ذلك أبدا فترتب عليه
ما يترتب بعد ذلك [illegible] أبي الفضل فقطع الكلام إلى حسن [illegible] فسكت
وأيس مما أراده منه ولم يعاود الكلام فيه وأما [illegible] معنى د
لم تسمع به الأيام ولا اشترك في مواضعه الأبطال ولا عثرت عليه في
صحائف الكتب الكرام وهاهنا حكاية عجيبة في بابها أوردها ليزيد
ما نقصه من مقدار ما اشتملت عليه من الدلالة على الكرم والشهامة
وكبر النفس والمواساة والإيثار وهي أنه كان في بعض أيام جولانه في
البحر [illegible] فتاد عنه وانقطعت عليهم الميرة فكان يؤتى إليه في كل
يوم في غيبة وقته قليلا من التمر فيقسم ذلك في أصحابه فينال كل واحد منهم
قطعة منه إلى غير [illegible] ويناله من ذلك حصة كما جرى لهم إلى أن
ذلك الحال بلغ ذلك الأمر كل مبلغ وأخذ به الضعف وطرأ أمره إليه في
بلغ به لا يستطيع أن يركب الأعمال على وجه [illegible] يوما جزر وا الزاد
بجفنة فيها خبز مفتوت بسمن وولي ودخل بها إلى محل خلوته ووضعها بين
يديه وقال له كل هذه لتتقوى بها فقال له أدع أصحابنا يأكلون معنا
منها فقال إني أوثرك الطعام فلا يلزم أن أكل واحد منهم شيئا منها معنا
وكيف يكون ذلك ومن أراه بحد الجوع وأكثرهم عفى فقال إني أدخرتها
فحلف مولانا أمير المؤمنين الله تعالى لا أكل منها شيئا وقال له إني أراك تتحرك
إنما صرت على أشد استناد [illegible] وهم هلكى من الجوع
إن كان الله تعالى [illegible] بلغ أعيش [illegible]

وان فرق لي عنه الا ذاهب بالتي تغني عني شيئا وكنت على الحالتين كما غني
ليم فقال له يا سيدي اطلق امراتي وادعوهم فياكلوا معها قال لا والله
لا اكلت منها وان شئت فادعوهم بطعام فاكلوها وما ذاق هو منها شيئا وما
هذه القضية ببعيدة من قضية كعب بن مامة في الماء التي يضرب بها مثل
الامثال من اجلها الا ان الاول في بعض تلك الايام ايضا وهو بناحية تكرت
نفدت نفقته ولم يبق معه الا عدد قليل من الدراهم فاتاه رجل ضعيف
ومعه بنية له تحمل جوف راسها طبقا بالتي ما هي الا فما شرع في ذراري
الى ادين وقال له كم يغني عنه كذا قال كذا وكذا قال اعط لهذا الرجل
وضيع الان ما قلنا انا نعين عن الاوجعت اذا فعل كل ما عندنا من النفقة
بر بعده للرجل وبقي للمالك درهما ولا دينارا فلما كان بعد يومين او
ثلاثة اتاه عيال الفقير منه الى الولي الامير رحمه الله تعالى
ارسله اليه من مكانه بالغنى وان مال النفقة ما اتسعت به حاله
ولما كان نازلا مع التامسنة بعد ارتحاله من ظاهر قسنطينة
نفدت دراهمه ايضا ولم يبق عنده الا اربعة دنانير ذهبا لا يملك
غيرها فنزل منه ومن اصحابه الى الخ فاشترى بها حلاوة من التمر فاطعم
عيالهم لنفسه وفرق اكثره العيال الباقي وكان اكثرهم او كلهم
عنده الدراهم ويعلمون ان نفقته نفدت ولم تسمح انفسهم بدفع
شيء مما اخرجوا لانفسهم فضاقت نفسه من ذلك وتحير من طمعهم
فيه مع علمهم بنفاد نفقته مع وجود الدراهم عندهم حتى هم ان يكلمهم
في ذلك ثم رجع الى نفسه وقال ان لوم اصحابي بلا لوم معهم وما عسى ان
تغنيني هذه الدراهم فلم يبق له على ذلك الا ايام وجاءه رجل الى بـ

لايحي به

لا يفي به وذلك لأن والد المولى الأمير كان قد اشترى منه غنما وأنه باعها
وأدى بثمنها ألفي ريال وخمسمائة ريال فقبضها منه وأمضاه إلى أجل فلم يدفعه
إلى الآن وهذه كرامة أكرمه الله تعالى بها لا شك فيها وهكذا صنع الله
تعالى معه في غالب أحواله فعليه أيده الله تعالى أن يزيد في شكر أنعم ربه
وبقا بلدنا ما هو أهل له من مزيد الإحسان إلى خليقته وإلى أمته جميعا
هو دأبه طبعه الله تعالى إحسانه لربه فهذه كانت أحواله في ساعة
العسرة ووقت الخصاصة وأما عطاياه وجوائزه وإحسانه وصرفاته
الجارية بعد عوده للملك واستقراره على أريكة سلطنته فشيء
لا يستوعبه الحصر ولا يدانيه العد ولو أخذنا في استقصاء جميع
جزئياتها لاحتجنا إلى تأليف مستقل في عطاياه أيده الله تعالى
متتابعة متواصلة على ممر الأيام خصوصا على فقهاء حضرته ومن
اختص منهم بشيء فلا تخلو ليلة من الليالي لا ينالهم فيها إحسان
ولقد وصل إلي من عنده أعزه الله تعالى فيها في مدة ما لا أذكره قبلا
أنسب إلى التبذير وخصوصا أيضا على الفقراء الواردين على
حضرته من المشرق والمغرب فقد بالغ في مراعاتهم وإيصال الإحسان
إليهم لا سيما من كان منهم منتسبا إلى علم أو صلاح ولقد ورد على الحضرة
سنة ثلاث وتسعين شاب اسمه عثمان بن ... ولد الأستاذ
الأكبر مولانا عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه يدعي دعوى عريضة
عن الوالد الكامل أخبر به بعض من رآه فلقي من حصول القبول له بها
والتسليم لدعواه فأقام بالحضرة نحوا من أربعة أشهر وصل إليه
فيها من نائل حضرة مولانا أيده الله تعالى ما ينيف على عشرة آلاف

دينار ما بين مال وكسوة وخيل وغلال اجرى بيالهم وما بين وغير ذلك مما انبعث في
نفسه لاي يجمع ان صلاح ولاة علم بل الغالب عليه الطيش والتهور الا انه اصابه
المذكور انه غير ذلك احسانه للشعراء والاتباع والحشم والعصاة والاعيان
وغيرهم مما اغنى فيه الخبر العيان لاكنا نذكر من ذلك ما كان المقصود منه ما
عند الله تعالى مما هو خير وابقى فمن ذلك انه تفضل على الفقهاء
وطلبة العلم بمال الجزية كلها في جميع عمله على كثرته وزادهم على ذلك ما
يقاربه او يماثله حتى حصل ذلك لجميعهم على ما فصلناه سابقا وهذه
احدى الحسنات العظام والخيرات الجسام ابقى وفقه الله تعالى لاحراز
مثوبتها والظفر بفضيلتها وفي الحجة من سنة تسع وثمانين صرف همته في
جانب المتقاعدين من العسكر حكمة لا يسبق اليها وذلك انه من جرت العادة
في الديوان المنصور ان من كبر سنه من العسكر وضعف عن السفر او حصلت
له زمانة او غيرها من الامراض التي تقعده عن الحركة ولم يقدر على خدمة الديوان
لم تبق من مراتبه الا ثلثه فانه يعفى من الخدمة والاسفار وحمى اسد الثغور
ويقطع من راتبه ثلثا ذلك مقدار ما يسمى وتسمى هذه الطائفة بالمتقاعدين
فلما علم ايده الله تعالى ضعف حالهم وان المقدار الذي ردوا اليه لا يكفيهم
اقتضى نظره السديد ان يرد مرتباتهم رفقا بهم وشفقة على ضعفهم
وامر ان تكون اسماؤهم في جريدة ويعرضوا عليه وباشر ذلك بنفسه ونظر
في احوالهم وزادهم في اعطياتهم على حسبها فمنهم من رد الى عطايه
التي كان ياخذها زمن الخدمة ومنهم دون ذلك على ما اقتضاه النظر في
احوالهم ومن كانت فيه فضلة واختار الخدمة رد الى عطايه الاول واخرجه
من ديوان المتقاعدين ورسمه في ديوان الخدمة مع زيادة في رواتب

معنو

معنى ولي الاغوات على المقدار الذي دون الذي حين تنقص خدمتهم وذلك
ان الرجل من العسكر يتوصل الى ان يصير اوضه باشي ثم كاهية ثم يترقى الى ان يصير
بلوكباشي ثم يترقى في الى ان يصير اغا العسكر بالديوان المنصور فيمكث
كذلك ستة اشهر ثم يخرج فلا يدخل الديوان بعد ذلك ولا تبقى له خدمة
اصلا ويسمى معزول اغا ويعطى راتبه كاملا الا ان عشرين ناصريا واكثرهم
يكون راتبه قد بلغ النهاية وهي تسعة وعشرون ناصريا فرسم ايده
الله تعالى ان يزيدوا الى اربعة وعشرين ناصريا بزيادة اربعة ناصرية على القدر
الذي كانوا يردونه اليه اعانة لهم ونظرا لمصلحتهم ثم فعل ايده الله تعالى من
امر العسكر في مصلحة اخرى عظيمة النفع والفائدة للانصار الاعز همته
همته ان امر ما اعطاه لحسن الهيبة وذلك انه قد جرت العادة في الديوان المنصور
ان من بلغ راتبه اثني عشر ناصريا وكان له ولد رسم اسمه في الديوان
بنصف ناصري فان مات والده بعد ذلك كمل له ناصري ويسمى ناصري
اليتيم الى ان يكبر ومسمى في الديوان فلا يحتاج حينئذ الى رفع بعد
به لان اسمه مرسوم هنالك ومن لم يبلغ راتبه اثني عشر ناصريا لم يرسم
اسم ولده في الديوان فان مات وكبر الولد واحتاج الى الاثبات
في الديوان فربما تحصل له مشقة ان لم يكن معه ورقا مشهورا فانه
يطالب باثبات نسبه فرأى ايده الله تعالى من المصلحة ان الذين هم اولاد
من ماتوا قبل استكمال الاثني عشر ناصريا بنصف ناصري بالجيد موقف
ءاباءهم ليكون ذلك حفظا لاسمائهم في الديوان مع ما يحصل لهم من
النفع بما ياخذونه وان كان يسيرا سيما من كان منهم يتيما او من دفع
على هذا النمط من كلامنا من لم يعلم احوال الترك وتشريك الملوك السابقة

في شأنه وضبطهم له ومبالغتهم في الاحتياط عليه ربما استصعب هذه الامور
وليس الامر كذلك فقد كان امر الرواتب قبل ايالة مولانا ادام الله تعالى وجوده
في غاية الصعوبة لا تكاد تجد ملكا من ملوك افريقية يتساهل في اليسير منه
ولقد رايت دفتر محمد باي ابن مراد باي في سنة ولايته الثانية وهي سنة
سبع وتسعين والف فوجدته قد نقص من رواتب الفقهاء كلهم الا افرادا
حتى ان راتب الشيخ الفقيه مصطفى ابن عبد الكريم مفتي الحنفية قد كان
كاملا تسعة وعشرين ناصريا فرده الى ثمانية عشر ناصريا ولقد الزم على
بلد تونس كثيرا من الفقهاء السبعي والخدمة او يتركوا الرواتب وعين كثيرا
من المؤذنين بجوامع الحنفية ليخدموا ولم يبق بها الا من لا راتب له او من
كان معه حاجز الخدمة بسبب اخي بقي الاذان ولقد كان الفقيه من الحنفية
يختم العلم السنين المتطاولة ويرابط في تحصيله ويبلغ مرتبة التدريس
ولا يتوصل الى شيء من راتب وهو لانا ايده الله تعالى قد سهل رواتب اكثر
الطلبة المستفيدين في اول بداية طلبهم واعفاهم من الخدمة اعانة
لهم على طلب العلم وحرصا على تكثير العلماء حتى بلغ عددهم
واني هذا ما صدر من سيدنا باي ابي علي باي ثاني ملوك بني مراد باي المتقدم
الذكر فانه وقع بعد يوم الجمعة اني في جمعة ذي حجة ابا لحلة سنة
اربع عشرة على محمد شبشارة رئيس المؤذنين بجامع جده حمودة باشا
فقال له انت عصيتي يا علي اراد بغير صلاح في مثل هذا الموكب وامر
بالقبض عليه وسجنه ثم ارسل به من العقل الى الديوان وامر بضربه
ثلاثمائة سوط وان يرد بعدها الى السجن وكان شيخا مسنا ضعيفا
ثم امر بالقبض على جميع المؤذنين بجوامع الحنفية الثابتين في الرواتب

واعلم

وأرسلهم إلى الديوان وأمر أن يدفع لكل واحد منهم خمسماية سوط ثم سجنهم
بعد ذلك الدوار من طبيبه لاختبار احوالهم هل تقضي وابن الداء الذي جاءه فلم يجد على
جسده أثرا سيئة من الضرب أمر بإعادة الضرب عليه ثانيا وكان من جملتهم
الشيخ ابو العباس احمد بن فارز والشيخ البيراني الشيخ المعتقي
لابي الحسن علي الصويعي وكان الطبيب الثنية فلما غلبت عليه الحظارة حصل له
من ذلك الضرر شرير وكانت رائحة تغشى منها الجلود لاجل ذلك
يوم السبت لست خلون من المحرم فلما كان يوم السبت الذي بعده لثلاث
عشية خلت منه أتى بإحسانه على رمس وطيب به في الأسواق وشاهده
أولئك الفقهاء المظلومون وأنه إذا تأملت بعين البصيرة وجدت مقتضى
المقابلة قاضيا بدوام ملك مولانا أدام الله تعالى وجوده ودالا على طول
أمد دولته حرسها الله تعالى وله أيده الله تعالى أوقاف جليلة أوقفها
على وجوه كثيرة من وجوه البر من ذلك المدرسة البديعة التي أحدثها
بسالم جمع من احسن المدارس وابدعها ورتب بها شيخا ملكيا والسنن
لدا انظر في أمرها واشترط عليه أن يدرس من مختصر الشيخ
خليل بشرح من شاء وجه صباح كل يوم فيما عدا رجب وشعبان وشهر
رمضان وأما في هذه الأشهر الثلاثة فما شاء له في آية صحيح البخاري
دراية ودرسا في الفرائض وجعل له إمامة مسجد المدرسة وعين له راتبا
في كل يوم ستة وأربعين ناصريا وأوقف دار السكنى أمام المدرسة من
أحسن الدور كانت في القديم لوالده المقدس رحمه الله تعالى فوهبها
لبعض خواصه فاشتراها مولانا أيده الله تعالى من ورثته وأوقفها
على ما ذكر ورتب بها أيضا شيخا حنفيا يقرئ بها درس فقه جامع العبادات

والمعاملات بعد صلاة العصر ورتب ثانية طلبة من الحنفية يقرأ دون عليه
الدرس المذكور ورتب بها أيضا شيخا ثالثا مالكيا يقرئ درسا في العربية
أو الأصول أو الكلام أو المنطق أو نحوها من الفنون بعد صلاة الظهر ورتب
بها أيضا شيخا رابعا من القراء يقرئ درسا من التجويد قبل صلاة العصر
وأسكن ثلاثين طالبا جعلهم وقف جوفها ويقرؤون كل يوم حزبين من القرآن
العظيم بعد صلاة الصبح وحزبين بعد صلاة المغرب ورتب بها ثمانية
مؤذنين للأذان بصومعتها وقيام الليل بالذكر والتسبيح وقومة يقومون
بمصالحها وصون وردياتها وأجرى على كل واحد من هؤلاء الأرزاق التي لا توجد
في غيرها من المدارس وعين من الوقف صرفة توزع على الشيوخ والطلبة
وغيرهم يوم ختم صحيح البخاري من شهر رمضان في كل سنة وفي يوم عاشوراء
من كل سنة يختن بها مائة صبي من الفقراء ويعطي لكل واحد منهم كسوة
ودرهما وأوقف عليها أوقافا معتبرة تفي بجميع هذه المصاريف وبما
يحتاج إليه من زيت لوقود السراج وشمع وطيب في أوقاته وغير ذلك
من الكتب وربعات وهي الآن على أحسن حال من النعم أدام الله تعالى
بدوام ذلك وأحدث بجوارها قبة المدرسة ورتب بها رواية صحيح
البخاري كل يوم بحيث يختم كل عام ختمة ليلة سبع وعشرين من شهر رمضان
وأسند ذلك لشيخ المدرسة ورتب بها الثلاثين طالبا الذين بالمدرسة
أن يقرأ كل واحد منهم حزبا من القرآن العظيم صباحا وحزبا مساء في الأسحار
بحيث يحصل من مجموعهم ختمتين في كل يوم ورتب بها أربعة طلبة يذكرون
لا إله إلا الله سبعين ألف مرة في كل شهر وفاتحة يقرؤون دائما لأهل الخيرات
ويختمونه في كل جمعة مرتين ورسم أن يحيى بها ليالي المواسم الفاضلة

بالقرآن

بالقرآن والذكر حيث يختم بها في كل ليلة من ليالي المواسم ختمتين من القرآن
وجدد بناء مكتب ملاصق لها ورتب بها مؤدبا وعشرين صبيا يعلمهم
كتاب الله تعالى وأجرى الأرزاق السنية على الجميع وأوقف عليها
الأوقاف النافعة ولما استقرت فيها قبل تمامها وقبل تمام المدرسة
رتب بها أولا ثلاثين قارئا يختمون كل يوم ختمة من القرآن العظيم
يقرأ كل واحد منهم سبعا أخرى بين ثم بدا له فزاد ثلاثين قارئا آخرين يختمون
أيضا كل يوم ختمة كاملة ثم زاد ثلاثين آخرين ولم يزل يزيد ثلاثين
بعد ثلاثين إلى أن بلغوا مائة وثمانين قارئا يختمون كل يوم ست ختمات
من القرآن العظيم على الرسم المذكور وعين لهم في كل شهر مائتي ريال
وسبعين ريالا وذلك من ريع أوقاف التربة والمدرسة لعدم وجود مستغلها
قبل تمام بنائها وترتيب دروسها وسكنى الطلبة بها وكان قصده أن يستمروا
على ذلك إلى أن يتم بناء المدرسة وتعمر بالطلبة ويقوموا بوظيفتها
المتقدمة بجنسين من حزب أو لتلاوة القرآن أو يخلفهم طلبة المدرسة
وعلى هذا الشيء لما كان دخولهم مجملا في بناء المدرسة وصادف غلاء
الأوقاف في مصر بعدها أرسل للقراء مالا وزعه عليهم إحسانا ووضع
ثم بدا للبيك ذلك ورأى أن لا يحرم نفسه الكريمة من أجر ست
ختمات من القرآن العظيم كل يوم أو أجرى الإعانة عليها بمرد
أو للتلاوة القرآن في إثرهم وأبقاهم على ما كانوا عليه وأمر أن يخرج
أرزاقهم من خزانته العامرة مدة حياته أدامها الله تعالى
ومنها تنازله للكتب الملاصق للجامع والدار المذكور رتب به درسين
تجويدا لشتى طرق أحدهما أن يكون شيخه حنفيا يقرأ رواية حفص

عن عاصم وفي الثاني ان يكون شيخه مالكيا يقرأ رواية قالون عن نافع ورتب على
كل شيخ ثمانية طلبة وجعل لكل واحد من الشيخين نصف دينار كل يوم ولكل
طالب في ربع شهر واشترط ان لا يزيد الطالب على ختمة واحدة فاذا انتهى ثبت
مكانه غيره حرصا على عموم النفع لما رآه من اهمال الطلبة للتجويد وعدم
اهتمامهم بتحسين النطق وكان اول شيخ تصدر به للتجويد رواية
حفص الحضرمي شيخ الاسلام ابا عبد الله حسين بن ابي جهيم البارودي
فختم به ختمة واحدة كان ختمها بحضرة مولانا الخليفة باحدى جناياته وجوائز
الطلبة وانصرفوا وبعده الثاني اعني الدرس المذكور نائبه الفقيه الخطيب
المفتي ابو عبد الله محمد ابقاه الله تعالى وهو يتولاه الى الآن ومنها
ما اوقفه على الحزب الكبير المعروف بالسبع الذي يقرأ بجامع
الزيتونة بعد صلاة الصبح ويختم فيه القرآن العظيم ختمة في كل جمعة
وهم يجلسون على العادة منقسمون الى سبع طوائف كل طائفة لها يوم من
ايام الاسبوع فاوقف عليهم وقفا جليلا واجرى عليهم من غلته راتبا
يساوي ما قبضه منه وضاعف العزمة واجرى على المتكلم عنهم راتبا
ايضا واشترط عليهم ان يقرأوا بعد القراءة من في آخر الحزب فاتحة الكتاب
ثلاثا وسورة الاخلاص احدى عشرة مرة ويهدون ثوابها له وعلى ان
يجتمعوا كلهم ليلة سبع وعشرين من شعبان في كل عام بجامع الزيتونة
ويجلس طائفة كل دولة من الدول السبع بزاوية من زوايا المسجد ويختمون
ختمة من القرآن العظيم جماعة ثم كل طائفة ختمة في آخر من الاسباع و
ويهدون ثواب ذلك الى صاحب المجلس ومنها ما اوقفه على المؤذنين
القائمين بالاسحار في جميع الصوامع بتونس للتهليل والتسبيح والذكر

واجرى

وأجرى عليهم من ذلك أرزاقا في كل شهر ومنها أيضا ما أوقفه على المدرسة
الجاسوسية المنسوبة للشيخ الصالح أبي محمد الجاسوس دفين الجلاز
رحمه الله تعالى لما استولى الضياع على أوقافها ولم يبق منها إلا قليل لا يفي
في رواتبها وكادت أن تضمحل فأوقف عليها ما يقوم بذلك وهي الآن باقية
النفع فيها ـــــ وكذلك أوقف أوقافا نافعة على المدرسة التوفيقية
لما وقع في أوقافها من الاختلال ومن أوقافه الجليلة النافعة التكية
المتقنة البناء الحسنة الشكل الواسعة الفناء التي أحدثها بمكان حانة
الزرداية بعد هدمها وتعطيلها كما سيأتي وجعلها ذات بيوت كثيرة
أعدها لسكنى الفقراء المتعففين عن السؤال وأجرى عليهم الأرزاق من الطعام
والشراب والعباء والكسوة وعين لهم اللحم والأرز في كل اثنين وخميس وجعل
بها مسجدا ورتب به إماما يصلي بهم الصلوات الخمس وأجرى له على ذلك رزقا
وأعد بها طعاما كثيرا كل ليلة خارجا عن طعام الساكنين بها يطعم منه كل من
يغشاها من الفقراء والسؤال خلق كثير بحيث لا يصد عنه وارد ولا يرد
عنه قاصد وعظم الارتفاق والانتفاع بذلك لهذه الطائفة من الفقراء
ولما وقعت المسغبة سنة اثنين وتسعين وكثرت السؤال واشتدت
حاجتهم زاد في ذلك الطعام على ما عينه من الوقف زيادة بالغة وصار
يغشاها من الفقراء أضعاف ما كان يغشاها قبل ذلك فيرفع خلتهم
ويسد جوعتهم ويكفيهم مؤونة العوز وأحيا منهم ما شاء الله تعالى
في حسناته واشترى دارا مجاورة لهذه التكية وأعدها لسكنى النساء
المتعففات وأجرى عليهن بها أرزاقهن مثل ما أجرى على الرجال وأوقف
على جميع ذلك أوقافا عظيمة النفع تفي بجميع المؤن ومن أحسن ما أوقفه

عليها عمارات استحدث بناءها بمكان حانة الفرانسيس التي كانت داخل باب البحر
بعد هدمها واجتثاثها بالفتح الاعظم من فتح الله تعلى والحمد لله رشده
كيف صيرت الاماكن الخبيثة التي كانت يتام بها للفسوق سوق نافعة
ويجاهر فيها بمعصية الله تعلى امكنة خير معروفة في وجوه البر الزكية
التي هي ماوى الضعفاء من خلق الله تعلى وفي رزقهم بمكان حانة
من الحانات المشهورة والاوقاف التي منها ارتباطهم وبها قوام معاشهم
بمكان حانة اخرى كذالك ما هذه الا مواهب ربانية ومثل هذا ما اجراه
من العمارات الواقعة النفع بمكان الحانات المسماة بالمنسية ومخازن
الهول الكاينة بين القصبة وباب البنات بعد تعطيلها ايضا وقطع مادة
الفسوق منها واوقفه معينين من الاعفار على الاسلاميين الذين فارقوا دين
اليهود ودخلوا دين الاسلام وعلى الطبقة الاولى من اولادهم تاليفا
لقلوبهم وتحبيبا في الاسلام لمن اراد منهم الاسلام عليهم وزمن من ذالك
في كل شيء وهذه من الحسنات المحتمة التي لم يسبق اليها كما قيل

• تنزه عن عون المكارم فعله • فجاء بفعل الفعلات الاعزاريا •

ولما بنى البنية المذكورة صدر الامر العلي بعمل تاريخ يكتب على بابها
بنظم شعراء الوقت ذالك تواريخ كثيرة فيقع على العشرين بوقع
الاختيار منها على قولي

• كل يوم محله في التنية • طبي وما سواها ركيه •
• صنع مولى له ولاحي تبرى • كل يوم على الملوك مزيه •
• ويمينا لابي الحسن علي • الهم الناس عن ذي مشوبه •
• ذو وقار كما هو الطود لكن • للمعالي تهزه الاريحيه •

من مزايا هذه الدار فيها . جنة ألفت فهو واجنيه
هي للبائس العفي تراها . نعم ماوى غرف ونعم جنيه
حرم امن وظل ظليل . ورخا وعيشة مرضيه
دعوا الاهل للغريب بارخ . نعم كهفا للابن السبيل النكيه

ثم كتب بعد ذلك حبنا الكاتب الاجل ابو عبد الله محمد الورناوي تاركا بصدر
الامر يكتب على باب تكية النساء وهو

بنى ابا شاعليه ذي النكيه . لوجه الله يبغي اذ ابنيه
سليل حسن سيرفا المعرى . ابو الحسن انت ذوا السيم الرضيه
على الغني ارما كولا وماوى . مدى الايام منا على مزيه
بدا بهم الرعاة له بخير . تقبل منهم رب البريه
هما بصنيعها ضي فاو عن بنا . وذو التوفيق ربته عليه
وبابني ام لها ارخوها . له اوفى ثواب في النكيه

وله اوقافا كثيرة غير هذه منها ما اوقفه على المدرسين زيادة على
اوقافهم ليعينهم بذلك على نشر العلم وتعليمه ومنها ما اوقفه على
اجراء الماء واصلاح قنواته المعدة للسبل وسقاية بعض ذلك
ومنها ما اوقفه على زاوية الشيخ الولي العالم عبد الغني بن الطهرون
رحمه الله تعالى الكائنة بعدلها جنة بعران بني مشهرا حاملا ومنها
ابير المعينة الدائمة بسبب جبل المنارة والعقار المحبس عليها
لشيء ان ايرف للشيخ الاستاذ الاكبر في سعيد الباجي رحمه
الله وكثير مما يعيشها منهم وزاد في قبة الشيخ المذكور زيادة حسنة
ووسعها وخصها بالرجال وبنى للنساء بيتا لها منعزلا في الشيخ

تجب لهم الزيارة والانتطال بهى بهم التشيئ والتخلق بالي جال التي يغي ذا الحا
مزاوقابه النافعة الملي وبقي وجوه متعددة من وجوه البر جعلها الله
تعلى من الصدقات المتقبلة والاعمال المبرورة واما صدقاته الجارية
على الفقراء والمساكين من المتعففين والسائلين والمعترين والعميان والقواعد
والايتام وذوي الضرر والحاجات فشيء ارى به على من تقدمه ولحق به من تأخر
عنه فقد رتب لجماعة من مستوري الحال المتعففين عن السؤال مالا راتبا يوزع
عليهم في كل جمعة فبعضهم تصل اليه نفقته في محله وبعضهم يجيء يوم الجمعة
الى باردو والمعمورة اخرها وبعض هو لا يبرح اليه ايده الله تعالى للسلام عليه
في جملة الاعيان الذين يدخلون عليه يوم الجمعة وبعضهم تصل اليه سواء
بحيث لا يعلم احد انهم من اهل الصدقة صونا لهم عن التبذل بالسؤال ورتب
لجماعة عظيمة من السؤال والمكرين اهل ضرر من عمي وعميان ونحوهم ممن لا يقدر
على التكسب تجاوز عددهم الالف رزقا يجري عليهم في كل يوم على الدوام
والاستمرار فتراهم يتوجهون الى باردو والمعمورة كل يوم افواجا الاخر منهم
وبعضهم قد استوطن باردو والمعمورة واعطاهم ايده الله تعالى اماكن
كثيرة يبيتون بها ويأوون اليها ويأتيهم رزقهم فيها من الاطعمة الصرفة
الخارجة من ديار المعمورة ومعنى ذلك بهذه الطائفة انه كلما خرج ركابه
العالي الى محلة او زيارة تخرج هي حيث توجه ويتوجهون معه حيثما
توجه فيجري عليهم ارزاقهم الى اتيه ويعينهم مع ذلك الاخبية الى ذكره
وعشيا وتنصب لهم الخيام لنزولهم كانهم من جملة عسكره ومن ذلك الاجب
قصة ملتقابي بعث في حاجته ايده الله تعالى ووصف فيها حالهم
وقد كان اعني ايده الله تعالى لما اراد الخروج فتتابع نزول المطر فبدا في لزالد

إلياما

ايا ما يشتهي الحمى بتعرض لزالدابيط وفلتـــ اصبا لحال

سر لست تعمل الا للعلى قدما ۔ وكل ارض توابيها غرت ج ما

وحيثما وخرق ايره الى كابحل ۔ امنا ولمنا وافبا لاو معتصما

ومت الى حيرفادا اذ اشعاب ام ۔ حتى اروى لها الاوها و الاحما

كي لا تخرجها الامطهرة ۔ في وقع نعليها فيها طيبا من لثما

لما رءا سيدا المنهل باجمه ۔ مضى امامه يستوفي لها الحزما

لو مسحته لمبز منه معرفه ۔ ما كان يحفى الا المجد والكرما

هما وافلع واتيت الزدكت ۔ كعادة ما زال يهمي في الورى ديما

فسبق تحرك للورد نظارتها ۔ سيبية لا تلاقي بعرها هرما

والارض ديباجة خضرا مذهبة ۔ بالنور فيها بديع النقش مرقما

والزهر يجبي ثناء علاه شذا ۔ ويقتفي منه في ابعاله شيما

يكسو الربا مثلها تكسو الورى حللا ۔ ومثل لغيا ذ يلقى الوجه مبتسما

ورام بدر الرجا ابيط محاسنه ۔ لما بعث ظلامات نفت ظلما

ولو غزا منه دون الشمس مكتسبا ۔ للنور ما كان ادى الشهي منعدما

تسموا على ظامر تختال مزمرح ۔ حتى كان بها منه طايب لمما

شهبا كالصبح تجي الشهب طلعتها ۔ الا التي زينت في راسها لجما

واحرقت بدمن سمي الغنا الحلل ۔ والليث عادته ان يسكن الاجما

جيشان خلفه ذا شاكي السلاح وذا ۔ من المساكين من خولته نعما

ما اوجاها لمن في اثير اسمه ۔ ني ذ عنه البلا والظي والالما

ليسر الذي ان عرا ، او الم به ۔ يوم الكريهة روع يتترجما

علمت بنا بدر الاسلام انه بو ۔ م الحرب وحرد دباع لما دهما

بكم نسبت جيوشا في الحروب ومن   اقوالنهوا ولن عندمنهن ما
لذا عرفت الا جيش حمايته   تفيد يوم يكون الحي محتـرما
تعطيهم نايلا جما وترسعهم   فرى هنيا وتبني بوفهم خيما
وانت تعطيه الوجا كالذا من   ايد ارم بيهم واصلا رحما
وقد حوى بابك الحاوى لذا علا   من الوجود وطلاب الندى امما
هذا فتى حاجتي نفسه وكذا   عمو وصحو وذا ولي وقد غنما
حيث للناس بالعفو الزنوب وقد   اخفى الكبرى حسود اللذ اجترما
وما كفى العفو حتى قد انقت لهم   على الى جا دفيلا واخا امما
يقول قايلهم ذا العفو يصدر من   عمر بها الظن بالمولى وقد رحما
لابن الحسين علي كل منقبة   يرقى بلاغى بما خصت ولا انحجما
امعال مجد تنسي الناس فاطبة   الا الملوك بقدركما توالها تمما
لاكن بنوك واعلى المجد قلبة   والبيع يكرم اما اصله كرما
جاءوا على نسق يقفوه ان رحلوا   بعد المكارم كل للعلى التزما
ثلاثة تشرق الدنيا باوجههم   هم البدور وفي عين الحسود عما
داموا ملوكا وداموا في تعاظمهم   مثل الثريا فظاما قلما انفصما
ودمت كهفا لهم من كل حادثة   وكلهم في ظلال العيش قد نعما
ودمت في ملك الحي وقد تصلحه   ومن تعاديه قد الفى لك اسلما
تجي انا انسا وافعالا وامكنة   ما فتا ابدع من مون الحبا انسجما

وقد عمر بدار الخليفة دار الاسعد المعظم مولانا احمد باشا باي
اعزه الله انظار صرفة جارية على طايفة من النساء مستورات متعففات
وقدرها خمسون ريالا في كل يوم وهي جارية من يوم و لا دته ابقاه

التي

الله تعالى الى الان وجراية الكبيرة دار تبيت ابنا سنا صرفتها في جراية على
نسوة ايضا من المستورات وقدرها سبعون ريالا في كل جمعة وفي كل يوم يدخل
محكمته الشرعية وقت جلوسه للحكم ويعطي في يده من يتفق حضوره
من الفقراء المحتاجين لا يحجب احدا منهم ولا يرد سائلا لكل واحد بما يفتح الله
تعالى وفي ايام المواسم والليالي الفاضلة يعطي من جمل وفي اد لم في العطا
وهذا كله دون الصدقة المستمرة الخارجة من بيته في سرار اثني عشر ريالا
كل يوم ويتفقد بعض البيوت ان بعض المسجونين في الحبس بارد والاكرام بطعمه
لغني او لبعض اهله بعين لكل ما يحتاج به كائنا من كان فقيرا او غنيا رغيفا
كل يوم وخابية لنفقته وجرى الامر على ذلك منذ سنين كثيرة الى اليوم
ولما بنى الدار التي جعلها محكمة شرعية يجلس بها القضاة لفصل الخصومات
بكرة وعشية وجعلها وقفا على هذا الذي بنى بلصقها دارا اخرى جعلها
حبسا للنساء وهي المسماة بدار العدل واوقفها على ذلك ايضا وبنى
خارج الدار حوانيت كثيرة يجلس بها العدول واوقف غلتها على سد
العجز ان من النسوة اللاتي يسجن بدار العدل ويطعمن منها نساء في
السجن وكان قدرا الحال القديم والان المقرر من روح الله روحه مسيرة في
المنام وكان يشكوا اليه بعض الحاجة بعد ان ماتت رجل من المشايخ
القاريين والعميان وذوي الطهر واجرى عليهم صدقة قبضها ريال لكل
يوم جمعة ياخذونها بعد ان يجتمعوا بتربة والده دامت مجمعه
بعد الفراغ من صلاة الجمعة ويقرا كل واحد منهم سورة الاخلاص
احدى عشر مرة ويهدي ثوابها الى حضرة صاحب التربية قدس الله
في تسهيل اول الامر لم يزل يدبرهم مذ ذلك الى ان الان بعد ...

الى ان بلغوا الان نحو المائة رجل وكذا تت هذه الصدقة العظيمة نائبة عن
والده رحمه الله تعالى كل حاجة ودائمة عند كل خلة ان شاء الله تعالى ثم
رتب صدقة اخرى عظيمة مثل هذه لطائفة عظيمة من النساء ارامل وقواعد
وعجائز وذوات مرض حتى بلغ عددهن الان الفا وثلاثمائة يأخذن كل
يوم جمعة ايضا ومن لا تستطيع الخروج منهن تبلغ اليها لمحلها هذا وفي
هاتين الصدقتين العظيمتين على يد امامه الشيخ الفقيه الاجل ابي محمد
حمودة بن باكير ابقاه الله تعالى وفي كل سنة عند دخول الشتاء وهجوم
البرد يشتري الوفا من الصوف الغليظة ويكسوها المحتاجين
من الضعفاء والارامل والايتام والعميان واهل الضرورات ووقاية لهم من
الم البرد جعلها الله تعالى له من حر نار الجحيم جنة مفضية به الى برد نعيم
الجنة وكثيرا من هذه الصدقة الجسيمة يباشر بنفسه الكريمة داخل
محكمته السامية وهو بمجلس حكمه الرفيع فيكسوهم ويمضون وفي كل
عام ايام المولد الشريف يعطي الفي ريال تفرق في الفقراء الى تسبع الطلاب
والمؤدبين المنتصبين لتعليم الصبيان كتاب الله تعالى في المكاتب عادة
مستمرة ولما وقع الغلاء سنة احدى وتسعين وما بعدها وهي مجاعة
شديدة بلغ ثمن قفيز القمح فيها بالحاضرة ما ينيف على مائة ريال واكثر واما اطراف
العمالة كبلاد الجريد فقد تجاوز السعر فيها المائتين وبلغ في بعض
الاحيان الثلاثمائة واشتد جوعهم فعم الشقاء بالحاضرة الا بفضله
وحسن تدبيره وهلك الخلق والدواب واشتد العناء بالماشية ثم وقع
الموتان في الناس وعم الحضر والقرى والبوادي واشتد الامر على اهل
البادية فان عامة مكاسبهم الانعام والمواشي وقد هلكت بما نشأ الوا

على

على الطرق يتكفعون في الاسواق واتى الضرباد عليهم والمرض منتشر بينهم
والموت يتخطفهم بادل ما بقدر اوعه ايده الله تعالى ان عين صرفة للارامل من
النساء توزع عليهن بدار وردوا المعمورة كل يوم بتسامع بن الدور وتداعين ولم يزل
عددهن يتضاعف الى ان ارى على اربع الاف امراة ولم تزل الصرفة جارية عليهن
تارة دراهم وتارة خبزا حتى عض بهن البعض من الكثرة وتعسر التوزيع عليهن
لكثرة الازدحام وحتى كاد ذلك يفضي الى وقوع الهلاك بهن وان وقع ذلك لاحاد
الحاجة وتعسرت المعيشة فبعض لما اخشى من الاعياب واهل الضواحي
العام الثاني اذ الحضرة اقام لهم طعاما من شى بدار الحبوب يصنع لهم كل يوم
بالملايين عدا ما يزاد بالنفقة على كل ذلك وحسن الامن خلقهم وامد
من رمقهم وامر بالمرضى منهم والمنقطعين وكانوا مرميين على قوارع
الطرقات وابواب البلد ومن ذات الناس من روائحهم فجعلوا الى حان
واسع خارج باب البحر من غير لهم وجعلهم فيه واقام لهم المؤونة صباحا
ومساء وقعد اهل الحضرة بالفضل واجي مواساتهم واتصل ذلك الى ان
دخلت سنة ثلاث وتسعين فتراد في الغيث وتتابعت الامطار وادال
الله من الجدب خصبا ومن الغلاء رخاء واعقب الشدة بالرجاء والبؤس نعيما
فلم يمر الا ريثما فتح الناس في الحصاد فلا حتى كثرت الحبوب وانالة
الاقوات واخذ السعر في انحطاط فبيع القمح بعشرة وعشرين وبالا وبيع
الشعير بثمانية ريالات واقلع على هذه النسبة سائر الحبوب ومن جملة
مرافقه ايده الله تعالى في هذه المجاعة انه امر الناس ببيع القمح سائر
زمنها حتى انه خرج منه على النفاد سوى ما تصدق منه على الفقراء
واهل الحاجات وكانت همته مصروفة الى تكثيره بالاسواق لئلا يتعذر

على الناس القوت فرفعه جملة وبعث جلبه من الأقطار على أيدي التجار
فأتوا منه بمراكب كثيرة ووقع بهذا الارتفاق ووجد في أنفسهم كثير تغير
ووقع فيه فساد الى آخره فرطو الملك فأمر أن يباع بخص لمن أراد من بعد
فبين أن العساكر والاجناد ان اجرى ب لم يبقا صحح بثمنه من ارزاقهم
ومرتباتهم فلا شيء وكذلك فلما جاء الأجل وحضرت المقاصة قمت بهمته
العالية وادركته رأفته الشاملة فاسقط ذلك عنهم جملة واحدة وأعطاهم
أرزاقهم كاملة فهذا اهتمامه بالطعام وقت الحاجة إليه وأما اهتمامه
بالمياه للدار فلما اشتد بالبلد لكثرة الساكن وقلة الأمطار وفني أهل
الحضرة إنما هو ما يختزنونه بالمواجل من ماء المطر فأمر من وراء الحسبان
فأجرى مراسم إبدار ماء الطابية المجلوبة الى الحضرة على الحنايا
ذوات الأقواس المرتفعة السمك بعد أن كانت تعطلت أيام علي باشا
ونحا في أوقافها فأحياها بعد الدثور وأنشأ أنها جرتها من عين بير
معينة ذات ماء موار بدان يقال له وصدا اسفل الجبل المعروف به غار الزيتون
على نحو ميل من الحضرة فشق الأرض في أعمقها حتى ساوى الحفر أسفلها
أخدودا فبلغ عمقه ستين ذراعا ثم مشى بالأخدود منحدرا معقودا تحت
الأرض فجرى ماؤها فيه واستنبط فاجتمعت أبدارا متفرقة في نوها البدايط
وأجرى مياهها فيه وانتهى الأخدود معقودا يمشي فيه الرجل مستقيما
الى وادي بحيرة فسهلت الأرض هنالك وانبسطت فأجرى الماء في ساقية
عظيمة تحت وجه الأرض الى أن بلغ رأس الطابية واختلط فيها أبدار
جارية على الحنايا الى الجبل الأخضر داخلا الى القصبة مشى بأمنها في
غيابات المدينة متشعبا في جداولها في مزانب تحت الأرض الى بقعة



وعشى من سبيلاي اماكن متبوفة بتهى ماوها ايام الصيف ووقف جراغ
المواجل ليلا ونهارا لا تخلوا من ازدحام الواردة بقلالهم واوانيهم والمورد العذب
كثير الازدحام وانظر العمل في اجراء هذا الماء من الجبل الاحمر وشق الارض وبنى
الاخدود حتى دخل الماء الى الحضرة نحوا من ست سنين وبلغ عدد البغلة
فيه كل يوم ما ينيف على الالف مقروبة لم الا خبيصة جوانبها جارية عليهم
مونتهم عن الدواب العاملة المسخرة في نقل التراب والجير والجبس
والحجارة والاجر وبلغت النفقة على ذا الحائط من الاموال عدد ما وقف
من الاوقاف المعتبرة على ما يحتاج اليه من الاصلاح والترميم وقت الحاجة
اليه وفي ذا الاجراء يقول ابو عبد الله محمد الورغي من قصيدة اولها

حيا بمنزله الجواد المرتجب • طيب المربى له يتشوب
لا يا تحلم كالشجا وتدونه • لكن يسيء دبه ووعد خلب
وافل ما استغللت ومنة زايي • خان العيون وظن غم الموقب
وافل منه وكنت جلدا قبلها • صب وفرولي الخيال المشي بي
ماذا لقيت من الزمان في وعيه • بل كيف حتى في المنام وذي بي
من كل وجه لي عليه ملامة • وله علي غظاضة وتدلب
ابلا لكي ان عشت فيه وقلبي • واه وقلبه بالرواهي يغضب
برد اليباء جنوه لا تغلقه • واجم من برطم الغليل ولاصب
هين عليهم لو فرقت بهمتي • وسعيت ما بين الملا اتكعب
والموت اسعروهي بغية كلهم • لي من وقوعي بينهم استعجب
ماذا في متاكلتهم انا ماسليه • واذا عهشت فرومي اترشب
وتجوب عن خطب الوجود دجاته • اذ جيلتي عن غيه ذا الا تضعب

عجبا للأيام تجود إلى يدي . حبيها على أبي الحسين المنصب
جمع الأمان لمن أراد حماية . ولذي الخصاصة بالسحاب الأوطب .
ملأ القلوب إذا بدا متبسما . وذكاؤه مثل الزمان ونيعب .
كم نجتبي القول عن مرتجه . من قولة عند التأمل تكرب .
حتى إذا نشر المديح برأله . بدرهوى ذات الكثيف الأطيب .
ينعود من أدابه لجوائل . وبمثلها أخرى عليها تعقب .
وعلا بهمته الكريمة أن يرى . في غير طاعة ربه يتقلب .
وكفاه عن جمع الملاحم درهمه . فوق الثنى وورده والمحجب .
وتفقهي الرضا مقدم فضله . لحكومة عندها الشريعة تكشف .
وأجاعة للعرب بين طوائف . تأتي وأخرى بالجوائز تذهب .
والرماح سريه منها عنده . فيل يدان به العقيد ويحجب .
ومضت كذا عمر أجمع بعده . للراجح عنها ولا متحالب .
ودعا بعضهما استجاب معينه . عقب الغرار وهو الأبي المتصب .
وجرى لي في كل بطن في إرثه . عن ضلاله ولكل صدر يتعب .
والطاعة الأمجاد فيه وهادها . وتماثلت أوعارها والصياصب .
بنراه كالثعبان في حركاته . سهل الممر على البسيطة يجب .
حتى لوى شعبان نحو نسر راسه . ومشى على أرجائها يتطوب .
وأخل عن عزب الزلال وكاده . فإذا به في كل ريح يغرب .
يفرق به الأكباد بعد أوادها . ريا وصح سميها والأعجب .
وإذا اتبه أعظم منه أزجاها . والنجم يبدو وفت الأقانة يحلب .
لا زال يطمع كل حين غمرة . يعني الزمان ونورها لا يكسب .

وصف

وصرف في قوله ورأيته أعظم منه أيضا فإنه اتفق بعد وصول الماء إلى الحضرة
أخلاف من المحل أعواما متوالية لم يكن فيها ماء المواجل للشرب هكذا للناس
في هذا الماء غنا وكما سمعت الشيخ الإمام مفتي الإسلام أبا عبد الله
حسين بن إبراهيم البلرودي رحمه الله تعالى يقول هذا الرجل يعني مولانا
أعزه الله تعالى مسعود موفق له حيث حبس الله تعالى الغيث بعد إيصاله
الماء إلى الحضرة فيلحق بفضل صنيعه وجمال مرتبته أو أنه يحظى بنور الله تعالى
بوقوعه خلل ما حصل من قلة الغيث قبل كونه فسبق إلى جلب الماء اعتدادا
به عند الحاجة إليه وأما الماء الداخل إلى ربض باب الشريعة فأصله من
البير الثابتة فاعلى العرائض التي وقفه بئير عتيق قد أنشأها مولانا أيده
الله تعالى بئير العلجية المجاورة لها أنشأها من خاص الأوقاف المحبسة
على بير عتيق ثم اشترى بيرا ثانيا داخل باب فيش بيع عين الشلام
غزيرة الماء وجعل عليها ناعورة وزاد ماءها إلى ماء البيرين المذكورين
وتم به الماء من الربض المذكور بكل مكان سبيل مباح للوارد
واشترى بيرا بمسيد المشهور من ربض باب الجيزة وجعل عليها ناعورة وبنى
حولها حوضا كبيرا يجتمع فيه الماء لورود الماشية والأنعام وبيرا
أخرى بالي كان من ربض فحاد على هذا المنوال ثم لما زادت شدة
الحاجة إلى سقاية والد المقدس رحمه الله تعالى الموازية للجبل
الأخضر وعظم النفع بها ونفاد ماءها في بعض السنين القليلة الأمطار
قبل انقطاع الحاجة إليها أنشأ سقاية مجاورة لها كاملا صفتها إياها
مثلها عظم مساحة وأحكام بناء وجعل بينهما منفذا يفور الماء منه
من السقاية الجديدة إلى العتيقة والامتياح والاستقاء منه من العتيقة

ايضا على مائة والف ونعاديا على الاستعمار فعظم النفع وحصلت الكفاية
وتقدم ان من ائدر والف ايضا السقاية انشاها بظاهر الغني وان طانها
الله تعلى وجلب لها ماء المحيي خليج اقتطعه من الوادي الهايل العظيم
النفع المحي وجري في ابيار الزيتون ومن زرود المماثل لبي العظم والمنفعة
سقيا غالبه مزارع الغني وان عمل طمومها بما السيول من ناحية الجبل وكان
المنهل قبلها السقاية الغربية المنسوبة الي بني الاغلب فاستولى عليها
الدثور وفي الم [illegible] صعا ربحها فجلبه السيول من الطين والغثا فلما اشتغل
مولانا ايده الله تعلى بالامر وتوفرت عمارة الغني وان وما حف
باهلها وازدادت السقاية الاغلبية دثورا كلما [illegible] عمارتها قبطا دي عن
ولفادها لتحامي الملوك قبله اياها وانشا سقاية اخرى اعظم من سقايته والف
فرسخت في تبنيته شفي معها بماء واجر من الخليج المنازع من وادي
مرق ايل بحنه الاني وعظم النفع وكثر الراعي واذيع الغثا وانشا
ايضا بمدينة صفاقس حرسها الله تعلى سقايته التي ظهرت بركتها
وحرا في ها وحسنت عمارتها وذالك ان سقاية البلد العتيقة لا تفي
بسقيا ها فيحتاجون ايام المصيف الا امتياح البلد بعيد
بما نشا ايده الله تعلى هذه السقاية على سيل وادي عقارب
بمنزلتي نبا وها وجملت عمارتها لم ينضب ماوها بل كلما تشارف النفاد
اتي الله تعلى بالمدد بسيال الوادي واتم ارجاها وربما كان ذالك عقيل
احمرار القيض او ان انقشاع السحب واتوا الامطار انعاما من الله
تعلى للمنة وابعادا للصيت واعادا للاني وزيادة في المثوبة واشترى البير
المعينة التي بجبل المنارة ببير الخلادي واوقفها ايضا

جبل

سبيلا للورود الى ارض مقام الاستاذ الاكبر ابي سعيد الباجي رضي الله
عنه بجبل المنارة لنزهة المآبه وكثرة العمارة فيه فقد احدقت به ديار ومساكن حول
مقام الشيخ اكثرها على عهد مولانا ادام الله تعالى ايامه جادت كانها
ما اقتراحه الغنى لا تخلو من الساكن وقتا من الاوقات حتى اذا طابت الثمار
واعتدل الهوا في ايام المصيف واول الخريف ما جئت حيث رايت ساكني
موجها التماسا لبركة الشيخ وتعرضا لصحة الهوا واغتباطا بطيب
الاطيار والاثمار وابتهاجا بحسن المنظر الملتفة حوله الخزائن الزاهرة
والبساتين ذات الرياض العاطرة المطلة على شط البحر حاملا للكتب
داخلة للميناء وخارجا وقد جرت عادة مولانا واصلها الله تعالى بالخروج
الى زيارة الشيخ رضي الله عنه مرتين في السنة ربيعية وخريفية
فينزل بعض العبدلية من قصور وبساتين في طاجنة ويغدو الى زيارة
الشيخ ومن حوله من الصالحين ويعود الى مكانه من العبدلية وقد رتب
للطائفة من الفقهاء والمتعبدين صرفة تجمع لهم كلما خرج للزيارة ثم خرج
منهم الى محل الزيارة اخذها هنالك ومن لم يخرج اخذ الى محله وقد يتفق
في بعض السنين ان لا يخرج للزيارة فلا تبطل الصرفة بل ترفع لاهلها بكانهم
من الحضرة وصارت الان لهم كالراتب اللازمة في كل عام مرتين وقد تغيرت
اسماؤهم في جريدة وفيها اسم كل واحد منهم ماله من الصرفة من الاربعة
محابيب ذهبا واحد وافل وكان عبد الله الورغي قصيدة بديعة قالها
في بعض خرجات مولانا ايده الله تعالى لزيارة الاستاذ مولانا ابي سعيد
قدس الله روحه وهي

• وردت بطالع ايمن السعيد • محل حرم الولي ابي سعيد •

كما ورد الظمآن ابو قبلا   عليه وانت في طور الوليل

وام بها المشاهر حين لاحت   عليها له امارات التفعيل

وما خطّ البلى اثر حين جاءت   من المهري في شم الى شيل

وعادها نغود دون قرنتاهت   مطابقة بعادية الورود

الا لله صبي حين مارت   بها البيظا مزخت البنود

تنازعها العنان وهي تومي   الى جبل المنارة من بعيل

فنفعها ولو لولم تكن خطت   سنابكها على ذات الوصيل

وجانبة اليمين حين مرت   وفي صهواتها بحر المريل

وقابلها الظبي على جبال   فلم تثبت على وجه الصعيل

وادركها المساولها قوات   فيات العبر لي في نهود

تسابق للتقرب منه اخى   فتفتر منها بزيد الطلع النضيل

كعابتم راتلة بالبعتها   وتبردتها النجح البرود

بعثت بها وعين الجملا في   مغامحة والحوادث في الهمود

وصحت الظبي بولرى   صعقت بي صعة العبيل

وجمعته الى دارجو هوراى   يصوبه ذووا الرأي السريل

وجهة بلبلتين عن كنز   توزعه الى الابر الاثيل

وانت ولم تغب ما غبت مني   ولاكن فاتني سر الشهود

وكم قلت اني حاطي براج   جى وفى الوصل من وعد الصدود

فلم اسعد ولو اومضت شيا   تسعفت الي ركبان البريل

ومن تعب الحيلة لم يبتغيها   مباغيه المراد من المريل

وما بي محنتي لو شيت باس   وهل وجب كذرعها للوجود

وَأَن

وان مومل لا يلفا كريما ... ويسلو بعزة الحي جمود
وما يسليه عند وليس يلفي ... على الحالات مثلك في الوجود
سلامة خاطر وسماح وجه ... وفضلة كالمعة وجمال جود
وما في ذا الفتاب لدى فصل ... وللانجى سوق النسيل
والاماما المقام اجل من ان ... اضيق به اذا اذه جميل
على اني دعوت بعد عود ... تصورها خيلات الحسود
بان ظهور شمسك والتجلي ... بها عنكم من الامر الزهيد
بما اجراه اماطر هزا ... وقلبك في القضية من شهود
وعمر نزولكم الى سي ذكي نا ... في ولا فيالها جبل الجلمود
بفعلنا عمر فضل الشبيبة ... وقلنا الشعر عمر أبي السعود
وطار من الصيانة طير ملاه ... يجهل ان غني حبي مزيل
وفرصوا الحرث بغر انا اخه ... بما بكم اجلا زمر الوجود
تومل من رضاه جميل عود ... وتطلبه منه تجديد العهود
واهدت عن معزمها نفيسا ... وانفسه اسيلات الخدود
يجي الخير قدر فرقت دملي ... وهو الخير في الزكي الجميل
وما في جمع شمل الدين دهم ... والامر نصر ربك من جميل
لانك في الملوك في بيت ... وفيها جلا منهم بيت العقيل
فلا زالت حياتك في امتداد ... ولا زالت سعودك في صعيد

والعبرتان اللتان ذكرهما هما من اثار ملوك في ابي حفص واعتنى بهما ملوك الحفصية بعدهم واتخذوهما منزلا لتنزهاتهم وقد ذكرهما الوفي في نصيرته التونسية التي ذكر فيها المتنزهات التونسية المشتملة على

التشبيه البديع في الخبايا وهي

باشر سعود لبيس الوقت بالرون   واجعل صبوحك عند باب سعرون

واصحب اهل الانس حتى لان الفواد اذا   طفت حيادك قاد الصحب باللين

ماذا التوقف عن عيش تسر به   وقطع انديب حتى مر وتخمين

يا خلع عزار التوفي من عواقبه   ما الحي من تكلا قطعيا لمخمون

اما ترى الروض من القى السحاب به   على طيته الفواد يرايي يرحون

فروضة جنون النور وانبسطت   على خمايله ظل الاغانيــــــــــى

كما نافرع لما تقفوســــــــــع   ارجايه وشيه من كل تلوين

وقف هنا بلبي من الجميل فقبل   مضتا به دولة الشم العرانين

ترى الخنا كسحق النخل مدركه   بعض بعض لجيز الحج اجين

او في دنهضت للغمر واعتنقت   كي للجي بين فمر عبير موزون

ولست صاحبها يا انمرق على   مرمى الحي بها وتبسر تمر الى حين

والعمر ليات تخطي في تصنعها   ض ابرا اجهنى في غني وتزيين

وما مغنم لرى الابيا بسكرة   على الغلايبة الغنا بغمـــون

ولو وقفت بغلمرة التي جمعت   شكوطها بين مرعى الضبي والنون

والمنوقة وقت العشي اذا   ماح الاصيل بها بين البساتين

وانظر الى الفطر والاخرى قتالهما   مثل البيادق كاقب بالنعي ازين

والظبي تصرح في حاماتها زمرا   جموع عجم اتت بعض الدواوين

وروح لرادمر والعلياء وقتها   بين البعي ادبر تبرو مثل شاهين

حتى اذا ما مضيت البعض منوطي   ورمت ايقاع ركض بعد مسنون

بادر كضر ان حوزة المكاض واشربها   ما كان عمن في مزوجي الشياطين

واهي

وأحيى عشية باب الجسر مغتبطا · بي ما نفست عن نفسي محزون
أما تجد وهي الجسر لو سلمت · ساحاتها البيض من بيع المغابين
وأودع الى البيت من باب المنارة الى · باب الجزيرة الى سوق الرياحين
وطب منها البركة المعمور جامعها · الى الى يلي الى ركن البو هطون
وأخشى الجار لدى بير الجار إذا · سعيت منها الى حمام زرقون
وان وصلت الى روض السعود ففيه · كما عهدنا وبت في درب رشون
تلك المنازل لا الزهراء وفي طيبة · كلا العبيد ولا الغيطان جيرون
مض سواخها ان امكنك وان · تعجب فما اسمع بمثل مركون
ولا تصر غير ساحي الكلة ذهور فانت في · غنى عنها وان غير مأذون
واستنشي الشعر عن اجوادها · واستغن بالخلة عن كنز قارون
ولا تغل كيف برخوها او مثله · فان معناه بين الكاب والنون
وكان قد عارض بهذه القصيدة قصيدة ابي القاسم عامر بن هشام القرطبي
التي قالها حين رقت حاله وزين له بعض الصحابة الرحلة الى حضرة ملك
الموحدين مراكش وذكر فيها المتنزهات القرطبية وتمنى عند اهل
الاندلس كنز الادب وكان ابو يحيى الحضرمي يحفظها ويردد بها مجالسه
ويلح ان لا ينشدها لمحلى جاهل لا يفهم او حاسد لا ينصف في الاهتزاز
لها فقال اني شعر العصي وانه جدير بذلك فانظر من كنوز الادب وهي
· يا هبة باكرت من نحو دارين · وافت الى على بعد تحييني ·
· ردت على جسمي روح الحياة وما · خلت النسيم اذا ما هب يحييني ·
· لولا تنسمها عن ارض قرطبة · لما اصبحت من ألم الوجد تبريني ·
· مرت على عطفات النهر حاملة · من شرحكم خبرا بالوجد يشفيني ·

حتى متى مرحي به مالست اجعله ... لا تنتسبي تلك الميادين

تروت من طرب لا اقضيها ... وظل ينشوفي طورا ويطويني

خلت الشمال شمولا اذ سكرت بها ... سكرا بالست ارجوه يحييني

اهدى الي ريحا من شمائلكم ... فخلت في فيه من كلمي يعصيني

وخلت من طمع ان اللقا علق ... الى النسيم وظل الشوق يحرقني

بظلت انتم مغتنم حفظكم ... حتى اذيب اللقا والوجد يعييني

مسارح لم جهاحي حتا منكم ... قلبي وطبي ولا اسلو ان يثنيني

بين المصلى الى وادي العقيق ... الى المكرا اسمه انجاني يحييني

الى الطابة بالمرج الشطي هوا ... ديب الربرب العطب من بطحا يبرويني

لباب عبر صفتنا الشهب وابلها ... فلم يكن الانس يسعفني

لابا معراتنة عيني عن منازهة ... ولا يغيب لها ابواب جيرون

ما اسكنها من محلات معارفة ... من تيس د ومها في الغرب تحيون

اني المسير ورزقنا الله ادركه ... فما دون جهد ودا ميل يعنيني

يامن يزين لي الترحال عن بلد ... كم ذا تحاول فضلا عن تعنيني

واين يعدل عن ارجاء طيبة ... من شأنه يحظى بالرضا وبالدين

فطهر حسبي ونفي ما به كدر ... حبت بها طيبة الوادي البساتين

ياليت لي حتى فوح بي افاعتقها ... وان علي به كنز قارون

كلاهما كنت اجنيه على ثقة ... الراح نفعا ووطا الخير العين

وانما اسعى ان اهيم بها ... وان حظي منها حظ مغبون

ارى بعيني ما لا اقتطيل برته ... له ونور جاز من فكر ودون

واذكرن انا حر عيشا من تحدونه ... تبسر الملوك وحالات المساكين

يعني

يغضي به التطلع حين تنبهه ... فضمان ضعفان في كثبان يبرين
قالوا الأحباب منهم قلت ذا المنى ... لا يستحب أن يبقى أثرا جيمن
ولا يبله هب الصباحي ... ولا يلطمه عن باب الياسمين
ولا يهيم بتفاح الخدود ورمـ ... ـان الصدور وتجميع التلاحين
لا تجتني راحة الآمال في تعب ... ولا تنال العلى إلا من الهون
وطالب العز في الدنيا أخو كدر ... وإنما الصفو منها للمجانين
يا من أراد أن أحث العيس من وطني ... لما رأى الرزق فيه ليس يرضيني
دعني فإن لي قلبا ينازعني ... فلو تحولت عني حله دوني
لأن من وطني طورا تطارحني ... طور الأماني وطورا فيه تقصيني
مد للأعنة عني وانثني عن ... سير الأرض بعدا من يسير يبريني
هذا يقول عني بن صافر طمع ... وذا أحين أريد البر يجفوني
البدع عني أملي يبعد بها ... عني وذي بدا يطغيني ويغويني
يا لحظ نحو عني الست أملكه ... يرقى ولا لي حال منه ترضيني
ومرامة دير لا ألم به ... لولا أجما كان ما أعطيت يكفيني
لا أصبر على ما كان من كدر ... لم أعطاه بين الكاف والنون

ومن آثار مولانا أيده الله تعالى القنطرة الذي العظيمة الآتي الفخمة
على نهر مليان المنصوبة جسرا على الطريق العظمى ممر جهة
السابلة من جميع البلاد الغربية وهي من أحسن القناطر جمال منظر
وإحكام بناء وعظم منفعة فقد كانت السابلة على كثرتهم يحصل
لهم جمود أيام الشتا ووقت زيادة النهر في عبوره إلى العبور إلى
القنطرة العزيزة على طريق واد سبو فيتجشمون زيادة مسافة ذات أميال

ويتركون الطين بين الجادة ومن الاتفاقات القاضية بسعادة الجرو نحو
السبعين انه لما وقع الشروع في بناء هذه القصبة احتيج الى قطع الصخور
العظام التي تقاوم شدة جري الماء لتوضع في الاساس ووقع بها التسمح
وكان بين مكانها وبين المكان الذي تجلب منه الصخور العظام مسافة بعيدة يحتاج
في نقلها منه الى العمل كبير ومشقة بادحة فلم يشعر احد الا وقد برز بعض
القلعة على دبير من الصخور العظام بارض في بيت جدار من مكان القصبة
بينه وبين شوشة تزادن فاشتهر جودها وبنوا بها كما انها كانت معدة لهذا
الشان وبقي ذالك المكان مقطعا للحجارة المعدلة التي تعجب المباني
الضخمة يجلبها منه من شاء ورايت باعلى القصبة رخامتين مكتوبا على كل
واحدة منهما ابياتا تنتهي اشارتها اجرتها وهي اليمنى على طابق
الزاهب من الحكمة مكتوب عليها من نظم الهوزغي

افخر بحسن تجلى • بمثل صنع اجمل
في زهوه مليان عن • جودة ويعتلي
ومن معاني اسمها • يطفق قطر الاول
وزاد فضلا ادونا • لمن يحل بالمنزل
بحرحين من ضا • معنى العبارة الاول
بلغه خالقه • ما يبتغي من امل
وبالسمر رحمه • زكاته ابدا علي

وعلى الاخرى وهي اليسرى من نظم الطوسي

افخر بحاسن مبنى • قد تم حسنا ومعنى
على الجليان يزهو • على القناطر حسنا

خز

فجزا الامير حسينا . بنا وبنا وامنا
بارفق به واناله . مولاي ما يتمنى
يبنيه سعي جميل . لغيره ما تسنى
يا عابر الجسر تمشي . من فوقه مطمئنا
للمنشي ادع وارخ . علاه بانشا يهنى

واما القناطر الصغار التي نصبها على اودية واماكن يعسر عبورها
اوقات الامطار والاوحال وكثيرة كقنطرة الخوخ او قنطرة وادي الجيطي
وقنطرة الاحواش وقنطرة الميزان وغيرها اكبرها قنطرة البغلة التي على
خليج من وادي زرود يتخطى فيه انشا حل من الغيوان ومن ماثره الجميلة
وصنايعه الجميلة ومطانعه الضخمة سور الغيوان والربع اداره عليها
سياجا وشيد عليها فطاطا وحلاه به سوارا فقد كان يونس بن جبلي
باشا كان قد احتشم عز اهله واستاصله جملة بلاهى ايام الفتنة حصن
ملك الغيوان بعد حصارها الطويل وبقي على تلك الحال متجمعا ايام
علي باشا كلها فلما ادبل المولى محمد باي واستقر اريكة الملك بالحضرة
صرف عزمه الى رجع دعايمه واحيى معالمه واهتم بذلك واعتنى به
واعتزم على ان يديره محيطا بربض الغيوان كلها وبلغ الامر
من الاعلام والطالحين من رجالها بوجه اليه مهمة العملة من الحضرة
واختطوا اساسه على حسب ما قرره واجتروا البنا من الجهة الشرقية
حيث للربض هنالك وتبا عدوا عن الاشرار العيرة مسافة قريبا من
الاستدارة على وجه تقريبي وبنوا طابية من السور والبرج الضخم
المشيد الاركان وعاجلته المنية عن اتمام ما اراده رحمه الله تعالى

واشتغل بالامر بعده مولانا الظافر ابنه بعد ان بقي بعضه الى التمام لاكنه
رام ان التمام على ذلك الوضع ياتي على الاموال ويقيد ونذ الازمان
ولايوجد التعب بيد بالمدفعة يبنى القصبة واخرجه الى الاساس
العزيز وانه متقن البنا محكم الصنعة محيط بالمدينة دون ارباضها
واخذ الناس في بناء الدور في البراج التي استقى من اساسها السور القديم
ومن القطعة التي فيه اتم بناها اخوه رحمه الله تعالى بقي ثلثها الا
نحو ثلاثاية ذراع ولما تم بنا السور امر بعمل قوارين كتب في الرخام
على ابواب المدينة الاربعة من نظم الكاتب احمد سمية فعلى باب تونس منها

- هذا الذي يسمو مشابه سما وحسن لطلعته الزمان تبسما
- ما للبلاد البابا الا هالك ان حف وحسن بان كل منهما
- بابن الحسين علي باشا اظهرت غرماته سورا بسود كلما
- ودعا الابواب المدينة بهجة تاقت بحسبته بوجه الانتما
- يا داخلا للفتح وان مورخا من باب تونس جز مصانا في الحما

وعلى باب الجريد

- قال الشريطي من عمير بسور لاح من ملك جميل
- مثل حسين باي علي باشا هما العلياء ذو الراي الاصيل
- لدى الفتح وانحكام سور برا كنطام عقيان جميل
- ومفتاح الفلاح سعى اليه بحل الباب المجنى المنزيل
- من الباب المبارك جي وارخ هنا الى كلات في الباب الجديد

وعلى باب الجلادين

سور المدينة باق بالتحسين والباب منه كغرة بجبين

بلا نقص

- بانفاق وادع لمن سعى لنفعه . تجزيه بالحسنى والتمكين
- نجل الحسين علي باشا من له . عزمات مأمون وعز أمين
- كثرت مزاياه وجل ثناؤها . عجزت عن الاحصاء والتبيين
- حسنه الخط اثره الجمال مؤرخا . بالحسن خطه بباب جلادين

وعلى باب الخوخة ويسمى باب الجامع وهاكذا سماه في الشعر

- الله اكبر لاح باب الجامع . كضياء صبح او كبرق لامع
- جلاء بها للشاهدين رقة . وتشوق وتشوق للسامع
- لما البهاء على ابن النبيه . بالسور احرزه به لمنافع
- والله ينفعه بنيته وما . يبغي له بسعي بغير ممانع
- فخرا خيرا اذا انتهى تاريخه . خير الصلاح فتح بباب الجامع

ومن آثاره الحسنة الشاهدة بفخامة الدولة ونباهة شأنها ما اتخذه
ببارده المعمورة من القصور المشيدة والديار البهية والاواوين السامية
والغرف المنيعة والمجالس الموطنة بعد كانت بارده على عهد ملوك
الموحدين من بني ابي حفص متنزهاتهم واي متنزهاتهم التي
اتخذوها لفسحهم وخلاعاتهم كاسر الطابية واي جمرو فيها من مطاعم
لاكنهم ما اتخذوها دار السكنى ولا محلا لاقامة مراسم الملك حتى كانت
دولة الامراء جعل هم باعتبار اجنابها وبنوا بها الدور والمنازل وصيروها
مدينة استقلوا بسكناها تجافوا عن ملابسة الجمهور من اهل الحاضرة [illegible]
عن التورط في حبائل نورتهم واختاروها لنفي بعض من الحضرة [illegible] على
من [illegible] منها وأول من [illegible] على [illegible] بسكناها منهم محمد باي
ابن مراد واخوه رمضان باي وابن اخيهما مراد باي ابن علي ولما انقرض

دولتهم وهلك بعدهم ابن اخيه الذي بيده ربض سكناها واستقر بدار حمودة باشا من
الحضرة للدلالة على الانزال بحمايته فلما ثار عليه واستبد بالمملكة المولى
الامير رحمه الله تعالى بعد مهلك محمد الاصغر انتقل اليها اريكة المملكة
واسكن بجامعه خاصته وحرمه واقام بها الجمعة ولم تقم بها قبله وبقيت بها
مدة دولته وبها كان مولد موالينا ابنائه الكرام وقد انتقل منها ملك
بعده علي باشا اعتنى بها غاية الاعتناء في ادبيها زيادة تقي بمن ضعفها
واداربها خندقا حاجزا اوكثير ابراجها وبنى بها القشلات المتسعة
واحتفل بالقصر وجلب له الرخام والمرمر جعله فيه للزيادة على ما صنع فلما
رجع فيئها الى ابنه وملكها الى منطابه واعطى الغوص بداريها بعودة
مولانا ابي الثناء تعالى الى موضع سلطنته منها اتخذ منها ما لم تخرج
على ذي اهل من تقدمه فبنى بها المصانع الحافلة وجلب اليها من
المرمر الملون المجزع ما لم يجلب الى الحضرة قبله حتى صارت نزهة
للناظرين وموقعا لابطالهم ومرحلة مطنعه بها المحكمة السامية
المناظرة لمحكمة علي باشا المضاهية لها في فخامة انشاء الابنية
عليها في حسن الشكل وكون المدخل اليها من البيت بما غنى عن تجشم
الدرجة بفعل مسافة الصحن في العروات البارزة وهي بدار الصاعد
الى العلو وكاتب على يمينه وصارت الان لمولانا ابي محمد حمودة
باشا باي واطال الله سعادته يجلس فيها ايام الاعياد والمواكب والحكم
بين الناس اذا استخلفه مولانا ابوه رحمه الله تعالى في ذلك وفي سنة اخرى
وقد تنزه وقع الطاعون بالحاضرة العمالة من ناحية الشرق وتوقع الناس
وصوله الى الحضرة في سنة الله تعالى وارجو من الله ان يكفي مولانا عنه

انتهى

الله تعالى في التي رمزت خولة الى باردو فطالما الله تعالى بمنع الداخل اليها ولم
تطب نفسه بترك الحكم بين الناس والنظر في احوالهم فعمد الى برج من ابراج
سور باردو المعلق لوضع المدافع وهو الذي على يسار الداخل اليها فالغى كل
مدافعه وازال شبابيكه وبنى عليه قبة في مشرفة على الحديقة ومن اركانه
يجلس فيها للحكم بين الناس يسمع كلامهم من غير ان يدخل احد منهم الى باردو.
بكفى الله تعالى شر ذلك وارتفع الطاعون من اطراف العمالة وبقيت
تلك القبة من احسن الاواوين مطلة على بساتين منسوبة ومن اربع الحي في جهة
مشرفة على الداخل الى باردو والخارج منها وجعل لها منفذين من البيت
الطويلة التي بصدر القبة احدهما عن يمين الجالس والآخر عن شماله ومن عجيب
ما اتفق بها انه لما استقرت فيها واحتجب الناس في شر باعتها آخر
من كل من الهاك الجاديه غنيمة للهي بها من الجلس البديع الصنعة العجيب
الطلاء والتزويق فابى شيء به باعتها بمكان ومنها كانا اعلى طرفه
لها وجلب اليها الماء في فوارة من الرخام وصحوا وعمل فيها ابو عبد الله
الورغي قصيدة كتبت بدائرها نطاقا عليها نقشا في الجبس بالخط
المشرقي البديع وهي:

سعيد الهبا في ما ابطو ويستتر . اذا كان للوجه الجميل به الفضل .
ولا سيما ان كان في خلق الذي . بناه انطباع لا انقباض ولا جهل .
بن الحسين المنيف ويسعد اهله . ويحوي به آماله الاب والولد .
ويصدق ان قال الخبير بوصفه . هي القبة البيضاء ما ان لها مثل .
لعز حبيب حتى اذا البخت زارها . تبرق وما الطلاع من مثلها ابل .
تبيح قريبا سهلها عند مرضي . وتسيرها من هذب الامر بعدل .

فجاءت كنجم النجح طال انتظاره ... وبكر فجاء للطلعة وصل

ولو لم تكن نجحا بجى طلوعه ... لما كان من برج السعود له منهل

فالعقد على باقي المنازل ليمنه ... ففي كل بيت من سعادة تكامل

وكانت للاعيان المجيز في ة ... وإن كان منها في عيون العز أجفل

فمسرح جنبها ما كان الا لم يكن ... له بديع الشكل من قبلها عمل

بتعطيد بالتمثيل ما شئت من منى ... فإن شئتها روض وإن شئتها خو د

وأفاقة أمعنت اتمام خلقتها ... بتيمة دار الملك تم بها العقل

فهي الى ادر منها والطول عرضها ... وما فر علا ذا الصرار لها نهل

وماضحت تلك البساتين حولها ... لأن قليلا كالجبال كثرة د د

على انه روض يروجه الحيا ... بأذكى نور في تفاصيلها ورد

وفي لوجها حيث الثوى منه اوثقا ... الى الشمس فوق النيل فالبهابيل

فإذا ذا اضداد الاشعة جمعت ... ومن قبل هذا لم يكن ما اجتمع الضل

على اربع قامت وإن كان شبهها ... من الغير يكفي في ملاحتها فل

ولاكنها زادت لتلعب بالنهى ... الى الغاية القصوى اساطينها المثلر

وما فيه الاخلاخ منها لمن كثر ... مواقف وأمواف الجبل به تعرو

لمعنى تى الاخا منها لما ينا ... بها هي الامن جناب بها الخلل

والقت على طهو الطى في وهادها ... ليلا يلاقي الغي في قصرها الوبل

وتبو من نوب مرمر ا في د ... وتسمع نبرا صوت من قصه الى جبل

بحسب من استعجم من الضيف قمة ... وحسب الذي يلقى لعادات العود

واعظم بها والتي حيكت وبله ... بجاهسة فعسا في مسها طود

ولو نطقت قالت لزائرها كن يلي ... ومن حسنا فيما اطبعنا له بعل

دكبة

جبون

طبعت على التقوى وقبل من دخلا ‌ وادخلوا الزيادة ومن طبعة الطرد
واين مجيئات بها كنت تحتمي ‌ امن غرور يلتقي به الضمر البرد
وما انا ذي وجهت وجهي لوجهه ‌ ومن ذكره ما ذقت الرهبى ورد
وجعت المغاني والمثاني وفوقه ‌ بدا فام جمال الحرف به يسرد
بهذا رايت السعداء مبي مقترب ‌ وانت كما عاينت منزلا الوهل
كذا الذي يعلو من ان الحي محبه ‌ ويسعل من يغدو الى الشي يشتمل
كعتبي من الموت القوي عقابه ‌ وما بعد عون الله في شدة جنل
على ان بالاسناد لي بدحرمة ‌ عليه لمرا ولاكدا يجب الحمل
هو السير البدا شاء الذي بحماله ‌ والحالة ما ينبغي بكل الحمل
مراد علي بن الحسين ومن نقل ‌ لدي النهى منان فقولته رد
اذا عمر من وفي بكل مليحة ‌ وقبل على اول وقف العمل
سعى فصل هذا وكل فكارة ‌ يجلبها سار من اللطف ممتثل
١١٨٧
دعا اجاب الله من فرد عابه ‌ وتدار بخط ابيت به اوفر السعل
نبي منه من وافي الى الخلق رحمة ‌ بمن اتى به الاسوا وتم به الرسل
عليه صلاة لا انحلال بقدرها ‌ بحالة بها عزباب فيض الرضى السر
وبرخال بلغ البيت في حصن درعها ‌ بتحقيقه جمعا الكل الكلاوة الجلل
وفي حي زلسم الله وهي وحيهم ‌ يحفو بها المبرل وفي كوها العود

وكتب في سقيفها من المجاز الابين

هذه بيت تسر الناظرين ‌ تنزل الرحمة فيه كل حين
واجب حتم على داخلها ‌ حمده لله رب العالمين
اذا اتى منها مقاما طيبا ‌ فيه ما يبغيه من دنيا ودين

• هنيت لابن الحسين ربها • وبنيه الغر انجاب البنين •
• وهي سعد ورد للانا كله • وكم بالنشو والفتح المبين •
• واذا الم البناء ارخت • يدخلوها بسلام آمنين •

وقد تحدرنا نخرج عن المقصود وما خرجنا ان شاء الله تعالى فلعل هاذين
المصنعين اللذين خصصنا هما بالذكر من شيئ لنا المذكور صدر الكلام
وانهما ما بنيا الا للحكم بينهما للحكم الذي به تنال الحقوق وتدفع به
المظالم فلنثن عنان القلم بقدر ما ملا بقي لا تنفع وخاض بيدار الايصال
عن سبيله ولا يمنع فان صدقات مولانا ايده الله تعالى واحسانه اكثرها
ذكيا وذا الاكحلا دون الطارقة لم ينقص من الغرباء وابناء السبيل
والاسارى والحجاج وغيرهم ودون الخارجي كل عام للناس معينين
من لحم وزيت وسمن وكسوة وغير ذلك ودون تجهيز من يموت من الفقراء
المستورين بجهاز وشاطر الناس ومع هذا كله فهو معتنى به
بالتفصي كثيرا ما يقول للناس امرالكم او صلها اليهم فلا يفرط
في ذلك وقدر فيه اكثر هذه الصدقات ان تكون من حلال والله
تعالى الموفق لا رب غيره

يليه بالاصل

فاعلم ان هذه الاخلاق الثلاثة التي تعد مع تقاربها بينها فرق فان كظم
الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم ولا يحتاج الى كظم الغيظ الا من هاج
غيظه ويحتاج فيه الى مجاهدة شديدة ولكن اذا تعود ذلك
مدة صار ذلك اعتيادا فلا يهيج الغيظ وان هاج فلا يكون في كظمه

تعب

تعب وهو الحلم الطبيعي وهو دلالة كمال العقل واستيلائه وانكسار قوة الغضب
وخضوعها للعقل فهو ابلغ من كظم الغيظ واشق لان ابتداء الحلم وكظم
الغيظ كالعالم الذي يجد لا عليه من اول المعرفة واما العفو فهو ان يستحق
حقا فيسقطه ويبرا عنه من قصاص او غرامة وهو غير الحلم وكظم الغيظ فهذه
الخلال الثلاثة ويدخل فيها الاحتمال هي من اعظم الاخلاق واشرف الملكات
واكرم الخصال وقد اتت تحلى مولانا ايده الله تعالى منها بما لا يفي به
في الطاق الا لمثل الاحنف بن قيس وقد خلا ايده من بعض ما يضرب به المثل ويروى
اخبارهم في الحلم وهذا شيء ورث عن من تابعه وعي به اخلافه بل عن كل
من خلقه ايده الله فلا يكاد يستفزه الغضب ولا يحمله على التشفي والانتقام
بل كم من جاهل وعفو عن جناة اما خاصته فلا يعاقب منهم من اقترف جناية
او هفا هفوة بل اكثر من الاعراض عنه وقد [illegible] الالتفات اليه ابدا انما تحسب
جناية من جنى بحسب الاسباب ولا الكلام بكسر قلبه الا يحتمل في حق الله
او للناس فيستخرج ولو من اخطى الناس اليه وامار عيته فلا قتل ولا
ضرب ولا تنكيل وانما هو زجر وتاديب هين بحسب ما تقتضيه الشريعة او به
انسيا ننه حضرت ليلة بمجلسه العالي رفعه الله تعالى وكان معنا
الشيخ الفقيه الفاضل ابو الطيب منصور المنوفي قاضي بدار [illegible]
المعمور بالحضرة فذكر الحلم والغضب فقال [illegible] لا اذا جعلك الله
تعالى انا والحمد لله لا اغضب فقال له القاضي من استغضب ولم يغضب فبغي
وجهه وكظم عليه اي الاستغاظ وقال انا جاريته الشيخ [illegible]
ايضا كالمستحق ببعض الشيخ الاجل الفقيه ابو محمد عبد ال
الطيب العثور [illegible] وانه راد عليه بالرد عن [illegible] ورضي

الله عنه أن رجلا قال يا رسول الله مرني بعمل وأقلل فقال لا تغضب وقلت
له أنا هذا الذي من كلام الشافعي رضي الله عنه وهو محمول على ما قال حجة الإسلام
الغزالي على من يعرف قوة الغضب او ضعفه بحيث لا حمية فيه حتى لا يأنف
من شيء فيه من التعرض للحرم والزوجة والأم والأمة ويحتمل الذل من الأخس
ويتصف بصغر النفس والقماءة وهو مذموم جدا ومن ثمرته عدم الغيرة
على الحرم الذي هو خنوثة وهذا هو الذي عناه الشافعي رحمه الله تعالى بقوله من
استغضب ولم يغضب فهو حمار فسكت القاضي ونهض مولانا أيده الله تعالى
لصلاة العشاء وانفض المجلس فلما كان الغد وانقضى ذ العشية وأرجع
بعض القاضي خاطبه خطابا صريحا وانطلق إلى الوزير الأجل أبي الحسن علي بن
عبد الغني مستجيرا به فأخبره بالقصة فقال له هذا الذي جفته منه حق
لنفسه أو لغيره فقال بل حق لنفسه قال له لا بأس عليك وأنا الكفيل لك بذلك
ثم جاء أبي عبد الغني إلى مولانا أيده الله تعالى وأخبره بما دار بينه
وبين القاضي وبما قاله الذي حضر فقال له جزاك الله خيرا أما أنت فقد
أخبره أنه لا بأس عليه إذ يريد أن يتحدث في حتى يقال غلبه الغضب وطلب
الانتقام لنفسه حتى عن قاضيه لا يكون ذلك أبدا إن شاء الله تعالى
ومن جملة الدال على انقياد غضبه لعقله ودخوله تحت قهره أنه حضر
بجمعه الأيام مجلس الشيخ الفقيه القاضي أبي عبد الله محمد بن علي
سوسي قاضي الحضرة لحل حكمه رجل يعرف بوكيل الطبيبة متى أبقى معه
خصم له فبادر الجلاء إلى أن صار منه في حق مولانا أعزه الله تعالى
حين ذكر له خصمه من قبيح القول ووضيع السب ما لا يليق أن يذكر
فأشهد عليه القاضي بذلك وسجل عليه ولما حضر القاضي مجلس مولانا

الخبيع

الى تبيع يوم المجلس انه بالى الرجل المذكور واحضر السجل الذى فيه الشهادة عليه
بما صدر منه فلما علم مولانا اعزه الله تعالى القضية على وجهها امر باطلاق الرجل
وقال له اذهب فان الحق لك وقد عفوت عنك واتبعت الى القاضي فعاتبه وقال
له كان الاولى بك ان لا تبلغ اليهم مثل هذا وفي سنة خمس وثمانين ورد على
الحضرة رجل من اهل مسالك اسمه عبد الله كان منتميا الى بعض الاولياء وهو يتوسم
ثم ارتحل الى المشرق فاقام بمصر وانتقل الى الحجاز فجاور مدة ثم انتقل الى
اصطنبول فاقام بها ايضا مدة ثم ورد على الحضرة وبيده كتابان من
مولانا السلطان مصطفى خان رحمه الله تعالى الى مولانا اعزه الله تعالى
مضمن احدهما انه ورد علينا السيد عبد الله الشيخ صاحب المسالك واخبرنا
ان اهل مسالك الاشراف من خليفة مرفوع عليهم الظلم من جانبكم بالزام اياهم
اداء اموال من جبايات وغير ذلك وجه الظلم فلتنظروا ذلك عنهم
وتعفوهم من جميع المظالم الا انه اي لا ينبغي ان يظلموا بالظلم وفي
الثاني انا كنا كتبنا لكم في شان اهل مسالك الاشراف لترفعوا عنهم
الظلم لشيء جاءهم فلم تمتثلوا الى حد الوصية والامر برفع الظلم عنهم
وامتثال ذلك وتاريخ الثاني بعد تاريخ الاول بنحو ستة اشهر
واتى هو ثم ارسل عنه بالكتابين جميعا الى مولانا اعزه الله تعالى ودفعهما
اليه فلما اطلع عليهما استشاط غضبا وقال الله اي ظلم صدر مني لاهل
مسالك وما الذي فعلته معهم مما اوجب هذا منك ثم ما كفاك ان كذبت
علي اولا ورميتني بالباطل حتى كذبت علي ثانيا واظهرت للحضرة
السلطانية اني عصيت امره فكتب لك الكتاب الثاني والاول بلا
بينة لم اطلع عليه بصدر منك الا الاجل من التهور في الخطاب ما

للمزيد عليه فكتب مولانا أيده الله تعالى إلى أهل مساكن واستدعى
جماعة من كبارهم وأعيانهم وقال لهم أي ظلم صدر مني لكم حتى تسلبوا لي
صفة السلطنة وتشكوا بي وتنسبون إلى الغيبة وأنتم تدرون جميع
ما طلبته إليّ علاياً من العوايد المخزنية وأخلصتموه في أداء زيتونكم العزم
على كل أصل أربعة نواصي [illegible] لكم وعرف الخواصة من أوايل دولة الترك
إلى الآن لا تؤدون عليها شيئاً وإذا لا يرى بالعذر ما يلي ممن عشر
في ماوها أتاه ذا [illegible] فاتوني الزيتون ومطالبكم بأداء عشر ما تقولون
منه الذي هو حق شرعي فحلفوا كلهم بالأيمان المغلظة أن هذا العمل لم يكن
عن ملأ منهم وإن ليس عندهم علم بشيء مما ارتكبه ذلك الرجل وقالوا
لا تؤاخذنا بفعل رجل مختل العقل وكيف تترك عنا قانون الزيتون الذي
اتفق عليه المرديين وبين الترك من أول ملكهم وتأخذ منا العشر الذي
لم تجر علينا عادة بإعطايه بجانب الخزن فلا تحرك علينا صرنا لا نجد به
وفي جيههم إلى بلدهم لما تحقق منهم الصدق وأهمل عبد الله المذكور
ولم يؤاخذه فلم يزل يعرض الأمير دد إلى محكمته الشامية ويتهور
في كلامه فأمر أيده الله تعالى أغا الباب أن يصده عن الدخول إلى
باردو وأقام بتونس واختلت أحواله وضاقت معيشته وبلغ منه
الجهد مبلغاً عظيماً فلما وقعت عليه هذه الحالة أعلمت به مولانا
أيده الله تعالى وكلمته أن ينعطف عليه بشيء يسد خلته في ما يجعل
عليه من الجهة وقال هذا أولى من يعطى لأن ما نعطيه إياه يكون خالصاً
لله تعالى إن شاء الله تعالى لا لمساوته إيانا وأمر أن يعطى مع جماعة المتعيشين
الذين يأخذون نفقتهم كل يوم جمعة من باردو المعمور وأذن له في الدخول

إليه

اليه ويقبل يده يوم الجمعة فاستمر على ذلك الامر ثم وقع بينه وبين بعض اصهاره
شيء وخاصمه ادى ذلك الى ان اتى الى مولانا ايده الله تعالى واطلعه
على السبب الذي من اجله توجه عبد الله الى حضرة السلطنة العلية وكتب
له ذلك الخط بذاته وهو كتاب من الشيخ مساعد بن سعيد صاحب مكة المشرفة
رحمه الله تعالى الى حضرة السلطان مصطفى خان قدس الله روحه يطلب منه
ان يكتب للشيخ عبد الله الشهير المشاكي كتابا الى صاحب تونس بدفع الظلم
عن المذكور او اهل مساكن فانهم قد ارهقتهم المظالم واعطى الكتاب الى مولانا
واطلع عليه فاذا عبد الله توجه الى عود الكتاب اليه بعدما اطلع عليه السلطان
وبقي في مخبأته فبلغ ذلك الامر مولانا ايده الله تعالى والمه فاستحضر
عبد الله وزجره وقال له فيما استحللت هتك عرضي بين الملوك بالباطل
من مكة الى اصطنبول فهل وقع مني ظلم لك او لابيك او لاحد من اهل
بيتك او كان بيني وبينك او بين احد من اقاربك معرفة او ما يوجب شيئا
من هذا فاعتذر بمعاذير باردة ولم تخرج عن التقصير في كلامه وما رأيته
ايده الله تعالى غضب في وقت مثل غضبه في ذلك اليوم وقال هذا
رجل مجنون فينبغي ان يجعل بالمارستان مع المجانين ثم رجع الى الحلم
وخلى عنه في الحال وصرفه الى منزله فلما كان يوم الجمعة دخل عليه
ليقبل يده واخذ نفقته على رسمه فارسل اليه ان امكث بتونس والنفقة
باردو ونفقتك تاتيك كل جمعة الى منزلك لاني اخشى ان رأيتك ان تبدر
مني بادرة اليك لاني لا املك معها سورة الغضب فصار يمشي الى باردو وهو
ونفقته جارية عليه في منزله ثم عاد بعد ذلك الى دخول باردو واسع
ومبادرة اخذ نفقته ولم يزل على ذلك الحال الآن وقد قدمنا ان محرز بن

ابن ماجي كان الماضي بتهلة الجزائر من تونس هو وبني البحي الى طرابلس بعياله
واموال جليلة فخاله بارى بنفسه من القتل وانه كان يقدر ان المولى محمد باي
لو ظفر به او مولانا ايده الله تعالى فتله لكن ابقته من اجناد على باشا الانه ابن
خالتهم وحرمته وحرمة ابيه لعلى باشا ومنا صححته بعد ذلك في الاعمال
الجليلة كولاية الاعراض وغيرها فيما هو على ما جعله على باشا اصحاب
المولى الامين فانه استوعبهم قتلا كما تقدم وذكرنا انه لما حصل اسماعيل
ابن يونس بحي طرابلس في اعصى دار بها وذكر كان وقع الارجاف عنده وبه
ان ذالك وقع منه باذن علي باشا وانه سلم اليه اموالا عظيمة خرج بها
خوفا من وقوع الدبرة عليه لتسلم له وتجعل على اخفائه والابى وجهه
صورة الهارب وشاع هذا الكلام الى ان بلغ صاحب الجزائر فكتب الى
صاحب طرابلس يطلبه منه ليستوفي منه اموال على باشا من اوجه عند صاحب
طرابلس وامتنع من تسليمه ثم ان محمد بن ماجي كره المقام بطرابلس
واختار الحصول في قبضة صاحب الجزائر فلما حصل عنده بحث عن حقيقة
الامر واستقصى احواله بعد القبض على موجوده فلم يثبت عنده شيء
من ذالك وتبين ان ذالك الارجاف لا حقيقة له فخلى عنه واستغنى بالجزائر
مستوطنها الى مدة اخرى وتاقت نفسه لاشتياق نفسه الى وطنه لما علم من
حلم مولانا ايده الله تعالى وعفوه وحسن معاملته مع اصحاب على باشا
فكتب اليه يطلب منه الامان ويستاذنه في العود الى وطنه فاقبل
بعياله وماله وقوبل بما للمزيد عليه من الاكرام والتبجيل وعينت له
التعيينات واستخدم ولي من جملة مماليك الخاصة الذين يتولون خدمته
اعزه الله تعالى في بيته واستاذنه بعد الحج فاذن له

[illegible]

ورجع

ورجع ثم بعد ذلك في سنة خمس وثلاثين كان القايد احمد السهيلي الذي قام
بامر الفشتالي وهلاك مع ابي يوسف وطوع له اهل الجبل فاطبقه وصادره على
ابنه وبقي معه الى ان هرب عند جواره كما تقدم للاردا ما صنع ايده الله تعالى مع محمد
ابن مامي من العفو والاحسان وعرض نفسه من الجفاء بالحيا ابره وكافه
الى العود لوطنه كتب الى مولانا ايده الله تعالى يطلب الامان والاذن في
القدوم والعفو عما جناه فكتب اليه بذلك فقدم بعياله واولاده وقدم
معه جماعة من اهل وهلاك الذين هم جماعته فقوبل بالامر بدعليه من
الاكرام والتبجيل والاحسان وعينت له التعيينات وولاه قايدا على اهل
وهلاك كما كان قبل عصيانه ولم يزل على ما عمل الى الان يختصه ويولي الحلة
على ما ابرته ويبيت يحفظه في بعض الليالي ولم يعاتبه فيما صدر منه من قيامه
مع ابي يوسف بكلمة الى الان سمعته ايده الله تعالى يقول غير مرة
انا شريف لولا انني فعلت مع محمد بن مامي واحمد السهيلي ما لم يفعله
احد من العفو والاحسان ولي عليهما بذلك مزية عظيمة وليس الامر
كذلك بل لما علية الهمة من وجهين احدهما كونهما اليّ ولم يستوحش
مني والثاني ما ظهر للناس بصنيعي معهما من الحلم والعفو والوفا
بان عفوي عنهما ليس كعفو غيرهما ولما استقر المولى محمد بابي رحمه
الله تعالى على اريكة السلطنة بالحضرة وحصل على اصحاب علي باشا بامرهم
امر ان تكتب له جريدة باسماء الاكابر منهم فكتب له جريدة فيها اسماء
نحو السبعين منهم فجمعهم والتنكيل بهم وتفنن فيه انواع العذاب عليهم
وثنا ورتب ذلك مولانا نصره الله واباه فقال لا باس دونا قرب فبور
على جميع ما له حتى للكرا اجلا ان تخرج منه فلا والاوكيعف يكون هذا

وأصحاب علي باشا الذين في زعمهم ان وقفة ما ينبغي فوق بنو أخي الباي في
أعمالهم بفلان فعل كذا وفلان فعل كذا وعددهم له فهؤلاء إذا بلغهم
أن أصحابهم سجنوا وعوقبوا هربوا وبانفكاك ما تقدر منهم ولكن حزمهم واحدا
بعد واحد وتعلل على كل واحد منهم بعلة خاصة به زايدة على خدمة
علي باشا ماهي الا أن عبد الرحمن البغلوطي للدين الذي له عليه
وعلي الخطاب بجناية لحقت وبه عندا وافضاية باشا ارادة ان علي
باشا ورجع إلى صاحبه بأن أصله مملوك وقد احتوى على مال يحتوى
عليه غيره من الأموال فينبغي أن يعينه شيء منها فاستصوب
رأيه واقتصر على سجن هؤلاء وخلص المذكورين همته أعزه الله تعالى
انما انصرفت عليه بعضهم إلا أي أحيانا عملوا للبلد الجماعة حتى خلصتهم
منه ثم شعيب خالص من سجن حتى أطلقهم وقد كان المولى محمد باي
رحمه الله تعالى عازما على قتل علي الخطاب لشدة غيظه عليه
وزاد إغراء على ذلك أبو عبد الله محمد الشابعي فلما بلغ ذلك الأمر للإمام
أعزه الله تعالى قال له إن علي الخطاب مع كونه من أهل الإعادة إليه
اغني عليه من نفسه فاق وكتب ذلك الآن انه فاقتله ودمه الذي
تقتله من أجله لا يستوجب القتل شرعا فتقتل مظلوما فيدخل
الجنة وتدخل أنت النار بسببه فتكون قد عرضته لدخول الجنة
وعرضت نفسك لدخول النار ولكن ان اردت قتله فتفتش عن احواله
فلعله قد جرى قد صدر منه ما يقتضي القتل شرعا من قتل نفس او زنا
بعد احصان فإذا ثبت عندك ذلك الا بشرع شيئا من قتل نفس فاقتله
حينئذ فتكون قد قتلته في حد من حدود الله تعالى وشفيت نفسك منه

فهذا

فتعذر هو الذي كان سببا في نجاة علي الحطاب من القتل في ايام فتنته وصلات
ومقام ابن يونس بالجبل طرا اليه ايده الله تعالى كتب كثير من الاعيان كاتبوا
بها ابن يونس يعفو عنهم اجمعين منهم الفقيه محمد بن عبد الكريم احد الفقهاء
المشار اليهم وقع اليه اعزه الله تعالى كتاب بخطه ارسل به الى ابن يونس يقول
فيه الى عبد الله بن ياسر اما بعد فان زوج ابيك بها من الشوق اليك
كيت وكيت وهي غير راضية بالمحل الذي اخذتها ولا ترضى الا بد ان تكون
بعد الثا فعجل اليها الاوبة كلام من هذا الهذيان فارسل اليه واراه الكتاب
وقال له اثبت هذا الخط فاعترف بانه خطه فقال مولانا ايده الله تعالى ووحق
والله انه انتي الخط فكنت احملها له ولا اتعرض له بمكروه اصلا ولكنه لما
اعترف لم يسعني ذلك لما فيه من تضييع الحزم بتصديق المفسدين الى الحملة
على فساده حتى اذا الجانب اوذة الخالية على سلامتها بفعل بعد ما ذكره وذا لك
انه لما اعترف بالخط قيل له ما الحامل لك على ذلك ومثلك في علمه وفضله
من يكون من اهل الشغال فاعتذر بان هذا كتاب كتبه على لسان رجل
لا يحسن الكتابة طلب منه ان يكتبه لرجل اسمه عبد الله بن ياسر كان يعرفه فاجيب
بان مثلك من فقهاء البلد المشار اليهم يكتب لرجل يستدعيه لان يتزوج
بزوج ابيه لولا انك ارضيت بعبد الله بن ياسر انما ميل ابن يونس وزوج ابيه
تونس حضرة المملكة وبالمحل ما لنهاها الا الله بغلاء فبهت وتلجلج ولم يحر
جوابا فقال له انت رجل من العلماء فلا يسوغ لي ان اتكلم بما اذهب بعقل
معروف عندك ولكن لا تساكني بتونس ما دامت الحجاب خالية بيننا وبين طاعة
فاذا فتح الله عليه اعرنا لك حج الى رواب وسكن بها فلما وضعت
الحرب اوزارها اعاد الى الحضرة فبقي بها الى ان توفي رحمه الله ومنهم

الفقيه محمد بن الشيخ يوسف درغوث مفتي الحنفية وذكر انه في ايام
علي باشا تولى الفتيا معروفا وان ابيه عوضا منه ولم يكن اهلا لها وانما حصل
له ذلك لانه ابن سليمان باي بن علي باشا وان ابنة يوسف درغوث
كانت تحته فلما انقضت دولة علي باشا اخرج عن الفتيا ورشح لها من هو
اهل لها فبقي في نفسه ما فيها فلما ثار ابي يونس بوصلان كاتبه ووضع
كتابه الى مولانا ابي الله تعالى بالجبل ولم يطلع عليه عليه الا انه وقع
له وفي به عما كان يعامله به من اللطف والبر ولم يعلم محمد درغوث
السبب الذي من اجله جفاه لانه لم يقع في حسبانه ان كتابه وصل اليه
فلما طال عليه امر الجفوة استاذن عليه في بعض الاوقات فاذن له
وطلب منه خلوة فعاتبه على جفوته له وبالغ في العتب فقال له فل
فعلت معه ما لا ينبغي ان يفعله معه احد فيه قال وما الذي فعلته
معي وانا معك بهذه المنزلة قال الست قد كاتبت ابي يونس بكذا
وكذا وهذا كتابك عندي فتحير وكاد ان يغشى عليه من الخوف
فقال له اما ترضى ان اعاقبك على هذا الذنب الذي يجازى عليه غيري
بالقتل فما دونه من انواع العقاب فما يعاقب به الرجل الحليم ابنه
اذا صدر منه ذنب بجفوة مدة حتى يستقيم ثم لما رأى شدة جزعه تبسم
له ولاطفه ودعى له بالجميل ووصى به الى منزله ولم يزل يحسن اليه مدة
حياته ويحسن اليه الى ان توفي رحمه الله تعالى وكان اول ما ظهر
للناس من اخلاقه الشريفة في الحلم والعفو ان اهل جبال الماجر خالعوا
وشقوا العصا واستنفروا ابي يونس الى بلدهم وكان من خبرهم ما
تقدم شرحه من استيلاء المحلة المنصورة عليهم واخذ بلدهم

عنوة كما تقدم كان الامر مبسوطا اتت اليه طائفة عظيمة من اعيانهم
هم الذين تولوا اكبر الفتنة وبذلوا فيها انفسهم واموالهم فلم يشك
احد في انه يقتلهم لانهم ما عدوا في الخلافة ولا ما رعوها بعد كرتان
العهد في ولايته اذا امده الله تعالى ولانهم لم يعهدوا ممن قبله عفوا على
مثل هذه الجريرة الا القتل فلما حضروا بين يديه وهم نحو من تسعين
رجلا امر بتمييز ستة منهم هم الجناة فسجنوا واطلق الباقين
وامنهم ثم بعد ايام اطلق اولئك الستة وامنهم وعفا عن دمائهم
وامن جميع اهل جمال واذن لمن خلا منهم بالعود الى بلاده ولم يحرك الناس
بنزاله فقال قائلون ما عفا عن اهل جمال الا سياسة ودهاء فانه ابن يوسف
فراسته في سلا وقد يعني عليه من حين به ما يقتضي ففيه تالف الناس
ويتودد اليهم ولو انحسمت شوكة العدو و ضعف الحال ا وزارها
لنكل بالمخالفين وذوقهم العقوبة فلما كان بالربيع من انا وفد اليه جماعة
من اهل سلا بعد جماعة اخرى فلم يعاقبهم باكثر من ان استخدمهم
في عمل الساقية المعمولة لجلب الماء الى الجزيرة من الجبل الاخضر كما تقدم فلما
قضى الله تعالى بلطيف صنعه خلا سلا وجلا اهله وزاد ولهم
من ذروته امنع ما كانوا وادوا عدة وعديدا لم يبق ظلم بكرة ولا
الى ان من دمائهم محجة بالطفا انصارهم وعفا عن جميعهم عفوا عاما
وحلم عنهم ولم يلق منهم الا ابا الجلا من جملتهم الذين فعلوا بانفسهم فبعثهم
ان يعودوا اليه وامرهم ان يبقوا في تلك البلاد ويسكنوا حيث شاء وانه
مراعاة للمصلحة ولا يلزم المومن من حجر مرتين فسكنوا الفحص وافرادها
وزعواق وفي الساحل وتنا ستورو غيرها من البلاد وامنوا على انفسهم

وأموالهم وكذا عجاعز ماجي وأولاد عيار وأولاد سعيد وغيرهم من
الاعراب والبوادي الذين خالفوا مع ابن يوسف وقاتلوا معه وبالجملة
فأموره في الحلم وكظم الغيظ والعفو والاحتمال أمور غريبة والحكايات
في ذلك والحوادث اليومية لا تنضبط كثرة وقد أكثر الشعراء
من وصفه والثناء عليه بهذه الأوصاف فقلما تخلو
قصيدة مدحه بها شاعر من المدح بهذه الخلال فمن ذلك قول
الوزير الأجل الكاتب أبو العباس أحمد الناصري

- جمعت فيه أوصاف منوعة . فنون ازدهت فيه وأفنان ،
- عدل وعفو وبذل راحة وهدى . وللمعالي هنالك روح وريحان .

وقول الأديب الكاتب أحمد سمية

- يا أيها الملك الذي فتنوا له . فسمت فضائل الحسب والخور ،
- محق البغاة رماح حلمك إذ عدت . ما بين قتلى بالقنا وأسير ،
- كم مرفيه العفو منك براءة . ومضى بغفلة شواعر وطهور ،
- وكم صفحت عن العظام في أمة . وفتحت من صدر الناس وذعور ،
- وأنا دامت أبواب الخلافة طاعة . يلقي السلاح بيتها المعمور ،

وقول من قال

- أيامه الحسنى أبدا حلية . سيري لنا في ظل توفر طول ،
- يا حسنها من دولة فرهوا . خلفا الخلق ما إليه سبيل ،
- يا أيها الملك الذي حسناته . ظهرت لظهور البشر فيه أفول ،
- إن شاع فرط الحلم عنك لدى الورى . فلدى الوغى الضرغام منك ذليل ،
- أوكنت مأمون الغوائل رحمة . فلأنت شهم في القلوب جليل ،

وقوله

وقولي من قصيدة

. سواء مجد الشيب اصبح غائبا . وانت لمن لاذا به بالصفح نائب .
. تفاديت بالعفو المسيء وانما . ابدت به ما لم تبده الكتائب .
. بكانت لك العقبى بذاك وانما . تبين بفضلات العقول العواقب .
. وامن زمن جانيا ساء او مذنبة . وقلت مراد الله بعده المعاقب .
. وبات الورى في ظل امنك نوما . وارماحهم فيها تبيت المواهب .

وقولي من اخرى

. حبيت للناس بالعفو الذنوب بغير امسى اليها حسودا للذي اجترما .
. وما كفى العفو حتى زدتهم كرما . على الرجا دليلا واعطا سلما .
. يقول فاعلم ذا العفو يصدر عن معتبل بالمولى والعز بالمولى ومن رحما .

وهذا معنى غريب لا اعلم احد سبقني عليه لاحد ومن ذا الاقوال الا دليل البارع على الغرائب

. مليك حلم وعفو في الجناية لا . يثنيه عذل عذول كالاوفى الاولى .
. بالعفو منه على ذنب الزلة . طمعا من العفو للجاني وان كبرا .

وقوله ايضا

. وحملت اعناق الانام ايادي . بالمجد واعز شكر ما من تحملوا .
. عفوت عن الجاني بماء نزاهة . بالعفو الا كالعقوبة يقتل .
. ولم يكف منك العفو حتى منحتهم . بجاه لهم فيه علا وتفضل .
. كان جنايات الجناة جميعهم . بها لم يظل عليها معول .
. فعفو لهم عنهم رحمة وتكرما . كان عوقبوا لما جنوه ونكلوا .
. فلا بين عفو منك وعقوبة . تمايز الا الترح والذم ينقل .

وقول الفقيه الاجل ابي محمد عبد اللطيف القوي من قصيدة طويلة

حكم وعدل وعفو بعد مقدرة ۞ وعفة وسعادات واقبال
والناس يخشون منك البطش منتقما ۞ وانت في العدل رغاب وميال
والراحمون لمن في الارض يرحمهم ۞ من في السماء بذا قد جاء انقال

وقوله من اخرى

فالوا به حوز الجلال لحلمه ۞ ولذا السفيه الحلم يمشي مزدرا
نفوا عليه العفو عمن قد جنا ۞ ومديحه في الذكر حقا قد جرا
عفو الملوك عن الجناة اذا جنوا ۞ للملك ابقى صح عن خير الورى

وقوله من اخرى

العديم النظير عفوا وحلما ۞ والعطوف الصفوح لا السفاح
يقتل الماكر المخادع بالعفو ۞ وبالصفح لا ببيض الصفاح
ليس يرضيه ان يكون اعاديه ۞ بوجه الصعيد مثل الاضاحي
بل يرضيه منهم الجنوح للسلم ۞ ورفع الاذى وخفض الجناح
كل هذا تنزها عن دماء ۞ سفكها بالصفاح غير مباح

وقوله من اخرى

وسع الناس حلمه وهم قد ۞ وردوا عذب فضله لا عذابه
وانام الانام في ظل امن ۞ امنوا فتك بانك وسبابه
۞ وهاذه القصيدة من احسن شعره واعذبه واولها
من لصب في الحب قضى شبابه ۞ واحتسى خمرة الصبا والصبابه
لبس السهد في الغياهب حتى ۞ مزق الصبح للدجا جلبابه
ذاب جثمانه فلم تترك الاشواق ۞ الا عظامه واهابه

صاده ساحر الجفون غزي ∴ خامر القلب منه حب حبابه
شادن ما رمى الى القلب من عينيه سهم الشفوف الا اصابه
قد علاها من السفاح فتور ∴ وهي للفتك في الحشا وثابه
هو لدن القوام صعب تدانيه ∴ ومد الحفاظ والدعابه
اخجل البدر اذ اطل عليه ∴ فارانا من السحاب انتقابه
وجنى الطرف ورد خديه غضا ∴ فرمى من فوادي نشابه
غار منه غصن وورد فهذا ∴ ذو ذبول وذاك ابدى اضطرابه
لام فيه معنف فعددنا ∴ لومه في الهوى لطنين ذبابه
ثم لج العذول فهذي في اللوم ∴ فقلنا اشهر كلابه
وتراءى الرقيب يرقب في البعد ∴ فارخى عليه ليل الذوابه
ارسل الفرع حية فهي تسعى ∴ ومن الصدغ عقرب ذبابه
لسعا قلبي المعنى فلم تبق ∴ له من الحياة غير صبابه
خفت ان يلتقي الهيام على النفس ∴ كما ضرع الهوى ارابه
قلت في ريقك الشفاء اذا ما ∴ رشف العاشق اللديغ رضابه
قال لي ان ريقتي لمدام ∴ سكر لستا استبيح شرابه
قلت لم قتلتني بحق وقلبي ∴ قد تحققت حرقه واستلابه
ودم الوجنتين يشهد ان ∴ سفكت في الفتك عند قاضي الصبابه
ومليكي علي بن حسين ∴ يا اخذ الثار لي بغير حرابه
ملك يقتضي اللواء في البيد ∴ وبوجدي من الهوا عقابه
حلب الدهر اشطرا واقتضى بو ∴ ق سطاه وذا اوشهد او صابه
جل

جلل يكشف العظائم والجلى ∴ اذ ما الوطيس اذكى لهابه
يوثر السلم جانحا واذا ما ∴ ماج بحر الهيجا خاض عبابه
بصرير دون القوام وعضب ∴ صارم الشفرتين ماضي الذبابه
لا تلمه ان ازدهى حين يجلى ∴ بنجيع القدوم كان خضابه
بحسوم على الجياد جمود ∴ وقلوب حشو الصدور مذابه
يغلب الجحفل الخضم بتدبير ∴ مبين ونية غلابه
ينفذ المستجير من ريب المهالك ∴ وليث الخطوب انشب نابه
واذا امه عليل الليالي ∴ ابرأت راحة له اوصابه
من همام دلالة ودهاء ∴ حول في احواله لعجابه
يخلف الامر ثم يغري به وهما ∴ يلتبس ما ز قشره ولبابه
يكشف الغامض العويص فما اعضل ∴ امر الا وفتح بابه
بذكاء يحكي ذكاء سوى ان ∴ ذكاه ما غاب يغري به حجابه
ما دعا مشكلا من البحث يوما ∴ لحجاه الاسنى فعالا جابه
واذا ضلت العقول هداها ∴ لهداها وقد اصاب صوابه
واذا والحبر الرام جوابا ∴ كان اقراره بعجز جوابه
واذا انه مشكل للمعاني ∴ صاده بالاريحية الوثابه
واذا للسباقة شمر كسل ∴ احرز الخصل لا انحث ركابه
هين لين مطيع مطاع ∴ ضرب المجد في ذراه قبابه
هو صعب المنال سهل السجايا ∴ قد كساه الاله تاج المهابه
واسع الصدر عن جهالة الرعايا ∴ ليس مستكبرا ولا عيابه
وسع الناس حلمه وبهم قد ∴ ورد واعذب بفضله لا عذابه

وانام الانام في ظل امن   امنوا امن فاتك وسبابه
غالطتنا طباعه فغلطنا   وحسبنا اعداءه احبابه
لبس يدري عدوه انه منه   بعيد وخال منه اقترابه
طبعه الحلم والرزانة والعفة   والعفو لا الجفا والخلابه
فاذا انجدت النفوس ومغنا   طيب اخلاقه لها جذابه
رايت المكرمات قد حازها الصلـ   ـطان حواها ولا يمين عرابه
فاذا اقبل من حوى رايت المجد   اشار واليه بالسبابه
صهوة الملك قد علا وهو طفل   بين اشباحه وابن شبابه
ذو لسان رطب وامام الذكـ   ـر ونفس لربها اوابه
مع ما حاز من خصال المعالي   كلما استصعب الجميع طلابه
قام في جامع الليالي خطيبا   ثم قد حاد ونهم محرابه
خلق مجمل وخلق جميل   فاذ في المجد والتقى اضرابه
وجوار لا عيب فيه سوى ان   عطاياه للنهى سلابه
فاذا الغيث اطلع الجود طلعا   وجد الناس عنده ارطابه
اوشك البحر ان يفيض اغتياظا   حيث والى امواجه واضطرابه
واتى الغيم حاكيا الندا   ثم اضحى يبكي عليه كئابه
رعده معول والبرق ذو خفق   وعيون تجري به سكابه
جاء للغيث وان في عالم محل   لبس الجو فيه ثوب ضبابه
فاستفى اثر درسه للبخاري   فسقتها السحائب السكابه
وحبا الناس عسجدا ولجينا   اخجلا كل زاخر وسحابه
كل حين تاتيه رغايب للنا   س فيا لتون عصبة وعصابه

دام في حضرة الكمال عليا   للبسا تاج عزة ومهابه
وبنوه الكرام في ظل امن   وهناء وعيشة مستطابه
وصلاة مع السلام على المختار والآل بعده والصحابه
ما رقى منبرا لوعظ خطيب   ودعا الله سايل فاجابه

وهاذه القصيدة عارض بها قصيدة للوزير الكاتب أبي العباس احمد الاصرم على هاذا الروي والقافية يمدح بها مولانا ايده الله تعالى وهي

يا رعى الله للربيع شبابه   اذ اشاب البطاح زهر تشابه
هينم الغصن في الرياض بتصبي   مثل ما سلسل الحبيب عتابه
واكتست بالزهور ثوب عروس   كان في كفها الشقيق خضابه
عبس الجو فوقها فجبنا   من عبوس اتى لتنفي الكآبه
عجب الطير عندها وتغنت   ان دعا منشد اخاه اجابه
يوم قامت على منابر افنا   ن اجاد الهزار فن الخطابه
لي روع ما اجر عوالي عن رياض   وحياض وربرب وربابه
بالجفون اللوامز مبين قلبي   همت من قوس ما علمت انتشابه
وفتاة فتانة ان تبدت   سدل البدر من حياء حجابه
بسقتني العيون اي عقار   لم يمازج ومن يطيق شرابه
لو ترى اذ اهان بين يديها   شمت شيخا وشيبة ما عابه
تتجنى فاستقي خضوعي   يستقي وصلها فتسقي سرابه
ونظام وشيته لم يوشي   لولاك ما انتحت لبابه

بكاي وخالص الوجد مني ∴ جاهل في الهوى يبغي الكآبه
عمرتني بوارف من رضاها ∴ هاكذا هاكذا فتنبل الصبابه
كم وفيت الحبيب دهرا بعيني ∴ ثم كان الهوان عين الاثابه
وخلعنا العذار ثم طليقا ∴ لا ابالي شغابه وشغابه
واذا استفهم العذول لحاني ∴ استحي ان يكون هو في جوابه
لي من قتلتي اعتذار فرضي ∴ وجعلنا الوشاة نالوا لبابه
ثم اذا اعوا عني اقاويل هجر ∴ اثرت هجر صادق لا يشابه
املوا منك خفض ما رفع الشـ ∴ ـه ولطف الالاه والانتصابه
وكثير على الفؤاد حسود ∴ يتهم الصب بالذنب فيه اصابه
فلاهل الولوع ان المعنى ∴ ما يكف الصنيع بطيء التهابه
ولكم ذقت في ودادك بلوى ∴ سمت نفسي هلاكها الا هابه
اكذب الناس الصدوف ارتياب ∴ اين للصب ما بين بل ارتيابه
ثم تغذيتي بالمرار مرارا ∴ وتمليت عذبه وعذابه
كل اذا جي رضاك عنه فليل ∴ ساعة منك تستهين صعابه
يا اتي في تذكر من ساعة وصل ∴ حين كنا والكاس يذري حبابه
تتدلى من الغصون علينا ∴ ماسيات والنبت زان ترابه
منه قد بتا في نمارق خضر ∴ بين بيض النحور سود الذوابه
والسما اكتست وشاط نظيرا ∴ والصباح انبرى بريد انتهابه
وكان الهوى بر واش رقيب ∴ طامنا بابن ام كشر نابه
خبت طغيانه وعدت برامي ∴ القوس انما بقلبه نشابه

وكان

وكان النسيم والجو سامر ∴ ساهر ضعفاء المدام خطابه
وكان الدر المنظم في النعش قطاع من الهلال مخابه
غارت الشهب من يمناها وغارت ∴ فسخ الفجر من دجاها غرابه
وبدت شمسه ولما تجلت ∴ فتح النور من عليه نقابه
كعلي مولاي لما تبدى ∴ حل عل من العلاة جرابه
اقول هذا من المخالص البديعة التي يعقد عليها بالخناصر
ثم قال بعد مدح

عمرك الله حضرة بن حسين ∴ جنة سهلة القطوف مطابه
محضت عن سماك ام المعالي ∴ وقضى المحب من سناك اعتجابه
ودعا الدهر ان تحلى بعدل ∴ كنته اذ دعى بوقت الاجابه
دمت فرداو مجمعا للمزايا ∴ تتوالى عصابة بعصابه
ان يولى الانسان ما يقتضيه ∴ حزت في دارة الملوك القطابة
انما الفضل في سواك معار ∴ قام فيه الشوى مقام النيابه
ذاع في افريقية منك نشر ∴ مثل ما ضوع النوار هضابه
طلعت منك نجحة فاسرت ∴ اذ سرت في قطافها جوابه
جلبت خلفك الخليفة طرا ∴ فدعوناها الدعوة الجلابه
نسبتك النهى الى ما ظهرتها ∴ فعلمنا ان النهى نسابه
بدر عليائك واضح ليس يخفى ∴ منه بدر السماء يكسى ضبابه
فلك انت من بنا ظلك برى مي ∴ ضوءك المنتقى عليه شهابه
انت بحر بلا ءاك مالح اجاج ∴ انت قطعا غمامة سكابه
انت بنحوك كل فضل وخير ∴ حيثما سرت تجد فيك طلابه

هاذه شيمة المليك علـــي ⁂ هاذه هاذه السجايا المطابه
انت تعني عليا بن حبيــــب ⁂ ان من عنصر الكمال انتسابه
فخ ارادت اقرانه الغوص في السلك وباى الهمام الاعبابه
جمع المجد والشجاعة والسو ⁂ دد والجود والحجا والنجابه
باهر طاهر نقي نفـــيس ⁂ ماجد هاجد كبير المهابه
هين لين وفي حومة الحــر ⁂ ب يعير الهندي منه الصلابه
يتمشى الى الحروب روبيحـ ـا ⁂ بين جنبيه مهجة وثابه
ان توقت اقرانه بحد روع ⁂ اكتسى حض ربه جلبابه
يتلقى اللقا بنفس جموح ⁂ زينت من دم العدو رقابه
سعدت به امة النبي به اخـ ⁂ ـشى المال والعدا والحرابه
في هبات ذاهب وهلم مصاب ⁂ ولجين يلج مما اصابه
كرم يخجل الغمام فجحـ ـد ثـــ ⁂ ـما ترى من جديده ياسدابه
جال في مجمع مهيع الكرام طليقا ⁂ وامتطى كعبه الرحيب رحابه
نشرت راية المكارم فينـ ـا ⁂ يتلقاها الكمي لاعرابه
من فتى قلب الحوادث والدهـ ـر وعانا اقباله وانقلابه
هو في عسكر بن باسا ورابا ⁂ جاء كل مطنب الطنابه
وكثير من الملوك سوا ه ⁂ واجتهادي لاكن ابن الاصابه
هو في جده مجيد مجيـــد ⁂ اويداعب عبينك حسن الدعابه
علمتني صفاتك المدح لولا ⁂ انت اغلقت من قريضي بابه
صارم اصرم انا بكـ ـالا ⁂ انني في عداك اسقي الذبابه
بعث عمر بن حسين مطبعا ⁂ في رضاكم اروم منه صبابه

وبوادي

وفؤادي سكنتموه فما انتم ∴ احد منكم تحب انتكابه
غمرتني في بحركم منن الله ∴ وسيب لاخر موج انسكابه
مطلبي في الدنا ابا حسن ان ∴ طال قولي فلم تلم اطنابه
انما جاء مقولي ترجمانا ∴ عن لسان الورى انيب منابه
ايها الزاخر الخضم بكل من يشتكوه ∴ من نداه يملا وطابه
دم معافى بظفر امر بعادي ∴ يك يعافي خواره ونعابه
انت في حصن ربنا وجوار ∴ بشفيع الورى وغدا والصحابه
وللكاتب احمد سميه معطى القصيدة لامر هذه
درر هاذه بدت ام دراري ∴ ام رياض زهت بفيض السحابه
ام بدور سطعت ببازي سناها ∴ واطارت من الظلام غرابه
ام شموس تلالات في المعالي ∴ فازالت عن العيون ضبابه
او عبير من العنبر اهدى ∴ نفحة تذهب العنا والكآبه
ام خدود بجمرها تتجلى ∴ في سما الحسن تختليل الذوابه
ام لآلي نظمت في عقود ∴ لنحور بها البها والمهابه
ام نظام الذكي بهي المعاني ∴ احمد الاذكياء فخر الكتابه
هو بحر فان بدا منه كدر ∴ بارع في مجاله لا غرابه
لا يلام القريض ان تاه فخرا ∴ سيبه امر كبير النجابه
كيف لا وهو في علي المعالي ∴ ملك كل من رواه اهابه
حلمه فاق حلم احنف ا لا ∴ انه من دعا رضاه اجابه
بذله فاق بذل حاتم للكنز ∴ وفضله كالغمام ابدى انسكابه

جاد دهر به وكان بخيلا ∴ وعلى من قلاه القى شهابه
فله في الحروب اقدام عمرو ∴ وبتاج السمو زاد مهابه
فاذا عاد لي شجاع مطاع ∴ في رحاب العلا جر ثيابه
قلبه بث في عداه نورا ∴ قد راينا الهلال او غابه
فيه لين يسله ماشيا واحذر ∴ من سطاه فان فيه صلابه
عفت نومي اذا رايت محيا ∴ ه وسهدي اذا سمعت خطابه
معدن ان تجمع الفضل فيه ∴ حفه بالالاء وفي مناب
زاده الله همة ووقارا ∴ وحماه عزه وصان جنابه
واطال الهنا لديه وابقى ∴ ذكره طيب النشر او جوابه

وابيات الغراب اللامية المتقدمة من قصيدة طويلة مدح
بها مولانا اعزه الله تعالى وهي من احسن شعر قائلها اولها

نعم لست عن دين الصبابة اعدل ∴ يجور الهوى في الحكم او هو يعدل
وما انا ممن يصرف العذل في الهوى ∴ عناني عن قصد الهوى وهو مقبل
اذا افتتح العذال بالعذل قولهم ∴ فمن دونه باب المسامع يقفل
ايبغون ميل القلب عنه ونقله ∴ وهل هو يوما بالامالة يبدل
هم اودعوا قلبي الاسى يوم ودعوا ∴ وهم نزلوا في القلب يوم ترحلوا
وهم حرموا نومي المحلل بالجفا ∴ وهل قيل في شيء حرام محلل
ولولا فؤادي بسعد اخبية بهم ∴ لما كان مضنى وبابهم وهو منزل
هم ظعنوا والبين يطوي امامهم ∴ ومن خلفهم بحر المدامع يهمل
وما عظم ايام اللقاء مسرة ∴ باعظم من يوم النوى وهو اهول



لنومي على عيني تولى بغيبهم ∴ ولما تولوا عاد نومي يعزل
أبيت ولي من لاعج الشوق أنة ∴ يرق لها رضوى ويذبل يذبل
أبيت ولي من صاعج البين منحة ∴ تكاد لها صم الجبال تزلزل
كأن فؤادي يوم زموا مطيهم ∴ لمحمول ما أثنيك المطيات محمل
وفي ساحر الألحاظ جسمي من الضنا ∴ إليه غدا من سحرهن يخيل
له قد بان ناضر وهو ذابل ∴ وخد كغض الورد والردف يذبل
تضيء الدياجي من صباح جبينه ∴ ومن فرعه صبح المنيرة أليل
متى افتر عن منظوم جوهر ثغره ∴ فما ود منثور المدامع يفصل
على خده خال له فضل دائر ∴ له غاية في الارتفاع ومنزل
محياه شمس وهو قوس نهاره ∴ على أنه قوس به الليل أطول
ولم يك للشمس انحراف بدوره ∴ نعم هو سمت للغوام موصل
ولم أر إلا مطلقا لصبابتي ∴ سوى فرعه والقد إلا معدل
لئن مال في تلك المناطق ينثني ∴ فللشمس ميل في المناطق ينقل
هو البدر في أفق الحشا متوسطا ∴ وغاربه دمعي كالعقيق يسبل
لتخصيص شوقي بالمبرد ريقه ∴ غدى يكساه السقم جسمي يشمل
جهلت ظنا من حبه من لو باح لي ∴ مقابلة بالخير ما كنت أجهل
ابن دا دكسر القلب من كسر جفنه ∴ وضرب كسور في الكسور مفلل
كأن الحشا مني عدول لحاظه ∴ يقارع منها بالسهام وينصل
إلى كم غرامي بالمحبة أمح ظاهر ∴ وما النوم يوما للجفون موول
وما البحر إلا من دموعي زاخر ∴ وما البر إلا من جماري يشعل
ولم أر وجه الصبح إلا لأنه ∴ إذا ما انتهى من محياه يخجل

وطول بقاء الليل من حمل شبهه ، حمول سهاد بعد وهو الحمل مثقل
فمالي وللعذال لم يك عذلهم ، بمختصر والشوق مني مطول
فشوقي حبي من هوادي نازل ، وصب به ميت ودمعي مغسل
فؤاده ابدت مسالك علتي ، فسارت لنسخ العقل فيهن تومل
واني لارجو منه تقبيل راحة ، وليت مكان الراح منه اقبل
له وهم خصر ناحل من وصاله ، اخف وردف من غرامي اثقل
اذا قلت قد انحلت خصرك مهجتي ، فصلني قال الخصر اني انحل
وان قلت لي احشاء قد جبلت على ، غرامك قال الردف اني اجبل
اذا قلت صلني قال ويحك تبتغي ، وصالي ودون الوصل موت معجل
فروعي حبلت وصدغي عقرب ، وقدي رمح واللواحظ انصل
الا ليت شعري هل ارى لي ليلة ، يضيء نهار اللحظ منها ويقبل
تنازعني الايام من كل مطلب ، كان لها ثارا علي مسجل
ارى كل سهل الامر يصعب فقده ، علي وما في قبضه لي مسهل
واعذرها عن فعلها حيث لا ارى ، بانني من ابنائها فاقول
على لابناء الزمان تزاحم ، فكيف الى قلب الهنا يتوصل
فاهون قسم في الحضوض حضر منه ، وارجح خطب في الورى بي ينزل
فما سور حظي فيه خصبي مطلق ، ومطلق حظي منه حظي مجمل
حظوظا ارى الاقبال منهزما بها ، ودهرا ارى الادبار لي منه يقبل
يقر بفضلي منكر الفضل في الورى ، بعرف من طيب وقدري يجهل
الى كم تنب عني روعت شكايتي ، الى من على احكامه الدهر ينزل

أبي الحسن المولى الأمير علي من ، به في العلا والمجد تضرب أمثل
هو الملك الراقي إلى ذروة العلا ، حميد المساعي بالسعادة يشمل
جليل عديد النفع من دوحة زكت ، سلالة ملك في الجلال موصل
تقلد سيف الحق والنصر صارما ، وقام بأمر الله بالعدل يفصل
غدا واثقا بالله معتصما به ، على ربه في أمره متوكل
تحلى بجنس العدل في فصل حكمه ، وخص بنوع الحلم والحكم يفصل
به تونس الغراء تم نظامها ، وأمانتها بين الأنام تفصل
وأضحت على ماضي الزمان بربعها ، تجر ثياب الفخر عنه وترفل
وتشرف قدرا والتشرف إنما ، يتم بأبناء الحسين ويكمل
مليك به الأيام حلي جيدها ، وكم مدة دهر عنه وهو معطل
مليك إذا الممدوح استهل بذكره ، ترى منه وجها للندى يتهلل
تغار بحار الأرض من فيض كفه ، ومن جوده فيض الغمائم يخجل
مليك إذا ما الحرب أضرم نارها ، تراه فذ وما في المواكب يقبل
له وقعات في الحروب حديثها ، على صفحات الدهر يتلى وينقل
يصول على الأبطال في كل معرك ، بصيال هزبر في الذباب ويحمل
يري فوق شهب الصافنات وقد نمى ، ضيا كغمام بين برقين يشعل
لئن حملته وهي برق فإنه ، غمام وما برق الغمائم يجهل
يصول على أسد الشرى أحول غابها ، ولكنه في حومة الحرب أطول
يعيد خميس الجيش في اثنين أن سطا ، من التشتت والأبطال في الحرب تبطل
بما ذكره بالباس يوم كريهة ، إذا صال منه الورد الأزنبل

يبادر ماضي العزم في الامر سيفه ، اذا هم بالفعل الذي رام يفعل
وان رام انتاجا لصدق قضية ، براي فما حكم القضية يبطل
له في ذكاء العقل صدق فراسة ، بها يدرك الامر الخفي ويعقل
فلم يخط في امر تدبر فكره ، كان عليه الوحي بالغيب ينزل
مليك له في الملك حسن سياسة ، على مثلها تسعى الملوك وتذهل
يروض لها ليث الشرى وهو عابس ، ويغدو بها الصعب الحرون يذلل
له بشر وجه يخجل الشمس نوره ، ويسحر ارباب النهى وهو مقبل
ويزري بزهر الروض منه شمائل ، اذا ما به مرت جنوب وشمال
ولو وقار زان منه وحلمه ، على الارض كادت بالبرية تعدل
تقي نقي طاهر العرض شاكر ، لهمته فوق المنازل منزل
مديد المزايا وافر الفضل كامل ، سريع العطايا للعفاة معجل
وفي عهود منجز لوعوده ، فلا العهد منقوض ولا الوعد يبطل
مليك اذا الامال اخلفن فهو ما ، فما منه يوما قط يخلف مامل
له ملكات في العلوم وفطنة ، بتلك منها حل ما هو مشكل
فعلم اصول الدين والفقه عنده ، ضروريها ما كان فيه تامل
وان يبد في النحو اشتغال ضميره ، فليس له في نعته منه مبدل
وان دام بحثا في البيان فذهنه ، مجاز له كل الحقائق مرسل
به روضة الاداب اثمر غصنها ، وعادت بازهار المنافع تحمل
الا ايها المولى الهمام الذي به ، غدت في العلا والفضل تضرب امثل
ومن هو بالمعروف والفضل قد غدا ، لدى الناس معروفا وفيه تجمل

لقد

لقد ملأ الآفاق حبك والثنا ، عليك وما فيها سوى ذي مشغل
وحملت أعناق الأنام أياديا ، فما عجزوا عن شكر ما قد تحملوا
عفوت عن الجاني فمات ندامة ، فما العفو إلا كالعقوبة يفضل
ولم يكف منك العفو حتى شملتهم ، بجاه لهم فيه علا وتفضل
كأن خبايات الجناة تهيجهم ، فمن لهم فضل عليك مطول
فعفوك عنهم رحمة وتكرم ، كأن عوقبوا عما جنوه ونكلوا
فما بين عفو منكم وعقوبة ، لما بين إلا المدح والذم ينقل
فكل الورى تدعو بطول بقائكم ، إلى ربها الأعلى بما يتقبل
فيعلى بالتمييز ارشا وانصلا ، على الفاعل التمييز قد يتحول
فلا زلت في أمن الكمال مخيما ، ورأيك محمودا وذكرك يجمل
ولا برحت رحمى الإله وعفوه ، يهب بها ريح القبول فتقبل
إلى أبويكم ما ثووا وشقيقكم ، تساق برضوان الإله وتحمل
فلا زلت في تاج الملوك مهنا ، ودهرك بالإقبال والسعد يكمل

وأما عفته فقد نشأ من صباه على غاية من الصون والنزاهة

لم يحفظ له صبوة ولم تؤثر عنه زلة وانتقل إلى ازعار في
أوطان ملكه وجال في مجالات الاغتراب فكان منه من صيانة
العرض والاحتفاظ على المروءة والبعد عن مواقع الريب ما
سارت به الركبان ثم استقر رجع إلى مستقر عزه واستبحى
بسلطانه فما زاده ذلك إلا التباسا بالعفاف واشتمالا على النزا
هة وكانت حاله في هذا الوصف غير معهودة للملوك فإنه

بترك الملاذ والشهوات ايثارا لدينه ومحافظة على عرضه اخبر في
ابيه الله تعالى انه كان في ايام صباه هوى جارية لبعض اهله
وكتم امرها وبقي على ذالك مدة لا يصل اليها ولا يقدر منها
على شيء فاتفق ان اذن له والده المقدس رحمه الله تعالى في
الخروج الى بساتين منوبة بجميع حرمه والجارية فيهن قال
فبينما هو ذات يوم يطوف في الجنان بين الاشجار في وقت
هاجرة وقد نام الناس اذ هو بالجارية ليس معها احد ولا
دونها مانع فامكنته فيها فتناولها فلانت في يده وطاعت
لما يريد منها فلما جلس منها مجلس الرجل من المراة ارتاعت
وارتعدت وقالت سالتك بالله لا تفضحني فقام عنها ولم
يمسها ولا عاد اليها بعد ذالك وهذه الحكاية ادخل
في باب العفة واغرب مما يوثر عن السلطان ملك شاه
السلجوقي ويعد من عيون محاسنه وهو انه احضرت له مغنية
وهو بالري فاستطاب غناها وهم بها فقالت يا سلطان اني اغار على
هذا الوجه الجميل ان يعذب بالنار وان الحلال ايسر وبينه
وبين الحرام كلمة واستدعى القاضي فزوجها منه وابتنى بها
وتوفي عنها ونظير ما وقع في صحيح البخاري من حديث ابن عمر
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال بينما ثلاثة
نفر يمشون اخذهم المطر فاووا الى غار في جبل فانحطت على فم
غارهم صخرة من الجبل فانطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض
انظروا

انظر والاعمال عملتموها صالحة لله فادعوا الله بها لعله يفرجها
عنكم قال الحديث وفيه وقال الاخر اللهم انها كانت لي بنت عم احببتها
كاشد ما يحب الرجال النساء فطلبت منها فابت علي حتى اتيتها
بمائة دينار فسعيت حتى جمعتها فلما وقعت بين رجليها قالت
يا عبد الله اتق الله ولا تفتح الخاتم الا بحقه فقمت فان كنت تعلم
اني فعلت ابتغاء وجهك فافرج عنا فرجة ففرج الحديث
وكفى شاهدا على عفافه وتجنبه مواقع الريب ومظان
التهم انه منذ ولي الامر لم يحضر مجلسه الرفيع شيء من المغاني
وءالات اللهو والطرب ولا سمع غناء ولا قرب من يحسنه مع ميل
طبعه السليم اليه وتعرفته الجيدة بين اقسامه ومعرفته
بمواقع الحانه الا ما يقع ليلتي العيدين من حضور منشد به
الترك وغنائهم بشيء من الشعر باللسان التركي على بعض الالحان
ثم جلوس المطربين والمغنين بالغناء العربي بعدهم فان هذا
من قوانين الملك القديمة بالحضرة ومن عادات الترك التي لا
ينبغي تغييرها ومن عجيب ما يوثر عنه في النزاهة والبعد
من الريب والتهم انه لما استقر والده المقدس برد الله
ثراه بالقبر وان بعد وقعة سمجة جرحا اتى له برجل متطبب
فداواه من جرحه واستخرج حبة الرصاص منه بشيء
يسير من الدواء حتى كان يظن به ان عنده شيئا من الاسرار
وكان مولانا اعزه الله تعالى قد غلب على جسده اثر السوداء

وكان لا ينام حتى يحيط به جماعة من غلمانه يحكون جسده باظافرهم
والمه ذالك فاشتكاه الى المتطبب فالتزم مداواته وشرط ان
يعينه باستعمال المفرحات النفسانية وساله هل يشرب الخمر
قال هذا شيء ما فعلته قط ولا افعله قال اما الان فلا بد ان تحضر
عندك كل ليلة من يضرب لك العود وغيره من الات الطرب
ويغنيك فانني حينئذ اجد الطريق الى مداواتك قال وهذا
ايضا لا افعله فانني بين ظهراني قوم لا يعلمون باطن امري
فاذا سمعوا عندي نغم الالات واصوات الغناء ذهبت اوهامهم
كل مذهب ولا يظنون انه مجرد سماع والعاقل من يباعد نفسه
عن مظان التهم قال اذا لا يمكنني ان اداويك بغير ذالك
استدعى المؤذنين بجامع الحنفية وكانوا يبيتون عنده
يقرءون القرءان تارة وينشدون الاشعار تارة اخرى واعطاه شيئا
من الدواء استعمله فبرئ وقد كان في بعض الايام قد اعترى
جسمه بعض التشويش فاشار عليه طبيب بان يتداوى بسماع
الغنا والالات في بعض الليالي فان فيه قوة اعانة على اعتدال
المزاج وتقوية الروح فانكر عليه ذالك وقال له اردت ان
تجعلني حديثا وسمرا واستضعف عقله ولقد كان قبل
استقلاله بالملك ايام اخيه رحمه الله تعالى ولع بلعب الشطرنج
ولذ به غير منادمة وكان يحضر مجلسه المهرة من المحسنين لعبه
ويعطيهم على ذالك العطايا الجسيمة ثم منذ اشتغل بالامر

رفض

ورفض جميع ذلك ولم يحضره في مجلسه في وقت من الاوقات
الى الان وعلى الجملة فقد عف عن جميع المحارم ونزه نفسه
عن كل ما ينقص دينه وينقص عرضه الا خصلة واحدة لم
يتأت له تركها ولا يساعده عليها الوقت ولا يقوم الملك
بدونها على ما استقر من قوانينه العرفية وهي جباية الاموال
من الرعايا على غير وجهها ولقد هم بان يترك عن الرعايا
جميع المجابي والمكوس ويلزم الناس باداء الزكاة والاعشار
على الوجه الشرعي وتكلم في ذلك مع خواصه ووزرائه فلم
يوافقه احد على هذا الراي وخوفوه من انتقاض الامر فان اكثر
الاعراب لم تجر عليهم عادة من القديم باخذ الزكاة منهم بل
امرها مفوض اليهم فلو الزموا باداءها لربما جرهم ذلك فتق
رتق يضعف ثلاثيه ولما بلغ ذلك بعض الاعراب ناشدوه
الله تعالى ان لا يفعل وقالوا له انك ان وضعت عنا هاذه المجابي
وردتنا الى اخذ الزكاة جاء من بعدك فقرر علينا ما قررته من
الزكاة وردنا الى المجابي التي وضعتها عنا حتى قال له
بعض فقهاء حضرته ممن اقطعوا اعشارهم الموت اهون علينا
من اداء ما لم يجر علينا ولا على اباءنا من قبلنا عادة باداءه
ولقد سمعته ابقاه الله تعالى يقول غلبت نفسي على جميع
الشهوات وابعدتها عن المآثم خوفا من النار الا هاذه الخصلة
يعني اخذ الاموال من غير حلها فلم استطع الجمع بين تركها

والقيام بالملك ولا مخلص عنها الا بالتخلي عنه راسا ولو وجدت الان
احدا ممن يصلح له يقوم على الرعية قيامي ويرفق بهم مثلي لتخليت له
عنه لكن من يتولاهم ربما قرر عليهم جميع المظالم وزادهم فيها
ما لا يحتسبونه فرايت بقاءي لهم اصلح وارجو الله تعالى ان يجازيهم
عني فيما اخذته من اموالهم على غير وجهه حقق الله تعالى
رجاءه ومع هذا فقد ترك كثيرا من المظالم واسقط عن
الرعايا اموالا جمة رفقا بهم وتحرز جهده من احداث
مظلمة عليهم لم يسبق بها خوفا من الوقوع في وعيد من
سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة
ومن تتبع دولته سدده الله اسقط عن الرعية من جبايتهم
ما لا يعد ووضع عن كثير منهم اموالا عظيمة لا تكاد نفس
ملك تسمح بمثلها فوضع عن اهل قفصة وعملها في سنة
من السنين نحوا من مائة الف دينار وثلاثة عشر الف دينار بالدينار
التونسي ترتبت عليهم في سنين متعددة وعن اهل توزر
نحوا من ستين الف دينار وعن اهل نفطة نحوا من خمسين الف دينار
وعن اهل بنزرت نحوا من ثلاثين الف دينارا وفي ذلك لمن رآها
رواها وهي ان رجلا من الصالحين امره بالرفق بهم ثم وضع
عنهم بعد ذلك اول خرجات مولانا ابي محمد حمودة باشا
نصره الله تعالى بالمحلة المنصورة الى الجريد ما فصلناه فيما
سبق وعن اهل قابس وعملها ستين الف دينار وعن عمالها

الكثير

اكثر من ماية الف دينار وعن التهامة نحو امن الفي بعير
كذلك جملة واحدة يعمد الى اهل البلد من ذكر وغيرهم ف
يترك عنهم جميع ما هم مطالبون به ضربة واحدة وتكرر
ذلك مرارا لو تتبعناه كله لطال الكلام وقد
جرت العادة بالحضرة ان اعطيات الجند وارزاقهم الخا
رجة من دار الخلافة موزعة على العمال على قدر ما بايد
يهم من الاعمال فيدفع كل واحد منهم ما التزمه من
عمل السنة على ستة اقساط في كل شهرين قسطا لان
الجند ياخذون رواتبهم كذلك ست مرات في السنة
فكثرت البقايا على العمال شيء انكسر عليهم وشيء تعسر
عليهم خلاصه من الرعية ولم يزل ذلك يتزايد الى ان بلغ
الف الف دينار واكثرهم يضعف عن حمل ما عليه فاسقطها
عنهم كلها وابرا جميع الرعايا والعمال واستانف الامر
وهذا وامثاله يفعله خدمة الملوك وعقلاؤهم عند
اعتلاج الامور عليهم واضطراب القواعد وانسداد
المذاهب وتنكر المعارف واكفهرار وجه الزمان وتراءي
مبادي الغير فيتلافون رتق ما انفتق عليهم ويلجئون
اليه لتحصيل الامان من طوارق الحدثان فقد روي ان المامون
قال في اخر موافقه مع اخيه الامين وقد نفدت بيوت الاموال
والحت الاجناد على الامين في طلب الارزاق فقال المامون
بقيت لاخي خصلة لو فعلها ملك موضع قدمي هاتين فقيل

له ما هي فقال والله اني لاظن بها على نفسي فكيف على غيري
فلما خلص له الامر سيل عن تلك الخطة فقال لو ان الامين نادى في جميع
بلاده انه قد حط الخراجات والوظايف السلطانية وسائر
الجبايات عشر سنين لملك الامر علي ولكن الله غالب على امره
ولما اخشى المامون من انتقاض بيعته مع اهل
خراسان في فتنته مع اخيه الامين استشار وزيره الفضل
ابن سهل فقال له الفضل قد قرات القران وحديث الرسول
عليه الصلاة والسلام والراي عندي ان تجمع الفقهاء وتدعوهم
الى الحق والعمل به واحياء السنة وبسط العدل والقعود على
اللبود وتواصل النظر في المظالم وتكرم القواد والملوك وابناء
الملوك وتعدهم بالمواعيد الكريمة والمراتب السنية والولايات
المشاكلة ففعل ذالك وحط عن اهل خراسان ربع الخراج فمالت
وجوه الخلايق اليه واحبوه حتى تم له من الامر وهذا
الذي ذكرنا ان خدمة الملوك تفعله عند الحاجة اليه والاضطرار
الى وقوعه تسكينا للثايرة وصرفا لوجوه الناس اليهم وتثبيتا
لدعايم ملكهم قد اتخذه مولانا ايده الله تعالى خلقا وطبعا
بصدر منه في حالة الامن وزمن الهدو والثوابي واستقامة الامور
وانتشار العافية لتعلم بذالك مكانه من العقل والراي والحزامة
والسخا وكرم النفس فاول ما افتتح به دولته الميمونة ان حط
المشترى عن الرعية في جميع عمله وقد كانوا في جهد من
شانها ومشقة فادحة وقصر نهضا ان يعطى من جانب الدولة مال

بوزع

يوزع على الفلاحين من الرعايا على صورة السلم في القمح
والشعير لكنه يقع بثمن بخس لا يبلغ في بعض السنين سدس
القيمة ولا اقل منه ويقتضي ذلك منهم زمن الاقتضا بعنف
شديد واكثر ما يكون ذلك في سنة الجدب التي تقل فيها
الحبوب والاقوات وادى ذلك الى تعطيل الفلح وترك الفدادين
في كثير من البلاد تباعدا عن المشترى فصاروا يطالبون بها
من يتسلف له فلح ولو في وقت ما ولا يتخلص تركه للفلح وهي
من اقبح انواع الظلم فافتتح دولته ادامها الله تعالى برفعها
عن الناس وكان ذلك من اقوى الاسباب الباعثة لهم على
عمارة الارض والاقبال على الفلاحة حتى ارتفعت قيمة الفدا
دين شرا وكراء ارتفاعا ما وقف عند حد وقد فصلنا ذلك
من قبل وكثرت بسبب ذلك الحبوب والاقوات حتى صا
رت سنة الجدب لا تؤثر في غلاء اسعارها لعموم البذر
في كل مكان وقد كان الملتزم لفدان من فدادين المخزن
اذا تقرر عليه التزامه بمقدار من القمح والشعير لا يمكنه
تركه الى ان يزيد عليه غيره في الالتزام ويتبعه من يجده
فيبقى بيده السنين وربما توالى الجدب فينكسر الالتزام ويترتب
عليه من الطعام ما يخرج بسببه عن جميع ماله وعقاره ولا يوفي
بما عليه من ذلك واحتيج بسبب ذلك خلا يوم من الناس ثم اخذ
لم يوجد ملتزم للفدان بنظر الموسر من اهل الفلح فيجبر على
التزامه ثم لا يمكن من تركه فرفع ايده الله تعالى هذا الحرج عن

الناس وجعل التزام فداد بن السلطنة كغيرها من الاكرية اذا
تم العام فان شاء الملتزم جدد للعام القابل وان شاء
ترك من غير اكراه له على ذلك وفي عهد وجدا عزه
الله تعالى بدفاتر علي باشا نيفا وثلاثين الف قفيز قمحا
بقايا على الفلاحين والملتزمين من اكثر ما ترتب عليهم
بهذا السبب الذي ذكرناه وقد انكسرت عليهم ولا قدرة
لهم على قضائها فاخر عنهم طلبها ثم احطها عنهم جملة
احتسابا لله تعالى وفي عهد كان القانون بالحضرة ان جماعة
من الخبازين يلتزمون من السلطان عمل البكسماط الذي يلزمه
لعساكره في خروجهم للمحال وحراسة الثغور ويشترطون في
التزامهم ان لا يبيع الخبز غيرهم من اول النهار الى الزوال فيعملونه
اسود رديا ويبيعونه الى منتصف النهار فحينئذ يبيع غير الملتزمين
الخبز الابيض الجيد وكثير من السوقة يضطرون الى منتصف
النهار فلما كان في اواسط دولة علي باشا ابطل
التزام الخبز واطلق للخبازين عمل الخبز الجيد من اول النهار
لكنه جعل عليهم ضريبة يودونها في راس كل شهر يتحصل
منها في السنة نحو ستة آلاف ريال ثم لما جاءت دولة مولانا محمد باي
اعاد التزام الخبز البواطل فلما استقل مولانا ادام الله تعالى وجوده
ابطل الالتزام المذكور وحط عن الخبازين الضريبة التي كانت
عليهم واطلق عمل الخبز لكل من اراده واشترط عليهم الجودة في
مقابلة ما حطه عنهم وفي عهده جرت العادة بافريقية وهي من

فوائدها

فوائدها القديمة ان من مات قتيلا قيدت ديته خمسماية دينار على قاتله
ان علم وكان ذا مال والا فعلى عاقلته او اهل بلده تؤدى الى جانب المخزن
عدا ما يستحقه اولياء القتيل من القصاص او الدية وهذا جار في
جميع العمالة الحضرة ومشاهير المدن كالقيروان واهل جبل
مطماطة وكانت الملوك لا يتسامحون في تركها حتى جاء مولانا
ايده الله تعالى فصار لا يصل اليه من اموال الدواوين الا معشار
ما يقيد في دفاتره وما سوى ذلك يحطه ويسقطه
رفقا برعيته ومن اطلع على دفاتر حساب العمال وجد
الامر كما قلنا ومن اتاه من الرعية يذكر انه من جملة
الفقراء فان العظيم امر ان يعرض على بعض الكتاب فان كان
صادقا كتب ظهير بتحريره من جميع المطالب المخزنية والفوا
يد العرفية اعظاما لكتاب الله عز وجل وكذلك
من اتاه منهم عاجزا او ضريرا او شيخا هرما اجراه على هذا الرسم
من التحرير وبالرخلية القبلية من عمل جزيرة شريك بلد تسمى
الهوارية على الجبل المطل على البحر في موضع مخافة من العدو
الكافر خذله الله تعالى فانهم ياتون في مراكبهم ويكمنون
تحت الجبل فياخذون ما قدروا عليه من سوائب المسلمين المارة
بهم وربما نزلت سرايا لهم الى البر وكثرت اذايتهم بذلك المكان
واهل الهوارية دائما في رباط وحراسة لذلك الثغر فبنى مولانا
اعلا الله مقامه البرج المتقدم الذكر بازاء البلد حفظا لذا
لك الثغر واعان اهل الهوارية على رباطهم بان حط عنهم

جميع ما هو موظفا عليهم من القوانين المخزنية والضرائب
واقطعهم اعشار زروعهم وامدهم بالسلاح محافظة على
حراسة الثغر ومن عفته العظيمة ونزاهته البالغة
التي فلا نرى يشاركه فيها اليوم احد من الملوك في اقطار
الارض ممن تبلغنا احوالهم انه منذ ولي خلد الله ولايته
لم يتعرض لاموال التجار ولا الزم احدا منهم باداء شيء. كما
يقع في غالب البلاد وما كفاه ذلك حتى زاد عليه
بدفع الاموال العظيمة لمن يومن عليها منهم ليتجر بها
ويسافر لبلاد الروم وبلاد الفرنج على وجه القرض فياخذ التاجر
الربح كله ويرد اليه راس المال حرصا على زيادة العمارة ودوران
الاسباب بين الناس ولقد كانت التجار وغيرهم قبل هذا
يتبرون من نسبة الغنا اليهم خوفا من تطرق الايدي الى اموالهم
حتى جاءت هذه الدولة الغراء فصاروا يتفاخرون بالغنا وينتسب
اليه الفقير منهم ويتزيدون فيه واتسعوا في احوالهم
امنا على اموالهم ومن حسناته من الغربا منهم من اهل الافاق
حفظ ماله تحت يد امين الى ان يتسلمه وارثه ولا يدخل بيت المال
منه شيء. ولقد كانت السلع التي ترد صحبة الركب من المغرب الاقصى
ويفارق اصحابها الركب من توزر الى الحضرة يوخذ عليها المجرى
كغيرها من السلع الواردة من الافاق فرأى سدد الله رأيه
ان هذه السلع اما ان تكون لحاج او لداخل في غمار الحاج فلا ينبغي
ان يوخذ منهم شيء. اعانة لهم على حجهم فحط عنهم مجرى ذلك

واسقط

واسقطه وأما السلع الواردة صحبة الركب من المشرق فلا يؤخذ
عليها شيء من القديم وأسقط أيضا عن التجار حرك الطيب
كالمسك والعنبر والزباد والعود ونحوها ليكثر جلبها
وذلك لشدة حبه للطيب موافقة للسنة السنية ولما
كانت أيام الفتنة بين السلطان نصره الله تعالى وبين الموسكو وملك
الموسكو خذله الله تعالى البحر الشامي واستولت عليه أساطيله
وجالت في نواحيه وامتدت يده إلى أخذ المسلمين ونهب
أموالهم من مراكب المصالحين من الفرنج كالفرنسيس والانكليز
وغيرهم وتجافت لهم ملوك الفرنج عن ذلك وأغضوا عنه تخذيلا
لجانب الإسلام وادعوا أنهم لا قدرة لهم عن كف عاديتهم
ففي خلال ذلك خرجت من الحضرة مركبان أحدهما للانكليز
والأخرى للفرنسيس مشحونتان بالشاشية إلى القسطنطينية
فتعرض لهما الموسكو وأخذهما فيما أخذ فضج من ذلك التجار
ورفعوا أمرهم إلى مولانا أعزه الله تعالى فخاطب الانقليز والفر
نسيس في ذلك وقال لهم نحن ما صالحناكم الا على حفظ
أموالنا في مراكبكم فاحتجوا بعجزهم عن الموسكو
وأنهم لا يقدرون على دفاعه فقال لهم كان عليكم أن
تخبرونا بعجزكم عنه فلا نغتر بحمل أموالنا في مراكبكم والح
عليهم في طلب قيمة جميع ما أخذ الموسكو لأهل الحضرة ووجه
عليهم الجد حتى أذعنوا وأمر أيده الله تعالى التجار أن يقيدوا
جميع ما أخذ لهم ويقدروا قيمته فكان قيمة ما أخذ في مركب الانكليز

الف دينار ذهبا محبوبا وفي مركب الفرنسيس

الف دينار من النعت فحملوها واتي بها الى الحضرة فامر

ايده الله تعالى امير التجار ان يتسلمها ويصرفها على اربابها

ولم تشره نفسه الى اخذ شي منها ولقد اخبرني

بعض من دخل بعض بلاد المشرق من اهل بلدنا

اماطها الله تعالى قال كنت ببيت الفقيه من بلاد اليمن

وهي بلد على الساحل تقصدها المراكب من الهند ومن جدة

وغيرها فورد عليها مركب من الهند به رجل من تجار الهند

ومن اهل البيوت عندهم فاجتمعنا معه في بيت رجل تاجر من اهل

اليمن يناصر الدين فاجرينا الحديث الى ذكر احوال الملوك في اقطار

الارض من ظلمهم وامتداد ايديهم الى اموال الناس والزامهم

التجار باداء الاموال العظام فذكر ذلك الهندي انه قام عندهم

بالهند قايم يقال له حيدر بيال يحلق لحيته وشاربه وحاجبيه على

صفة القلندرية ووصف من ظلمه وجوره وعدوانه ونهبه

لاموال الناس شيا عظيما وانه يدخل البلد فينهب ما يجده من

اموال اهلها ثم ينتقل الى غيرها فيفعل بها مثل ذلك ووصف

ما لقي الناس من شدة عسفه ثم قال ذلك الهندي انه

ليس في ملوك الارض اليوم احسن سيرة من علي بن اشنا

صاحب تونس قال فلما ذكر ذلك تعجبت منه غاية العجب وقلت

له من اين ذلك وكيف لاهل الهند العلم باحوال ملك تونس

ومن اين عرفت اسمه فقال بلغنا ذلك من تجار الفرنج الذين

يصلون

يصلون الى بلادنا من المغرب فانا نتلقى منهم احوال
جميع الممالك التي يدخلونها فكان من جملة ما تلقيناه
منهم ما ذكرته لك واعظم من هذا كله عفافه
عن سفك الدماء وقتل الانفس التي حرم الله بغير حق
شيء لا يكاد يوثر عن ملك غيره وناهيك انه
منذ ولي لم يتعلق عليه احد بسفك دم. لم تسفكها
الشريعة المطهرة وما قتل احدا الا في قصاص او حرابة
بعد الثبوت الشرعي والاعذار ومراجعة المشايخ المرة
بعد المرة واتفاق المفتيين والقضاة على قتله ولقد
قبض على رجل يعرف بالحاج لدحيي اشتهر بقطع الطريق
والحرابة وقتل الانفس وكثرة ضرره واذايته بذلك فصمم على قتله
ولم يتجاسر على ذلك حتى ارسل الى القاضي وامره ان يسجل عليه
بوثيقة يبلغ عدد شهودها حد الاستفاضة لئلا يكون من الاعذار
فيهم فسجل عليه وشهد الجم الغفير بانه من اهل الحرابة والمشتهرين
بقطع الطريق وقتل الانفس فشاور فيه المفتيين فافتوا
بقتله فحينئذ قتله ولقد غض عن دماء اقوام اثاروا الفتن
وشبوا نيران الحرب ما كانت الملوك تسامح في دم ادنى رجل منهم
وقد تقدم في بيان حلمه وعفوه كثير من هذا المعنى وما تعرض
لاحد من ابناء اعدائه الذين ظفر بهم بل قد تسبب في حياتهم ولقد
مرض مصطفى بن يونس باي بمكانه من الدار التي سجن بها مع
اهل بيته فلما بلغه ذلك امر بادخال الطبيب اليه فوصف له لبن الاتن

فام ابّده الله تعالى بشراء اثنين وادخلهما اليه ليتناول
لبنهما فقيل له اما كفاك انك لم تقتلهم حتى صرت ترغب
لهم في طول البقا فقال هولاء تحت يدي وانا الذي منعتهم من
النصر فان مرض احد منهم ومنعته من الندا وي فمات
كنت المتسبب في قتله والمسؤول عنه يوم القيامة والشي
بالشي يذكر لما خرج المولى الامير وابناوه عن الحضرة
وملكها علي باشا من ايديهم ترك المولى محمود بن المولى
الامير ابنا صغيرا اسمه يوسف فكان مع امه واهل بيته
بمكان سجنهم فلما نشأ وبلغ اشده استخرجه محمد باي
ابن علي باشا واخوه سليمان من بين حرمه الى مكان بالجنينة
واضجعاه وذبحاه ونساوه ينظرن اليه من كوة تشرف على
موضع ذبحه ونالهن من الجزع لذلك ما تندوب له الاكباد
واتى بها علي باشا وولداه المذكوران شنعا منكرة تمجها الاسماع
وتنبو عنها القلوب حتى ان بيونس ابنه تبرأ منها وشنع بها عليهم
وعدها من مثالبهم حين ثار عليهم بالقصبة ويحسن ان يورد هنا
ما حكاه شمس الدين بن خلكان في ترجمة ابي الفوارس سعد بن الصيفي
التميمي المعروف بحيص بيص الشاعر المشهور عن الشيخ نصر الله بن
مجلي وكان من ثقات اهل السنة انه قال رايت في المنام علي بن ابي طالب
رضي الله عنه فقلت له يا امير المومنين تفتحون مكة فتقولون من
دخل دار ابي سفيان فهو امن ثم يتم على ولده الحسين يوم الطف
ما تم فقال اما سمعت ابيات ابن الصيفي في هذا فقلت لا فقال
اسمعها

اسمعها منه ثم استيقظت فبادرت الى دار حيص بيص فخرج
الي فذكرت له الرؤيا فشهق واجهش بالبكاء وحلف بالله
ان كانت خرجت من فمي او خطي الى احد وان كنت نظمتها
الا في ليلتي هذه ثم انشد

ملكنا فكان العفو منا سجية ... فلما ملكتم سال بالدم ابطح
وحللتم قتل الاسارى وطالما ... غدونا عن الاسرى نعفو ونصفح
وحسبكم هذا التفاوت بيننا ... وكل اناء بالذي فيه ينضح

ثم ان مصطفى بن يونس المذكور افاق من مرضه وفر
هو وابناء عمه محمد باي المسجونين معه في البرج من
مكان سجنهم فدخلوا الكناف الذي بنقض الكنف ببارد و
المعمورة فحفروا سربا تحت الارض من محل الكنيف الذي بمحبسهم
الى مكان عينوه للخروج منه وتحيلوا في نقل التراب الذي استخرجوه
بالحفر بحيلة تمت لهم فلم يطلع عليه ولم يتركوا الا حائلا رقيقا بين
منتهى السرب وبين المكان الذي ارادوا الخروج منه اذا ارادوا خرجوا
الى الفضاء بفتق الى ان ينتهزوا فرصتهم ويتهيأ لهم ما ارادوا في
وقدروا انهم اذا خرجوا توثبوا في بعض الحصون او الجبال المنيعة
او يلجؤون الى مملكة الجزائر ووقفوا على ذلك مدة حبسهم مستجمعين
لما هموا به فتداركه لطف الله وصنعه الجميل وما قضاه من
سعادة مولانا دام الله سعادته وعاود مصطفى بن يونس
مرضه فهلك في ذي القعدة من سنة خمس وثمانين وخرج على نعشه
ودفن بتربة جده وبقي السرب على حاله مدة لم يطلع عليه احد الى ان

ان امرأة لم تعرف الى الان اتى بعض رجال الدولة فناولته كتابا
مختوما وقالت له اوصل هذا الكتاب الى الامير فان فيه نصيحة
له وان لم توصله فانت ابصر فاوصله الى مولانا اعزه الله تعالى
ففتحه فاذا فيه شرح هذه القضية والاخبار بامر السرب
المذكور وما هم به مصطفى وابناء عمه من الخروج وذكر اشياء
اخر كانوا همّوا بها وذكر امارات عليها عرفها مولانا وداخلته
الريبة لذلك في الحاج عنبر اغا كبير الصواشية فان
المسجونين من ال علي باشا كانوا لنظره وثوقا بموالاته
واعتمادا على سالف خدمته فاستدعاه مولانا ايده الله
تعالى وساله عن القضية فانكر ان يكون له شعور بها
ثم نهض اعزه الله تعالى بنفسه ومعه عنبر اغا المذ
كور وغيره ودخل دار محبس ال علي باشا فاتى موضع
السرب ودخل بنفسه حتى انتهى الى اخره وعلم المكان الذي
ارادوا الخروج منه وارتاع لدخوله ابناء محمد باي فسكنهم وقال لهم
لا باس عليكم ثم خرج وامر بملء ذلك السرب وسده واحتاط في امر
المسجونين وقويت عنده تهمة عنبر اغا فما عاتبه الا عتابا يسيرا
وصفح عنه وبقي على مكانته موفور الجاه والحرمة الى ان هلك
وقبض على الكذاب المذكور فحبسه زمانا ثم اطلقه فهذا
وامثاله مما الاعقاب فيه عند الملوك الا القتل منتهى عقاب
مولانا سدده الله رايه فيه السجن والعتاب والصفح والا
غضا لا جرم انه لم ينتصف لنفسه فانتصف الله تعالى له

واهلك

واهلك اعداءه واستاصل شافتهم وابقى من بقي منهم مهانا تحت
ملكته ضارعا تحت كلاكل قهره ومن عجائب
وصيانته النامية انه لم يشرب مسكرا ولا رآه
منذ خلقه الله تعالى ولقد نشا في صباه واكثر ما يخدمه
ويلوذ به في مماليكه واتباعه يتعاطون ذلك وهو قد بغضه
الله اليه وكل من اطلع عليه منهم يفعل ذلك ضربه وطرده
عن خدمته ولم يزل الامر كذلك الى ان ولاه الله تعالى
الملك واستقل به فصدرت منه المكرمة الكبرى والمآثر
العظمى التي سارت الركبان بخبرها وشاعت في الخافقين بفضلها
وارتفع في اقصى البلاد صيتها وهي ابطاله لعصر الخمر وبيعها
وجلبها من بلاد النصارى اهلكهم الله تعالى في جميع اقطار
مملكته وهدمه لحاناتها واقامة الحد على شاربها والتنكيل
بمن عثر عليه يعصرها او يبيعها فجاء بها اكرومة لم يسبقه
اليها احد من ملوك افريقية ولا قدر عليها غيره وذلك انه كان
بتونس حانات كثيرة في اماكن متعددة تباع بها الخمور جهارا من
غير تستر ولا نكير ويتعلل في ذلك بان اوجاق العسكر لابد فيه من
ذلك ولابد من الملاطفة للعسكر ومهما منعوا منه خشي من ثورتهم
وحدوث فتنة وسفك دماء هي اشد ضررا بكثير من بيع الخمر وشر
بها لمن اراده واستفز هذا الخيال في ذلك الملوك السابقة مع
ما يحصل لهم من الاموال العظيمة التي يأخذونها من الملتزمين
لبيعها في كل سنة ومن الضريبة التي يجعلونها على من يبيعها

من اسارى النصارى الذين بايديهم غير ان المقدس مولانا حسين باي
ابن علي والد مولانا ابقاه الله تعالى قد هدم عدة من الحانات بتونس
وبنى في اماكنها بناءات لوجوه من الانتفاعات منهـا
حانة التوالت الكائنة داخل باب الجزيرة صيّر مكانها مسجدا
جامعا من احسن المساجد ومدرسة عظيمة لقراءة العلم
وتربة لمدفنه ومدفن بنيه رحمه الله تعالى ثم جاء
علي باشا فعطل حانة الحفصية وجعلها دار ضرب وفي اواسط
دولته منع من بيع العنب للخمارة وعصره واقتصر بهم على بيع ما
يجلب اليهم من بلاد النصارى اهلكهم الله تعالى وما يستقطرونه
بالطبخ من الزبيب والتين وعد ذلك من حسناتهما رحمهما الله تعالى
ولما ملك مولانا خلد الله ملكه لم يزل يدور في خلده الشريف
حسم هاذه المادة بالكلية واجتثاثها عن اصلها بالمرة ويقدم في
ذلك رجلا ويؤخر اخرى خوفا من تشغيب يقع من غوغاء الجند
فاول ما بدا به من امرها ان هدم حانة القرامد الكائنة داخل باب
البحر وجعل في مكانها خانين عظيمين لسكنى التجار ودورا
ومخازنا وغير ذلك ووقف بها في وجوه البر كما تقدم
وانحصر بيع الخمر في الحانات الكائنة ما بين القصبة
وباب البنات تحت السور لبعد ذلك المكان عن
الدور والاسواق الى اواخر سنة ثلاث
وثمانين فحضر ايده الله تعالى صلاة الجمعة بجامع
باردو المعمور فخطب خطيبه خطبة ذكر فيها اثم شرب الخمر وما ورد
فيه

فيه من الوعيد وذكر في آخرها حديثا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
أنه قال لعن الله الخمر وشاربها وساقيها وبايعها ومبتاعها
وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة إليه وآكل ثمنها فارتاع
من ذلك وأثرت فيه الموعظة وتمكنت من قلبه ورجع إلى نفسه
فقال أنا داخل في وعيد هذا الحديث من وجوه وكأنه نزل الإذن
في هاذه الأشياء منزلة فعلها وصمم وترك المال المأخوذ
من لزمتها وقدره إذ ذاك سبعون ألف ريال في السنة وشاور
في ذلك خواصه من الفقهاء والوزراء فوافقه عليه موافقون
وخالفه مخالفون فلم يصغ إليهم وأرسل إلى الحانات فأخرج النصارى
منها وأغلقها وأخذ مفاتيحها ورسم أيده الله تعالى بإقامة الحد
على من أخذ سكرانا وتنكيل من عثر عليه يبيعها أو يعصرها والمبالغة
في تعنيفه بحسب ما يقتضيه الاجتهاد ثم هدم تلك الحانات
كلها وبنى في أماكنها بناءات عظيمة في فعل وجوه من وجوه
الخير كثيرة فتباشر الناس وعظم السرور لديهم وكثر الثناء عليه
والذكر الجميل والابتهال إلى الله تعالى بالدعاء له ولهج الناس
بنشر هاذه المنقبة وتحدثوا بها وسارت بها الركبان إلى أقاصي
البلاد وانتشر له بها صيت عظيم في الآفاق وارتفعت بحسم
السه مفاسد كثيرة كانت تحدث من ذلك
منها أنه لا يزال في كل وقت تسفك
الدماء في الحانات ويقتل السكارى بعضهم بعضا خصوصا
أيام العيد ولا يزال السكارى من الجند وغيرهم في الطرقات

يروعون الناس باشهار السيوف والتعرض للحرم والصبيان بكل
قبيح واحسنهم حالا من يقتصر على مجرد العربدة ورفع الصوت
بالغناء على رؤوس الاشهاد وترى واحدا من يتعاطى شرب الخمر
لا يملكون شيئا وكلما ادخل يده شيء من ماله راهم صرفوه في الحين بها وربما
ورث الواحد منهم الاموال الجليلة من العقارات وغيرها فيستهلكها
في اقرب مدة وفي الجملة فقد شب الخمر راس كل خطيئة ومع
الله ذلك كله بهذا الملك الجليل الذي انعم الله تعالى به على هذه
البلاد في هذا الزمن السوء الذي صار المعروف فيه منكرا والمنكر
معروفا فمن سعادته ادامها الله تعالى انه لم
يقع من احد من الجند من الاتراك وغيرهم انكار ولا نكول بل
اذعنوا لذلك كلهم وقبلوه واظهروا الفرح والابتهاج به حتى
ان طائفة العشية وهم المشهورون بالشطارة والدعارة والمجون
عثروا على واحد منهم سكرانا فاخذوه واتوا به من الغد الى مولانا
اعزه الله تعالى وقالوا انيناك به لتعاقبه على عدم امتثاله لامر
السلطان وانتهاكه لحرمة فشكرهم على ذلك واحسن اليهم وقال
لهم ساعفه هذه المرة تطييبا لخواطرهم وكانه لم يجر شهادتهم
عليه بالشرب فلم يضربه الحد ومن ذلك الان قيامه في هذه
القضية كان لله تعالى بنية صادقة فعامله الله تعالى بنيته
وكفاه غائلة ما كان يخشى من عاقبة هذا الامر
وبسط سبحانه وتعالى السن الناس بالدعاء له والثناء عليه
والمدائح العظيمة فلم يبق شاعر الا مدحه واكثر من القصائد
والمقامات

والمقامات فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات
ونحن نورد من ذلك في كتابنا هذا ما وقع عليه الاختيار

فمن ذلك قولي وهي مقامة
بديعة تشتمل على قصيدة فريدة

حكى أبو الفتح نصر بن الفلاح قال ما زلت منذ نيطت علي تمائمي، ومن
قبل أن تنشق عني كمائمي، أهيم بالأدب هيام جميل ببثينة، واستطلع
في رواية أخباره عن كل جهينة، واستمطر نوءه من كل مزنة، وما
انفككت منذ كنت يفعة، ذا همة مرتفعة، لا استنام إلا الغالي، ولا استام
إلا العالي، فحداني ذلك على التطواف في الآفاق والتجوال مع الرفاق
لاقتنص الأدب من مكامنه، واستخرج الدر من معادنه، ولم يصح
في ما قيل أن الأدب قد غيض ثماده، وقوضت عماده، ودثر، فلا
عين له ولا أثر، واندرس، فلا حس له ولا نفس، علما مني بأن في الزوايا
خبايا، وفي المزايا بقايا، فشمرت ذيلا، وادرعت ليلا، واقتعدت
مطيتي، وذهبت لطيتي، أجوب كل قتم طامس، وأجوب بكل أعتم
دامس، كأنني وأنا لا آوي مكانا إلا أدعه، موكل ببعض الأرض أذرعه،
وخيل لي أن الثوى في الثوى، فرافقت كل بعيد المنتوى،
وفارقت حتى ما بالي من الثوى، وفي خلال ذلك التقط
الدر بعد الدر، واجمع الشذر إلى الشذر، واخلص كل
نقاب المعمي، وأذكر كل خبر ما حكاه الأصمعي، حتى
جئت بالضح والريح، والمتجر الربيح، وعدت ملء الوطاب
بكل ما عذب وطاب، لا يشق غباري، ولا يجرى في مضماري

اشهر من فارس الابلق، واظهر من نار المحلق، بحر الابغار نجده
ولا انخفاض لجده، فطمحت همتي العليا، ولا مطمح لها دون
الغاية القصوى، الى ملك تنبو عنده الفضائل بعد كسا
دها، وتصلح به الاشياء بعد فسادها، حضرته مطلع
للشموس، ومطمح للنفوس، ومسرح للآمال، ومشرع
للافضال، لاعيش في كنفه، ويستريح قلبي من كلفه،
واكون فيه لجأت الى اعز الدول، اقلب الطرف بين الخيل والخول
ولم يكن فيما رأيت من الملوك، ايام التسلوك، الامن لا يعرف
الحوض الملو ولا ينزح رجيه بلو، فلم ازل تقدمني البلاد، وتطو
يني الاغواد، ونتسم في النجاد، ولا اجد نا لحضرمه، بهتز
لمكرمه، الى ان اسفرت بعض اسفاري الزاهرة، عن وجه مصر
القاهرة، فدخلتها كمصمم من قبل ان يفيء الفيء على الجانب
الحر الى حد ارتكبه، حول الازبكية، فتوليت الرطلة تولي الكليم
بمدين، وحالي بالشكاية من لساني ابين، وقد كان النيل
جرى بالوفا على احسن عادة، ووافى بالحسنى وزيادة، فاحيا
موات الارض بوروده، وحيا الروض بريا حبيبه وورود هو،
ومضت منه ثغور الازهار بقباح اليا، ونصف به عن ابيض
الهضاب جيدا حاليا، ونبحت الربا وتلونت، واخذت
الارض زخرفها وازينت، واستنارت وجوه الرباع والمعا
لم، واستدارت البرك كالدراهم، فبقيت في طرف ذلك
القصر الى ان طلبت العصر، فاذا بلمة من الاعيان، وجلة من

الاخوان

الاخوان، تلوح عليهم مخايل المجد، وتفوح منهم روائح العنبر
والند، قاصدين قصر الخاصي، لتروح القلب بما هي، فقمت لهم
ماثلا، ودخلت فيهم واغلا، فقالوا اخول ام الذيب، فقلت غريب
ليس به ما يريب، فقالوا بالرحب والسعة فلما استقر بنا المجلس
وما منهم الا من شمخ له في المجد معطس، واخذوا في غضون
المحادثة، وفنون المباحثة. توسمت الجماعة بالملاحظ
توسم العرب بعكاظ، فاذا بينهم فتى هو املحهم اشارة،
وافصحهم عبارة، الا انه خالفهم في المنظر واللبس، فحدست
انه غريب بلا لبس، فقلت لمن يليني من هذا الرجل المونس، فقال
مغربي من تونس، فقلت اعلا الله منارها، ورفع مقدارها،
فما زلت اسمع عن اهلها ما يشنف الاسماع، من حسن العشرة
ورقة الطباع، ثم انجر بهم الحديث الى وصف الموضع، وما فيه من
لذة ومستمتع، والشمس كادت تنحط عن ارتفاعها، وقد ذهبت
البركة بشعاعها، وخط فيها قلم النسيم المتدرب، سطورا مثل
الشكل المتدرب، فعكر ذلك الفتى ريثما انتزاح خاطره، وانشد
ما نزل الابنا حاضره فقال

لله مجلسنا الانيق عشية *** بالازبكية في اجل فناء
في علية يقفون بما يبهى *** من ما وينتهبون فضل ذكاء
ماشئت من ادب جنى متراما *** انطق الكلام وهمة علياء
من كل ذي وجه اغر واضح *** كالفجر قد ملا الفضا بضياء
حيث انتظمنا حول شاطي بركة *** غنيت بنيل النيل عن انواء

والشمس قد ألقت شعاعا وسطها ⁘ وخلت جوانبها عن الأضواء
فترى بياض الماء في جنباتها ⁘ كأس اللجين محيطا بالصهباء
كالأقحوانة إذ غدت أطرافها ⁘ بيضا تحف بهالة صفراء
يا حسن هذا منظرا وكأنما الـ ⁘ ـشقفات خيلان بخد الماء
أو أنجم كسفت ببطن مجرة ⁘ سيارة ما بينها بسواء
حتى إذا وقفت بكل صورة ⁘ منقولة من زجاجة بيضاء
وتخال طي قلوعها في سيرها ⁘ طورا فتغدو فيه عين الراء
مثل العقاب له جناح أبيض ⁘ قد من يهوي في سفوح هواء
وترى رؤوس الروح طافية بها ⁘ والماء يستر سوقها بغطاء
وكأنها ضوا بني عثمان قد ⁘ رسمت بصفحة مهرق زهراء
حتى إذا ما الليل ألقى عنبرا ⁘ فيها وذرت مسكة الظلماء
وغدا خيال البدر معكوسا بها ⁘ فترى سماء قوبلت بسماء
فما أحد من الجماعة إلا استحسنه وكتبه عنده ودونه
ثم كأنهم نزد أخلهم الحسد الذي لم يخل منه إلا من عصمه
الله حسده فقالوا له هل في بلدكم تونس التي تزعم أنها لمن
أتاها تونس مثل هذا المنظر الرائق أو قريب من هذا
الطراز الفائق فقال يا عددي وعمادي وطريفي من
الناس وتلادي ما لكم ولبلادي إني لتأدبت
معكم وانفيت أن أراجعكم لما قلدتموني من إحسانكم وطو
قتموني من امتنانكم ولكن حيث ذكرتم مسقط رأسي ومحل إيناسي فلا
بد من المدافعة ولو أدت إلى المرافعة وإن أحتج لبلدي منقولا
ومعقولا

ومعقولا، والعجل الجسم شوله معقولا، ثم شرع في اقامة الحجة
وتبيين المحجة، في تفضيل بلده على بلدهم، وتبيين عماره
من ثمرهم، حتى قهرهم ببيانه، وقهرهم ببرهانه، فاضطربوا
وماجوا، وسلموا او كادوا، فقام رجل من اخريات المجلس
كانه ذيب اطلس، وقد كان لا يلتفت اليه، وانما المرء باصغريه
فقال اي فضيلة لبلدة تباع فيها الخمور، ويشاع في شرب‍ها الفجور
وتشاد بها الحانات والدساكر، اشادة رباطات العساكر، فاطرق
الفتى واجما، وكاد ان ينهار دمعه ساجما، وتصبب عرقا، وتقبض
حرقا، وظهرت عليه خجلة الانكسار، واخذته قشعريرة
واصفرار، ثم رفع راسه، وصعد انفاسه، وقال اما هذا
فنعم، على ان البلا قد عم، فلقد رايت بمكة شرفها الله تعالى
ما تتصدع له كبدي، فيما مذاكر ثم في بلدي، ولقد اخبرني من
لا اتهمه ايام كنا نزولا على منى حيث يرجى من الله تعالى بلوغ
المنى، ان تلك الناحية واشار الى ناحية مسجد الخيف، حتى
يعف حتى عن الطيف، قوما عاكفين على العقار، قد اشتغلوا
بها عن رمي الجمار، فتوقعت والله معاجلة العذاب ولاكن الله
حليم لا يعجل، بل يملي للظالم ويمهل، وعهدي بملبكنا ايده الله
ونصره، وايقظه للصالحات وبصره، وكما متع الخلق بلقائه
ينفعهم بسقايه، عاضد الدين، حاضد المتعبدين، قد اجبا من
السنة غامرا، واعاد ربعها عامرا، وانشر منها رفاته
واغنى من طالبها عفاته، ما خرج عن مضمار الشرع

ولا رعى عين رياضها المريعه، الا انه اعزه الله تعالى جلب الدهر شطر
يه، وبلغ من العلم الموربه، فهو يتربص بالامور الا وقاتها، ويجليها لميقاتها، وكاين به قد حسم هادم الماده، ورسم
بسلوك الجاده، وغيض من الخمر معينها، وقبض للنكال فطنتها،
واعاد منكرها معروفا، ونكد القلوب بهامص وفا، ولا تمضي ان شاء
الله تعالى سنه، حتى يبدل الله هاذه السيئة حسنه، فتصير
الصدور مثلوجه، والامور سلكى وليست بمخلوجه، فلكل مساء
صبح، واليوم خمر وغدا امر، ثم اخذ يصف الملك بمدايح اطلعها
شموسا واقمارا، وروايح ادارها على الاذهان عقارا، لم يقلها
زهير لهرم بن سنان، ولا نابغة بني ذبيان للنعمان، ولا حسان
لسراة غسان، فقلت في نفسي ان صدق طاعي، فقد انجحت مطالبي
وفي النوى يكذبك الصادق الى البقات واحد علي، وقد توجس منه
بخاطري هجس، وقال والشبق والبل وملوسو والقر اخذا
انشو ان ما اخبرتك به لحق، وبين الكذب بون، ونعوذ بالله
من الحور بعد الكون، ثم انفض الموكب، فانفض على انفضاض الكو
كب، وقال لي الصحبة الصحيحة، فقد صحت بيننا الغربه، وبيننا من
الادب اوكد نسب، وشبه الشيء اليه منجذب، فكنت عنده طنبه،
ومضيت معه الى كنه، فبت اجتني درر الكلام ونشوعن ازهاره
الكمام، بليلة تنفح، بالمنى الطيب نفح، ما ابلتها التشريب الرضي
بالشمع، وكلما انشرح وابدى الفرح، استطلعت
طليعة الخبر عن الملك الاغر

فقد

فيخبر بانه منذ ملكهم، واختار فلكهم، صار الامر الى الوزعة
وصار الامر الى النزعة، فاقول في نفسي فارقد جي، وبان
رنجي، وفي اثناء ذالك ما اكثر التلهف، واظهر التاسف، تشوفا
للوطنه، وتشوفا لسكنه، وابدي لي عن اطرابه لمعارفه
اقرابه، ولما انقضا الشعر، انقضا السمر، اعلمني انه على جناح
سفر، وانشد في مستتر وجاء من غمته، شعر ابدل على بعد
همته

تقول لي ناقتي والشوق يقلقها ... وما شددت لها رحلا ولا قتبا
ام المغارب اما رمت تبلغ علا ... اما ترى كل غم طالع غربا
ساركب الصعب اسميه الذلول ولا ... اقيم حيث فؤادي ممتل كربا
وسوف يعرفني من كان يجهلني ... الا يكن رغبا منه يكن رهبا

ولما ثلج الفلق، وتارج عرفه لمتنشق، ودعته بعد ان حللت
له المعكوم، واطلعته على السر المكتوم، واعلمته اني ناح
نحوه، وعتد حذوه، في قصده تونس الخضرا، والاقامة بحوفة
ملكها الزهرا، وواعدته ان لا اطيل بعده المقام، وفارقته
عليه السلام، وبعد برهة، خرجت مع جماعة لنزهة، فما زلنا
نستقري القرى، ونستقري القرى الى ان عن لنا راي رشيد، في
قصد رشيد، فاتيناها مساها، فسمعت قايلا يقول بسم الله
مجراها ومرساها، فنظرت فاذا هو صاحبي المغربي، وقد ركب
نفيرته ورفع عقيرته، يقول

هل لقلبي عن الجوى من سراح ... ام لجسمي عن النوى من براح

عركتني نوائب الدهر حتى ٭ تركتني مثقلا بالجراح
نامي الدار نائي الدار مرتا ٭ عا من البين لست بالمرتاح
عازما ان اطير نحو فراخي ٭ بشراع يهوي هوي الجناح
عزم الله لي ويسّر امري ٭ وكلاني وخار لي بالنجاح

فقلت سمح الله مراحك، وبلغك فراخك، فالتفت الي لفتة مرتاح، وقال هاذه مقدمة النجاح، مرحبا بك يا ابا الفتح، لقد ابتهجت لما رايتك بالنجح، وقد كنت متخوفا من هذا الغم، فقد بلغني انه كاشر غير مبتسم، وفاغر ينتظر ما يلتقم، فقلت له سر فسيلقاك بالبشر، وتصل منه سالما الى الثغر، لا جعلك له طعمة واتم عليك بالسلامة النعمة، فقال لي الخروج موعد، لا طول الله بيننا شقة البعد، ولا جعله الله منك اخر العهد، ثم انفصل، وبعد مدة نما الخبر واتصل، بانه في بلده حصل، وجلت بعده في الافاق جولة اتنقل من دولة الى دولة، والشوق يحثني الى الخضراء، والقدر يقول لي هي مستقرك من الغبراء، حتى جسرت عن ساعد العزم، واخذت في قصدها بالحزم، فدخلتها ضحى يوم الاضحى، والناس منصرفون من صلاتهم، ورجعوا من ربهم بصلاتهم، ووجوههم مسفرة، ضاحكة مستبشرة، نيرة كاجنحة الطواويس، وهم بحمد العيس عليهم الحبور والحبر، وما خاطه البر ورواه البر، فجعلت استقصي الخبر، واقتص الاثر عن سبب نشاطهم وموجب انبساطهم، فكلما مررت بنادي لواغتت لفتاد بى، لم اسمع الا من اهل بالدعاء وعج، فلما لبا المحرمون بالحج، يدعون لاميرهم، ويذكرون حسن اثره في تدبيرهم

الى

الى ان ادانى الطواف، وانهار على انصراف، الى نادٍ ازهر، به
كل وجه يبهر، وقد عقد والحبى كما حسنت الربى، فلم اشعر
الا بفقيه المعلوم، قد خرج من بهرة القوم، كانما انشط من
عقال، فحياني باحسن مقال، وقال مرحبا بابن انسي، وشقيق نفسي
البيت البيته بالمحول لبيت، فذهبت معه، حتى اتينا مربعه، فاحسن
مثواي، واكرم نزلي وماواي، ومازال يؤنسني بغرائب اخباره
ورقائق اشعاره، الى ان لذ السمر، وطاب الحديث وطال السهر
فقلت له هات الان فيئني بالامور من اصولها، وعرفني الحقيقة با
جناسها وفصولها، واقض التي بشعوري، ولا تخف شيئا مما في
ناموري، وبين نفيسك، انثل ما في حقيبتك، وحدثني عن هذا
الملك الاجل، بكل ما دق وجل، من حسن سيرته، وطيب سر
يرته، فقال ان حصر مكرماته، واستقصاء كراماته، يعد فيه
اطناب الكلام فيه هذرا، ويذهب بفصيح القول فيه هدرا،
فان من رام حصر رمال الدهناء، وتعداد نجوم السماء، كان كمن
طلب الابلق العقوق، وما هو اعز من بيض الانوق، ولكن اخبرك
بجملة تدرجك الى التفصيل، ولمحة يتضح لك منها السبيل،
اعلم ان هذا الملك وهو السيد المنصور المؤيد
ابو الحسن الباشا علي باي بن المرحوم المنعم المعظم
المفخم، حسين باي بن علي بلغ الله به اعلا العمر، وسما
جعله زينة للسير، يجعله اماما من الغير، ملك نظم المعالي بعد
شتاتها، واحيى المكارم بعد مماتها، والبس الدنيا بزة عزه

وهي تختال بين زاهية ازاهره، اجاد الاعمال واجاب الامال واوفى
الاعمال من الامال، اصبح الدين في ايالته منشرحا وبدولته فرحا، لياليه
غرة في دهمة الدهر، وايامه كلها ربيع وزهر، وحضرته جنة وارفة
الظلال، وجنة واقية من الضلال، ما خلت يوما من وفد، ينصرف برفده
ولا تعطلت من مآثر كرمه ومشاهد، طابت بها الامال وحجته، وشكت
من تبديدها الاموال وعجته، ونفقت فيها اقدار العلماء، وراجت
فعرجت عليهم الهمم من كل صوب وعاجت، فاجتمعت بها الامجاد
والانجاد والغور والانجاد، فلا تخلو من مناظرة، او مذاكرة او
محاضرة، او فصل قضاء بسيف عدل منتضى، او اجابة نداء، او بذل
ابتداء الى كرم كالغيث المنسجم ومضاء كالسيف المنتضى، وسجايا
كلها مزايا، واخلاق هي نفايس الاعلاق، وشيم اسمح من الديم
وصباحة ورجاحة وسماحة، ولسن وفصاحة، وسعة صدر وسما
حة، وديانة قامت بحمل الامانة وعفاف، كالمحرم في الطواف
ومعارف، واسدا عوارفه، وفك للعاني، وكفا عن الجاني، وثبات
عند الوثبات، واحتمال، واحتواء على الفضل واشتمال، ان ركب نزل
عمرو بن معدي كرب، او اقدم تاخر عنترة واحجم، او صال فطح
الاوصال، وان افتخر الفتى عن رابة الراية، ولم يدع الكلمة من بني عبس
بلوغ الغاية، لو شهد خبر الهباره
لم يرجع بيمن حمر وحية بهباره
ولو جاوره كليب لفتى اعز الناس
ولم يتجاسر على الحمى به جساس ولو

حل

ولو دخل المهلهل تهامة، لما قرب الحارث بن عباد مربط النعامة
ولما فقد عمرو بن ضبيعة ان يضيعه ولما اقسم ان يذوق الشراب
حتى يرد زينب الهضاب، ناهيك من ملك يجبر على الايام، ويحمي
من الحمام، عنيته تشفي الجرب، وعطيته تغني الحرب، لا تقرع
له العصا، ولا ينبه لطرق الحصا، ولا يقعقع له بالشنان، ولا يرهب له
جنان، ولا ملك الاشعر قلبه منه خوف، ولا مر بواديه عوف
كم من مال افنى وعائلة اغنى، وكم افاد واباد، وحبا وجبا وافال
وانال اذل المال بعد عزته في البلاد، واروى منه عطش الاكباد،
فاصبح بمنزلة السلسبيل سايلا في الطرقات وابن سبيل، وكلما
قطع الطريق سايل نهر نهر بهوي لله للسالكين وقهر، وحين
الشابلة التي عبورها مفتقر، انفق عليه الاموال الكثيرة، فصار
ذا قناطر منتظمة، افاض فانه الجارية الشاربة في السيول والامطار
والامواج والبحار ونبهان تبيا وبوبها تبويبا من كيس وحيس
ودرهم ودينار ورداء وازار

وجفان كالجوابي ؛ وقدور راسيات
صحفات كم الانف ؛ من قلوب قاسيات
رجعت منها نفوس ؛ لعداه خاسيات
وجياع عاريات ؛ طاعمات كاسيات

واما الماثرة التي تاكل الماثر اكلا
وتكبر عن ان تجد لها نظيرا او شكلا، وهي
تعطيل الاثام، واراقة المدام بعد ان شغفت بها

القلوب زهورا واعطارا، وهبت على الناس ريحها اعصارا، وجرت
الى فساد عظيم وبلاء عميم في الحال والمآل، والحال والمآل، كم
اراقت من دماء، واعادت ذا ايسار معدما، وهدمت من حصون
وبدلت من مصون، الى غير ذلك من مفاسدها الخبيثة، القديمة
والحديثة، فقيض الله تعالى لها من هاذه الحضرة العلية السنية،
النقية التقية، الزكية الذكية، المحتاطة للامة، الكاشفة للغمة،
ما اجتثها عن اصلها، وحال دون وصلها، وطهر البلاد من مد
منبعها الفجري، فهل ترى لهم من باقية، وقطع اصواتهم
المنكرة، فلا تسمع فيها لاغية، فلا كاس ولا مدام، ولا جارية ولا غلام،
ولا حانة ولا دسكرة، ولا قطارة ولا معصرة، فانثالت الناس الى المساجد،
ما بين راكع وساجد، واصلحوا الاقوال والاعمال، واملوا في ملكهم
الامال، واشتملت عليه القلوب، وزررت على محبته الجيوب، وعظم
في الصدور موقعه، وارتفع فوق السماك موضعه، وهابته
الملوك في ديارها، وخافته الجوارح على اوكارها، فالحمد لله ثم
الحمد لله، انه ولي الشكر والحمد، ولله الامر من قبل ومن بعد،
اتذكر يا ابا الفتح عشيتنا بالازبكية، وكيف جرت علي تلك القضية،
وما جرعنا فيها من الغصة، فالحمد لله الذي اذهب عنا الحزن ان ربنا
لغفور شكور فقال الراوي فلما نثل لي كنانته، وعرفني غزير
الملك ومكانته، ازددت رغبة ونشاطا، وملئت مسرة واغتباطا،
وعلمت ان هذا الملك الجليل، قد جاد الزمان به على بخله، وقد
تعقم ام المعالي عن مثله، ثم قال لي يا ابا الفتح ان مدح هذا

الملك

الملك اول ذات يد بن من فروض العين وقد توافق الشعراء
على انشاد مدايحه صبيحة بالمسجد، توافق جرير والفرزدق
للهجاء بالمربد، وقد مدحته بقصيدة اطلعتها شموسا، وادر
رتها على الاسماع كووسا، فهل لك ان تحضر المحضر لتكون لي ظهيرا
وعضدا او نصيرا، فقلت حبا وكرامة، بالليل تهامة، ثم لم نلبث
ان ظهرت تباشير الصباح، وحيعل داعي الفلاح، فاذ بنا الصلاة
الوسطى، وقمنا الى المسجد نتخطى، فوجدنا فيه فتية ابلج
من الدراري، وابهج من القمر الساري، على وجوههم سيما الخير
وكان على رووسهم الطير، فجلوا له الحبا، وقاموا حبا من حبه
واوسعوا له عن الصدر، وحفوا به حف النجوم بالبدر،
فاجلسني الى جنبه، واراهم اني من حزبه، ثم قال لهم يا بني
الاقوال، وبابلية السحر الحلال، القوا ما انتم ملقون، واجلوا
بنات افكاركم من ابكار وعون، فابتدر الذي عن يمينه، وقام
ينشد من جبينه، فاصاب غرض الاحسان، واتى بقصيدة ابهى
من عقود الجمان، ثم قام الذي يليه فانشد قصيدة غراء
ثم قام الثالث وهلم جرا، الى ان بلغت النوبة اليه، فجثى
على ركبتيه وانشد قصيدة فريدة، زفها زهرة لجنتها
ابدع فيها الابداع كله، وخلعها على كتفي الزمان حلة، وهي

عليك تيقظت من جفني منام ۞ وفيك بذلت نفسي للحمام
وديتك هل ترق ولا تضعني ۞ امالي لا اعد منك من ذمام
بجفن للخفوق له وقلب ۞ خفوق لا يفيق من الهيام

جرير

بنات

تيقضت

اذا ما شام برقا في غمام ∴ كجمر جال في جنبات جام
يعاوده ارتياح الشوق حتى ∴ يكاد يطير في عرض الغمام
ولمع البرق يشجي كل قلب ∴ حكاه في اضطراب واضطرام
سقى الزمن الذي قد بات فيه ∴ نديما مني وسقيا للندام
بلاد قد اكوسا لم تطف الا ∴ وقد طفيت مصابيح الظلام
وحيانا بوجه فاض حسنا ∴ يرف كزهرة بين الكمام
تنقب والحياء له نقاب ∴ فلم نلثمه حبابا في مدام
كأن بقية الآثار فيه ∴ نجوم نقطة بدر التمام
تزورك فوق مصقول اسيل ∴ كما راق الفرند على الحسام
والحاظ يجول السحر فيها ∴ فتنقاد القلوب بلا زمام
اذا ما سددت منها سهاما ∴ تزاحمت القلوب على السهام
كؤوس مدامة وسيوف حرب ∴ وفتنة ساحر ونبال رام
اما عهدي به لم يرض شبها ∴ بغصن البان في لين القوام
فما بال القلوب عليه طيرا ∴ لها الانات ترجع الحمام
واثني انه بدر منير ∴ ابترحه هلالا في اللثام
كلفت به فما للحسن تعدى ∴ سوا لعيه ولا يشفى اوام
وبالغت المحبة فيه جهدي ∴ ولكن حسنه فوق الغرام
فليت قلوب كل الناس قلبي ∴ فاعشقه بافئدة الانام
وليت جميع السنهم لساني ∴ فابلغ مدحة الملك الهمام
علي بن الحسين وكيف يحصى ∴ حلاه كلام عربي او كلام
مليك فوق كل علا علاه ∴ فلا احد يجاريه وسام

جرى في وجهه الاحسان نورا .. وفي كفيه ماء الانسجام
اذ الجاني اتاه ليس يدري .. ايوخذ مزورا ام امام
تهلل رغبة للعفو حتى .. كان العفو من شعب المدام
ولولا حلمه والفضل فيه .. لما حلم الزمان على اللئام
ولولا انه لم يجن ذنبا .. ولم يكسب تراثا من حرام
لما مرت بساحته الليالي .. عليها حلية الشهب الوسام
ولو شاءت عزايمه لقادت .. له كل الممالك في خطام
ولكن بيعة سبقت واعطى .. بصفقته فكانت كالذمام
ايا ملكا ملوك الارض منه .. بمنزلة الصفوف من الامام
اقمت الدين وحدك في زمان .. به بحر الهوى والغي طام
وكم احييت من سنن عظام .. وكانت قبل بالية العظام
واذ خلت الانام حمى امان .. حمايته والهدى حدب محامي
وقد كانوا بني سلم وحام .. ولا يحكيك يوم الفخر سام
بك الايام تفخر والليالي .. فخار الغاب بالاسد الضوامي
وهذا النحر حل فصل وانحى .. وقابله ببشر وابتسام
كفاه ان يجي اليك شوقا .. ولا يلقاك الا بعد عام
اتاك مهنيا والشكر فرض .. بما اعطيت فيه من الانام
ولو وقفت التعريف حتم .. اتاك لغرة الشهر الحرام
فقد كانت لياليه تقضى .. بنزع الكاس من كف الغلام
فها هي ذي ايعزم منك تحيى .. بذكر في سجود او قيام
سلبت الكاس حليتها فصارت .. عنى بيد الفقر المستضام

فلا الصهباء فيها ذوب تبر ۞ ولا در الحباب على نظام
ولا الساقي بيد رشا بشعاع ۞ ولا الشادي بنطقي ذي بغام
وسعت الناس كلهم سرورا ۞ بسيب من اياديك الجسام
ولم تترك لشرب الخمر عذرا ۞ دفعت الهم بالمنن العظام
كأن نداك فيهم حين تابوا ۞ تعاليل الوليد عن الفطام
فعال مطهر الاخلاق بر ۞ كريم مبعد عن كل ذام
فما كاس المدام لديه الا ۞ حسام من طلا الفرسان دامي
اتيت على فساد من زمان ۞ اساء فبعد عهد بالكرام
فقلنا اذ دعاك الناس منهم ۞ اهذا التبر من هذا الرغام
وما ضاهاك في كرم وفضل ۞ سوى ابنائك الغر الفخام
لقد خلقوا كما تهوى المعالي ۞ اسانة قد شفوها من سقام
رويدا يبلغون الحلم تنظر ۞ عداك تصاب بالموت الزؤام
ستبصرهم اذا ركبوا وساروا ۞ تضيق الارض بالجيش اللهام
فدمت لهم وداموا كالثريا ۞ نظاما لا تداعى لانفصام
ولا زال الحسود لهم وفيهم ۞ يبيت على فراش من ضرام
فدى لك من ملوك الارض جمع ۞ عن الحسنى ذوو مقل نيام
فما رفعوا المكرمة منارا ۞ ولا نصبوا المجد من خيام
ولا عدلوا فسووا بين ليث ۞ له لبد وصفل من نعام
ولا سلوا النصر الدين سيفا ۞ ولا شدوا العز ومن حزام
راوك مبرزا في كل فضل ۞ وغيث العرف من كفيك هام

فنادوا

ونادوا والدفتي الاعلى ، ولولا سواه السيف الكهام
مدحتك مدحة الجعفي لاكن ، مديحي مثلها فالتاحة ام
لعل الله يجعله مديحا ، يبلغني من العليا مرام
فانك لو نظرت الى جمادي ، لساوت رتبة شهر الصيام
وما الياقوت فيما قيل الا ، حصى نظرته شمس باحترام
عليك تحية تاتي بروح ، وريحان من الملك السلام
يضوع العنبر الوردي منها ، وتذكو مثلها مسك الختام
قال الراوي فلما تم انشادها، ودفع بها المحاسن
وشادها، قلت له يا فارس البراعة، ويا حامل راية
البراعة، لقد برزت، وقصب السبق احرزت، وجبت في
الحلبة مجليا، فمن شاء بعدك فليجي مصليا، فما الاحد
بلحاقك طلاب، وجري المذكيات غلاب، فكان القوم تغيرت
نياتهم، وتحركت حميتهم، فانتصبوا لمبارزته، وتصدوا
لمجاراته، فقلت لهم الا ليوديكم مداراته، لا مباراته، ومصا
فاته، لا منافاته، فانه لقوة عارضته، لا تقدرون على
معارضته، وساريكم الامر عيانا، واقيم لكم
على ذلك برهانا، ثم قلت له يا ابلغ من قدامه،
ومن صاحب الخمسين مقامه،
امدح هذا الملك السعيد بابيات احسا
نه هاطلة، بابيات عاطلة، جاءت
على احسن نمط، واستغنت بما حسنها الغزير عن النقط،

فقال نعم سأنبيك بما حاولته، والتزم فيها ما يلزم ناوله، وفكر
مقدار ما عدل أوزانها، وأوح عنها ما زانها، وأنشد

هل حل حلوا للما الصلد ∴ حام الهوى حوله وحلا
للدم له طالع اهلال ∴ اسلمه للهوى وولا
اصماه لما رماه سهم ∴ ماحده كالحسام كلا
دعه وعد ما دحاهما اما ∴ على كمال الكرام دلا
مومل كلما حسوا ∴ اعطاهم الا العلى ولا
سماحه كالركام هام ∴ حل لكل امر به عملا
حسامه للعدا معد ∴ اهلكهم والدما اهملا
وهامهم كلما راوه ∴ هم ركعوا والحسام صلا
دم ملكا راحما وصولا ∴ ممدحا كاملا معلا
وهاك سحر الحلال مدحا ∴ ماردده سامع وملا
واسمعه كالعاطل سواه ∴ حلاه هو العاطل المحلا

فقلت له هاتها كلها معجمة، مسرجة
بالحسن ملجمة، فقال المشار هذه الانجلاوا
عن تفصل، وقلت فصل ولا تبعل، فاطرق
الم اقة حين، ثم أتى بها شجرة تحمل الدر، وهي

فتنت بضيق غضيض شنيف بغنج يجتنيه يشتبث
كنت يفتني فجنت بغيث صنة كنى بغيثا يبيض شنت
تفي تفي نجيب بجيب غيثي يشفعني بتجب
بثيب بغيث بخف بشف ∴ بغني ينيف بغضي يجيب

فقلت

فقلت له انظمها خيفاء، ليست من الاحسان خيفاء، كانها في
غادة هيفاء، حروف احدى كلمتيها كلها معلاة بالنقط
وحروف الاخرى كلا خالية فقط، فبكى مقدار حلب فاق، وانشد
باعذب مقال،

له ظبي هواه يضني ∴ وصاله في الهوى تجني
وصده زين كل زين ∴ اعطى جفني وكل جفني
لملك ذي علا بغيني ∴ اوى بغيني والظني
سماحه في المحول غيث ∴ حسامه في المصاع يغني
وحلمه قرّ كل بشن ∴ وعلمه بث كل فن

فقلت له يا هذي من القطاء، امنت الخطاء، ايت بها رقطاء،
حرفا اهمل وحرفا اوشح نقطه، فبكى وما ابطا، وانشدها
مرتبطة بالحسن ربطا وهي،

بات لي من دجاه ليل قصير ∴ بان لي من مناه وبل نميره
زمن لي اذاب انعش منه ∴ وجه لي بهش لي ونميره
بلا ذل فاض كفه بهبات ∴ من اتقى بابه برفد جديره
نابه فاضل جليل جميل ∴ فاخر زاخر خطير بصيره

فقلت له ابرزها مقطعة، بالجمال مقنعة، حروفها لا انتظم ولا حرف مع
حرف يلتئم، فقال هاذه لا تنسجم، فقلت له انظمها وخلاك ذم، فبكى
هنيهة، وانشدها على تلك الهيئة،

ذمّ ودٌّ زَوْدُ ذاتِ دارٍ داخَ ∴ ورِدُ وزادُ ذرِّه دنٌّ راخ
وزرٌ ودودٌ دادُ زادٍ ذرارِهِ ∴ ازال الازدراء ودادُه ازاخ

اذا وا وارد ه زد ي د ذ ا ؛ اذ و را و ذات ذ ر د راح
فقلت له بقيت عليك الموصلة، التي حروف كل كلمة منها متصلة
وقد علمت انه طرحها فيما طرح، من قبل ان تقترح، ولكن اردت
كشف اللثام، وان لا يقال رمية من غير رام، فقال هاذه مرت
وفي التي عجمت بما مرت، فقلت له يا مجيد البداع، ويا فريد
الانطباع، ابن مولع من البديع، بنوع التشريع، فانظم فيه ابياتا
تجمع من الاوزان والقوافي اشتاتا، يقول كل من سمعها وقراها
كل الصيد في جوف الفرا، فاغور في التفكر والفكر، ثم وشح وانشد
فاتى بها مقطوعة لا مقطوعة، عن الابداع ولا ممنوعة،
تصير بعد رمي اجزايها بالحذف، مقاطع بعدد اصابع الكف

حر الهوى بفوادي جذوة القبس ؛ لا ينطفي من فتور الاعين النعس
قلبي كوى مذ بدا فالقلب احرقه ؛ تلهفي وجفوني منه في عرس
دع الجوى مذ رجعت اليوم عن شغفي ؛ لا تشتفي لمحيا السيد الندس
غضني ذوي قبل ان القاه ممتدحا ؛ بمتلفي من زمان صرت في يبس
ثم ارتويت في باضي الان زاهرة ؛ لمن يفي ونداه خير منبجس

فقلت له بين خفاياها، واخرج خباياها، فقال ان طرحنا اول
جزء من كل صدر وعجز ناحيه، نجدها من بحر المديد بتلك القافيه

بفوادي جذوة القبس ؛ من فتور الاعين النعس
قد بدا فالقلب احرقه ؛ وجفوني منه في عرس
قد رجعت اليوم عن شغفي ؛ بمحيا السيد الندس
قبل ان القاه ممتدحا ؛ من زمان صرت في يبس

فرياضي الان زاهرة ، ونداه خير منبجس

وان اخذت ما انبعثت ثالثا من اول جزء لكل صدر وعجز ، مقطوعة من منهوك الرجز ، وهي

حر الهوى لا ينطفي ، فلبي كوى تلهفي

دع الجوى لا اشتفي ، عضني دوي بمتلفي

ثم ارتوي بمن يفي

وان اخذت اوايل الصدور فقط ، وجدتها منتظمة على نمط لا كن بالغ فيها النهك والحزّ ، حتى اتت على جزء جزء ، وكذا انظابر ها من الاعجاز تاتلف ، كمثل ما اخبرتك لا تختلف

فالاولى : حر الهوى ، قلبي كوى ، دع الجوى ، عضني دوي ، ثم ارتوي

والثانية : لا ينطفي ، تلهفي ، لا اشتفي ، بمتلفي ، بمن يفي

فقلت له كفاك ، لا فض الله فاك ، فقد اولجتك المضايق ، فيما عاقك عن الخروج منها عايق ، واركبتك الصعوبة ، فقد تهاذل ركوبه ، وقلت للقوم ، اذ رتم قالوا اقررنا ، وان كنا انكرنا فما اصررنا ، ولما انقضى الايراد والاصدار ، واقصر الانجاد والاغوار ، نظرنا باذا المسجد قد غص باهله ، غصّ الاعهد لهم بمثله ، والناس قيام ، فيا ما خلف قيام ، وقد اتوا من كل فج عميق لاستماع الانشاد واتتالوا من كل مكان سحيق ما بين حاضر وباد ، فقال القايل لو قام احدكم في الناس خطيبا ، فضوع هذا المحفل طيبا ، واهتصر من المواعظ غصنا رطيبا ، ورد الشيطان خاسيا عطيبا ، وذكر الناس بنعمة الله عليهم ، وصنعته لديهم

بهذا الملك الذي اقام اودهم، وازال نكدهم، وسوى اعوجاجهم
وهز ابتهاجهم، واذهب عنهم الرجس، وطيب منهم كل نفس
فان الخطب، تنفخ من العطب، والموعظة من نومة الغفلة موقظة
فالتفتوا الى المشار اليه، وطرحوها عليه، فانتصب لجزل حكاك
وتهيأ من غير ارتباك، فقيل له امنت الحصر، وحميت من الخصر
قد اقترحت عليك الجماعة، ان ترتجلها قصيدة بنت الساعة
فاطرق اطراق الشجاع، فقلت يحن نيف لينباع، فلم يكن الا
ريثما انتضى شراره، حتى نثر على القوافي الغاره، وانشد
يقول،

الحمد لله الذي قد مهدا ... قواعد الدين باعلام الهدى
لم تعدم الامة منهم منجدا ... يجبر صدعا ويقيم اودا
سبحانه لم يخلق الخلق سدى ... من يهده فذاك الذي اهتدى
ومن يرد به فلاحا قلدا ... تدبير امره ولبامر شحدا
حمدته وليس يحصي عددا ... نعماه الحمد ولو تمددا
وقد شهدت والهدى ان اشهدا ... ان لا اله غير ربي احدا
شهادة تعصمني من الردى ... يوم يجلى والدما ولدا
وان سيد الورى محمدا ... رسوله خير نبي ارشدا
صلى عليه الله ما تبددا ... عقد امن العز رحيا وفردا
جاود عنه الارض بطنها مدا ... ثم انشئت لخرجه زمردا
ثم يهيج قترا عسجدا ... وآله وصحبه ومن غدا
يتبعهم على الهدى طول المدا ... وبعد فاعلموا وفيتم نكدا

واستعمل

واستمعوا من قام فيكم منشدا ⁞ ان لم يجد عليكم يجدا

لا تملكون لاحا يهاب يجدا ⁞ ملك فيكم عاد لا اسددا

يفعل رشدا او يقول سددا ⁞ فكم لهيب فتنة قد اخمدا

وكم سيوفا عنكم قد اغمدا ⁞ بسيفه المصقول احرا موردا

من امنهم جلوا عن القلب الصدا ⁞ وقد غدا يمنعكم لمن عدا

ويدفع الضر ويقمع العدا ⁞ ويهدم الحان ويبني المسجدا

اعاد دين الله غضا واقتدى ⁞ بالعمرين في زمان فسدا

فاهدر الخمر وكانت امهدا ⁞ اكثركم قد ظل فيها واغتدى

بالله هل كنتم تفيقون ندا ⁞ موذنا من صوت عانا عودا

في الارض ثم ركعا وسجدا ⁞ لربهم في جنح ليل هجدا

وكل رجس عنكم قد ابعدا ⁞ وكل سوق للفساد كسدا

والحمد لله الذي قد ابدا ⁞ لدينه هذا الملك الاسعدا

اعني علي بن الحسين الاسعدا ⁞ الارفع الاسمى الهمام الاوحدا

الامنع الاحمى العظيم المجتدا ⁞ كنتم له من كل مكروه فدا

ولا يزال ملجا ومقصدا ⁞ ودام فينا ملكا مخلدا

حتى يرى ابناءه له ودا ⁞ وكلهم سيف بيد امجدا

هم الذين ملئوا الدنيا جدا ⁞ واحرزوا فضائلا وسوددا

ورفعة وعزة ومحتدا ⁞ لا خانهم دهر ولا اتى ردى

ولا النوى ولا عدا عاد بدا ⁞ ولا يزال الملك فيهم ابدا

حتى يعود الشيخ طفلا امردا ⁞ بجاه سيد الانام احمدا

صلى عليه الله ما حادٍ حدا ۞ وآله وصحبه أهل الندا

۞ ما حنت العيس وشاقها الحدا ۞

فلما فرغ من خطبته، وقد صدع القلوب بعظته، جلس
للدعاء والناس يؤمنون، بدوام البقاء لمن هم في إيالته
آمنون، ثم تفرق الجمع، وانسربوا في كل صقع، فقال
أبو الفتح فقلت له قد صدح الحق عن محضه، وتبين هذا الكرم
من عرضه، ولقد حننت الى لقاء الملك ورؤية طلعته الشر
يفه، كما حن الى المدينة أبو قطيفة، وإني ذاهب لألقاه
واستودعك الله، فقال لي ظفرت فاغتنم، واستكثر منه وارتبط
فسرت حتى أتيت قصر الملك فوجدته منتهى الجمال، ومنية الآمال
قصر تود الشمس وجه الوغدا، بي حالها آوان منه طلوعها
والأرض تحسدها السماء لأجله، وتود لو ضمت عليه ضلوعها
خلعت عليه الدنيا زهر نهرها واهدت اليه الرياض نظم نهرها
فالأيام به مواسم وأعياد، والدنيا لساكنه منقاد، لو
لو رآه النعمان بن الشقيقة، ما أعجبه الخورنق أو ملكة
الجزيرة ما قالت تمرد مارد وعز الأبلق، ما التاج، وما أبيض ذي
التاج، وما الحصن وصاحبه الضيزن، وما غمدان واليمن، وما
سيف ابن ذي يزن، والملك جالس في دسته، وقد
تجلى بوقاره وسمته، فلما رآني تهلل وجهه كبدر التمام
وقال يا بشراي هذا غلام، فقلت له أيها الملك السعيد،
ذو الصيت البعيد، أنا طالعة النجاح، ومفتاح الفلاح، ومزين

التمكين

التمكين، ونصر من الله وفتح مبين، ارسلني اليك من اهلك
لنصرة دينه، ولم يجعل لي وليا من دونه، لاكون قايد جنودك، وعاقد
بنودك، ومولنا معك اينما وليت، وحالا معك حيثما حليت، جزاء
لما عاملت به دينه من التمكين والتعزيز، ولينصرن الله من ينصره
ان الله لقوي عزيز، فدم ايها الملك في سعادة سلطانك، في
واقبال زمانك، تبني القصور، وتفني العصور، يستسقى بوجهك
المزن، وينجلي بطاعتك الحزن، وتصلح ما افسد، وتنفق من المكارم
ما كسد، وتنتزع الفريسة من فم الاسد، لا حطت لك العليا سرجا
ولا حللت غير السعد برجا، ولا زلت للراهبين ملاذا، ولل راغبين معاذا،
وثبت الله وطاتك، واسس على العدل دولتك، ونصر جيشك
ونضر عيشك، وخلد ملكك العالي، وابده ما دامت الايام والليالي
مامونا من الغير والرزايا، محفوظا من النوايب والبلايا، محبوبا
بالسعادة قرير العين ببنيك الذين هم زينة الملك، ولئالي
السلك، ودرر وغرر تفرعوا من دوحة مجد وسناء، اصلها ثابت
وفرعها في السماء، بجلاء واي المفاخر اشباهك الحلقة المفرغة لا يدرى
اين طرفاها، وزينوا المواكب، كما زينت السماء الكواكب
فبقيت وبقوا، ولقيت السعادة ولقوا، في
ودانت لهم الدنيا ودامت لهم العليا، ولا
انقرض ملكهم، ولا انفصم سلكهم، ورايت
منهم ما يكبت العدا، ويملك الدنيا هدى
وعشت لهم مخلدا، وعاشوا ابدا،

اللهم يا سامع الاصوات، ويا مجيب الرغبات، اجب نداءي، وتقبل
دعاءي، وواصل اطيب صلواتك، ونوامي بركاتك، وازكى تحياتك
على افضل انبيائك، واعز اصفيائك، سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه
وسلم وعلى آله الاطهار، وصحابته الاخيار، ما تعاقب ليل ونهار، وقال
ابو الفتح فلما سمع الملك هذه الكلمات، وما تضمنت من صالح الدعوات
تحقق فيها الاخلاص والانابة، وتيقن لها من الله تعالى القبول والاجا
بة، ثم امر في لازالت سعادته دايمة، ان ادعو له بحسن الخا
تمة، فقلت اللهم اختم له بالسعادة، والله الحسنى وزيادة
فتهلل وجهه واسفر، وتبسم ضاحكا واستبشر، وقربني منه
وادناني اليه، فافمت عنده في سرور هو النهاية لا مزيد عليه
ومن ذلك مقامة ذي الفقيه الكاتب
ابي عبد الله محمد الحور عفي تشتمل
على قصيدة هي من غرر الشعر
وقد ابدع وعيون فرايده وهي
سعد السعود تهيا
وطالع النحس لا حا
فقلت يا سعد حدثنى
عما وراك هدا
فقال خير ترا سه واسمع لقولي هذا
يا رواة الاخبار، وحملة القول المختار، شمل الله جمعكم بسلام
وجمع شملكم في دار السلام، خير المتكلمين من حدث بما سمع
وخبر

وخير الشامعين من احرز ما جمع، وخير ما قيل من الكلم ما يقال
لقائل مسلم، فاسمعوا الان لحديث حسن، فخبرته من سالف الزمن
كنت ممن حبب اليه مصاحبة الاسفار، وخفف عنه مفارقة الاو
كار، ورأوا ان من العجز تفضيل دار على دار، وان من الاسر اتخاذ
حليلة، وان يقعد عن كسب يحويه، ليوم تظهر فيه مساويه

ما للشباب وللاقامة … والشيب منتظر امامه
والدهر يسمح تارة … ويضن اخرى بالسلامة
والحر يقطع دهره … ان يحتمي باهل اللكامة
وليركب الاخطار في … تحصيل ما يبغي الملامة
مال يقيه الذل او … علم يلقيه الكرامة
فيسجمه المسعى اذا … ارخى همه حزامه

فشددت على وسطي اطماري، وشمرت لقطع المفاوز ازاري
وانا اذ ذاك باز على قفار، ومستوفز على اوفاز، فلا
وليد عن الارقال بعقل سخني، ولا غريم الوفاض بعاضيني
وليس لي غير نعل بت اخصفها، وعيش وقليل العيش يرضيني
فابتدأت اتكرى باول فرض، واتبعته بقول الله قل سيروا في
الارض، جمعا على تلك الراحة، ملاحظا لقول الرسول الموت
راحة، تاركا كل فضول مكانه، قاطعا ما بين فرغانه وغانه

يوما اكون مع الملاح منطقا … ذات الحسار على قاموس تيار
وتارة بيتي بهم لا يصاحبني … سوى الظليم وغير الضبع الضار

وساعة بين غوغاء الاخلاق ولغطهم ∴ ومرة بين بيطار وعطار

وتارة بين اعلام افاضلهم ∴ فيما يفي بيني مزرحمة البارق

وما فهمتني الاحكمة احويها ، او قصة غريبة ارويها ، او عظة في
اسمعها ، او مكتوبة اركعها ، في جمعت مما يهذب الاخلاق ، لا
يكون بعده املاق ، ورايت من البلاد الوفاء ، ولقيت من اهلها صنوفا ،
وما رايت صلاحها الا بصلاح من ملك ، وبعدم عدله هلك من
هلك ، وتاملت الناس جيلا بعد جيل ، فالفيتهم وحقك كما قيل
خلق الناس طبقات ، ولمن والوا بة ، فطايفة للعباد ، وطايفة
للتجار ، وطايفة خطبا ، وطايفة للباس والهيجاء ، ورجرجة بين
ذلك يكسرون الصلو ويكسرون الاربعو ويغلون الشعر ويضيقون
الطريق ، ونغافت على احيان ، لا استقر فيها بمكان

∴ من كان يطلب راس العز يملكه ، فالجوم الدون في مراه سيان ∴

∴ لا خير في عيشة في دار مسكنة ، لو كان صاحبها في راس غمران ∴

الى ان اذن روض الشباب بالانتهاء راس ، واعلن نجم الصحة بالا
نعكاس ، فاعملت الفكرة في اتخاذ السكن ، لما يعرض في الكبر من
المحن ، وفي اختيار منزل الاقامه ، وليصطحبه المرء صاحبته وغلا
مه ، وكنت في زمن تطوافي ، وتقلبي بين اوطاني ، رايت ضعيفا لم
الواليه بلا لا ، ولا انعمت عليه سوالا ، لما رايت عليه من الكابة ،
محادث بين خروبي رحم اصابه ، ولا اشتغالي بما هو اولى ، ولكنما
بي لما هو اوفق واغلا ، غير انه علق بقلبي وسمه ، وانه
لم يحفظ حينئذ اسمه ، فصرفت توجهته العنان

وانبعث

وانتجعت صوبه من اقصى مكان، فوافيته والربيع في عنفوانه
والروض يرفل في افنانه، فتخللته تخلل المرتاد، وتصفحت تامنه الا
وغاد ولاة وهاد، ونظرت تامنه ما زان، لينتقل حاله عن التبدي كان
فبينما اجول في خلاله، واتامل في نسائه ورجاله، واذا انا بدمية
حسناء وحورية عيناء، فتاملتها تامل اياس، فاذا هي مغناطيس
الاكياس، فقلت ايتها الحرة، من اسنى خبر الملحة ما ضره، افتنا
ذ تبتي بالسؤال، عما خطر لي بالبال، فقالت اما الحرية فليس
لي فيها نسب، وانما انا مملوكة لمن غلب، واما السؤال فامره
اليك، فاسأل عما شئت فلا عليك، فقلت من ملك هذه
الذات، فانه لم يفض من ام ذي بنيانه ما فات، فقالت ملكت
مرارا، ولاقيت احلاء وامرارا، واذا رايت من حسني ما هالك
فانما هو بحسب المالك، فقلت لوح هذه البيان، بالثناء على رب
الدار، فقالت بخ بخ، فخر رسخ، ذلك الفحل لا يقدع انفه، والقبض
لا ينقبض كفه، لم يبق من المحاسن اصلا ولا فرعا، وساخبرك
عنه بمثل حديث ابي زرع، انه لرفيع العماد، كثير الرماد، خفيف
على ظهور الجياد، ثقيل على اعدائه يوم الوبل، راضي الاهل
والجناب، رايق العيون والالباب، ليست شملته بالتعلف
ولا شرمه باستعلافه، ولا ضجعته بانجيراف، ولا يشبع
ليلة يطاف، ولا ينام ليلة يخاف، فقلت لها باهتنا ما، ؟؟
سبحان من خلقك وسواك، ولولا ان سؤال الشخص عن
اسمه من الادب وقسمه، لسألتكما عما هو لكما من ؟؟

اللقب والمسمى فقالت ما تركت شيئاً من الجواب إن جهلت ما
لم يكن به خفاء ولاكن لا أجمع لك بين الحرمان والعذاب
فأبهم إن كنت من أهل الآداب

عم ما أنت فيه عن كل حاسد ، تلق أمنا من أعين المكايد
لا تثق بالكذوب واطلب صديقا ، واشكر السعي إن ظفرت بواحد
يسهل الأمر عن هذا أبا شيخ ، نلت في كسب من يلين الشدايد
بامر يد على الزمان معينا ، سد والله عنك باب المساعح

ثم قالت أعرفت جوابك من جهة التحبير ، أي والله وصناعة التخيير
فقالت بين تلك الصناعة ، لأعرف ما عندك من البضاعة ، فقلت

عم ما أنت فيه عن كل ماكر ، تلق أمانا من اعتراض المناكر
لا تثق بالكذوب واطلب صديقا ، واشكر الله إن ظفرت بشاكر
يسهل الأمر عن هذا أبا شيخ ، نلت في كسب من يلين البواخر
بامر يد على الزمان معينا ، سد والله عنك باب الموازر

فقالت أمننت عليك من البلادة ، وعرفت حقائق الاجادة ، فقلت
لكني أحب التصريح بالسجع المليح ، لتأنس
أسماعي بما تعلقت أطماعي ، فسكتت
قليلا ، ثم قالت فأحسنت قيلا

يا طالب التصريح يا كيس ، صدقت فالتلويح لا يونس
بل إنما يحسن كتم الخفا ، وكيف يخفى الأحسن الأنفس
فاسمع إذا وانعم بها كلمة ، ربي علي وأنا تونس

فقلت

فقلت لها في اول الاسمين اجمال وفي الثاني منهما اشكال
وانا في هاذه الديار لغريب فليس جهلي الحال بعجيب
وفيما بلغنا من الاخبار عن الاحبار ان تونس اسم لذات
اسوار وذات ابواب لا جلباب فكيف يفهم هذا
التوضيح ولعله ليس بصحيح فقالت ان اشكالك لوارد
وله عندي جواب طارد انك لما نزلت هاذه المدينة واخترت
ركونها على كل سفينة صورها الله لك في هذا المثال كما
تصور يوم القيامة الاعمال لتاخذ خبرها من شخص ولا
تتعب فيه بكثير الفحص فقلت الله اكبر قد تم ما اسر ولطفت
بجهينة ووقفت من ابليس عينه وزدتني نشاطا وملا
قلبي انبساطا واني عزمت على استيطان هذا البلد وركودي
فيه الى الابد فلا بد من تعرف احوال سلطانه ومعرفة خراج
اوطانه وسيرته في رعيته وعمل عماله في دولته وحاله مع
مزاحمه ايعونه ام يقاومه فاذا استقامت هاذه الاحوال
صلحت الذرية ونمى المال وعلم جميعها عندك شهير ولا ينبيك
مثل خبير فباشري الحال وارفعي الاجمال ولا تحوجيني للمرا
جعة فانها لحلاوة الترسل قاطعة فامتثلت مقترحي وما
لت ورفعت عقيرتها فقالت

ومالكي ما مالكي ... غيث الزمان المنحل
تاهت به ايامه ... عن الهوى بمعزل
فاسمع كلاما جامعا ... عن الهوى بمعزل

ما نافع الا التقى ۞ ولا باق الا العلم
ابن الحسين المرتضى ۞ عز غيره لا تنسل

ملاقاته افراح، ومحادثته انشراح، ومجلسه علم
يستفاد، او طعام مستجاد، او منحة وارفاد، لا يغفل عن
روايه، ولا يسأم من درايه، واعلق شيء بقلبه من الاناجيل
صحيح محمد بن اسماعيل، فهو هجيراه، ومن اول ثمراه،
ولا يزال يبحث عن دينه، ويسأل اهله عن غثه وسمينه،
ويكرم كل خبير على ذالك، ويكرم الحريص عليه بذالك، واذا
غفلوا عن استدراك انعامه، اغراهم على ذالك بفعله
او بكلامه، في بعض الدنانير فوق البسط، وفي المحادثة
التقط التقط، فاذا المهام من استعداء عد امثالها المن عداه
واذا راى بصحبه انقباض، نزعه من غير اعتراض، وربما مالح
معهم ومزح، اذا انصب الخاطر ونزح، وخلوته لها اطوار
طويلة الذيل في ذكر واعتبار، طرفي النهار وزلفا من الليل، ماذا
لمولاه نعم، ناهيك كل شاغل خلفه، مخلصا له فيها النية في
مستشفع لحصول الامنيه، واما حاله مع بنيه، الذين هم مبلغ
امانيه، فترتيبه لهم بالتبيين، من تعلم ابواب الدين، والترغيب في
الحبه والتحذير من الاستثقال وتحسين الكرم والعفو
عمن ظلم، والنهي عن الاستعجال، وعن الجبن في كل
حال، وهلم جرا، مما يصلح الدنيا والاخرى، وقد ظهرت
فيهم النجابة، فلتحمد الله امة الاجابة، واما حال رحمه
بهم

فهم على قدمه، من مراعاة الصلاح، في المساء والصباح،
مع ادعية تملى، وسور تتلى، وعبادة تامه، وصدقات
عامه، فقد اتهم مكسوه، وبنياهم مجلوه، وزلات ايابهم
معفوه، وجميع احوالهم في الغايه، كما تخبرك به الرايه
واما مدينته، التي هي زينته، فهي محط الرحال ومطمح
الامال، تجاراتها نافقه، ومبانيها رايقه، وسلعها ثمينه، ومباهها
التي عمها بها معينه، ومساجدها معموره، وبركاتها مشهوره،
ومرتباتها لمدرسيها جاريه، ولا تخلو عن صدقاته، واما خراج
بلاده، فقد زاد على معتاده، لكثرة العماره، بحسن سياسة
الاماره، واما سيرته في الرعايا، وحاله في فصل القضايا، فان
جوابه رفيق، وخطابه رقيق، ولا يصدر عن قضية حتى يفهم
ولا يقطعها قبل ان يعلم، وكثيرا ما يتخذ بالصلح الذي هو خير
ويعطي لاتمامه من ماله ان يخل الغير، ولا يمنع الحق من استحق
ويستعظم قتل النفس ولو في حق، وكل وقت يتصفح ديوان رعاياه
فيحط عن كل مثقل ما عياه، وزلاتهم عنده لغو، وقد تم طاعتهم
بالعفو، ومما اصلته الفرس والترك، عفو الملك ابقى للملك
وعند جميع الملل من وفق للحق افضل، الدين بالملك
يقوى والملك بالدين يبقى، واما حاله مع من تالمه
من تاخمه فان حوزته من عدواة تالمه، ولولا اختلاف بينها
ما قدر احد يعنيها، وهي اقرب لصلاح الحال، فابشر ببلوغ الامال

واما احوال العمال في هذه الايام فاستر عن غيري والسلام، فقلت
ايتها الكريمة، قد اسمعتيني من انباء عظيمة، فليس بعدها الا المقام
تحت ايالة هذا الصالح، واني عزمت على ملاقاته، لا تيمن بمشاهدة
هذه ذاته وامن بقربه من تسلط الاوباش، واسلم من افساد العبا
د، وتكدير المعاش، اما سمعت بما قد قيل
ما حفظ من الابيات الذي يصدق، ، ، ،
ولن ينصر به شخص يسمى محمد، اي من الناس الا مبتلى بابي جهل،
اذا قدم بين يدي ذلك، قصيدة تسهل المسالك، فانه ممن
سنن سيد المرسلين، ومنهج خلفائه الراشدين، فقال ابتدار
بدار، فيما بعد العيشة من عار، واذكر فيها خصاله الجليلة
التي هي من افعاله الحميدة، فيا لها منقبة لم يسبق اليها ولا
وقف في سابق الاثار عليها، وهي قطعة لداعية الخمور
البالغ ذكرها الى يوم النشور، وعلما انه قد عجز عنها من قبله
وضرب الله على ايديهم حين وصلت له، والظن بالله ان يجازيه
باللطف به، وان يجعلها كلمة باقية في عقبه، وجود المطالع
وتانق في المقاطع، ولا تجعل كل الكلام شريفا عاليا، ولا وضيعا
واهيا، بل رتبه تفصيل العقود، ولا تتكلف ما الخاطر المكدود،
فان العقد اذا كان كله نفيسا لم يظهر منه ما كان رئيسا، ولا يتبين
كمال واسطته، ولا اعلام فرائده، واقصد القوافي السهلة
المستحسنة، دون المستصعبة المستهجنة، ولتترك الغلق
مبالى

مبانيك على مقدار معانيك، فالثوب اذا زاد على الجسد كسد
واذا نقص عنه فسد، واياك وتقليل الالفاظ فتنصرف عنك
الحفاظ، وانما قدمت لك هذه الوصية، الضامنة لمن عمل
بها بلوغ الامنية، لان الذي قصدته بمديحك، واردت ان
توقفه على صريحك، احوذ المدح من كعب بن امامة، واعرف
بنقد الكلام من قدامة، وليس ممن يخدع بالاباطيل، في
ويغير الحكم بالبرطيل فلا تقدم عليه بما يسمج سماعه، ثم
يطرح في خزانة الاضاعة، بل بما تتخذه الحور للنحور، وينطبع
في غرر الايام سطور، وتتسابق الى كتابه لاقصى مكان في كل
زمان، فبادر بها قبل رجوع الفيء ولا يسمعها منك من يعرض
ضماغيبي، فقلت قد حضر ما غاب، فاسمع به هو الطاب، واسمع
وعي، وليكن قلبك كله معي،

طالع اليمن مقبل في ازدياد ... سالم الكون من كمون الفساد
وبع الوقت منه للانس بابا ... اي باب عليه سعد ينادي
فاطو عن جانب التوقي بساطا ... وامض طلق العنان نحو المنادي
واطرح النصح من ثقيل لعيني ... ربما كان واحد الحساد
ما صواب قعود من قد هدا به ... لاغتنام النعيم والبسط هادي
ان من صد عن جميل انا به ... كان احرى بهجره والبعاد
هذه جنة التهاني جلت ... بين ممس من الرباب وغادي
في شذا الريحان والارض دالف ... من غزير السماء ... الوهاد

فانظر الزهر طالعا في بياض :. وانظر الزهر صوبة في سواد
يكتنف الليل هاذه عسكر هند :. والحديدان منها في عتاد
وانظر الود وكيف يقطع ملك :. بين خاف من الروع وباد
كلما لاح في مواكبه حط :. صور الوهم قبله شكل عاد
والبطاح استبان فيها مثال :. من قطيف موطا في مهاد
والربا هودج تحمل عرسا :. او كبير مزمل في بجاد
اطلع الوشا فيه للعين نورا :. يطلع الجود في صميم الفؤاد
من بياض وزرقة واحمرار :. واصفرار وشقرة واسوداد
صبغة الحذق تاملت فيها :. كيف كانت ممزوجة في مداد
واصغ للطير واعجبن كيف علم :. تنشط النفس بالحديث المعاد
رافعا الصوت فهي في كل وجه :. تشرح المربع النواحي بحاد
مالها ملة المسمع سجعا :. وهي من عظم ما بها في طراد
تلك هي التي تعرفنا ذاكر :. زاد ما عندها على المعتاد
اتراه لحادث صح فيها :. ام تنادت لحادث في العباد
بل تغنت بابن الحسين علي :. عند ما سد بابه كل القصاد
فيه بالحديث عنه وعنه :. في كل قولة باسعاد
ذاك الفتى اجل الله جزمه :. والنوى فيه حاضر والبواد
ام هو البحر بل له الفضل لما :. كان في الارض طالع الانداء
اعجز اللاحقين عنه محاما :. وهو للسابقين غاية الهواد
وافتنى المشتهى والمثوبة شتا :. ابيض العيش صار للنفاد

صح

صح الخلق بعد ضيق بعيش ∴ لم يكن قبل عندهم في اعتياد
اشترك الكل فيه من غير فرق ∴ بين عجم وناطق والجماد
اصله العيث والذنوب عداه ∴ وهو من اجل قطعها في جهاد
كم عيوب على الملوك تعايبت ∴ وهو يمضي عليهم في اتئاد
قال للنجم مرة خبر بني ∴ عنك حقا في المنتهى والمبادي
قالت النجم سنة ما شان خبر ∴ لو سها عنه باحث ذو انتقاد
انا ما قد علمت فطرة ماء ∴ طيب الاطرحته من ازرعادي
كنت في غربة بارضك مال ∴ من مواليك غير خصم معادي
لا يليني من الانام خليل ∴ غير رهط يحبنهم من بلادي
عشت فيهم على المذلة دهرا ∴ في احتراس من امة لي اعادي
ثم اجمعت بعد ذلك رايا ∴ ان اوالي جماعة الاوغاد
واستملت النفوس منهم بلهو ∴ بوهم الغر بقضة في الرقاد
واستمال الغريب مني بعيدا ∴ هاكذا كان امرهم في تمادي
فاذا الهزل عندهم صار جدا ∴ واذا الناس كلهم في فساد
يواب المزلي ويترك اهلا ∴ من وليد اته وذات الوداد
فانا اليوم اكثر الخلق جيشا ∴ فقطعي له عونة في احتشاد
اسلب المال حيثما كان منهم ∴ بعد سلبي عقولهم والنباد
لم يفتني سوى القليل واني ∴ لاحتواش جميعهم في اجتهاد
عن قريب ترى التدرج بنا دب ∴ باحتكام الكميت في كل ناد
قال اقصعا عن حديث ممض ∴ يمنع العين من لذيذ السهاد
لا ارى العيش بعد قولك يصفو ∴ او ابكي عليك عم الصلاح

ان من كان يجمع الشر مثلي ؞ ثم ابغاه فهو بالشر بادي
لا وحق الذي من كل ذنب ؞ لا كونني ذنوبهم في معادي
لا ولا عشت امة لحبيب ؞ هو في الضيق ملجاي وعمادي
فالذي اظهر الغبي عيب ؞ دون ما تشتهيه خرط القتاد
ليس في الوهم ما تظن واني ؞ لاهي لما توهمت زاحي
كم رواية من قبل كونك صبي ؞ من ملوك رحمتهم في البلاد
ما سمعنا بمثل ما قلت فيهم ؞ بل لنا عندهم مدة من مراد
غير ان القليل فيهم همام ؞ واذا هو ناجح في رمادي
بل ابوك الجليل غير رسمي ؞ ثم لو عاش كان اعدى الاعادي
ان لي شيعة من الانس نجبا ؞ ثم اخرى جنيسها غير بادي
واذا رام لطم وجهي زعيم ؞ اعملوا الجد كله في مرادي
ثم ايه محبتي تغربي بوفحي ؞ واذا ما استرحت خذ من تلادي
ما تراه وان اتهم راي ؞ ان توم طريقة الاجداد
قال اخطاته ما حدثتك هذا ؞ غير ضرب على حديد بارد
لم يغادر من الحماقة شيئا ؞ من رد العقل اسوة في العباد
ومن الذي دان يفلح شخص ؞ واجتهادي حكمه ذا اجتهاد
بل من القبض ان يخادع تيس ؞ بافتلاه مزراسه مستفاد
واذا ما دفعت لله فرضا ؞ ضاعفته يد الكريم الجواد
يالكاعا ان خشيتك نفسا ؞ بنكح في الوجود فرنا حداد
فانه وسيعتبك ان تبن حربا ؞ يركبوا للهياج عوج الجياد
واكتبي للسوع يبعث شفيعا ؞ او بر فيلا تنقال عند الجلاد

ما

مادميني كما سمعت بصدق ∴ إذ رأتك العيون من بعد ساد
فانتهى القول عند هذا وبانت ∴ كل الآن لصدمة المبعد أح
ومنطق الناس منذ عشوى وخاضوا ∴ من هلال الكميت في كل واح
كلهم يمنع الوقوع ونزر ∴ قال يرجى والبعض في ازدياد
ثم ما دار في أيه السبع حتى ∴ عاينوا قبلها بيرك العماد
تلك حاناتها البامى كان لم ∴ تغن بالأمس أصبحت في حداد
ليت شعري به رزايا بيسر منها ∴ مثل ما رزئته واهي الشداد
فلخشي بعدها الليالي تسمح ∴ من حديث مع طوله مستعاد
عزمة من أتم الحمل حزما ∴ علمته الخطوب علم الطراد
يا مبير أتى الزمان أخيرا ∴ وهو في العصر أول الأعداد
لا غضاضة إنما أنت سر ∴ بين الصدوق في حديث العهاد
إن بك البر زاد للبر عمرا ∴ عشت كالخضر آخر الأعداد

ولما أتممت إنشاده وعجبت من إبعاده
قالت قد رأيت بالحكم أن تحلي بالكميت
فقلت أذم هذه أم مدح وهل أنت في جد
أو مزح فما ظننت أن تجبهيني بهذا ولا أن تركي قلبي أفلاذا
فقالت ها أنا أعترف بذنبي لترجع عن مؤاخذتي وعتبي
إني طبعت على الغيرة من الأفاضل فتحدثني لا أعترف بفضيلة
لفاضل وربما فضلت البليد على الحديد ورجعت من
اجتهادي إلى التقليد وقلت لمن أتى بالأعلى لو

كان غير هذا الكان اولى، واخذنا في التعديل والتجريح،
لغير امر صحيح، وكان ذلك مزاح وطريفة، والا فالخفيفة
الخفيفة، على ان اعتذر اليك بالاجادة، لا يعود عليك بالا
فادة، وانما المعول عليه، من تزف هاذه الخريدة اليه،
فان جوزي فانت التابعة، وان عجز فتلك الدامغة، وقلنا
قد عرفت مغزاك، وما احتفت به مغزاك، فلا يصد بنا ذلك
التقرير، عن بذل الجهد في التحرير، فانما يسعى الموفق لما
يبقى، ولا يتجنب ذلك الا الاشقى، ثم قال ناعد الى
موانسة المجالس، واسمع ما تحدث به في المجالس، انه لما قامت
ام الخبايث، وعبثت باهلها الريح العوابث، اجتمعنا ارواح الا
في مصل الافراح، واخذنا في مطارحات واقتراح، فسمعت
احد الجماعة، يقول خذوها بنت الساعة، وانشد
بصفات الغيث يا ابا الجزيرة،

فكم جازتك من حور اعطيرة
تميل اذا امشت كالسي ومرتت

عليه الريح في ارض مطيرة
ويرجع كل ذي عين راها

يكف عن تناولها قصيرة
اذا ما قال ذو طمع لمن ذا

تقول لمن راهمه كثيرة
فاستحسن قد كل من حضر، ثم ابتدر اخر وقد كسن

وهنم

ومختصر الكلام فهمت منه ‡ قليلا والكثير من الاشاره
تملك لابي فطلبنا رهفا ‡ فقال اسكت ففي هذا اجماره
وابعد نيله واورد ا ـسي ‡ اغاثه فتغلبني المهاره
ولما لم اجد منه اتصالا ‡ صحبت عشيرة وقصدت داره
وقلت له اما النسب ساوى ‡ فقال اطلبه من باب المناره
وقلت فتحتا من امر بعوبطا ‡ فضم الميم اعجل بالبشاره

ثم استخفهم الطرب، فما منهم الا من اضطرب، وقام كل على حباله يرقص، وبات يمص اعلا يزيد عليه ولا ينقص، حتى تمت الابيات وجمعت بعد الشتات،

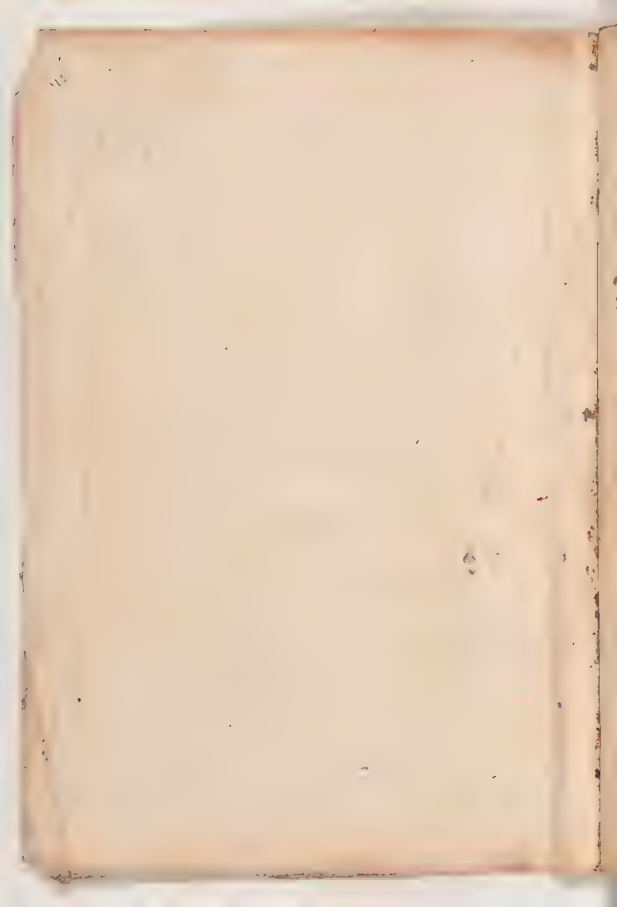
فم بتيل يا نديم ‡ واشكر الاله الرحيم
واشتر البلشا عليا ‡ صاحب الخلق الوسيم
عالج الخمر فزالت ‡ وهي من داء قديم
علة اعجم عنها ‡ كل من اوحكيم
صانه الله وابقى ‡ للصراط المستقيم
واراننا به بتيه ‡ كل انواع النعيم
وجزاهم بعظيم ‡ وبوخذ الام العظيم
خصلة يعنوا البهلى ‡ من له قلب سليم
صح قولا اذا ارخوها ‡ ابطل الخمر كريم

ثم لما قضت من الحديث نهمتها، وبلغت منه امنيتها، قالت الرومي نعودك عن العرض، ونا خبرك الامر المعترض، فاجمع عليك الاثواب وبكر بكور الغراب، وات الامر من بابه، واستعن على كل صعب بارباب،

واترك في طريقك المراء، ولا تلتفت الى وراء، فابتدرنا الطريق الجاده
واستسهلنا فيها العوارض الجاده، حتى وقفت على السلطان السعيد
فاذا هو فوق ما ظننت به، ورانا منه العيون، احسن مما ظننته
الظنون، فالقيت ما في جرابي، حتى استفرغت ما في وطابي
فلما وعى قصتي، واساغ من ديته غصتي، قال ما اسمك ايها الو
دود، فقلت له سعد السعود، فقال بما اسمك الفال، وعلى الله
الاتكال، فرحم الله صاحب فتح الباري، اذ انشد في شرحه لصحيح البخاري

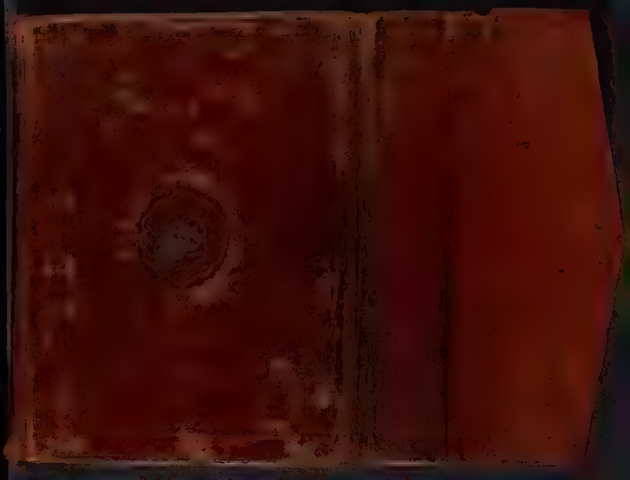
⁂ تفاءل بما تهوى يكن فلقلما ⁂ يقال لشيء كان الا تحققا ⁂

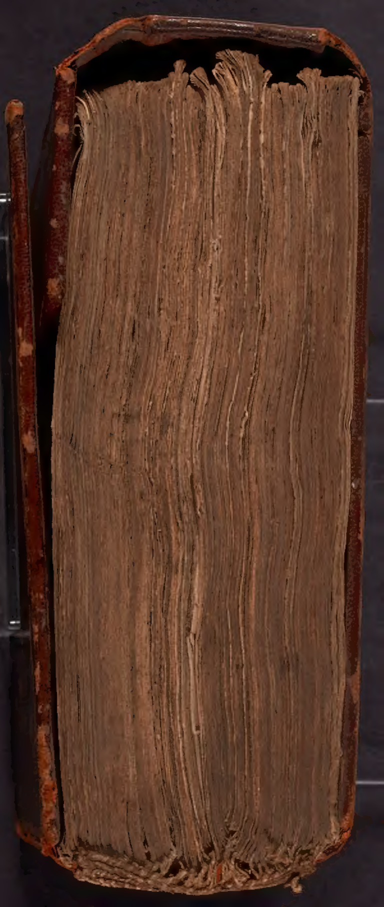
فقلت الحمد لله على الموافقه، فقال ولك مني المرافقه، فها انا
امرح في ظلاله، لا ابصر في طرف بجماله، سائلا من المولى المتعالي
بقاءه لي ولامثالي، فهل سمعتم يا اولي الابصار، بمثل هذا في
الاخبار، فقلنا لا ومكور الليل على النهار، فقال اقتدوا بي في قصدي
لهذا السعيد واقصدوه، فلعلكم ان شاء الله تحمدوه، وتنهلوا من فوا
ضله وتعلوه، وعليكم السلام والرحمة اينما تولوا، انتهت
وبقيت هاهنا مقامات كثيرة تركناها تفاديا عن ضرب الزبون
انتهى ما اراد به رزقه الله الحسنى وزياده،
وصلى الله وسلم على سيدنا محمد
سيد السادة وعلى آله واصحابه واتباعه وانصاره الذين
جاهدوا في الله جهاده، وعزروه ونصروه
وبلغوه مراده، امين والحمد
لله رب العالمين

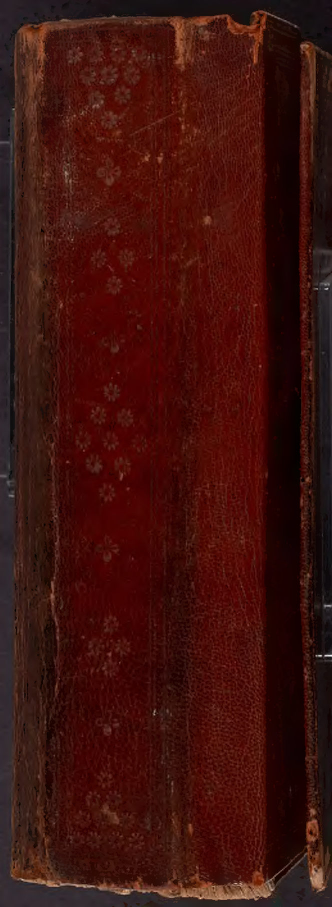















x·rite
colorchecker CLASSIC
mm